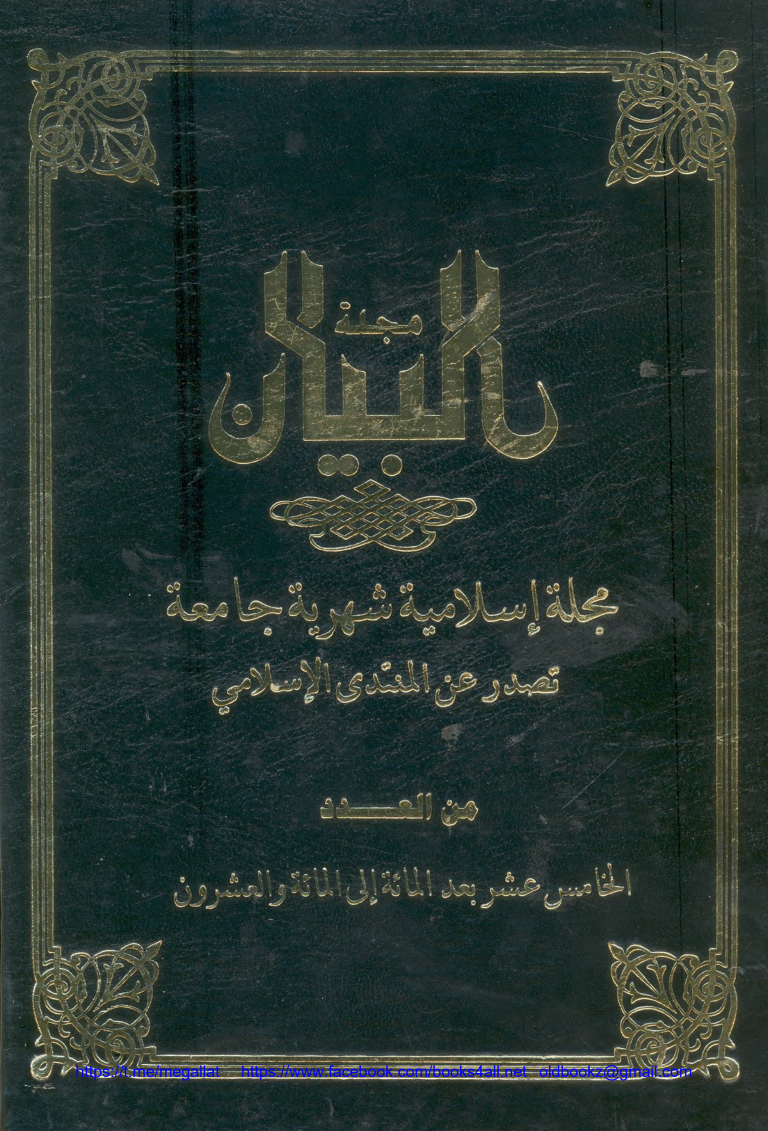

مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
الخامس عشر بعد المائة إلى المائة والعشرون
https://t.me/megallat https://www.facebook.com/books4all.net oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

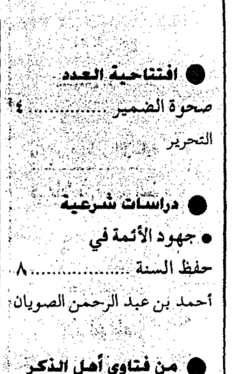
انتخابات محسومة

تتسم انتخابات ما يسمى (دول العالم الثالث) ـ ومنها الدول العربية والإسلامية ـ بأنها تحسم وتعرف نتيجتها قبل نهايتها لأسباب، منها:

- أننا تعودنا: أن تلك الانتخابات تحسم لصالح الحزب الحاكم بنسبة ٩٩,٩٩٪، وبعد أن صار ذلك محل سخرية الناس. تواضعت النسبة إلى ٩٠٪، و٨٥٪ وربما ٧٥٪.
- أن تلك الأحزاب يقودها الحاكم الفعلي أو من ينيبه؛ ومن الطبيعي أن تستخدم الدول كل إمكاناتها (المالية والإعلامية) ليفوز حزبها في النهاية.
- تلك الانتخابات تتأثر بالواقع المحلي والدولي سلبًا وإيجابًا.
- الحرب ضد الأحزاب المعارضة التي عادة ما تكون بأساليب عدة، منها: التحجيم لوسائلها، والترغيب والترهيب لمن يجرؤ أن يكون في صفوفها.
- تقنين ما يحجّم تلك الأحزاب ويجعلها هزيلة تافهة بدعاوى المقصود منها: إبعادها عن مكان التأثير والقرار.
- ردود الأفعال العنيفة ضد الخصوم، وهي في العادة نتيجة طبيعية للظلم.
- الشكاوى والاعتراضات التي لا تخلو منها أي من تلك الانتخابات التي تستغل فيها الدولة سلطتها: لا يعار لها أي اهتمام.
- أعضاء الوفود المراقبة للانتخابات عادة ما يكونون في ضيافة الدولة وتحت ملاحظاتها، فليس لديهم الإمكانات لتغطيتها تغطية شاملة.

تساءلت صحيفة بريطانية: ما الفرق بين الانتخابات في اليمن والانتخابات في بريطانيا؟ فأجابت: إن الانتخابات في بريطانيا اعترف فيها المهزوم بهزيمته، بينما في اليمن حصل العكس وشكا الإصلاح معتبرًا أن حقه ضعف ما ذكر له؛ هذا هو الفرق، وتلك هي الأسباب. وكما فاز حزب الحكومة في أندونيسيا (جولكار)، وكما هو متوقع فقد فاز حزب السلطة في الجزائر مع عدم رضا المراقبين الدوليين عمّا ادُّعي من نزاهة الانتخابات.

في هذا العدد :



● افتتاحية العدد
صحوة الضمير ٤
التحرير

● دراسات شرعية
● جهود الأئمة في
حفظ السنة ٨
أحمد بن عبد الرحمن الصويان

● من فتاوى أهل الذكر
هل يعفى عن عصاة
أهل البيت ١٦

● دراسات تربوية
فضيلة الشكر..
العملة النادرة في هذا العصر... ١٨
د. محمد عز الدين توفيق

● دراسات دعوية
النقد الذاتي..
خطوة على الطريق............ ٢٤
يوسف عمر قوش

● بأقلامهن
قلت لصاحبتي وقالت لي ٣٠
نجوى الدمياطي

● مقال
في الصراع الفكري......
جمال سلطان

● دراسات اقتصادية
آراء وتأملات في فقه الزكاة..
د. محمد بن عبد الله الشـ

● تأملات دعوية
الدعاة والبعد الزمني الغائب..
عبد الله المسلم

● من قضايا المنهج
العلم بالسنن الربانية ....
د. محمد أمحزون

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٢ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة:
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ –
٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065
الرقم المجاني: (Subscription No.: 1-800 - 99 - Fajer)

البيان الأدبي

لغة الخطاب (قصيدة) .. ٥٦

حفيظ بن عجب الدوسري

الإبداع في الشعر العربي

دراسات أدبية) ٥٨

راهيم نهار العنزي

حسرة وعتاب(قصيدة) ... ٦٢

محمد بن عبد الرحمن المقرن

أدب الحرفة (خاطرة أدبية).. ٦٣

خالد أبو الفتوح

ثم انتبهت (قصة قصيرة) .. ٦٤

رة بنت سعيد الصفار

المسلمون والعالم

• خمسون عاماً من الفشل... ٦٨

عبد العزيز كامل

• الرافضة في إندونيسيا ٨٠

أحمد فريد

• اليمن بعد الانتخابات....... ٨٦

أيمن بن سعيد

هموم ثقافية

إشكالية البلورة الثقافية ٩٦

سامي محمد الدلال

في دائرة الضوء

الإسلام ليس كنيسة.......... ١٠٢

د. محمد يحيى

منتدى القراء

• إسماعيل الأنصاري.. ١٠٦

عبد الله بن محمد الهلالي

• ضراعة................ ١٠٨

صالح بن عبد الكريم العبودي

• بأبي أنت وأمي ١٠٩

تركي بن عتيبي الغامدي

بريد البيان

ردود على بعض رسائل القراء... ١١٠

التحرير

الورقة الأخيرة

من يبكيهم بعد عمر..... ١١١

حسن قطامش

الاشتراكات

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهاً استرلينياً
أوروبا	٢٠ جنيهاً استرلينياً
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهاً استرلينياً
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهاً استرلينياً
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهاً استرلينياً

سعر العدد

الأردن ٥٠ قرشاً ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشاً ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهاً ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

صحوة الضمير هل تأخذ بعداً أشمل؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد :

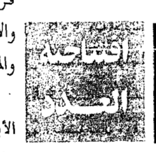
فإن رصد الواقع ومتابعته ثم التفاعل معه والتأثير فيه، مما يحث عليه ديننا الحنيف، ولعل في الآيات الكريمات في صدر سورة الروم إشارة إلى ذلك حيث يقول (تعالى): ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ١ — ٤]، فلفت أنظار الطائفة المؤمنة إلى الصراع الدائر بين قوتين غير مسلمتين إحداهما: (كتابية) والأخرى (مشركة) ثم التعقيب على ذلك بطبيعة المداولة بين الأمم؛ فكل ذلك جدير بأن يأخذ منا نصيباً من الاهتمام الذي ينبغي أن ينعكس على واقعنا واهتماماتنا.. ومن هذا المنطلق تأتي متابعتنا للواقع والتعليق عليه.

ومن ذلك الخبران اللذان لفتا نظرنا ولم يُعَلَّق عليهما في كل ما اطلعنا عليه بما يليق بقيمتهما الحضارية والأخلاقية ولا ندري ما السبب؟ والخبران يتلخصان فيما يلي:

أولاً: اعتذار رئيس دولة البرتغال «جورج سمبايو» في ندوة (التراث العربي المشترك)، حيث وصف ما جرى (للمسلمين) من اضطهاد في بلاده منذ قرون عبر (محاكم التفتيش) بأنه ساعد في تخلف شبه الجزيرة (الإيبيرية) لعدة قرون، مؤكداً أن بلاده تمتلك الشجاعة للاعتراف بإيجابيات الوجود العربي والإسلامي في هذه المناطق الذي لا يزال أثره ماثلاً إلى اليوم في اللغة والأسماء والمعمار والخيال الشعبي... [الشرق الأوسط، ع/٦٧٤٤، ١٠/١/١٤١٨هـ].

ثانياً: اعتذار الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» في احتفال في البيت الأبيض في ١٠/١/١٤١٨هـ باسم الولايات المتحدة الأمريكية لنفر من الأمريكيين السود ممن بقوا على قيد الحياة (أصغرهم يبلغ ٩١ عاماً) ولذوي

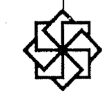




حو من ٤٠٠ أسرة آخرين راحوا ضحية اختبارات طبية عنصرية دامت أربعين عاماً (١٩٣٢ ـ ١٩٧٢م) في مراكز حكومية في مدينة (توتسكيجي) بالألباما كانت الاختبارات تهدف إلى الاطلاع على تطور مرض الزهري في غياب أي علاج، وقال لهم: أقدم لكم اعتذاراتي وأنا متأسف لتأخرها !. الوطن، ع/٧٦٣٣، ١١/١/١٤١٨هـ].

ورغم إيجابية الخبرين إلا أنه من خلالهما يتبين للقارئ الكريم حقيقة الحضارة الغربية التي وإن أسهمت في تطور الإنسانية وإمتاعها من النواحي المادية إلا أن لها وجهاً آخر يتجلى في العنصرية والظلم والميكيافيلية وإثارة الحروب بين البلدان لترويج الأسلحة وربما لتجريب نوعيات جديدة منها، إضافة ى عالم الحروب السرية المقرر فيها خسارة ما يسمونه دول العالم الثالث أمام الأحلاف الأخرى، ويمكن الاطلاع على هذا العالم في كتاب (ألعاب الحرب) . «توماس إيلن» أحد اللاعبين الكبار في ذلك العالم الرهيب، وهذه الحضارة ات الوجهين مهما تظاهرت بالوجه الإنساني إلا أنها أحدثت من الأضرار في لدول التي ابتليت باستعمارها وتسلطها وبعض تصرفات المنتمين لها ما يشهد به حتى المنصفون من مفكريها.

إن معاناة الإنسانية ـ والمسلمين بخاصة ـ من المواقف الجاحدة لفضلهم، وما قامت به محاكم التفتيش من تنصير عن طريق التعذيب والقتل والسحل الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً، كانت جسيمة وعظيمة. والاعتراف ـ وإن جاء متأخراً ـ من الرئيس البرتغالي شيء جميل، ولكن ينبغي أن ينعكس إيجابياً على واقع المسلمين هناك ـ وهم أقلية وفيهم من هم من أهل البلاد نفسها ـ بإعطائهم حقوقهم المدنية وإشهار مؤسساتهم الإسلامية وافتتاح المدارس والمساجد أسوة بغيرهم من أهل الديانات الأخرى، ولعل ذلك يكون في الحسبان في أقرب فرصة، ولعله أيضاً يحتاج إلى جهد وتحرك من المسلمين أهل الشأن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: ترى ماذا ستكون ردود أفعال الكُتّاب والمؤرخين البرتغاليين حول إعادة الصورة الصحيحة لواقع الإسلام وتاريخه ـ بعد ذلك الاعتراف ـ وهل ستصحح الصورة أم لا؟



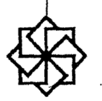


وأملنا كبير في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي هناك في الجامعات والمعاهد ولدى المؤرخين والباحثين بصورته الصحيحة، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

● **أما أمريكا فلا شك أن اعتراف رئيسها بتلك المأساة الإنسانية** وإن كان بهدف غلق ملف العلاقات العنصرية في أمريكا إلا أن هذا الموقف إيجابي وإن جاء متأخراً؛ ولكن هل هذا الاعتراف للمواطنين السود في أمريكا أم لكل خطأ (غير إنساني) قامت ـ وتقوم به ـ هذه الدولة الكبرى ولا سيما في مواقفها من قضايا الإسلام والمسلمين؟

فالدستور الأمريكي ما زال يقف من السود بعامة والمسلمين منهم بخاصة موقفاً غير منصف، وهذا مسجل في دراسات وأبحاث معروفة، والمسلمون لا يُعْطَوْن الحقوق نفسها التي تعطى لغيرهم وبخاصة (يهود) الذين استطاعوا أن يكوِّنوا دولة في وسط الدولة، وشكلوا (فعاليات) مهمة لها دورها في توجيه سياسات الدولة وهيمنتها على موقع القرار، ويستطيع اللوبي الصهيوني أن يعمل ما يريد لا سيما في مواقفه غير المنصفة من القضية الفلسطينية ومناصرة العدو الصهيوني في كل سياساته العدوانية، ومع هذا الارتباط المصيري بينهما فاليهود هم اليهود ومصالحهم هي الأوْلى بالرعاية، ولا نستغرب اكتشاف فضائح جديدة للتجسس من قِبَلهم على أمريكا مثل (قضية الجاسوس ـ ميجا ـ في وزارة الخارجية الأمريكية)، ولا نعتقد أن ذلك غريب إذا عرفنا مكر اليهود وخبثهم وعملهم المستمر لصالح أنفسهم ودينهم فقط.

ثم إلى متى تقف أمريكا مواقف غير منصفة من كثير من دول العالم الإسلامي وتعمل على تحجيم دورها، ولا سيما حيال إجهاض القرارات المصيرية في هيئة الأمم المتحدة وإحباطها حتى ولو كانت مجرد إدانات شكلية للعدو، فضلاً عن وقوفها في وجه أي محاولة للحصول على الأسلحة الاستراتيجية والرفض المطلق لامتلاك (القنبلة النووية) من قبل دولة مسلمة مثل (باكستان) وتهديدها بكل ما تملكه من مواقف لإلغاء مشاريعها تلك؛ وفي الوقت نفسه لا تحرك ساكناً تجاه امتلاك جارتها (الهند) لذلك السلاح





التهديد به لإبقائها الدولة الأولى في القارة، وبالتالي تهديد مصالح المسلمين ومحاصرتهم في المنطقة؟

وشيء آخر أصبح لكثرة ما تحدثت عنه صحافة الغرب بعامة والأمريكية خاصة أمراً ممجوجاً لكنه مسألة كبرى عندهم حيال دول العالم الإسلامي بعامة الإسلاميين منهم على وجه الخصوص ـ هو الاتهام بإشاعة الإرهاب والتطرف ذلك يتجلى في أمرين :

أولاً : من الناحية الفردية : مضايقة الإسلاميين حتى ولو كانوا يحملون لجنسية الأمريكية، والعمل بكل بساطة لتسليم أولئك لإسرائيل وغيرها مما يواجهون معه مصائر معلومة النهاية كما ظهر في أكثر من حالة.

ولقد رأينا كيف يتحوّل أي عمل إرهابي في أمريكا (وبقدرة قادر) إلى تهمة إجرامية تفسر رجماً بالغيب: أن من ورائها المسلمين، كما حصل في (تفجير مركز أوكلاهوما الفيدرالي) وما عاناه المسلمون آنذاك من ضغوط نفسية ومضايقات غير إنسانية؛ وفي النهاية تبين أن وراء الجريمة عصابة من اليمين الأمريكي المتطرف، فمتى يُنصف الإسلاميون ويعطون حقوقهم أسوة بغيرهم؟

ثانيا : موقف الولايات المتحدة من الدول التي تعلن تبني الاتجاه الإسلامي مثل السودان، فالموقف الداعي لعزله وحصاره لا يتفق والعدل والإنسانية في شيء، لا سيما إذا عرفنا رفض السودان لكل الاتهامات التي تُدّعى عليه، وهذا يحتاج إلى مزيد من الإنصاف ولا نريد أن يعاني المسلمون بجريرة غيرهم من ظلم المجتمع الدولي وحصاره ثم لا يُنصفون إلا بعد سنوات!



إن صحوة الضمير ظاهرة تستحق التنويه لكنها في الوقت نفسه تقتضي أن تكون شاملة كل المواقف السلبية تجاه الإنسانية أو الإسلام، فهل يحدث شيء من الإنصاف وشيء من العدل حيال أمتنا وشعوبنا، أم أن المسألة انتقائية ومظاهر إعلانية لا غير؟

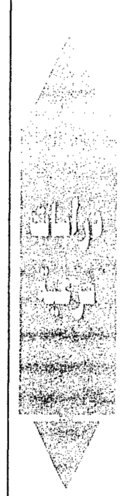


هذا ما ستثبته الأيام أو تكذبه.

جهود الأئمة في حفظ السنّة

(١ من ٢)

بقلم :
أحمد بن عبد الرحمن الصويان *



بلّغ رسول الله ﷺ دين الله (تعالى) أكمل بلاغ وأتمه، وحرص على تعليم أصحابه وتفهيمهم دلائل الكتاب والسنة، ولقد تتابع اهتمام السلف الصالح بحفظ السنة ونقلها على الوجه الصحيح منذ عصر الصحابة (رضي الله عنهم) إلى هذا العصر، حتى إنّ الصحابة (رضي الله عنهم) لاستشعارهم أهمية هذا الأمر العظيم، نقلوا لنا كل كبير وصغير من حياة النبي ﷺ، مما يحتاجه الناس في دينهم، سواء أكان ذلك في حال إقامته أو سفره، في سلمه أو حربه، في رضاه أو غضبه، حتى في خاصته مع زوجاته أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، بل وفي شأنه كله[1]، ولهذا قال: أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) : تركَنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكر لنا منه علمًا، قال: فقال رسول الله ﷺ : « ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار، إلا وقد بُيِّن لكم »[2]، وهذا مصداق قوله ﷺ : « تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك »[3].

وعلى الرغم من تتابع القرون، وتعاقب الأجيال.. وعلى الرغم من كثرة الزنادقة والمفسدين، إلا أن الله (تعالى) حفظ سنة نبيه ﷺ من التبديل والتحريف، وبذل

---

١) من الأمثلة اللطيفة في دقة الصحابة (رضي الله عنهم) في النقل: قول عبد الله بن مسعود : « لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه » أخرجه مسلم، ح/ ١٨٦.

٢) أخرجه: الطبراني في الكبير ، ح/١٦٤٧، وإسناده صحيح.

٣) أخرجه: أحمد، (٤/ ١٢٦)، وابن ماجة ، ح/٤٣، وإسناده صحيح.

أئمة الإسلام جهوداً عظيمة جداً في حفظها ورعايتها، ووقفوا سداً منيعاً في وجوه الزنادقة والعابثين قديماً وحديثاً. وهذه منّة جليلة على هذه الأمة، نحمد الله (تعالى) عليها حمداً كثيراً.

وقد تمثلت جهود الأئمة في حفظ السنة في مسائل عديدة، أذكر منها:

أولاً: حفظ السنة وضبطها في عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة:

أ ـ حَثُّ النبي ﷺ على حفظ السنة ونقلها:

حثَّ رسول الله ﷺ على رعاية السنة النبوية ونقلها، فقال: «بلغوا عني ولو آية»[1]، وكان يقول في مناسبات عدة: «وليبلِّغ الشاهد الغائب»[2].

وكان النبي ﷺ حريصاً أشدَّ الحرص على أن يُنقل كلامه نقلاً صحيحاً دقيقاً، ويتبيَّن ذلك في الأمور التالية:

أ ـ ترغيبه في حفظ السنة ونقلها:

رغَّب رسول الله ﷺ في حفظ السنة، ودعا لنَقَلَة الحديث بالنضارة والبهاء، فقال: «نضَّر الله امرءاً سمع منّا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه»[3].

وكان يقول لأصحابه: «احفظوهنَّ وأخبروا بهن مَنْ وراءكم»[4].

وقال لمالك بن الحويرث وأصحابه: «لو رجعتم إلى بلادكم فعلَّمتموهم»[5].

ب ـ دعاؤه لأصحابه بالفهم والحفظ:

كان رسول الله ﷺ يدعو لبعض أصحابه بالفقه والفهم، فهو يقول عن ابن عباس (رضي الله عنهما): «اللهم فقهه في الدين»[6]، وكان يدعو لبعض أصحابه بالحفظ والضبط، فها هو ذا يقول لأصحابه يوماً: «من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي، ثم يقبضه إليه، لم ينس شيئاً سمع مني أبداً»، قال أبو هريرة (رضي الله عنه): ففعلتُ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه[7].

---

1) أخرجه: البخاري (٦/٤٩٦). 2) أخرجه البخاري ،١/١٥٨، ١٩٨، ح/٦٧، ١٠٤.

3) أخرجه أبو داود، ح/٣/٤٣٨، والترمذي، ٤/١٤١، وابن ماجة، ١/٨٤، وإسناده صحيح.

4) أخرجه البخاري، ح/١/١٢٩، ١٨٤، ح/٥٣، ٨٧.

5) أخرجه البخاري (٢/١٧٠). 6) أخرجه البخاري (١/٢٤٤).

7) أخرجه البخاري، ح/١/١٩٠، ٥/٢١، ١٣/٢٧١، ومسلم، ح/٤/١٩٤٠ رقم ٢٤٩٢.

ج ـ تكراره الحديث حتى يُفهم عنه :

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ : « أنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا، حتى تفهم عنه » [1] .

د ـ مراجعته لمحفوظات بعض أصحابه :

عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أخذت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة » .

قال : فردّدتهن لأستذكرهن، فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت، قال : « قل : آمنت بنبيك الذي أرسلت »[2] .



هـ ـ تحذيره الشديد من الكذب عليه :

حذر النبي ﷺ تحذيرًا شديدًا من الكذب عليه، فقال : « من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار »[3]، وقال : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[4] .

وهذا التحذير إنما هو لمن جاء بعد الصحابة (رضي الله عنهم)، إذ إن الصحابة عدول بتعديل الله (تعالى) لهم، « فلا يعرف من الصحابة من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، وإن كان فيهم من له ذنوب، لكن هذا الباب ممّا عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم »[5] .

و ـ إذنه للصحابة بكتابة الحديث :

كان النبي ﷺ قد نهى أصحابه عن كتابة السنة [6]، خشية أن تختلط بالقرآن، أو أن يشتغل الناس بها دون القرآن، فلما أمن ذلك أذن لأصحابه بكتابة

---

١) أخرجه البخاري، ١/١٨٨، رقم ٩٥ .   ٢) أخرجه مسلم، ٤/٢٠٨٢ ، رقم ٢٧١٠ .

٣) أخرجه البخاري ، ح/١/٢٠٠، ومسلم ، ١/١٠ .

٤) أخرجه مسلم (١/٩) .

٥) ابن تيمية في الرد على الأخنائي ، ص ١٠٣ .

٦) ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا : « لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه »، أخرجه : مسلم ، ٤/٢٢٩٨ .



السنة زيادة في الضبط والإتقان، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»[1].

وفي عام الفتح خطب خطبة في مكة، فجاء رجل من أهل اليمن، فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي فلان»[2].

ولهذا كان النبي ﷺ يحث أصحابه على هذا، ويقول: «قيّدوا العلم بالكتاب»[3].

ثانيا: حرص الصحابة (رضي الله عنهم) على حفظ السنة وضبطها:

كان الصحابة (رضي الله عنهم) يحرصون على الجلوس عند النبي ﷺ وحفظ حديثه، وكانوا أخلص الناس في طلب العلم وفهمه، وأكتفي هنا بالمثالين التاليين:

المثال الأول: تناوبهم في الجلوس عند رسول الله ﷺ:

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة، وكنّا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك»[4].

المثال الثاني: الرحلة في طلب الحديث:

كان الصحابة (رضي الله عنهم) يحرصون على طلب الحديث، ويبذلون في ذلك جهداً عظيماً، حتى قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من

---

1) أخرجه أحمد، ٢/١٦٢، ١٩٢، وأبو داود، ح/٣٦٤٦، وقال ابن حجر في الفتح، ١/٢٠٧: «لهذا طرق يقوي بعضها بعضاً».

2) أخرجه البخاري، ح/١١٢، ٢٤٣٤، ٦٨٨٠، ومسلم، ٢/٩٨٩، وفي بعض الروايات: «اكتبوا لأبي شاة».

3) أخرجه الحاكم، ١/١٠٦، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح/٤٣١.

4) أخرجه البخاري، ١/١٨٥، رقم ٨٩.

كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[١] .

وقد رحل جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) مسيرة شهر، إلى عبد الله بن أُنيس (رضي الله عنه) في حديث واحد[٢] .

وعن عطاء: أن أبا أيوب رحل إلى عقبة بن عامر فلما قدم مصر، أخبروا عقبة فخرج إليه، قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً على خزية ستر الله عليه يوم القيامة»، قال: فأتى أيوب راحلته فركبها، وانصرف إلى المدينة، وما حلَّ رحله»[٣] .

وهذه الأمثلة تدلّ على تفانٍ عظيم في حفظ السنة، فكانوا قدوة حميدة لمن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم، ومراجعة كتاب: «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي تعطي تصوراً واضحاً عن الجهد الكبير الذي بذله أئمتنا في جمع السنة وحفظها.

ثالثاً: توقي الصحابة وورعهم في روايتهم عن النبي ﷺ:

كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتورعون أشد التورع في الرواية عن النبي ﷺ، فعن عمرو بن ميمون قال: كنت آتي ابن مسعود كل خميس، فإذا قال: سمعت رسول الله ﷺ، انتفخت أوداجه، ثم قال: «أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريب ذلك، أو شبيه ذلك، أو كما قال»[٤] .

وعن السائب بن يزيد قال: «صحبت عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود، فلم أسمع أحداً منهم يتحدث عن رسول الله ﷺ، إلا أني سمعت طلحة بن عبيد الله يتحدث عن يوم أحد»[٥] .

---

١) أخرجه البخاري، ٩/٤٧، ومسلم، ٤/١٩١٠ - ١٩١١.
٢) أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به (١/١٧٣)، وقال ابن حجر: «الإسناد حسن، وقد اعتضد».
٣) الكامل لابن عدي: ١/٣٢، وليس كلام ابن مسعود من باب الشك، ولكنه من شدة التوقي والحذر.
٤) أخرجه أحمد، ٤/١٥٣، والحميدي، ح/٣٨٤، وجامع بيان العلم (١/٣٩٢).
٥) المرجع السابق: (١/٣٠).

وعن أبي إدريس: أن أبا الدرداء كان يحدث بالحديث عن رسول الله ﷺ، فإذا فرغ منه قال: هذا أو نحو هذا، أو شكله »[1].

وعن حبيب بن عبيد الرجي قال: « إن كان أبو أمامة ليحدثنا الحديث كالرجل الذي عليه أن يؤدي ما سمع »[2].

رابعاً: دقة الصحابة (رضي الله عنهم) في الرواية:

كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتحرون الدقة في روايتهم عن النبي ﷺ، ويتورعون في ذلك أشد التورع؛ فها هو ذا عبد الله بن عمر يسمع عبيد بن عمير يحدث بحديث رسول الله ﷺ: « مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين »، فقال ابن عمر: ويلكم، لا تكذبوا على رسول الله ﷺ، إنما قال رسول الله ﷺ: « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين »[3].

ولهذا قال محمد بن علي: « كان ابن عمر إذا سمع الحديث لم يزد فيه، ولم ينقص منه، ولم يجاوزه، ولم يقصر عنه »[4].

وكان الأعمش يقول: « كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخرَّ من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو ألفًا أو دالاً »[5].

ومن كان من الصحابة يروي بالمعنى، فإنه يتحرى الدقة في ذلك، فعن عروة ابن الزبير قال: قالت لي عائشة (رضي الله عنها): يا بني يبلغني أنك تكتب عني الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلت لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافًا؟ قلت: لا، قالت: لا بأس بذلك[6].

خامساً: تثبت الصحابة (رضي الله عنهم) في سماع الحديث:

إن للرواية عن النبي ﷺ شأنًا عظيمًا جداً، ولذا كان أصحابه ﷺ يتثبتون عند السماع، ويتأكدون من صحة النقل، ونقل عنهم في ذلك أمثلة كثيرة، أذكر منها:

أ ـ تثبت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

جاءت الجَدَّة إلى أبي بكر (رضي الله عنه) تسأله عن ميراثها، فقال لها: ما لك

---

١) الكفاية، ص ٢٤١.
٢) الكفاية، ص ٢٠٦.
٣) المرجع السابق، ص ٢٠٨.
٤) المرجع السابق، ص ٢٠٥.
٥) المرجع السابق، ص ٢١٢.
٦) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

في كتاب الله شيء، ولا علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئًا، فقال المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه): حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذ لها أبو بكر [١] .

ولهذا قال الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق: «وكان أول من احتاط في قبول الأخبار» [٢] .

ب ـ تثبت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا في مجلس عند أبي بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مغضبًا، حتى وقف فقال: أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع؟ قال أبيّ: وما ذاك؟ قال: استأذنت على عمر بن الخطاب ثلاث مرات، فلم يؤذن لي، فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه، فأخبرته أني جئت بالأمس فسلمت ثلاثًا، ثم انصرفت، قال: قد سمعناك، ونحن حينئذ على شغل، فلوما استأذنت حتى يؤذن لك، قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ، قال: فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك، أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا، فقام أبو سعيد فقال: كنا نؤمر بهذا، فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ؛ ألهاني عنه الصفق بالأسواق» [٣] وزاد مالك في الموطأ: أن عمر قال لأبي موسى: «أما إني لم أتهمك، ولكني أردت ألاّ يتجرأ الناس على الحديث عن رسول الله ﷺ» [٤] ..

ج ـ تثبت عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها):

عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحج فالقه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، قال: فلقيته، فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ، قال عروة: فكان فيما

١) الكفاية، ص ٢٦ .
٢) تذكرة الحفاظ، (١/٢) .
٣) أخرجه البخاري رقم (٢٠٦٢ و٦٢٤٥ و ٧٣٥٣).
٤) الموطأ (٢/٩٦٤) .

كر: أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا، ولكن يقبض علماء، فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤساء جهال يفتونهم بغير علم، يضلون ويضلون»، قال عروة: فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته، الت: أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟! قال عروة: حتى إذا كان قابل: الت له: إن ابن عمرو قد قدم، فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره ك في العلم، قال: فلقيته فسألته، فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى.

قال عروة: فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه يئًا ولم ينقص شيئًا، وفي رواية للبخاري أنها قالت: والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو [1].

د ـ تثبت عبد الله بن عباس (رضي الله عنه):

عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدِّث ويقول: قال سول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر ليه، فقال: يا ابن عباس! ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أُحدثك عن رسول الله ﷺ لا تسمع! فقال ابن عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول لله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلمَّا ركب الناس الصعب والذلول، م نأخذ من الناس إلا ما نعرف» [2].

---

١) أخرجه البخاري، ح/ ٧٣٠٧، ومسلم، ٤/ ٢٠٥٩.

٢) أخرجه مسلم، ١/ ١٢ ـ ١٣.

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

فتاوى أهل العلم الأثبات هي عصارة علم المفتين وخلاصة فقههم، ومنارات يُسترشد بها، هي جواب عن مسائل ونوازل ومستجدات، وباب لتبليغ دين الله (تعالى).. ونظراً لأهمية (الفتاوى)، وتحقيقاً لرغبة القراء، فستقوم (البيان) ـ إن شاء الله (تعالى) ـ بنشر جملة من الفتاوى المهمة، حيث روعي في اختيارها تنوّع موضوعاتها، وعظم الحاجة إليها في هذا العصر، إضافة إلى تنوّع أصحابها زماناً ومكاناً.

تساءل بعض الأحبة من الشباب عن حقيقة ما هو شائع لدى بعض المنتسبين للدوحة النبوية من (آل البيت) من دعوى أنه لا يُعاقَب العصاة منهم تكريماً لانتمائهم لهذا النسب الشريف، وبينما نحن نُعد السؤال لعرضه على أحد علمائنا الأجلاء وجدنا السؤال نفسه قد طرح على الإمام الشوكاني (رحمه الله) في رسالته (إرشاد السائل إلى دليل المسائل)(*) ووجدنا جواباً مفيداً في بابه ننقل السؤال والجواب فيما يلي:

■ **السؤال: حاصله: ما قيل من أن العصاة من أهل بيت النبوة لا يُعاقَبون على ما يرتكبون من الذنوب بل هم من أهل الجنة على كل حال تكريماً وتشريفاً! هل ذلك صحيح أم لا؟.**

الجواب: أقول: لا شك ولا ريب أن أهل هذا البيت المطهَّر لهم من المزايا والخصائص والمناقب ما ليس لغيرهم، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصهم الله به من التشريف والتكريم والتبجيل والتعظيم، وأما القول: برفع العقوبات عن عصاتهم، وأنهم لا يُخاطَبون بما اقترفوه من المآثم، ولا يُطالَبون بما جنوه من العظائم، فهذه مقالة باطلة ليس

عليها أثارة من علم، ولم يصح في ذلك عن الله ولا عن رسوله ﷺ حرف واحد، وجميع ما أورده علماء السوء المتقربون إلى المتعلّقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف: فهو إما باطل موضوع أو خارج عن محل النزاع؛ بل القرآن أعدل شاهد وأصدق دليل على زجر قول كل مكابر جاحد فإنه قال (عز وجل) في نساء النبي ﷺ: ﴿**مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وليس ذلك إلا لما لهن من رفعة القدر وشرافة المحل بالقرب من رسول الله ﷺ، وذريتُه الأطهار هم أحق منهن بهذا المضمار فإنهم أقرب إلى رسول الله ﷺ وأشرف قدراً وأعلى محلاً وأكرم عنصراً وأفخم ذكراً، ولو كان الأمر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله (تعالى): ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، معنى ولا كبير فائدة، وإذا كان المصطفى ﷺ يقول لفاطمة البتول التي هي بضعة منه يغضبه ما يغضبها ويرضيه ما يرضيها: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا» فليت شعري مَنْ هذا من أولادها الذي خصه الله بما لم يخصها ورفعه إلى درجة قصّرت عنها؟!

فأبعد الله علماء السوء وقلل عددهم؛ فإن العاصي من أهل هذا البيت الشريف المطهر إذا لم يكن مستحقًا على معصيته مضاعفة العقوبة، فأقل الأحوال أن يكون كسائر الناس.

فيا من شرفه الله بهذا النسب الشريف! إياك أن تغتر بما ينمقه لك أهل التبديل والتحريف.

---

*) طبع الكتاب الذي يحتوي على هذا السؤال وغيره (إرشاد السائل إلى دليل المسائل» للعلامة الشوكاني بتحقيق الأستاذ « محمد صبحي الحلاق» ، نشر دار الهجرة بصنعاء.

فضيلة الشكر

العُملة النادرة في هذا العصر

بقلم:

(٢ من ٢)

د. محمد عز الدين توفيق

تطرق الكاتب في الحلقة السابقة إلى توضيح حقيقة الشكر، فبيّن أنه شعبة من شعب الإيمان، وصفة من صفات الله، وخلق من أخلاق الأنبياء والمؤمنين، ثم بيَّن قلة الشاكرين. وبعد أن ذكر كفر النعمة الذي يقابل الشكر وضح درجات الشكر ودوائره ... وفي هذه الحلقة يتابع بيان جوانب أخرى من الموضوع. - البيان -

شكر اللسان:

ولسان المرء يعرب عما في قلبه، فالكلام اللفظي يترجم ما في النفس ويظهره؛ فإذا امتلأ القلب شكراً لله (تعالى) لهج اللسان بذلك، وقد جاء الإسلام ليعلم الناس كيف يشكرون ربهم بألسنتهم كما يشكرونه بقلوبهم، جاء يعلمهم ماذا يقولون.

وهذه أمثلة لأذكار وأدعية تتضمن الحمد والثناء على الله (تعالى) وشكره على نعمه وآلائه:

أولاً: إذا أفاق من نومه يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[١].

ويقول: «الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد عليَّ روحي وأذن لي بذكره»[٢].

ثانياً: وإذا أوى إلى فراشه لينام يقول: « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا؛ فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[٣].

---

١) رواه البخاري، ح/٦٣١٤، (الفتح١١/١١٨)، ومسلم، ح/٢٠٨٣، ٢٧١١.

٢) أخرجه الترمذي ٥/٤٧٣ .

٣) رواه مسلم، ٤/٢٠٨٥، ح/ ٢٧١٥ ورواه أبو داود، والترمذي .

ثالثًا: ومن أذكار الصباح والمساء يقول: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر، من قاله حين يصبح فقد أدى شكر يومه، ومن قاله حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»[1].

رابعًا: وإذا أراد أن يستغفر فسيد الاستغفار أن يقول: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قاله حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قاله حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة»[2]، والاعتراف بالنعمة والاعتراف بالتقصير في شكرها، في قوله: أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي.

خامسًا: وإذا أراد أن يدعو أي دعاء افتتح بالحمد لله أولاً والثناء عليه بما هو أهله، ثم الصلاة على نبيه، ويذكر بعد ذلك حاجته.

سادساً: وإذا أراد أن يخطب في جمعة أو نكاح أو أي أمر ذي بال افتتح بالحمد لله كما كان رسول الله ﷺ يفعل، وتسمى خطبته الافتتاحية بخطبة الحاجة.

سابعًا: وإذا صلى فالحمد في دعاء الاستفتاح وفي سورة الفاتحة وفي الرفع من الركوع وفي أذكار ما بعد السلام.

فمن أذكار الاستفتاح: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً[3].

ومن أذكار الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه[4].

أو «ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد. أهل الثناء والمجد. أحق ما قال العبد. وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[5].

ومن الذكر عقب الصلوات المفروضة أن يسبح الله ثلاثًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويكبره ثلاثًا وثلاثين، ويقول تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد

---

١) رواه أبو داود ٥/٣١٤، ح/٥٠٧٣ بإسناد حسن وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ح/١٠٧٩.

٢) رواه البخاري، ح/٦٣٢٣ (الفتح ١١/١٣٤).

٣) رواه مسلم ١/٤٢٠، ح/٦٠١.

٤) رواه البخاري، ح/٧٩٩ (الفتح ٢/٣٣٢).

٥) رواه مسلم ١/٣٤٧، ح/٤٧٧.



وهو على كل شيء قدير، من قال ذلك غفر ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر[1].

ومن أدعية التهجد: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيّام السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ومحمد حق والساعة حق[2] ... إلى آخر الدعاء.

ثامناً: وإذا أكل أو شرب أو أفطر أو سافر أو سئل عن حاله أو عطس يقول: الحمد لله.

تاسعاً: وإذا أراد أن يحمد ربه في أي ساعة من ليل أو نهار حمده؛ لأنه من الأذكار المطلقة: «كل تحميدة صدقة»[3].

ولو مكث العبد يومه كله يلهج بالحمد لله (تعالى) ما وفّى شكر نعمة واحدة من النعم الإلهية عليه، فكيف وهي نعم كثيرة لا تحصى؟ وما أهدف الدعاء النبوي الذي رواه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

لا يستطيع أحد أن يحصي الثناء على ربه؛ لأنه لا يستطيع أن يحصي نعمه عليه، فليسأل العون من ربه، وليقل كما قال رسول الله ﷺ: «يا معاذُ! إني أحبك؛ فلا تَدع أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[4].

شكر الجوارح:

والقلب واللسان معدودان في الجوارح والمقصود ما سواهما من بقية أعضاء الإنسان وحواسه التي يكسب بها أعماله، والحقيقة: أنه ما من عمل يعمله ابن آدم إلا وهو فيه شاكر لنعم الله أو كافر لها، ويتصور شكر الأعمال باستعمال النعم فيما يرضي الله (تعالى) وهذا يحتاج إلى فقه في دين الله (تعالى)؛ لأن العمل الصالح الذي يرضاه الله (تعالى) يعرف من طريق الوحي قال (تعالى): ﴿حَتَّىٰ

١) رواه مسلم ١/٤١٨، ح/٥٩٧.

٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، ح/٧٦٩ واللفظ له.

٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، ح/٧٢٠. ٤) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، ح/١٠٠٧

إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ [الأحقاف: ١٥]، فسأل العمل الصالح الذي يرضاه الله عقب سؤاله التوفيق إلى شكر النعمة؛ وهذا دليل أن الشكر باللسان وحده لا يكفي.

وقد جاء في السنة النبوية أن كل آدمي يصبح معافى في بدنه؛ فهو مطالب بثلاثمئة وستين صدقة يتصدق بها في ذلك اليوم بعدد مفاصل جسمه؛ وتكون هذه الصدقات هي الشكر اليومي الذي يفك به رقبته من النار.

وعند النظر في روايات الحديث الوارد في ذلك نجد أنه ﷺ وسّع معنى الصدقات فلم يحصرها في الصدقة المالية؛ بل جعلها أنواعاً من الأعمال الصالحة فيها أذكار وعبادات، وفيها أعمال اجتماعية، وفيها أعمال مهنية، وفيها أعمال دعوية.. يجمعها وصف البر والخير أو العمل الصالح، فصارت هذه الأعمال الصالحة المتنوعة فداءً يفدي به العبد نفسه من النار كل يوم.

أخرج مسلم من حديث عائشة عن النبي ﷺ قال: «خُلق ابن آدم على ستين وثلاثمئة مفصل، فمن ذكر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، وعزل حجراً عن طريق المسلمين، أو عزل شوكة، أو عزل عظماً، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمئة السلامى أمسى يومه وقد زحزح نفسه عن النار»[1].

وقد تتبع ابن رجب الحنبلي (رحمه الله تعالى) روايات هذا الحديث وألفاظه في شرحه للحديث السادس والعشرين من الأربعين النووية واستخرج منها أنواعاً كثيرة من الأعمال سماها النبي ﷺ صدقات، كما تتبعها النووي (رحمه الله تعالى) في الباب الثالث عشر من رياض الصالحين وجعل عنوانه: باب في بيان كثرة طرق الخير.

والـلافت للنظر في هذه الأحاديث هو التصريح بأن تلك الصدقات (أو الأعمال) تؤدي عن صاحبها شكر يومه، وقد قسّم ابن رجب في شرحه للحديث السادس والعشرين المشار إليه آنفاً الشكر إلى: واجب ومستحب، فحمل ما ذكر من الفرائض واجتناب الكبائر على الشكر الواجب، وحمل ما سوى ذلك من أنواع البر على المستحب.

١) انظر جامع العلوم والحكم، ح/ ٢٦.

ولم يكن قصد النبي ﷺ حصر الصدقات في الأعمال التي ذكر رغم كثرتها بمجموع الروايات؛ وإنما قصد التمثيل، والقاعدة هي أن كل عمل صالح فهو صدقة تضاف إلى الصدقات الأخرى التي يؤدي بها العبد شكر يومه ويجب أن يجاوز في مجموعها ثلاثمئة وستين، وهو شكر يتجدد كل يوم فلا يغني شكر يوم عن شكر يوم غيره؛ والدليل أن الأمثلة ليست للحصر هو حديث جابر (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «كل معروف صدقة» [1].

لا تعارض بين شكر الله وشكر الناس:

لأن الله (عز وجل) هو الذي أذن بشكرهم إذا استحقوا الشكر قال (تعالى): ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

ولا يخفى الفرق بين شكر العبد وشكر الله، فلا أحد في قلب المسلم يعدل ربَّه وخالقه لكنه يعرف لكل ذي فضل فضله، ويكافئ كل صانع معروف بما يستحقه؛ فإن لم يستطع مكافأته شكره ودعا له وقال: جزاك الله خيراً.

هناك من يشكر المخلوق ولا يشكر الخالق، وهناك من يشكر الخالق ولا يشكر المخلوق؛ وهدي الإسلام أن يشكر الخالق والمخلوق، وفي الحديث [2]: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، أن الله (تعالى) لا يقبل شكر عبده له إذا لم يشكر من أجرى النعمة على يديه، أو يكون المعنى: أن من كان من طبعه كفر نعمة الناس كان من عادته كفر نعمة الله.



لا تنظر إلى ما ليس عندك وتنسى ما عندك!

تعرف النعم بدوامها، وتعرف بزوالها، وتعرف بالمقارنة، وتعرف بالتفكر. ومن الآفات التي تضعف شكر العبد كثرة نظره إلى ما عند غيره من النعم فينسى ما عنده أو يحتقره، والمنهج السليم أن ينظر ما عنده ويقارنه بما ليس عند غيره؛ فيحمد الله على ما أولاه وآتاه، ويسأل ما ليس عنده من الله وحده، قال الله (عز وجل): ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال (تعالى): ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا

---

١) رواه البخاري ومسلم، ح/٦٠٢١، (الفتح ١٠/٤٦٢).

٢) رواه أبو داود وأحمد والبيهقي وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ح/٤١٧.

اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله».

وحتى لا يحيك في صدر المؤمن شيء إذا رأى من يفضله في النعم فإنه ينبغي أن يذكر بأن النعم ابتلاء يتبعه حساب فعليه أن يُقبل على ما آتاه الله منها فيؤدي شكره ويسأل الله من فضله والإعانة على الشكر، قال (تعالى): ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقال (تعالى): ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

الشكر ووسطية الإسلام:

قد يشتط بعض الناس في فهم شكر ما أسبغ الله عليهم من النعم إلى الدرجة التي يشددون فيها على أنفسهم ويحملونها على التقشف الشديد والحرمان من الطيبات بدعوى العجز عن الشكر والخوف من الحساب، وهذا مخالف لهدي الإسلام؛ فالشكر لا يتعارض مع الانتفاع بالنعم إذا كان في حدود الاعتدال؛ قال (تعالى): ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، وقال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، ومن اتباعه التبذير والإسراف، وقال (سبحانه): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فليس الشكر بتحريم الحلال بل بإحلال الحلال وتحريم الحرام: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

ولو كان شرطًا في الانتفاع بالنعمة أداء ثمنها من الشكر لما وفَّت أعمال العبد كلها بنعمة واحدة؛ فالاعتراف بالنعمة والاجتهاد في شكرها هو المطلوب، والله (سبحانه) هو الذي يحب إذا أنعم على عبد أن يرى أثر نعمته عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

دراسات دعوية

النقد الذاتي
خطوة على الطريق



بقلم: يوسف عمر قوش

النقد الذاتي هو إحدى العمليات الأكثر ضرورة وإلحاحًا في حياة الفرد والجماعة ويقصد به: المراجعة الدائمة، والتقييم المستمر الذي يجب أن يقوم به الفرد أو الجماعة دون توقف ضمن مجموعة من الضوابط السليمة التي تكفل لهذه العملية أن تنمو وتتطور وتتواصل بشكل كامل وموضوعية تامة.

ولذا فإننا لا نعجب حين نجد القرآن يُقسم بتلك النفس التي تعيش دومًا عملية اللوم والمعايبة، والمراجعة لذاتها، أو بالأحرى لصاحبها؛ تحاسبه، وتدفعه إلى تصحيح أخطائه، والندم عليها، والعزم على تلافيها في المستقبل أملاً في النجاة يوم الحساب الأعظم.. يوم القيامة: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢].

إن المعطيات والمقدمات الصحيحة توصل إلى النتائج الصحيحة، ذلك قانون من قوانين هذا الكون، وسنّة من سنن الحياة، وإن على من يُخفق أو يصل إلى نتائج خاطئة تخالف الأهداف التي وضعها نصب عينيه، عليه أن يبحث جيداً ـ وبعمق وصدق ـ في أسباب إخفاقه وهزيمته، لكن مثل هذا كان عليه ألا ينتظر الإخفاق، بل كان من الواجب عليه أن يتابع باستمرار، ويتفحص أولاً بأوّل مدى صلاحية المواد المتفاعلة (المدخلات) وشروط التفاعل (الوسائل والإمكانيات وظروف الواقع)، وذلك كي لا يتوقف هذا التفاعل فجأة أو ينحرف

عن مساره فيؤدي ذلك إلى كارثة قد لا يدركها إلا بعد فوات الأوان.

إننا أمام سنة من سنن الله التي لا تتغير ولا تنحرف، بل تسير بشكل ثابت وفي مسارٍ ثابت، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣]، وإن هذه السنّة، بل وجميع السنن الكونية لم تخلق للمسلم فحسب لكنها خلقت للإنسان الذي يعيش في هذا الكون، فالأقدر على فهمها ووعيها واستيعابها هو ـ دون شك ـ الأقدر على تسخيرها لنفسه والاستفادة منها لصالحه؛ فسنن الله ليست حكراً على فرد دون غيره أو جماعة دون أخرى، وفي حين أنها تصطدم بمن يسير في عكس اتجاهها أو يناقضها فإنها أداة طيّعة في يد من يعيها ويستوعبها ويسير وفقها.

ضرورة النقد الذاتي :

وعملية النقد الذاتي مهمة وضرورية في التغيير والبناء سواء على صعيد الفرد أو الجماعة؛ لأن عملية التغيير التي تتم دائماً وعلى مراحل تتطلب بعد كل مرحلة وقفة مراجعة وتأمّل وتقييم يتمّ من خلالها اكتشاف الخلل وتشخيصه، ووضع العلاج المناسب له بغية تعديل الانحراف وتقويم الاعوجاج.

إن السير وفق السنن الكونية يقتضي إرساء منهج للنقد الذاتي يهدف إلى منع حالة الفوضى والترهّل التي قد تصيب الفرد أو الجماعة في حال غياب هذه العملية الحيوية.

إنني على قناعة تامة أننا نعيش ـ ومنذ وقت ليس بالقليل ـ أزمة النقد الذاتي، وأزمة استخلاص العبر. إننا نعيش إشكالية التناقض مع نظرياتنا وقناعاتنا ومبادئنا وأفكارنا رغم أننا نمتلك ـ أو ندّعي امتلاك ـ المنهج الذي يدعونا دائماً إلى التفكّر والتأمل، والقراءة والنظر، واكتساب الخبرة واستخلاص العبر، والاستفادة من قصص التاريخ وأحداثه وأمثاله!

إن الكثير من التساؤلات التي تبدو معقدة وصعبة تجد جواباً لها إذا وعينا حركة التاريخ، ونواميس الكون، وسنن الحضارات.

وعملية النقد الذاتي ـ لكي تأخذ شكلها المتكامل ـ لا بد أن تشمل باستمرار مراجعة النظرية (الاستراتيجية) التي ننطلق ـ أو انطلقنا ـ منها،



وكذلك مراجعة أسلوب العمل (التكتيك) أو وسائل العمل وأدواته، وذلك رغبة في الوصول إلى الصواب وتلافي الأخطاء.

خصائص النقد الذاتي:

لعملية النقد الذاتي سمات مهمة يجب أن تتوفر فيها كي تحقق هذه العملية أهدافها وتخرج في صورتها الرائعة، هذه الصفات هي:

١ ـ الشمولية. ٢ ـ الاستمرارية. ٣ ـ الموضوعية.

١ ـ الشمولية: وهذا يعني: أن النقد الذاتي يجب أن يكون شاملاً بحيث يتعرض لكل عناصر الصحوة وقياداتها دون استثناء، ولتاريخها بأكمله، وواقعها وحاضرها، ومنهجها وأهدافها، وأساليبها ووسائلها، واستراتيجياتها وتكتيكاتها، ورؤيتها المستقبلية، كل ذلك وغيره يجب أن يخضع لعملية النقد التي يجب أن لا يُعفى منها أحد أو شيء؛ فيصبح فوق النقد أو خارج الدائرة.

٢ ـ الأستمرارية: إن النقد الذاتي عملية دائمة ومستمرة ومتواصلة ويجب أن تكون كذلك، ويجب الحفاظ على ذلك بأيّ ثمن، أي يجب عدم إيقافها في أيّ زمان ومكان ولأي سبب كان، سواء على صعيد الفرد أو الجماعة؛ وذلك لضرورتها وأهميتها وحيويتها فهي كالماء والهواء والغذاء للإنسان والجماعة، وإذا تمّ الاستغناء عنها أو تعطيلها فإن الجسد يصاب بالمرض والموت والتعفن والتحلل.

إن عملية النقد الذاتي يجب أن لا تكون خاضعة في توقيتها للأهواء والأمزجة بحيث يتم الاستنفار لها في المناسبات المختلفة وللمناسبات المختلفة، بل يجب أن تلازمنا حتى نشعر بأنها جزء منّا لا نستطيع التخلي عنه في أي وقت من الأوقات.

٣ ـ الموضوعية: وهي تعني التزام جانب العدل في الحكم، والنزاهة في الموقف، وعدم التحيّز أو التعصب بدون حق.

والموضوعية أهم صفات النقد الذاتي؛ لأن النقد إذا خرج على الموضوعية كان نقداً ظالمًا وسلبيًا وغير بنّاء؛ ومن هنا فإننا أمام نوعين من النقد:

١ ـ نقد موضوعي غير متحيز ولا متعصب يهدف إلى البناء، والتغيير والتقدم نحو الأفضل.

٢ ـ نقد غير موضوعي وهو متحيز ومتعصب لا يعمل على البناء، بل على الهدم والتراجع إلى الأسوأ؛ لأن الإصرار على الخطأ خطيئة.

صفات الناقد :

وحتى يكتمل حديثنا عن النقد الذاتي لا بد من التطرق إلى الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الناقد، ومن هذه الصفات ما يلي:

١ ــ الوعي: والمقصود بالوعي هنا أن على الناقد أن يكون عالمًا بطبيعة الظاهرة التي يريد نقدها، ويفضّل أن يكون خبيراً بها ﴿ **فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً** ﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿ **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر: ١٤].

ولا يمكن أن يكون واعيًا وخبيراً بها إذا لم يدرس تاريخ الظاهرة فيربط ماضيها بحاضرها مما يمكّنه من تصوّر الظاهرة في شكلها الكلّي المتكامل والمتداخل والمتشابك، ويمكّنه بالتالي من تشخيص الخلل الذي يريد انتقاده ويحاول علاجه.

إن رؤية الأحداث كلاًّ على حدة، والنظر إلى الأمور منفصلة عن بعضها، والتفكير في الأشياء منفردة، أو باختصار: ما يطلق عليه المفكر الجزائري «مالك بن نبي» مصطلح: (الذريّة في التفكير) يقود بلا شك إلى ضياع الوقت، ويؤدي إلى عملية نقد غير مجدية يدور فيها صاحبها حول نفسه، ويراوح مكانه دون أن ينطلق بنفسه أو بجماعته خطوة واحدة.

٢ ــ الإخلاص: إن الدافع لذكر الإخلاص هنا هو أن الوعي أو العلم أو الخبرة قد لا يجدي نفعًا إذا صاحبته الأهواء والمطامع والشهوات؛ فالأهواء والمصالح الخاصة تدفع بالأفراد أحيانًا إلى نقد غير نزيه وغير عادل، أما إذا كان الإخلاص هو الدافع ـ وأعني بالإخلاص: الحرص على المصلحة العامة والتفاني في سبيلها ـ فإن النقد هنا ـ وبدون شك ـ لن يهدف إلى إرضاء جهة معينة أو مجاملتها، كما أنه لن ينبع من كراهية جهة أخرى أو الحقد عليها.

وكما أن النقد ـ إذا لم يرافقه الوعي والعلم ـ قد يتحول إلى ضربٍ من اللغو



والهراء والمراء، فإنه ـ إذا لم يرافقه الإخلاص والتجرد عن الهوى ـ قد يتحول إلى شيء من الطعن والتجريح والتشويه والتشهير.

٣ ـ الالتزام: فعلى الناقد أن لا يمارس عملاً ينقده لفظًا، وإلا ذهب نقده أدراج الرياح، لذا يجب عليه أن يعمل بما يقول فقد ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٣]، فمن انتقد عملاً مًا، وجب عليه اعتزاله.

مجالات النقد الذاتي:

تتم عملية النقد الذاتي على صعيدين: صعيد الفرد وصعيد المجموعة، فالفرد قد يوجّه النقد لنفسه على أخطاء ارتكبها، والمجموعة أيضًا قد تتناول في داخلها نقدًا لعناصر ثلاثة هي:

١ ـ المنهج. ٢ ـ القيادة. ٣ ـ الأفراد.

فأيّ مرضٍ أو خلل أو انحراف ينشأ في مجموعة ما، فإنما يكون ناتجًا عن خللٍ في أحد العناصر الثلاثة المذكورة: (المنهج، القيادة، الأفراد).

والنقد يجب أن يوجه أولاً إلى منهج المجموعة؛ لأنه هو الذي يصنع القيادات والأفراد، فإذا كان المنهج سليمًا وخاليًا من النقائص والثغرات والتناقضات، فإن النقد يجب أن يتجه إلى القيادة نفسها من حيث كفاءتها وقدراتها والتزامها وإخلاصها، فإذا كانت القيادة خالية من العيوب، بعيدة عن الانحراف فإن النقد سيوجّه إلى أفراد الجماعة على اعتبار أن الخلل كامنٌ فيهم أو كائنٌ بينهم.

من هنا أقول: إن النقد الذاتي يجب أن يطال منهج الصحوة الإسلامية ودعاتها وأبناءها بحيث لا يبقى أحدٌ فوق النقد، أما أن يبقى المنهج والقيادة خارج دائرة النقد خوفًا من خدش قدسيتهما، فإن ذلك يحوّل هذه العملية الرائعة البنّاءة إلى عملية ترقيعية تؤدي مع مرور الوقت إلى تفاقم المرض وانفجار الموقف.

النقد الذاتي والجماعات الإسلامية:

إن النقد الذاتي لا يعفى منه الإنسان المسلم كما لا يعفى منه كُثُرٌ

من المنتسبين للدعوة، فالنقد الذاتي ليس منحة تمنحها أي جماعة لأبنائها وتمنّ عليهم بها، إنه حقٌ منحنا الله إياه، أو بالأحرى هو واجب كلّفنا الله (سبحانه وتعالى) به، وأمرنا أن نقوم به، وهو عبادة نتقرب بها إلى الله، وإذا فرّطنا في هذه العبادة فسوف نُحاسَب من قِبَلِ الله (تعالى) عليها.

يجب أن ننقد منهجنا وقيادتنا وأنفسنا، وربما يسأل سائل هنا: كيف ينقد أبناء الحركة الإسلامية منهجَها، ومنهجُها هو الإسلام؟! وكيف ينتقدون قادتهم، وهم يمثلون الإسلام؟!!.

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها أقول: إنه جائز للمنضوين في سلك الدعوة، بل واجب عليهم أن يوجهوا نقدهم لمنهجهم ولقادتهم ولا يخافوا في ذلك لومة لائم، وعليهم أن يدركوا أن منهج الله شيء ومنهج غيره شيء آخر؛ فمنهج الله هو الإسلام كما أنزل على محمد ﷺ، ومنهج الجماعة أياً كانت هو المنهج الذي وضعه مؤسسوها وقادتها؛ إذ أخذوا من الإسلام ما أخذوا ووضعوا من اجتهاداتهم ما وضعوا، واجتهاد البشر قد يخطئ وقد يصيب.

لذا فإنني أؤكد هنا أن لا قدسية لمنهج غير منهج الله، ولا عصمة لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ .

ـ وأخيراً: فإن النقد الذاتي عملية مهمة وضرورية ولازمة لكل زمان، وهي عملية لها خصائصها التي يجب ألا تفارقها، كما أن للناقد أيضاً صفاته التي يجب أن تلازمه، وللنقد الذاتي أيضاً مجالاته التي يتمّ فيها.

وأعود مؤكداً: أن على كل فرد أن يمارس النقد الذاتي داخل نفسه، وداخل أسرته وبيته، وداخل جماعته ومجتمعه، ويعمل على التشجيع عليه باستمرار، وإن من يدّعي أن النقد يثير الفتن ويمزّق الصفوف لا بد له أن يعلم جيداً أن الصمت والسكوت أشد خطراً وهو الذي يمزّق ويهدم، أما النقد الذاتي الموضوعي والمنصف فيوحّد ويبني.

والله، نسأل للجميع التوفيق والسداد.

بأقلامهن
بأقلامهن
بأقلامهن

قلتُ لصاحبتي.. وقالتْ لي!!

حوار .. دعوي

بقلم : نجوى الدمياطي

.. هي إحدى ذوات القلوب المؤمنة والنفوس المجاهدة..

وقد اعتدنا أن نلتقي في جلسة نتواصى فيها بالحق وبالصبر، ونحاول فيها الارتقاء بأنفسنا فكريًا وسلوكيًا عبر التعلم والتحاور في مسائل شرعية.

وفي يوم .. دخلت عليّ غاضبة وهي تردد: «لا فائدة.. لا فائدة».

.. ولم تنتظر سؤالي عن سبب ذلك، حتى بادرتني قائلة: لقد اكتشفت أنني كنت غبية، بل بلهاء ساذجة!!.

.. حاولت تهدئتها، ثم سألتها: ماذا حدث؟.. فلم ترد جوابًا.

قلت : اهدئي وقصّي عليّ الأمر فربما أستطيع مساعدتك!

قالت: أتعرفين «فلانة» كم ساعدتها وأحسنت إليها؟.

أتعرفين «فلانة» كم أهديت لها وتوددت إليها؟.

أتعرفين «فلانة» كم بذلت مالي وجهدي من أجلها؟.

.. لقد اجتمعن عليّ، واختلقن حولي الشائعات والافتراءات التي لا حصر لها..

إني لا أجد أي تفسير لموقفهن ضدي.. ولكنني أعرف التفسير الصحيح لمواقفي السابقة معهن.. لقد كنت غبية.. بلهاء.. ساذجة.

قلت : اهدئي: صاحبتي وأختي.. اهدئي فإن هذه التجربة الصغيرة التي مررت بها هي رصيد كبير لإدراك سنة من سنن الله في خلقه، تلك السنن التي يمثل النظر للأفراد والمجتمعات والأحداث من خلالها **الوقاية** من أن تجمح بنا العوامل النفسية إلى التشاؤم المفرط، أو التفاؤل الذي تشم منه رائحة السذاجة..

والعلاج لأغلب مشكلاتنا الاجتماعية!!

قالت : هل هذا هو وقت فلسفة؟.

قلت : النظر إلى سنن الله في خلقه ليس فلسفة بالمعنى الذي تقصدينه..

.. بل النظر إلى سنن الله في حياة البشر هو نظر في قوانين ثابتة مطردة لا تحابي أحداً مهما زعم لنفسه من مسوغات المحاباة، ولا تتغير مهما تعجل الأذكياء أو توهم الأصفياء ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣].

قالت : وما علاقة ذلك بما نتحدث عنه؟.

قلت : لقد أمرنا رسول الله ﷺ بالنظر السنني في مواقف البشر فقال: «تجدون الناس كإبلٍ مئة، لا يجد الرجل فيها راحلة»(١).

فكما أننا قد لا نجد في مئة من الإبل الواحدة التي تصلح لعبور المفازات وسير المسافات؛ فكذلك البشر!!.. قلَّ أن تجد فيهم متكامل الصفات نسبياً... فإذا رأينا تساقط العناصر الإسلامية لم نرَ في ذلك أمراً عجباً أو مفاجئاً.. بل هو أمر طبيعيّ!!.

قالت : طبيعي!.. تريدين أن نرضى بواقعنا الأليم، ونقبل واقع هذه الأوساط الدنسة الحقيرة؟!.

قلت : لم أقصد ذلك أبداً.. بل يجب علينا أن نحاول الارتقاء بأنفسنا إلى المستويات السامقة، والأخذ بيد من يسقط بقدر ما نستطيع..



(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ح/٢٥٤٧.



إنما قصدت ألا يؤثر تساقط الأخريات فينا، فيكون مصيرنا نحن أيضًا هو السقوط !!.

ثم.. أريد أن أحدثك حول كلمة: «الأوساط الدنسة» التي ذكرتها؟!.

قالت: ماذا تقصدين؟ إنها أوساط دنسة حقيرة بالفعل!!.

قلت: لماذا لا نرى الأشياء حولنا إلا «دنسة حقيرة» أو «طاهرة مقدسة»؟!.

لماذا لا نرى في الآخرين الخير كما نرى فيهم الشرور ؟!.

لماذا لا تكون نظرتنا إليهم بأن «نعتقد فيهم الخير، ونعرّفهم بأحسن الأوصاف التي اتصفوا بها، ولو بمجرد الإسلام» كما أخبر الإمام الشاطبي .

لماذا لا نتقبل منهم أحسن ما عملوا، ونتجاوز عن أخطائهم معنا؟.

لماذا لا نفتش عن أعمالهم الطيبة، وندفن السيئات منهم ونعرض عنها؟.

إن كل بني آدم خطاء.. فلماذا يسهل علينا رؤية الآخرين خطائين، ولا تحدثنا أنفسنا ولو للحظة أننا قد نكون المخطئين؟!.

قالت: وما الخطأ الذي وقعت فيه وأنا أعامل من ذكرتهن لك؟ .. اللهم إلا إن كان إحساني إليهن هو الخطأ.

قلت: الإحسان لا يكون خطأً أبدًا.. ولكن الإحسان ليس هدايا وصدقات وبذل مال وإطعام طعام فقط، بل الإحسان عمل أخلاقي شامل يتناول كل ما هو معاملة طيبة، وأقوال حسنة.. وقد أشار القرآن إلى هذا المفهوم الواسع للإحسان فقال (تعالى): ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٣].

قالت: لا أخفيك سرًا.. إني أحس اليأس في إصلاح من حولي!!.

قلت: لا يا أختاه.. انبذي عنك اليأس، واستمسكي بالثبات والصبر، فإنه «يجب علينا أن نثبت على الحق، وليس علينا أن نأخذ بمجامع الخلق إليه، إذ ليس ذلك إلينا، بل الله وحده هو الهادي والمضل، وقال ربنا (سبحانه): ﴿**إِنَّمَا أَنتَ**

نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].. فالتزمي -أختاه- هذه الوصية ولا تطلبي الناس بما ليس لك، واطلبي نفسك بما قلت من الحق، والله يعينني وإياك على القيام بحقه».. هذه هي وصية الإمام الشاطبي (رحمه الله)[١].

قالت: وكيف السبيل إلى ذلك؟.

قلت: بأن نتخلى عن المصادمات الحادة مع الآخرين، ونسلك معهم طريقًا يتسم باللين والتدرج في معالجة الأمور؛ بمعنى أن نتمسك بالحق كله، مع المرونة في الدعوة لهذا الحق كما أخبر الإمام الشاطبي (رحمه الله): «فرأيت الهلاك في اتباع السنة هو النجاة، وأن الناس لن يغنوا عنّي من الله شيئًا فأخذت في ذلك على حكم التدريج في الأمور»[٢].

قالت: إن الإنانية وحب الذات قد ملأت قلوب الناس..

قلت: نعم.. إن أكثر الشرور إنما تأتي من إيثار الذات (من الأنانية) والتحاسد والكراهية والبغضاء والتدابر.. وعلاجُ هذه الأمراض النفسية البغيضة: اتباعُ الشريعة فيما جاءت به من محبة الناس ومواساتهم والإحسان إليهم..

ولقد علمنا القرآن: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤].

.. قد يكون هذا أمرًا صعبًا، ولكنه ليس مستحيلاً.. فقط يحتاج إلى الصبر، ولذلك كان تعقيب القرآن على الآية: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٥].

فهل يمكن أن نرتقي بأنفسنا إلى هذا المستوى السامق؟.

هل يمكن أن نُعلِّم أنفسنا الدفع بالتي هي أحسن؟.



١) انظر: الموافقات، جـ٢، ص ٢٠٣.

٢) الاعتصام، جـ ١، ص ٢٧.

هل يمكن أن نجتث جذور الكراهية والحسد والغل .. تلك الجذور الخبيثة التي تجعل حياتنا وحياة الآخرين جحيماً؟!.

﴿ ... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

قالت: إن مشكلتنا معقدة .. إني أراها أحيانا مستحيلة الحل!!.

قلت: إنها معقدة بالفعل .. ولكنها ليست مستحيلة على العلاج، بل إنني حين أسمع شكواك وشكوى أخريات من سوء أوضاعنا وعدم رضاهن عن واقعنا .. حين أسمع ذلك كله لا أخاف ولا أحزن!! .. إن هذا «القلق» من واقعنا هو «أرضية الحل» .. هو المناخ الذي يساعد على ظهور الحلول لما نحن فيه وخاصة إذا آمنا بإمكانية صنع البديل، إذا آمنا بإمكانية التغيير ..

إن مدخلنا إلى هذا التغيير، هو تغيير ما بأنفسنا .. فحين نغير ما بأنفسنا فإن الجو سيتهيأ للتغيير وفق سنة الله التي لا تتغير ولا تتخلف ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

ومدار هذا التغيير في التعامل مع الآخرين قاعدة عظيمة ذكرها الإمام ابن القيم بقوله: «كن مع الحق بلا خَلْق، ومع الخلق بلا نفس» [١].

فتأملي أختاه هاتين الكلمتين، فإنهما مع اختصارهما قد جمعتا قواعد السلوك، وكل خلق جميل ..

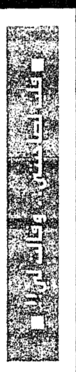
إن فساد الأعمال إنما ينشأ من توسيط الخلق بينك وبين الله (تعالى) وفساد الأخلاق وتوسيط نفسك بينك وبين خلقه ..

فمتى عزلت الخَلْق حال كونك مع الله .. وعزلت نفسك حال كونك مع الخلق .. فقد فزت في الدنيا والآخرة ..

قالت: ألا ترين أن فكرة أن نعيش مع الناس بلا نفس فكرة صعبة؟.

قلت: نعم .. قد تكون فكرة صعبة، ولكنها هي طريق تزكية النفس

١) مدارج السالكين، جـ ٢، ص ٣٣٩.



وطريق تغيير الآخر..

إنها طريقة أهل السنة والجماعة الذين ينصرون الحق ويرحمون الخلق..

إنها طريقة من يقيمون علاقاتهم مع كل الأمة وفي قلوبهم الرضا عن أفرادها باعتبارهم إخوة.. وكيف لا يرضونهم إخوة لهم، وقد رضيهم الله عبيداً له؟!.

أختي الحبيبة..إن مجتمعنا ليس «فلانة» و «فلانة» ..

ليس أنا وأنت .. إنه أكبر منذ ذلك بكثير .. وإذا كان يمر بمرحلة من مراحله مليئة بالمشكلات، فإن طريقنا إلى حل مشكلاته هو أن نعرف جوانب النقص في أنفسنا، فلا ننكرها ولا نخفيها، وإنما نواجهها بصراحة ليكون ذلك بداية الشفاء من أمراض الأمة ..

قالت: سبحان الله .. كيف غاب ذلك عني ؟..

إن تبرئة الذات واتهام الآخرين ليس طريق القرآن وليس طريق السنة.. ففي القرآن ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وفي السنة من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي هزلي وجِدِّي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي»..

قلت: نعم .. أختي الحبيبة.. إن نقصنا يدفعنا إلى ذم الآخرين بدل أن نبحث في ذواتنا..

إن طريق الحل لواقعنا المريض، أن نذبح غرورنا .. وننحر التعالي في نفوسنا.. أن نتخلص من الكبر الذي لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه..

فهل يمكن أن نواجه الحقيقة المرة؟.

وهل نتعلم كيف نحول المرارة إلى حلاوة ؟.

.. لا بد من محاولة للتغلب على نقائصنا.. ذلك أن هذه المحاولة هي طريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].



في الصراع الفكري

ملاحظات على معركة حسن حنفي وجبهة علماء الأزهر

بقلم : جمال سلطان

على طريقة المسلسلات التلفزيونية السمجة والمملة، ظهرت حلقة جديدة من تمثيلية المفكرين الأحرار المضطهدين في مصر، من قِبَلِ الإسلاميين المتطرفين، وكانت الحلقة الجديدة، هي تلك المتعلقة بحادثة الدكتور «حسن حنفي»، أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة. وحاصل (السيناريو): أن الدكتور «يحيى إسماعيل»، الأستاذ بجامعة الأزهر، والأمين العام لجبهة علماء الأزهر نشر مقالاً سماه (بيانًا) يهاجم فيه أفكار الدكتور «حسن حنفي»، ويصفها بأنها أفكار تدميرية، ولكن المقالة التي سلمها للصحيفة التي قامت بنشرها، كانت مكتوبة على أوراق خاصة بجبهة علماء الأزهر، وقد ختمها الرجل بوصفه الأمين العام لجبهة علماء الأزهر، وهنا قامت الدنيا ولم تقعد بعد: هجومًا على الأزهر وجبهة علماء الأزهر، وعلى الإسلاميين سلفًا وخلفًا، وتحدثت هذه الحملات عن دعوى «تكفير حسن حنفي»، وأن (جبهة علماء الأزهر) هي مجرد واجهة لتنظيمات إسلامية غير مشروعة، ونحو ذلك من طلقات طائشة كثيرة، يصعب إحصاؤها، مما نشر في الصحافة المصرية والعربية خارج (مصر)، ولم يشفع للدكتور «يحيى إسماعيل» ما أعلنه مرارًا من أنه لا يكفر «حسن حنفي» وإنما هو يفضح ما يراه انحرافًا فكريًا في كتبه ومقالاته، كما لم ينفع البيان الذي أصدره رئيس جبهة علماء الأزهر الشيخ «محمد عبد المنعم البري»، الذي أعلن فيه أن ما سمي ببيان من جبهة علماء



الأزهر ضد «حسن حنفي»، ما هو إلا مقال للدكتور «يحيى إسماعيل» يعبر عن اجتهاده ورؤيته ولا يعبر بالضرورة عن جبهة علماء الأزهر؛ وذلك أن هناك الآن في (مصر) ـ وفي بعض العواصم العربية ـ ميليشيات ثقافية وإعلامية علمانية مدربة تدريباً عالياً على صناعة الفتنة، وافتعال المعارك الثقافية، واصطناع وسائل التشويش والتشويه للفكر الإسلامي ودعائمه ورموزه السياسية والثقافية والدينية، وما إن تصدر طلقة الإعلان عن بدء الموقعة، حتى تجد هذه الميليشيات تتحرك بصخب واسع، وتنسيق بديع، مما يحدث دوامة ثقافية وإعلامية تضيع فيها حقائق المواقف، وتضل فيها العقول والأفهام، خاصة لمن لا يدري خلفيات الأمور وآليات عمل هذه الميليشيات، وهذا ما حدث مع قضية «حسن حنفي»، وما حدث من قبله مع «نصر أبو زيد»، وما سوف يقع غداً في تمثيلية جديدة آتية لا محالة.

ولكن واقعة الدكتور «حسن حنفي» تكشف لنا عن غفلة كبيرة في الساحة الإسلامية في مقابل الوعي الكبير للعلمانيين بطبيعة المعركة التاريخية، والفاصلة اليوم بين الإسلام والمناهج الوافدة؛ وذلك أن هناك قطاعاً من الدعاة لا ينتبه إلى حساسيات الصراع الفكري ومستوياته وموازناته، وكذلك أولويات المواجهة، وبالتالي؛ يحدث كثيراً أن يخسر الدعاة معارك مهمة كان بمقدورهم أن يكسبوها بيسر بالغ، لو فهموا خلفيات المواقف الفكرية، ولم يتوقفوا عند السطح الظاهر، ولو أدركوا تناقضات الأفكار والنفوس في المعسكر العلماني، وفي مشكلة «حسن حنفي» تجلت هذه المسألة بشكل واضح؛ والحقيقة أن إثارة معركة مع «حسن حنفي» في هذا الوقت، لم يكن له ما يسوّغه أبداً، ومن أي وجه من الوجوه؛ فالأخطاء العقدية والفكرية عند الرجل، قديمة، وليست جديدة، والكتب المشار إليها صدرت قبل سنوات، ومرت دون أن يشعر بها أحد، كذلك فإن أسلوب «حسن حنفي» المسهب والمطنب في التأليف يجعل القارئ ـ غير المتخصص ـ زاهداً في قراءته، ولذلك لم يشعر أحد بأي خطر فكري لـ «حسن حنفي»

مقال

يستحق هذه الضجة الكبرى، إلا بعد البيان الذي نشره الدكتور «يحيى إسماعيل»، وأنا شخصيًا كتبت منذ سنوات نقدًا لبعض آراء «حسن حنفي»، ونشرت ذلك النقد في بعض كتبي، ومرّ النقد كما مرّ كلامه هو نفسه، دون أن يثير الكثير من الانتباه، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما فعلت ذلك، فلماذا إذن ننشط الآن لإحياء وترويج الفكر المنحرف المهمل والمنسي ونجذب الانتباه إليه بدعوى الرد عليه؟! كذلك فإن الدكتور «حسن حنفي» يمثل هذه الأيام شرخًا نفسيًا عميقًا في معسكر العلمانية؛ وذلك أن حرصه على أن يقدم نفسه بوصفه مفكرًا إسلاميًا متحررًا ومستنيرًا ونصيرًا للمستضعفين، جعله يهاجم بقوة وجرأة الأقلام والرموز العلمانية المتحالفة مع الفساد، التي لا تتوقف عن التخويف من الإسلاميين، وإغراء السلطة بهم، ويصف هذه الرموز العلمانية ـ من اليمين واليسار ـ بالانتهازية والظلامية، وأنها مجرد واجهات للقمع الثقافي والسياسي الذي تتعرض له الصحوة الإسلامية، في الوقت نفسه الذي يتعاطف فيه بوضوح مع الحركات الإسلامية سياسيًا ونفسيًا وإن كان يختلف معها ـ بطبيعة الحال ـ فكريًا، وقد شهدت بنفسي مواجهة مثيرة بين «حسن حنفي» وبعض أقطاب العلمانية في (مصر)، في إحدى ندوات معرض القاهرة الدولي للكتاب، الذي انعقد في شهر يناير الماضي (كانون الثاني ١٩٩٧م)، وقذف الرجل في وجوههم اتهامات دامغة وخطيرة، ودافع عن الإسلاميين ووجودهم وحقهم المشروع في الوجود الثقافي والسياسي، حتى إنني لما جاء دوري للكلام أثنيت على الرجل وحييت شجاعته لدرجة أن الشاعر المصري «أحمد عبد المعطي حجازي» وهو من رموز العلمانية قاطعني بتشنج واتهمني بمحاباة «حسن حنفي» لأنه يحابي الإسلاميين!!

ولقد حرصت على مقابلة «حسن حنفي» وتحاورت معه، واستمعت إليه أكثر مما تحدثت، حيث وجدته شخصية قلقة، ومترددة، ومتعاطفة إلى أبعد مدى مع الإسلاميين، وكنت أدرك ـ من خلال دراستي لبعض كتبه ـ أن

قناعات الرجل الفكرية والاعتقادية في قضايا الدين ـ بوجه عام ـ مادية، والإيمان بالغيب عنده مسألة فيها نظر!، وهو متأثر كثيراً بالفيلسوف اليهودي الشهير «باروخ اسبينوزا»، وبتجربة ما يسمى (لاهوت التحرر) في نضال شعوب أمريكا اللاتينية، حيث تحالفت الكنيسة مع الحركات الماركسية، وهو ينظر ـ من هذه الناحية ـ إلى الصحوة الإسلامية والفكر الديني كمجرد أدوات للنضال الوطني، وحشد طاقات الشعوب، والماركسية هي قاعدة التفكير عنده، ولذلك تجده يتحاشى المواجهات الفكرية مع المفكرين الإسلاميين، ويتجنب طرح قضايا الاعتقاد في الندوات العامة، بل إن تأثير «حسن حنفي» على طلابه في الجامعة محدود جداً ولايكاد يذكر، على غير عادة أمثاله من أصحاب الأفكار اللادينية، وذلك أن مشروع «حسن حنفي» هو سياسي اجتماعي بالدرجة الأولى والأساس، ولذلك تجنب ورفض ـ حتى الآن ـ قبول دعوة مناظرة الدكتور «يحيى إسماعيل»، وذلك أن أفكاره هي مما لا يصمد طويلاً في ساحة النقد العلمي الإسلامي، وهذا ما يدركه هو نفسه قبل غيره.

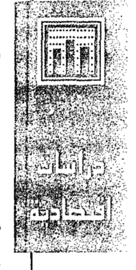
وسط هذه الأجواء، وبهذه الخلفيات، يبدو لي أن إثارة معركة (عقائدية) مع «حسن حنفي» دون غيره من عشرات العلمانيين الأكثر غلظة وبشاعة وسفاهة، تمثل نوعاً من سوء التقدير غير المسوّغ، وغير المفهوم؛ والمثير للدهشة أن هؤلاء العلمانيين الذين يكرهون «حسن حنفي» من صميم قلوبهم ويحاصرونه ويحاربونه، هم الذين يتاجرون الآن بقضيته، ويتقدمون بوصفهم كتائب المدافعين عنه ضد الأصوليين والمتطرفين!

إن الصراع الفكري، مثل الصراع السياسي أو العسكري، يحتاج إلى فنون خاصة في إدارة معاركه، وليس يكفي أن تكون صاحب الحق حتى تنتصر، وإنما يحتاج الحق إلى حكمة وتخطيط وذكاء ووعي بالواقع، واقع الناس وواقع الصراع فيه، وبدون ذلك فإننا ـ مهما أخلصنا ـ نكون قد أسأنا إلى الحق وأهله.

آراء وتأملات في فقه الزكاة

(٥)

د. محمد بن عبدالله الشباني



استأنف الكاتب حديثه في الحلقة الماضية عن صور الإنتاج الزراعي، حيث فصَّلَ الحديث عن زكاة الثروة الحيوانية ومنتجاتها مسترسلاً في الحديث عن الدواجن بوصفها نوعاً من الثروة الحيوانية وقد كيّفها فقهيًا وخلص إلى أن فيها زكاة محددًا نصابها ومقدارها. ويواصل الكاتب في هذه الحلقة طرح مرئياته عن الزكاة في عسل النحل.

ـ البيان ـ

عرفنا حكم زكاة الدواجن ـ حسب ما توصلنا إليه ـ بإلحاق حكمها بحكم زكاة العسل وهنا نفصل حكم زكاة العسل ومقداره على النحو التالي:

أولاً: إن العسل من الطيبات التي أنعم الله بها على عباده، وقد سميت سورة من سور القرآن بسورة النحل، وقد أشار المولى (عز وجل) إلى النحل بوصفه مخلوقًا من مخلوقات الله التي يجب على الإنسان أن يتفكر في طبيعتها ويستدل بها على عظمة الخالق، يقول (تعالى): ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩]، والجامع بين النحل ـ باعتباره ثروة حيوانية ـ والأنعام: أن كلا النوعين ينتج عنهما شراب فيه غذاء للناس، يقول (تعالى): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي

﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهِ...﴾ بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ [النحل: ٦٦].

ثانيًا: اختلف فقهاء المسلمين في وجوب الزكاة في العسل على قولين:

الأول: من يقول بوجوب الزكاة في العسل، وهم الأحناف، وقد اشترطوا ألا يكون النحل في أرض خراجية؛ لأن الأرض الخراجية يُدفع عنها الخراج، ولا يجتمع حقان لله في مال واحد بسبب واحد، ويروى ذلك عن الإمام أحمد، حيث سئل: هل في العسل زكاة؟ قال: نعم، أذهب إلى أن في العسل زكاة العشر؛ قد أخذ عمر منهم الزكاة.. قلتَ ذلك على أنهم تطوعوا به؟، قال: لا، بل أخذه منهم، ويروى ذلك عن عمر بن عبد العزيز ومكحول والزهري، وسليمان بن موسى، والأوزاعي، وإسحق ـ كما ذكر ذلك ابن قدامة ـ[1].

الثاني: من يرى عدم وجوب الزكاة في العسل، وهم: الإمام مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى، والحسن، وصالح، وابن المنذر.

ثالثًا: استدل الموجبون لزكاة العسل بأدلة، منها ما رواه الدارقطني، وابن ماجة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ أنه أخذ من العسل العشر[2]، وفي حديث آخر في سنن أبي داود والنسائي عن عبد الله ابن عمرو، قال: جاء هلال (أحد بني مُتْعَان) إلى رسول الله ﷺ بعشور نحل له، وكان سأله أن يحمي له واديًا يقال له سَلَبَة فحمى له رسول الله ﷺ ذلك الوادي، فلما ولي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتب سفيان ابن وهب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ذلك، فكتب عمر: إن أدى إليك ما كان يؤدي إلى رسول الله ﷺ من عشور نحله فاحم له سلبة، وإلا فإنما هو ذباب غيث يأكله من يشاء[3]، وفي حديث آخر رواه أحمد وابن ماجة عن أبي سيارة المُتَّقي، قال: قلت يا رسول الله: إن لي نحلاً، قال: أدِّ العُشْرَ، قلت: يا رسول الله، احمها



1) المغني، جـ ٢، ص ٧١٣.
2) أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو، ك/ الزكاة، ب/ ٢٠، وحسنه الألباني، ح/١٤٤٧.
3) أخرجه النسائي وأبو داود، واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح/١٤١٥.

لي، فحماها لي »[١].

كما روى « البيهقي » عن سعد بن أبي ذباب أن النبي ﷺ استعمله على قومه، وأن سعداً: قال لهم: أدوا العشر في العسل، وأنه أتى به عمر، فقبضه، فباعه، ثم جعل ثمنه في صدقات المسلمين[٢]، وروى الترمذي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « في العسل كل عشرة أزُق زق »[٣]، وفي أسانيد هذه الأحاديث ضعف، ولكن بعضها يقوي بعضاً[٤].

رابعاً: أما المانعون لزكاة العسل فقد احتجوا بأمرين:

١ ـ ما قاله ابن المنذر: إنه ليس في وجوب الصدقة في العسل خبر يثبت ولا إجماع.

٢ ـ إنه مائع خارج من حيوان، فأشبه اللبن، واللبن لا زكاة فيه بالإجماع.

خامساً: إن العسل مال يتحقق من خلال تربية النحل واستخراجه منه، وقد أصبح للعسل في الوقت المعاصر مزارع متخصصة في تربيته من أجل استخراج العسل وبيعه، ويتحقق من مزاولة نشاط تربية النحل فضل مال، وكسب، وبالتالي: فإنه مال تجب فيه الزكاة، وقد قال بهذا الرأي من الفقهاء المعاصرين فضيلة الدكتور « القرضاوي »، ونحن نميل إلى الأخذ به ونتفق معه على الأدلة التي أيد بها رأيه، وهي[٥]:

١ ـ أن عموم النصوص المتعلقة بوجوب الزكاة لم تفرق بين مال وآخر، مثل قوله (تعالى): ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً** ﴾، وقوله (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٥٤].. وغير ذلك من الآيات والأحاديث.



١) أخرجه ابن ماجة، ك/الزكاة، ب/٢٠، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ح/١٤٧٦.

٢) أخرجه البيهقي مطولاً، السنن الكبرى، جـ ٤، ص ١٢٧.

٣) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح/٤٢٥٢، والزق: جلد يجزّ ولا ينتف، للشراب.

٤) فقه الزكاة، للقرضاوي، جـ ١، ص ٤٢١.

٥) فقه الزكاة، للقرضاوي، ص ٤٢٦.

٢ ـ القياس على ما فرض الله فيه الزكاة من الزروع والثمار، فالدخل الناتج من استغلال الأرض يشبه الدخل الناتج من استغلال النحل.

٣ ـ للآثار والأحاديث التي وردت في ذلك من طرق مختلفة يقوي بعضها بعضًا، وقد تعددت مخارجها واختلفت طرقها؛ فمُرسَلُها يعضد بمسندها.

٤ ـ أما احتجاج المانعين بأنه مائع خارج من حيوان فأشبه اللبن، ولا زكاة في اللبن إجماعًا، فالجواب: ما قاله صاحب المغني: إن اللبن قد وجبت الزكاة في أصله، وهو السائمة، بخلاف العسل[1].

أما بالنسبة لقياس الدواجن بالنحل في حكم الزكاة فيعود إلى عدة أمور، هي:

١ ـ عموم نصوص وجوب الزكاة على كل مال وكل كسب.

٢ ـ أن وجوب الزكاة في النحل والدواجن ليس في أصليهما وإنما فيما ينتج عنهما.

٣ ـ التشابه في عمليات التربية والاستغلال، من حيث إنتاج خلايا النحل لزيادة الإنتاج وتكثيره، واتباع أساليب تقنية في زيادة كميات الإنتاج في كل من النحل والدواجن.

٤ ـ أن صناعة الدواجن وما ينتج عنها من بيض ولحوم تشبه صناعة تكثير خلايا النحل لإنتاج العسل بقصد الربح وتحقيق الكسب.

سادسًا: مقدار الواجب إخراجه:

إن المقدار الواجب إخراجه وفق رأي الموجبين لزكاة العسل هو العشر، قياسًا على الزرع والثمر[2]، وقد استدلوا بما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يؤخذ في زمانه من قرب العسل، من عشر قربات قربة من أوسطها[3]، وكذا بما روى سلمان بن موسى، أن أبا سيارة المتّقِي قال: «قلت: يا رسول الله إن لي نحلاً، قال: أدِّ العشر، قال: فاحم إذن جبلها، قال: فحماه له»[4].

وعلى ضوء هذه الآثار يمكن تحديد زكاة العسل وفق الجهد المبذول

---

١) المغني، جـ٢، ص ٧١٤.

٢) المغني، جـ٢، ص ٧١٣.

٣) الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص ٥٩٨.

٤) المرجع السابق، ص ٥٩٧.

والكلفة قياساً على الزرع الذي يكون فيه كلفة، ففيه نصف العشر، وما لم يكن فيه كلفة ففيه العشر من الإنتاج قبل تكاليف الإنتاج، وهذا مبني على أمرين: **الأول**: حديث أبي سيارة المتَّقي؛ حيث إن النحل الذي كان يؤدي زكاته كان يرعى في جبال معينة، ومنع الرعي فيه بالحمى، وليس لأبي سيارة جهد سوى جمع العسل، فهو أشبه بالزروع التي تسقى على المطر، حيث ورد النص على أن فيها العشر، وأن فيما سقي بالنضح نصف العشر، كما روى البخاري من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قوله: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًّا: العشر، وفيما سقي بالنضح: نصف العشر»[1].

الثاني: أن إنشاء مزارع تربية النحل أصبح ذا كلفة من حيث التغذية، والعناية من حيث رعاية الخلايا، وما يسبب ذلك من جهد مكلف يحتاج إلى رأس مال للحصول على إنتاج من العسل مربح، فأشبه الزرع الذي يسقى بالسائبة أي يبذل فيه جهد وكلفة.

وجه إلحاق الدواجن بالنحل:

وعلى ضوء ما سبق: فقد ألحقت صناعة الدواجن بالعسل في الحكم لتشابه الطبيعة، وعلى ذلك: يتم تحديد مقدار الواجب في الدواجن بنصف العشر، حيث إن تكلفة التغذية والآلات والحظائر وغير ذلك من مؤنة الإنتاج مثل ما يحصل في الزرع من سقي وجلب الماء، ومَثَل العسل الذي يكون في الجبال والذي لا يستدعي جهداً مثل ما يتم إنتاجه من المزارع الخاصة بإنتاج العسل.

وبالتالي: فإن مقدار الواجب هو: نصف العشر، أي ٥٪ من إجمالي المبيعات، وعدم خصم أي مصروفات تشغيلية بما في ذلك قيمة الفراخ الخاصة بإنتاج بيض التسمين والأمهات اللاتي ينتجن البيض المخصب، أما **بالنسبة للنصاب**: فإن تحديده ملحق بنصاب العسل الذي قيست عليه منتجات الدواجن، وحيث إنه لم ترد آثار في تحديد نصاب العسل فقد اختُلف في نصابه، فيرى أبو حنيفة أن في قليله وكثيره الزكاة بناء على أصله

---

١) أخرجه الستة.

في الحيوان والثمار[1].

أما صاحبه أبو يوسف: فقد اعتبر أن النصاب هو خمسة أوسق من أدنى ما يكال كالشعير، واستدلوا بقول النبي ﷺ: ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، أما الإمام أحمد: فيرى النصاب مئة وستين رطلاً بالبغدادي، ومئة وأربعة وأربعين بالمصري، والراجح - كما ذكره الشيخ القرضاوي -[2] أن يقدر النصاب بقيمة خمسة أوسق، أي ٦٥٣ كيلو جرامًا من أوسط ما يوسق كالقمح باعتباره أوسط الأقوات العالمية، وقد جعل الشارع نصاب الزروع والثمار خمسة أوسق، والعسل مقاس عليهما، فتجعل الأوسق هي الأصل في نصابه، وهو ما نأخذ به؛ لاتفاقه مع أصل القياس، وبالتالي: فإن مقدار النصاب الذي تجب فيه الزكاة يعادل ٦٥٣ كيلو جرامًا من القمح قياسًا، وذلك من قيمة إجمالي بيع الدواجن[3].

زكاة المنتجات الحيوانية:

من الأنشطة الاقتصادية ذات المردود الاقتصادي والمرتبط بالثروة الحيوانية: تربية حيوانات غير سائمة تتخذ لإنتاج الألبان، وهذه المشروعات أصبحت تدر دخلاً وفيرًا على أصحابها، كما أن بعض الأنعام تربى في مزارع خاصة من أجل تسمينها وتوالدها لبيع لحومها وأصوافها.

لقد اختلف في وجوب الزكاة على المنتجات الحيوانية (الألبان)، حيث أجمع على أنه لا زكاة فيما يخرج من الحيوان، إلا العسل الذي اختلف فيه[4]. إن قدماء الفقهاء (رحمهم الله) لم يتطرقوا إلى معالجة وضع الحيوانات التي تربى من أجل ما تنتجه من ألبان؛ لعدم ظهور الحاجة لذلك في الماضي، بخلاف عصرنا الحاضر؛ حيث أصبح إنتاج الألبان وما ينتج عنها من منتجات صناعية غذائية.. تجارة رابحة ومصدرًا من مصادر الدخل وتحقيق الثروة.

---

١) بدائع الصنائع، جـ ٢، ص ١٣. ٢) فقه الزكاة، جـ ١، ص ٤٢٨.

٣) لمعرفة كيفية تحديد وعاء الزكاة محاسبيًا: يرجع إلى كتابنا (زكاة الأموال، فقهًا ومحاسبة)، تحت الطبع، عالم الكتب بالرياض.

٤) فقه الزكاة، ص ٤٢٨.

ومن الفقهاء المعاصرين الذين تطرقوا لزكاة منتجات الثروة الحيوانية: فضيلة الشيخ القرضاوي، حيث أوجب الزكاة على هذه المنتجات مقاسة على العسل من حيث إن العسل خارج من حيوان، واللبن خارج من حيوان وقد استرشد لرأيه بما فرق به الفقهاء بين لبن السائمة وعسل النحل، حيث منع أخذ الزكاة من اللبن الخارج من السائمة على أساس أن أصل الزكاة وجبت في أصل السائمة، بخلاف العسل، والمفهوم من هذا: أن ما لم تجب الزكاة في أصله تجب في نمائه وإنتاجه، وبالتالي: قاس ألبان البقر والجمال ونحوها من المنتجات الحيوانية على عسل النحل؛ فإن كلاً منهما خارج من حيوان لم تجب الزكاة في أصله[1]، قد أشار ابن قدامة في المغني إلى ذلك، حيث فرق بين وجوب الزكاة في العسل وعدم وجوبه في اللبن بقوله: «أما اللبن فإن الزكاة وجبت في أصله وهي السائمة، بخلاف العسل»[2]، **وبهذا فإن قياس منتجات الحيوان بالعسل في وجوب الزكاة إنما يعود إلى عدة أمور، منها:**

١ ـ أن النحل ليس فيه زكاة كحيوان، إنما الزكاة فيما نتج منه ما دام أن الزكاة لم تجب في النحل وإنما وجبت فيما نتج منه، فيؤخذ من ذلك قاعدة أصولية: أن كل ما لم تجب الزكاة في أصله وجبت في نتاجه ونمائه مثل الزرع بالنسبة للأرض، فالأرض لا زكاة فيها وإنما الزكاة فيما نتج منها.. وهكذا بالنسبة لبقية الأشياء، وعليه تقاس الأبقار الموقوفة على إنتاج الألبان.

٢ ـ أن سقوط الزكاة في بعض أقوال أهل العلم عن بهيمة الأنعام المعلوفة أو العاملة واشتراط السوم استند على قاعدة أصولية، وهي: معارضة القياس لعموم الخطاب في قوله (عليه الصلاة والسلام): «في أربعين شاة شاة»[3]، وقد أوضح الفقهاء أن السائمة مقصود منها النماء والربح،

١) فقه الزكاة، ص ٤٣٠.

٢) المغني، لابن قدامة، جـ٢، ص ٧١٤.

٣) أخرجه الخمسة، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجة، ح/ ١٤٦١، وصحيح سنن أبي داود، ح/١٣٨٦.

وهو الموجود فيها أكثر ذلك، والزكاة إنما هي فضلات الأموال، وفضلات الأموال إنما توجد أكثر في الأموال السائمة، وبالتالي: فقد خصص القياس عموم اللفظ الوارد في الحديث، وما دام قد أصبح النماء سبباً في قصر الزكاة على السائمة ـ كما ذكره ابن قدامة بقوله: «وصف النماء معتبر في الزكاة، والمعلوفة يستغرق علفها نماءَها، إلا أن يعدَّها للتجارة»[1] ـ فإن تعلّق وصفها بالنماء ليس في ذاتها، وإنما فيما ينتج عن إعلافها، فالعلف إنما يقصد به تحويله إلى لبن، فهي تُعلف من أجل إنماء اللبن، بالتالي: فيتحقق فيها صفة الربح؛ حيث إن الإنفاق عليها بإعلافها قصد منه تحقيق الربح بما تدره من لبن يتحقق به الحصول على الربح، فالنماء حاصل من خلال ما يتحقق من فضلات خارجة عن بهيمة الأنعام، وبالتالي: وجبت الزكاة فيما نتج منها.

نصاب المنتجات الحيوانية:

يتحدد نصاب المنتجات الحيوانية ـ كالألبان وملحقاتها ـ بنصاب العسل؛ لوجود الرابطة القياسية بين العسل والمنتجات الحيوانية؛ فالنحل حيوان لا تجب في أصله زكاة، وإنما تجب على ما ينتج عنه، واللبن ـ مثلاً ـ ناتج من البقر ولكن البقر غير سائمة وغير معدة للنماء بذاتها، فهي أشبه بالنحل، فالزكاة على ما ينتج عنها، وبالتالي: فتؤخذ الزكاة من إنتاجها، ويتحدد النصاب إذا بلغ قيمة ما يباع بما يعادل قيمة خمسة أوسق من القمح؛ باعتباره قوتاً من أوسط الأقوات مثل نصاب العسل، وما قيل عن نصاب العسل ومقداره يقال عن نصاب المنتجات الحيوانية ومقدارها(*).

---

1) المغني، جـ ٢، ص ٥٧٧.

*) للموضوع دراسات وتحليلات أخرى ستصدر ضمن كتاب قريباً ـ إن شاء الله ـ فنشكر الكاتب الكريم إيثاره البيان لنشر هذا الموضوع العلمي متمنين له التوفيق والسداد.

الدعاة والبعد الزمني الغائب

بقلم : عبد الله المسلم

حين خرج النبي ﷺ إلى الطائف ليبحث عن مجال أنسب وأخصب للدعوة، وفعل معه أهل الطائف ما فعلوا، وصف ﷺ هذه الحال بقوله: «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا» (1).

لقد قال ﷺ هذه المقالة عقب هذا الحدث وآثاره لـمّا تزل بعدُ ماثلة، ولم يقلها ﷺ وهو في جلسة تفكير هادئة.



والأمر نفسه نجده في سيرة نوح (عليه السلام) حين لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وحين دعا ربه على قومه قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، إذ كان (عليه السلام) يؤمل بذريتهم وأولادهم، فلما يئس من هذه الذرية دعا ربه عليهم.

إن هذين الموقفين ليعطيان المسلم دلالة على البعد الزمني في تفكير الأنبياء (عليهم السلام) وتخطيطهم للدعوة، وهو بُعْدٌ تعاني الأمة اليوم من فقده كثيرًا، إنه مرض ورثه بعض الدعاة والخيِّرين من عقلية المجتمعات الإسلامية التي لا تفكر إلا فيما تزرعه اليوم وتحصده في الغد وتأكله في اليوم الثالث.

---

1) رواه البخاري، ح/٣٢٣١، مسلم، ح/١٧٩٥ .

ولقد كان من نتائج غياب البعد الزمني في تفكير الدعاة:

١ ـ الابتعاد عن الأعمال المنتجة العميقة الأثر التي تحتاج إلى وقت وجهد للقيام بها، ولا تظهر آثارها في الزمن القريب، والعنايةُ أكثر بالأعمال سريعة الأثر وقريبة النتائج، وهي مهما علا شأنها لا يسوِّغ أن تكون ـ بحال ـ هي الميدان الوحيد الذي يفكر فيه الدعاة.

٢ ـ غياب الرؤية البعيدة والنظر الاستراتيجي العميق للواقع، وعدم دراسة المتغيرات التي تحكمه واتجاهاتها، مما يوقع المجتمعات الإسلامية أمام المفاجآت، ويحرمها من التوقع المسبق للمشكلات، ومن ثم الإعداد لها ومواجهتها، وذلك واجب ينبغي أن يقوم بأعبائه الدعاة إلى الله (عز وجل).

٣ ـ التسرع في التقويم، والحكم على كثير من الجهود الدعوية التي ربما لاتظهر آثارها في الزمن القريب المنظور، وترتب على ذلك اعتبار الابتلاءات التي تصيب الدعوة دلائل فشل وإخفاق، وافتراض ثبات الأوضاع القائمة بكل متغيراتها وظروفها.

إننا اليوم بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في طريقة تفكيرنا، وإعطاء الأمور ما تستحقه من الوقت مما يؤمل معه أن تنتقل الدعوة إلى مواقع ومساحات كانت قد حرمت منها، وأن تتسع النظرة ويبعد الأفق.

إننا حين نتأمل شاباً مستجمع القوى والنشاط، يملك قدرات وخبرات، وحيوية وفتوة، ندرك أن عقدين من الزمان كانت على الأقل ـ هي فترة بنائه ـ توافر عليها عوامل ومؤثرات عدة لا يمكن أن ينفرد عامل منها في مسؤولية عن جانب واحد من جوانب شخصيته، فهل نحن نفكر اليوم ولو على الأقل على مدى عقدين من الزمان؟ فليت الذين عمرهم في الصحوة ربما يقصر عن هذه الفترة يدركون أن عمر الأجيال والمجتمعات لا يقارن بعمر الأفراد، فكيف، والأمر كذلك، نطالب المجتمعات بنضج في وقت ربما لا ينتظر فيه نضج فرد من الأفراد؟

وواقع المجتمعات الإسلامية اليوم لم يكن نتاج قفزة هائلة إنما هو نتاج عوامل عدة أثرت وساهمت مجتمعة في صياغته، يضاف إلى ذلك عشرات من السنين، فكيف يراد إصلاح هذا الواقع في سنيات عدة؟

العلم بالسنن الربانية

(١ من ٢)

بقلم: د. محمد أمحزون

من قضايا المنهج

لقد وجه القرآن الكريم المسلمين نحو الوعي بعالم الشهادة، فحثهم على النظر والتدبر والاستقراء؛ للكشف على قوانين المادة وسنن الاجتماع، كما نبّه إلى أهمية التعرف على السنن التاريخية، والإفادة من ذلك في الاعتبار وبناء الحضارة وكيفية المحافظة عليها من السقوط.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه السنن، فذكرها نصًّا في بعض الأحيان[١]، ولم يذكرها أحيانًا أخرى نصًّا، وإنما فهمت من النص دلالة وفحوى[٢]، وذكرها تارة مضافة إلى الله (تباركت وتقدست أسماؤه)[٣]، وذكرها تارة أخرى مضافة إلى أقوام[٤].

وللإشارة، فإن هذه السنن تعمل مجتمعة ومتسلسلة، فيكون في حصيلتها في الحياة البشرية ما هو كائن بقدر الله (عز وجل).

وقد نبه الله (جل ثناؤه) المسلمين إلى أن هذه السنن صارمة؛ تتسم بالاطراد والشمول والثبات، كما في قوله (تعالى): ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

١) في مثل قوله (تعالى): ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

٢) في مثل قوله (تعالى): ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

٣) في مثل قوله (تعالى): ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

٤) في مثل قوله (تعالى): ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ...﴾ [الكهف: ٥٥].

تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر:٤٣]، وقوله (تعالى): ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٧].

فينبغي إذنْ معرفتها وتدبرها واستيعابها والاستفادة منها، لقوله (تعالى): ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [النساء:٢٦].

ومن خلال السنن في كتاب الله (تعالى) وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ على حقيقته، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم، وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف.

على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله، أصاب شر السنة الربانية [١].

وقد انتبه إلى أثر السنن في المجتمعات والاعتبار بها «ابن تيمية» (رحمه الله) فقال: «ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها؛ لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن» [٢].

إن معرفة أثر السنن في الأنفس والمجتمعات ضروري لمعرفة طبيعة هذا الدين وطبيعة الجاهلية المقابلة.

... وقد جاء الحديث عنها في القرآن المكي، في مواضع كثيرة، وجاء تصويرها في مواقف كثيرة؛ ليفهم المسلمون طبيعة الصراع بين الجاهلية والإسلام على حقيقته، وليكونوا على بيّنة من مباينة السبل واختلاف المناهج والتوجهات والأهداف بينهم وبين الكافرين.

ومن أمثال ذلك: قوله (تعالى): ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ**

١) محمد بن صامل السلمي: كيف نفسر التاريخ، مجلة البيان، عدد ٥٠، ص ٩٨ .

٢) ابن تيمية: جامع الرسائل ، ص ٥٥ .

لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

وقوله (تعالى): ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

ومن هنا تأتي أهمية ربط عمل الدعاة بالجهد والعمل وفق السنن التي لا تحابي فرداً على حساب فرد آخر، أو مجتمعاً على حساب مجتمع آخر، فالنتائج التي قد يتطلع إليها على وجه الأرض أكثر المؤمنين إيماناً وأشدهم ورعاً وتقوى سوف يجنيها أكثر الكافرين كفراً وأشدهم فسقاً وفجوراً، إذا وافق المقدمات الصحيحة المؤدية إليها، وربط الأسباب بمسبباتها، بينما ينتظرها المؤمن ارتكازاً على إيمانه وحده واعتماداً على ورعه وتقواه، دون أن يطلبها من مقدماتها التي خلقها الله (عز وجل) طريقاً إليها، فأنى يستجاب له! [1].

ومرجع ذلك إلى أن السنن الربانية في الحياة البشرية دقيقة كل الدقة، منتظمة أشد الانتظام، لا تحيد ولا تميل، ولا تجامل ولا تحابي، ولا تتأثر بالأماني وإنما بالأعمال، وهي في دقتها وانتظامها وجديتها كالسنن الكونية سواء بسواء [2].

سنن: الابتلاء، التمحيص، التمكين:

ومن أهم هذه السنن التي نبه إليها القرآن الكريم: سنة الابتلاء، فهي تضع المؤمن على محك الاختبار، لقوله (تعالى): ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، وقوله (جل

---

١) محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى، ص ٢٥٢.

٢) محمد قطب: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٢٠.

ثناؤه): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله (عز من قائل): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠].

ومن ثبات تلك السنة أنها قد بسطت في وحي الله وعلمها أناس قبل أن تقرأ في القرآن الكريم، فهذا «ورقة بن نوفل» ـ الذي كان لديه علم بما عند أهل الكتاب ـ يقول للنبي ﷺ بعد سماعه خبر نزول الوحي لأول مرة: «يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك»، فيسأله النبي ﷺ في تعجب: «أوَمخرجي هم؟!»، قال: «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي» (الحديث)[1].

وهذا قيصر الروم يقول في حديثه مع أبي سفيان: «سألتك كيف كان قتالكم إياه، فزعمت أن الحرب سجال ودول، فكذلك الرسل: تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة»[2].

وجاء في الحديث الصحيح: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشًا، فقلت: ربي، إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استَخْرِجْهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك»[3].

في هذا الحديث دلالة اعتبار ذلك الواقع الضخم ومراعاته، وكذلك ضخامة التكليف وبدء الحمل، كما يوضح مع ذلك كيف تلتقي السنن الربانية، ومنها سنة اشتراط الجهد البشري وابتلاء بعض الناس ببعض؛ مع سنة العهد الرباني بنصر دينه وأوليائه وإن طال الابتلاء، فهما مقترنتان

١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بكير، جـ١، ص٣. قال في فتح الباري: «جذعًا» بالنصب على أنه خبر كان المقدرة قاله الخطابي، وفي رواية الأصيلي: «يا ليتني فيها جذع».

٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾، والحرب سجال، جـ٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

٣) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، كتاب الجنة، جـ١٧، ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

متضافرتان تعملان عملاً واحداً في نهاية المطاف [1].

ولعلم الله (عز وجل) أن الابتلاء هو الوسيلة لتمييز الصفوف وتمحيص القلوب، جعله سنة ماضية، فحملُ الأمانة لا يصلح له كل الناس، بل يحتاج إلى قوم مختارين، وهم الصفوة الذين يعدّون لهذا الأمر إعداداً خاصًّا ليحسنوا القيام به.

ويضرب «محمد قطب» مثلاً لذلك قائلاً: «أرأيت لو أنّ قائداً أراد إعداد جنوده للفوز في معركة صعبة ضارية، أيكون من الرحمة بهم أن يخفف لهم التدريب ويهوّن لهم الإعداد، أم تكون الرحمة الحقيقية بهم أن يشدد عليهم في التدريب، على قدر ما تقتضيه المعركة الضارية التي يعدهم من أجلها؟ والمؤمنون هم حزب الله وجنوده ـ ولله المثل الأعلى ـ والمعركة التي يعدهم من أجلها هي المعركة العظمى: «معركة الحق والباطل، التي ينصر فيها الله الحق على يد أولئك الجنود حسبما اقتضت مشيئته وجرت سنته» [2].

ومن النتائج المترتبة على سنة الابتلاء لاحقًا: سنة التمحيص، فالمؤمن من جهة يتعرض للمحنة، فيُصقل معدنه من أثرها، وينضج بها كما ينضج الطعام بالنار، والمنافق من جهة ثانية لا يستطيع الصمود أمام الفتنة فتخور قواه وتنحل عراه وينكص على عقبيه؛ ولهذا جعل الله (تعالى) التمحيص مَعْبرًا لتنقية الصف المؤمن من أدعياء الإيمان، فيقع به التمييز بين الدر الثمين والخرز الخسيس، كما في قوله (تعالى): **﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾** [آل عمران: ١٧٩]، وقوله (تعالى): **﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [آل عمران: ١٥٤].

وعلى ضوء سنة التمحيص تتحقق سنة أخرى، وهي سنة التمكين، إذ يمكّن الله (عز وجل) للمؤمنين في الأرض بعد أن يثبتوا

١) سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء، ص ١٦.

٢) محمد قطب: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١١١.

جدارتهم واستحقاقهم للنصر بلجوئهم إليه وحده في وقت المحنة، وتجردهم له، وتطلعهم إليه في زمن الشدة، مستيقنين من نزول نصره بعد الأخذ بكافة الأسباب المأمور بها شرعًا من صبر وتقوى وإعداد.

وقد أدرك أهل العلم والبصيرة هذه الحقيقة؛ فعندما سئل الإمام الشافعي (رحمه الله): «أيما أفضل للرجل: أن يمكّن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكّن حتى يبتلى»[1].

ومحصّلة هذه السنن: أن بعضها يمسك برقاب بعض كحلقات السلسلة يشد بعضها بعضًا، فلا تمكين بلا تمحيص، ولا تمحيص بلا ابتلاء؛ إذ متى تحققت أوائلها تحققت أواخراها، إنها سنن ساطعة وحقائق ثابتة.

وجدير بالإشارة أن الحكمة من صرامة وثبات السنن الربانية هو أن تنضبط الموازين وتستقر معايير الحكم على الأشياء والمواقف والأحداث والرجال؛ لكن من ناحية أخرى: لا ينبغي أن يغتر المؤمن بهذا الاطراد والاستمرار؛ لأنه قد يورث الغفلة، قال (تعالى): ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

فحين يشاهد المؤمن الكفار وهم يسعون في الأرض ويمكّنون اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا، وتفيض عليهم كنوز الأرض وخيراتها، فليعلم أن ذلك ليس «تمكين الرضا»، بل يندرج ضمن «تمكين الاستدراج» أو سنة الإملاء؛ فمن سنن الله الجارية أن يملي للكفار قبل أن يهلكهم: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [الحج: ٤٨].

كما ينبغي ألا يغتر المؤمن بديمومة وامتداد النعم، فدوامها ينسي ـ عادة ـ أنها قد تزول في الدنيا بسبب من الأسباب، أو تضمحل وتذهب بموت الإنسان، ولذلك نبّه القرآن الكريم إلى الاعتبار بفنائها وزوالها: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

وللحديث بقية

١) ابن القيم: الفوائد، ص٢٢٧.

لغة الخطاب

مهلاً فقد زال الشباب وودَّعَ الليلُ الصِّحابْ

وانظر فقد وقف الزمان مخاطبًا لك في الترابْ

وتأمل الماضي الذي قد صيغ من لَحنِ العذابْ

واسأل تواريخ الزمان عن الحساب بلا حسابْ:

هل نحن نحيا هكذا بين الحقيقة والسَّرابْ

هل نحن نمضي هكذا؟ لا والذي قَرَضَ الكتابْ

بل نحن نحيا للعبادة والحياةِ على الصّوابْ

نحيا نطيع الله حتى لو بقينا في اغْتِرَابْ

حتى ولو كانت حِراب الظالمين على الرِّقابْ

سنظل نعبد ربنا حتى ولو زاد الضَّبابْ

حتى ولو نبحت كلاب الغاصبين فلن نهابْ

ضحكت ذِئاب القوم حتى بان للشفتين نابْ

فعلمت أن حياتهم قد صار يحكمها الذئابْ

وسمعت صوتًا كالعواء فقلت هل تعوي الكلابْ

عهدي بها نباحة ما بالها لغة الخطابْ؟

قالوا: تغيَّر كل شيء صار كالعَجبِ العُجَابْ





شعر : حفيظ بن عجب الدوسري

دُبِـغَ الإهـاب فـمـا تـغـيـر فـي الإهـاب سـوى الإهـابْ

وتـبـدلـت كـل الـثـيـاب ونـحـن لـم نُـبـلِ الـثـيـابْ

هـذا لأنـا لا نـذل ولا نـخـون ولا نُـعـابْ

دومًـا يـصـيـح خـطـيـبـنـا! لا لـن نـرُدَّ لـه الجـوابْ

فـلـتـزرعـوا الخـيـر الـذي تحـيـا بـه الأرض الـيـبـابْ

ولـتـشـربـوا مـاء الـسـحـاب لـتـغـتـلوا فـوق السَّـحـابْ

فـلـربَّـمـا نـفـع الخـضـاب إذا دنـا مـنـه الـرِّبـابْ

ولـربَّـمـا عـشـنـا دهـورًا نـسـتـفـيـد مـن الـصـعـابْ

لـنـزيـل عُـرْفَ الجـاهـلـيـة إنـه عُـرْفُ الخـرابْ

يـا مَـنْ تُـريـدُ الـعـيـش مـثـل المـاء بـالـعـسـل الـمُـذابْ

وتـريـد أن تحـيـا بـلا تـعـبٍ ولا كـدٍ ولا فـتـحٍ لـبـابْ

لـن يـسـتـقـيـم الـعـيـش إن لـم تُـسـتـذلَّ لـك الـهِـضَـابْ

أو أن تـسـيـر فـتـقـطـع الـصـحـراء بـحـثًـا عـن شـرابْ

فـاذكـر إلـهـك دائـمًـا إنَّ الإنـابـة فـي الإيـابْ

الإبداع في الشعر العربي

بقلم:
إبراهيم نهار العنزي

الشعر ملكة يمتلكها الشعراء، وموهبة يتميز بها ذوو الشعور المرهف والأحاسيس الجامحة والعواطف الجياشة، فهم يعبرون بشعرهم عما يحسون به إزاء ما يواجهونه في حياتهم من حزن وفرح، وغضب ورضا، وحب وكره، والشعر صعب كما قال الحطيئة:

الشعر صعبٌ وطويلٌ سُلَّمهْ
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمهْ
زلّت به إلى الحضيض قدمهْ

فإذا كان قول الشعر ونظمه صعباً؛ فإن الإبداع في الشعر أصعب، بل في غاية الصعوبة. وقد تفنن الشعراء منذ القدم في كيفية الإبداع في الشعر حتى عصرنا الحديث، وتنافس الشعراء في هذا الإبداع، فيلقي كل شاعر ما في جعبته من نتاج شعري حتى تولد لنا عبر التاريخ هذا الموروث من الدواوين الشعرية عبر العصور التي مرت بها الأمة الإسلامية والعربية والتي حفظت لنا التراث الأدبي الجم لعدد كبير من الشعراء المشهورين والمبدعين. والإبداع في الشعر لا يكون إلاّ إذا توفرت ظروفه، وتهيأت أسبابه، ووجدت عوامله، ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: الموهبة الشعرية التي قد تكون كامنة في الشاعر ذاته ولا تخرج إلى النور إلا بمحاولاته الشعرية التي تكشف الستار عن هذه الملكة الفطرية.

البيان الأدبي

ثانيًا: العزيمة والرغبة الصادقة في الإبداع الشعري، ولا يكونان إلا إذا توفر الإنتاج الجيد الذي يحاول الارتقاء بالشعر إلى آفاقٍ أرحب وأوسع.

ولا بد أن يتوفر لدى الشاعر مجموعة كبيرة من الأفكار التي تفرزها مخيلته، وتكون هذه الأفكار غير مطروقة من قبل، عند ذلك يكون الشاعر قد وصل إلى محطة من محطات الإبداع الشعري.

ثالثًا: ثقافة الشاعر، وثروته العلمية، واطلاعه على مختلف العلوم، والأخذ من كل علم بطرف؛ لأن ثقافة الشاعر تنعكس في إنتاجه الشعري، وقد يدرج كثيرًا من معلوماته التي اكتسبها في أبياته الشعرية.

رابعًا: معرفة الشاعر وإحاطته بالنحو العربي والمسائل النحوية؛ لأن فهمه للنحو ينعكس في إنتاجه الشعري، ولهذا يجب أن يكون ما يكتبه من شعر مطابقًا لكلام العرب وللغتهم الفصيحة في عصور الاحتجاج. وقد قعَّد علماء اللغة الأوائل اللغة العربية لتيسير فهمها على دارسيها لـمَا طرأ على اللغة الأم من تغيير بعد عصور الاحتجاج للأسباب والظروف التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية في تاريخها المجيد، فعلى الشاعر أن يولي النحو بالغ اهتمامه، ولا يتأفف من طلب مسائله وكثرتها، ولا يكون حاله كقول القائل:

أفٍّ من النحو وأصحابــه ... قد صار من أصحابه نفطويهْ

أحرقه الله بنصف اسمــه ... وصيَّر الباقي صراخًا عليــهْ

خامسًا: إلمام الشاعر باللغة والمفردات والاشتقاق وذلك من خلال اطلاعه على كتب الصرف والمعاجم اللغوية ومعرفة دلالات المفردات ومعانيها واشتقاقاتها، واطلاعه يكون على قدر ما تسعفه نفسه.

سادسًا: معرفة الشاعر بالتراكيب البلاغية والصور البيانية، وذلك من خلال قراءة النصوص البيانية التي تحتوي على مثل هذه التراكيب البلاغية،

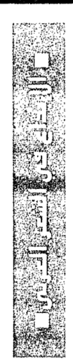
التي تشتمل على أنواع البديع من طباق وجناس وتورية ورد أعجازٍ على صدورها والتشبيه والاستعارة والالتفات وغيرها من أنواع البديع. وأعظم نص ينبغي على الشاعر أن يطلع عليه هو القرآن الكريم؛ لأنه المصدر الخالد والمعين الذي لا ينضب والمعجزة البيانية الكبرى التي تحدَّت أولي البيان وأرباب الفصاحة واللسان؛ فهو أعظم مصدر نهل من معينه الصافي معظم الشعراء المبدعين بدايةً من صدر الإسلام وحتى عصرنا هذا، فعلى سبيل المثال، لا الحصر: تأمّل هذه الآيات وما تحويه من تشبيهٍ بلاغيٍّ راقٍ، قال (تعالى): ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠]، وأيضًا في قوله (تعالى): ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، وأيضًا في قوله (تعالى): ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

والصور البيانية والبلاغية في القرآن الكريم كثيرة جداً.

وكذلك ينبغي على الشاعر الاطلاع على الأحاديث النبوية الشريفة التي تمثل قمّة البلاغة البشرية؛ لأنها كلام المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وهو أفصح العرب وقد أوتي جوامع الكلم، فيتأمل الشاعر ما تحويه هذه الأحاديث من صور بيانية وبلاغية.

وكذلك الاطلاع على النصوص الأدبية التي كتبها الأدباء المتميزون في تراثنا الأدبي، والاطلاع على كتب البلاغة وما فيها من تفاصيل لعناصر البلاغة التي تثري ملكة الشعر عند الشاعر، وتعزز من جمال التذوق الشعري لديه. ولعل اطلاعه على شعر شعراء الصنعة والبديع الذين اشتهروا في العصر العباسي يثري هذا الجانب لدى الشاعر، فمن الشعراء المتميزين في البديع: «أبو تمام»، و«البحتري»، و«ابن الرومي» ـ على سبيل المثال ـ.

ومعظم الشعراء يستخدم البديع ليدل على قدرته في التلاعب بالألفاظ والمعاني وصياغتها كيفما يشاء، مثل قول أبي تمام:



فغرَّبتُ حتى لم أجد ذكر مشرقٍ   وشرَّقتُ حتى قد نسيت المغاربا

أو كما قال أبو الطيب:

لنا ملكٌ لا يطعم النوم، همُّه   مماتٌ لحيٍّ أو حياةٌ لميتِ

سابعًا: الاطلاع على الموروث الشعري للشعراء السابقين والاستفادة من هذا الموروث في سبيل الارتقاء بالذوق الشعري والإحساس بجمال ما ابتكره الآخرون من صور شعرية تندرج في ثنايا قصائدهم مما يعزز الملكة الشعرية لدى الشاعر المطلع، وينمي معرفته بشعر مَنْ قَبْلَهُ محاولاً بذلك التقليد والمحاكاة.

ثامنًا: التقليد والمحاكاة وهذه هي النقلة التي تؤدي إلى الإبداع فيما بعد، وهي من أهم العوامل التي تصل بالشاعر إلى الإبداع والارتقاء الشعري.

فعندما يقلد الشاعر شاعرًا مبدعًا من الشعراء السابقين عن طريق معارضته لقصيدةٍ مشهورة من قصائد ذلك الشاعر السابق محاولاً من خلال هذه المعارضة التقليد بالمحاذاة والمحاكاة للارتقاء بهذا العمل الشعري الجديد، سواء وصل هذا العمل إلى مستوى تلك القصيدة المقلَّدة (الأصل) أم لم يصل، فإنه يعتبر معززًا ومثريًا لشاعرية الشاعر (المعارض) ودافعًا له نحو الإبداع.

تاسعًا: أهمية الاطلاع على جيد الشعر: قديمه وحديثه، والاستمرار على ذلك حتى تستقيم الملكة الشعرية بالاطلاع على روائع أولئك الشعراء.

فإن تهيأت تلك الظروف بهذه العوامل فعند ذلك ينشأ الإبداع في الشعر من خلال ما ينتجه الشاعر، وما عليه سوى اختيار الموضوعات الجديدة التي لم تطرق بأسلوب جديد وبفكرة مبتكرة حتى تنفذ في أفئدة القارئين والمستمعين، ويحظى قائلها عندئذٍ بتقدير الجميع.

حسرة وعتاب

- شعر : محمد بن عبد الرحمن المقرن -

كيف أُبْدي بأَحْرفي ما أريدُ ... وبماذا تراه يحكي القصيدُ

كلَّ يوم تدقُّ بابي عظاتٌ ... ويهزُّ الفؤادَ خطبٌ جديدُ

ويح نفسي ألم تفق من هواها؟ ... أوَما هزَّ خافقيها الوعيدُ؟

آهِ من يوم سكرتي ومماتي ... حينما أنثني وروحي تجودُ

أستغيثُ الطبيبَ ماذا جرى لي؟ ... قيل: هذا ما كنت منه تحيدُ

لم تُغِثْني دموعُ من كان حولي ... لا ولا عدة الطبيبِ تفيدُ

آه من عمرٍ استقلَّ بذنبي ... رَكْبَه، ليته إليَّ يعودُ

لست أدري: أبين جنبيَّ قلبٌ ... أم هو اليوم من عنادي حديد؟!

أنا من يستبيح كسبَ الخطايا ... ما بعمري سوى الذنوب رصيدُ

أتلهّى برحمة الله، ويلي! ... إنما أخذُه أليمٌ شديدُ

أوَما آنَ أن أعدَّ ليومٍ ... من رؤى هوله يشيبُ الوليدُ

عندها يفرق العباد: شقيٌّ ... في لظى النار أو رضيٌّ سعيدُ

كيف يحلو بلذة الذنب كأس ... وبقعر الجحيم ماءٌ صديدُ؟!

كيف أجرو على المعاصي وفي النـ ... ـار حميم تذوب منه الجلود؟!

تلك ذكرى لمن له اليوم قلبٌ ... ولمن ألقى السمع وهو شهيدُ

إنما زخرف الحياة سرابٌ ... والتقى واحة وظلٌّ مديدُ

إن حَيينَا بنشوة المال عمرًا ... واحتوتنا على النعيم عهودُ

فالجنا منه بعد حين عجيبٌ: ... كفنٌ عن قوامِنا لا يزيدُ

البيان الأدبي

أدب الحرفة

الأصل في الأدب أنه تعبير جميل ومميَّز عن مجموعة من الانفعالات العاطفية أو الفكرية، يصعب على صاحبها كتمها حين نضجها، فيقوم بإخراجها في صورة إبداعية، متقولبة بأحد الأشكال الأدبية المختلفة (شعر ـ قصة ـ مقال ـ مسرحية...) حاملة خلفية الكاتب الثقافية، وملامح شخصيته الأخلاقية، وسماته النفسية، وحالته المزاجية الآنيّة.

ولكن.. ماذا إذا قرر كاتب أن (يمتهن) الأدب؟!.

إنه يبحث حينها عن أصول (الصنعة)، ويتكلف الالتزام بها؛ ليستر بها جفاف انفعالاته التي قد يستدعيها فتتأبى عليه وتستعصي.. ثم مع الدربة والمكابدة يتمرس كاتبنا على اصطناع المعايشة والانفعال، ويصبح (محترفًا) يستطيع تفصيل أي فكرة على حسب الطلب!، فتخرج حينئذ قطع أدبية على قدر المطلوب تمامًا، كما تُنتَج أيضًا قطع (فري سايز) تصلح لجميع المقاسات، وترضي جميع الأذواق، فالمهم: إرضاء (الزبون).

إن معظم من عاشوا تجربة الكتابة الأدبية يدركون أن ولادة تعبير عن فكرة أو إحساس تمر بمراحل ولادة كائن حي ومعاناتها، حيث يتم الحمل بالتلاقح مع حدث أو فكرة أخرى، يعقبها سعادة ونشوة بالموجود الجديد، الذي ينمو ويكبر، يتحرك في باطن صاحبه الذي تظهر عليه علامات الحمل، وقد تؤدي به إلى حالة من القلق والاضطراب يصعب فهمها على من ابتلوا بالعقم.. ويخشى الحامل على حمله، ويتعهده، حتى يتم نضجه، فيطلب الخروج والانفصال عن صاحبه، ولا يتحمل الأديب بقاءه في باطنه ـ ولو أبقاه ربما يموت أو يولد مشوَّهًا ـ، فيحدث مخاض الولادة، وهي أصعب اللحظات وألذها، يستعذب الأديب فيها الألم.. إلى أن تخرج سالمة إحدى بنات أفكاره.. فيطوف بها سعيدًا، يلبسها أجمل ثوب، يعرِّفها إلى كل من يلقاه.. وقد تموت فيحزن عليها أشد الحزن، وقد تنمو وتكبر وتنتشر في الآفاق، فيفرح أيما فرح، وينظر إلى بنات أفكاره فيراها (عرائس من نور)..

ثم يموت الكاتب وتبقى بناته ـ بإذن الله ـ تتزاوج، وتتكاثر، وتلد، وتنتشر في الثنايا.. وقد تنفعه بعد موته إذا كانت نبتًا صالحًا.

خالد أبو الفتوح

ثم انتبهت

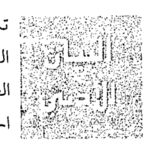


نورة بنت سعيد الصفار

الشمس تلم أشعتها راحلة نحو الغروب، والحديقة الكبيرة في القصر الواسع ضجت بأصوات الطيور العائدة إلى أعشاشها، والظلام بدأ ينشر أجنحته على الكون، فأنيرت الأضواء في القصر الفخم، وانتشرت روائح العطور مع الزهور يحملها هواء هادئ.

فتحت البوابة ودلفت سيارة كبيرة فخمة، فوقفت، وخرج منها رجل يظهر للرائي كأنه في الثلاثين من عمره إلا أنه تجاوز الخمسين، دلف إلى منزله وكان ضائق النفس، فقد خسر صفقة كانت ستدر عليه أرباحاً طائلة، ولكن... ها قد انتهى حلمه بالنسبة لها... على العموم لن تكون أول ولا آخر صفقة، فالأيام طويلة والحياة لا زالت تفتح له ذراعيها بكل جمالها، هكذا خاطب نفسه وهو متجه إلى غرفته، وفتح جهاز التكييف، واستلقى على سريره فالحر شديد، آه هذا كتيب جديد.. نعم لا بد أنه من ابني (المعاملات الربوية) لقد بلغت به الجرأة بأن يتهمني بالربا، هذا الولد العاق الأحمق المعقد الذي يترك أحسن الجامعات الأوروبية التي عرضت عليه.

ألقى الكتاب بعيداً، وفتح جهاز التسجيل ليستمع إلى موسيقى هادئة قد تساعد على نومه! لكنه سمع من بعيد صوت الأذان فتردد في إغلاق جهاز التسجيل، وأخيراً قرر أن يغلقه بنفسه، ثم راح يفكر: هل يذهب إلى الصلاة أم لا... همس في أعماقه بأنه أحسن من غيره؛ فهو أحياناً يصلي مع الجماعة وكثيراً جداً يصلي في البيت، وهناك من لا يصلون أبداً، فهو أحسن منهم بالطبع.



ارتاحت نفسه لهذا الخاطر، استرخى وأخذ يفكر في المستقبل، وتذكر آخر رحلة له فابتسم .. تذكر آخر فتاة قابلها كانت تظنه شابًا ودهشت حين علمت أن له من الأولاد عشرة أغلبهم متزوج وفي الجامعات، فامتلأ نشوة وفرحًا... آه ما أجمل الدنيا، ما أجمل السفر والتلذذ بالمناظر بـ(الكازينوهات) وما فيها! أطلق لنفسه عنان الأحلام وراح يسبح في بحيرة الأوهام فأخذته وطارت به بعيدًا فغرق في سبات عميق.

ولم يفق إلا على صوت مريع هز الدنيا كلها واضطربت السماوات والأرض، أحس أنه في مكان ضيق لا يستطيع الحراك منه، إلا أن المكان اضطرب اضطرابًا شديدًا لسماع الصوت المفزع، فانفرج فخرج منه أشعث أغبر عاريًا، كان الصوت مفزعًا مريعًا يكاد يمزقه، أحس أن أحشاءه تقطعت وأن عروقه انفجرت.

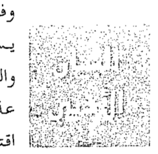
الفزع العظيم يتجلى في عينيه ولم ينتبه إلا وهو خارج ذلك الشيء الذي عرف فيما بعد أنه قبره... الصوت لا زال يدوي في أعماقه: الخوف من كل شيء حوله، صار كالمجنون يدور ويبحث عن شيء يختبئ فيه، تمنى لو يموت ويرتاح من هذا الفزع ولكن هيهات أن يتسنى له ذلك فلا موت بعد اليوم، أراد أن يختبئ في أعماق الأرض فإذا هي تمور ... ركض قاصدًا كهوف الجبال فإذا هي تسير وتتفتت وتطير.

كان يدور ويذهب ويجيء والآلام تحوطه، يبحث عن شيء لا يعرفه، وبعد أن أضناه التعب علم أنه يبحث عن نفسه فوجدها كامنة في جسمه، تحسس عظامه وأعضاءه فعلم أنه هو .. فخر صعقًا، وحينما أفاق تحسس الوخزة في قلبه فتذكر الدنيا.. قبل قليل كنت في غرفتي الهادئة وعلى سريري الجميل.. المريح.. ماذا حدث الآن؟ هل هذه هي الآخرة؟! ما أسرع أيام الدنيا كأنني ما مكثت فيها غير ساعة، يا ويلتاه إن كانت هذه هي الآخرة؛ لأنني لم أتزود لها.. يا حسرة على ما فرطت في جنب الله.

حينما كان يحدث نفسه وهو يجري سقط في حشد من الناس الساقطين فمشى عليه حشد من الناس الزائغين.. المسرعين، وكلما حاول النهوض سقط،

وبعد مدة من الزمان ظنها أعوامًا استطاع أن ينهض.. كانت الشمس قد اقتربت من الأرض أكثر، فأصبحت الأرض كالجمرة تحرق قدميه وهو يحاول أن يرفعهما عنها.. أحس أن دماغه يغلي من الشمس، العرق يتصبب من جسمه، والعطش بلغ به منتهاه، حوله خلق غارقون في بحار من العرق يحاولون التنفس، فجزع لمنظرهم، لا يزال يركض، لمح من بعيد حوض ماء كبيرًا حوله أناس قد ارتووا من الماء، فاتجه نحوهم وجر أقدامه وجسده المنهك يخوض في عرقه يلهث وهو يصطدم بجثث لاهثة مثله، فأخذ يحاول الجري والتحامل على نفسه وبعد مدة من الزمان أحسها أعوامًا: وصل إلى المكان فحيل بينه وبين الماء فصرخ: أريد أن أشرب ولو قطرة، فقيل له: ارجع فهذا حوض النبي ﷺ ولا يَرِدُهُ إلا الذين أطاعوا الله ورسوله وأخلصوا لله ورفعوا رايته بالجهاد في سبيله.. بالسيف، بالكلمة.. بالقلم، هذا الحوض لمن خشي الرحمن بالغيب، لمن تبع ما أمر به الرسول ﷺ وانتهى عما نهى عنه.. فاذهب.

وألقي بعيدًا، كان العرق قد بلغ ركبتيه فوخزه قلبه، تذكر كم كان في الدنيا يشمت بالعابدين، كم مرة استهزأ بالملتزمين، ورماهم بالتعقيد والانحطاط، تحسر على نفسه حينما تذكر أنه كان يفتخر بالسفر إلى بلاد الفجور والكفر، كان يعدها مفخرة، صرخ: ما أغباني، عض أصابع الندم، جحظت عيناه، وهو يتذكر أنه في سفراته تلك قد اغترف من نهر الشهوات إلى أن ارتوى؛ فحيل بينه وبين هذا النهر فصرخ: تَعْسًا لي، ما أحقر أحلامي كلها كانت في الدنيا، يا ويلتاه ما أشقاني.. وخر مغشيًا عليه، وحينما أفاق كان قد أبعد بعيدًا عن النهر فأخذ يركض لاهثًا.. يخوض في عرقه وكان في كل لحظة يتمثل الفزع أمام عينيه يكاد أن يتمزق ولسانه قد أصبح عظمًا وفي أثناء ذلك رأى من بعيد ظلاً كبيرًا باردًا فيه جمع غفير من الخلق يستظلون به.. فقال في نفسه: هؤلاء مرتاحون ونحن نعاني من هذا الحر والعذاب، لماذا لا أذهب معهم؟ اتجه نحوهم يجرجر نفسه من عذاب إلى عذاب، أنفاسه لا يكاد يستردها لكثرة ما لاقاه من النصب والتعب وحينما اقترب من الظل سمع صوتًا شجيًا يرتل قوله (تعالى): ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ



﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]، فعرف الصوت، إنه صوت حبيبه.. ابنه.. فلذة كبده، فناداه: ابني تعال، انتشلني من هذا العذاب، لا تجعلهم يطردونني كما طردوا غيري، فقال الابن: لست بأبي، فقال الأب: أنا أبوك في الدنيا تذكر جيداً.

فقال الابن: لست بأبي لا أعرفك، وهذا الظل لا يستظل به إلا من كان فيه صفة من سبع يعرفهم الله وملائكته، وأنت لست منهم.

تذكر أنه لم يعدْ شيئًا يذكر يوضع له في ميزان حسناته، فصلاته لم تكن كاملة، وليس فيها خشوع، والزكاة لا يخرجها كاملة، الصدقات تمنعه نفسه الشحيحة من الجود بها، الصوم لم يكن لوجه الله، بل عادة اعتاد عليها، لم يخطر على باله الحج أو العمرة على كثرة أمواله، كان يفضل أن يسافر إلى الدولة التي سوف تشبع رغباته ويسوّف بالحج والعمرة.

ارتعدت فرائصه حينما رأى الصحف تتطاير في الهواء، ولفت نظره ابنه قادمًا من بعيد بوجه كأنه فلقة القمر، يحمل كتابه بيمينه، يكاد من الفرحة أن يطير في الهواء يصيح فرحًا في كل من يقابله من الخلق أو الملائكة قائلاً: هاؤم اقرأوا كتابيه .. هاؤم اقرأوا كتابيه .. فبلع الأب ريقه الذي أشفى على الجفاف، ونظر إلى يده الشمال وكأنه يحذرها أن تلتقط الكتاب، ورفع يده اليمين واقترب متعثرًا لاهثًا وأمسك بكتابه فنظر فإذا هو ممسك به بالشمال.. صرخ ... وخرّ راكعًا، وهو يقول: ما أغنى عني ماليه، وتحسر في نفسه وهو يردد: هلك عني سلطانيه، كانت صرخاته تتردد في أعماقه وصداها قد ضج به الكون فانتكست رجلاه، وأصبح خلفه أمامه، وأمامه خلفه، فسقط في هاوية عظيمة ليس لها قرار وهو يصيح .. لا .. لا .

في تلك اللحظة كان قد سقط عن سريره، وسمع أهله صرخته فأقبلوا عليه، أخذه ابنه وضمه إلى صدره وقرأ عليه قرآنًا فهدأ واطمأنت نفسه، فتح عينيه، وحينما تيقن أنه لا يزال حيًا، وأن الذي مر عليه إنما كان حلمًا خر مغشيًا عليه من الفرحة، ولكنه ما لبث أن أفاق مبتسمًا عازمًا على إعادة حساباته من جديد!.

المسلمون والعالم



الصراع العربي (الإسرائيلي) تحت الرايات العلمانية:

خمسون عامًا من الفشل..!

(١ - ٢)

تجري الاستعدادات في دولة اليهود على قدم وساق للاحتفال في العام القادم بذكرى مرور (٥٠ عامًا) على إعلان (دولة إسرائيل) تلك الدولة المسخ التي زرعتها أحقاد الغرب، بينما تعهدتها بالرّي والنماء أخطاء العرب.

نعم، فما كانت (إسرائيل) لتبقى وتعلو، أو لتوجد أصلاً، لولا سلسلة من أخطاء تترادف، وخطايا تتراكم، ممن وضعوا أنفسهم في واجهة هذا الصراع الديني الاعتقادي، حيث تعمد هؤلاء ـ عن سابق إصرار وترصد ـ أن يفرغوا هذا الصراع من محتواه الاعتقادي وخلفيته الدينية من جانبنا، في مقابل تعمد الآخرين ـ عن سابق إصرار وترصد أيضًا ـ أن يصبغوه بالصبغة العقائدية في كل جزئياته، بدءًا من اختيار اسم هذه الدولة (إسرائيل) ورمزها (نجمة داود) ودستورها (التوراة والتلمود) وشعارها (أرض الميعاد) وحلمها التاريخي إعادة بناء (هيكل سليمان) في (أورشليم القدس) حيث يتطلع اليهود لمجيء ملك من نسل داود يحكم العالم!.

أما بنو قومنا، فتحت الرايات العلمانية المتعددة، قد جدوا واجتهدوا في إبعاد الإسلام عن المعركة، وإقصاء القرآن عن توجيهها، وتنحية العقيدة الحقة عن مواجهة العقيدة الباطلة، بل بالغوا في ذلك حتى استبعدوا المسلمين غير العرب من المشاركة في المعركة ابتداء، فأطلقوا على هذا الصراع: (الصراع العربي الإسرائيلي) مرة، و(معركة القومية العربية) مرة أخرى، و(أزمة الشرق الأوسط) مرة ثالثة. بينما كان في الإمكان حشد الأمة الإسلامية كلها خلف الأمة العربية في هذا الصراع الحضاري المصيري بين أمة الإسلام وأمة يهود.



عبد العزيز كامل

ولكن الذي حصل ـ ولا يزال يحصل ـ أن القيادات العلمانية تصر على التصدي لمعركة ليست لها ولا أهلها، وتأبى التنازل عن مبادئها المنافية للدين، على الرغم من كل أنواع الفشل الذي جرَّته على الأمة عبر خمسين عاماً من عمر هذا الصراع.

ولما كانت هذه الأعوام الخمسون قد انقضى نصفها في الحروب الخاسرة، بينما انقضى نصفها الآخر في عمليات السلام الفاشلة، فسوف نبدأ أولاً باستعراض جولات تلك الحروب في النصف الأول من عمر الصراع (١٩٤٨ ـ ١٩٧٣م) ثم نثنِّي بمسارات ومراحل العملية السلمية في المرحلة الثانية من (١٩٧٣ ـ ١٩٩٧م).

الجولة الأولى: حرب أيار (مايو) ١٩٤٨م: انتهت هذه الحرب إلى نتيجة مذهلة؛ إذ تعرضت سبعة جيوش تابعة لسبْع دول عربية لهزيمة منكرة، لا أقول أمام جيش لدولة واحدة، ولكن أمام عدة منظمات يهودية شبه عسكرية، وهي تلك التي تم توحيدها بعد ذلك تحت اسم (جيش الدفاع الإسرائيلي) فما الذي حدث..؟

يمكننا التعرف على ذلك من خلال اللقطات التاريخية التالية:

● بعدما أصدرت الأمم المتحدة قرارها الظالم في نوفمبر ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، سارع القادة السياسيون العرب إلى اتخاذ قرار بدخول حرب شاملة لـ(تأديب) عصابات اليهود، وكان ذلك القرار حماسيًا ارتجاليًا، لم يسبقه إعداد أو تخطيط، وقد عارض القادة العسكريون قرار الحرب بشدة في هذا التوقيت، وحذروا منه أشد التحذير.

• فوجئ القادة العسكريون باتخاذ القرار السياسي الفعلي بالحرب، قبل بدء تلك الحرب بيومين أو ثلاثة، في وقت لم يكن لدى معظم الجيوش العربية حتى ميزانية تسمح بدخول حرب، ولم يكن قد جرى تدريبها بعدُ على الدخول في حروب شاملة.

• اجتمع رؤساء أركان كل من (مصر والعراق والأردن وسوريا ولبنان) قبل الحرب وأعلنوا الاتفاق على إعداد ما لا يقل عن خمس فرق عسكرية كاملة الاستعداد والتسليح مع ستة أسراب من المقاتلات والقاذفات، بحيث تكون جميعًا خاضعة لقيادة عربية موحدة، ولكن هذا الاتفاق لم ير النور، فلم يتم إعداد الفرق، ولم تدبر الأسراب ولم توحد القيادة!

• لم توضع خطة منسقة للجيوش العربية لخوض الحرب، بل حُدد لكل جيش هدف يصل إليه، وأُجِّل التنسيق إلى ما بعد وصول كل جيش إلى هدفه!

• لم يتجاوز عدد الجنود العرب الذين سيقوا إلى الحرب خمسة عشر ألف جندي، في حين حشد اليهود نحو ستين ألف مقاتل مجهزين تجهيزاً كاملاً للمعركة التي لم يقرروا هم البدء فيها.

• دخلت الجيوش العربية الحرب في ١٥ مايو ١٩٤٨م، دون أي معلومات عن العدو، بل كانت غالبية تلك الجيوش تقاتل في أرض تجهل طبيعتها وطريقة القتال فيها.

• كان الفيلق الأردني هو الأجود من حيث التدريب والتسليح، ولكنه ـ مع الأسف ـ كان تحت قيادة الجنرال البريطاني النصراني «جلوب».

• بالرغم من كل هذا، فقد دفعت العاطفة الإسلامية الجنود العرب إلى إحراز عدة نجاحات في بداية الحرب، كادت أن تحوّل الدفة لصالحهم ضد اليهود المعروفين بالجبن الشديد في القتال، ولكن حكومتي (بريطانيا وأمريكا) أحستا بذلك الخطر، فسارعتا إلى دفع مجلس الأمن الدولي إلى إصدار قرار بفرض الهدنة اعتباراً من يوم ٨ يوليو ١٩٤٨م ولمدة شهر كامل.

• مرة أخرى سقط السياسيون في العجلة، ووافقوا على الهدنة،





فتنازلوا بذلك لليهود عن عنصر المبادأة أو المبادرة، وحرص العرب على أن يظهروا بمظهر الحريص على احترام (الشرعية الدولية)! التي لم تحترمهم، والتي زرعت اليهود في أرضهم.

● حرص اليهود على استغلال كل دقيقة من فترة الهدنة لتغيير موازين القوى لصالحهم، وسخروا أشد السخرية من غباء القرار العربي بقبول الهدنة، حتى إن «مناحم بيجن» كتب وقتها يقول: «إننا لا نعرف حتى الآن كيف ولماذا قبلت الدول العربية الهدنة، بعد أن كان الموقف العسكري في صالحها تمامًا»!

● بعد انتهاء شهر الهدنة، كان اليهود قد نجحوا في تسلم زمام المبادرة سياسيًا وعسكريًا، ثم بدؤوا في حرب استنزاف للجيوش العربية كلاً على حدة، فقد عادت الحرب ثانية، وكان اليهود هم البادئون هذه المرة، فنفذوا ضربة جوية مفاجئة لمطار العريش في (مصر)، وهو المطار الذي كان يعتمد عليه الجيش المصري؛ لأن بقية المطارات كانت خاضعة للمحتل الإنجليزي، ثم أعقب ذلك قصف جوي لتجمعات الجيش البرية في كل قطاعات القتال مما أدى إلى حالة من الفوضى والارتباك.

● بعد أن حقق اليهود قدرًا كبيرًا من النجاح وأصبحوا في حاجة إلى فرصة لالتقاط الأنفاس، أصدر مجلس الأمن قرارًا ثانيًا بالهدنة، واستجاب العرب مرة أخرى فأعطوا لليهود فرصة ثانية للمزيد من لمِّ الشمل واستعادة النشاط!

● عادت الحرب للمرة الثالثة بمعارك متفرقة هنا وهناك، إلى أن أصدر مجلس الأمن قراره الثالث بإيقاف الحرب نهائيًا بعد أن فشلت كل الجهود العربية في إجلاء اليهود عن الأراضي التي احتلوها في فلسطين، وهو ما يعني بعبارة أخرى: الهزيمة في تلك الحرب والفشل في تحقيق أي من أهدافها!

ومما يجدر ذكره هنا، أن عقد الأربعينات الذي جرت فيه تلك الحرب،

قد شهد انتعاشًا في الشعور بالانتماء القومي العربي، حيث بدأ العرب وقتها في الفصل بين مفهومي (الأمة العربية) و(الأمة الإسلامية) وتُوِّج هذا الشعور القومي بإنشاء (الجامعة العربية) ردًا على من كانوا ينادون بالعودة إلى (الجامعة الإسلامية).

الجولة الثانية: حرب ١٩٥٦م:

جاءت الجولة الثانية بعد أن آلت السلطة في بعض الدول العربية إلى أنظمة ثورية، دعت نفسها بالتقدمية، وكان النظام الثوري العسكري في (مصر) هو المتزعم لها، وقد عدَّ من أهدافه الرئيسة المعلنة: تحرير (فلسطين) والقضاء على دولة (إسرائيل)، وجعل من هذا الهدف ـ إلى جانب توحيد العرب تحت راية القومية العربية ـ قضية يبني بها المجد والزعامة، فماذا كان مسلك الثوريين العساكر بعد أن تسلموا دفة الصراع مع اليهود..؟ هذا ما توضحه المشاهد التاريخية التالية:

● كان أول عمل قام به (قائد الثورة) «جمال عبد الناصر» بعد تسلمه منصب الرئاسة رسميًا هو تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٥٦م، وكان ذلك قرارًا دعائيًا اتخذ دون دراسة أو تحسب لما يمكن أن يترتب عليه من نتائج، وقد جاء رد فعل على تصريح لوزير الخارجية الأمريكي وقتها «فوستر دالاس» قال فيه: إن الاقتصاد المصري منهار.

● ثار الغرب لهذا القرار، وخاصة ما كان من (إنجلترا وفرنسا) حيث أخذتا في الإعداد لإجراء حاسم وتواترت الأنباء عن حشود إنجليزية وفرنسية في (قبرص) استعدادًا لعمل عسكري ضد (مصر) بالاشتراك مع دولة اليهود، ولكن «عبد الناصر» لم يكترث، ولم يأخذ هذه التهديدات مأخذ الجد، بل كان هناك استرخاء عسكري بالرغم مما يجري، حتى إن القيادة المصرية خففت من أعداد القوات المعدة للقتال لأسباب غير مفهومة.

● عندما بدأت نذر الحرب كان اليهود يحتفظون بالتفوق العسكري مقارنة بالإمكانات المصرية التي يفترض أنها أكبر وأقوى الإمكانات

المسلمون



والعالم

العربية، فقد كان التفوق ظاهراً حتى في الجانب العددي البشري، فكان التفوق في المشاة بنسبة ١ : ٣ لصالح اليهود، وفي القوات البرية (الدبابات) بنسبة ١ :٨ر١ لصالح اليهود، وفي سلاح المدفعية بنسبة ١ : ٥ر٢ لصالح اليهود أيضاً.

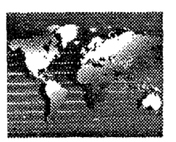
● نسق اليهود جهودهم مع حلفائهم استعداداً للحرب، فاتفقوا مع فرنسا على تأمين الغطاء الجوي الكافي للمدن الإسرائيلية وعلى أن يتولى السلاح البحري تأمين حراسة السواحل الإسرائيلية، وأن تشارك القوات الفرنسية بالقتال ضد أي دولة عربية تدخل الحرب إلى جانب (مصر)، وأُسند إلى السلاح الجوي البريطاني مهمة تدمير الطيران المصري على الأرض.

● وأخيراً اقتنعت القيادة الثورية بأن أمر الحرب جد لا هزل فيه، فبدأت في تركيز الجهود على حماية سيناء من الشرق، بينما أهملت الجبهة الجنوبية إهمالاً مريباً، حيث كان من الغريب أن يخصص لهذه المنطقة الحيوية نحو ١٢٠ جندياً من المشاة لحمايتها!!.

● وبدأت الحرب في ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦م بمهاجمة الخط الأقل خطراً في نظر القيادة المصرية، وهو المنطقة الجنوبية من سيناء، وأعلن اليهود أنهم يقاتلون على بعد ٤٠ كيلو متراً من قناة السويس، حتى يعطوا الذريعة لكل من إنجلترا وفرنسا للتدخل العسكري، بحجة حماية حرية الملاحة الدولية في قناة السويس.

● وبالفعل أقدم سلاح الجو البريطاني على ضرب الطيران المصري على الأرض، واضطر المصريون للقتال دون غطاء جوي على مختلف المحاور، وأبلى المقاتلون المصريون بلاءً حسناً في القتال، لولا أن الأوامر صدرت من القاهرة، للقوات الرئيسة بالانسحاب بعد إنذار أرسلت به إنجلترا وفرنسا، وبدأ الانسحاب ليلة ٣١ أكتوبر ١٩٥٦م، من قطاع إثر قطاع مما سبب حالة من الارتباك والاضطراب.

● وفي ظل غياب أي غطاء جوي أو طبيعي من جبال أو أشجار، كان



الانسحاب شاقًا ومكلفًا، فقد أصبحت القوات المنسحبة هدفًا مكشوفًا أمام الطائرات النفاثة المغيرة والمحملة بكل أنواع الأسلحة المدمرة والحارقة.

وهكذا انتهت الحرب بهزيمة الجيش المصري وإهانته في حرب بدأتها الدعاية وأوصلها الغرور إلى أسوأ نهاية، فقد احتُلت سيناء ولم تنسحب إسرائيل منها إلا بعد أن ضمنت السماح لها بالملاحة في خليج العقبة كيف تشاء.

وكان لـ (بريطانيا) (صديق العرب المفضل دائمًا) الدور الأكبر في تقديم الجيش المصري لقمة سائغة لإخوان القردة والخنازير.

الجولة الثالثة: حرب يونيو ١٩٦٧م: هي الحرب الثانية في العهد الثوري التقدمي الوحدوي الاشتراكي... العلماني! وقد كانت عارًا لم تُمسح آثاره إلى اليوم، حيث كان الهدف الرئيس لها احتلال القدس، فتحقق الاحتلال، ولم يتم التحرير إلى اليوم لا سلمًا ولا حربًا. وهذه بعض المشاهد التاريخية للكارثة التي سميت زورًا (نكسة)!

● تضخم الغرور في الذات اليهودية بعدما تم إحرازه من انتصارات رخيصة على شعوب مغلوبة على أمرها، ولم تكد تنقضي عشر سنوات على حرب ١٩٥٦م حتى تفتحت شهية اليهود لحرب جديدة، ففي شهر ديسمبر ١٩٦٦م أعلن «ليفي إشكول» رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت، نية بلاده في دخول حرب جديدة ضد العرب وهدد بغزو (سوريا)، في لهجة جديدة وغير معهودة من اليهود المتظاهرين أبدًا بالمسكنة والاستضعاف.

● وفي عام ١٩٦٧م لم ينقض شهر نيسان (إبريل) منه حتى كان اليهود قد نفذوا ما توعدوا به؛ فشن سلاحهم الجوي هجومًا ضخمًا ضد (سوريا)، وفي الشهر التالي هدد الهالك «إسحاق رابين» بدخول دمشق، بعد افتعال مشكلة وأزمة بسبب تحويل مجرى نهر الأردن، وقيام أعمال فدائية ضد دولة اليهود من داخل (سوريا).

● وكان هذا الهجوم الإسرائيلي ضد (سوريا) رسالة موجهة أيضًا إلى





(مصر)، التي كان قادتها منهمكين أو غارقين في المستنقع اليمني، حيث الحرب الظالمة التي أقحم فيها الجيش المصري للقتال هناك نصرة للقوى (التقدمية) ضد القوى (الرجعية)! وبدلاً من أن تتنبه تلك القيادة للخطر، وتسعى لحشد القوة ضد العدو الحقيقي المتربص من وراء الحدود، اكتفى الثوار بنشر قوات بغرض الردع والتخويف واستعراض القوة في (سيناء).

● اعتبر اليهود ذلك الاستعراض بمثابة إعلان حرب من (مصر)، وأعلن « موشي دايان » وقتها أن (مصر) هي العدو الحقيقي وليست (سوريا)، وأن على (إسرائيل) أن تتفرغ لحربها وأصبح قرار الحرب في إسرائيل في حكم المنتهى منه، ولم يبق إلا انتظار الذريعة المناسبة.

● ومرة أخرى قدم النظام الثوري الذريعة لليهود المتربصين، فصدر قرار بمنع الملاحة في خليج العقبة الذي تنتقل منه البضائع من وإلى (إسرائيل). وانتشرت القوات المصرية على خليج العقبة بعد انسحاب قوات الطوارئ الدولية منه، وزاد الطين بلة أن جرى الإعلان عن توقيع ميثاق دفاع مشترك بين (مصر) و(الأردن) بالرغم من الخلافات التي كانت قائمة بينهما.

● لم يعد هناك وقت للتفكير لدى دولة اليهود، فشكّل رئيس وزرائها حكومة حرب وأدخل فيها « موشي دايان » وزيراً للدفاع، لينفذ توعده بالانتقام من (مصر)، وكانت القوات الإسرائيلية قد أتمت استعداداتها التي بدأتها منذ زمن لخوض الحرب الشاملة في حين كانت القوات المصرية غير مستعدة حتى مساء الرابع من يونيو من العام نفسه.

● وفي صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧م، قام اليهود بشن الحرب، معلنين أنهم في وضع دفاع عن النفس بعد أن حشدت مصر قواتها في سيناء، وأغلقت خليج العقبة؛ وأحلت قواتها محل قوات الأمم المتحدة، وبدأ اليهود في توجيه ضربة جوية مفاجئة ضد القواعد الجوية العربية في كل من (مصر) و(سوريا) و(الأردن) و(العراق)، وأطلق على هذه

العملية (ضربة صهيون)!

● انطلق الطيران اليهودي كله من مرابضه (١٥٠ طائرة) وتوجه نحو ١٩ قاعدة مصرية جوية موزعة في أنحاء (مصر) (الدلتا ـ سيناء ـ الصعيد) لتدكها وهي على الأرض وبعد خمس عشرة دقيقة من بدء الحرب كان الجنرال «مردخاي هود» قائد سلاح الجو الإسرائيلي في لقاء مع ممثلي الصحافة الإسرائيلية والعالمية، حيث زف إليهم البشرى بتلك المذبحة الجوية وقال: لقد دمرنا الحصيلة الكبرى من طائرات العدو، منها (٣٠٩) طائرة في (مصر) ، و(٦٠) طائرة في (سوريا) ، و(٢٩) طائرة في (الأردن) و(١٢) طائرة في (العراق)، وطائرة واحدة في (لبنان)، في حين لم تخسر (إسرائيل) إلا (١٩) طائرة!!.

● يعود السبب في هذا الحدث المفجع في تاريخ الحروب الحديثة إلى عدد من الأخطاء الفادحة التي وقعت فيها القيادات العربية، ومنها:

إساءة تقدير قوة العدو، وإهدار الاستفادة بالقدرات الذاتية، ويعود أيضاً إلى سبب آخر مهم، وهو: أن القيادة المصرية كانت قد قررت القبول بتلقي الضربة الأولى نزولاً على نصائح (السوفييت)، حيث قدرت الخسائر المتوقعة في حال تلقي الضربة الأولى بما يتراوح بين ١٥ ـ ٢٠٪ من مجموع القوة الجوية العربية، واعتبرت القيادة السياسية هذه النسبة ضئيلة، وتُعد تضحية مقبولة في مقابل إظهار (إسرائيل) بمظهر البادئ بالعدوان أمام الرأي العام العالمي!!!

● أما الحرب البرية الرئيسية بعد ذلك، التي دارت رحاها في سيناء، فيكفي أن نتصور ساحة قتال مكشوفة أمام طيران معادٍ، يصول ويجول فيها وينتقي الأهداف التي يشتهيها دون أي عائق من جيش مأمور بالانسحاب لا بالمقاومة!

● وبالرغم من كل عوامل الفشل التي بدأت بها المعركة، إلا أن دفاعاً مستميتاً من الجنود، حاول في بعض الجهات مقاومة الهزيمة ببسالة نادرة،

المسلمون



والعالم

حتى إن القادة الإسرائيليين أنفسهم اعترفوا بحدوث موجة من الاضطراب سادت صفوفهم في المحور الشمالي بسبب المقاومة العنيفة.

● وأجمع عسكريون كثيرون على أن القيادة العسكرية المصرية لو كانت قد دبرت هجمة مضادة لإجهاض الهجوم الإسرائيلي في ذلك الوقت لكان لذلك تأثير في تغيير مجرى المعركة غير أنها أصيبت بالشلل المعنوي بسبب الضربة الجوية المفاجئة فاكتفت بإصدار أوامر الانسحاب، مما تسبب في فقد الجيش المصري لـ ٨٠٪ من سلاحه، وفقد عشرة آلاف جندي، وألف وخمسمئة ضابط، ووقوع خمسة عشر ألف جندي، ونحو خمسمئة ضابط أسرى في يد العدو، ولم تتوقف الحرب على الجبهة المصرية إلا بعد أن طلبت مصر وقف إطلاق النار على جبهتها معلنة بذلك التسليم بالهزيمة.

● التفت اليهود بعد ذلك إلى الجبهة الأردنية، فاحتلوا الضفة الغربية، فطلبت الأردن وقف إطلاق النار وسلمت بالهزيمة، ثم اتجه اليهود إلى سوريا واحتلوا مرتفعات الجولان مع قاعدتها مدينة القنيطرة، ثم أعلن عن وقف إطلاق النار؛ وبذلك انتهت الجولة العسكرية الثالثة، وأعلن الرئيس المصري أنه يتحمل مسؤولية الهزيمة؛ وأنه لذلك سوف يتخلى عن السلطة، ولكن الجماهير التي خدرتها الشعارات الثورية، تقبلت الهزيمة والتضحية بالأرض والدم والوطن، ولكنها لن تقبل التفريط في الزعيم ولو قادها إلى الجحيم!.

الجولة الرابعة: حرب أكتوبر ١٩٧٣م: درجت أوساط كثيرة على وصف حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م بأنها حرب (التحريك) وليست حرب (التحرير) كما اشتهرت على الألسنة. ومن العجيب أن الرئيس المصري الحالي نفسه قد وصفها علناً بذلك الوصف، فهل في الأمر من سر؟! الظاهر أن ذلك الوصف فيه شيء من الصحة، إذ إن الأمور بعد هزيمة عام ١٩٦٧م، كانت تتجه نحو الحل السلمي، حتى إن «عبد الناصر» نفسه قد قبل في



آخر حياته بمبادرة أمريكية للسلام بين العرب وإسرائيل، وهي مبادرة (روجرز) ولكن جو الإحباط بعد أن تبينت الشعوب حجم الكارثة، ومشاعر السخط على القيادات العربية التي تسببت فيها، بالإضافة إلى استمرار احتلال اليهود لما احتلوه في تلك الحرب في (مصر وسورية والأردن وفلسطين)، كل ذلك حال دون إمكانية الإقدام على توقيع معاهدات صلح مع اليهود، تقرهم فيه الزعامات العربية - من موقف ضعف - على البقاء والعيش في أرض فلسطين، كان لا بد إذن من عمل شيء كبير، يكون نقطة انطلاق نحو إنهاء حالة الحرب مع اليهود إلى الآن..!

ولأن هذه الخطوة المطلوبة - أعني إنهاء الصراع مع اليهود - كانت كبيرة في حجمها، خطيرة في أبعادها، ومثيرة في تفاصيلها، فقد كان لا بد من تخفيف وقعها على الشعوب قدر المستطاع وعلى مراحل؛ ولهذا كان الإعداد لحرب (التحريك) التي وُضِعَ لها سيناريو مسبق في ردهات وكواليس السياسة الدولية.



وكان هذا السيناريو يقضي باستعادة الجيش المصري والنظام معه لهيبته باسترجاع جزء من شبه جزيرة سيناء التي أضاعها النظام الثوري نفسه في مرحلة سابقة، وفي الوقت نفسه يحفظ لقادة اليهود ماء وجوههم أمام شعبهم فيلتفون حول هذا النصر، ويفرغونه من محتواه من الناحية العسكرية ثم من الناحية السياسية. وقد تم الأمر على هذا النحو:

في يوم السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م الموافق للعاشر من رمضان ١٣٩٣هـ، اجتازت القوات المصرية قناة السويس، وانتقلت إلى الضفة الشرقية، واقتحمت خط (بارليف) الحصين، لتأخذ مواقع دفاعية بعد عشرة كيلو مترات من شاطئ القناة في داخل سيناء، ولم تعط للقوات المسلحة بعد ذلك أي صلاحية لتتابع تقدمها في سيناء لإكمال تحريرها مع وجود الإمكانية لذلك، حتى إن رئيس الأركان نفسه في الجيش المصري «سعد الدين الشاذلي» قد اختلف مع القيادة السياسية واتهمها بالتواطؤ،

وعاش سنوات طويلة في منفاه الاختياري خارج البلاد.

وبعد عشرة أيام من بدء الحرب وإحراز تلك الانتصارات فيها لصالح العرب، عبرت عدة دبابات يهودية قناة السويس من منطقة (الدفرسوار) وفتحت ثغرة في صفوف القوات المصرية، ثم تتابع تقدم الدبابات اليهودية، وانتشرت على طول القناة من ضفتها الغربية، وحاصرت مدن القناة، وحجزت القوات المصرية في سيناء، وبهذا انقطعت وسائل الاتصال بين قطاعات الجيش المصري، وبدت (إسرائيل) أمام مواطنيها ومؤيديها في الداخل والخارج منتصرة، حيث تمكنت من أسر القوات المصرية كلها في سيناء، والالتفاف عليها؛ بينما كانت الدعاية المصرية والعربية تصور العبور على أنه من أعظم الانتصارات، وانتهت الحرب عند ذلك الحد بإعلان وقف إطلاق النار، في وضع لا يسمح للمصريين بادعاء النصر الشامل، ولا يمنع اليهود من ادعاء الثأر الكامل. وبعد انتهاء الحرب مباشرة بدأ تدشين العملية السلمية بين مصر وإسرائيل في مراحلها المبكرة، وذلك بزيارة قام بها وزير الخارجية الأمريكي (اليهودي) «هنري كيسنجر» لمصر، حيث اتفق مع القيادة على فض الاشتباك بين المصريين والإسرائيليين والاتجاه نحو حل النزاع في الشرق الأوسط بالطرق السلمية.

وهنا أمر ينبغي تنبيه القارئ إليه، وهو أننا لا نشكك في إمكانية تحقيق النصر على اليهود، ولا في إخلاص الجنود الذين قاتلوا وقتلوا، بل لا نقلل من أهمية دور التعبئة المادية والمعنوية للمعركة هذه المرة، ولكننا نعبر فقط عن قناعة بأن هذا النصر الجزئي كان حجة أقامها الله على العرب والمسلمين في إمكان نصرهم على عدوهم ولو كانوا أذلة، وأنه كان يمكن أن يكون نقطة انطلاق نحو نهضة ووحدة عربية وإسلامية شاملة، ولكن أعداء الأمة أصروا أن يجعلوا منه نقطة انطلاق أيضاً، ولكن إلى نكبة وفرقة عربية وإسلامية شاملة... وهذا ما كان في النصف الثاني من عمر الصراع، عبر خمسين عاماً من الضياع.... وللحديث بقية.



دور الرافضة في إندونيسيا



مدخل:

إندونيسيا دولة مسلمة يبلغ عدد سكانها ١٤٧ مليون نسمة، و٦٠٪ منهم في جزيرتي (جاوه ومادوره) ويؤلف المسلمون ٨٩٪ من مجموع السكان وهم من أهل السنة ولغتهم الرسمية الأندونيسية ويدرس إلى جانبها الإنجليزية لغة ثانية. عاش مسلمو إندونيسيا تحت الاستعمار الأوروبي لمدة ثلاثة قرون، وبعد مقاومة طويلة استقلت عام ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٥م، وقام رئيسها الأول «أحمد سوكارنو» بحرب ضد الإسلام بالاستعانة بالشيوعيين والنصارى، حيث فتح لهم مجالات العمل على مصراعيها وقد أسس المسلمون حزب (ماشومي) وهو المجلس الاستشاري لمسلمي (إندونيسيا) برئاسة الدكتور «محمد ناصر» (رحمه الله) الذي تولى رئاسة الوزراء لعدة مرات، ولكن (سوكارنو) حل الحزب عام ١٩٦٠م، واعتقل زعماءه وقادته ونفذ في غيابهم سياسته المعادية للإسلام، وأسس نهج (باتشا سيلا) وهو خليط من البوذية والنصرانية والإسلام وما زالت الحكومة تسير على نهجه في حزب الحكومة (جولكار) الذي نال ــ كالمألوف ــ في الانتخابات الأخيرة أكثرية ساحقة بينما نال (حزب التنمية الموحدة) ذو الاتجاه الإسلامي المرتبة الثانية [١]. ــ البيان ــ

وكاتب هذه السطور ممن عايش انتشار الرافضة في (إندونيسيا) منذ البداية وذلك بعد ثورتهم البائسة [٢] في عام ١٩٧٩م، وشاهد كيف كان موظفو السفارة الإيرانية دعاةً ميدانيين للرفض حتى إن السفير «عبد العظيم» آنذاك كان يتجول في المدن البعيدة، وكانت النواة

١) بتصرف من (قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي) للأستاذ/ القضماني. (البيان)

٢) كما وصفها د. موسى الموسوي في كتابه عن ثورة الخميني بعنوان: (الثورة البائسة).





فريد أحمد

المستجيبة لهذه الجهود فئة الصوفية هناك. وقد بدأت الجهود الرافضية بتبادل الزيارات وإهداء الكتب وعرض الأفلام ونشر مجلة (القدس)؛ مما أثار ألباب الشباب المتحمسين بلهيب الثورة، ومما زاد الطين بلة وجود فئة من المساندين لدعوة التقريب من العلماء المعاصرين. والسفارة الإيرانية تمتلك برامج قريبة المدى وبعيدة المدى وهي تعمل ليل نهار في نشر مذهبها وكان موظفوها يستدرجون الناس في تعاملهم بالظهور بالأخلاق الطيبة، ولما توطدت علاقة «حسين الحبشي» بالسفارة الإيرانية (وهو صاحب المعهد الإسلامي في نانجيل) بدأ يرسل خريجي المعهد إلى (قم) بـ(إيران) عن طريق (ماليزيا) و(باكستان) وبعد أربع سنوات أو أكثر رجع هؤلاء الشباب وأصبحوا دعاة للرفض: بعضهم بالمواربة وبعضهم بالمصارحة، ولما كثر أفرادهم ـ عددهم بالمئات ـ قاموا بتنظيم أنفسهم وتوزيع المهام حسب المدن والحاجة، وذلك بربط المدعوين من عامة الناس بعلماء الشيعة، وبجهودهم المتواصلة قامت أكثر من أربعين مؤسسة شيعية تنتشر الآن في أنحاء البلاد.

دور الرافضة في التربية والتعليم: كانت الضجة نتيجة انتشار توجه الرافضة قد وصلت قمتها في التسعينات بخروج الفتاوى وإصدار الكتب وإقامة المحاضرات والمناظرات، ولكنها هدأت بعد ذلك؛ ويبدو أنهم رأوا تغيير تخطيطهم وبدؤوا ينسحبون من الميدان الدعوي بشكل ظاهر ويعملون عن طريق الحلقات وإقامة المحاضرات العلمية ـ بزعمهم ـ وبالتعليم المنظم؛ فظهرت جامعة في (بونجيت جاكرتا) باسم (الزهراء)

يمولها أحد رجال الأعمال (اسمه فاضل محمد) وحلقات كثيرة، منها حلقة في (جيبنانج تشمبيداك) كل ليلة سبت، وظهر معهد (مطهري) في (باندونج) يرأسه « جلال الدين رحمت » (دكتور في السياسة من أستراليا) وظهر معهد خاص في (بكالونجان) يرأسه « أحمد بارقبة » (زعيم الرافضة حاليًا بلا منازع)، ولكن الناس ممن يقيمون حول المعهد قاموا بتخريبه، فأغلق ثم فتح مرة أخرى، وهو يشرف على الدعاة الروافض، ويقوم كذلك بالجولات التشييعية أيضًا، كما ظهر معهد الحجة في (جمبر) أشرف عليه « عشماوي »، وتنتشر أيضًا عشرات المعاهد الأخرى التي تقوم ـ الآن ـ بمهمة تعليم التشيع أمثال المعهد الإسلامي (YAPI) (بانجيل). وظهرت مؤسسات تربوية أخرى شبه رسمية تدرس فيها مواد شيعية؛ كما قاموا بإدخال الأساتذة الشيعيين إلى الجامعات والمعاهد والمدارس؛ لينشروا عقائد الشيعة بطريقة المقارنة أو ما يسمى التقريب بين السنة والشيعة؛ ومعلوم أن هذه الأساليب تجري لتمرير عقائد القوم ومنطلقاتهم المخالفة لأهل السنة[1].

دور الرافضة في الإعلام : إن من أنجح السبل التي اتخذها الرافضة في نشر عقائدهم : طباعة الكتب عن طريق دور نشر متعددة، منها : (الميزان) في باندونج، و(فردوس) و(الهداية) في جاكرتا، وغيرها كثير جداً، وأخطر الكتب إطلاقًا :

١ ـ المراجعات وهي عبارة عن حوار مختلَق بين عالم الشيعة « عبد الحسين شرف الدين » وعالم السنة شيخ الأزهر « سليم البشري »[2].

٢ ـ السقيفة أول افتراق الأمة لـ « عمر هاشم » (طبيب في لمبوغ) من الحضارمة العلويين.

٣ ـ ثم اهتديت لمؤلفه د. « محمد التونسي » وهو عبارة عن تصورات

١) انظر (مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة) د. عبد الله القفاري ، مجلدان .

٢) انظر (البينات في الرد على أباطيل المراجعات) للأستاذ محمود الزعبي وهو رد على مراجعات) المدعو (عبد الحسين) ا الموسوي .



صوفي مغفل يظهر تأثره ببدعيات الشيعة فيتحول لمذهبهم والقصة فيما يبدو ملفقة مصطنعة [١].

وهناك مجلات تصرح بوضوح أنها تدعو إلى التشيع أمثال مجلة القدس التي تصدرها السفارة الإيرانية، ومجلة الحكمة التي يصدرها «جلال الدين» وبطانته من (باندونج) ومجلة الحجة التي يصدرها «عشماوي» من (جمبير) ومجلات أخرى لا تصرح بتشيعها لكنها تدعو إلى ذلك بطريقة غير مباشرة. وهناك مجلاتٌ الأمر جلي في خطوط سياستها أمثال مجلة (الأمة) من جاكرتا.

دور الرافضة في الحكومة : ولما رأى الرافضة محاولات أهل السنة لمنع عقائدهم عن طريق الحكومة ببيان رسمي استدركوا الأمر وحاولوا الاتصال برجال الحكومة الأقوياء وجعلوهم يزورون (إيران) ليروها عن كثب، ثم يقوموا بحملة دعائية لرئيس الجمهورية، وأقنعو الرئيس حتى وافق على زيارة (إيران) لتوثيق العلاقة الثنائية بين البلدين، وكان الهدف أول الأمر اقتصادياً، ولكن فيما بعد طلبت الحكومة الإيرانية من الرئيس (سوهارتو) القيام بالتعاون التربوي، ولكن الرئيس علق الموضوع حتى يستشير مجلس العلماء، وفي الآونة الأخيرة جاء طلب آخر وبشكل رسمي لإرسال الطلاب الأندونيسيين إلى إيران بالمنح الدراسية ولا ندري هل وافقت الحكومة الأندونيسية على ذلك أم لا؟

دورهم في أوساط المثقفين والعلماء: من المعلوم أن المثقفين الأندونيسيين يحبون الفلسفة؛ فقام بعضهم بتسويق أفكار أساطين الشيعة المتفلسفين لنفث روح الحماسة في الشباب المتحمسين حيث يقيمون الندوات واللقاءات العلمية ـ بزعمهم ـ والدورات ومنها دورة

---

١) انظر مناقشة الأستاذ سعيد الجنيد في كتابه (الشيعة والسنة)، حيث فضح المذكورَ وبين ضحالة علمه ومن خلال كتاباته التي يعتقد أنه مجرد واجهة فيها ليس إلا. لأنها تتبنى شبه الرافضة وتدافع عنها.

المسلمون



والعالم

لمجموعة من العلماء الشباب الناهضين في (جاكرتا) قبل شهر تقريبًا، فدعاتهم نشطون جداً؛ لأنهم متفرغون للتشييع يناقشون المثقفين والعلماء وغيرهم.

سبل مواجهتهم في إندونيسيا:

١ ـ متابعة أعمال الرافضة بشكل عام ومستمر، ومتابعة الكتب المطبوعة والمجلات بشكل خاص ودراستها، وبعد ذلك تنشر الخلاصة من خلال نشرة شهرية بعنوان: معلومات عن الشيعة في (إندونيسيا)، ثم توزع على الجهات المختصة بالمهمة أو الجهات التي تتأثر بالشيعة.

٢ ـ نشر الدراسات الموجزة بالكتيبات عن أضرار عقائد الشيعة وطباعة الكتب التي ترد عليهم.

٣ ـ إقامة الندوات والمحاضرات عن الشيعة التي تكشف حقيقة مذهبهم.

٤ ـ إقامة الدورات الطويلة لإعداد الكوادر التي تهتم بنقد الشيعة.

٥ ـ توفير الكتب والمراجع الشيعية حتى نتمكن من الرجوع إلى أصولها.

٦ ـ نشر الأشرطة المسجلة عن الشيعة.

٧ ـ استضافة العلماء والمفكرين العرب المهتمين بموضوع الشيعة لإلقاء المحاضرات في الدورات الخاصة أو في المدن الكبيرة التي فيها أثر للشيعة.

أما البرامج قريبة المدى فهي:

١ ـ متابعة الكتب والمطبوعات الأخرى التي أصدرها الرافضة؛ ويبدأ بحصر المطبوعات المتداولة في الأسواق، ثم تطبع الخلاصة من هذه الدراسة.

٢ ـ نسخ الأشرطة وتوزيعها مثل: (حقيقة القوم) للأستاذين محمد با عبد الله ونبهان حسين.

٣ ـ عقد خمس حلقات علمية لمجموعة الدعاة في كل منطقة لتوجيههم وزيادة وعيهم والإجابة عمًا لديهم من شُبه.

ومما يسعد كل مسلم قيام معهد الدراسات والبحوث الإسلامية بإندونيسيا وهو مؤسسة خيرية تقوم بمهمة متابعة ومواجهة الفرق

المسلمون



والعالم

المنحرفة وخاصة تيار الرافضة ولهم جهود طيبة في مكافحة التيارات الفكرية المنحرفة.

والله نسأل أن يكفي مسلمي إندونيسيا مخططات الرافضة الفاسدة، وأن يعيننا على فضح الحلف المشبوه بين الرافضة والصوفية.

أيضاً الرافضة يواصلون جهودهم في (شرق إفريقيا):

من ضمن المخططات التي رسمها الرافضة لهذه المنطقة إنشاء جامعة في (كينيا) لتغطي شرق إفريقيا من أجل ترسيخ اتجاهاتهم العقدية، وقد صرح بهذا السفير الإيراني «محمد طبطباني»، وقال: إن هذه الخطة تم الاتفاق عليها منذ ١٩٩٠م بمناسبة التبادل الثقافي، ونشرت صحيفة (استندر) الكينية هذا الخبر في يوم ١٤/٥/١٩٩٧م رقم ٢٥٨١١ ص٤، وبناء على مصادر أخرى تدل على أن الحكومة الإيرانية تسعى لتشييع منطقة شرق إفريقيا خلال ٢٠ سنة، وقد مهدت لهذه الخطة بتقديم المنح الدراسية الكثيرة لأبناء المسلمين ليذهبوا إلى (إيران)، و(لبنان) إضافة إلى فتح مراكز ثقافية في المدن الكبرى مثل (نيروبي)، و(ممباسا) وغيرها إضافة إلى المدارس العصرية في الدول الثلاث، وهم يمارسون أنشطتهم متسترين بشعارات الوحدة، ومحاربة (أمريكا).

وقد تعاطف مع الرافضة معظم الفنانين والعقلانيين والخرافيين، وشكلوا ما يسمى بـ(المجلس الأعلى للعلماء)، ويعقدون مؤتمرات على مستوى شرق إفريقيا، ويضعون استراتيجيات لمحاربة السلفية! التي يسمونها الأصولية ويطلقون على السلفيين عملاء اليهود على حد زعمهم. (عاملهم الله بما يستحقون).

وإن تلك الجهود والممارسات لتستحق الوقفات الواعية، التي تتبعها خطوات جادة من كل مسلم غيور في نطاق ما يستطيع للوقوف أمامها والتعاون مع كل ذي شأن على التصدي لها: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].



اليمن بعد الانتخابات الأخيرة

رؤية متابع

بعد هزيمة الحزب الاشتراكي اليمني في حرب عام ١٩٩٤م، وخروج الحكومة اليمنية فيها منتصرة، كان من المفترض أن تتم مكافأة التجمع اليمني للإصلاح على موقفه الكبير المؤثِّر في تلك الحرب وتجييشه الشارع اليمني لصالح الوحدة وإعطائه للحرب مع الاشتراكي بعداً عقديًا، لكن قيادات المؤتمر الشعبي العام ـ فيما بعد ـ أعطت لكوادر الحزب السياسية والعسكرية والاجتماعية الضوء الأخضر لتحجيم حزب الإصلاح والحد من تحقيقه لأي مكاسب جديدة يتجاوز بها الخطوط الحمراء المرسومة سلفًا؛ وانطلاقًا من ذلك فقد تم إضعاف الوزارات الخدمية التي أُوكِلت إلى الإصلاح بتحديد موازناتها المادية، بحيث لا تسمح لمن يكون على رأسها بتقديم خدمات جيدة للناس؛ خوفًا من زيادة شعبيته ونفوذه، كما تم إضعاف تأثير وزراء الإصلاح داخل وزاراتهم، حتى صار بعضهم ليس له كلمة على صغار الموظفين في وزارته فضلاً عن كبارهم؟

كما أُجْبِرَ حزب الإصلاح في كثير من الأحيان على تنفيذ برامج حكومية تتعارض مع أهدافه ومبادئه.

وتم عمليًا رفض أطاريح الإصلاح لتحسين الوضع الإداري السيئ داخل أجهزة الدولة، ومكافحة السلبيات التي تعاني منها تلك الأجهزة؛ وبالتالي صار عامة الشعب اليمني لا يحسون بنتاجٍ حسن من مشاركة الإصلاح



بقلم: أيمن بن سعيد



في السلطة، هذا إن لم يزدد الأمر بالنسبة لهم سوءاً نتيجة ما سمي بالإصلاحات الاقتصادية بمرحلتيها الأولى والثانية التي طلبها صندوق النقد الدولي من اليمن وتحملت آثارها السلبية عامة الشعب؛ نتيجة زيادة أسعار المواد الأساس مع التدهور المريع للقيمة الشرائية للريال اليمني وقتاً بعد آخر.

الإعداد للانتخابات:

وحين قربت الانتخابات اليمنية الأخيرة التي خطط لها المؤتمر الشعبي العام لصالحه تخطيطاً جيداً؛ نتيجة كونه الحزب الذي بيده كل الإمكانات المالية (أنفق حزب المؤتمر في الانتخابات الأخيرة عدة بلايين ريال) وغيرها مثل: الإعلام والجيش والأمن العام والأمن السياسي والحكام المحليين في المحافظات وجل شيوخ القبائل واللجنة العليا للانتخابات وجل اللجان الفرعية لها.. حين ذاك تم حساب الأصوات جيداً في كل دائرة وأجريت تنقلات لمعسكرات الجيش، حسب ما تتطلبه ظروف كل دائرة انتخابية.

ولقد كان المؤتمر الشعبي العام يهدف من ذلك: تحقيق أغلبية مريحة داخل مجلس النواب، هذا بالنسبة له، أما بالنسبة إلى حزب الإصلاح فقد كان المؤتمر الشعبي العام يهدف إلى تحقيق أمرين:

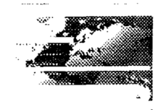
الأول: عدم تجاوز حزب الإصلاح سقفًا محددًا من الأصوات داخل مجلس النواب ـ أي عدد مقاعده في مجلس النواب الماضي ـ لكي يظهر بمظهر الضعيف في الداخل والخارج، وليتم الإثبات للدوائر المهتمة إقليميًا ودوليًا بالصحوة الإسلامية في اليمن أن الصحوة لا تعدو أن تكون أداة طيِّعة تبرز متى احتيج إليها في مواجهة الأعداء، ويهوِّن من شأنها وتقزَّم متى تطلب الأمر ذلك، وليكون ذلك أيضًا ذريعة ـ أمام الشعب اليمني ـ لممارسات التضييق على الصحوة ومكتسباتها بعد الانتخابات.

الثاني: أن يتم منع بعض رموز التجمع اليمني للإصلاح التي يتهمونها بالتشدد العقائدي من الوصول إلى مجلس النواب، وذلك بهدف تحسين صورة اليمن في الخارج كما صرح بذلك مسؤول يمني كبير لصحيفة الحياة ونشرته في عددها (١٢٤٨٠).

ولقد استطاع المؤتمر الشعبي العام بإمكانات الدولة التي بيده أن يسيِّر الأحداث بعد ذلك ويكيفها لصالحه إلى أن حانت الانتخابات وجاءت مرحلة الاقتراع فالفرز فإعلان النتائج، المعروفة: (٢٢٦) نائبًا للمؤتمر الشعبي العام، (٦٣) نائبًا للإصلاح مع المستقلين المؤيدين له، (٣) نواب للوحدوي الناصري، نائبين للبعث العربي الاشتراكي

وللحقيقة فإنه مما ساعد المؤتمر في الوصول إلى هذه النتائج توظيفه بشكل مباشر أو غير مباشر لبعض الرموز الإسلامية وطلابها ممن لهم موقف متشنج من حزب الإصلاح ويسعون إلى تشويه سمعته ورموزه، بل وصل الأمر ببعض أولئك الطلاب إلى مهاجمة دعاة الإصلاح في مقابل الدفاع بشكل مباشر عن حزب المؤتمر ومرشحيه، ويتجاوز الأمر ذلك في أحيان أخرى إلى أن يتحول بعض أولئك إلى دعاة انتخابيين لمرشح المؤتمر؛ بل





تجاوز ذلك إلى حد أن بعضهم رشح نفسه في بعض الدوائر ليحول دون فوز مرشح الإصلاح.

وفي ظني: أن حزب الإصلاح أيضًا قد ساعد المؤتمر الشعبي على الوصول إلى هذه النتيجة سواء من خلال بعض قيادييه المحسوبين على السلطة وهم من العناصر التي تشارك بقوة في صناعة قرار حزب الإصلاح.

أو من خلال التزكية للمؤتمر في أوساط الشعب اليمني وادعاء ألا فروق جوهرية بين الحزبين، بينما في المقابل يَصِمُ المؤتمر حزب الإصلاح بالتشدد ويدعي أحد أمنائه المساعدين أن استلام الإصلاح للسلطة يعني عودة البلاد إلى عصور الظلام!

أو من خلال سوء الاختيار لبعض ممثلي الإصلاح في دوائر كثيرة نتيجة اختياره أشخاصًا لا يحسنون معاملة الناس، أو أفرادًا لا يمتون إلى الالتزام بصلة.

أو من خلال السكوت عن نقد القيادات الفاسدة داخل أجهزة الدولة وعدم بيان عوارها للشارع اليمني ليحذر منها، ويتقي شرها.

أو عدم الوضوح أحيانًا في الانطلاق من رؤية إسلامية جلية في التعامل مع الأحداث، وعدم مخاطبة الشارع بخطاب إسلامي بدلاً من الخطاب الوطني.

ومع إدراكنا للعوائق المانعة داخليًا وخارجيًا على الأقل من وجهة نظر الإصلاح من القيام بتبني هاتين القضيتين الأخيرتين بجلاء، والوقوع في معضلة الحرص على حماية الصحوة ومكتسباتها وما يتطلب ذلك من مداراة الظالمين أو مقارعتهم وما يحمل ذلك في طياته من مشكلات

لا تخفى في بلدان العالم الثالث، إلا أن ما أشرنا إليه آنفًا له دوره فيما آلت إليه النتائج . والله المستعان.

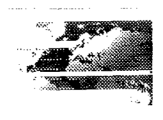
ماذا بعد الانتخابات؟

أعلنت الدوائر المعنية بالأمر في كثير من العواصم الغربية رضاها عن النتائج التي تحققت، وطالبت بمزيد من الانفتاح الذي يعني التحرر من قيم الشعب اليمني ومعتقداته، والسير الحثيث في تبني القيم الغربية وتقاليد الحياة هناك ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ولذا: فإن أبرز القضايا التي من المتوقع أن تبادر الحكومة اليمنية الجديدة إلى تنفيذها ـ فيما أراه والله أعلم ـ ما يلي:

- احتمال العمل على زعزعة بعض مكتسبات الصحوة الإسلامية وأبرزها المعاهد العلمية التي يتهمها بعض من حاد عن الصواب بأنها معاهد تخرج متطرفين يكفّرون المجتمع؛ وهذا ادعاء باطل وشنشنة نعرفها من أخزم.
- تضييق حرية التعبير والكلمة وبخاصة من قبل ذوي المواقف المعهودة من الصحوة والمخالفين لها عقديًا ـ نسأل الله أن يهديهم وأن يكفينا شر ما يخططون له ـ.
- استهداف المرأة اليمنية المحافظة، ومحاولة إخراجها من وقارها وحشمتها، وقد كان ذلك واضحًا في البرنامج الانتخابي (للمؤتمر)، والتصريحات الصحفية لكبار قياداته، كما كان ذلك واضحًا أيضًا من خلال اتهام حزب الإصلاح باضطهاد المرأة ومنعها من حقوقها، وأجلى من كل ذلك: دعوة المتحدث باسم خارجية أعتى دولة غربية القيادة اليمنية





إلى المزيد من تحرير المرأة اليمنية وإعطائها المزيد من حقوقها!

• تشويه صورة الإسلاميين واتهامهم بالإرهاب، وبالتالي إزاحة كثير منهم عن مواقعهم الرسمية والاجتماعية، أو شراء ذمم من يستطاع شراء ذمته منهم. نسأل الله السلامة.

• الدعم القوي لبعض الطوائف البدعية المعادية للصحوة الإسلامية ومكتسباتها، ومد يد العون لبعض فصائل الصحوة الإسلامية التي بينها وبين تجمع الإصلاح اختلافات في بعض وسائل المعالجة والتغيير نكاية بالإصلاح من جهة، وتحسينًا لصورة المؤتمر الإسلامية من جهة ثانية، وتعميقًا للخلاف بين فصائل الصحوة الإسلامية من جهة ثالثة.

المطلوب من الإسلاميين في هذه المرحلة:

في ظني أن المطلوب من الإسلاميين في اليمن في هذه المرحلة الكثير والكثير وفقًا لما يلي:

١ ـ حسن الظن بالله (عز وجل) والثقة به والاعتماد عليه وحده؛ لأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما أصاب العباد لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، والله (عز وجل) عند ظن عباده به فليظنوا به ما شاؤوا.

٢ ـ التوبة والإقلاع عن الذنوب، فما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، قال الله (عز وجل) ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠]، وعلى قيادة الصحوة وعلمائها داخل الإصلاح وخارجه العمل على التخلص من تسويغ كافة الإخفاقات بنظرية المؤامرة ـ مع وجودها ـ ومحاسبة الذات أولاً، والسعي الجاد لاكتشاف الأخطاء وجوانب النقص والقصور، والعمل على معالجتها وتلافيها.

٣ ـ المزيد من العمق في الانضباط الشرعي في اتخاذ المواقف، وعدم الحيدة عن الحق إرضاء للخلق؛ فمن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أسخط الله برضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس؛ وفي اعتقادي أن هذه قضية جوهرية لا بد من استيعابها، والعمل على تصحيح الأخطاء الكثيرة الواقعة حيالها قبل أن يُنْدَم حين لات مندم.

٤ ـ تحويل القناعات النظرية والعلمية في وحدة الكلمة واجتماع الصف لدى فصائل الصحوة الإسلامية إلى مواقف عملية لا تقل عن تنسيق الجهود واتحاد المواقف في القضايا الرئيسة، والتجرد عن الهوى وحظوظ النفس والعقلية الضيقة التي تنطلق من مبدأ: أنَّ من لم يكن معها فهو ضدها؛ لأن الجميع مستهدف، ولا يظنن ظان من أبناء الصحوة أن أخاه هو المستهدف وحده؛ فإن ظن ذلك فقد أُكِل حقيقة يوم أكل الثور الأبيض.

٥ ـ إدراك طبيعة التغيير الذي حصل في المؤتمر الشعبي العام وتحوله من مظلة يجلس تحتها كافة الفئات الشعبية والتوجهات الفكرية إلى حزب أخذ ينحو منحًى فكريًا ويقيم تنظيمًا هرميًا بعد أخذه للأغلبية المريحة ولنا أمل في قيادة المؤتمر ألا يتراءى لها عدم الحاجة في الزمن القريب إلى الحركة الإسلامية التي كانت الوسيلة لمواجهة أعدائها الذين كانوا يحتكمون إلى السلاح كلما لاح الخلاف قبل الوحدة وبعدها.

كما إن لنا أملاً ألا تنجر قيادة المؤتمر إلى التضييق على الحركة الإسلامية تحت تأثير ذوي العداء العقدي أو الشخصي لرموز الصحوة ومكتسباتها، وأن تأخذ في اعتبارها أن الحركة الإسلامية رقم يصعب



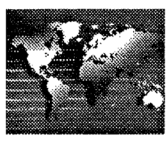
تخطيه. والدخول في محاولة الكبت له قد يقود البلاد إلى حالة من عدم الاستقرار الداخلي ـ نسأل الله أن يكفي البلاد شره ـ وهو ما يتنافى مع متطلبات شعار الإصلاح والتنمية ـ الذي ترفعه الحكومة ومع الاستهداف الخارجي الذي تعاني منه اليمن و(حنيش) خير شاهد.

٦ ـ الاهتمام بالتربية ونشر العلم الشرعي؛ فإن ذلك هو الدرع الواقي من الانزلاق في دركات كثير من المعاصي، وهو السبيل لعبادة الله على بصيرة، والثبات على الحق في مواجهة فتن شياطين الجن والإنس على سواء.

والمتأمل في واقع الحركة الإسلامية المنضوية تحت راية تجمع الإصلاح يلاحظ تهميشاً لهذا الجانب وبخاصة في السنوات الأخيرة، والاكتفاء بمجرد الانضواء تحت راية الحزب والحصول على بطاقته، ولعل هذا هو السر في تأييد كثير من أبناء الشعب اليمني المسلم بقوة لمن لا يُظن في دينه خيرٌ من ناحية فكرية أو سلوكية؛ مما يتطلب من الدعاة الاعتناء بالدعوة والتربية الإيمانية والعمق الكبير في ذلك.

٧ ـ التنويع والتجديد في الوسائل الدعوية المناسبة لكافة أبناء الشعب اليمني ـ مع ضرورة عدم التفلت من الضوابط الشرعية ـ والاعتناء بكافة فئاته وعلى وجه الخصوص المرأة التي يريد لها الأعداء أن تكون سلعة رخيصة يُستَمتَع بها في سوق النخاسة متسترين تحت شعارات الحرية والمساواة بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات.

ومن المتأكد على الدعاة وأهل العلم إدراك جوانب القصور الكبيرة في دعوتهم للمرأة وتعليمهم لها، ومبادرتهم إلى رفع صور الظلم المختلفة التي قد تعاني منها بعض النسوة في المجتمع، وعدم الاكتفاء بالمظاهر الاجتماعية المحافظة وسط النساء اليمنيات في أكثر مناطق اليمن ما لم



تكن تلك المحافظة نابعة من بُعد عقدي لا من مجرد تقليد اجتماعي ـ كما هو واقع الكثيرات ـ لأن أعراف المجتمعات وتقاليدها تتبدل من وقت لآخر، ولعل في تجربة بعض المجتمعات الإسلامية وما كان من الانتكاسات التي أصيبت بها المرأة في محافظتها على دينها ـ مع أن تلك المجتمعات كانت قبل ردح من الزمن أكثر محافظة من المرأة اليمنية في الوقت الراهن ـ لعلَّ في ذلك خير دليل على ما قدمنا.

إيجابيات في الانتخابات:

ولعل من حسنات هذه الانتخابات أنها عادت ببعض رموز الإصلاح العلمية المعروفة بنشاطها الدعوي والتربوي إلى أوساط الناس ليقوموا بواجبهم حيال ذلك.

ولعل من حسناتها أيضًا: أنها قد تكون أعادت الاهتمام بهذا الجانب ـ لدى كثير من الإصلاحيين ـ إلى الموقع الذي يجب أن يكونوا عليه بعد أن كانوا يراهنون على التغيير نحو الأصلح عن طريق المجلس النيابي الذي لا يعدو أن يكون سوى أداة طيعة بيد من بيده سلطة الحل والعقد، فإذا جاوز المجلس قدره فطريقه الحل أو... وتجربة الجزائر خير شاهد. وغيرها كثير مما يعرفه المتابعون.

وختامًا: فالمرحلة القادمة ـ والله أعلم ـ شائكة، والأمر يحتاج إلى اعتماد على الله ولجوء إليه ثم ـ بُعد ـ نظر وروية. والتفكيرُ بهدوء وواقعية لا يعني التنازل عن مكتسبات الصحوة تحت تأثير الجبن والخوف من الأعداء، ولا يعني التهور والوقوع في إشكالات ومواقف غير مسؤولة نتيجة عدم تقدير قوة الصحوة تقديرًا صحيحًا ووضعها في موضعها المناسب؛ لأن جر شباب الصحوة إلى المواجهة هدف لجهات كثيرة في



الخارج والداخل، وتكرار تجارب بعض الدول في القضاء على المكتسبات الإسلامية في المجتمع، والتضييق على شباب الصحوة، وفتنتهم، هَمٌّ للدوائر المعنية بمحاربة الصحوة في بلداننا الإسلامية.

ولذا فإن الفردية في اتخاذ المواقف من قِبَلِ شباب الصحوة أو إحدى الفصائل الإسلامية مرفوضة.

والالتفاف حول العلماء والدعاة الربانيين واجب متحتم.

نسأل الله أن يصلح الأحوال بمنه وكرمه، وأن يحمي اليمن وأهله وعلماءه ودعاته، ويكفيهم شر الأشرار وكيد الفجار، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

إشكالية البلورة الثقافية للديمقراطية



سامي محمد الدلال

مدخل :

تعرض الكاتب في حلقات سابقة إلى عرض رؤية إسلامية لإشكاليات مفهوم الديمقراطية، ثم إلى تحليل إشكالية زاوية النظر للديمقراطية.. فتطرق إلى المقصود بالديمقراطية ومبادئها وتطبيقاتها في المجالات الفردية والجماعية، ثم عرض كيف تختلف النظرة إليها بحسب الناظرين سواء أكانوا حكاماً أم أحزاباً.. وتناول أيضاً اختلاف مفهومها بحسب اختلاف المكان والزمان..

ويواصل الكاتب في هذا المقال عرض أبعاد أخرى لهذا الموضوع المهم. - البيان -



هل تنجح الديمقراطية في بلورة ثقافية ذات أبعاد محددة للمجتمع المحكوم بها؟ وما هي الآليات العملية التي تصيغ تلك البلورة؟ وإلى أي مدى كمّي وكيفي تتغلغل تلك البلورة في المقوِّمات التي تشكل النسيج الثقافي لذلك المجتمع؟ وما أثر كل ذلك على الموروث الحضاري الإسلامي وعلى بعثرة المعالم المؤصلة من الكتاب والسنة في أذهان الإسلاميين النيابيين؟

هذه الأسئلة، وغيرها، تبرز إطار إشكالية البلورة الثقافية للديمقراطية.

وللإجابة على تلك الأسئلة لا بد أن نسبر أغوار التأثيرات الثقافية الناتجة عن الحكم الديمقراطي، مع ملاحظة أننا نخص بالحديث البلاد الإسلامية، إلا ما أشير إليه بخلاف ذلك. وابتداء نتساءل عن طبيعة الإفرازات الثقافية المنبثقة من المجالس النيابية وعن أهدافها.

فأما عن طبيعة إفرازاتها فهي :

● **إفراز ثقافي علماني :**

وهذا أمر بدهي طالما أن ثقافة

الأغلبية البرلمانية علمانية، أي منعتقة عن الالتزام الديني، وقد يكون أصحاب هذه الثقافة العلمانية من المنتسبين للدين الإسلامي أو من النصارى أو من اليهود أو من المرتدين أو من الكفار الأصليين. إن هؤلاء وإن تنوعت مشاربهم الثقافية واختلفت تبعًا لذلك توجهاتهم المعرفية، فإن إطارًا واحدًا يضمّهم جميعًا، أو قل إن شئت: هناك صبغة واحدة تصبغهم جميعًا؛ ذلك الإطار وتلك الصبغة هي العلمانية؛ وبما أن كل إناء بما فيه ينضح، فإن الإفراز الثقافي لهذه (التركيبة) سيكون علمانيًا، قولاً واحدًا!!.

ذو توجه غربي:

إن الثقافة العلمانية، وإن تنوعت مغذياتها، إلا أن الثقافة العلمانية الغربية تحتفظ بمراكز الثقل، وبشكل أكثر تحديدًا أقول: إن النواب الديمقراطيين، وإن كانت ثقافاتهم العلمانية المنتسبة لأدبيات انتماءاتهم الدينية أو المذهبية لها رصيد ما في صياغة أفكارهم التصورية أو إنتاجاتهم الكتابية، إلا أنها لا تشغل إلا حيزًا صغيرًا من مجمل الثقافة العلمانية لديهم، في حين تحتل الثقافة العلمانية الغربية الحيز الأوْفى، حيث إنها النتاج الطبيعي للمناهج التعليمية التي بلورت أفكار وتوجهات أولئك النواب، كما أنها أيضًا نتاج الكم الهائل من دور الترجمة والنشر المرئي والمسموع والمقروء التي تتبنى الضخ اليومي لمفردات وتراكيب الثقافة الغربية العلمانية باللغة العربية واللغات الأجنبية من خلال مؤسسات كبرى استطاعت باستخدام أحدث الوسائل التقنية الوصول إلى جميع الطبقات الشعبية على مختلف أعمارهم ومهنهم وأجناسهم، وإن النواب المشار إليهم يمثلون طلائع ركب تلك الثقافة العلمانية الغربية.

وأما أهدافها فهي:

١ ـ خدمة النظام الحاكم:

لا أتكلم هنا عن المعارضة النيابية، فهي جزء لا يتجزأ من اللعبة الديمقراطية، ولذلك فهي دومًا أقلية، دورها لا يتجاوز المسحة التجميلية التي مهمتها تزيين المهرجان النيابي، لتؤكد للجميع أن الذي أمامهم هو

بالفعل كيان ديمقراطي!!.

أما الأغلبية النيابية فهم لحمة النظام الحاكم وسداه، ويستمدون منه مكوثهم في المجلس، بل المجلس النيابي كله يستمد وجوده أو عدمه، من رضا النظام الحاكم أو سخطه!!.

وبما أن الأنظمة الحاكمة، كلها أو معظمها، أنظمة علمانية، فإن الإفراز الثقافي للمجلس النيابي ينبغي أن يكون منصبًا في دعم ديمومة ذلك النظام وتأصيل علمانيته !!.

وهنا يأتي دور المجلس النيابي في سن القوانين التي تؤكد استمرارية ذلك الاتجاه وتوطّد أطره، وذلك من خلال إتاحة الفرصة المغطاة قانونيًا للجمعيات الثقافية، والأقلام الصحفية والمؤلفات الأدبية والمؤسسات الإعلامية لممارسة جميع التعابير العلمانية التي تسبّح بحمد النظام العلماني الحاكم وتدعم مشروعيته.

٢ ـ صياغة مجتمع علماني غربي المنهج:

لا يستطيع النواب العلمانيون الاحتفاظ بكراسيهم النيابية إلا إذا نجحوا في إضفاء الصبغة الثقافية العلمانية الغربية على المجتمع الإسلامي.

إن واحدًا من التحديات المهمة التي يواجهها النواب العلمانيون هو قدرتهم على مواصلة التقدم في ذلك الاتجاه، وهم يعتبرون أنفسهم في سباق مع الزمن، خشية أن يسبقهم الإسلاميون إلى المواقع المفصلية التي تشكل قواعد الانطلاق في التغيير الثقافي.

إن تطعيم المجالس النيابية بعدد ضئيل من الإسلاميين يساعد كثيرًا في تحقيق تلك البغية، حيث يتخذ العلمانيون من وجود أولئك النواب في المجلس ذريعة يمررون عبرها مشاريعهم الثقافية العلمانية، وعندما يحتدم النقاش يقول النواب العلمانيون: لماذا تعارضون أيها الإسلاميون توجهات الشعب الثقافية؟! لو كان الشعب يؤيد توجهاتكم لكنتم أنتم الأكثرية النيابية، أما وإن الشعب قد قال كلمته وانتخبنا نوابه، فعلينا أن نعبر عن إرادته الثقافية العلمانية! وليس الواقع كما قالوا، إنما هي حجة يتذرعون بها لتمرير القوانين التي يُبث من خلال تطبيقها الفكر الثقافي العلماني على



أوسع نطاق.

إن النواب العلمانيين يحرصون كل الحرص على استغلال سني وجودهم في المجلس للوصول إلى تلك النتيجة، حيث إن نجاحهم في ذلك يضمن لهم أو لأعوانهم من العلمانيين استمرار السيطرة على المجلس النيابي، مصدر سن القوانين ومنبر الرقابة على التنفيذ.

إن الوصول إلى تحقيق تلك الأهداف التي يراد تعميم نتائجها من خلال طبيعة الإفرازات الثقافية المنبثقة عن المجالس النيابية يتطلب حل إشكاليات الصدام بين المنبثق عن المجالس النيابية والمنبثق عن مختلف المنابع الثقافية للأديان والطوائف والأعراق والفئات السياسية المتنوعة، وذلك في المجالات الثقافية التالية:

- الثقافة الدينية (وهي ثقافة علمانية فيما يخص المجالس النيابية).
- الثقافة السياسية.
- الثقافة الفكرية.
- الثقافه الاقتصادية.
- الثقافة العامة.
- الثقافة الاجتماعية والترفيهية.
- الثقافة التخصصية (كالإعلام والمحاماة والهندسة والطب والتدريس وغيرها).

إن الناتج المتوقع من المجالس النيابية هو سعيها الحثيث لصياغة جميع أنواع الثقافة المذكورة صياغة علمانية، ولأجل ذلك: فإنها توفر كافة الإمكانات القانونية والتمويلية للوصول إلى تلك البغية، مع ما يتطلبه ذلك من افتتاح مؤسسات ونواد وشركات ومنتديات وملتقيات ودور نشر ومطابع، وإعداد دورات تدريبية لتخريج (كوادر) وظيفية متخصصة توكل إليها مهمات تحقيق تلك الأهداف في البلورة الثقافية الديمقراطية العلمانية.

فما هو التجهيز والإعداد لدى الإسلاميين لمقابلة هذه البلورة الثقافية الديمقراطية؟!!.

إن الحكم بالديمقراطية يوفر إمكانات النجاح للخط الثقافي العلماني من خلال قنوات كثيرة، منها:

- مناهج التربية.
- مناهج الإعلام.
- مناهج الترفيه.

• امتلاك وسائل النشر .

• التغطية المالية المقتدرة.

• الدعم البشري التخصصي على المستويين المحلي والدولي.

علماً أن مشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية لا تستطيع توفير السيطرة على أي قناة من القنوات المذكورة؛ لأنهم أقلية في المعتاد، وإذا حصلوا على الأغلبية تحركت جحافل الملأ فصادرت الديمقراطية (كالجزائر مثلاً).

وعلى العموم، فإن الامتداد الثقافي الإسلامي عمقاً ومساحة يحمل في طياته حالياً كثيراً من عوامل الوهن، منها :

• عدم امتلاكه قرار وضع المناهج التربوية في المحافل التعليمية (المدارس والجامعات والدراسات العليا). ولذلك فهو يمارس توجيهاً تربوياً محدوداً لا يتجاوز غالباً مجموع الأفراد المنتسبين إليه، وحتى هذا التوجيه فيه خلل ودخن.

• افتقاره للإمكانات والمنابر الإعلامية مما يؤدي إلى محدودية صدعه الثقافي.

• عدم جديته في استغلال المساحات المتاحة لتوفير مناهج ترفيهية ذات مضمون وتوجيه إسلامي ثقافي.

• تعثره في استغلال وسائل النشر الثقافي؛ وذلك لأسباب ذاتية وأخرى خارجية من أهمها مقص الرقيب الإعلامي الحكومي.

• ضعف الموارد المالية المخصصة للبث الثقافي الإسلامي.

• قلة أعداد الفريق البشري التخصصي في المجالات الثقافية المختلفة، إضافة إلى تواضع الخبرات وضعف استغلال التقنيات الثقافية المتطورة.

وبناء على ما تقدم، فإن محصلة الصراع هي في صالح بلورة ثقافية علمانية في ظل الأنظمة الديمقراطية الحالية؛ ذلك أننا إذا اعتبرنا أن طرفي الصراع هما الإسلاميون والعلمانيون فإن الإمكانات المتاحة للعلمانيين هي أعظم وأكبر بكثير من نظيراتها المتاحة للإسلاميين، فلا يوجد أدنى تكافؤ في المسألة حيث إن النظام العلماني الحاكم يضع جميع إمكاناته الهائلة في خدمة الخط العلماني، بما يعطي العلمانيين



قوة برلمانية حتى وإن لم يشكلوا الأغلبية، فكيف لو كانوا هم الأغلبية؟ إن مشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية يضفي مزيداً من المشروعية الرسمية والشعبية على المشروع الثقافي العلماني؛ ذلك لأنهم طرف محسوب على بلورة صياغاته النهائية، علماً أنهم لم يشاركوا في تلك الصياغات العلمانية الثقافية (هذا إذا أحسنا الظن في الموضوع، وإلا فإن الواقع المشاهد لكثير من الإسلاميين النيابيين يؤكد وُلُوجَهم في ألوان إيجابية مدعمة للمشروع الثقافي العلماني!!).

إن الساحة الثقافية في البلاد الإسلامية الديمقراطية وإن شهدت وتشهد صراعاً غير متكافئ بين الثقافتين الإسلامية والعلمانية، إلا أنها تشهد صراعاً حقيقياً متكافئاً بين المشاريع الثقافية العلمانية بعضها إزاء بعض مما تساعد حرارته على إضفاء جوّ من الدفء على البرود الثقافي السائد، ذلك الدفء الذي تتسرب نفحاته العلمانية إلى أذهان وعقول المثقفين أو رائدي الثقافة بما ينتج عنه بلورة ثقافية ديمقراطية على المستوى المجتمعي بكافة شرائحه ومختلف فئاته وتنوع طبقاته.

إن ذلك سيؤدي إلى مزيد من ترسيخ وتجذير المفاهيم الديمقراطية على كافة المستويات الثقافية السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والتخصصية، خلافاً لما قرره المفكر الغربي المشهور «نعوم شومسكي» في كتابه (إعاقة الديمقراطية) بقوله: «إن مفهوم الديمقراطية في الثقافة السياسية السائدة، إنما هو مفهوم يتلاشى حتى بصفته مثلاً أعلى مجرداً»[1].

إن الذي ذكره «شومسكي» ربما استقاه من الواقع الغربي ـ رغم أننا لا نسلِّم له بمقولته تلك بالنسبة للغرب ـ ولكن بالنسبة للمثقفين في البلاد الإسلامية من العلمانيين وكثير من الإسلاميين تعتبر الديمقراطية في الثقافة السياسية مثلاً أعلى!! وكل ذلك على حساب الإسلام وثقافته المؤصلة بالكتاب والسنة.

---

١) كتاب (إعاقة الديمقراطية)، نعوم شومسكي، ص ٣٤٥، من منشورات مركز دراسات الوحدة العربية.

الحقيقة التي يتجاهلها العلمانيون:
الإسلام ليس كنيسة ؟ !

بقلم: د. محمد يحيى



من الجوانب المهملة في السجال الدائر بين أصحاب الفكر العلماني (اللاديني) وأنصار الفكر الإسلامي سؤال يتجاهله الأولون عمداً ويسعون إلى إخفائه من المناقشة، ألا وهو: إلى أين يكون مصير الإسلام؟ ومن يقوم به عندما يفصل عن الدولة كما يطالبون؟. وقد يتبادر إلى الذهن أن الإجابة هي: الناس (أي جموع المسلمين)، أو فئة العلماء والفقهاء، أو ما اصطلح على تسميته بالمؤسسات الدينية ـ وهي جامعات ومعاهد تعليمية في الأساس والأصل ـ، لكن هذه الإجابات خادعة؛ فالناس لا يقدرون على كفالة أو حمل دين والقيام به وبكل شؤونه إذا ظلوا مجرد آحاد وأفراد متفرقين وإن كثروا، حيث لا تجعل منهم كيانات مؤسسية قوية تعلو على مستوى الفرد المنعزل أو حتى الجماعة المفككة، والعلماء والفقهاء مدرسون وباحثون وناقلو علم على أحسن الأحوال، وليسوا مؤهلين أو قادرين على تولي شؤون الدين إذا ما فصل عن المؤسسة القادرة على ذلك وهي الدولة. أما عن المؤسسات الدينية فهي الأخرى في أساسها معاهد تعليمية أضيفت عليها في بعض الدول أوضاع رسمية بروتوكولية استجابة لسلطان الدين في نفوس الشعوب، لكنها سرعان ما سحبت أو خبت أنوارها مع تدخلات دوائر الحكم العلمانية فيها.

إننا عندما نتحدث عن القيام بشؤون الدين لا نقصد مجرد الإيمان به وتلقينه للأبناء وهو ما قد تقوم به الأسر والأفراد، ولا نقصد مجرد البحث في جوانبه ونقلها تعليماً إلى المجتمع المحيط مع الحفاظ على تراثه الفكري والعقدي،

فالقيام بشؤون الدين وكفالته بالمعنى الواسع يعني: وجود قوة حاملة - بمصطلح علم الاجتماع - ترى نفسها مسؤولة عن الدين بحكم إيمانها به، كما تكون قادرة بفضل إمكاناتها على تحقيق مطالب هذه المسؤولية: من نشر للدين في الخارج، وترسيخ له في الداخل، ودفاع عنه بكل وسائل الدفاع، مع إعمال تعاليمه، وإنفاذ شريعته، وتحقيق قيمه ومثله من خلال شتى السياسات، وعلى كل المستويات، هذه القوة الحاملة ينبغي أن تتخذ من الدين المرجعية العليا لها أو (الأيديولوجية) والعقيدة السياسية والاجتماعية والثقافية، ومن الجلي أن آحاد المسلمين أو حتى جماعاتهم المحدودة ومؤسساتهم التعليمية لا تستطيع النهوض بهذه المسؤولية، ليس فقط لافتقارهم إلى الإمكانات والسلطات التي تضمن لهم هذا الأداء، بل لسبب بسيط جدًّا، وهو أنهم لم يُعَدُّوا للقيام بتلك المهمة.

كان للإسلام دائمًا دولة تكفله وتقوم به، ويضعف كثيرًا أو يختفي إن ضاعت هذه الدولة، كما تشهد بذلك حالة الأندلس وحالة الدولة العثمانية لا سيما بالنسبة للشعوب التابعة لها خارج نطاق شبه جزيرة الأناضول.

وسنوات البعثة النبوية في مكة كانت سنوات استضعاف، ولولا حفظ الله الدينَ خلالها لضاع، ويجب ألا ننسى أن المسلمين الأوائل كانوا أيضًا جزءًا من النسق الاجتماعي العربي، وإن كانوا خالفوه في قضية العقيدة الجوهرية، والدولة أو الدول الإسلامية على مر التاريخ الإسلامي هي التي دفعت عن المسلمين غائلة العدوان الخارجي من قوى الكفر، وهي التي أوجدت السبل والظروف لتستقر المجتمعات الإسلامية على إيمانها وممارسته، وهي التي قامت على وظائف العدالة، كما وفرت القواعد المادية لتقوم المؤسسات التعليمية والعلمية بوظائفها الحيوية، وإذا ضاعت الدولة الإسلامية - كما حدث ويحدث في العصر الحديث - سقطت كل هذه المهام وبقي المسلمون - ومعهم مؤسساتهم التعليمية والعلمية - عارين عن أي حماية ومعرضين لكل عوامل الغزو والاجتياح من أعداء الإسلام في الداخل والخارج دون قوة تذود عنهم. ويزيد الأمر سوءًا عندما تحل محل الدولة الإسلامية الذاهبة دولة يسيطر عليها - إن صراحة أو ضمنًا - أصحاب الفكر

العلماني ذي النزعة المتغربة على اختلاف مشاربهم، هنا تتحول الدولة من الدفاع عن الإسلام والذب عنه والقيام بشؤونه ورعاية مصالحه وتطبيق شريعته وأحكامه إلى العداء له والكيد وتحطيم بنيانه وهدمه وتفريق جمعه وإضعاف شوكته، والواقع المشهود يدل على ذلك.

إن أصل الخلط وسوء الفهم المتعمد يعود إلى الحديث عن الدين والدولة والفصل بينهما بعمومية تتجاهل الفرق بين الإسلام والمسيحية كما تطورت تاريخيًّا، وهذا الفارق الجوهري والحيوي هو مؤسسة الكنيسة في مختلف مذاهبها، فالكنيسة بوصفها بيتًا تاريخيًّا هي المؤسسة التي قامت على المسيحية من ناحية النشر والترويج والمحافظة عليها ولمّ شعث المؤمنين بها، والكنيسة مؤسسة شاملة حقًّا - وذلك وفق المفهوم العلمي - وهي ليست كذلك لأن لها ممتلكات وأراضي ومباني، بل ومعاهد تعليمية وعلمية وهيئات إعلامية ودور نشر .. إلخ، فكل هذه قد تنزع منها في فترات الانكسار والجَذْر التي قد تتعرض لها، والتي تعرضت لها فعلاً إبان الثورة الفرنسية والثورة الروسية مثلاً، ولكن الكنيسة مؤسسة بمعنى: أنها تنظيم هرمي يقوم على فئة منظمة ومنضبطة بلوائح وقوانين تحدد مهامها وواجباتها وأدوارها، وهي فئة الكهنوت التي يحكمها القانون الكنسي. ووجود الكهنوت بهيكله التنظيمي والهرمي وقانونه يُوجد مؤسسة تعلو على الأفراد وتتوفر لها إمكانية الاستمرارية وتجديد الذات والبقاء، دون أن تذهب وتموت بذهاب الأفراد المشكلين لسلك الكهنوت وموتهم، الكنيسة - وفق هذا التصور - مؤسسة ذات نواة وهيكل أساس قابل للتوسع والامتداد والامتلاء في فترات الاستقرار والظروف الاجتماعية المواتية أو الانكماش والتقوقع على الذات مع الاحتفاظ بالدين المحمول، وذلك في فترات القهر أو الاضطراب.

والكنيسة الحاملة للمسيحية ليست مجرد تجميع للمؤمنين داخل مبنى، وليست مجرد هيئة تعليمية تلقن الأفراد تعاليم دينهم، لكنها بجانب ذلك - كما أسلفنا - مؤسسة شاملة ترى نفسها حاملة وحامية للدين ومسؤولة عنه. صحيح أنه لا توجد للكنائس جيوش، لكنها في فترات القوة تهيمن على الدولة التي تعمل في نطاقها، وتجعل من جيشها جيشًا مدافعًا عن



النصرانية ومهاجمًا في سبيل فرضها بالقوة، أما في فترات الضعف فهي لا تذوي أو تموت لعدم وجود جيش لها أو عدم وجود الإمكانات والسلطات الأخرى للدولة؛ ذلك لأنها تبقى حتى في ظل أشد الأنظمة عداءً لها ـ وكما حدث في ظل بعض الأنظمة العلمانية الحديثة الشرسة في فرنسا الثورة أو في النظام السوفيتي ـ معترفًا بها رسميًا وقانونيًا بوصفها الجهة المسؤولة عن الدين النصراني حتى لو أُضْعِفَتْ قوتها.

عندما يدور الحديث إذن في الغرب عن الفصل بين الدين (أو الكنيسة) والدولة فإن ذلك الحديث لا يرمي إلى عداوة للدين أو ينوي تصفيته؛ لأن فصله عن الدولة لا يعني ضياع وجوده أو قوامه، ولا يعني انعدام المؤسسة الحاملة والكافلة له؛ إذ ستبقى الكنيسة هي ممثلة هذه القوة، وكل ما يرمي إليه حديث فصل الكنيسة عن الدولة في الغرب هو إحداث إجراء تنظيمي إداري يفصل بين مجالات الاختصاص، وهو ما تتسع النصرانية له؛ لغياب الشريعة المفصلة بها، لكن العكس هو ما يحدث في الإسلام عندما يفصل عن الدولة، إذ يفقد في هذه الحالة القوة الحاملة له ولا يجد لها بديلاً كما قد يتصور بعضهم في عدد من المؤسسات الأخرى (جامعات أو وزارات أوقاف وشؤون دينية)؛ لأن هذه المؤسسات ليست بحكم النشأة والوظيفة والتكوين مؤهلة لأن تكون قوة حاملة للإسلام، بل هي في أحسن الظروف حاملة لبعض جوانب الإسلام العلمية أو الاجتماعية.

ومما يلحظ: أن محاولات تحويل بعض هذه الهيئات المحدودة إلى مؤسسات قائمة بالإسلام تُخفق لهذا السبب، ومع ذلك: يصر العلمانيون على القيام بها؛ إما لإخفاء حقيقة ما يفعلونه بالإسلام لدى فصله عن الدولة ـ وهو في الحقيقة تضييع له ـ وإما لإدراكهم أن حصر سعة الإسلام وحبسها في هيئات ضيقة وجعله احتكاراً لهذه الهيئات يؤدي في الواقع إلى إضعاف الإسلام بشدة، بل وإلى إنهائه؛ لأن الجماهير لا تؤمن بهذه المؤسسات قوى حاملة للإسلام.

إن فصل الإسلام عن الدولة يعد قتلاً له، ويزيد الأمر سوءاً ـ كما قلنا ـ عندما تكون الدولة الآتية علمانية التوجه؛ لأنها في هذه الحالة تستغل كل القوى والإمكانات والسلطات التي كانت تدافع عن الإسلام وتضعها ضده.



الشيخ إسماعيل الأنصاري .. العالم الذي فقدناه

بقلم : عبد الله بن محمد الهلالي

قال الله (تعالى): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

قال ابن كثير في تفسيره (٢/٥٢١): «.... وقال ابن عباس في رواية: خرابها بموت علمائها، وفقهائها، وأهل الخير منها، وكذا قال مجاهد أيضًا: هو موت العلماء وفي هذا المعنى...

الأرض تحيـــا إذا مـا عاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حـل بها ... وإن أبى عـاد في أكنافها التلفُ

ففي يوم الجمعة الموافق ٢٦/١١/١٤١٧هـ، وفي مدينة الرياض، أقيمت صلاة الجنازة على جثمان الشيخ «إسماعيل الأنصاري» (رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له)، وذلك بعد صلاة الجمعة بالجامع الكبير.

وهذه نبذة مختصرة جدًا عن حياته.

مولده ونشأته: ولد الشيخ في صحراء إفريقيا سنة ١٣٤٠هـ، وتلقى هناك مبادئ العلوم؛ فحفظ القرآن عن ظهر قلب، وقرأ في العقائد والفقه والنحو والبلاغة والأصول والمصطلح وغيرها من العلوم على مشايخ تلك البلاد.

ثم هاجر فضيلته إلى الحرمين الشريفين، ووصل إلى مكة عام ١٣٦٩هـ واستقر بها.

أعماله: تولى فضيلته التدريس في المدرسة الصَّولتية عام ١٣٧٠هـ، وفي عام ١٣٧٢هـ أخذ إجازة التدريس بالمسجد الحرام، ثم في عام ١٣٧٤هـ انتدب للتدريس في المعهد العلمي بالرياض، وأخيرًا عين باحثًا بدار الإفتاء في عام ١٣٨٢هـ بأمر من سماحة الشيخ



« محمد بن إبراهيم » (رحمه الله) ، واستمر في عمله هذا حتى أعياه المرض ولازم البيت .

آثاره : للشيخ عدة مؤلفات تمتاز بالدقة في البحث، كما تدل على سعة اطلاعه (رحمه الله) منها :

١ ـ حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين.

٢ ـ القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ .

ـ كما قام الشيخ بتصحيح طائفة من الكتب العلمية ، وعلق عليها تعليقًا زادها فائدة، وعلمًا، منها :

١ ـ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي .

٢ ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي .

ـ وللشيخ أيضًا عدة مقالات علمية تبلغ مجلدين لو جمعت .

شهاداته العلمية : أعطي فضيلته شهادة علمية موقعة من سماحة الشيخ « عبد العزيز بن باز » (حفظه الله تعالى) ، ومن فضيلة الشيخ « عبد الرزاق عفيفي (رحمه الله) قررًا فيها : أنه من العلماء الأجلاء، وأن مستواه العلمي يفوق مستوى كثير من حملة الشهادات العليا في الوقت الحاضر.

كما أجازه العلامة الشيخ « حمود بن عبد الله التويجري » (رحمه الله) ، وللشيخ إسماعيل « ثبت » متداول بأسانيده (*) .

لقد فقدنا عالمًا جليلاً فنسأل الله (عز وجل) أن يخلفنا خيرًا منه .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون

(*) لقد استفدت أكثر هذه المعلومات من ترجمة للشيخ نشرت في مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٣، ١٤٠٥هـ.

ضراعة

شعر: صالح بن عبد الكريم العبودي

أنت أدرى بما يكن ضميري ... وجناني وخاطري وشعوري

فُضِحَ السر قبل أن يُخلَقَ السرُّ ... إذ كان من عليم بصير

إن بحثي عن الهروب لحمق ... وضياع يتيه فيه نفوري

نحن في قبضة الإله أسارى ... يا منى النفس للضعيف الأسير

السموات والكواكب تعنو ... في خضوع، لربها، مستجير

كيف لا وهن قبضة في يديه ... مسلِّمات لربهن القدير

كيف أنجو من العقاب وجرمي ... في يدَيْ عالمٍ بأمري، خبير

يا إلهي عرفت: منك وجودي، ... وحياتي، وحاضري، ومصيري

مذ هديتَ الفؤاد دربًا قويمًا ... سبح الفكر في فضاء منير

لا يهاب الظلام مهما تغشَّى ... عالمَ الناس من سكون مثير

مطمئن يروح خلف رؤاه ... محرزاتٍ لكل معنى كبير

بأبي أنت وأمي يا رسول الله

بقلم : تركي بن عتيبي الغامدي

« اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »، « اذهبوا فأنتم الطلقاء ».

هذا ما كان من النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان في قومه، وبذلك - والله - فلتهنأ البشرية كلها إلى يوم القيامة بالرحمة المهداة في قوله وأفعاله، ومن أجل ذلك؛ فلتفخر أمتنا بنبيها العظيم، ولتستخلص الحكم السامية من السيرة العطرة، والسنة الثابتة، وما كان من حياته المجاهدة.

فهو - بأبي وأمي - ، في أشد حالات الحزن، والأذى، والألم ، يُخيَّر من قِبَل الله (سبحانه وتعالى) في قومه، فيختار العفو، فيقول : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ».

وهو - بأبي وأمي - في أعظم صور الفتح والنصر المبين، والقوة، والعزة، والمنعة، والتأييد والتمكين، وكل الخيارات في يده: يُخَيَّر في مكة بما فيها من كفرة وأصنام، فيختار العفو، فيقول: « اذهبوا فأنتم الطلقاء ».

من يفعل ذلك بقومه، من يفعل ذلك من أجل الإنسان والإنسانية، من يفعل ذلك من أجل تحقيق معنى استخلاف الله (عز وجل) للإنسان على هذه الأرض لتنفيذ شريعته في خلقه، من يفعل ذلك لتكون هناك أسمى صور التسامح بين الحاكم والمحكوم من يفعل ذلك كله غير النبي ﷺ ؟.

فمن يقتدي به من أمته ﷺ؛ فيعفو هذا عن القاتل، ويعفو هذا عن دَيْن له عند صاحبه، وتعفو هذه عن زلة لسان جارتها، من يفعل ذلك وغيره؟.

إن لنبينا العظيم بهذين الموقفين العظيمين دَيْنًا كبيرًا لا يمكن سداده، وسيبقى في أعناق البشر، حتى يقتدوا بسنته عبادة وحياة.

فبالله عليكم.. ماذا عساها أن تكون الحياة، وماذا كان سيسود فيها، لو لم يحدث ذلك من النبي ﷺ ؟.

أعتقد أنها كانت ستكون كما نرى حالها اليوم وقد سادت شريعة الإنسان الظالم الجهول في غير مكان من هذا العالم، بعيداً عن الإسلام وشريعته السماوية السمحة.

ويكفي أن النبي الحبيب محمداً ﷺ بذلك قد قدّم للبشرية ولأمته، أكبر الأدلة على سمو أخلاقه الكريمة، وسمو رسالته الخالدة، وخيرية المؤمنين بها بين الناس، وأن ذلك هَدْيٌ يُقتدى به في حكم البشر وفيما بينهم أبد الدهر، فبأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ.

بريد البيان

■ الأخ / عبد الله الوادعي:
مشاركتك عن العام الجديد صالحة لكنها تأخرت عن موعدها أما قصيدتك (هل عرف قومي) فلم تجز من قبل اللجنة ومرحباً بك في مشاركات قادمة.

• • •

■ الأخ / نجاح عبد القادر سرور:
قصيدتك تمت إجازتها وستنشر لاحقاً بمشيئة الله.

• • •

■ الأخ / م. أ. سافو:
مشاركتك القصصية (الخاتمة) تفتقد بعض المقومات الفنية للقصة، لذا: نعتذر عن نشرها.

• • •

■ الأخ / يحيى بخاري:
نشكر لك حسن ثنائك، أما الملاحظة التي أوردتها فهي حمالة أوجه وعلى كل جزاك الله خيراً.

• • •

■ الأخ / د. حمدي محمد:
نعتذر عن قصيدتك (مناجاة) مع شكرنا وتقديرنا.

• • •

■ الأخ / عادل النهاري:
الرجاء تزويدنا بعنوانك لإفادتك بما سألت عنه وبما طلبته وجزاك الله خيراً.

• • •

■ الأخ / د. أحمد شرشال:
مشاركتك المنهج السديد معروضة على لجنة الإجازة، أما المشاركة الأخرى فنعتذر عن نشرها ومرحباً بمشاركات أكثر مناسبة.

• • •

■ الأخ / عبد الله الماضي:
موضوعك مجاز وسينشر في عدد قادم - إن شاء الله -.

• • •

■ الأخ / ناصر العمار:
نشكر لك متابعتك وثناءك على المجلة واقتراحاتك وجيهة وهي محل عناية أسرة التحرير التي تحرص على كل ما من شأنه تطوير المجلة إلى الأحسن - إن شاء الله -.

• • •

■ الأخت / لمياء عبد الله:
مشاركتك مجازة وستنشر في عدد قادم في منتدى القراء بمشيئة الله.

• • •

■ الأخ / أحمد قمباز:
العلمانية موضوع مهم كتبت عنه دراسات وأبحاث وما كتبته لا يفي بالمقصود.

• • •

■ الأخ / محمد فقهاء:
موضوع الفتور سبق طرحه في العدد ١٠٧. ومشاركتك سترى النور في منتدى القراء في عدد قادم - إن شاء الله -.

• • •

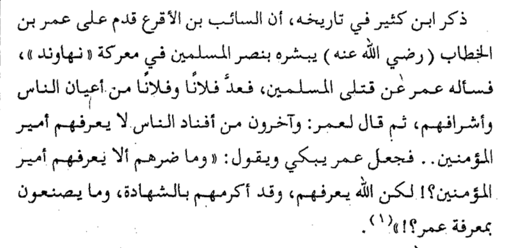
■ الأخ / ظافر العمري:
نبهتنا إلى حث الشباب المسلم في فلسطين على أهمية نشر العلم الشرعي الصحيح وتصحيح العقيدة بين أهله وإخوانه والصبر والمصابرة حتى يأتي الله بنصره، وهو توجيه سديد نسأل الله أن ينتفع به أحبتنا في الأرض المحتلة.

• • •



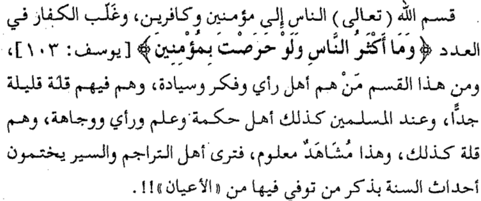
ومن يبكيهم بعد عمر؟!

بقلم : حسن أحمد قطامش

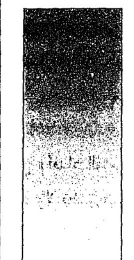


ذكر ابن كثير في تاريخه، أن السائب بن الأقرع قدم على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يبشره بنصر المسلمين في معركة «نهاوند»، فسأله عمر عن قتلى المسلمين، فعدَّ فلانًا وفلانًا من أعيان الناس وأشرافهم، ثم قال لعمر: وآخرون من أفناد الناس لا يعرفهم أمير المؤمنين.. فجعل عمر يبكي ويقول: «وما ضرهم ألا يعرفهم أمير المؤمنين؟! لكن الله يعرفهم، وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر؟!»[1].

قسم الله (تعالى) الناس إلى مؤمنين وكافرين، وغلّب الكفار في العدد ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ومن هذا القسم مَنْ هم أهل رأي وفكر وسيادة، وهم فيهم قلة قليلة جدًا، وعند المسلمين كذلك أهل حكمة وعلم ورأي ووجاهة، وهم قلة كذلك، وهذا مُشَاهَدٌ معلوم، فترى أهل التراجم والسير يختمون أحداث السنة بذكر من توفي فيها من «الأعيان»!!.



وجيوش المسلمين التي كانت تخرج للغزو والجهاد بألوف مؤلفة لا تذكر كتب التاريخ لنا منهم إلا القادة والأمراء وأهل الرأي، فماذا عن بقية الجيش؟ ماذا إذن عن بقية الناس الذين هم «أفناد الناس»



١) البداية والنهاية، جـ ٤ / ١١٣.

الذين ليسوا بأهل حلّ ولا عقد ولا رأي ولا إمارة؟ من هم خارج دائرة السلطة والذين يمكن تسميتهم بـ « الرأي العام » ـ على حد المصطلح الشائع ـ .

خرجوا في سبيل الله، وكُتبوا في ديوان أهل الجنات شهداء ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قاموا بأشرف الأعمال وأجلها ولم يُشَر إليهم ببيان ولا بنان، وما دعوا إلى مؤتمر أو اجتماع محترم، بل كانوا ناسًا وسط الناس يعملون لله وحده وما ضر أحدهم أن يكون هكذا، ما اشترط يومًا لعمله أن يكون رئيسًا موجِّهًا ولا أميرًا مطاعًا، بل كان همه: رضا الله، وأولئك النفر من الناس، ومما قال فيهم سيد الناس (عليه الصلاة والسلام): « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مُغبرّ قدماه، إن كان في السّاقة .. كان في الساقة، وإن كان في الحراسة.. كان في الحراسة، إن استأذن ...لم يؤذن له!!، وإن شفع .. لم يُشفَّع !! » [1].

إذن ما الذي يُضير أولئك إن لم يعرفهم أمير المؤمنين؟ من الممكن أن يضيرهم إن كان عملهم لذات أمير المؤمنين، ولكن يكفيهم أن الله يعرفهم ويعرف سرائرهم.

ما الذي يضيرنا إن عبدْنا الله وحده، ولم نعبُد ذواتنا حين نَشْرُطُ للعمل لله أن نكون في موقع القيادة والإمارة ظنًا أننا أصحاب قدرات ومواهب خاصة، ولا يمكننا العمل وسط « العامة » !!.

إن وقفة مهمة نحتاج إليها لإعادة النظر في ذواتنا، وإلى النظر إلى « أفناد الناس » بمنظار الوعي، فهم بحاجة إلى « أعيان الناس » ليعبّدوهم لله وحده، ولا يضيرهم ألا يعرفهم أمير المؤمنين.

---

١) البخاري، ك/الجهاد، والسير.



مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس :

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel: 0171 - 731 8145
Fax: 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

كان المنافقون في صدر الإسلام أشد الأعداء عليه؛ لذلك حذر الله منهم كثيراً بل وأنزل فيهم سورة كاملة (المنافقون)، ولخطورة منهجهم وخبث طويتهم جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، وعصرنا له منافقوه الذين ابتليت أمتنا بهم وهم العلمانيون الذين يزيد حنقهم وغضبهم عند كشف أوراقهم، ويدّعون زوراً وبهتاناً أنهم مسلمون مع أن مبادئهم وأفكارهم تناقض الإسلام عقيدة ومنهجاً، وهم ـ سواء أكانوا من الاتجاه الليبرالي، أو الاتجاه الماركسي ـ أعداء هذا الدين وأعداء دعاته، ولعل المتابعين لما تنشره صحافتنا ومجلاتنا العربية رأوا ذلك راي العين حينما قال أحد رموزهم الرأسماليين (وهو باشا سابق) في مقابلة معه إنه يكره الشيوعيين والناصريين وإحدى الجماعات الإسلامية التي ذكرها بالاسم، ورأينا أحد ممثلي الجانب الآخر وهو ممن اهتموا بالكتابة الظالمة عن الإسلاميين في كثير من دراساته حتى قال عنهم ما لم يقله مالك في الخمر.

فما يدين به أولئك الكتاب من عداء للإسلام ودعاته يظهر على فلتات ألسنتهم وفي جل كتاباتهم؛ حيث يضيقون ذرعاً دائماً بالعاملين في الصف الإسلامي، ويفضلون التعامل مع اليهود والنصارى، بل ومع الشياطين على أن يتعاملوا مع دعاة الإسلام!!

فأين الموضوعية؟ وأين الحرية؟ وأين الديمقراطية التي يُتشدق بها هؤلاء؟ بل أين الإسلام الذي يدّعونه؟، إنه عداء عقيدة، ومن هنا جاء الخلاف.

في هذا العدد :

افتتاحية العدد

الإسلام قادم.. رغم السدود والقيود ٤

التحرير

دراسات شرعية

- جهود الأئمة في حفظ السنة ٨

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

- هل يمكن التعاون بين المسلمين مع الاختلاف ... ١٨

سلمان السنيدي

دراسات دعوية

النقد الذاتي للواقع الدعوي.............. ٢٤

سليمان الربعي

مقال

الإرهاب مصطلحًا........... ٣٢

أحمد بن صالح السالم

دراسات تربوية

الاهتمام بدعوة المرأة وتربيتها ٣٨

عبد اللطيف بن محمد الحسن

من قضايا المنهج

العلم بالسنن الربانية ٤٨

د. محمد أمحزون

مقال

استراتيجية أسلمة المجتمع.. ٥٤

د. أحمد إبراهيم خضر

نص شعري

حيرة ٦٢

فيصل المشرقي

المـوزعون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤ / ٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة : ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم المجاني: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

● قراءة في كتاب

النظام العالمي الجديد ٦٤
محمد حيان الحافظ

● المسلمون والعالم

● أجواء الحرب ...
في أحلام السلام ٧٢
عبد العزيز كامل

● عولمة أم أمركة ٨٠
حسن قطامش

● الانتخابات الإيرانية
وخطأ الحسابات.......٨٦
عبد الرحيم البلوشي

● في دائرة الضوء

محاكم التفتيش العلمانية ٩٤
د. محمد يحيى

● هموم ثقافية

إشكالية البلورة الاقتصادية
للديمقراطية ٩٨
سامي محمد الدلال

● متابعـــــات

حمى التأليف
والنشـــر...................... ١٠٢
صالح درباش الخزمري

● منتدى القراء

السفينة الماخرة
(شعر)............. ١٠٨
علي بن جبريل

● بريد البيان

ردود على بعض رسائل القراء... ١١٠
التحرير

● الورقة الأخيرة

بين هبل وأفروديت....... ١١١
محمد الروبي عبد الوهاب

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وامريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

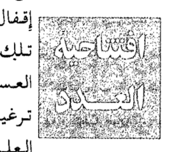
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

الإسلام قادم..
رغم السدود والقيود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين أما بعد،،

فإن المتابع لواقع أمتنا وما ابتلاها الله به بكثير من الأحزاب العلمانية الحاكمة ووسائل إعلامها التي تواصل عملها الدؤوب للصد عن دين الله والتخويف منه؛ لعداوتهم لهذا الدين والرعب من أن يعود، وخوفًا من فضح تلك التوجهات الظالمة وكشف مكرها المستمر يعجب المتابع لهذه الحال، وإن كان الشيء من معدنه لا يستغرب.

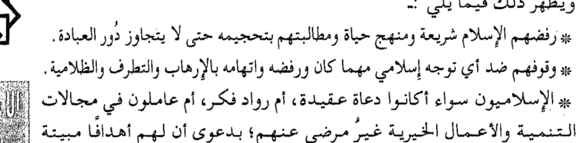
والمتابع بصفة خاصة للحالة التركية يجد هذا العداء جليًا، وسبق أن بينا حقيقة تلك (المافيا العسكرية) الممسكة بأزمّة الأمور هناك في حربها للمد الإسلامي في تركيا ومواقفها التسلطية حيال (حزب الرفاه) الذي يعلم الجميع مدى تساهله وتسامحه فضلاً عمّا أعلنه من قبولٍ للعبة الديمقراطية، وما ذاقه الرفاه من الضغوط المتوالية لقرارات ما يسمى بـ (مجلس الأمن القومي) وبخاصة تحركاته المشبوهة لإحراج الرفاه مثل تدخله العسكري في العراق بدعوى مطاردة حزب العمال الكردي، وكذلك العلاقات العسكرية المكشوفة مع الصهاينة وإجراء المناورات معهم في هذه الآونة بالذات، وإصرارهم على إقفال مدارس تحفيظ القرآن ومعاهد الأئمة والخطباء مما اضطر (أربكان) إزاء تلك الضغوط للاستقالة قبل نهاية فترته الرئاسية. ويستمر ضغط المؤسسة العسكرية على بعض النواب في الحزب الحليف (الطريق القويم) للانسحاب ترغيبًا وترهيبًا حتى فقدوا الأغلبية تمهيدًا لقيام الحكومة الجديدة برئاسة العلماني المتطرف (يلماظ) الذي يحاول إنجاح وزارته بالتأكيد على النهج



الأتاتوركي ومجاملة العسكر مع أن وزارته على كف عفريت كما يقال ولو نجحت في الثقة بها برلمانيًا لما نجحت في أداء رسالتها المفترضة لفساد عناصرها وعدم تجانسهم؛ بل وتناقضهم؛ مما سينعكس سلبًا على أدائها ويجعلها للسقوط أقرب؛ كل ذلك بمباركة الرئيس (ديميريل) الذي ما زال هلعًا لطرده لمرتين سابقتين من قِبَل العسكر. مما يؤكد حقيقة أن تلك العصابات الحاكمة لا تعير الديمقراطية أدنى اهتمام، زيادةً على أنها ترفض الإسلام، وهي أقرب ما تكون لأتباع زعيم الدونمة المعروف (سبتاي بن زفي) فهؤلاء العسكر والعلمانيون من كُتَّاب وحزبيين وإعلاميين من واقع عدائهم الصريح للإسلام ورفضه جملة وتفصيلاً لا يماري أحد منهم من أنه من فلول تلك الطائفة التي تظاهرت بالإسلام وما زالوا ينفذون تعاليم زعيمهم الهالك(*). والغريب أن الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا ترى تدخل الجيش في شؤون الحكومة المنتخبة ديمقراطيًا بشكل سافر ولم تحرك ساكنًا كعادتها، ولم يهمها سوى الاعتراض على حكم محكمة النقض الإداري المصري المتعلق بختان البنات!!، بل إن من رموزها من كتب وحذر من حزب الرفاه واختراقه للجيش بشكل يهدد مستقبل قواعدهم العسكرية هناك؛ فالمسألة ضمان مصالحهم فحسب؛ وعلى الديمقراطية السلام!!

أما الأحزاب العلمانية الأخرى في بلدان عالمنا الإسلامي فإن مواقفها وإن كانت ظاهرًا أقل عداءً للإسلام من النموذج التركي فإنهم بمنطلقاتهم الفكرية وإيديولوجياتهم العقائدية لا يقلون حربًا للإسلام عن تلك الطغمة الفاجرة؛ ويظهر ذلك فيما يلي :-





* رفضهم الإسلام شريعة ومنهج حياة ومطالبتهم بتحجيمه حتى لا يتجاوز دُور العبادة.
* وقوفهم ضد أي توجه إسلامي مهما كان ورفضه واتهامه بالإرهاب والتطرف والظلامية.
* الإسلاميون سواء أكانوا دعاة عقيدة، أم رواد فكر، أم عاملون في مجالات التنمية والأعمال الخيرية غيرُ مرضي عنهم؛ بدعوى أن لهم أهدافًا مبيتة ومخططات بعيدة المدى وأنهم بهذه الأعمال يستحوذون محبة الناس لهم!



* ديمقراطية هؤلاء العلمانيين التي يتشدقون بها ليس فيها أي فسحة للرأي

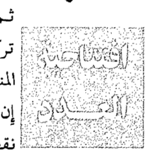
الآخر المخالف لهم؛ في الوقت الذي تحكم فيه الأحزاب المسيحية دولاً في أوربا الغربية، ويحكم تكتل الليكود المتطرف دولة الصهاينة، بل وتقوم في الفاتيكان دولة لها سفراؤها حتى في بعض تلك الدول ولها تدخلها المكشوف في الشؤون السياسية في بعض البلدان كما حصل أثناء زيارة بابا الفاتيكان إلى لبنان وما أصدره مما سمي بـ(الإرشاد الرسولي) وهو في حقيقته مخطط مرسوم لتوحيد القوى النصرانية في لبنان في إطار ما دعي بـ(سياسة التوازن العادل) لتبقى للنصارى الأغلبية والنفوذ القائمان الآن.

فلماذا يقف هؤلاء الأعداء في بلداننا ضد الإسلام وضد الداعين إليه بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان، ويجعلون همَّهم مصادرة أي اتجاه إسلامي وإن رُشّح من الشعب نفسه؟ فديمقراطيتهم فُصِّلت على مقاساتهم، لذا نجد ظاهرة الإطاحة بالإسلاميين باتهامات معدة سلفًا منها: انتماؤهم لتيارات محظورة، أو أنهم يشكلون خطرًا على الوحدة الوطنية! التي هي أصلاً على جرف هار لضعف الأسس التي قامت عليها فذلك معروف للجميع.

إن تلك الضغوط التي تصبُّ ظلماً وعدواناً ضد الإسلاميين والداعين إلى ضرورة التحاكم إلى شريعة الله لا تزيد هؤلاء العاملين والداعين سوى اليقين بأن ذلك امتحان وابتلاء من الله، ثم إن الشعوب المسلمة تعرف حقًا المصلح من المفسد.

حقًا إن دين الله باق مهما استبد الطغاة الحاكمون بأمرهم في حرب الإسلام ودعاته وهذه حقيقة علّمنا إياها الله جل وعلا بقوله: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٣] يقول صاحب الظلال رحمه الله موضحاً انتشار هذا الدين في صدر الإسلام ثم كيف تخلى عنه أهله (خطوة فخطوة ... بفعل عوامل داخلة في تركيبة المجتمعات الإسلامية من ناحية، وبفعل الحرب الطويلة المدى المنوعة الأساليب التي أعلنها عليهم أعداؤهم؛ لكن هذا ليس نهاية المطاف... إن وعد الله قائم ينتظر العصبة المسلمة التي تحمل الراية وتمضي مبتدئة من نقطة البدء التي بدأت بها خطوات الرسول ﷺ وهو يحمل دين الحق ويتحرك





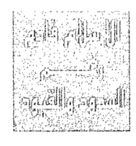
بنور الله » (١٦٤٤ / ج٣) .

ولعل من مبشرات انتصار هذا الدين ما نشرته وكالة الأنباء الإسلامية مؤخراً عن (الكتاب الدولي للكنائس) الذي ذكر فيه أن النصارى يمثلون ربع سكان العالم وعددهم ١,٦ بليون نسمة، والمسلمون يمثلون خمس سكان العالم وعددهم بليون نسمة وأكثر، ولكن عدد المسلمين يتزايد بمعدل ٨٢ ألف نسمة يوميًا نتيجة دخول كثيرين للإسلام ونتيجة للإنجاب المستمر لدى المسلمات وإذا استمر هذا المعدل فإن الإسلام سيصبح الدين الأول في العالم عام ٢٠٥٨م؛ فضلاً عما نشرته الوكالة نفسها من أن غالبية شباب أوربا يقولون : إن الدين النصراني ليس له أهمية في حياتهم؛ مما دفع المنصِّرين إلى إعلان الطوارئ لتوجيه أعمالهم لإعادة أولئك إلى دياناتهم .

إن ديننا الحنيف دين واقعية ووضوح وإنسانية وأخلاقية، ويرفض الظلم والعدوان، ويقدم الحلول الجذرية لمشكلات العالم بكل موضوعية بعيداً عن الإفراط والتفريط، وهذا ليس ادعاءً بل له رصيده من التجربة في عصور الإسلام السابقة واللاحقة، وقد قدم بعض علماء الإسلام أكثر من نموذج لدساتير الدولة الإسلامية وهي جاهزة للتطبيق ونتساءل : حتى متى تعطل ولمصلحة من يحال دون تنفيذها، ومن المتواطئون ضدها؟ وهذا لا يخفى على اللبيب معرفة من وراءه؟ وكل ذلك يجب ألا يوهن همم المسلمين أو يثبط عزائمهم .

إن كيد الأعداء ضد الإسلام ودعاته مستمر؛ لكنهم سيبوؤون إن شاء الله بالخسار والدمار، فالإسلام قادم رغم كل السدود والقيود وصدق الله العظيم : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .





(*) لمزيد من الإيضاح لحقيقة الدونمة ودورهم في سقوط الخلافة العثمانية واستمرارهم في الكيد للإسلام انظر (يهود الدونمة) د. محمد عمر.

جهود الأئمة في حفظ السنَّة

(٢ من ٢)

بقلم : أحمد بن عبد الرحمن الصويان

دراسات شرعية

تحدث الكاتب في الحلقة الأولى عن المعالم التي قادت المسلمين إلى حفظ السنة في صدر الإسلام، ثم جهود الخلفاء (الأئمة) وكذلك الصحابة الأعلام (رضي الله عنهم). ويواصل الأخ الكاتب في هذه الحلقة بيان جهود الأئمة من السلف ومن بعدهم.
البيان

ثانيا: جهود السلف في حفظ السنة وضبطها:

بذل أئمة الإسلام جهوداً عظيمة في حفظ السنة وتنقيحها، وحمايتها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقد تمثلت جهودهم في مسائل عديدة، أذكر منها:

١ـ حفظ السنَّة :

اهتم السلف الصالح بحفظ حديث النبي ﷺ وإتقانه، وجعلوا ذلك شرطاً من شروط الرواية، حتى قال عبد الرحمن بن مهدي: «يحرم على الرجل أن يروي حديثاً في أمر الدين حتى يتقنه ويحفظه كالآية من القرآن، وكاسم الرجل»[١].

وقد سطر أئمة الحديث أروع الأمثلة في هذا الباب، وأتوا بما يبهر الإنسان ويعجزه، ومن علامات ذلك:

(أ) غزارة الحفظ :

تميَّز بعض الأئمة بكثرة محفوظاتهم وتنوعها، وهناك أمثلة كثيرة جداً على ذلك، وقد جمع الذهبي تراجم هؤلاء الحفاظ في كتابيه: «سير أعلام النبلاء» و«تذكرة الحفاظ» وذكر عجائب من علومهم وأحوالهم، ومن أمثلة هذا الباب:

(١) الكفاية: للخطيب البغدادي.

المثال الأول: حفظ الإمام أحمد:

كان الإمام أحمد واسع الحفظ، جمع حديثًا كثيرًا، حتى قال أبو زرعة: «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل: ما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذتُ عليه الأبواب»[(١)].

المثال الثاني: حفظ الإمام إسحاق بن راهويه:

قال أبو داود الخفَّاف: «سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لكأني أنظر إلى مئة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفًا أسردها». قال: «وأملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفًا، ولا نقص حرفًا»[(٢)].

وقال علي بن خشرم: «كان إسحاق بن راهويه يملي سبعين ألف حديث حفظًا»[(٣)].

المثال الثالث: حفظ الإمام عبد الرحمن بن مهدي:

قال القواريري: «أملى عليّ عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظًا»[(٤)].

المثال الرابع: حفظ الإمام الحميدي:

قال الإمام الشافعي: «ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من الحميدي، كان يحفظ لسفيان بن عيينة عشرة آلاف حديث»[(٥)].

ب ـ قوة الحفظ ودقته:

على الرغم من كثرة محفوظات الأئمة وتنوعها، إلا أنهم تميزوا بقوة الحافظة، والرعاية الشديدة لمحفوظاتهم، حتى قال الأعمش: «كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخرَّ من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوًا أو ألفًا أو دالاً»[(٦)].

ولهذا كان الإمام مالك يتحفظ من الباء والتاء والثاء، في حديث رسول الله ﷺ[(٧)].

ومن الأمثلة على قوَّة الحفظ ودقته:

المثال الأول: قوة حفظ الإمام الزهري:

جمع الإمام الزهري علمًا عظيمًا، واجتمع له ما لم يجتمع لغيره، مع قوة

---

(١) تاريخ بغداد: (٤/٤١٩) وطبقات الحنابلة: (١/٦).
(٢) سير أعلام النبلاء: (١١/٣٧٣).
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر: (٢/٢١٦) وتدريب الرواي: (١/٥١).
(٤) شرح علل الترمذي: (ص ١٧٥).
(٥) سير أعلام النبلاء: (١٠/٦١٨) وطبقات الشافعية الكبرى: (٢/١٤٠).
(٦) الكفاية: (ص٢١٢).
(٧) المرجع السابق: (ص ٢١٣).

وإتقان، فقد قال عن نفسه: «ما استعدت حديثًا قط، وما شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت»[(١)].

وقد أراد هشام بن عبد الملك أن يمتحنه، فسأله أن يملي على بعض ولده أربعمائة حديث، وخرج الزهري، فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة، ثم لقي هشامًا بعد شهر أو نحوه، فقال للزهري: إن ذلك الكتاب ضاع، فدعا بكاتب فأملاها عليه، ثم قابل بالكتاب الأول فما غادر حرفًا واحدًا»[(٢)].

المثال الثاني: قوة حفظ قتادة بن دعامة:

قال الإمام أحمد: «كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئًا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها»[(٣)].

وقال معمر: «رأيت قتادة قال لابن أبي عروبة: أمسك عليَّ المصحف، فقرأ البقرة، فلم يخطئ حرفًا، فقال: يا أبا النضر، لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة»[(٤)].

ولهذا قال قتادة عن نفسه: «ما قلتُ لمحدث قط أَعِدْ عليَّ، وما سمعت أذناي شيئًا إلا وعاه قلبي»[(٥)].

المثال الثالث: قوة حفظ الإمام أحمد:

كان الإمام أحمد آية في الحفظ والإتقان، على الرغم من كثرة محفوظاته، حتى قال ابن المديني: «ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل»[(٦)].

ومن شدة إتقانه أنه كان يقول لابنه عبد الله: «خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد

---

(١) تذكرة الحفاظ: (١/١١١).

(٢) المرجع السابق: (١/١١١) والإلماع للقاضي عياض: (ص٢٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٥/٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٤) الطبقات الكبرى: (٧/٢٢٩) والتاريخ الكبير: (٧/١٨٢).

(٥) تذكرة الحفاظ: (١/١٢٣).

(٦) تقدمة الجرح والتعديل: (ص: ٢٩٥).

حتى أخبرك عن الكلام»[1].

المثال الرابع: قوة حفظ ابن أبي شيبة:

قال عمرو الفلاس: «ما رأيت أحداً أحفظ للحديث من ابن أبي شيبة، قدم علينا مع ابن المديني، فسرد للشيباني أربعمائة حديث حفظًا وقام»[2].

ولهذا قال الخطيب البغدادي: «كان متقنا حافظًا مكثرًا»[3].

وقال الذهبي: «كان بحراً من بحور العلم، وبه يضرب المثل في قوة الحفظ»[4].

المثال الخامس: قوة حفظ الإمام البخاري:

قال محمد بن حاتم: «قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمتُ حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتَّاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج وقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه، فقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة»[5].

وقصة البخاري لَمّا قلبت عليه عشرة أحاديث بأسانيدها ومتونها لامتحانه، فأعادها عليهم، ثم ساقها على وجهها الصحيح، قصة عجيبة تدل على إمامته في هذا العلم، وقدرته العظيمة على الحفظ والاستيعاب»[6].

٢ـ جمع السنَّة وتدوينها:

حرص العلماء على سماع حديث النبي ﷺ، وتلقيه عن أئمته من الصحابة

---

(١) شرح علل الترمذي: (ص١٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١١/ ١٢٣) وتهذيب: (٦/ ٣).

(٣) تاريخ بغداد: (١٠/ ٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١١/ ١٢٣).

(٥) تاريخ بغداد: (٢/ ٧) وطبقات الشافعية: (٢/ ٢١٦).

(٦) انظر القصة في تاريخ بغداد: (٢/ ١٥ـ١٦) ووفيات الأعيان: (٤/ ١٩٠) وغيرها.



والتابعين، ثم حرصوا على جمعه وتدوينه وكتابته، وقد مرَّ ذلك بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: جمع السنة في أواخر القرن الأول:

لعل من أوائل المحاولات لجمع السنة: ما قام به عبد العزيز بن مروان، حيث كتب إلى كثير بن مرة - وكان قد أدرك بحمص سبعين بدريًا من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم، إلا حديث أبي هريرة، فإنَّه عندنا»[١].

ولما جاء بعده ابنه عمر بن عبد العزيز حرص على جمع السنة، وسلك في ذلك طريقين:

الأول: كتب إلى أبي بكر ابن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ»[٢].

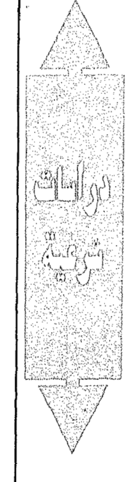
الثاني: أمر الزهري بجمع السنة، حيث قال الزهري: «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا»[٣].

ولهذا قال الترمذي: «هو واضع علم الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز، مخافة ضياعه بضياع أهله»[٤].

المرحلة الثانية: تدوين السنة في منتصف القرن الثاني:

قال الذهبي: «لم ينتصف القرن الثاني حتى نشطت حركة تدوين الحديث، وكان من سبق إليها من رجال هذا القرن: ابن جريج المكي، وابن إسحاق، ومعمر ابن راشد، وسعيد بن أبي عروبة، وربيع بن صبيح، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، وابن المبارك، ثم تتابع الناس»[٥].

وقال ابن حجر: «ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار، وتبويب



(١) الطبقات الكبرى: (٧/ ٤٤٨).
(٢) أخرجه البخاري تعليقًا مجزومًا به: (١/ ١٩٤).
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
(٤) مختصر الشمائل المحمدية: (ص١٢٥).
(٥) تذكرة الحفاظ: (١/ ٢٢٩).

الأخبار لَمَّا انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار»[1].

المرحلة الثالثة: تصنيف السنَّة في القرن الثالث:

في بدايات القرن الثالث أخذ التصنيف دوراً جديداً، فظهرت المصنفات: كمصنف عبد الرزاق [ت ٢١١هـ] وابن أبي شيبة [٢٣٥هـ]، والمسانيد: كمسانيد الحميدي [ت ٢١٩هـ]، وأحمد [ت ٢٤١هـ]، والدارمي [ت هـ]، والجوامع: كجامع البخاري [ت ٢٥٦هـ]، وجامع مسلم [ت ٢٦١هـ]، وجامع الترمذي [ت ٢٧٩هـ]، والسنن: كسنن أبي داود [ت ٢٧٥هـ]، وابن ماجه [ت ٢٧٣هـ]، والنسائي [ت ٣٠٣هـ].

وبهذا نتبين أن أئمة السنة بذلوا جهداً عظيماً في جمع السنة وتبويبها، وتركوا لنا تراثاً غزيراً في عشرات المصنفات والدواوين، حتى أصبحت هذه الأمة تمتلك ـ بحق ـ أغنى تراث عرفته البشرية، فاللهم لك الحمد والمنة على هذه النعمة العظيمة.

٣ـ علم الإسناد:

لَمَّا ظهرت الفتن في أواخر الخلافة الراشدة، بدأ الأئمة في البحث عن الأسانيد، والنظر في مصادر الروايات، حتى لا يدخل في هذا العلم من ليس من أهله، قال ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع ولا يؤخذ حديثهم»[2].

والإسناد خصّيصة من خصائص هذه الأمة، تروى به الأحاديث، وتعرف به الطرق، ولهذا تتابع اهتمام الأئمة بالأسانيد، وأصبح الحديث بلا إسناد لا قيمة له، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[3].

وقال ابن حبان: «ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له، لظهر في هذه

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري: (٦).

(٢) مسلم في مقدمة صحيحه: (١/ ١٥).

(٣) المرجع السابق.



الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم؛ وذاك أنه لم تكن أمة لنبي قط حفظت عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة، حتى لا يتهيأ أن يزاد في سنة من سنن رسول الله ﷺ ألف ولا واو، كما لا يتهيأ زيادة مثله في القرآن. فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين، وكثرت عنايتهم بأمر الدين، ولولاهم لقال من شاء بما شاء»[1].

٤ ـ التفتيش في الأسانيد ومنازل الرواة:

كان من ثمرات علم الإسناد: اهتمام العلماء في وقت مبكر جداً بدراسة أحوال الرواة ومراتبهم، من حيث العدالة والضبط، ومن حيث صحة طرق التحمل والأداء، من حيث تواريخهم وأشياخهم وتلاميذهم.... ونحو ذلك، وسمي هذا العلم فيما بعد بـ: (علم الجرح والتعديل).

وعلم الجرح والتعديل من العلوم الجليلة التي كانت سبباً رئيساً من أسباب حفظ الدين، والذبِّ عن سنة سيد المرسلين، ولهذا قال ابن خلاد ليحيى القطان: «أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟! قال يحيى: لأن يكونوا خصماء لي أحب إليَّ من أن خصمي المصطفى ﷺ إذ لم أذبَّ عن حديثه وشريعته».

وقد اعتنى أئمة الحديث بعلم الرجال عناية فائقة، حتى عده ابن المديني: «نصف علم الحديث»[2]. ولهذا صنفت مصنفات خاصة في هذا العلم، ورتب فيه الرواة من حيث القوة والضعف، وبين فيه الذي تقبل روايته من الذي ترد، ولهذا اشترط الأئمة في الناقد المتكلم في الرجال جرحاً وتعديلاً أن يكون بصيراً بأحوال الرجال، واسع الاطلاع على الأخبار، خبيراً بالحديث وعلله، ويجب أن يتحلى بالأمانة والورع، وبالفطنة والنباهة، عنده ملكة نقدية راسخة تعينه على تفهم دقائق العلل وخفايا المسائل.

٥ ـ إرساء قواعد الرواية وأصولها:

لَـمَّا توسعت الرواية، وكثر النَّقَلَة، اهتم علماء الحديث بتقعيد قواعد الرواية،

(١) كتاب المجروحين: (١/ ٢٥).

(٢) تهذيب الكمال: (١/ ١٦٥).

وبيّنوا أصولها و ضوابطها بيانًا تفصيليًا، وسمي هذا العلم فيما بعد بـ: « علم مصطلح الحديث »، وكان من أوائل من كتب فيه: الإمام الشافعي في أجزاء متفرقة من كتبه، وخاصة كتابه الرسالة، ثم تلميذه عبد الله الحميدي، ثم كتب الإمام مسلم شيئًا من قوانين الرواية في مقدمة صحيحه، وكتابه التمييز، وكذلك الترمذي في العلل الصغير. وفي منتصف القرن الرابع ألف الرامهرمزي كتابه الجليل: « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ». ثم تتابعت المؤلفات، وكثرت المصنفات من المطولات والمختصرات.

ومن أشهر قواعد الرواية التي سأشير إليها في هذه المقالة: أنَّ أئمة الحديث وضعوا شروطًا خمسة للرواية الصحيحة التي يعتمد عليها، وهي على سبيل الاختصار:

الشرط الأول: اتصال الإسناد، وسلامته من الانقطاع، فكلُّ راوٍ لا بد أن يكون قد سمعه ممّن هو فوقه إلى رسول الله ﷺ.

ويعرف الاتصال عادة بمعرفة تواريخ الرواة، ومواليدهم، ووفياتهم، ورحلاتهم، وأسماء شيوخهم وتلاميذهم، ومتى وأين وكيف تم تتلمذهم على بعضهم.. وهكذا، ولهذا قال سفيان الثوري: « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ »[1].

ومراجعة كتب الجرح والتعديل وتواريخ الرجال والبلدان، تبين الجهد العظيم الذي بذله الأئمة في تسجيل كل شاردة وواردة في وتواريخ الرجال وسيرهم.

الشرط الثاني: عدالة الرواة في جميع طبقات السند.

ويعرف المحدثون العدالة بأنها: « ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة »[2]. والعدل هو: كل مسلم مميِّز سليم من أسباب الفسق وخوارم المروءة.
ولهذا قال عبد الله بن المبارك: « العدل من كان فيه خمس خصال: يشهد الجماعة، ولا يشرب هذا الشراب (أي: النبيذ)، ولا تكون في دينه خربة، ولا يكذب، ولا يكون في عقله شيء »[3].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح: (ص ٢٨٢).
(٢) نزهة النظر: (ص٢٩).
(٣) الكفاية: (ص ٧٩) والخَرَبَة هي: العيب، كما في النهاية في غريب الحديث: (٢/ ٧٨).



الشرط الثالث: ضبط الرواة في جميع الطبقات:

والراوي الضابط: هو الذي يكون متيقظًا غير مغفَّل، حافظًا إن حدَّث من حفظه، ضابطًا لكتابه من التبديل والتغيير إن حدث من كتابه، عالمًا بمداخل المعنى إن روى بالمعنى[1].

ويعرف الراوي بدراسة مروياته، وعرضها على مرويات الآخرين. ولهذا اهتم الأئمة بتتبع الطرق وجمعها، ودراسة أحوال الرواة في أزمان مختلفة من أعمارهم، لمعرفة التغيرات التي قد تطرأ على محفوظاتهم، وبذلوا في ذلك جهداً عظيماً، حتى إنهم لذمتهم وشديد عنايتهم يميزون الخطأ اليسير النادر في أحاديث الثقات، ويعرفون الصحيح النادر في أحاديث الضعفاء.

وكان بعض النقاد يمتحن الرواة ويتأكد من محفوظاتهم، فها هو ذا حماد بن سلمة يقول: «كنت أقلب على ثابت البناني حديثه ـ وكانوا يقولون: القُصَّاص لا يحفظون ـ، وكنت أقول لحديث أنس: كيف حدثك عبد الرحمن بن أبي ليلى؟ فيقول: لا، إنما حدثناه أنس، وأقول لحديث عبد الرحمن بن أبي ليلى: كيف حدثك أنس؟ فيقول: لا إنما حدثناه عبد الرحمن بن أبي ليلى» ولهذا كان حماد يقول: «قلبت أحاديث على ثابت البناني فلم تنقلب، وقلبت على أبان بن أبي عياش فانقلبت»[2].

الشرط الرابع: سلامة الرواية من العلة:

والعلة: هي سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث مع ظهور السلامة منه. ومعرفة الحديث المعل من أدق علوم الحديث وأغمضها، ولهذا لا يستطيع تمييز العلل إلا الأئمة الجهابذة، وذلك بجمع الطرق، وتتبع مخارجها، وعرضها على بعضها، واستقراء أحوال الرواة، وسبر متون الحديث، ثم تطبيق المعايير النقدية التي وضعها المحدثون.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح: (ص٩٤).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦). وانظر قصة امتحان يحيى بن معين للفضل بن دكين للتأكد من حفظه، حيث أثقل عليه يحيى، حتى رفسه فرمى به، فقال يحيى: «والله لرفسته أحب إليَّ من سفرتي» سير أعلام النبلاء: (١٠/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

الشرط الخامس: سلامة الرواية من الشذوذ:

والشذوذ هو: التفرّد، والحديث الشاذ هو: ما رواه المقبول مخالفًا من هو أوْلى منه، لكثرة عدد أو زيادة حفظ.

ومعرفة الحديث الشاذ من العلوم الدقيقة جدًا، حتى قال ابن حجر: «وهو أدق من المعلل بكثير فلا يتمكن من الحكم به إلا من مارس الفن غاية الممارسة، وكان في الذروة من الفهم الثاقب ورسوخ القدم في الصناعة، ورزقه الله نهاية الملكة»[1].

وتحت كل شرط من هذه الشروط الخمسة توجد تفاصيل وتفريعات كثيرة تراجع في مظانها، وإنما المقصود الإشارة إلى دقة المحدثين في تمييز المرويات، وحرصهم على بيان منازل الرواة. وكانت نتيجة ذلك أنهم أصبحوا حصونًا واقية، ودروعًا حامية، لا يستطيع عابث أو جاهل أو مفرط أن يُدخِل في سنة النبي ﷺ ما ليس منها، ولهذا قال الإمام الثوري: «لو همَّ رجل أن يكذب في الحديث، وهو في بيت في جوف بيت لأظهر الله عليه»[2] وها هو ذا إسحاق بن راهويه يقول: «أحفظ أربعة آلاف حديث مزوّرة. فقيل له: ما معنى حفظ المزوّرة؟! قال: إذا مرَّ بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليتُهُ منها فَلْيًا»[3].

(١) توضيح الأفكار: (١/ ٣٧٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٨).
(٣) تاريخ بغداد: (٦/٣٥٢).

دراسات شرعية

هل يمكن التعاون بين المسلمين مع وجود الاختلاف؟

بقلم: سلمان بن عمر السنيدي

مدخل:

التعاون أمر مطلوب، أوجبه الشرع ولا يستغنى عنه في الواقع، والاختلاف غير المذموم أمر واقع أقره الشرع ضرورة وفطرة، وبعض الناس يغيب عنه منهج الإسلام الوسط في أمور شتى من بينها: التعاون حال الاختلاف؛ وحجم وطبيعة ذلك الخلاف الذي يوجب الإسلام التعاون رغم وجوده، وذلك المطلب الشرعي المهم هو المحور الذي تدور حوله هذه الدراسة التي نرى أنها تكون مجالاً للنقاش الموضوعي بين ذوي الاختصاص، والله نسأل للجميع التوفيق والسداد. - البيان -

التعاون على البر والتقوى مبدأ شرعي وواجب عام بين المسلمين بنص القرآن الكريم قال الله (تعالى): ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، والبر إذا اقترن بالتقوى يقصد به ما تعدى نفعه إلى المسلمين من الأعمال المشروعة. والتقوى تختص بما يقتصر نفعه من الأعمال الصالحة على خاصة الإنسان. وبهذا تحوي دلالات الآية مجالاً خصبًا يتسع لكل عمل صالح يتحقق نفعه وخيره بالتعاون على مستوى الفرد والأمة. وبرغم ما في الآية من وضوح وإشراق وحض على التعاون؛ يجد الناظر إلى واقع العمل الإسلامي المعاصر أن التعاون بين فئاته العاملة كثيراً ما يكون محصوراً أو مقيداً أو مشوبًا بما يكدره ويعيق الغاية المنشودة منه؛ إلا ما شاء الله.

أما الخلاف المفرق للألفة، والجهود، والأعمال؛ فإنه يعد من أهم العوائق التي تحول دون التعاون على البر والتقوى؛ وهذا ما يدعونا إلى التوقف الطويل مع هذا العائق وتحليله والنظر في حقيقته وما يكون منه مانعًا للتعاون، وما لا يكون كذلك.

حقيقة الخلاف وأقسامه:

يدعي كل طرف في النزاع وجود عناصر للخلاف تدعو إلى الفرقة والتنافر تمنع من التعاون على البر والتقوى؛ وبالنظر إلى هذه العناصر نجدها تنقسم إلى قسمين:

الأول: عناصر مفتعلة: تُذْكَر للتشنيع على الخصم وتكبير هوة النزاع، ولو توقف الخلاف عليها لأمكن التنازل عنها واحتواؤها وعدم إنكارها؛ بدليل: أنك تجد في أتباعه من ينكرها وأنصاره - غالبًا - من هو متلبس بمثلها من المخالفات.

الثاني: عناصر حقيقية للخلاف: وإذا نظرنا إلى أسبابها وجدنا أنها تنقسم إلى قسمين هما:

١ ـ **أسباب غير سائغة مثل**: التعصب القبلي، أو اتباع الأهواء، أو التنافس على الزعامة، أو التنافس على الوجاهة والتمكن من التصرف في حقوق عامة من حفنة مال أو أوقاف، ومنها أسباب يدفعها الثأر الشخصي، ويوجهها رصيد من الصراعات السابقة حصل فيها تبادل الاتهامات وإلصاق التهم واتهام المقاصد.

٢ ـ **أسباب سائغة وهي تنقسم إلى قسمين هما:**

أ ـ **أسباب سائغة للخلاف ولكن لا تقتضي التفرق** كما هو في الحالات التالية:

ـ الاختلاف في مسائل فرعية من الشريعة.

ـ الاختلاف في مسائل عقائدية ولكنها مما خفي دليلها، أو من الظنيات العلمية كما اختلف الصدر الأول في رؤية النبي ﷺ لربه.

ـ الاختلاف في مسألة اجتهادية اعتبرها أحد الأطراف بدعة وضلالة.



ـ الاختلاف في مسألة حادثة من النوازل الواقعة التي لم ينقل فيها نص أو إجماع أو اتفاق، إنما اعتمد كل طرف فيها على نصوص عامة من الكتاب والسنة.

ب ـ أسباب سائغة للاختلاف ـ بل توجبه ـ وتقتضي التفرق؛ و نمثل له بما يلي:

ـ المخالفة في أصل من أصول الإسلام وهي كثيرة ومن أشهرها: عدم توحيد الله في تصريف الكون والأحوال، وعدم توحيد الله في أفعال العباد كالدعاء والذبح ونحوه، تقديم العقل على الكتاب والسنة، نفي صفات الله (تعالى)، الغلو في تعظيم الرسول ﷺ بصرف شيء له من حقوق الله ومقتضيات ألوهيته وربوبيته، الشك في عدالة الصحابة، وتكفير المسلمين بلا مكفر.

ـ إحياء مخالفات أهل البدع الكبار المشهورة كالخوارج والجهمية والروافض والمعتزلة والقدرية والجبرية وغلاة الصوفية.

وهنا يأتي السؤال الذي يعقب هذا التقسيم: **إلى أي مدى يمنع الاختلافُ التعاونَ على البر والتقوى؟** وللجواب عليه يتضح أن عناصر الاختلاف لا اعتبار لها في منع التعاون إلا ما كان منها حقيقيًّا، ولا اعتبار لغير السائغ منها في منع التعاون، وأما السائغ فما كان منه لا يقتضي التفرق فلا اعتبار له في منع التعاون.

وهنا نجد فداحة خطأ من يتصور عدم التعاون مع وجود أدنى نوع من الاختلاف، وذلك واضح من وجوه عدة منها:

ـ أن الاختلاف من طبيعة البشر ولا يمكن التخلص منه في العادة، قال الله (تعالى): ﴿ **وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، قال الشاطبي: «فتأملوا ـ رحمكم الله ـ كيف صار الاتفاق محالاً في العادة»[١]، فاشتراط رفع الخلاف لحصول التعاون كاشتراط المستحيل، وهذا فيه

---

١) انظر: الموافقات، ٣/٧٦٤.

تعطيل مبدأ التعاون الذي دلت على مشروعيته نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

ـ أن قبول التعاون مع وجود خلاف ـ الذي لا يقتضي التفرق ـ لا يعني بالضرورة المطالبة بأعلى صور التعاون؛ بل المطالبة بدرجة من التعاون يتحقق فيها الواجب والمندوب، ويزول فيها المحذور والمكروه، فإن أعلى صور التعاون محمودة، ولكنها عزيزة الوجود وخاصة وقد بَعُدَ الناس عن نهج النبوة.

ومع تخطئة مبدأ: «ترك التعاون مع وجود الاختلاف»، يلزم التنبيه إلى ما يقابله، وهو: أنه لا يدعى إلى التعاون مع كل مخالف ـ بلا شرط وقيد ـ فإن الأصل عدم التعاون مع وجود اختلاف جذري يقتضي التفرق والمفاصلة، كما هو الحال مع أصحاب المبادئ العلمانية أو الاشتراكية أو البعثية أو الفرق الباطنية؛ لأن هذا تعاون على غير البر والتقوى، تقدم فيه المصالح النفعية، وتهضم فيه مبادئ إسلامية وتعطل فيه أحكام شرعية.

درجات التعاون والاختلاف:

لا يعرف كثير من الناس إلا حالتين: إما التعاون الشامل، والوحدة الكاملة، أو التنازع والخصومة والمواجهة، وهذا التصور صورة من صور الجهل وضيق النظر وغياب الحكمة وقلة المعرفة بقواعد الشريعة وأحكامها، وقد يعذر بعض العامة والجهلة على هذا القصور، ولكن اللوم والتثريب يقع على من بيده زمام الأمور والطاعة والتوجيه لفئام من الناس، كيف يحجّر سبل التعاون الواسعة، ويحرم غيره من الانتفاع مما شرع الله من المحبة والألفة والتعاون والتقارب والتسامح والعفو والتواضع والإحسان إلى الخلق بإصلاح ذات البين؛ وذلك بسبب مواقف شخصية تجعله يأنف من التواضع والتسامح والعفو والتقارب، ويبالغ في الصدود والنفرة، ويسارع في اتخاذ المواقف الصارمة، ويبالغ في اتخاذ الأحكام القاسية، ويغلو في التعامل مع الخصوم والمخالفين، ويتشنج حال التفاهم والحوار مع إخوانه المسلمين، جاعلاً الناس قسمين: إما موافقاً له متبعاً لقوله فهذا يواليه، وإلا جعله



خصماً له يعاديه.

وهناك مراتب بين التعاون الشامل والوحدة الكاملة، وبين التنازع والخصومة والمواجهة، ونجدها على درجات تالية:

١ ـ التعاون الشامل والوحدة الكاملة.

٢ ـ التعاون الوثيق والمشاركة الفعالة وتوحد الكلمة.

٣ ـ المحبة والاحترام والتشاور وتبادل المنافع.

٤ ـ الاعتزال بالمعروف وتبادل النصح.

٥ ـ الإعراض وكف الأذى ـ التعاون السلبي ـ.

٦ ـ الجفاء والغلظة.

٧ ـ إعلان النقد وإظهار العيوب.

٨ ـ المواجهة ومحاولة القضاء على الآخر.

وهنا يجب التنبيه إلى أن درجة النزاع الأخيرة التي تدعو إلى محاولة القضاء على الطرف الآخر ينبغي أن تكون تحت نظر مصلحة السياسة الشرعية للأمة الإسلامية، التي تسعى في الغالب إلى صرف النظر عن هذا الاحتمال في حال ضعف أهل الحق والسنة والجماعة، وتفكك الأمة وغياب الولاية الشرعية العامة، ومن ثم تأجيل مباشرته حتى يقوم لهم كيان مستقل استقر أمر الأمة فيه على ولاية قوية، ذات شوكة وسلطان أُمِّنت فيه الثغور، وزال سلطان الكفر البواح، وقُضي فيه على مظاهر الشرك وصرف العبادة لغير الله، عند ذلك ينظر إلى المخالف نظرة المواجهة والمصادمة ومحاولة القضاء على شوكته إن كان يستحق ذلك، وكان لا سبيل لدفع الشر والمنكر إلا هذا، وذلك بعد البيان والإعذار.

ثمار التعاون:

١ ـ زيادة الألفة، وتنمية المحبة، وتضييق دائرة الفرقة والعداوة.

٢ ـ عدم إشغال عامة الناس وضعاف الإيمان بتلقي التهم وسماعها وتداولها،

وإشغالهم بدلاً عن ذلك بقضايا العلم النافع والعمل الصالح.

٣ ـ إشغال أصحاب الطاقات المتميزين بالكتابة والخطابة والحجة والبيان بما هو مفيد ونافع لخدمة الإسلام وأهله، ورصد الباطل وصده، ودحض الفساد والانحراف من البدع والمنكرات.

٤ ـ قطع الباب على المنافقين والمرجفين الذين يفرحون بنشر العيوب وتشكيك الناس بدعوة الإصلاح في المجتمع والذين يفرحون بالشماته بالمصلحين.

٥ ـ حسم مادة الخلاف وزوال بذرة الشقاق، لكي لا يثيرها من شاء من المرجفين، متى شاء وكيف شاء.

٦ ـ إغاظة أصحاب الفساد الذين يفرحون بتفريق الجهود الإصلاحية وضعفها، لينفذوا أغراضهم السيئة بيسر وسهولة، في ظل انشغال أهل الحق بعضهم ببعض، وضعف شوكتهم. وفي حال التعاون توجه الجهود لكشف مخططاتهم الإفسادية، وقطع السبيل عن تحقيق أهدافهم.

٧ ـ توحد الكلمة وهذا له أثر بالغ في دحض الباطل وأهله، وإرغامهم على إظهار تعظيم شعائر الله واحترام الدين وأهله.

النقد الذاتي للواقع الدعوي

الانتقاء النوعي في حوارات المتخالفين نموذجاً

بقلم: سليمان بن عبد العزيز الربعي

دراسات دعوية

تظل مناهج الدعوة إلى الله (عز وجل) وآلياتها بحاجة ماسة إلى الترشيد والمراجعة والتقويم، وليس مما يعيب الدعوة في شيء أن تُعالج مشكلاتها المنهجية والوسائلية في سياق المناقشة الواعية المتزنة، وأن يُشيع أهلها والمشتغلون فيها أدبيات (النقد الذاتي)، بعيداً عن الحساسيات المفرطة والذاتية المعوِّقة، بل ليست الدعوة ببالغة مناها إلا بممارسة هذا الواجب المقرَّر متى اكتملت الشروط الشرعية فيه.

وها هو النهج القرآني يعالج قضايا الأمة ومشكلاتها ببيان معلن ونقاش جَهْوَري غير موارب، بل إنه ليقرر هذه الكلية في قوالب زمانية ومضمونية غاية في التنوع والاختلاف، هادفاً إلى تقريرين مهمين، أما الأول: فكامن في وجوب معرفة أنّ مصائب الأمة وهمومها مسائل يجب أن تكون تحت المجهر الجمعي رجاء البرء، وثانيهما: لتأكيد ألا فرق بين تلك المشكلات ـ زمناً وحالاً ـ من جهة العلاج والتصحيح والإصلاح، فلئن كان (النقد) مطلوباً في أزمنة الرخاء والمواءمة التي تتيح العمل بمقتضياته، فهو كذلك مطلوب في أزمنة العسرة لتكون إرشاداته ـ ثَمَّ ـ في صميم القلوب المترعة بالضنك، ولتنقش فيها الإيجاب نقش الحجر، وأنت واجد كل ذلك ـ لا محالة ـ في مناخات التعبير القرآني الفريد، ويمكن أن نقدم على ذلك مثالاً واحداً: إنه في

الدرس المستفاد من التعقيب الإلهي عن استفهام المؤمنين الذين أصابهم القرح في أحد ـ في ألم وأسى ـ عن سبب مصابهم، بأنه من أنفسهم، ولما لم يكن الفعل مَرْضيًا ـ أيًّا كان ـ ؛ فقد نالهم ـ في أول معركة تالية ـ ما به الدرس[1]، قال الله (تعالى): ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي: أعندما تُصابون في أُحُد بمصيبة القتل من قِبل المشركين بسبعين منكم والبلاء في المجموع، وأنتم قد أصبتم منهم ـ في بدر ـ ضعف مصابكم (قتل سبعين وأسر سبعين)؛ تتساءلون: من أين لنا هذا ونحن المسلمون وهم المشركون؟!، والجواب: أن هذا العقاب إنما هو بسببٍ منكم، على خلاف فيه بين أهل العلم: هل بأخذ الفداء من أسارى بدر بدل الإثخان، أو بمعصية الرماة أمره ﷺ، أو بمخالفة رأيه في البقاء في المدينة[2]، وأغلب المفسرين على الرأي الأخير[3]، ومع إدراك أن البيان الذي نحن فيه لا يهدف إلى تمحيص السبب، إلا أن من تمامه ـ أي البيان ـ الإشارة إلى أن كل هذه الأقوال قد تكون مرادة بلا تعارض، والله وحده أعلم، وغايتنا هنا: لفت الأنظار إلى الدرس العام المستفاد؛ إذ أخذ صفة الصدع، معلنًا الحق، ولم يكن البيان القرآني ليتأخر لظرف قد يُتذرَّع بعاقبته زمنيًا أو نفسيًا.

وإنك تلحظ ـ كذلك ـ أن الآي الحكيم لم يعمد إلى عرض السبب بقالب تسلية بحت، من شأنه تخفيف وطأة المصاب، بل جاء التعبير بالتسلية المبطنة ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ والتذكير الصرَّاح ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، فهو قد

١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ١/ ٤٢٤، ٤٢٥، ط. دار الفكر.

٢) والرأي الأول اختيار عمر وعلي (رضي الله عنهما)، وإلى الثاني ذهب ابن عباس (رضي الله عنهما)، والثالث قول قتادة والربيع (رحمهما الله)، يُنظر: زاد المسير لابن الجوزي، ١/ ٣٩٦، ط: الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، وللضحاك (رحمه الله): أي بسبب ذنوبكم السالفة، يُنظر: بحر العلوم للسمرقندي، ١/ ٣١٣، ط: الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ.

٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٣/ ٥٠٦، وتفسير السعدي، ١/ ٢٧٤.



«ذكر السبب الذي أصيبوا به، وذكر القدرة التي هي مناط الجزاء، فذكر عدله فيهم بما ارتكبوه من السبب، وقدرته عليهم بما نالهم من المكروه»[1]، ملتفتاً عن أسلوبه المعهود في مناسبات شبيهة، ولعل الحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ أن سياقات التسلية التامة إنما تكون في مناسبات التسليم والإذعان الكامل الفوري، في حين أنّ هذا التميز قد جاء في مناسبة مغايرة، حيث لم يذعن المخاطبون ـ على القول الثاني ـ لرأي النبي ﷺ في البقاء في المدينة والتحصن فيها، مع التأكيد على نبل هدفهم وسموه (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)، وفائدة أخرى: أن تلحظ أن القرآن الكريم لم يستعض عن تناول الحادثة المشار إليها بقاعدة عامة يمكن الإلحاق بها، من مثل قوله (تعالى): ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، مع كونها آية مكية سابقة؛ بل جاء التعبير بالتعيين، ليكون درساً في الطاعة والانقياد، ولأن آية (آل عمران) قد تضمنت معنًى زائداً يدخل في أهداف ما نحن فيه من بيان منهج القرآن الكريم في الصدع العلني إزاء مشكلات الأمة؛ إذ إن المولى (عز وجل) يختم الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفي هذا «نكتة لطيفة، وهو أن هذا الأمر بيده وتحت قدرته، وأنه هو الذي لو شاء صرفه عنكم، فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره، ولا تتوكلوا على سواه»[2].

وإذا كان ما تقدم بيانه في الشؤون العامة للأمة؛ فلا ريب أن شؤونها المتفرعة تندرج في هذه القاعدة ويصدق عليها هذا الحكم، وعليه تكون هذه المقدمة ضرورة في حق المشتغلين والمعنيين بأمر الدعوة إلى

دراسات دعوية

---

١) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، جمع: يسري السيد محمد، ١/٥٣٥، ط، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.

٢) تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، ٢/١٧١، ط مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٥هـ.

الله (تبارك وتعالى)؛ كي يمكن لهم التنمية والتطور، وتحقق (الدعوة) الفاعلية والتأثير، فالدعوة والدعاة بأمس الحاجة إلى المراجعات والتقويم، بشروط الاعتبار الشرعية ـ كما قد سلف ـ وهي شروط مبثوثة في كتب أهل العلم المنصرفين في بيانها وتوضيحها، ليس المقام لتقصي أطرافها ودرس مضامينها، بل حسبه التذكير.

ولا ريب ــ بعدُ ـ أن التحديات التي تواجه الدعوة إلى الله (تعالى) كثيرة متعددة، وإنه ليحسن التذكير بتقسيم لها قد سبقت الإشارة إليه في كتابة سابقة، وهو أن مشكلات الدعوة ومعوقاتها تنقسم إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: المعوقات المباينة الخارجية.

القسم الثاني: المعوقات الصفِّيَّة الذاتية.

ولقد سبق ـ في الكتابة المشار إليها آنفًا ـ التأكيد على أنَّ تلك المشكلات التي تأتي من خارج المناخ الدعوي تكون أقل ضرراً وتأثيراً من المعوقات التي تبتلى بها الدعوة من بعض أهلها أو المحسوبين عليها، فتلك الخارجية مرصودة متوقعة، بحيث يسهل مواجهتها أو على الأقل التخفيف من نتائجها، أما الذاتية فتحمل في طياتها من العوامل الفرعية السالبة ما يذهل عن أصول المشكلة ويشتت الجهد.

أسلوب الانتقاء النوعي:

هذا، وإن من أخطر المعوقات الذاتية في ميدان الدعوة إلى الله (عز وجل)، ما يمكن أن يصطلح عليه بأسلوب (الانتقاء النوعي) من المضامين إبان الخلاف في آليات الدعوة ومناهجها.

ولهذا الداء الخطير صورتان تمثلان حقيقته، فأما الأولى: فيعمد بعض المشتغلين بالدعوة أو بعض المحسوبين عليها عند الاختلاف ـ يعمد إلى آثار الآخر المختلَف معه بالبحث والتنقيب، في محاولة (للظفر) بما يمكن أن يكون إدانة تسجل على صاحبه، وتحسب للظافر !!، وليس مكمن الخطر في إشاعة هذا (الظفر)(!!) ، فتلك قضية أخرى تتصل بأدب النصيحة وفقه الإصلاح والتوجيه، وإنما الخطر كله أن يكون البحث قائمًا على غير ذي بال من

الصحة والصدق، بل يكون لصيق الصلة بـ ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾[1]، وبـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[2]، مجتزءاً، قد بُترت أطرافه واندثر سياقه.

ولئن كنا مأمورين بالعدل مع الأعداء؛ فإنه من باب أوْلى أن نشيعه ـ معشر الدعاة ـ في مناهجنا وحواراتنا الدعوية، لا سيما الخلاف الذي هو في أغلب الأحايين خلاف تنوع لا خلاف تضاد؛ إذ الأقربون أولى بالمعروف، وحقًّا: لم تعرف هذه الصورة السلبية إلا في بيئات المبتدعة وأهل الأهواء الذين يتخذون من (اجتزاء) السياقات والنصوص القرآنية والحديثية منهجًا مطردًا في تقرير أباطيلهم وبدعياتهم، إنْ في التقرير المجرد الذاتي كما في بعض مصنفاتهم المتجهة للبيان القرآني من مثل (كشاف) الزمخشري المعتزلي، وإنْ في مناظراتهم مع أئمة السنة والجماعة. وللمطلع على شيء من حوارات الجهبذ شيخ الإسلام «ابن تيمية» (رحمه الله تعالى) معهم، أن يقف على نماذج لا تحصى من هذه المناخات الانتقائية في الحوار، ويقف ـ بعدُ ـ على ما تقرر من أن هذا الأسلوب شائع عند المبتدعة، بل وهم مُعَرَّفون به، وهذا مشين بحق المنتمين إلى أنبل مهمة أن يكونوا متصفين بشيء من هذا الخلق الرديء، فضلاً عن أن يكون حمادى طاقة بعضهم وهجيراه. والحق الذي لا مرية فيه ـ بعدئذ ـ أن هذه الصورة من أبشع صور الظلم المتوجه إلى مستقبل الدعوة بالويل، فهو متعد في السلبية إلى صدقيتها ومناهجها وريادتها، فشؤمه لا يقتصر على الآحاد.

والصورة الثانية لهذه الآفة لا تقل خطراً عن الصورة الأولى، وهي تتمثل بأن يقصد المخاصم إلى بعض زلات (خصمه)، مستترًا بالنصح، متذرعًا بالإعذار، ولعلهم يتقون!!، وليست المشكلة ـ ها هنا ـ كذلك في إشاعة الخطأ، فسالفًا قَعَّدَ البيان لمثله، ولربما كان من قبيل الصحة

دراسات دعوية

---

1) جزء آية من سورة النساء، آية: ٤٣، وتمامها الشرعي والدلالي بذكر قيد النهي: ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾.

2) جزء آية من سورة الماعون، آية: ٤ ـ ٥، وتمامها الشرعي والدلالي بذكر صفتهم: ﴿... الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

والعافية، وإنما الزلل في منهج (الانتقاء) الذي يُغفل الحسنات ويقتصر على إشاعة السيئات، لجهة وقوع الممارس في مخالفات شرعية ومنهجية، فأما الملحظ الشرعي، فلكونه قد جانب العدل مع الآخرين، ولا مشاحَّة في أن إقامة العدل وإشاعته من أعظم مقاصد الشريعة واستشرافاتها، هذا من ناحية، ومن جهة أخرى: فلأن في هذه الممارسة غمطًا للناس، وهو من علامات الكبر والعجب (أعاذنا الله تعالى من مرذول الخُلُق).

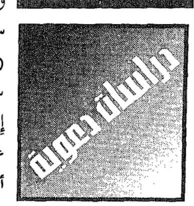
والجانب المنهجي يتعلق بأدبية التعامل، فلا شك أن الواقع في شيء من هذه الآفات يتطلب العدل من الاخرين، وإذا كان من الواجب في حقه المعاملة بالمثل، والراصد لواقع الآفة يفاجأ بالتناقض الصارخ في مسلكية الوالغين فيها؛ فهم مع الآخر (انتقائيون)، وفي التنظير لمحاوراتهم وإبان الشعور بالخطأ يطالبون بالعدل باللفت إلى النظرة الواقعية المعتدلة!.

وإن السنة في حق هؤلاء أن يربوا أنفسهم على قيم العدل في إبراز جوانب الخير كما هم متحمسون لإظهار جوانب الخلل - إن كان ثَمَّ -، وإن الديانة والمروءة تقتضي منهم ألا يجعلوا من محاريب علمهم موئلاً لانتقاص الآخرين وذمهم، إلا مَنْ كان مبتدعًا مخالفًا لمنهاج أهل السنة والجماعة، فمثله يُندب للرد عليه ودفع أباطيله، وإنما النهي عن المخالفين في آليات الدعوة، فإنهم منهم وهم من أولئك، شريطة موافقة الكتاب والسنة هنا وهناك - بكل حال - .

إنه في الوقت الذي تنتظر فيه الدعوة من أبنائها وحدة الصف للعمل والإنتاج تفاجأ بشيوع نماذج الصورة الثانية وانتشارها في المحافل وفي دور العلم، انتشار النار في الهشيم، فالمخاصم يقلب عينيه في مصنَّف المشنوء رجاء الزلة، ويبث العيون ويسترق السمع طُلبة للخطأ، وهو في هذا وذاك يُغفل الخير ولا يرجوه، ويُحصي الشر ويتمناه، يختار الأدنى على الذي هو خير، ينتخب السقطة ويُقصي المحمدة، إنّه ذاهل عن الخير بالتوجس والنبض والتمني!، مَثَلُه في ذكر السوء النزر وودع الحق، مثل الآخذ بأذن الكلب دون طيب النعم، وذاك تشبيه البليغ الفصيح ﷺ إذ يقول: «مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يحدث عن صاحبه إلا بشر ما سمع، كمثل رجل أتى راعيًا فقال: يا راعي! اجزر لي شاة من غنمك. قال: اذهب فخذ بأذن خيرها

فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم » [1].

وأما البحث عن دوافع (الانتقاء النوعي)، فراجعةٌ في الأعم الأغلب إلى الجهل، وقد ترجع إلى الهوى، فالمخالف المتوجه إلى ممارسة (الانتقاء) في صورتيه، إما أن يكون جاهلاً بعاقبة عمله في العاجل، بحيث لا يدرك الآثار السيئة التي يمكن أن تخلفها هذه الممارسة في صورتيها على الدعوة وواقعها، وعلى المستويات كافة، أو لا يدرك ـ بجهله ـ آجل الظلم ومآل الغمط في الآخرة، وإما أنه ذو هوى فتّاك يقوده إلى المعصية، وهو يدرك نتائجها، فلا يلوي في سبيل تحقيق هواه على شيء، فهو به جاهل، ومن هنا سمّت العرب الهوى هوانًا[2]، وهكذا ترى أن الهوى والجهل هما دافعا (الانتقاء النوعي)، بل هما سبب السيئات كلها على سبيل الحق، يقول شيخ الإسلام « ابن تيمية » (رحمه الله) في حديث نفيس عن سبب المعاصي: « فإن أحدًا لا يفعلُ سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة، أو لهواه وميل نفسه إليها... وفي الحقيقة: فالسيئات ترجع إلى الجهل، وإلا لو كان عالمًا علمًا نافعًا بأن فعل هذا يضره ضررًا راجحًا، كالسقوط من مكان عال، أو في نهر يغرقه، .. ونحو ذلك لم يفعله؛ لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه، ومن لم يعلم هذا يضره كالصبي والمجنون .. ، فالغفلة والشهوة أصل الشر، قال (تعالى): ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف: ٢٨]، فالهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل ..، ولهذا قال الصحابة (رضي الله عنهم): « كل من عصى الله فهو جاهل »، وفسروا بذلك قوله



---

١) رواه الإمام أحمد (رحمه الله) في مسنده، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن، هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى تضعيف الحديث.. انظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ١٤/ ٢٨٤، ح/٨٦٣٩، ١٥/ ١٤٨، ح/ ٩٢٦٠، ط الرسالة، ١٤١٧هـ، وينظر: المسند، ح/ ٨٦٢٤، ٨/ ٣٧٣، ط: دار الحديث، ١٤١٦هـ.

٢) ينظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة، م١ جـ١/ ٩٤، ط دار الفكر.

(تعالى): ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية، فقالوا: «كل من عصى الله فهو جاهل»[1].

ومن هنا: أصبح من الواجب اللازم على المشتغلين بالدعوة، أن يطهروا قلوبهم من أدرانها، لا سيما تلك التي تتعدى آفاتها إلى الدعوة ذاتها، وإن عليهم تعاهدها بالعلم والعمل وصولاً إلى مراتب التزكية والخيرية، وإن عليهم ـ كذلك ـ أن يفطنوا وهم فاعلون ـ إن شاء الله ـ لمعوقات الطريق الذاتية، وأن يوقنوا أن العدو المتربص الذي يعمل على إذكاء الخلاف وبعث الفتنة، إنما يمارس ذلك لإدراكه أن وقف مسيرة الدعوة بالمشكلات الذاتية أجدى من التعويق بالصد المباين.

لقد آن للدعاة إلى الله (عز وجل) وخاصة من وقع في بعض الأخطاء أن يتعاطوا مع مشاكلهم الزاحفة المتربصة تعاطياً مناسباً لأحجامها من المسؤولية، وأن تكون مناهجهم العملية والعلمية متسمة بأدبية التمحيص والتصحيح من خلال الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، بل وإن من الواجب في حقهم أن يستفيدوا من مناهج المراجعات المختلفة، متسلحين بالتجرد الأمكن، والمجاهدة النفسية، والروح المتسامحة، والنظرة العميقة النافذة.

حقًّا! إن الأمة لا تنتظر من الواقعين في شيء من بُنَيَّات الطريق مجرد الصفح، بل تترقب التحول السريع إلى ميادين التعاون الجمعي في سبيل تطوير مناهج الدعوة وآلياتها، يداً بيد، وخطوة بخطوة.

وإنه لا مناص من التأكيد ـ عاقبة ـ أن إشاعة (النقد الذاتي) من دلائل الصحة والنضج، وأن الخطأ والزلل شأن العمل البشري كله، وليست العصمة لبشر عدا الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وعليه: فإن الحديث عن (الانتقاء النوعي) ليس إلا مرحلة من مراحل المراجعة الطويلة الممحصة.

وإنه متى كانت هذه القناعات أساسيات العمل الدعوي في النفوس والتعامل؛ فإن المسيرة بخير وطيب حال.

---

١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، وضع: د. محمد السيد الجليند، ١/ ٣٩٩ ـ ٤٠١.

مقال

الإرهاب مصطلحًا!

بحث في إشكالية تعريف (الإرهاب) وسر غموض التعريف

بقلم: أحمد بن صالح السالم

مع ما نلحظه فيما يتعلق بمصطلح (الإرهاب) من إجماع دولي على محاربته، وتخطيط محكم لاقتلاع جذوره ونسف شجرته، نلحظ أيضاً عدم امتلاك أي من هذه الدول لتعريف واضح ومقبول لهذا المصطلح.

فلماذا بدا مثلاً (الأفغان)، و(الإيرلنديون)، و(الكشميريون) إرهابيين في نظر أعدائهم الروس، والإنجليز، والهنود، بينما لا يعتبرهم آخرون كذلك؟! بل ما هو الأساس الذي اعتمد عليه الصرب المجرمون في وصم (البوشناق) المساكين بالإرهاب؟!.

ومن هنا تتبين أهمية طرح إشكالية تعريف هذا المصطلح، واستجلاء سر غموضه، بل تعمد أن يكون غامضًا، من أجل أن نصل أخيراً إلى تقدير مدى إمكانية إقرار المصطلح واستخدامه.

أولاً: إشكالية التعريف:

أ ـ المعنى اللغوي:

تبين لنا من خلال استقراء المعاجم العربية الأصلية أنها قد خلت من كلمة (إرهاب)، وهي كلمة أقرها المجمع اللغوي وجذرها (رهب) بمعنى خاف.

ومصطلح (الإرهاب) ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (Le Terrorisme) التي استحدثت أثناء الثورة الفرنسية، وهي ترجمة حرفية أيضًا للكلمة الإنجليزية (Terrorism)، ويُعْتَقَدُ أن الترجمة الصحيحة للمصطلح الأجنبي

هي كلمة (إرعاب)، وليس (إرهاب)[1].

ب ـ المعنى الاصطلاحي :

من أجل تأكيد أعمق لإشكالية التعريف الاصطلاحي نشير إلى أن كتاباً[2] أُورد فيه من تعريفات الإرهاب ما يزيد على المائة وضعت من قِبَل بعض المتخصصين بين عامي ١٩٣٦م ـ ١٩٨١م.

ونظراً لحاجة التحليل الذي نحن بصدده إلى بعض التعريفات أثبت منها ما يلي :

١ ـ يعرِّف «جي فاوفيتش»، الإرهاب بأنه: «الأعمال التي من طبيعتها أن تثير لدى شخص مَّا الإحساس بالخوف من خطر مَّا بأي صورة»[3].

٢ ـ أما «ليمكين» فيعرف الإرهاب بأنه: «يكمن في تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف»[4]

٣ ـ ويعرفه «جورج ليفاسير» بأنه: «الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة»[5].

٤ ـ أما المشروع الفرنسي المقدم عام ١٩٧٢م، للأمم المتحدة فيعرف الإرهاب بأنه: «عمل بربري شنيع»، في حين وصفته (فنزويلا) بأنه: «عمل يخالف الأخلاق الاجتماعية ويشكل اغتصاباً لكرامة الإنسان»[6].

ولكي نتمكن بعد استعراض هذه التعريفات من تحليلها بغرض تحديد درجة دقتها وقياس مدى إمكانية الاعتماد عليها في عملية وصف وضبط وتحديد ما يمكن تسميته بـ (العمل الإرهابي)، فإنه لا بد من إيضاح أركان (الإرهاب).

---

١) الإرهاب الدولي، خطورته والتخطيط لمواجهته، عبد الله المهنا، ١٤٠٧هـ، ص ٥، وانظر: (الإرهاب في القانون الجنائي)، د. محمد مؤنس محب الدين، ص ٧٧.

٢) الإرهاب الدولي ومشكلات التحرير والثورة في العالم الثالث، د. أسامة حرب، وآخرون.

٣، ٤، ٥) الإرهاب في القانون الجنائي، ص ٧٣ ـ ٧٤.

٦) الإرهاب الدولي، خطورته والتخطيط لمواجهته، ص ٢١.

مقال

ج ـ أركان الإرهاب :

بعد تأمل ما يسمى بـ (العمل الإرهابي)، يمكن القول بأنه يقوم على أركان أربعة هي :

١ ـ القائم بالعمل. ٢ ـ الهدف.

٣ ـ الوسيلة. ٤ ـ المستهدف.

ولكي يكتسب تعريف (الإرهاب) صفة الدقة، ويحظى بدرجة معقولة من القبول : فإنه لا بد من قيامه على هذه الأركان الأربعة مجتمعة، مع ضرورة اتكائه على عقيدة أو إيديولوجية معينة، وذلك لتعذر ضبط الهدف والوسيلة إلا بالاعتماد على مثل هذه العقيدة أو الإيديولوجية.

وبهذا يتبين لنا عدم دقة أي من هذه التعريفات لعدم اصطباغها بالمقومات الضرورية السابقة واللازمة لاكتساب صفتي الدقة والقبول.

وفي هذا السياق، ومن أجل تقرير وتأكيد حقيقة مهمة نبادر بطرح السؤال التالي :

لماذا لم تفلح الدول في بلورة تعريف واضح ومقبول للإرهاب؟

السبب في ذلك يعود إلى تباين وتضارب العقائد أو الإيديولوجيات التي اعتنقتها الدول وارتضتها مناهج حياتية لها ولشعوبها واتخذتها فلسفة تصدر عنها في سن تشريعاتها ونظمها، فأدى ذلك التباين والتضارب إلى جعل اتكاء التعريف على عقيدة أو إيديولوجية بعينها أمراً متعذراً... فتم الاتكاء على الأخلاق الحضارية والقيم الإنسانية والمعطيات الواقعية!!!.

ثانياً: سر غموض المصطلح :

وحتى مع الإقرار بالحقيقة السابقة فإنه يبرز سؤال تعوزه إجابة منطقية مفاده : ألا تستطيع هذه الدول أن تقلل من غموض هذا المصطلح وتظفر بالتالي بتعريف أكثر دقة وقبولاً وأقرب إلى تحقيق العدل والإنصاف؟

بلى! تستطيع ... بيد أن الكبيرة منها على وجه الخصوص تهدف إلى ممارسة الإذلال والاضطهاد لأعدائها من خلال المصطلح ذاته، ولا سيما الأعداء

الأيديولوجيين وعلى الأخص الراديكاليين الدينيين (أو بتعبيرهم المتزمتين!)!.

فأصبحت هذه الدول في جو ضبابية المصطلح لا تتكلف إذا أرادت أن تقضي على أعدائها (أيًا كانوا: شخصًا، جماعةً، حزبًا، نظامًا، شعبًا) أكثر من أن تشير ببنانها إلى هذا العدو واصمة إياه بالإرهاب؛ لتنطلق بعد ذلك نحوه بخيلها ورجلها جيوش العالم التي سبق تجييشها ضد (الإرهاب) دونما تروٍ ولا تثبت، بل ولا سماعٍ لشاهد آخر!!

ولقد ثبت عن وكالات الاستخبارات الغربية ما يؤكد هذه الحقيقة، فمن ذلك: ما ثبت عن إحداها قولها: «إن الدوائر الرسمية في الدولة قد تعمد إلى استدراج (رئيس دولة ما) إلى مغامرة خارجية أو انتقال أعمال إرهابية لتهيئة الأجواء الدولية لتوجيه ضربة موجعة لهذه الدولة» [١].

ومما يفيده هذا الاقتباس أن هدف هذه الدول قد يتعدى إلى ما هو أكبر من تصفية شخص عادي أو القضاء عليه أو حتى جماعة أو حزب .. وبهذا ندرك سر تعمد الغموض .. فلماذا يعينهم الآخرون على أنفسهم ؟!.

وإلى هذا الهدف يضاف هدف آخر لا يقل أهمية عنه، بل هو أهم، ويتلخص في سعيهم الجاد إلى القضاء على الالتزام الصحيح بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة وذلك من خلال إقرارهم واقعيًا للمعادلتين التاليتين:

إسلام المعتدلين (في نظرهم) ≠ الإرهاب

إسلام المتشددين (في نظرهم) = الإرهاب

فهم يصفون الإسلام الذي يساوونه بالإرهاب بأنه أصولية وتطرف!!.

أما الإسلام الذي لا يصح من وجهة نظرهم أن يُربط بالإرهاب فهو إسلام المعتدلين!!

هذا بالنسبة للدول الكبيرة، أما الصغيرة منها فمعظمها يرمي إلى تحقيق الهدف الثاني من وراء استخدام هذا المصطلح الضبابي!! أما الهدف الأول فمتعذر لهم وممكن عليهم!!!



١) الإرهاب والعنف السياسي، محمد السماك، جـ٢، ١٩٩٢م، ص ١٣٨ .

مقال

ثالثاً: المصطلح: استخدام أم إحجام؟

وفي نهاية الموضوع نأتي إلى السؤال (الثمرة) الذي يُلِحُّ على تحرير إجابة منهجية له وهو:

هل يسوغ لنا استخدام هذا المصطلح بعد الإقرار بهذه الحقائق والتسليم بها؟!

والجواب: لا يسوغ استخدامه من وجهة نظري لأسباب من أهمها:

١ ـ أن الله (عز وجل) يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وأجزم بأن الآثار السيئة المترتبة على إقرار هذا المصطلح واستخدامه أكثر وأخطر من تلك التي قد ترتبت على قول بعض المؤمنين ﴿ **رَاعِنَا** ﴾ وهو ما سيتضح في النقاط التالية.

٢ ـ أننا بإقرار هذا المصطلح واستخدامه قد نمكّن للحاقدين من تنفيذ مخططاتهم العدوانية.

٣ ـ قد يفيد استخدام المصطلح دون تبيين لماهية الإرهاب المُدان من الناحية الشرعية بأننا نحكم على بعض الأعمال الجهادية بأنها من الإرهاب!.

٤ ـ لقد تقرر معنى الإرهاب في كثير من الأحيان عند أولئك بأنه الإسلام! فهل نُدينه نحن بدورنا!!

٥ ـ إن مصطلح (الإرهاب) قد جاء في قوله (جل وعز): ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعاً: مصطلحات بديلة:

لغتنا العربية لغة ثرية في كلماتها، دقيقة في معانيها، واسعة في مصطلحاتها، واضحة في لوازمها، وهي مع ذلك لغة تواكب تطورات العصر وتفي باحتياجاته.

وعليه فإن المصطلحات التي يمكن استخدامها كبديل لمصطلح (الإرهاب)

كثيرة في عددها ومتنوعة في أغراضها، فمنها على سبيل المثال:

العنف ـ الإجرام ـ العدوان.

وأخيرًا:

أؤكد على أولئك الذين لم يقتنعوا بعدُ بعدم تسويغ استخدام هذا المصطلح، وعلى أولئك الذين اضطرهم السياق إلى التحدث بلغة القوم، أؤكد عليهم جميعًا بألاَّ يستخدموه على نحو يُشعر بقبولهم العام له، أو بانتفاء الإشكالية في تعريفه، وبألا يستخدموه على نحو يكرس ما لا يجب تكريسه!!.

والله الموفق،،،

الاهتمام بدعوة المرأة وتربيتها

(١ من ٢)



بقلم: عبد اللطيف بن محمد الحسن

تعاني الصحوة اليوم من ضعف في طاقاتها العاملة المؤهلة التأهيل اللازم، مما يساعد على محدودية الانتشار، ونخبوية العمل، ومن أشد ذلك تَبعَةً: عدم تكافؤ الجهد المبذول لدعوة المرأة وتربيتها مع الواجب تجاهها، وما ترتب عليه من تنحي المرأة عن ميدان الدعوة، وبخاصة في ظل الدور الإفسادي المركّز الموجّه إلى المرأة المسلمة في جل ديار الإسلام لإبعادها عن رسالتها.

التقصير في دعوة المرأة :

إن نظرة في واقع الصحوة اليوم، ومكان المرأة فيه تنبئ عن ذلك ـ دون عناء ـ ، ومن أبرز مظاهر ذلك:

١ ـ قلة الطاقات والكفاءات الدعوية النسائية .

٢ ـ ضعف الاستفادة من هذا القليل؛ لندرة المبادرات الذاتية المستغلة لتلك الطاقات القليلة، وإهمالها في غالب الخطط الدعوية .

٣ ـ ضعف التكوين الدعوي والتربوي والعلمي لدى الداعيات الموجودات، وكثير من نساء الدعاة .

٤ ـ ضعف استيعابهن لدور أزواجهن الدعوي ـ المنوط بهم شرعًا ـ مما يفضي إلى شيء من التذمر، وربما الخصام!!

٥ ـ تفشي الجهل في الأمور الشرعية لدى غالبية النساء .

٦ ـ تأثير الدور العلماني الموجه لإفساد المرأة في الواقع المعاش .

٧ ـ ندرة المؤسسات الدعوية النسائية .

٨ ـ ضعف المؤسسات النسائية الدعوية القائمة ـ غالبًا ـ ؛ بدليل

ضعف الإنتاج، وكثرة الوقوع في الأخطاء [1] .

أسباب التقصير :

إن مما سبب إهمال المرأة أموراً عدة، هي في الحقيقة عقبات وعوائق، يصعب معها القيام بالواجب دون معرفتها وتحليلها، والسعي إلى معالجتها وتجاوزها :

● تسليم المجتمع للموروثات الخاطئة عن المرأة، ونظرته المستنقصة لها، حيث يعتبرها مجرد أداة لحفظ النسل فقط، وأيضاً بمراعاته للعادات والتقاليد التي ليس لها أصل في الشرع، والتي تحد من الحركة الدعوية للمرأة .

● عدم اقتناع الرجل بمسؤولية المرأة الدعوية، وذلك عندما يحمّل قول الله (تعالى): ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ما لا يحتمل، ويسيء استخدام حق القوامة، فيمنع المرأة من الخروج لمصلحة دينها ودنياها، وينسى أن المعاشرة بالمعروف تستلزم إذنه لها فيما لا محذور فيه ولا ضرر، ويسوء الحال أكثر عندما يكون أنانياً، أو ضيّق الأفق، لا يفكر إلا في مصلحة شخصه، وأسوأ من ذلك: عندما يكون غير مستقيم.

● وبشكل أخص، فإن من الأسباب : غياب الأولويات لدى الرجل الداعية الذي أذهله واقع أمته عن الاهتمام ببيته وأهله، واستُنفدت طاقته في العمل الدعوي خارج المنزل، فلم يُبق له شيئاً في ظل تخاذل غيره عن القيام بواجبه، مما أرهق الداعية وأفقده شيئاً من التوازن الضروري .

● والمرأة ذات دور مؤثر في الموضوع؛ وذلك عندما يضعف مستوى الوعي عند الملتزمات ويقف دون مستوى النضج المطلوب، وأيضاً: حين تضعف رغبة المرأة في التضحية، أو تبالغ في التوسع في المباحات والكماليات، مما يضاعف جهدها داخل المنزل، وحين تصعب عليها الموازنة بين الحق والواجب، وحين تفقد شيئاً من الموضوعية والتوازن، فتنسى أن عملها داخل بيتها هو جوهر رسالتها، وتغفل عن أداء دورها فيه، وأيضاً: حين تجهل ترتيب الأولويات فترتبط بعمل وظيفي يشغلها عن

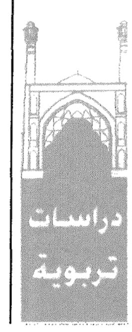
[1]) وانظر: مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية، عبد الحميد البلالي ، ص ١٥١ .

بيتها، فضلاً عن رسالتها الدعوية داخله وخارجه، وكذلك حين ينقلب الحياء خجلاً من أداء الواجب، فيصير مرضًا خطيرًا يفتقر إلى العلاج.

● ومن الأسباب: محدودية بعض الدعوات الإصلاحية، وعجز أكثرها عن استيعاب المرأة، وعدم مراجعتها لخططها وبرامجها، وضعف التربية المؤدي إلى ضعف الشعور بالمسؤولية بالشكل المتكامل.

● ومن الأسباب: الكيد الخارجي - والداخلي أيضًا - المتمثل في الغزو الفكري، وخاصة الموجه للمرأة، تحت ستار: تحرير المرأة، مما أقصى المرأة عن رسالتها، وشوّه صورة الإسلام في ذهنها، واستخدمها في غير ما خلقت له، ومنها أيضًا الأوضاع الجائرة في كثير من بلاد المسلمين التي أقصت الرجال عن ميدان الدعوة، فضلاً عن النساء.

● وهناك أسباب أخرى، مثل: صعوبة المواصلات، وهذا أمر يهون؛ إذ لا مانع من الدعوة داخل البيت، ومع الجيران والزائرات والأرحام، وفي هذه الحال على ولي المرأة - وكل من يعنيهم الأمر - احتساب الأجر، وسعيهم في تذليل هذه العقبة.



أهمية إعداد المرأة الداعية:

ثمة أسباب ومسوغات كثيرة تعكس أهمية ذلك، ومنها:

١ - أن المرأة أقدر من الرجل على البيان فيما يخص المجتمع النسائي.

٢ - أن المرأة تتأثر بأختها في القول والعمل والسلوك أكثر من تأثرها بالرجل.

٣ - أنها أكثر إدراكًا لخصوصيات المجتمع النسائي، ومشكلاته.

٤ - قدرتها على الشمولية للجوانب الدعوية النسائية، والتمييز بين الأولويات، لطبيعتها ومعايشتها للوسط النسائي.

٥ - أنها أكثر قدرة وحرية في الاتصال بالنساء، سواء بصفة فردية، أو من خلال المجامع النسائية العامة، التي يكثر فيها لقاء النساء من خلال قنوات الدراسة والتدريس والعمل والزيارات وغيرها.

٦ - أن كثيرات من المسلمات اللاتي يحتجن إلى دعوة وتوجيه وتربية يفتقرن إلى وجود المحرم الذي يقوم بدعوتهن؛ مما يعني تحتُّم قيام بنات جنسهن بهذا الدور تجاههن.

٧ - أن وظيفة المرأة التربوية أوسع

من وظيفة الرجل؛ لقيامها بالحمل والولادة والرضاع والحضانة، مما يجعل الأولاد أكثر التصاقًا وتأثرًا بها من الأب، بالإضافة إلى طول ملازمتها للأولاد في البيت، خاصة قبل بلوغ الأبناء وزواج البنات، مما يمكنها من تنشئة أولادها كما تريد، وبالتالي فقد تضيِّع كثيرًا من جهود زوجها الدعوية، إذا لم تحمل الهمَّ الدعوي الذي يحمله، أو تقتنع بجدواه على الأقل، ولعل في قصة امرأة نوح (عليه الصلاة والسلام) وابنه ما يشير إلى هذا (نسأل الله السلامة).

٨ ــ أن للمرأة تأثيرًا كبيرًا على الزوج، فصلاحها معين على صلاحه، وأيضًا فإن ضعف قناعتها بأمر دعوته موهن له كثيرًا، وفي قصة طلب زوجة فرعون الإبقاء على موسى (عليه السلام) ما يؤكد هذا، وكذا قصة إسلام عكرمة بسبب إلحاح زوجه أم حكيم (رضي الله عنها)[١].

٩ ــ تتميز المرأة بجملة من الصفات والخصائص، تؤكد الأهمية، كما ينبغي وضعها في الحسبان، ومنها:

أ ــ رقة العاطفة، والحماس لنشر قناعاتها.

ب ــ ضعف الإرادة، وسرعة التأثر، وحب التقليد.

جـ ــ ضعف التحمل، والميل إلى الفسحة واللهو.

د ــ كثرة الإلحاح على الرجل ومراجعته، ومحاولة ثني إرادته، وتغيير قراره[٢].

آثار قيام المرأة بالدعوة:

- رفع الجهل وإعمال سعة الأفق الفكري، وتوفير كفايات علمية نسائية تكون مرجعًا للنساء.
- إصلاح السلوك، واختفاء كثير من الممارسات الخاطئة التي أخذت طابع الظاهرة الاجتماعية في كثير المجتمعات.
- كون الداعية رقيبة على نفسها في حركاتها وسكناتها، مما يقلل متابعة الرجل، وحرصه على ذلك للثقة بها.
- إبراز مكان المرأة في الإسلام وإشعارها بحقوقها وواجباتها؛ لتسعى إلى



١) انظر: المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة، د. أحمد أبا بطين، ١٤١ ـ ١٤٦ (وهي رسالة دكتوراه قيمة في هذا الباب)، نشرتها (دار عالم الكتب) بالرياض.

٢) انظر: منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبد الله الحوشاني، جـ١، ص ٢١٦، ٢٢٠.

أداء الواجب، والمطالبة بالحق الشرعي.

• التوازن في التوجيه، واتحاد الأهداف وتضافر الجهود لتنشئة الجيل المسلم الصالح.

• سدها ثغرة من ثغرات المجتمع، بوقوفها أمام تيار الفساد الموجه ضد المسلمين بعامة، والنساء منهن بخاصة.

• إحياء قوة الانتماء للإسلام، بإظهار شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي من أعظم شعائره.

• تأمين رافد مالي مهم للدعوة، وهو جانب الإنفاق النسائي في وجوه الخير، لوفرة ما لديهن عادة، ووجود المال ـ أحياناً ـ من إرث ونحوه، ومن ناحية أخرى: حفظ مال الزوج من تبديده في الكماليات، للإبقاء عليه معيناً له على الاستمرار في دعوته [١].

المرأة المسلمة مدعوّة وداعية:

كل أمر ونهي عام في خطاب الشارع فإنه شامل للذكر والأنثى قطعاً، والمرأة داخلة فيه بلا شك، وإنما يوجَّه الخطاب للذكور تغليباً على الإناث، وهذا أمر سائغ في اللغة، إلا أن هناك أحكاماً لا خلاف في اختصاصها بالرجال.

وبالمقابل فإن الله (عز وجل) ونبيه ﷺ قد خصَّا النساء بأمور دون الرجال، مما يدل على اعتبار شخصيتها المستقلة عن الرجال، وهذا وذاك يؤكد وجوب التوجه إلى المرأة بالدعوة والتربية والإصلاح والتوجيه؛ فإنها مخاطبة بدين الله (عز وجل)، مأمورة بالتزام شرعه، مدعوة لامتثال الأوامر، وترك النواهي.

ولذا كان النبي ﷺ يوجه للنساء خطاباً خاصاً بعد حديثه للرجال، وربما خصهن بيوم يعلمهن فيه دون الرجال [٢].

ويؤكد الوجوب أيضاً: مسؤولية الرجل عن بيته مسؤولية خاصة، قال الله (عز وجل): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦]، وقال الرسول ﷺ: «والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عن رعيته» [٣]، وقد أورد

١) انظر: المصدر السابق، ١٤٧ ـ ١٥٢.

٢) انظر: صحيح البخاري، ح/٩٨، ١٠١.

٣) متفق عليه، البخاري، ح/٧١٣٧، مسلم، ح/١٨٢٩.

البخاري (رحمه الله) في باب: (تعليم الرجل أمَته وأهله) حديث أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران ـ وذكر منهم ـ: رجل كانت عنده أَمَةٌ فأدبها فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران»[1]، ولا شك أن الاعتناء بالأهل الحرائر في التعليم والتربية آكد من الاعتناء بالإماء.

ويزداد هذا الواجب في حق الداعية؛ لاعتبارات كثيرة لا تخفى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المرأة مكلفة بالدعوة إلى الله (عز وجل)، ويستفاد وجوب الدعوة عليها من أدلة كثيرة منها:

١ ـ عموم الأدلة على وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقول الله (تعالى): ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ونحوه من الآيات والأحاديث.

٢ ـ تخصيصها بخطاب التكليف بالدعوة؛ كقوله (تعالى): ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله (تعالى): ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾: «أمرهن بالمعروف، والنهي عن المنكر»[2] وهذا خطاب عام لنساء المؤمنين، وقوله (تعالى): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ [التوبة: ٧١]، وهذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهن كوجوبه على الرجال، حيث وجدت الاستطاعة، وكذا قوله ﷺ: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته...»، وفيه: «والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم»، والراعي: هو الحافظ المؤتمن على ما وضع عنده، الملتزم صلاح ما قام عليه.

١) كتاب العلم، ح/٩٧، (الفتح جـ ١، ص ٢٢٩).
٢) تفسير القرطبي، جـ ١٤، ص ١٧٨.

٣ ـ بعض الأحوال والقرائن والأحكام الشرعية، نحو:

أ ـ حرمة الاختلاط بين الجنسيْن؛ مما يعني وجوب قيام داعيات بين صفوف النساء.

ب ـ وجود بعض الأحكام الشرعية التي اختصت المرأة بروايتها عن النبي ﷺ.

ج ـ صعوبة قيام الدعاة من الرجال بكل ما تحتاجه الدعوة بين النساء؛ لاختصاص المرأة ببعض الأحكام والأعذار الشرعية، التي يصعب إفصاح الرجال عنها، وتستحيي النساء من السؤال عنها[١]، إلى غير ذلك من الأمور التي يصعب القول معها بغير الوجوب.

حقيقة دور المرأة الدعوي المطلوب:

الناظر في دور المرأة المسلمة ـ في هذا المجال ـ يجد أنه كان لدعم عمل الرجل، ولا يصح بحال أن يستهان بهذا الدور؛ فإن المرأة تمثل السكن النفسي للرجل، وهي بذلك تؤدي دورًا دعويًا مهمًا؛ لأنه لا يستطيع حل مشكلاته الخاصة إذا كان مشغول البال، فضلاً عن تحمله أعباء الدعوة.

وكم عرفت الدعوات أناسًا سقطوا على طريق الدعوة أو ضعف إنتاجهم؛ لهذا السبب.

وموقف خديجة (رضي الله عنها) في مواساة النبي ﷺ ومؤازرته وعونه: أكبر دليل على الأهمية البالغة لهذا الدور. ولقد تأملت في حال الصحابة (رضي الله عنهم) وسلف الأمة (رحمهم الله) في انطلاقهم في كل صقع من الأرض، مجاهدين ودعاة ومربين... وغياب بعضهم المدد الطويلة فألفيتها تعطي أوضح دليل على ما كان لنسائهم من دور فعّال في تربية أبنائهم، الذين كانوا على خطى آبائهم؛ دينًا ومنهجًا وقوة ومَضَاءً!!.

وجُلّ نساء اليوم لا تعي هذا الدور، ولا تفهمه، ومن باب أوْلى لا تقوم به، فعندما تزف البنت إلى عش الزوجية تظنه مكانًا للراحة والتدليل، وما درت أنه بداية الكفاح والتضحية والمسؤولية والعطاء الذي تطرق به باب الجنة، إن قامت به على وجهه.

ولا يقف دور المرأة عند هذا الحد،

---

١) انظر: المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة، د. أحمد أبا بطين، ص ١٢١ ـ ١٢٩، ومسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي ظهير، ص ١١.

فإن لها دورًا قويًا مؤثرًا في كونها قدوة حسنة، كريمة الأخلاق، حسنة المعشر، تقضي حوائج الناس، وتشاركهم همومهم وأفراحهم ـ مع التزام الشرع ـ إضافة إلى الدعوة المقصودة في انتهاز الفرص المناسبة للدعوة والتوجيه، مع مراعاة أحوال المدعوات والمدعوين من المحارم[1]، وقد بلغ نساء السلف في هذا مبلغًا عظيمًا.

صور من دعوة المرأة تجلي دورها:

حقاً لقد فهمت المرأة واجبها فبدأت بنفسها، فبادرت بطلب حقها من التعليم والتربية ولم تبالِ بعد ذلك بما حصلت عليه من متع الحياة الفانية، روى البخاري عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن.. الحديث[2].

فكانت ثمرة ذلك الفهم النسوي مع ذلك الاهتمام النبوي صورًا مشرقة، أدعو المرأة المسلمة إلى الوقوف معها.

فهذه «أم سليم» (رضي الله عنها) تلقن ولدها أنس بن مالك الشهادتين، مع رفض زوجها مالك بن النضر الإسلام، حتى هلك، فخطبها أبو طلحة ـ وكان مشركًا ـ فتجعل مهر زواجها الإسلام، فيسلم، فتتزوجه، وتجعل ابنها خادمًا لرسول الله ﷺ، وأم حكيم كانت سببًا في إسلام زوجها عكرمة، وعمة عدي بن حاتم كانت سببًا في إسلامه (رضي الله عنهم).

وعَمْرَة ـ امرأة حبيب العجمي ـ توقظ زوجها للصلاة ليلاً، وتقول: «قم يا رجل! فقد ذهب الليل، وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدّامنا، ونحن قد بقينا»[3]، وأسماء (رضي الله عنها) نهت ابنها عبد الله ابن الزبير (رضي الله عنهما) عن قبول خطة غير مرضية خشية الموت، مع كبر سنها، وحاجتها لابنها، ومن قبل كان لها موقف في صباها يوم هجرة الرسول ﷺ، حين سميت (ذات النطاقين)، وكانت حفصة بنت سيرين (رحمها الله) تقول: «يا معشر الشباب! خذوا

1) انظر: مقابلة مع الأستاذة: خولة درويش، في مجلة البيان، ع/٤٠، ص ٧٨ ـ ٨٤.
2) رواه البخاري، ح/١٠١.
3) صفة الصفوة، جـ ٤، ص ٣٠.



من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب »[1]، فإذا كان هذا حالهن في دعوة الرجال، فماذا يُظن بدورهن بين النساء؟.

وإذا انتقلنا إلى دائرة أوسع وجدنا للمرأة المسلمة دوراً عظيماً في التضحية والبذل لدين الله (عز وجل)، فبذلت سمية (رضي الله عنها) نفسها ـ قتلها أبو جهل لإسلامها ـ، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وأنفقت خديجة (رضي الله عنها) مالها، فكانت أول مناصر للدعوة، وكانت رقية (رضي الله عنها) من المهاجرات إلى الحبشة أول مرة، وضحّت أم سلمة (رضي الله عنها) بسبب الهجرة كثيراً، ففارقت زوجها، وأوذي ولدها، حتى جمع الله شملها، وكان لعائشة (رضي الله عنها) صولات وجولات في العلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضرت أم عمارة يوم أحد، وابنها معها، وقاتلت دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وحضر نساء من المسلمين يوم اليرموك، فرددن المنهزمين إلى صفوف القتال، وكان لرفيدة الأسلمية وغيرها جهد في معالجة جرحى المسلمين... والأمثلة أكثر من أن تذكر.

ضوابط عمل المرأة الدعوي:

الدعوة الموجهة إلى المرأة ينبغي أن لا تخرجها عن فطرتها وأنوثتها؛ وهناك ضوابط مهمة في هذا الباب يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ الأصل: قرار المرأة في البيت، قال (تعالى): ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: « المرأة عورة، فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان حتى ترجع»[2].

٢ ـ للمرأة أحكام خاصة، لا بد من مراعاتها في أي نشاط دعوي يوجه إليها، أو تقوم به، ومن ذلك:

أ ـ التزام الحجاب الشرعي بشروطه، مع تغطية الوجه والكفين، فالوجه موضع الزينة، ومكان المعرفة، والأدلة على وجوب ستره كثيرة.

---

١) صفة الصفوة، جـ ٤، ص ٢١.

٢) رواه الترمذي، ح/١١٧٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ح/٩٣٦، والمرأة فتنة ولو كانت متحجبة، لذا شُرع قرارها في البيت، فيقدر خروجها بقدر الحاجة.

ب ـ تحريم سفرها دون محرم، قال ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»[1].

ج ـ تحريم خلوتها بالأجانب، لقوله ﷺ: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» وفي رواية: «إلا كان الشيطان ثالثهما»[2].

د ـ تحريم اختلاطها بالرجال الأجانب، فقد قال ﷺ للنساء: «استأخرن؛ فإنه ليس لكنّ أن تَحْقُقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق»، فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[3].

هـ ـ تحريم خروجها من بيتها إلا بإذن وليها... إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية التي لا يجوز الإخلال بها.

٣ ـ يضرب أعداء الإسلام على هذا الوتر الحسّاس، ويجعلون مثل هذه الأحكام مدخلاً لوصفهم الإسلام بإهانته المرأة، فتأثر بذلك بعض دعاة الإسلام، فحصل لديهم تفلُّت في هذا الباب، فيتأكد في حق دعاة أهل السنة: ضرورة الانضباط في ذلك، وعدم التأثر والانصياع لشهوات المجتمع ورغباته.

٤ ـ الأصل في الدعوة والتصدر للميادين العامة: أنها للرجال، كما كان الحال عليه في عصر الرسول ﷺ والقرون المفضلة، وما رواه التاريخ من النماذج النسائية الفذة لا يقارن أبداً بما روي عن الرجال؛ وذلك مصداق قول النبي ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: آسية: امرأة فرعون، ومريم: بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[4]، فطلبُ مساواة المرأة بالرجل في أمور الدعوة ينافي روح الدعوة أصلاً.

٥ ـ ولا يعني هذا الكلام إلغاء دور المرأة وتهميشه وإهماله، بل دورها لا ينكر، وشأنها له أهميته، لكن مع التزام ما سبق[5] من ضوابط، وللحديث بقية في العدد القادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

---

١) رواه البخاري، ح/١٨٦٢.
٢) رواه البخاري، ح/٥٢٣٣، واللفظ للترمذي، ح/١١٧١.
٣) رواه أبو داود، ح/٥٢٧٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح/٤٣٩٢، ومعنى (تحققن الطريق): تركبن وسطها.
٤) رواه البخاري، ح/٣٤١١.
٥) انظر: مجلة البيان، ع/٩٥، ص ٥٦.

العلم بالسنن الربانية

(٢ من ٢)

بقلم: د. محمد أمحزون

تناول الكاتب في الحلقة الأولى أهمية التعاطي الواعي مع سنن الله في التاريخ والاجتماع والتماس معالم المنهج الإسلامي في ذلك، وتعرض الكاتب إلى تفاعل السنن الإلهية وأسلوب عملها وأثرها في المجتمعات، وبين أنها مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، ثم فصَّل الكلام عن: الابتلاء والتمحيص والتمكين، ويواصل في هذه الحلقة بقية الموضوع. البيان

سنن: التغيير، التداول، النصر:

من أهم دلالات سنة التغيير أن الله (عز وجل) لا يغير حال قوم حتى يبدلوا ويغيروا ما بأنفسهم؛ فالتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع إلى أعلى، أو بالانتكاس والهبوط إلى أسفل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، فإذا وجدت الأسباب فالنتائج تتبعها؛ إذ إن حدوث التغيير من الله (عز وجل) مترتب على حدوثه من البشر سلبًا وإيجابًا [١].

ونتيجة لذلك: فالتغيير في واقع الدعوة ومحيط الدعاة يتوقف على بذلهم ما في الوسع؛ لتتوجه الجهود إلى العمل الجاد في التغيير الذي يبدأ من داخل النفس، ومن داخل الصف المسلم، ومن ثَمَّ: تنفذ فيهم سنة الله (تعالى) في التغيير؛ بناءً على تعرضهم لهذه السنة من خلال سلوكهم وأعمالهم: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقد كان النبي ﷺ وأصحابه في

١) محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص ٦٤ .

مكة يمثلون الجماعة التي أخذت على عاتقها مسؤولية التغيير وحماية الحق الذي آمنت به، وإن كان من وراء ذلك جفوة الأهل وسخط العشيرة وعذاب الملأ من قريش ونكالهم.

فلم يصرفهم الاضطهاد والفتنة عن أن يضطلعوا بأعباء الدعوة، ويسعوا جاهدين إلى تغيير ما بأنفسهم وتغيير واقعهم من واقع شركي إلى واقع إيماني، فترى تغيير الأنفس في النماذج الكثيرة من الجيل الأول الذي ما إن يشهد أن لا إله إلا الله، حتى يعود من فوره إلى بيته ليحطم الأصنام التي طالما عبدها، ويقطع العلائق والوشائج التي طالما وثقها حتى مع أقرب الناس إليه[1].

وتلك الحال الإيمانية الحية التي تمت نتيجة المجاهدة للنفس والشيطان قد أثمرت بالفعل تغييراً جذريًّا وانفصالاً كليًّا عن الحياة السابقة، حيث انخلع المسلم من البيئة الجاهلية وعُرفها وتصورها وعاداتها وروابطها، وتلألأت عقيدة التوحيد في نفسه، وصار مع المؤمنين، مانحًا إياهم ولاءه وحبه.

وللتنبيه: فإن الفترة السابقة لمبعث النبي ﷺ تعدّ من أحلك الفترات في تاريخ البشرية وأكثرها ضلالاً وضياعاً؛ ولهذا استحقت المقت من الله (تعالى) كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[2].

فالعالم الأرضي كله يتخبط في ظلمات الأديان المحرفة والوثنيات الكالحة والأنظمة المستبدة، وحياة الناس في قسم كبير منه هي أقرب إلى حياة السوائم منها إلى حياة البشر في كل مناحي الحياة، والقسم المتمدن منه ـ وتمثله الدولتان العظميان، فارس والروم ـ كان يخضع لنظام طاغوتي مستبد، ويدين بدين باطل محرّف، والنظام الاجتماعي في كلتا الدولتين من أبشع النظم في التاريخ من حيث

١) ابن الأثير: أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، جـ ٤، ص ٤٠٥، وابن كثير: السيرة النبوية، جـ ٢، ص ٢٠٧.

٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة من صحيحه (بشرح النووي)، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة، جـ ١٧، ص ١٩٧.



التمييز العنصري والتفاوت الطبقي[1].

وأما عرب الجزيرة فهم في حياتهم القبلية وعاداتهم الراسخة أقرب إلى الشعوب الهمجية[2]، لولا ما خصهم الله (عز وجل) به من ميزات إرهاصاً لحمل الرسالة العظمى إلى أم الأرض قاطبة.

والحاصل: أن العالم البشري كله كان يعيش حالة مزرية تحتاج إلى جهد ضخم وعمل هائل لتغيير أوضاعه وعقائده وأنظمته، وانتشال الناس من هذا الواقع المؤلم الرهيب.

فكان الإعداد لتلك المهمة الضخمة يبدو ظاهراً جليًّا في كل مرحلة من مراحل الدعوة، بل في كل خطوة من خطواتها، فالأمر كله جدّ ونَصَب وصبر وبلاء.

فمنذ نزلت ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، قام النبي ﷺ قياماً جهاديًّا متواصلاً، نازل به قومه قريش والعرب قاطبة ثم اليهود والدولة البيزنطية، فجاهد الناس بالقرآن: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، كما جاهدهم بالحديد ـ حين توفرت له شروط الجهاد ـ حتى يستقيموا على دين الله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وهذا ما أعلنه ﷺ بقوله: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف؛ حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري»[3].

ومن السنن الربانية: مداولة الأيام بين الناس، من الشدة إلى الرخاء، ومن الرخاء إلى الشدة، ومن النصر إلى الهزيمة، ومن الهزيمة إلى النصر، قال (تعالى): ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ



١) انظر: تاريخ الطبري عن دولة فارس، جـ٢، ص ٣٧ ـ ٢٣٤، ومصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص ٦٣، وما بعدها، ص١٥٧ وما بعدها.

٢) انظر: حديث جعفر بن أبي طالب مع النجاشي عن حالة العرب قبل البعثة، مسند أحمد، جـ١، ص ٢٠٢، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، جـ٦، ص ٢٦.

٣) رواه أحمد، ح/٢، ص ٥٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم ١٢٦٩، جـ٥، ص ١٠٩.

نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وهذه السنة نافذة بحسب ما تقتضيه سنة تغيير ما بالأنفس: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وهنا يضع الله (عز وجل) أيدينا على سر عظيم، وهو ارتباط المداولة بين الأمم والدول والمجتمعات مع التغيير النفسي والذاتي في الأمة؛ فسقوط الحضارات ونهوضها، والأمم في ارتفاعها وهبوطها، مرتبطة بهذا التغيير النفسي في مسارها عبر التاريخ والحاضر والمستقبل، وهي سنة ماضية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

يقول «رشيد رضا» (رحمه الله) في (تفسير المنار): «... إن أنعم الله (تعالى) على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودوامًا بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الشؤون لاصقة بأنفسهم متمكنة منها، كانت تلك النعم ثابتة بثباتها، ولم يكن الرب الكريم ينتزعها منهم انتزاعًا بغير ظلم ولا ذنب، فإذا هم غيَّروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال غيَّر الله عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم»[١].

وهذا السلب يكون بالإدالة عليهم؛ بتسليط عدو عليهم يستأصل شأفتهم، ويكون ذلك سببًا في انهيارهم وزوال ملكهم جزاء فسقهم وعصيانهم.

ومن أسباب الفتن وزوال النعم أن يفشو فيهم الظلم، وعدم إقامة العدل، والجهر بالمعاصي، فيأخذهم الله (عز وجل) بالسنن، ويبتليهم بالأمراض والفقر، ويجعل بأسهم بينهم.

أخرج ابن ماجه بسنده إلى عبد الله ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: إنّ رسول الله ﷺ أقبل علينا بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين! خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قومٌ المكيالَ إلا ابتلوا بالسنين

١) رشيد رضا، تفسير المنار، جـ ١٠، ص ٤٢.

من قضايا المنهج

وشدة المؤنة وجور السلطان، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

وقد تكون الإدالة على المسلمين بتخلف النصر عنهم حين يتركون طاعة الرسول ﷺ أو يطمعون في الغنيمة كما حدث في غزوة أحد، أو حين يركنون لكثرة العدد، ويعجبون بأنفسهم، وينسون سندهم الأصيل ـ كما وقع في غزوة حنين ـ.

وحينئذ تكون الدولة والغلبة لغيرهم بصفة مؤقتة، لحكمة هي استكمال حقيقة الإيمان ومقتضاه من الأعمال، ومتى تحقق ذلك جاء النصر؛ لأن «الهزيمة في معركة لا تكون هزيمة إلا إذا تركت آثارها في النفوس هموداً وكلالاً وقنوطًا، فأما إذا بعثت الهمة، وأذكت الشعلة، وبصّرت بالمزالق، وكشفت عن طبيعة المعركة وطبيعة العقيدة وطبيعة الطريق: فهي المقدمة الأكيدة للنصر الأكيد»[2].

إن سنة النصر لا تتخلف متى استوفيت الشروط، وأهمها: الاستقامة على منهج الله بطاعة أمره واتباع رسوله ﷺ، قال (تعالى): ﴿إن تنصروا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال (جل ذكره): ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

وجاءت عوامل النصر جلية واضحة في قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

ولكن إذا تخلفت هذه الأسباب تخلف النصر بطبيعة الحال، وربما حلت الهزيمة؛ لأن سنن الله (تعالى)

---

١) أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، رقم ٤٠١٩، جـ ٢، ص ١٣٣٢، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، جـ ٤، ص ٥٤٠، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ ١، ص ١٦٧.

٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن، ص ٢٤٨.

لا تحابي ولا تجامل أحداً من الخلق، ولا تجاري أهواء البشر، وإنما تساير أعمالهم، وإنّ الذين يرثون الكتاب وراثة بالاسم وشهادة الميلاد، ولا يترجمون ما فيه من الأوامر والنواهي واقعًا سلوكيًا، ثم يقولون: سيغفر لنا!.. لا يستجيب الله (عز وجل) لهم حتى يعودوا إلى العمل بما أمرهم الله في كتابه المنزل[1]: ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وبناءً على ذلك، فإن السنن لا تحيد ولا تميل مع الأماني، وإنما تتأثر بالأعمال الجيدة والجهود المنظمة والمخططات المحكمة؛ للوصول إلى النتائج المحددة المطلوبة.

ومعنى ذلك: أنه لا يمكن أن يكون النصر بغير اتخاذ الأسباب سواءً أتعلق الأمر بالمؤمنين أم بالكفار.

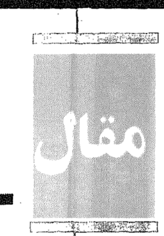
سؤال مهم: قد يتبادر إلى الذهن سؤال وجيه وهو: ماذا يحدث لو وافق المسلمون السنن الإلهية في التغيير واستيفاء شروط النصر، فأخذوا بالأسباب واستكملوا الإعداد للجهاد، غير أن أعداءهم كانوا أكثر كفاءة منهم تخطيطًا وتنظيمًا وقوة؟

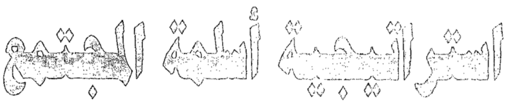
والجواب: إن المؤمنين حين يغيرون ما بأنفسهم ويستكملون أدوات النصر لا يضرهم تفوق الأعداء عليهم؛ لأن سنة أخرى تتدخل وهي وعد الله بالتمكين والنصر لعباده المؤمنين: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء: ١٤١]، ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر: ٥١].

وقد يتأخر ويبطئ نصر الله لحكمة ما، لكن في نهاية المطاف هو آت لا محالة: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [يوسف: ١١٠].

---

١) محمد قطب: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٠٢.





استراتيجية أسلمة المجتمع



تنبه المراقبون والباحثون الغربيون مؤخراً إلى أن تغلغل النفوذ الإسلامي بين فئات الشعب المختلفة ليس أمراً اعتباطيًا أو مجرد تحركات تحكمها العاطفة نحو الدين، وإنما هو محصلة استراتيجية جديدة أطلق عليها «أوليفيه روا» عدة مسميات منها: استراتيجية قرض المجتمع في العمق أو في الداخل، أو السيطرة مجدداً على المجتمع عبر العمل الاجتماعي أو سياسة تثمير العمل الاجتماعي على صعيد العادات والممارسات وعلى صعيد الاقتصاد، وأخيراً استراتيجية (النطاقات المؤسلمة) على غرار المناطق المحررة، كما كان الحال لدى حركات التحرر في الماضي[1].

لاحظ «روا»، وغيره من الباحثين الراصدين لتطورات الحركة الإسلامية أن هذه الحركة في جملتها، باستثناء بعض فصائلها ومجموعاتها المتشددة، قد غيرت من استراتيجيتها واتخذت تعبيراً جديداً محافظًا متلونًا أعادت فيه ترتيب الأولويات؛ ليصبح (الاجتماعي) أولاً يتلوه (السياسي) أو يصحبه أو يتباعد عنه مؤقتًا، مع عدم اللجوء إلى أي تشكيك في الدولة، فالهدف هو عودة الناس إلى ممارسة الإسلام على أن يرافق ذلك حركة اجتماعية من (تحت)، دون المرور بالدولة والسلطة، أي أسلمة المجتمع من جديد عبر

١) «أوليفيه روا»، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة: «نصير مروّة»، دار الساقي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٥-١٠٣.

(القاعدة)، وليس عبر (القمة)، وبمعنى آخر: أن الحركة الإسلامية قد حولت خطابها من خطاب حول (الدولة) إلى خطاب حول (المجتمع).

يرصدون عمل الإسلاميين لماذا؟!

رصد الباحثون الغربيون الاختراق الإسلامي للجامعات وللانتخابات الجامعية والمصانع والإدارات الذي ابتكر (لُحمة) مجتمعية أوهنها ضعف شبكات التضامن التقليدية: (نواد، مكتبات، دروس مسائية، تكافل وتعاون اجتماعي)، فاسترجعوا ما طوره الإسلاميون في الأربعينات من شبكات المدارس والمستوصفات وحتى الصناعات الصغيرة، وما أنشؤوه من فروع طلابية ومهنية موجهة نحو المهن الحديثة (محامون، مهندسون، أطباء، معلمون، موظفون)، وفروعاً عمالية شجعوا فيها العمل النقابي.

كما رصدوا كذلك سيطرة الإسلاميين على النقابات المهنية (للمهندسين، والأطباء، والمحامين)، وعلى المؤسسات المالية، وأن الإسلاميين ما عادوا ينظرون إلى العلاقات الاجتماعية والاقتصاد على أنها مجرد أنشطة ثانوية، تُصنَّفُ في خانة أعمال التقوى أو أداء فرائض الشرع، بل أصبحوا يعتبرونها ميادين أساساً.

راقب الباحثون الغربيون جهود الإسلاميين من أجل إعادة التأهيل المجتمعي سواء في المدن أو في الأحياء الشعبية وما استتبع ذلك من تأسيسهم لنواد رياضية ولتعاونيات تعاضدية ومؤسسات للترويح، وأخرى للحد من غلاء المهور وللرعاية الطبية، كما راقبوا جهودهم في فصل الجنسين في النطاق العمومي وإفراد نطاقات خاصة للنساء في المساجد، والأماكن العمومية، واختراع زي جديد خاص (نقاب، قفازان، معطف)!!، وبمعنى آخر انخراط المرأة الجديد في الدورة الاجتماعية، كما رصدوا رفض الإسلاميين وسائل التسلية والفنون واللهو الخليع وتصميمهم على إزالة مواقع المتعة الرخيصة كالمراقص ودور السينما و(الكبريهات)، هذا بخلاف نشرهم للأدبيات التي

تقدم حقائق بسيطة وضرورية للناس عن الإسلام في صورة موعظة وتبكيت ولوم، كل ذلك على أساس العودة إلى ما هو جوهري: العبادة وخشية الله.

دوافع الإصلاح الإسلامي:

لم تكن هذه الأنشطة وغيرها ذات الطابع الاجتماعي مبعثرة بلا ضابط ولا رابط، وإنما تقولبت في إطار ذي مسارين:

الأول: الإصلاح الفردي بالدعوة.

الثاني: إنشاء نطاقات مؤسلمة.

يتمحور الإصلاح الفردي حول العادات ويأخذ شكل الممارسة الفردية للدعوة، فالدعاة يبلغون دعوتهم من بيت إلى بيت، وهنا تلتقي الحركة مع بعض الجماعات العاملة بالدعوة منذ زمن بعيد تلتحم معها وتخترقها وتغلغل فيها أفكارها، فتصحح لها أخطاءها ومفاهيمها وتغير من أساليبها وتضمها إليها.

يعظ الدعاة الناس أو يوبخونهم لتناسيهم عباداتهم مستفيدين من مُركَّب الإحساس بالذنب والاحترام المزود بالحنين الذي يكنه المسلم للدين رغم أنه لا يتقيد بالفرائض ولا يؤدي العبادات ويحرص أن يقول: إنه مسلم، كما يستفيدون كذلك من ربط الظروف التي يعيشها الناس من بؤس وتفكك قيمي أو عائلي باستجابتهم لإغواءات المجتمع وممارساته البعيدة عن الإسلام.

أما عن النطاقات المؤسلمة: فهي إسلامية أو مؤسلمة إما بمصطلحات مكانية محضة (كالأحياء والمدن) وإما بمصطلحات الممارسات والشبكات (كالمصارف الإسلامية)، ويستند هذا المحور على قاعدة أنه (لا بد من استباق المجتمع الإسلامي والتحضير له بإتمام سيطرة مُثل الإسلام الأصيل على هذه النطاقات دون إقامة سلطة سياسية أو دولة مضادة).

وما أن تتكون هذه النطاقات وتصبح واقعاً حتى تسعى الدعوة إلى الحصول على مباركة الدولة لهذا الأمر الواقع للتوسع به بعد ذلك والتمدد

بالمبادئ التي تتأسس عليها النطاقات الإسلامية إلى المجتمع بأسره.

في هذه النطاقات المؤسلمة تشجع النساء على ارتداء الحجاب ويحظر فيها تعاطي المشروبات الكحولية ويُرفض الاختلاط بين الجنسين وتُبذل جهود حثيثة لترقية أخلاقيات المجتمع عبر مكافحة القمار والملاهي والأفلام الإباحية وأحيانًا الموسيقى والمخدرات والجنوح، وهناك محور آخر هو العمل على تكييف الحياة اليومية مع الشعائر الإسلامية (ضمان مواقيت الصلاة خلال ساعات العمل والطعام الحلال).

وأخيرًا العمل الحثيث على تكييف النظام المدرسي مع الإسلام بحظر مواد التدريس التي تتناقض مع الإسلام، وبمنع الاختلاط؛ وما إلى ذلك.

ما الهدف المقصود من كل ذلك؟

خلاصة القول: أن الهدف هنا هو إقامة مجتمع مصغر يكون مسلمًا حقًا في إطار مجتمع لم يُعَدّ أو لم يصبح بعدُ مسلمًا.

تتحول هذه النطاقات المؤسلمة فيما بعد إلى مناطق نفوذ، ومن هنا تأتي أهمية استراتيجيات السيطرة الانتخابية في الانتخابات المحلية.

إصلاح العادات إذن مسألة مركزية لكنها ليست الهدف الوحيد، فهذه النطاقات المؤسلمة، تخترقها شبكات التعاضد والتكافل الاجتماعي والاقتصادي التي تعوض عن قصور الدولة، فتمتد إلى أنشطة أخرى كتخصيص حافلات غير مختلطة والمساعدة في إعارة المحاضرات الجامعية وطبعها وتوزيع الكتب والأدوات المدرسية على الطلاب، وتأسيس أسواق إسلامية تواجه غلاء الأسواق الرسمية وهكذا...

استراتيجية الأسلمة:

ترتكز استراتيجية الأسلمة هذه على عدة قواعد أساس يمكن اختصارها على النحو التالي:

١ ـ التفرقة بين ما هو (مسلم) وما هو (إسلامي)، فإنه لا يكفي أن يكون



مقال

المجتمع مؤلفاً من مسلمين، بل ينبغي أن يكون إسلامياً في أسسه وبنيته.

٢ ـ أن القضية ليست مجرد بعث لمثال أمة المؤمنين الأولى في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الأربعة فحسب، ولكنها السعي الحثيث لتطبيق الشريعة أيضاً، لإقامة المصلح والرقيب ضد الفساد في المجتمع، وضد إهمال النصوص الشرعية، وضد الاستعمار وهيمنة الأجنبي والانتهازية السياسية وانحراف العادات وتغرب المثقفين.

هذه الشريعة هي المصدر الوحيد للقانون وهي معيار السلوك الفردي ومحور العلاقات الاجتماعية، إنها ليست مجرد قائمة بأسماء الفرائض والمحرمات ولكنها شريعة حركية فاعلة مُستَبْطَنَة ومُعَاشَة، تقفل الدائرة فلا يكون هناك فصل بين ما هو ديني وما هو سياسي وقانوني واقتصادي واجتماعي.. إلخ.

٣ ـ أن الهدف البعيد هو قيام دولة جامعة وجسم اجتماعي شامل يُنظر إليه كأمة دينية ضد تفرد الدولة وضد تشرذم المجتمع وضد المجتمع القبلي القديم وضد المحسوبية والفساد والرشوة والسلطة ذات المقومات غير الإسلامية.

٤ ـ أن الإسلام نظام كامل وجامع لا حاجة له إلى أن (يَتَحَدْثن) أو (يتكيف) رغم أنه يطبق نموذجه على مجتمع حديث، ففي الوقت الذي يدعو فيه إلى استعادة عهد (النبوة) واسترجاع استلهام التقوى والتطهر، فإنه يستهدف الاستيلاء على كل ما هو (حديث) واستيعابه داخل الهوية المستعادة، فهو يسعى إلى التنمية الصناعية والعمران المدني ومحو الأمية على مستوى جماهيري، وتحصيل العلوم لصالح المسلمين جميعهم تحت شعار: الشريعة زائد الكهرباء.

ويشهد «روا» على تكيف الإسلاميين المذهل مع متطلبات العالم الحديث والمدني بدءاً باستخدام التقنيات الحديثة من السلاح إلى وسائل الاتصال وصولاً إلى تنظيم المظاهرات.

٥ ـ أن التمايز الاجتماعي نتاج أساس وقاعدي فيما يسمى بالخطاب الإسلامي الموجه إلى مجموعات نوعية مختلفة كالفلاحين والطلاب والعمال والعسكريين، والمرأة التي ينظر إليها على أنها كائن وليست مجرد أداة للمتعة والإنجاب تمارس دوراً أساسًا في تربية المجتمع وتنخرط في دروته الاجتماعية.

وتدرك هذه الاستراتيجية تماماً أنها تتعامل مع جماهير (تناصرها) أصلاً لكنها ذات خصائص وسمات لا بد من وضعها في الاعتبار عند مخاطبتها، كما تدرك أيضًا أنها تواجه قطاعات ترى في (الخطاب) الإسلامي تهديداً لوجودها ومصالحها.

أما عن الجماهير، فهناك جماهير المدن التي تحيا في ظل قيم المدينة الحديثة (الاستهلاك والترقي الاجتماعي) والتي غادرت ـ بمغادرتها القرية ـ أشكال التآلف والتواصل القديمة واحترام المسنين والإجماع، إنها مفتونة بقيم الاستهلاك التي تعرض في واجهات المحلات في الحواضر الكبرى، وعالمها هو عالم السينما والمقاهي والجينز ومسلسلات التلفزيون والفيديو... في الوقت الذي تحيا فيه في ظل هشاشة المهن الصغيرة والبطالة وتعاني الحرمان في مجتمع استهلاكي ليس في متناولها. وهناك الشباب الذي لا يقدم له المجتمع أي مستقبل ويحيا في اختلاط مفرط قياسًا إلى ما كان سائداً في المجتمع التقليدي سواء في المدارس والجامعات والسكن والنقل المشترك بالإضافة إلى ما يبثه التلفزيون والقنوات الفضائية وأعمدة الالتقاط من نماذج للتحرر الجنسي والأفلام والمجلات، وكذلك التجارب والروايات عن الحياة في الغرب.

وهناك جماهير القرى ـ في بعض البلدان ـ حيث لا تجد الشعارات الإسلامية لها صدى في الأرياف ويسيطر عليها ما يسمى (بالإسلام الشعبي) ذي النمط (الصوفي الكراماتي) الممزوج بالسحر والعادات والأعراف التي تعود إلى حقبة ما قبل الإسلام، ولا تعرف هذه الجماهير من علماء الدين إلا ما ندر، لكن الرصد الغربي لهذا المسار كشف أن البعث الإسلامي قد تغلب



مقال

على هذا الإسلام الشعبي واتجه إلى ما عرّفوه (بالعلم الشعبي بالإسلام) ، وقد ظهر لهم ذلك جليًا في (أفغانستان) ، وآسيا الوسطى السوفياتية.

عراقيل في الطريق :

ـ أما عن القطاعات المعرقلة لهذه الاستراتيجية فهناك قطاع من العلماء الذين يؤخذ عليهم طواعيتهم وانصهارهم في ما يؤدي بهم إلى القبول بالعلمانية وبقوانين لا تتفق مع الشريعة، وإصدارهم فتاوى تصدم وتخالف ما استقر في حس الناس بأنه من الإسلام، هذا: بالإضافة إلى إقرارهم بإجراء تسوية مع الحداثة الغربية وظهر ذلك في قبولهم بفصل (الديني) عن (السياسي) مما يؤدي حكمًا ـ وبالضرورة ـ إلى العلمنة.

ـ وهناك أيضا **قطاع المثقفين** المتغربين الذين يقبلون ـ مهما كانت مواقفهم السياسية ـ بفكرة المعرفة العقلية الحديثة الشمولية غير المرتبطة بالدين، وتضم هذه القطاعات أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين وكتابًا وشعراء وفنانين وصحفيين يحملون أسماء إسلامية وبعضهم محسوبون من علماء المسلمين.

يعمل هذا القطاع على خلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة، ويهوّن من شأن العقيدة والشريعة، ويؤولها ويُحمّلها ما لا تطيق، ويدق باستمرار على ادعاء «رجعيتها»، ويدعو للتفلت منها وإبعادها عن مجال الحياة، ويبتدع تصورات وَمُثُلاً وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها، ويزين تلك التصورات المبتدعة بقدر تشويهه للتصورات والمثل الإيمانية كما لاحظ ذلك مفكرو جيل الستينات.

خلاصة أطاريح (روا) :

بقي أن نشير إلى النتائج إذ يرى «روا» أن قيام ما يسميه: (الجيوب الإسلامية) يتم حسب الأوساط الاجتماعية والمناطق أكثر مما يتم حسب البلدان، فحيث كانت الظروف الاجتماعية والتقاليد مواتية للإسلاميين،

استطاعوا أن يفرضوا مطالبهم دون أن يكون بوسع الدولة أن تعارضهم ولو بكلمة، وأكثر المناطق تقبلاً لهذه الجهود هي الأحياء الشعبية في المدن الكبرى ومناطق الأقليات المسلمة في الدول الغربية.

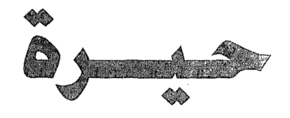
وتسهم **هذه الاستراتيجية** - إلى حد بعيد - في إبراز قدرة الإسلام على الحشد والتعبئة خاصة حينما تكون هناك مواجهة مع آخر يتخذ موقفاً من الإسلام، فباستثناء ما يحدث في حالة الجهاد التي تحمل الشبان على خوض الحرب غير عابئين كلية بأي سياق مؤسسي أو سياسي أو عرقي، كما أكد «روا»، فهناك مواقف مواجهة بالداخل أفقدت المثقفين العرب صوابهم وجعلتهم يقولون بالحرف الواحد: «لا شك أن لدى التقدميين والمستنيرين والعلمانيين الكثير مما يمكن تعلمه من قدرة الجماعات الإسلامية على الحشد والتعبئة وضمان إطاعة القواعد الجماهيرية للأوامر الصادرة من المستويات العليا»[1].

وللبيان كلمة:

لا شك أن الباحث الفرنسي «أوليفيه روا» واحد من الكتاب المتميزين في طروحاتهم لا سيما في حديثه عن الصحوة الإسلامية، ويعتبر من أميز الكتاب لموضوعيته، ولكن يبقى أن ما يطرحه في هذا البحث ينقصه المنهجية الإسلامية الصحيحة التي يفترض إلمامه بها فضلاً على أن الرؤية مهما كانت موضوعية ففيها نوع من الرجم بالغيب ومحاولة تحميل الأنشطة الإسلامية ما لا تحتمل مما يجعله يسهم - عَلِمَ أو لم يعلم - في تقوية الموقف السلبي من الصحوة القائم في كثير من البلدان ضدها؛ وفاقد الشيء لا يعطيه!

---

1) فؤاد زكريا، ندوة الإسلام والعلمانية، المنتدى، عمان ع/١٣، أكتوبر، ١٩٨٦م، ص ١٣.



إن الحـيـاة بـدون الحـب هـاوية ... نار تأجج في القلب الظمي ضَرَما

سألته زمنًا والقلب في كمد : ... يا صاحِ يا أملي يا أفضل الندما

ما سرّ نائحتي والناس في طرب ... هل بان منزل من تهواه وانصرما؟

قال الحبيب ودمع العين يخنقه : ... يا كاشح الطرف يا من يندب الرمما

جانبْ سفاسف أمر قد علقت به ... إن الأسود تُحاذر أن تُرى بُهما

إني سلكت سبيلاً ليس يسلكه ... إلا من امتلأت أوصاله كرما

آليت أنّ طريقي لست أبرحه ... حتى يرفرف أمري في الورى قُدُما

* * * *

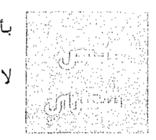
النفسَ بالنفس في الألواح قد كتبت ... للعبد والحر والأسياد والزعما

فهل تضيع دماء المسلمين سدًى ... في القدس والهند والبلقان يا حُكَما؟

وهل تصير دما الحيتان غالية ... حتى يكون لها من عطفكم حرما؟

بأي حق جرى القانون عندكمو ... أم كيف سُطِّر حتى صار محترما؟

لا يحجب الشمسَ غربالٌ إذا طلعت ... في العالمين تزيل البغي والظُّلَما



* * * *

شعر: فيصل عبد الله الشرقي

فهل ترى يا رفيقي أن تكون معي ... حتى نقيم من البنيان ما انهدما؟

فما رميت إذ الكفار قد دُحِروا ... لمّا رميت، بل الله القويّ رمى

القولُ قولُه، والخَلْقُ العظيم له ... من شاء دمّره منهم لينتقما

كن في الصفوف وإلا خادمًا لهمُ ... أو داعيًا لهمُ أو مرشدًا فَهِما

أو ساترًا لعيوب قد ترى جَللاً ... أو كن - أُخيّ - من المستَحْسَنين فَمَا

أو جُد أخي بعزيز المال عن رغَبٍ ... حتى نَدُكّ بعزمٍ هذه الأُطُما

واسمع أُخَيَّ ندا الأيام، إن لها ... قولاً ترَدده: يا أكرم الكُرَما

أعط الشحيح دمارًا سابغًا تَلَفًا ... وامنح بفضلك كل المنفقين نَمَا

فإن قدِرْت فحقًّا تلك مفخرة ... وإن عجزت فجود العاجزين بِمَا

فدع أذاك وحاذِر أن تُعيقَهُم ... إياك إياك أن تغدو لهم خَصِما

فالفجر لاح وعين الله تحرسه ... والكون صاح، وذاك الظلم قد رُجِمَا

النظام العالمي الجديد

دراسات تحليلية سياسية لبعض المتخصصين



محمد دبان الحافظ



شهد العالم منذ أواخر عقد الثمانينات وأوائل عقد التسعينات مجموعة من التحولات الدولية المهمة في شرق الكرة الأرضية وغربها، أسفرت في النهاية عن ظهور هيكلية دولية جديدة مغايرة لتلك التي سادت مرحلة الحرب الباردة، حيث كان النظام الدولي آنذاك يتسم بهيكلية القطبية الثنائية والصراع بين الكتلة الشرقية بزعامة (الاتحاد السوفييتي) السابق والكتلة الغربية بزعامة (الولايات المتحدة الأمريكية).

توصيف النظام العالمي الجديد:

وفي خضم هذه التحولات ظهر العديد من الكتابات التي تقدم توصيفاً لهذا الواقع الدولي الجديد، فبعض المحللين يصف الهيكلية الدولية الحالية بأنها أحادية القطبية، وآخرون يصفونها بالقطبية المتعددة، وهناك من يصفها بأنها قطبية متعددة قيد التشكيل، ومنهم الذي ينكر أصلاً وجود نظام دولي جديد، ويصف الهيكلية الحالية بأنها حالة من الفوضى الدولية.

ولكن لا خلاف على أننا أمام واقع دولي جديد، وأنه مصحوب بطائفة من التحديات لعالمنا الإسلامي، ولذلك فمن المهم التعرف على نمط توزيع القوة في العالم ونمط التفاعل السائد، وفي هذا السياق يأتي كتاب (النظام العالمي الجديد)، وهو عبارة عن مجموعة أبحاث قدمها عدد من

الباحثين في مجال العلاقات الدولية إلى ندوة (النظام العالمي الجديد)، التي عقدها مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة (*).

محاور الدراسة:

يقع الكتاب في أربعمئة وثماني صفحات، وينقسم إلى أربعة أبحاث هي الآتي:

القسم الأول: يتناول الأبعاد النظرية للنظام العالمي الجديد، ويضم هذا القسم ثلاثة أبحاث:

البحث الأول: للدكتورة «ودودة بدران»، تناولت فيه الرؤى المختلفة للنظام العالمي الجديد، من حيث هيكليته ومصادر التهديد فيه، ومسار التفاعلات الدولية، وهل هو في اتجاه التكتل الاقتصادي الإقليمي أو الاعتماد المتبادل، وتحديد انعكاسات النظام على إمكانيات العمل الجماعي العالمي، ومكانة الدول النامية في النظام العالمي الجديد.

ويؤخذ على تحليل الدكتورة «ودودة» الاقتصار على التصورات الغربية، وعدم تناول رؤى مفكري العالم الإسلامي وباحثيه للنظام العالمي الجديد، وهذا دأب جل الدارسين في البحوث السياسية الحديثة.

أما البحث الثاني، الذي قدمه الدكتور «عبد المنعم المشاط»: فإنه أيضًا تناول مسألة هيكلية النظام الدولي الحالي وخصائصه، فبالنسبة لهيكل النظام الدولي الحالي: فإنه يصفه بأنه «تعددية قطبية قيد التشكيل»، حيث يستبعد مقولة أن (الولايات المتحدة) هي قطب القوة الوحيد في العالم؛ وذلك لأنها لم تعد المركز الوحيد لعملية صنع القرارات الدولية، فضلاً عن أن مفهومها للأمن ليس مفهومًا عالميًا، وإنما هو مفهوم (أمريكي) صرف، يرتبط بحماية المصالح الأمريكية في الداخل والخارج، ويرى أنه إلى جانب (الولايات المتحدة)، توجد قوى أخرى تسعى لبناء قدرات عسكرية خاصة بها، كـ(اليابان)، و(ألمانيا)، خصوصًا بعد زوال القيود الدستورية التي كانت مفروضة على الدولتين بخصوص التسلح أو ممارسة نشاطات عسكرية خارج إقليميهما.

أما الخصائص فنذكر منها:

قراءة في كتاب

١ ـ نمو كثافة الصراعات العرقية.

٢ ـ التحول إلى تكتلات اقتصادية كبرى كالسوق الأوروبية الموحدة و(آسيا)..

٣ ـ تضاؤل أهمية الأحلاف في السياسة الدولية.

٤ ـ تدهور الدور الأساسي للمنظمات الإقليمية.

البحث الثالث: للدكتور محمد السيد سليم، وعنوانه: «**الأشكال التاريخية للقطبية الواحدة**»، سلم فيه ـ بداءة ـ بأن النظام الدولي الحالي أحادي القطبية، حيث تسيطر على بنيان النظام الدولي: (الولايات المتحدة) وشركاؤها أعضاء حلف (شمال الأطلسي)، وللتعرف على المستقبل المتوقع لهيكلية القطبية الواحدة، فإنه قام بتتبع الأشكال التاريخية لنظام القطبية الواحدة باعتبار أن التاريخ هو معمل التجارب بالنسبة للظواهر الاجتماعية، **فاستعرض أربعة نماذج تاريخية لهيكلية القطبية الواحدة**، وخلص الدكتور سليم إلى أن النظام العالمي الحالي هو نظام مؤقت؛ إذ سرعان ما ستتولد ـ بل تولدت بالفعل ـ قوى أخرى منافسة تسعى لموازنة قوة الدولة المسيطرة، ومن هذه القوى: الاتحاد الأوروبي الذي يتجه إلى الاستقلال عن (الولايات المتحدة) في الأجل المتوسط.

القسم الثاني: يتناول دور القوى الكبرى في النظام العالمي الجديد، ويتضمن هذا القسم ثلاثة أبحاث:

ـ تناول **البحث الأول** منها الذي قدمته د. «نهى المكاوي» مسألتين: الأولى: مقومات القوة لدى (الولايات المتحدة)، بجوانبها الاقتصادية والتقنية، وخلصت إلى وجود تدهور في هذه القوة مقارنة بنظيرتها في (اليابان) و(ألمانيا)، بينما ترجح كفة (الولايات المتحدة) في الميدانين السياسي والعسكري.

ـ **البحث الثاني**: وهو للدكتور «طه عبد العليم»، يتناول فيه دور (روسيا) في النظام العالمي الجديد، ومحددات هذا الدور، حيث أشار الباحث إلى أن الدور (الروسي) سوف يكون مقيداً بعدة اعتبارات، أهمها: حاجة (روسيا) إلى المساعدات

الاقتصادية الغربية، وربط الغرب هذه المساعدات بحدوث تحول كامل في (روسيا) نحو الرأسمالية، وبالنسبة لمكانة (روسيا) العالمية: فإن الباحث يرى أنه نظراً للتدهور الواضح في عناصر قوتها؛ فإنها لن تعود قوة عظمى مهيمنة ومؤثرة في تشكيل النظام العالمي الجديد، وإن كانت ستظل تمارس دور القوة الإقليمية القائدة في المنطقة التي تقع بها (الجمهوريات) التي استقلت عن (الاتحاد السوفييتي) السابق، وقد يمتد هذا النفوذ إلى دول الجوار الإقليمي في شرق أوروبا وغرب آسيا.

وقد أشار الباحث إلى مجموعة من البدائل أمام روسيا في النظام العالمي الجديد، وهي: البديل الأوروبي، البديل الأوراسي، البديل الواقعي الذي يؤلف بين البدائل السابقة.

ومع التسليم بما قاله الدكتور « طه » عن عوامل التدهور في قوة روسيا التي تحول ـ في رأيه ـ دون بلوغ روسيا مصاف القوى العظمى، إلا أنني أعتقد أن عوامل الضعف هذه لا تمنع (روسيا) من ممارسة دور مؤثر في قضايا خارج النطاق الإقليمي لما كان يعرف بـ (الاتحاد السوفييتي)، حيث هددت روسيا باستخدام حق النقض (الفيتو) ضد أي مشروع قرار يعرض على مجلس الأمن مما لا توافق عليه. وتشارك روسيا الولايات المتحدة في رعاية عملية السلام الحالية بين العرب وإسرائيل، ومفاد هذا كله: أن روسيا لم تقنع بمجرد أن تكون قوة إقليمية قائدة في مجال نفوذها، وإنما تريد أيضاً أن تثبت حضورها قوةً عظمى في مناطق أخرى من العالم.

ـ **البحث الثالث**: وعنوانه: « القوى الصاعدة في النظام العالمي الجديد.. أوروبا واليابان »، وهو للدكتورة « هالة سعودي »، حيث تحلل ركائز القوة المتاحة لكل من الاتحاد الأوروبي واليابان، ودور كل منهما في النظام العالمي الجديد، وما إذا كان ممكناً أن يصبحا قطبين أساسين في هذا النظام، وقد خلصت الباحثة إلى نتيجة مفادها: تصاعد القوة الاقتصادية لكل من الاتحاد الأوروبي واليابان، ودللت على ذلك بعدد من المؤشرات الكمية، مثل: ارتفاع حجم ناتجها العام:

ومتوسط دخل الفرد، وارتفاع معدل النمو، وترى الباحثة أنه رغم هذا الازدهار لعناصر القوة، إلا أنه توجد صعوبات تحول دون ترجمة هذه العناصر إلى قوة عسكرية فعالة، ومن ذلك: القيود الدستورية في اليابان، وتعدد نظم التدريب والتسليح في جيوش الجماعة الأوروبية، ولكن هذا لا يعني أن هاتين القوتين ستكونان غائبتين عن مسرح السياسة الدولية؛ إذ أنهما ستلعبان دوراً قيادياً في القضايا التي لا يقتضي حسمها استعمال القوة العسكرية، فضلاً عن الدور القيادي في الإقليم المحيط بكل منهما.



القسم الثالث: يركِّز على دور النظم الفرعية والمنظمات الدولية في النظام العالمي الجديد، **ويتضمن هذا القسم ثلاثة أبحاث**:

ـ **البحث الأول عنوانه**: «**النظم الإقليمية في إطار النظام العالمي الجديد**»، وهو للدكتور «جمال زهران»، تناول فيه وضع النظم الإقليمية في ظل هيكلية القطبية الواحدة الحالية، ويقصد بالنظم الإقليمية: شبكة العلاقات والتفاعلات في منطقةٍ ما تحدد على أساس جغرافي، وقد قام الباحث بتقسيم هذه النظم وفقًا لعلاقتها بالنظام العالمي الجديد إلى: (نظم محتكرة)، وأخرى (تنافسية)، وقد ركز الباحث على النظام الإقليمي لأوروبا الشرقية، والنظام الإقليمي لأمريكا اللاتينية، والنظام الإقليمي الآسيوي، والنظام الإقليمي العربي.. مبيناً آليات تأثير النظام العالمي على دورها، ويرى الباحث أن مسألة استمرارية هذه النظم الإقليمية تتوقف على مدى تماسكها الداخلي، وتوافر قائد إقليمي، والقدرة على الحركة والمناورة في النظام العالمي.

ـ **البحث الثاني**: «**الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد**»، وهو للدكتور «حسن نافعة»، يتضمن البحث تقييمًا عامًّا لدور الأمم المتحدة في النظام الدولي، في ظل هيكلية القطبية الثنائية، وبين أن المنظمة العالمية بهيكلها التنظيمي الحالي وإمكاناتها الحالية تواجه مشكلتين مهمتين، كلتاهما من مخلفات حقبة الحرب الباردة، ألا وهما:

١ ـ عدم استكمال الترتيبات الخاصة بنظام الأمن الجماعي، وخصوصاً ما يتعلق منها بإعمال المادة (٤٣).

٢ ـ تضخم بيروقراطية الأمم المتحدة على نحو بات يشكل عبئاً ماليًا كبيراً على ميزانية المنظمة، ويقترح الباحث في ختام بحثه إجراء إصلاح هيكلي لهذه المنظمة العالمية يتمثل في ضرورة حدوث توازن بين دور الجمعية العامة ودور مجلس الأمن، وذلك في إطار نظام مؤسسي يقوم على فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتحديد قواعد التوازن والرقابة المتبادلة بينهم.

والحقيقة: أن مقترحات الدكتور «حسن نافعة» ما هي إلا أمنيات غير واقعية؛ فالأمم المتحدة ليست حكومة عالمية حتى ينادى بإصلاحها، وإنما هي منظمة تعكس حقائق القوة في عالم اليوم أكثر من كونها جهازاً لإعمال الشرعية الدولية. إن إصلاح الأمم المتحدة يجب أن يبدأ بإجراء إصلاحات هيكلية في الدول الأعضاء وفي المنظومات الإقليمية، بشكل ينتهي إلى ظهور قوى دولية فاعلة وموازنة للولايات المتحدة، ولها إسهاماتها المالية الكبيرة في ميزانية الأمم المتحدة، وتنسق فيما بينها في عملية التصويت في الأمم المتحدة، وعندئذ يكون من السهل إصلاح الأمم المتحدة، بشكل يجعلها أكثر تمثيلاً لإرادة المجتمع الدولي!.

ـ **المبحث الثالث: «حركة عدم الانحياز والنظام العالمي الجديد»**، للدكتور «محمد عز الدين عبد المنعم»، يتناول مسألتين، هما:

١ ـ كيف يمكن لحركة عدم الانحياز أن تكتسب إمكانية التأثير على صياغة نظام عالمي جديد والتعامل معه بكفاءة؟

٢ ـ تحديد نقاط الضعف الكامنة في حركة عدم الانحياز، التي تعوقها عن المشاركة الفعالة في صياغة النظام العالمي الجديد، ومن أبرزها: تكاثر حجم المشكلات الداخلية لدى الدول الأعضاء، التفاوت المضطرد لمراحل النمو بينهم، تفاقم المنازعات بين دول الحركة، وتخلف قطاع السياسة الخارجية لدى كثير من دول الحركة، افتقار هذه الحركة إلى إطار

تنظيمي كفء، تعدد تجمعات العالم الثالث دون صيغة دقيقة ومتفق عليها للتنسيق بين هذه التجمعات، كـ (مجموعة الـ ١٥) و(مجموعة الـ ٧٧).

وإنني أرى ـ فيما يتعلق بأسباب ضعف الحركة ـ أن الباحث قد أغفل السبب الأهم الذي أدى إلى أفول نجم الحركة، وهو ليس فقط منذ ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، بل أيضًا منذ منتصف السبعينات وحتى الآن، ألا وهو دخول عدد كبير من الدول الأعضاء في ترتيبات أمنية مع القوى العظمى، أخذت أحيانًا مسمى (اتفاقيات التعاون الأمني والصداقة)، ورغم أن دول الحركة لم تكن أعضاء بشكل رسمي في الأحلاف القائمة، إلا أنها كانت تخدم استراتيجية هذه الأحلاف، من خلال ما تقدمه لها في أراضيها من تسهيلات عسكرية؛ مما أدى إلى تقويض الأساس الذي بنيت عليه الحركة، وأعتقد أنه لم يعد مجديًا الآن ولا منطقيًّا الاستمرار في تنظيمٍ فَقَدَ مسوغات وجوده بانتهاء الحرب الباردة؛ فإن من الأفضل تحري أسس جديدة لإعادة بناء مثل هذا التكتل؛ ليلعب دورًا فعالاً في إصلاح النظام الدولي.



ـ القسم الرابع، وعنوانه: **«الأبعاد الفكرية والمستقبلية للنظام العالمي الجديد»**، وقد قام بإعداده كلٌّ من الدكتور «محمد سيد سليم»، والدكتور «محمد سيد سعيد»، **ويتناول هذا القسم مسألتين:**

الأولى: تتعلق بالمفاهيم السياسية في إطار النظام العالمي الجديد، حيث أشار الدكتور (محمد سليم) إلى أن التحولات الدولية قد تركت آثارًا واضحة على مضامين المفاهيم السياسية ودلالاتها، وظهور مفاهيم جديدة.

الثانية: احتمالات التطور المستقبلي للنظام العالمي الجديد، حيث أورد الدكتور «محمد سيد سعيد» ثلاثة محددات مباشرة للتطور المستقبلي للنظام العالمي، وهي: درجة استقرار موقع الهيمنة، والتوترات المتصلة بعولمة الاقتصاد، وأزمة التكيف المؤسسي مع تفجر الخصوصيات الثقافية بكل

أشكالها، وأشار إلى أن النظام الدولي الحالي قد يتطور إلى واحد من الأشكال الأربعة الآتية: نظام دولي هرمي، نظام كتلي متوازن، نظام كتلي فوضوي، نظام مشاركة عالمية، وقد استعرض الباحث كلاً منها بالتفصيل.

وهكذا.. من خلال الأبحاث العلمية والدراسات التحليلية ـ التي يضمها هذا الكتاب بأقلام عدد من المتخصصين ـ يتاح للقارئ الوقوف على هيكلية النظام الدولي في الماضي والحاضر، والمستقبل المتوقع له.

وقد تميز الكتاب بالعرض السلس المبسط للموضوع، والتغطية الشاملة المتوازنة لعناصره، ومن ثم: فإنه يمثل إضافة قيمة للمكتبة العربية فيما يتعلق بالدراسات السياسية، وإن كان ـ كما أسلفت ـ تفتقد أبحاثه للرؤية السياسية الإسلامية، وهذا قصور ولا شك(**).

(*) ألف الكتاب مجموعة من الباحثين منهم الدكتور «حسن نافعة» وآخرون، والمحرر هو: الدكتور «محمد سيد سليم»، والناشر: مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة ـ القاهرة.

(**) كتب بعض المفكرين الإسلاميين عدداً من الدراسات حول موضوع (النظام العالمي الجديد) من خلال الرؤية الإسلامية، ومنهم الدكتور «توفيق القصير» في كتابه (على مشارف القرن الحادي والعشرين)، والدكتور «محمد عبد القادر أحمد»، (هموم إسلامية في نظام عالمي جديد)، والدكتور محمد التكريتي بالاشتراك في كتاب (المسلمون والنظام العالمي الجديد)

ـ البيان ـ

خمسون عاما من الفشل..!

أجواء الحرب .. في أحلام السلام

(٢ ـ ٣)

بالرغم من قناعتنا ـ نحن المسلمين ـ بأن السلام (الدائم) مع اليهود أمر مستحيل، فضلاً عن كونه أمراً غير مشروع ـ لعدم جواز الاعتراف لهم باغتصاب أرض فلسطين.. إلا أن كثيراً من القيادات العربية كانت ـ ولا تزال ـ تمني نفسها بإمكانية تحقيقه، فتخطية البحث في مشروعية تطبيقه، وكانت تلك القيادات تتطلع من خلال البحث عن « السلام » إلى تحصيل ما عجزوا عن تحقيقه عبر « السلاح ».

ونحن سوف نفترض حسن النية في هذه القيادات، وسوف نفترض أنها فعلاً أرادت التغلب على اليهود عبر طاولة المفاوضات بدلاً من ساحة الصراعات.. سنستبعد إلى حين ما يعده بعضهم: هواجس التآمر، ووساوس الخيانه، واتهامات العمالة، وسنقول: إن هؤلاء أرادوا حقاً الانتصاف للأمة من عدوها سلماً بعد أن عجزوا عن الانتصار لها حرباً.. فهل أفلحت تلك القيادات في السلام بعد أن فشلت في الحرب...؟!.

هذا ما سوف نناقشه من خلال استعراض مسيرة الحلول السلمية التي حملها (قطار السلام) الذي انطلق بعد حرب ١٩٧٣م وهو التاريخ الذي يمثل نصف مدة الخمسين سنة من الصراع العربي الإسرائيلي منذ بدأ وإلى الآن... وهذه الحلقة الأولى لأهم المحطات.

المحطة الأولى: مؤتمر جنيف ١٩٧٤ م:

(**الحرب من أجل السلام**): بهذا العنوان، أو بهذه الروح دخل العرب الحرب الرابعة مع اليهود عام ١٩٧٣م، وأثناء تلك الحرب، وقبل أن تضع أوزارها، وجه الرئيس المصري السابق (أنور السادات) يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣م (أي بعد بدء الحرب بعشرة أيام) رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي الأسبق

المسلمون



والعالم



عبد العزيز كامل

المسلمون والعالم



(ريتشارد نيكسون) اقترح فيها مشروعاً للسلام يتضمن الدعوة إلى إيقاف إطلاق النار على أن تنسحب إسرائيل فوراً من جميع الأراضي العربية التي احتلتها في حرب يونيو ١٩٦٧م ، وأبدى استعداده لحضور مؤتمر سلام دولي لإقرار السلم في منطقة الشرق الأوسط.

وسرعان ما تحركت الأطراف الدولية وعلى رأسها (واشنطن) و(موسكو) لإنهاء القتال الذي بدا أنه يمكن أن يهدد الدولة اليهودية، وأسفرت جهودهما عن صدور قرار من مجلس الأمن الدولي يدعو لوقف القتال والبدء فوراً في مفاوضات بهدف إقامة سلم (دائم) و(عادل)! في الشرق الأوسط، وسارعت مصر وسورية والأردن و(إسرائيل) أيضاً إلى قبول قرار وقف إطلاق النار، بينما رفضته العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تتبنى مبدأ عبد الناصر وهو أن (ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغير القوة) .. وهنا ـ وبسبب عدم وجود أرضية من الثوابت المشتركة، بدأ التصدع في الجدار العربي، الذي كان ماثلاً أصلاً بسبب الأرض الهشة التي يقف عليها فمصر بدأت تسير في (عملية السلام) في اتجاه الحل المنفرد، بينما تباينت مواقف الدول العربية الأخرى بما يدل على أن العرب بدأوا عمليه السلام في مراحلها المبكرة، دون أدنى اتفاق أو تنسيق أو تحديد للثوابت، كما كان شأنهم عبر عقود الحرب.

ثم جاء وقت انعقاد مؤتمر (جنيف) الذي دعا إليه مجلس الأمن بعد الحرب، إلا أن كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لم يرق لهما أن تُبحث قضية السلام دولياً، فربما تبرز أنواع من الضغوط عبر القنوات

الدولية لا تكون في صالح اليهود؛ ولهذا تقرر فجأة أن تدخل واشنطن بثقلها لتحويل مجريات الأمور، فكان أن جاء وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت اليهودي (هنري كيسنجر) إلى مصر في بداية عام ١٩٧٤م ليجري مباحثات كانت بمثابة مرحلة التدشين لعملية السلام الأمريكية الإسرائيلية في المنطقة.

وبدأ العمل على إدخال مصر في مسار الحل المنفرد لدورها الكبير في قضية الصراع.

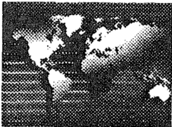
المحطة الثانية: كامب ديفيد ١٩٧٨م:

توالت الأحداث لتوصل إلى الهدف المحدد بدقة من قبل، وهو إخراج مصر من ساحة المعركة مع اليهود، لينكسر بذلك أحد فكي الكماشة التي كان يمكن لها في وقت من الأوقات أن تكسر ظهر الكيان اليهودي في فلسطين، وكانت (كامب ديفيد) الاتفاقية التي أوصلت إلى هذا المصير المنتظر، فقد أعلنت الولايات المتحدة في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨م عن توصل كل من مصر (وإسرائيل) إلى صيغة اتفاق بينهما لوضع حد نهائي للنزاع العربي الإسرائيلي، وكان هذا الإعلان بعد سلسلة من الاجتماعات استمرت (١٣) يوماً، ضمت كلاً من الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر) والرئيس المصري السابق (أنور السادات) ورئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق (مناحيم بيجين)، وكان ذلك في المنتجع الذي أطلقوا عليه (مخيم داود) والذي اشتهر إعلامياً باسم (كامب ديفيد).

وأثمرت هذه الاجتماعات إعلاناً عن توقيع اتفاقيتين منفصلتين:

الأولى: تتعلق بتحديد أسس علاقات السلام بين دولة اليهود والدول العربية الأخرى، وتدعو بقية دول المواجهة أن تحذو حذر مصر في إنهاء الحروب مع اليهود، وتنص من جهة أخرى على إقامة حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك لمدة خمسة أعوام، دون تحديد موعد البدء بها، أو ما سيكون عليه الحال بعدها.

أما الوثيقة الثانية: فتحدد أسس معاهدة سلام بين مصر و(إسرائيل) على أن تنجز وتبرم في فترة لا تتعدى ثلاثة أشهر من تاريخ اجتماعات





(كامب ديفيد)، أما بنود هذه المعاهدة الثانية، فهي تأكيد لكل الإجراءات التي من شأنها إيقاف أي أعمال عسكرية بين الطرفين بشكل نهائي، واستعداد كل طرف لممارسة علاقات طبيعية مع الطرف الآخر، ونصت إحدى بنود هذه الاتفاقية على أنها معاهدة ملزمة، وليس لأحد الطرفين حق نقضها! ومن الجدير ذكره هنا، أن تلك الاتفاقيات المعلنة، صاحبتها أيضًا اتفاقات سرية؛ فكان هناك اتفاق سري حول لبنان يقضي بتجريد القوات الفلسطينية والميلشيات اللبنانية من السلاح تدريجا بإشراف دولي وعربي! وقد ترجم هذا عمليًا بعد ذلك بإخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان عام ١٩٨٢م.

وتتضمن بنود كامب ديفيد اتفاقات سرية أخرى وتتلخص فيما يلي:

١ - وعد أمريكي لمصر بزيادة المساعدات المالية والاقتصادية كلما تم تنفيذ بنود المعاهدة؛ ويتضمن ذلك وعداً أمريكيًا آخر بتعويض مصر عن المساعدات العربية التي يمكن أن تفقدها بإيقافها من قِبَلِ الدول العربية [١].

٢ - اتفاق على تنسيق التعاون بين الاستخبارات المصرية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (السي - أي - إيه) ليس فقط يتعلق بالأوضاع في مصر، بل في إطار المنطقة العربية كلها.

٣ - تتعهد أمريكا بتحديث الجيش المصري (ضد من..؟) وتزويده بالأسلحة الأمريكية التي تعوضه عن الأسلحة السوفييتية عند الاستغناء عنها.

٤ - موافقه الرئيس المصري على تسريح قطاع كبير من الجيش المصري، بحيث تخفض أعداده من ٦٥٠ ألف جندي إلى ٢٥٠ ألف جندي فقط!

٥ - السماح باستخدام أمريكا لبعض القواعد العسكرية التي ستتخلى عنها إسرائيل في سيناء.

٦ - إعطاء أمريكا صلاحيات موسعة لاستخدام منطقة شرم الشيخ فيما يخدم استراتيجتها في المنطقة.

---

(١) يلاحظ أن هذه المساعدات المالية والاقتصادية، استمرت طوال السنوات الماضية، لتعطي الدولة العربية الكبرى إمكانية التصدي لزعامة (عملية السلام) فلما انتهى هذا الدور أو أوشك على الانتهاء الآن، فقد أصدر (الكونجرس) الأمريكي قراراً هذا الشهر (يونيو ٩٧) بإيقاف المعونة الأمريكية لمصر (مليار دولار سنويًا) بدعوى أن مصر أصبح لها دور سيئ في تعويق عملية السلام!.

ردود الفعل العربية على اتفاقات كامب ديفيد:

بطبيعة الحال، كان لا بد أن ترفض أكثر الدول العربية اتفاقيات كامب ديفيد، لا لأنها تتضمن اعترافاً بدولة اليهود ـ فتلك دعوى كانت تتردد بين آن وآخر ـ ولكن لأن هذا الاعتراف جاء بشكل منفرد ودون سابق مشورة، أما الأدبيات القومية أو الليبرالية أو حتى الثورية، فإنها لم تكن تتضمن مبادئ ثابتة فيما يتعلق بضوابط الصداقة والعداء.. أو الولاء والبراء، فالدول التي ترتمي في أحضان القوى الشيوعية الملحدة، أو النصرانية الصليبية، ما الذي يمنعها من إقامة علاقة ود وصداقة مع دولة يهودية؟

لقد أثبتت الأيام بعد ذلك أن كل محرمات العلمانية يمكن استحلالها، وكل ممنوعاتها يمكن السماح بها، فليس ثَمَّ حرام دائم أو حلال دائم عند من يستمدون تشريعهم من الأهواء..

ولكن الظروف وقتها كانت لا تسمح إلا بالرفض على مستوى الدول، وأيضاً على مستوى الشعوب التي صدمت فيما رأته تراجعاً عن ثوابت لا يمكن التراجع فيها.

لقد أخذ الرفض العربي صورة تشنجية عالية الصوت، لامعة الضوء، ولكنها سراب يحسبه الظمآن ماءً، وقد أثمر هذا الرفض في النهاية ولادة ما أطلق عليه وقتها: (جبهة الصمود والتصدي)!! تلك الجبهة التي تعهدت بالمضي في المعركة مع الغاصبين إلى النهاية، وتم الإعلان عن هذه الجبهة في مؤتمر القمة العربي المنعقد في بغداد ١٩٧٩م، وقد عقدت دول تلك الجبهة بعد ذلك أكثر من مؤتمر لإحكام المقاطعة العربية للدولة التي خرجت عن (الإرادة العربية) ولكن... لم يكد ينقضي عقد من الزمان حتى آل أمر جبهة (الصمود والتصدي) إلى الخمود والتصدع! فقد بدأ بعض أعضائها في التسلل تحت جنح الظلام إلى معسكر السلام!

المحطة الثالثة: (مؤتمر فاس):

شرع الرافضون لكامب ديفيد من «الصامدين» يتصدون لطرح مبادرة عربية، تقول للسلام مع اليهود: نعم، ولكن.. «بشكل جماعي» وكان ذلك في مؤتمر (فاس) الذي عقد في المغرب بين (٦ ـ ٩ / ٩ / ١٩٨٢م)

المسلمون



والعالم

ومن العجيب أن ما علت الأصوات العربية باستنكاره من اتفاقات كامب ديفيد (الخيانية الانفرادية) قد سطِّر بهدوء، ودون ضجيج في البند السابع من مشروع (فاس)، ولكن مع الفارق المذكور، وهو أن الأول كان بمبادرة فردية، والثاني كان بمبادرة شبه جماعية.

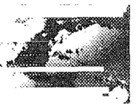
وتعد نتائج مؤتمر (فاس) هي الأرضية التي انطلقت منها بعد ذلك كل مشروعات التسوية بدءاً من الاتفاق الأردني الفلسطيني (٢٢/١١/١٩٨٤م) الداعي إلى مبدأ (الأرض مقابل السلام) وحتى اتفاقات أوسلو وصدق فيها المثل الشعبي: (وقعت الفاس في الرأس)!

المحطة الرابعة: مشروع إعلان الدولة الفلسطينية:

في الفترة ما بين ١٩٨٦، ١٩٨٨م، بدأت منظمة التحرير الفلسطينية تنشط بدورها في إجراء اتصالات مع عناصر إسرائيلية، تمهيداً للدخول في حوار سلمي مع الدولة اليهودية، وذلك بعد قرار صدر عن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته لعام ١٩٨٦م، يدعو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لوضع خطط بفتح الاتصال المباشر مع دوائر يهودية وإسرائيلية.

وكانت الإشارات قد بدأت تدل على نية رئيس المنظمة ياسر عرفات إلى الاعتراف بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، الذي يدعو إلى اعتراف العرب بدولة (إسرائيل) بحدود ما قبل حرب ١٩٦٧م، وكان العرب جميعاً قبل ذلك يطلقون على رفض هذا القرار باعتبار أنه يعني التنازل مقدماً عن ثلثي أرض فلسطين، بل كان ياسر عرفات يقول ويكرر إنه يقبل أن تقطع يده على أن يقبل بالقرار ٢٤٢! ولكن عرفات عاد وقبل بالقرار وهو يعده الآن أثمن ورقة في يده! ولكن قبوله وقتها كان له وقعه وصداه (المؤقت) وحتى يغطي على هذا التراجع المخيف، فقد أوعز إلى المجلس الوطني الفلسطيني بأن يعلن في دورته التاسعة عشرة عن قيام (دولة فلسطين المستقلة)! ثم خطت منظمة (التحرير) خطوة (سلمية) أخرى، حينما ذهب رئيسها إلى جنيف، وأعلن أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٣ ديسمبر ١٩٨٨ ما يلي:

١ ـ أنه على استعداد للتفاوض مع (إسرائيل).



٢ ـ تتعهد المنظمة أن تتعايش بسلام مع (إسرائيل) وأن تحترم حقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها.

٣ ـ أن المنظمة تدين أعمال العنف الفردي والجماعي وإرهاب الدولة، ولن تلجأ إلى شيء من ذلك! ولقد كانت هذه (التوبة) المعلنة كافية لكي تكفر عن الفلسطينيين ـ أمام الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ـ كل ما اقترفته أيدي الفدائيين الفلسطينيين والمجاهدين وأبطال الحجارة من (إساءات) في حق اليهود (المظلومين)!! وقد قرت أعين هؤلاء اليهود وأعوانهم بما قال عرفات، حتى إن (جورج شولتز) وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الوقت علق على خطاب عرفات قائلاً: إنه انتصار باهر، يدل على أن اللاءات الثلاث العربية الشهيرة في مؤتمر الخرطوم ١٩٦٧م، تحولت في جنيف لتصبح (نعم) ثلاث مرات أيضاً!

المحطة الخامسة: مؤتمر مدريد:

قبيل حرب الخليج الثانية، كان الفلسطينيون قد سد في وجوههم باب (السلام) بعد أن عادت الولايات المتحدة ساخطة عليهم بسبب عملية فدائية قامت بها إحدى الفصائل الفلسطينية التي كانت على علاقة بالمنظمة، وبعد أن توقفت الحرب وفي يوم ٦ مارس ١٩٩١م، وهو يوم الاحتفال بالنصر، ألقى الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش خطاباً أعلن فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية عازمة وبحزم على تسوية الصراع العربي الإسرائيلي، وقد بدأ (جيمس بيكر) وزير الخارجية الأمريكي وقتها جولات مكوكية لتهيئة الأوضاع لعملية سلمية جديدة. تتناسب مع ظروف جديدة، وكان المقرر أن يعقد مؤتمر دولي يكون مجرد واجهة علنية عامة لمحادثات ثنائية منفصلة بين كل دولة عربية وبين (إسرائيل) أما منظمة التحرير المعنية أصلاً بموضوع السلام، فقد تقرر استبعادها لموقفها في حرب الخليج، على أن يكون البديل عنها وفد من فلسطينيي الداخل، وليس من المنظمة وعلى أن يكون ذلك الوفد أيضاً جزءاً من الوفد الأردني في المؤتمر.

وتقرر أن تكون العاصمة الأسبانية (مدريد) المقر الرسمي لانعقاد المؤتمر (الواجهة) ثم تجري بعد ذلك المفاوضات في مسارات ثنائية بين كل طرف

المسلمون



والعالم



عربي على حدة وبين الطرف اليهودي، واختيرت مدريد في ذلك الوقت لأسباب لا تخلو من إيحاءات ورموز زمانية ومكانية لم تكن خافية.

وقد تجسد الضعف بل الذل العربي في هذا المؤتمر، حيث صال إسحاق شامير رئيس وزراء (إسرائيل) الأسبق وجال، ولوَّح بالتوراة وآياتها، وذكَّر بالتاريخ ودروسه وشرَّق وغرَّب باسم اليهودية وأمجادها وآمالها وآلامها في القديم والحديث، وكان هو الزعيم الوحيد من أطراف الصراع الذي حضر بنفسه ولم ينب أحداً عنه، وكان قد أصر على شروط لا تقبل أنصاف الحلول قبل التفاوض في أي شيء وكأنما أراد أن يذكِّر بها أن الجلوس على مائدة المفاوضات لا يعني النِّدِّية أو التكافؤ بين الأطراف؛ وأراد شامير أن يذل العرب والمسلمين في شخص الفلسطينيين فاشترط هذه الشروط:

١ ـ لا يسمح بمشاركة أي فلسطيني عضو في المجلس الوطني في المؤتمر.

٢ ـ مجرد ذكر منظمة التحرير في المؤتمر يعني انسحاب اليهود.

٣ ـ الإشارة لأي اعتزاز بالانتماء للكفاح الفلسطيني، يعني أن المؤتمر في حكم الملغي، وسينسحب هو ووفده منه! وكاد يحدث بالفعل ما حذر منه شامير، إذ أقدم أحد أعضاء الوفد الفلسطيني وهو (صائب عريقات) على وضع الكوفية الفلسطينية المشهورة على رأسه أثناء الاجتماع فاحتج شامير واحتد، وطلب إزالة هذه المخالفة فوراً!!.

فبأي روح يا ترى، وبأي نفسية كانت تجري المفاوضات (السلمية) ومع هذه الشخصيات (العدوانية) في تركيبها وتكوينها وتفكيرها واعتقادها وأحلامها..؟!

المهم أن المؤتمر انعقد، وكأنه تظاهرة تحتفي بهوان أمة لم تجد من يتكلم باسمها أو يدافع عن كرامتها ومقدساتها، وكان من المفاوضات العجيبة ـ بعد انتهاء المؤتمر أن تُختار النصرانية (حنان عشراوي) لتتكلم باسم القضية الفلسطينية العربية الإسلامية !! ولهذا الموضوع بقية في جزئه الثالث في العدد القادم إن شاء الله.

عولمة أم أمركة

(١)

كتب شاعر عربي شيوعي قصيدة من أربع كلمات يعبر فيها عن شعوره تجاه الحالة الأمريكية الحالية فقال: الخلق نوعان: إنس وأمريكان.

وسياسي عربي، جمع شعبه وخطب فيهم بصراحته المعهودة قائلاً: في اليوم الذي كنا نختلف فيه مع الاتحاد السوفييتي كنا نذهب إلى أمريكا، ويوم أن كنا نختلف مع أمريكا .. نذهب للاتحاد السوفييتي، واليوم لم يعد إلا أمريكا، فأين نذهب؟! (سبحان الله). هكذا يفكر التائهون.

وسياسي آخر من أرض الجزائر ضاقت به السبل لحل الأزمة الراهنة واستعصت عليه المسائل فطالب أمريكا بالتدخل لحل الأزمة.

وكاتب عربي مسلم رأس تحرير إحدى المجلات الإسلامية لفترة من الزمن، طالب بعدم السعي لإسقاط أمريكا، وطالب بالحفاظ عليها دولة وحيدة مهيمنة!! لأن في سقوطها ضرراً كبيراً؛ إذ إن مصالح العالم كله مرتبطة بها وفي سقوطها خسارة للعالم!!

لكن الكاتب لم ينس أن يطالب أمريكا أن تكون محترمة لا مستعلية!

هذه نماذج من شرائح عدة في مجتمعاتنا تكشف عن استقرار كبير في شعور هذه الفئات بسيطرة النموذج الأمريكي على العالم، وهذا الاستقرار فرض على المشاعر والسلوك الصبغة الأمريكية حتى في أخص الخصوصيات التي استوردت من ثقافة (اللاثقافة)، وحضارة (اللاحضارة)؛ فأصبح من الطبيعي أن تجد وأنت ساجد لله، في أحد المساجد العلم الأمريكي على جورب يلبسه أحدهم، وإن اعتدلت قائماً طالعك الـ (تي شيرت) وقد

المسلمون



والعالم



حسن قطامش

حفر على واجهته وخلفيته حروف U.S.A بل يكفي الاقتناع التام بجودة المنتج إذا كان أمريكيًّا، مهما كانت جودة منتج آخر من دولة أخرى.

استقر في نفوس أولئك أن أمريكا نموذج للحرية والعدل والمساواة، ولهذا صارت أمنية الأماني وحلم الأحلام لدى بعضهم: الحصول على (الجرين كارت) فضلاً عن السعي الحثيث ودفع الأموال الطائلة للحصول على الجنسية الأمريكية والمفاخرة بحمل جواز سفر .. أمريكي.

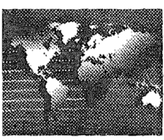
سؤال مهم ـ وهو سبب لما نسطره الآن ـ: ما الذي قدمته أمريكا للعالم؟

والإجابة ستكون من غير تشنج ولا تحيز ـ ومن خلال ما سنراه ـ: لقد قدمت أمريكا للعالم نموذجًا واحدًا، هوالنموذج المصلحي، فلا ثقافة أصيلة، ولا حضارة إنسانية حقيقية يمكن أن يسجلها لها التاريخ، فنموذج (الأمركة) ليس له وسيلة لفرضه على العالم إلا ما يرادفه في اللفظ!! فالأمركة ترادفها (العلمنة) ويرادفها (المكدلة) نسبة إلى (ماكدونالدز)، وقد يراد منها (الكوكلة) نسبة إلى (كوكاكولا)!

لم تقدم أمريكا إلا أفلام الجنس، أفلام العنف، الجينز، وهو ما يمكن تسميته بـ (الثقافة السائلة) الثقافة الاستهلاكية، ثقافة (تعالَ إلى حيث النكهة).

ولذلك تَعْجَبُ من بعض قومنا أن تكون مشاعرهم تجاه هذه الصرعات غير الحضارية بتلك الحرارة، ونعجب أكثر من بعض المثقفين

المسلمون



والعالم

الذين يحملون على عاتقهم هَمَّ تسويق النموذج الأمريكي نموذجًا مثاليًا جديرًا بالتطبيق في جميع مجالاته!

وعندها لا نعجب أبدًا من أبناء هذه القبيلة الأمريكية حين يتيهون على الدنيا، ويطلقون التصاريح الإمبراطورية يفاخرون فيها بأنهم أسياد الدنيا وحكامها؛ ونخشى أن تزيد هذه التصريحات بعض قومنا عمىً على عمى (ونسأل الله السلامة).

شهادات مغرورة:

١ ـ « ألبرت بيفريدج » ممثل ولاية (إنديانا) في مجلس الشيوخ الأمريكي يلقي خطابًا في مجلس ولايته، يقول فيه ـ وكأنه مجلس حكام الدنيا ـ:

« إن الله لم يهيِّئ الشعوب الناطقة بالإنجليزية لكي تتأمل نفسها بكسل ودون طائل، لقد جعل الله منا أساتذة العالم!! كي نتمكن من نشر النظام حيث تكون الفوضى، وجعلنا جديرين بالحكم لكي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية الهرمة، وبدون هذه القوة، ستعم العالم مرة أخرى البربرية والظلام، **وقد اختار اللهُ الشعبَ الأمريكي دون سائر الأجناس كشعب مختار!!** يقود العالم أخيرًا إلى تجديد ذاته ».

أما الرئيس الأسبق « دوايت أيزنهاور » فقد خاطب أمته عام ١٩٥٣م قائلاً: « لمواجهة تحديات عصرنا حَمَّل القدر بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر » ومن تجليات تلك العنجهية وغرورها ما تفوَّه به « وارن كريستوفر » وزير الخارجية السابق في دراسته التي نشرتها مجلة (فورين بوليسي) « السياسة الخارجية » في نهاية عام ١٩٩٥م بعنوان: قيادة أمريكا ـ فرصة أمريكا على أعتاب القرن الحادي والعشرين، يقول: « الحقيقة البسيطة ـ هكذا ـ هي أن أحدًا، أي أحد آخر لن يقود إذا لم نقم نحن بتولي مسؤولية القيادة، تصوروا شكل العالم خلال العامين الأخيرين فقط لو



المسلمون والعالم

كانت القيادة الأمريكية غائبة!!

إنه ومنذ الثورة الأمريكية يتطلع الناس في كل مكان نحو الولايات المتحدة التماساً للإلهام في نضالهم من أجل الحرية وحياة أفضل، وثمة أمم أخرى طالما قبلت بقيادة أمريكا، لا لشيء إلا لأن أمتنا تمتلك إرادة مجربة، واستعداداً سبق اختباره للدفاع عن شيء ما أكبر منها».

أما الملياردير الأمريكي ومرشح الرئاسة المستقل، الخاسر ثلاث جولات «روس بيرو» فيقول في كتابه: (ليست للبيع بأي ثمن) «إن الأمريكيين محظوظون من بين شعوب العالم؛ لأنهم يعيشون في أعظم دولة عرفها تاريخ الإنسان!! وإن مئات الملايين من الناس يتمنون الوصول إلى ما وصل إليه المواطن الأمريكي اليوم».

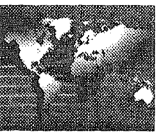
شهادة من تاجر لا يعرف من الحضارة إلا المادة، فالدولار إله معبود.

وأخيراً إلى من يزعم أنه كُتب على أمريكا تحمل مسؤولية العالم!! فهذا «روزفلت» في أعقاب الحرب العالمية الثانية يصرح: «إنَّ قدرنا.. هو أمركة العالم، تكلموا بهدوء، واحملوا عصاً غليظة.. وعندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيداً».

ولعل الأغنية التي يرددها الأمريكان خير تعبير عن بلوغ النشوة والعنجهية ذروتها بامتلاك العالم: «القمر أصبح أرضاً أمريكية، بلاد السوفييت أصبحت أرضاً أمريكية، المريخ سيصبح أرضاً أمريكية... وعلى الأرض السلام والخراب».

بعد هذه المقدمة، نقوم بجولة نستعرض فيها التاريخ الأمريكي منذ بدايته حتى نتمكن من التوصل إلى رؤية شاملة للولايات المتحدة (سيدة العالم) وحتى تكون أحكامنا عن تصور واضح ومنطقي لا عن تشنج غير مسوَّغ.

كذلك أود أن ألفت الانتباه إلى أن من الأهمية بمكان الوقوف على



تصريحات الساسة وصناع القرار الأمريكيين؛ إذ إن هذه التصريحات هي من أقوى الأدلة وأوضح البراهين على إثبات المراد بيانه من سياستهم، فهي ليست حشواً للأسطر أو تسويداً للصفحات بلا داعٍ؛ بل هي مخطط مدروس، فهل نعي ذلك؟

رحلة سريعة في التاريخ الأمريكي:

وقت أن كانت فرنسا قوة مسيطرة، رفعت شعار: « دور فرنسا في تحضير العالم»، وحين جاء دور (بريطانيا) رفعت شعار: « عبء الرجل الأبيض»، ويوم حكمت أمريكا رفعت شعار: « حق الشعوب في تقرير المصير» وجميعها شعارات استهلاكية.

لكن التاريخ الأمريكي يبدأ منذ أن رسم البحارة الإيطالي « كولمبوس» خطته بالإبحار غرباً، ونفذ هذه الخطة بمساعدة ملك أسبانيا وملكتها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ثم أعقبه الإيطالي « أميريكو نسبوتشي» ـ الذي سميت أمريكا باسمه ـ واستقر الأسبان والبرتغال في أواسط أمريكا (المكسيك والبرازيل) وتوالت الرحلات، فاكتشف الإنجليز والفرنسيون شرق أمريكا الشمالية فاستقروا فيما صار بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وقام صراع بين انجلترا وفرنسا حول الأرض الجديدة، وقامت حرب السنوات السبع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكان الإنجليز قد تمكنوا من بناء أول (مستوطنة) في أمريكا الشمالية، وهي التي جذبت العديد من (المستعمرين) إلى أمريكا، حيث بدؤوا تكوين مجتمعهم الجديد، ثم زادت المستوطنات، وعاش (المستوطنون) تحت الحكم البريطاني، ولكن تجاهلهم لتطبيق القانون البريطاني أدى إلى الخلاف مع بريطانيا.

وبعد الاستفراد البريطاني في الأرض الجديدة، صدرت بعض الإجراءات أدت إلى بدء حركة الاستقلال، كزيادة الضرائب على المطبوعاتٍ والوثائق، وقد أثارت هذه التغييرات ردود فعل غاضبة لدى المسْتعمِرين الذين





عارضوها بشدة، ونجحت الاحتجاجات في إلغاء هذه الإجراءات.

لم يدم الود بين الحكومة البريطانية والمستوطنين الجدد طويلاً، فقد صدرت قوانين جديدة مثيرة للسخط، وأرسلت بريطانيا قواتها إلى كل من (بوسطن) و(نيويورك) حيث قتلوا بعض المستوطنين الجدد وهو ما عرف وقتها بـ(مذبحة بوسطن)، ورد المستوطنون على ذلك بأن ألقوا الشاي البريطاني في الميناء، فعاقبتهم (بريطانيا) بما سمي بالقوانين غير المحتملة التي تمثلت في إغلاق الميناء وإجبار المستعمرين على إيواء البريطانيين وإطعامهم، فكوَّنت اثنتا عشرة مستوطنة ما سمي بالمجلس القاري الأول بـ«فلاديفيا» الذي أجبر بريطانيا على سحب القوانين غير المحتملة، وغضب الملك «جورج» على المستعمرات، فاعتدت جيوشه على مؤن تخص المستعمرات، فكان ذلك سببًا ـ من الأسباب ـ في ابتداء الثورة الأمريكية على الحكم البريطاني، واستمرت المعارك، وفي يوليو ١٧٧٦م أعلن المجلس القاري الرابع الاستقلال عن بريطانيا، مكونًا الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرت الحرب الطاحنة بين (أمريكا) وبريطانيا حتى انتصر الأمريكان عام ١٧٨١م، ثم وقعت معاهدة باريس بين الطرفين عام ١٧٨٣م إعلانًا لنهاية الثورة الأمريكية، وكانت قد تكونت الحكومة الدستورية، وكتب دستور البلاد عام ١٧٨٧م.

ومما يجدر بالذكر أن معظم الذين هاجروا إلى الأرض الجديدة (أمريكا) من الأوروبيين كانوا من مجرمي الحروب والسجناء الذين ضاقت بهم السجون، ومن تجار الرقيق، والباحثين عن الذهب؛ فالنزعة الإجرامية والقتالية، وحب السيطرة، وعبادة المال، وتقديم المصلحة الشخصية: سمات غالبة على المستعمرين والمستوطنين الجدد، والجميع هنا بلا جذور، وأولئك هم الذين قامت عليهم الولايات المتحدة، وهم الذين وضعوا دستورها وسياستها... **وللحديث بقية.**

الانتخابات الإيرانية وخطأ الحسابات

نظرات في خلفيات الانتخابات الإيرانية الأخيرة



١ـ كتبت جريدة (كيهان) الإيرانية الناطقة بلسان المخابرات الإيرانية قبل ٢ يونيو: أن حصون القوى الصديقة ـ الداخلية ـ أخذت في الانهيار، وفي الثاني من يونيو انهارت هذه الحصون فعلاً في يوم الاقتراع؛ لذا بدأ الآيات والقوى الحاكمة يركزون على ناطق نوري ـ رئيس البرلمان ـ حيث سموا منافسه الخاتمي: « بني صدر الثاني » وأصبحت النتيجة أن شعب إيران بأكمله تحرك ضد النظام، وكان رد الفعل هو الخوف وارتكاب الحماقات، ففي اليوم الخامس من يونيو قام آمر الجيش الشعبي برفقة (٢٠٠٠) من قواته بمظاهرة مقابل بيت (الخامنئي) وكانوا يهتفون: (نحن لا نريد بني صدر، الموت لبني صدر، الموت لخاتمي).

واعترفت جريدة « جمهوري إسلامي » الفارسية في ٣١ من مايو أنه مهما كانت نتيجة الانتخابات فإن رجال الدين الروحانيين (أي الآيات: ويسمونهم في إيران أيضًا: روحانيت)، وكذلك النظام هما الخاسران الأكبران.

إن مناورة النظام على حكم « ولاية الفقيه »[1] وحكومة الشعب وخطر

(١) ولاية الفقيه: بمعنى حكم نائب إمام المهدي المنتظر لدى القوم ويمثله حاليًا (الخامنئي) ـ وهو عندهم فوق سلطة القانون وفوق الشرع ولا يحاسب، بل بإمكانه على حد قول الخميني وأنصاره وأتباعه من بعده ـ إذا رأى أن من مصلحة النظام أن يعطل الصلاة أو الحج أو توحيد الله فله، فهل يليق بمن لديه مسكة من عقل أن يصدق أن لحاكم مًا تعطيل فروض وشعائر الإسلام بدعوى المصلحة! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم!!.

بقلم: د. عبد الرحيم البلوشي

بني صدر، كانت صفعات مهلكة على وجه النظام.

إن رضا جرندابي في أسبوعية نيمروزط (ص٢١: لندن) اعتبر نجاح الخاتمي اتحاداً غير ديني للناس ضد ولاية الفقيه.

٢ ـ مع أن العلاقات الإيرانية ـ الأوربية معلقة، إلا أن هناك فضيحتين تتكلمان عن العلاقات الفاسدة بين آيات إيران وإسرائيل من جهة، وبين إيران وإنجلترا من جهة ثانية، وهما: «لاري جيت» و«عنبر جيت»[١].

ـ أما جريدة كيهان[٢]، فقد اعتبرت أن أنصار الخاتمي اليوم هم أنفسهم أنصار بني صدر سابقاً، وقالت: على فرض نجاح الخاتمي، فإننا سنسلك معه ما سلكه الخميني مع بني صدر.

لكن الضربة المثلى هي ما أوردته مجلة النساء (زنان) الإيرانية، من أن ناطق نوري قام بقراءة النياحة ـ والتباكي[٣] ـ على قبر الخميني، فسألته المجلة: هل ستنوح ثانية إذا ما فزت برئاسة البلاد؟! ولذا عقبت كيهان بأنهم يستهزئون بالنياحة! قاصدة ناطق نوري عندما أعلن نفسه مرشحاً للنظام وليس مرشحاً من جناح معين فإنه بعمله هذا نسف نظام ولاية الفقيه من أساسه.

(١) توضيح ذلك فيما بعد.

(٢) ٢٩ ـ أردى بهشت مايو، في عدد ٣١ أردى بهشت.

(٣) كما هو معروف لدى القوم: بالروضة: أو قراءة الروضة وهي عبارة عن البكاء والتباكي والنياحة على القبور.



مناورات الخامنئي:

أخذ خامنئي يناور بادئ ذي بدء حينما منع ترشيح المهندس حسين الموسوي - رئيس الوزراء السابق - ولما نجح في ذلك: ظن الجناح اليميني أن الجناح المنافس لا يوجد لديه مرشح آخر، ولكن بعد أخذ ورد وتردد تم ترشيح آية الله الخاتمي، وقَبِلَهُ الخامنئي بعد وساطة (خروبي) و(خوئي) (وكلاهما من الآيات). ولكن خامنئي لوَّح بترشيح ناطق نوري، وفي ٣١ من مايو، قال آية الله مهدوي كني - وهو من أركان نظام ولاية الفقيه - قال في جريدة (رسالت): (إن القائد يميل إلى ترشيح ناطق نوري). وفي اليوم نفسه وجه خامنئي أوامره إلى وزير الخارجية - ولايتي - بعقد مؤتمر صحفي يقول فيه: إن ناطق نوري هو الأصلح من غيره في الوقت الذي منع خاتمي من إلقاء كلمته في ملعب أمام ١٠٠ ألف مستمع. وفي (يونيو)، أعلن مكتب القائد تشكيكه بما أعلنه الكروبي وخوئيني عن موافقة خامنئي على ترشيح الخاتمي، مع منع خطبة الخاتمي وإغلاق مكاتبه الانتخابية وتوقيف الحملات الإعلامية في الإذاعة والتلفاز وهما تحت أمر القائد مباشرة، هكذا وبسرعة أعلن الخامنئي موقفه العدائي المباشر والصريح من خاتمي، وهنا توهم الناس أن القائد يدافع عن ناطق نوري، ولذا: فهو ينتخبه كرئيس، وأعلن ١٩٠ نائباً من مجلس الآيات أنهم يعتبرون ناطق نوري هو الأصلح كما فعل ذلك « شورى حراس الدستور » وبناءً على هذا جعل النظام بقائده ورؤساء القوى المتنفذة، (ناطق نوري) مرشحهم الانتخابي، الذي يؤيد نظام ولاية الفقيه.

ردود الأفعال العالمية على فوز خاتمي:

لما فاز الخاتمي، أعلنت جريدة الجمهورية الإسلامية والصحف العالمية - بحق - أن هزيمة ناطق نوري كانت هزيمة النظام بأكمله؛ لأن ٩٠٪ من الشعب الإيراني اقترعوا ضد ولاية الفقيه أمام (١٥٠) من صحفيي العالم

المسلمون



والعالم

الذين كانوا بمثابة مراقبين للانتخابات. وتقول جريدة «الانقلاب الإسلامي»[1]: إن عدد المشاركين في الاقتراع كان متفاوتًا إلى درجة كبيرة، وأعلن أنه كان ما بين ٣٠٪ إلى ٩٠٪، أما وزارة الداخلية الإيرانية فقد أعلنت أن المقترعين ٨٩٪ حيث صوَّت ٧٠٪ لصالح الخاتمي، و٧٪ لناطق نوري و ٢,٥٪ لكل من زواره أي رئيس السجلات حجة الإسلام، وري شهري - رئيس المخابرات الأسبق.

أما وكالتا رويتر وفرانس فقد أعلنتا - نقلاً عن مراسليهما أن ٦٠٪ من الناس كان لهم حق المشاركة. أما جريدة الانقلاب الإسلامي فقالت: إن الإحصائيات الواصلة إليها من داخل إيران تفاوتت نسبها من ٦٠٪ إلى ٣٣٪، والآخرون قالوا إن النسبة ٥٠٪.

أما في خارج إيران فقد شارك ٦٠ ألفًا فقط أي ٢٪ من المقيمين في الخارج.

وبناء على البيانات الواردة من وزارة الداخلية الإيرانية، فإن المشاركين كانوا أقل قليلاً من ٣٠٪ أي ١١ مليونًا، ونسبة المقترعين مهما بلغت فإنها دليل واضح قاطع على استبداد الآيات ورفض الشعب لهم وعدم شعبيتهم في إيران.

محاولة السلطة إلغاء الانتخابات:

بعد يوم واحد من الاقتراع ذهب أسد الله بادامچيان - السكرتير التنفيذي - للهيئة المؤتلفة مع عدد من مديري الدوائر الانتخابية لناطق نوري عن «شورى حراس الدستور» وطلبوا منهم إلغاء الانتخابات أو - على الأقل - إلغاء نتائج مراكز الاقتراع المهمة، حيث أعلن (٧) ملايين صوت لخاتمي لتؤجل الانتخابات إلى الدور الثاني، لكن نظرًا إلى الجو

(١) باللغة الفارسية العدد رقم ٤١٢ وصاحبها د. أبو الحسن بني صدر أول رئيس جمهورية لإيران الذي خلعه الخميني من السلطة، ويعيش حاليًا في باريس، ويواصل كفاحه ضد النظام من هناك: وما قضت به محكمة ميكونوس الألمانية كان له دور بارز فيها.



المكهرب في الداخل والموقف الذي فرضه حضور (١٥٠) صحفياً من العالم، فإن إلغاء الانتخابات سيؤدي إلى ردود أفعال عنيفة، ولذلك كشفت الانتخابات عن ضعف النظام المفرط؛ إذ لم يكن أحد يتصوره بهذا الوهن، فقد كانوا فيما مضى يختلقون الأصوات ويوجهونها تبعاً لإرادة القائد.

ولكن مع كل هذا فإن جماعة «أنصار حزب الله»[(١)] كتبت تحت صور الخاتمي: إن مصير بني صدر بانتظار الخاتمي.

أما التلفاز الإيطالي: فقد جعل رأي الشعب في الانتخابات الإيرانية مكملاً لرأي محكمة ميكرونوس؛ لأن رأي المحكمة سلب المشروعية من النظام وتصويت الشعب أيد هذا الرأي؛ إذ إن الشعب الإيراني فوض خاتمي لإصلاح جذور الآيات. ويقول مراسل نوفكوتيدين[(٢)]: إن هذا الاقتراع كان زلزلة واقعية، واعتُبِرَ الخاتمي غورباتشوف إيران.

والصحف الألمانية: جعلت هزيمة الثاني من يونيو هزيمة للنظام، وثورة صغرى، تقول هامبورغر إنبدبلات[(٣)]: إن خاتمي يضع قدميه على أرض ملغمة؛ لأنه يواجه من جهةٍ المجلسَ الذي يخالف سياساته، ومن جهة أخرى فإن الناس الذين انتخبوه ينتظرون منه الكثير.

أما الصحف الفرنسية: فإن ليبراسيون تقول: إن النظام انهزم بشدة في هذا الاقتراع إلا أن مخالفيه الذين حرموا الاقتراع كمجاهدي خلق وأنصار الشاه وغيرهم انهزموا أيضاً.

---

(١) التي يتزعمها آية الله جنتي، العضو في شورى حراس الدستور، والذي لا يكل ولا يمل عن محاربة أهل السنة بدعوى محاربة الوهابية في داخل إيران، ولا يتورع المذكور عن السب والشتم ولسانه أقرب إلى السوقة من السياسيين! ولله في خلقه شؤون.

(٢) ٢٦مايو ٩٧ .

(٣) ٢٦ مايو ٩٧.

يقول مراسل جورنال دودبانش:إن الشعب الإيراني قال للآيات.. لا.

أما أبزورڤر[1] فإنها اعتبرت الانتخابات ضربة قاضية للمتشددين في النظام.

أما واشنطن بوست[2] فقالت عن نتيجة الانتخابات بأنها هزيمة لنظام الآيات الحاكمين. ويطلق مراسل الجريدة جان لانكستر على الخاتمي: (آية الله غورباتشوف).

أما نيويورك تايمز،فتنصح الخاتمي أن لا يتعجل في تطبيق سياساته مثل بني صدر[3].

والصحف الإسرائيلية[4] اعتبرت الانتخابات ثورة ثانية.

أما الصحف العربية: فإنها قارنت انتخاب الخاتمي بانتخاب بني صدر؛ حيث إن كلاهما قد انتخب انتخاباً رغماً عن الآيات، وعدت ذلك ضربة قاضية لأسس النظام، وقارنت بني صدر الثاني ببني صدر الأول.

وكتبت النهار[5]: إن الانتخابات في إيران دلت على اختيار الشعب للتعددية والحرية والأخلاق، وقالت: إن على الخاتمي تغيير إيران الجذري، وإنه يريد التغيير في السياسة الخارجية إلا أن العائق الوحيد هو الخامنئي.

كتبت الشرق الأوسط[6]: مع نجاح الخاتمي بدأ عهد «بروستوريكا» إشارة إلى عهد غورباتشوف والتغييرات التي حدثت في العهد الشيوعي على يديه قبل انهيار النظام بالكامل.

وكتبت الأهرام[7]: لقد قارن زعماء النظام في الأسابيع الأخيرة بين

(١) ٢٦ مايو ٩٧. (٢) ٢٦ مايو ٩٧.
(٣) إلا أن بني صدر يراسلها ويثبت له أنه لم يتعجل ويضع اللوم على الآيات.
(٤) نقلاً عن إذاعة إسرائيل ٢٥ مايو ٩٧. (٥) ٢٦ مايو ٩٧.
(٦) ٢٥ مايو ٩٧. (٧) ٣٠ مايو ٩٧.

المسلمون



والعالم

خاتمي وبني صدر وبما أن الناس قد اختاروا الخاتمي فهم إذن يريدون العودة إلى عهد بداية الثورة. ويبدو من الصحف العالمية المذكورة حيال الانتخابات الأخيرة في إيران: أنها ثورة جديدة. أما (الخامنئي): فقد قال قبل الاقتراع في جمع من الحرس الثوري: (انتبهوا لا يخدعنَّكم لون العمامة) إشارة إلى لون عمامة الخاتمي السوداء، أي لا يغرنكم كونه من (السادة) ـ ولذا رسمت مجلة ـ غل آتا ـ الكاريكاتورية ـ على صندوق الاقتراع: نُدخل في الصندوق الخاتمي ويخرج منه نوري، وتم إيقاف المجلة بعذ ذلك.

وبما أن كثيراً من الناس لم يكونوا يريدون المشاركة في الانتخابات إلا أنهم شاركوا فيها لمواجهة الخامنئي والإعلان عن مخالفتهم له، ولذا لم يستطع القائد المصاب إخفاء غضبه فصرح بعد انتخاب الخاتمي بأنه: لن يكون مثل رفسنجاني.

المستفاد من الانتخابات:

والدرس الذي يجب استخلاصه من الانتخابات أن عداء هذا النظام للحرية على حد قول جريدة «الانقلاب الإسلامي» قطعي وأنه لا يمكن الجمع بين منح الحريات وبقاء النظام، ويقول آية الله (مهدوي كني) صراحة: إن الذين يتكلمون عن الحرية هم عملاء أمريكا، ويريدون تكرار تجربة ثورة الحركة الدستورية في إيران. وأما الذين تربطهم بأمريكا وإنجلترا وإسرائيل وألمانية وفرنسا ـ على حد قول بني صدر ـ سلسلة من الفضائح مثل: «إيران غيت» و«ولاري غيت» ومنبر غيت» والذين هم شركاء في شبكة الفساد العالمي، فلم تكتشف فضيحة فساد إلا وكانوا شركاء فيها، والذين يرتبط وجودهم بها ـ بسبب ما ارتكبوا من الجرائم المتتابعة ـ بالمصالح القومية للدول الغربية ـ خلافاً لما يعلنون ويدعون ـ وهم مع ذلك يستمرون في حياتهم الدنسة والتمسك بسياساتهم النجسة وهم يعلمون

المسلمون

والعالم

جيداً أن أمريكا لو أرادت لإيران أن تكون حرة لما حدث الاتفاق الخفي في «أكتوبر سوربرايز» ولما أوصلت الخونة المفسدين إلى الحكم في إيران وما زال هؤلاء يصرخون أنهم أعداء لأمريكا ولكنهم يعلمون جيداً أن هذه السفاهات لا تخدع أحداً.

وأهم العِبر المستفادة من هذه القضية ـ أنه لا يمكن إيجاد حل أبداً من داخل النظام نفسه ولو كان بدعم من الدول الأجنبية.

وبعد ما قام آمر الجيش الشعبي مع قواته بالتظاهر بإشارة من الخامنئي باعتباره رئيس القوات المسلحة ـ محاولاً التكشير عن أنيابه للخاتمي، هدد الأخير بإفشاء الأسرار، ثم هدد مجلس الشورى حراس الدستور بالاستقالة، كما هددت رابطة مدرسي قم بالاستقالة أيضاً. يقول الآيتان: راستي وكاشاني: إن الكفر بدأ يحكم إيران. ويقول الطبسي[1] نائب خامنئي في مشهد وهو متولي قبر الإمام الرضا وسادنه: قال الإمام الرضا: إذا فاز الخاتمي فسيظهر الإمام الغائب!!

على كل حال فقد كثرت الاستقالات والتنبؤات والتهديدات، وهناك علامات استفهام كبيرة حول المسؤولين، فإن بعضهم يعمدون إلى إخفاء المستندات وإتلافها فقد أقرضوا أنفسهم من بيت مال الدولة الذي تحت أيديهم.

وأصر الخاتمي على إبقاء نوري في رئاسة المجلس، وإن كان فوز خاتمي لا يدل على أنه الزعيم الأنسب والأحب لدى الشعب، ولكن ذلك يعتبر بمثابة توجيه صفعة لنظام الآيات. ولا ندري ماذا سيصنع الرئيس الجديد في بحر التماسيح الخانقة؛ وإن كان هناك خطوط حمراء لا يتجاوزها الجميع!!

---

(١) والمذكور له دور بارز في هدم مسجد السنة (مسجد شيخ فيض) في مشهد وقال: يجب أن لا يوجد سني واحد في قطر ١٠٠ كيلو متراً من قبر الإمام الرضا وهو من أكبر مراكز القوى لثرائه بما يملكه من أوقاف قبر الرضا التي لا تعد ولا تحصى ومن الأراضي الشاسعة والعقارات والمزارع وغيرها.

محاكم التفتيش العلمانية!

بقلم:
د. محمد يحيى



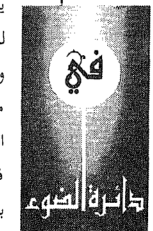
تفاخر العلمانية الأوروبية ويتباهى معها وكلاؤها المحليون في البلاد الإسلامية بأن أعظم إنجازاتها كانت في إحلال روح التسامح الديني محل التعصب الذي رمزوا له بمحاكم التفتيش المشهورة في التاريخ، التي لا يذكر أحد في العادة أن الكثير من ضحاياها كانوا من مسلمي الأندلس المقهورة قبل أن يكونوا من النصارى أنفسهم، وأيًا كانت الحال فقد أقام العلمانيون وعلى مدى ما يقارب العقد من السنين في بلادنا المسلمة محاكم تفتيش خاصة بهم نصبوها على صفحات الجرائد والمجلات وموجات الأثير ومنابر الثقافة التي سلمت لهم، بل وجُعلت حكرًا خاصًا بهم، وراحوا ـ في هذه المحاكم ـ يفتشون الضمائر والنيات ويرمون المسلمين والإسلام بكل نقيصة وجريمة تعن لهم حتى أكثرها غرابة وتهافتًا وبطلانًا، مطمئنين إلى أن الإسلام ليس له من يذب عنه ويحامي في ظل أوضاع فرضت حتى على رؤساء بعض الهيئات الدينية المرموقة أن يعلنوا أنهم ليسوا سوى موظفين تصدر لهم الأوامر فيطيعون ويخرجون على صفحات الجرائد يتهمون المسلمين بالتعصب ويثنون على الغربيين لتسامحهم.

وقد بلغ السيل الزبى ـ كما يقال ـ في محاكم التفتيش العلمانية هذه واتهاماتها العبثية إلى حد أنني في أسبوع واحد، بل وفي مجلة واحدة أحصيت عدة منها رأيت أن أشرك القراء معي في غيظي وحيرتي من وقاحتها: ففي مجلة صادرة من لندن بتمويل مشبوه المصدر زعمت أنها

منبر الفكر والثقافة يكتب فيلسوف شهير في الأوساط العلمانية (أو هكذا يدعي لنفسه) ليقول: «إننا كعرب لا نهتم عادة إلا بالأمور الجسدية البدنية بحيث تكون الأجسام في بؤرة الاهتمام، أما قضايا الفكر فإننا نجعلها في مؤخرة اهتماماتنا، فالأم العربية تدعو لابنها قائلة له: ربنا يجنبك شر الفكر؛ ومعنى هذا أن الفكر والفلسفة (وهي أعظم صور الفكر) قد أصبحا مرادفًا للهم والغم»، والغريب أن هذا الكاتب يمضي ليخصص بقية مقاله في الحديث عن التيارات الفلسفية السائدة على الساحة العربية: ويخص بالذكر ما يسميه بالتيار السلفي الأصولي (الإسلامي) فأين إذن هذا الاهتمام بالأجسام ووضعها في بؤرة الاهتمام كما يقول، بل إنه يمعن في السطحية عندما يتعمد الخلط بين المعنى العامي الواضح لكلمة الفكر في سياقات محددة: بمعنى التحير والتفكير الملحّ بلا طائل في محاولة للخروج من مأزق مستحكم، ومعنى الكلمة نفسها في سياقات محددة أخرى في مجال البحث والدراسة مثلاً، ويتجلى تعسف الكاتب في توجيه التهم ـ وهذا هو هدف مقالته الأولى ـ عندما يلجأ إلى تلك التقسيمات السطحية العنصرية القديمة التي تلخص كل خصائص أمة من الأمم في عبارة واحدة مثل: (مادي) أو (روحاني) أو (خيالي) أو (عقلاني)، وما أشبه ذلك. وهكذا يحصر الكاتب العرب ـ ويقصد المسلمين ـ في كلمة واحدة وهي: أنهم أعداء الفكر المنكبون على رعاية الجسد؛ دون أن يدعم هذا الزعم الواسع العريض إلا بتفسير متعمد سيئ النية لكلمة يعرف الكل أن معناها عكس ما يقول، بل وحتى وهو يتحدث في مقاله عن تيارات الفكر بين أعداء الفكر هؤلاء.

وبجوار تلك المقالة يكتب «فيلسوف» يشار إليه بالبنان في أوساط العلمانيين، بل وتعينه إحدى الدول الغنية أستاذًا جامعيًا كبيرًا يشرف على سلاسل إنتاجها من الكتب الفكرية والثقافية، فماذا يقول هذا الفيلسوف؟ إنه لا يتحدث في تلك المجلة الثقافية الفكرية عن قضايا الفلسفة، ولا يهاجم المسلمين

لافتقارهم إلى الفكر . . .إلخ، بل ويا للعجب إذ يورد فقرات مطولة من تقارير تكتب في صحف محلية ببلد عربي مبتلى بتسلط العلمانيين والحرب بين أبنائه، ليخرج من هذه التقارير المشكوك ـ تمامًا ـ في صحتها بأن الإسلاميين (كل الإسلاميين) لا يكنون للمرأة إلا سوء المآل والحال؛ لأن (الإسلاميين) في هذا البلد يحرقون مدارس البنات (رغم أن التقارير تتحدث عن حرق كل المدارس بلا تفرقة بين مدارس بنين وبنات)، ولأنهم يقتلون الفتيات اللواتي لا يخضعن لرغبات الإرهابيين المسلمين الدنيئة، ويحار المرء في فهم هذا التدني في مستوى الخصومة إلى حد اعتماد الكتابات الصحفية الموجهة والكاذبة في معظم الأحيان حول عمليات تقوم بها جهات مشبوهة لا يعلم أحد حقيقتها، واتخاذ هذه الكتابات، بل الإشاعات والدعاية السوداء حجة موثقة للطعن في كل دعاة الإسلام وأصحاب الفكر الإسلامي؛ فأين الفلسفة والفكر والمنطق هنا؟ وهل لم يجد الفيلسوف الكبير ما يقوله إلا



هذا؟ وبصرف النظر عن مجرد الرغبة في الكتابة وقبض الأجر فإن الدافع مرة أخرى واضح جلي وهو سعار إلقاء الاتهامات أيًا كانت.

وبجوار المقالين يكتب (مفكر) علماني آخر ليهاجم دعاة فكر القومية العربية؛ لأن بعضهم ذكر أن (الدين) جزء أصيل من مفهوم القومية العربية مما فتح الباب للصراعات الطائفية بين العرب الذين اشتبكوا حول: أي دين يسود؟ وبعد أن ينعي على هؤلاء القوميين العرب مجرد ذكر الدين في تعريفاتهم الذي فتح الباب للمسلمين لكي يدخلوا إلى الساحة بتعصبهم وقمعهم لغير المسلمين يمضي ليقول: « إن القوة الإسلامية التي دخلت بلدان المنطقة بحق الفتح أو الغزو تحولت إلى غالبية اجتماعية كانت لها تصوراتها في الحكم والسياسة والإدارة ومن ثم وضعت بذور الشقاق الطائفي »، وهذا الكلام يعني ببساطة شديدة وأيضًا بوضوح شديد إدانة كاملة وشاملة للإسلام واتهامه بخلق الشقاق الطائفي بمجرد وجوده وطرح تصوراته، وكأن المطلوب لمنع الشقاق الطائفي هو ألا

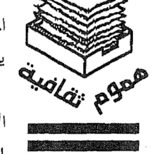
تكون هناك أغلبيات إسلامية ولا تكون للمسلمين أي تصورات في الحكم والسياسة والإدارة حتى ينتفي الشقاق الطائفي! ولو ترجمنا هذا الكلام بصيغة أخرى لا تخرج عن مضمونه لرأينا أن الكاتب يقول: إن الشقاق الطائفي (من المفترض أنه بين المسلمين وغيرهم في المنطقة العربية) نشأ بسبب قدوم الإسلام واعتناق الغالبية لتعاليمه ثم العمل بشريعته وأحكامه، ولكي نلغي هذا الشقاق والصراع فمن الأفضل أن نلغي (الدين) ذاته (والمقصود الإسلام وحده) من تعريف القومية العربية، ولا يسأل الكاتب نفسه: لماذا لا تلغى الأديان الأخرى وأصحابها وهي على أي حال أقليات صغيرة طالما أن إلغاء الدين هو الحل الذي يراه محل مشكلة الشقاق الطائفي؟ ثم لماذا يكون الحل لهذا الشقاق هو إلغاء دين الغالبية العظمى من أبناء هذه الأمة وتنحيته؟

الكاتب بالطبع يقدم الإجابة حين يتهم هذا الدين أنه وحده المسؤول عن بذر بذور الشقاق وقهر الأديان الأخرى واضطهادها دون أن يقدم دليلاً واحداً على هذا في مقاله سوى الحديث عن حكاية (أهل الذمة) التي أثبت العديد من الباحثين الموضوعيين أنها هي التي حفظت أصحاب الأديان الأخرى من الضياع أو الذوبان في المحيط الإسلامي.

عندما يصل الأمر إلى أن تتجمع كل هذه الاتهامات الحاقدة في حدود بضعة صفحات في ثلاثة مقالات متجاورة في مجلة واحدة (أي في عدد واحد من هذه المجلة) التقطها كاتب هذه السطور مصادفة؛ فلنا أن نتخيل مدى شراسة محاكم التفتيش العلمانية ومدى تهافتها وتعسفها في الطعن في الإسلام والمسلمين.

إشكالية البلورة الاقتصادية للديمقراطية

بقلم: سامي محمد الدلال



قد بينت سابقًا أن أصحاب المصالح، وأهمها المصالح الاقتصادية هم الفئة المسيطرة حقيقة على التوجهات التشريعية النابعة من المجالس النيابية.

وبما أن أولئك الطغام لا يفكرون إلا في مصالحهم الذاتية، ولا يطمعون إلا في إشباع رغباتهم الأنانية، فإن فرصتهم الذهبية في حيازتهم على المنصة التشريعية النيابية، وهم لا يدَعُونها تفوتهم بحال من الأحوال.

إن من أهم الإنجازات التي يرومون الاضطلاع بتنفيذها: سن القوانين التشريعية التي تتيح لهم الهيمنة على مقدرات البلاد، ليس فقط في فترة حياتهم النيابية، بل إلى ما بعد ذلك، حيث تكون القوانين التي شرعوها في الفترة النيابية مظلة لهم لممارسة أوسع أوجه الاستثمار الاحتكاري حتى بعد انقضاء الفترة النيابية تلك.

إن المعادلة الصعبة التي يواجهونها في الفترة النيابية هي كيفية صياغة تلك التشريعات بطريقة تضمن وتكرس مصالحهم ولكن بالتحاف رغبة أو مصلحة شعبية!!!.

وهنا يبرز دور الإعلام المضلِّل الذي يأخذ على عاتقه بيان الفوائد والثمار العظيمة التي سيجنيها الشعب المغلوب على أمره من تلك التشريعات التي ظاهرها الرحمة وباطنها مضطرم بالظلم والحيف والجور وأكل أموال الناس بالباطل.

إن الذي يتابع ما تشرعه المجالس النيابية يرى بسهولة عدم خلو معظم الدورات النيابية من مسرحية تشريعية من هذا النوع ذي المظهر العسلي والذي مضمونه السمّ الزعاف.

ولذلك ترى النواب المجلسيين يبذلون جهودًا كبيرة في ساحاتهم الجماهيرية في محاولات محمومة لإقناع الناخبين بأنهم ما أرادوا من

تشريعاتهم تلك إلا المصلحة الوطنية والخدمة الشعبية. يقولون ذلك، وأكثرهم يعلمون أنهم كاذبون مخادعون منافقون.

أي إنهم في سبيل خدمة مصالحهم الاقتصادية الذاتية يدوسون بأقدامهم واحدة من أهم الخصائص الخلقية لدى الإنسان السوي!!.

إن من أهم الآمال السوداء التي تعشش في عقولهم الباطنة: استرداد ما أنفقوه في حملاتهم الانتخابية، فضلاً عن وضع القواعد القانونية التي يشيدون عليها ثراءهم المأمول، إن أولئك النواب لا يلبثون أن يفقدوا مصداقيتهم بعد أن تكشف الجماهير حقيقة ما تنطوي عليه نفوسهم، إلا أنهم لا يُلقون لذلك بالاً طالما أن ما صَبَوْا إليه من تشريعات تحمي وتكرس مصالحهم قد تم إنفاذها.

لقد أتاحت المجالس النيابية المجالات الواسعة أمام الأثرياء للسيطرة على المرافق الاقتصادية الكبرى في بلادهم، بما في ذلك الحيوية منها، كالبترول والصناعات الثقيلة والخفيفة والمنتوجات الزراعية والحيوانية وغيرها، كما أتاحت لهم تأسيس الشركات الكبرى ذات الاحتكارات المالية الهائلة، وافتتاح المؤسسات الاستثمارية الضخمة، وإنشاء المجمعات التسويقية الموسعة، وتشييد المدن الترفيهية الشاسعة والمشاريع السياحية المنوعة، وسوى ذلك كثير، مما يعود مدخوله إلى جيوبهم.

إن المناخ الديمقراطي الذي تهب رياحه على تلك الأنظمة يهيئ مثل هذه البلورة الاقتصادية التي أعطت للإقطاع معنى أشمل مما كان عليه سابقاً بخصوص الأراضي الزراعية؛ فهو يعتمد اليوم على البيوت المالية التي عمودها البنوك الربوية التي أصبحت مهيمنة تماماً على الساحات الاقتصادية على جميع المستويات المحلية والإقليمية والعالمية. إن البنوك الربوية التي تحتضنها الأنظمة الديمقراطية لم تعد مجرد واسطات للتعاملات المالية، بل أصبحت مجمعات كبيرة للاحتكارات الاقتصادية بكافة أصنافها وتوزعاتها.

إن استقلال المجالس النيابية بالتشريع وسيطرة النواب العلمانيين على مراسي تلك المجالس «ولا يمكن أن يسيطر عليها سواهم؛ لأن الديمقراطية مفصلة على قَدّ مقاسهم»، هذا الاستقلال بالتشريع أتاح الفرصة الكاملة وأعطى المجال الموسّع لإضفاء علمانيتهم على كافة قوانين الشركات



والمؤسسات والبنوك، بما جعلها في واقع الحال تعبيرًا عمليًا عن علمانية البلورة الاقتصادية للديمقراطية، تلك العلمانية التي وفّرت الغطاء الفضفاض لاستقدام الخبرات الاقتصادية العلمانية الأجنبية، بما تتضمن تلك الخبرات من أشخاص من اليهود والنصارى وكل دين وملة، ومن أعراف تسويقية علمانية تتضمن الإعلانات الخليعة وعروض الأزياء الفاضحة، وإقامة الحفلات الماجنة، ومسابقات ملكات الجمال باسم السياحة التي تعتبر مرفقًا اقتصاديًا مهمًّا، والدعوة إلى المناسبات التي لا تكاد تنتهي تارة تحت مظلة إحياء المعالم الأثرية، وأخرى تحت مظلة معارض الفنون التشكيلية، وثالثة تحت مظلة تجسيد الأعراف من خلال الرقصات الفلوكلورية، وهلم جرًا.. كل ذلك لدعم المجهود الاقتصادي وترويج المواد السلعية والمنتجات المحلية والعالمية.

وفي ظل البلورة الاقتصادية العلمانية تزدهر مكاتب السفر الجوية والبحرية والبرية لاستقبال الوفود الاقتصادية التي ترافقها غالبًا الفرق الغنائية التي تنشر فسادها من على منصات المسارح المبثوثة في الفنادق والمطاعم وقصور المؤتمرات، سوى تلك المخصصة لذلك الفن الوضيع.

كما تزدهر أيضًا حانات الخمر وصالات لعب القمار، وتكثر الملاهي والمقاهي التي تدار فيها الكؤوس المحرَّمة، وترقص فيها الفتيات رقصاتها الداعرة.

وتزدهر أيضًا بيوت الخنا ويزداد أولاد الزنا.. وتزدهر وتزدهر..

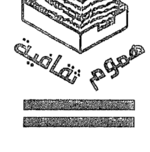
كل ذلك تحت حجة إنعاش الاقتصاد الوطني، ودعم المجهود المالي للدولة!!.

إنني ألجم قلمي عن الاسترسال في بيان أوجه البلورة الاقتصادية الديمقراطية لحياة الشعوب المسلمة.

إن نتائج على قدر كبير من الخطورة تنجم من هذه البلورة الاقتصادية للديمقراطية، من أهمها:

١ ـ صياغة التعامل الاقتصادي اليومي للفرد المسلم في إطار علماني، بمعنى: أن المسلم يجد نفسه في واقع يفرض عليه التعامل بالربا والاحتكام إلى التشريعات العلمانية في جميع شؤونه الاقتصادية، بما في ذلك تأسيس الشركات وافتتاح المؤسسات وعقد الصفقات وتوثيق المعاملات، بل حتى في المعروض عليه من أصناف الأطعمة وألوان الأزياء.

٢ ـ استشراء الفساد الأخلاقي وازدياد الانحلال الاجتماعي، وفشو



الكذب والدجل في التعاملات الاقتصادية وسواها.

٣ ـ علمنة الثقافة وذلك من خلال افتتاح المؤسسات الثقافية ذات الدخول الاقتصادية الفردية أو الاستثمارية.

إن الاعتراض ليس على المؤسسات الثقافية بحد ذاتها، فهي شيء محمود ومطلوب، بل الاعتراض على علمانية تلك المؤسسات بما تجلبه من ثقافة علمانية لها طابع تسويقي اقتصادي.

٤ ـ انتشار الرشاوى والمحسوبية، واستشراء الواسطة والوصولية، في معظم التعاملات المالية، مما يؤدي إلى فساد الذمم وفقدان المصداقية وتفاقم الانتهازية، مما يتيح الفرصة للوجهاء والمتنفذين أن يكونوا شركاء في الوكالات والرخص التجارية، بل وفي معظم الصفقات الاقتصادية.

٥ ـ ازدياد فجوة الفارق الطبقي بين الأغنياء والفقراء، بما يؤدي إلى تفاقم الاحتكاك الاجتماعي، وتصعيد توترات الصراع بين مختلف طبقات المجتمع.

٦ ـ إن مجمل ما ذكرت، هو معارِض لما جاء به الإسلام من العدالة الاجتماعية، والمناهج الاقتصادية، ولذلك: فإن المجتمعات الديمقراطية متعرضة إلى غضب الله (تعالى) لا محالة. قال الله (عز وجل): ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

لقد شارك الإسلاميون في معظم المجالس النيابية في البلاد الإسلامية، فهل نجحوا في أي بلد منها في الحد من أية ظاهرة من ظواهر الفساد الاقتصادي التي ذكرتها في هذا المبحث؟!.

لا، لم ينجحوا، بل أخفقوا إخفاقاً ذريعاً في كل ذلك. وما زالت المجالس النيابية تتتابع، وما زال الإسلاميون يلهثون للحصول على بعض كراسيها، والفساد الاقتصادي يزداد انتشاراً ويتوسع دائرة!!.

إن مشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية، فضلاً عن أنها لم تحقق شيئاً يذكر في اتجاه الحد من البلورة الاقتصادية للديمقراطية علمانياً، فإنها أيضاً للأسف أصبحت جزءاً من تلك البلورة العلمانية رغم محاولاتها تسويغ عجزها عن تغيير الوضع القائم؛ حيث إن القرارات الاقتصادية ذات الصبغة العلمانية يشرعها المجلس النيابي الذي يشارك فيه إسلاميون، مما يحسب عليهم وإن كانوا معارضين!!!.

حمّى التأليف والنشر

نظرات في معجم جديد

بقلم: صالح درباش الخزمري

متابعات

إن من نعم الله على عباده المؤمنين هذه العودة والأوْبة إلى الله (الصحوة المباركة) التي نلمس آثارها في مجالات عديدة متنوعة، ومن أبرزها ما نراه من حركة علمية واسعة الانتشار، في مجال التعلم والتعليم، والتحقيق ونشر التراث، والتأليف والطباعة، وما إلى ذلك؛ حيث ظهرت كتب كثيرة من كتب الأسلاف العظام محققة مضبوطة، كما ظهرت مؤلفات أخرى عليها طابع الجدّة والابتكار والأصالة، فنفع الله بها من شاء من عباده.

ولكن ظهر في ثنايا تلك الحركة الدؤوب الجليلة، وتسلل إلى صفوفها بعض المكدّرات وشيء من العبث والتلاعب باسم التحقيق تارة، وباسم التأليف المبتكر تارة أخرى؛ وهذه الأفعال جديرة بأن تسمى عبثًا ولعبًا ومسخًا.

ولقد نبه بعض الغيورين محذرين من هذا العبث والتعالم، من أمثال الشيخ العلامة «بكر أبو زيد» ـ وفقه الله ـ الذي له جهود مباركة في هذا المجال ككتابه: (التعالم وأثره على الفكر والكتاب)، وكتابه: (حلية طالب العلم) و(الرقابة على التراث)... وغيرها.

وألف الأخ الفاضل «محمد آل شاكر»، كتابه: (أوقفوا هذا العبث بالتراث)، بعد أن كان مقالات على صفحات (البيان).

وألف الأخ الفاضل «أحمد الصويان» كتابه: (الكتاب الإسلامي المعاصر.. نظرات نقدية)، وغير هؤلاء من الغيورين على تراث الأمة وحياتها العلمية فجزى الله الجميع خير الجزاء.

ومع هذه التحذيرات الصارخة: فلا يزال العبث مستمراً وفي ازدياد ممن تصدروا للتأليف والتحقيق قبل أن يتأهلوا لذلك، متشبعين بما لم يُعْطَوْا ضاربين بهذه الصرخات عرض الحائط:

لقد أسمعت لو ناديت حيا

ولكن لا حياة لمن تنادي

وفي الآونة الأخيرة طالعتنا إحدى المكتبات بالرياض بنشر كتاب يحمل عنوان (معجم ألفاظ العقيدة)، ويقع الكتاب في أكثر من ٤٨٠ صفحة في مجلد أنيق.

والعنوان ـ كما ترى ـ مهم للغاية وضخم، يستحق أن يتعاون على تأليفه مجموعة من المتخصصين وحالما طالعته وجدت مؤلفه يقول في مقدمته: إن علم العقيدة يحوي مصطلحات يغيب معناها عن كثير من طلبة العلم فضلاً عن عامة الناس، وإنه لم يُسبق إلى هذا العمل، فشمَّر عن ساعد الجد وحاول حصر المستطاع من ألفاظ العقيدة لإفادة الناس، بل طلاب العلم..!!

وإذا نظرنا في هذا الكتاب نَجِدُهُ خِلْواً من التحقيق والتدقيق والتمحيص المطلوب في المعاجم، بل في كل تأليف، وأما تحرير المصطلحات ونسبة الأقوال إلى أهلها والتعامل مع المراجع كما ينبغي، فلا تسأل عن شيء من ذلك في هذا الكتاب؛ كما سنرى أخي القارئ.

ولو تتبعنا الملحوظات عليه لوجدناها كثيرة جداً، لكنني أكتفي بما يؤدي الغرض ويفي بالمقصود ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

ففي مجال التعريف بالمصطلحات وشرحها الذي هو أساس الكتاب نجد الآتي:

ـ في كثير من الأحيان لا يعرِّف بالمصطلح، وإنما يسترسل في أمور أخرى لا علاقة لها بالتعريف: كالحكم على هذا المصطلح من حيث الجواز وعدمه، أو بيان رواية حديث أو غير ذلك من الأمور؛ انظر ـ مثلاً ـ لفظ: الأوعال، البركة، التعليل، التصوير...، وغيرها ككثير من الأسماء والصفات التي يكتفي بإثباتها دون شرحها وبيان معناها.

ـ وكثير من التعريفات غير تامة، بل هي قاصرة جداً مثل:

١ ـ تعريفه للبراهمة بأنهم «الذين يزعمون أن العقل يغني عن الوحي»

وهذا لا يكفي في تعريفهم.

٢ ـ تعريفه لأصحاب الهياكل حيث استرسل في شرح معنى هذا اللفظ ولم يبين أنهم من الصابئة.

٣ ـ الجارودية: عرَّفها وشرح حالها ولم يذكر أنها إحدى فرق الزيدية .

٤ ـ حدوث العالم حيث نقل عن بعض الكتب المعاصرة: أن ذلك قول معظم مفكري الإسلام، ونقول: بل هو عقيدة المسلمين جميعًا، وسائرُ أهل الديانات كلهم يؤمنون بحدوث العالم ووجوده وخلقه بعد أن كان معدومًا وليس خاصًا بفئة من المفكرين .

والسبب الذي يوقعه في هذه المآخذ نقله من المراجع التي اعتمد عليها دون تمحيص، وأحيانًا يعرّف تعريفات بعيدة عن الصواب، بل هي خطأ مثل:

١ ـ تعريف الإرجاء: فقد تحدَّثَ عنه بأنه ظهر في عصر الصحابة، ثم أخذ يسترسل في بيان أصناف المرجئة وفرقهم دون تحديد لمعنى الإرجاء، والإرجاءُ الذي يعنيه في عصر الصحابة ليس هو الإرجاء بوصفه فكرةً ومعتقدًا وهو الذي يدخل ضمن معجمه!!

٢ ـ الكلام النفسي لم يوضحه، وإنما نسبه إلى المعتزلة والفلاسفة. ومن المعلوم عند طلاب العقيدة الذين يؤلف لهم هذا الشيخ معجمه، أن الكلام النفسي أول من قال به ابن كلاب، ثم تبعه عليه الأشاعرة والماتريدية.

٣ ـ تعريفه للاثني عشرية قال: هي التي تدعي عصمة اثني عشر إمامًا (ثم عدَّهم أحد عشر إمامًا..!!) وعد منهم «أحمد الباقر!!»، وصحة اسمه: «محمد الباقر»، كما عد منهم فاطمة (رضي الله عنها) و«فاطمة» ليست منهم.

وهو غير موفق في كثير من تعريفاته:

١ ـ ففي تعريفه للمهدية وصفها بأنها سلفية، وهذا وهْمٌ فهي طريقة صوفية.

٢ ـ وفي تعريفه للسنوسية وصفها أيضًا بأنها سلفية.. وهذا الكلام غير سليم؛ والسبب: أنه نقل من مرجع معاصر لكاتب ليس على منهجية صحيحة في نظراته وأطاريحه.

٣ ـ وفي تعريفه للزيدية وصف «زيد بن علي» بأنه صاغ نظرية شيعية متميزة .. (هكذا قال).

متابعات

وهو في هذا مجرد ناقل عن غيره دون تمحيص وإلا فـ «زيدٌ» (رحمه الله) لم يكن شيعيًا قط، ولم يؤمن بنظريات الشيعة، واقرأ ـ إن شئت ـ كتاب: (الإمام زيد بن علي المفترى عليه) لشريف الخطيب.

وأحيانًا كثيرة يترك مصطلحات السلف لا يعرّفها مع أنه زعم في المقدمة الحصر ما استطاع، فلم يعرّف مثلاً: الجنة، الحفظة، الكوثر، القرين، المحدَّث، الملهم، الإلهام، الرؤيا وغيرها؛ وحتى لفظ العقيدة الذي هو عنوان معجمه الشامل..!! فإنه أهمل تعريفه؛ واهتم بتعريف مصطلحات لا أهمية لها كأسماء بعض الفرق المندثرة كالعلبائية، والبزيغية، والبيهسية، والزروانية والكيومرثية والرقيونية.. وغيرها مما لا تهم القارئ، وترك التعريف بفرق حية معاصرة مع أهمية ذلك كالتعريف ببعض طرق الصوفية كالرفاعية، والختمية، وغيرها، وبعض المذاهب الفكرية المعاصرة: كالرأسمالية والديمقراطية، والحداثة، وغيرها.

ـ وبعض التعريفات ينسبها إلى غير أهلها، كتعريف الكبيرة نَسَبَهُ لابن تيمية، وهو ـ في الحقيقة ـ لعلماء سابقين عليه من عهد الصحابة فمن بعدهم؛ ولو رجع إلى كتب التفسير عند قوله (تعالى): ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم...**﴾ [النساء: ٣١]، ورجع إلى [فتح الباري، ١٢/١٨٣] وكتاب (الزواجر) للهيتمي لكان أوثق له وأصدق.

ـ وأحيانًا يذكر المصطلح ناقلاً له عن غيره دون عزو أو توثيق؛ فيظن القارئ أنه من مبتكراته، كتعريف الشيعة، إذ نقل تعريف الشهرستاني في الملل والنحل ولم يعزه إليه. وانظر كذلك ألفاظ: (المعتزلة، الإرجاء، الصوفية... وغيرها مما لم يعزُه إلى أحد...!!).

وأما مصادره المعتمدة في هذا المعجم فجلُّها حديثة معاصرة مع وجود الأصول التي أخذ منها هؤلاء المعاصرون:

١ ـ ففي تعريف الماتريدية اعتمد على رسالة صغيرة لأحد الدكاترة مع وجود مراجع معتمدة غيرها.

٢ ـ وعرف البراهمة معتمدًا على كتاب (الرسل والرسالات للشيخ عمر

الأشقر)، مع أن الأشقر لم يعرّف البراهمة أساساً.

٣ ـ وعرف الرافضة من فتاوى فضيلة الشيخ «محمد العثيمين» مع وجود كتب الفرق المعتمدة التي عرّفت بهذه الفرقة.

٤ ـ ووثق قصة ابن صياد من كتاب (القيامة الصغرى) للشيخ الأشقر مع وجود القصة في صحيح مسلم وغيره.

٥ ـ وعرّف بالإنجيل نقلاً عن كتاب الملل والنحل للشهرستاني، وزعم أن إنجيل (برنابا) اختفى ذكره، ونقول: إنه موجود مترجم، نقله إلى العربية خليل سعادة وطبعه محمد رشيد رضا، وأعيد طبعه في بيروت مرات.

٦ ـ وعرّف برسائل إخوان الصفا من كتاب «كشف الظنون» مع وجود هذه الرسائل مطبوعة.

٧ ـ ويحيل أحياناً في بيان المصطلحات السلفية إلى غير كتب السلف، كإحالته للتوسع في الإيمان وأقوال الفرق فيه إلى كتاب تبصرة الأدلة للنسفي الماتريدي، مع وجود كتب السنة وتوفرها في توضيح ذلك.

٨ ـ نقل تعريف القرامطة من تسجيل صوتي لأحد المشايخ المعاصرين!! وهذا قصور ظاهر منه مع وجوده في مصادر قديمة وحديثة متوفرة.

وخلاصة القول في مراجعه: أن جلها من المؤلفات الحديثة التي يغلب عليها النقل إلا ما ندر، ومؤلف هذا المعجم أفرغ ما ألف من هذه الكتب المعاصرة في تأليفه:

ـ فهو قد أفرغ كتاب شرح أسماء الله الحسنى للشيخ سعيد بن وهف القحطاني في معجمه مع أنه كان بالإمكان الرجوع إلى كتب التفسير عند تفسير الأسماء الحسنى الواردة في القرآن، وكذلك شروح الحديث، وأيضاً الكتب التي اهتمت بشرح الأسماء الحسنى عند القدامى.

ـ وكذلك كتاب الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د «ناصر القفاري»، د «ناصر العقل» ومؤلفاه قد ذكرا: أن كتابهما ألف لأغراضٍ دراسية فقط، فقام بإفراغه في معجمه على أنه مرجع أساس مع توفره وغيره.

ـ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الصادرة عن الندوة

متابعات

العالمية للشباب الإسلامي بالرياض وهي التي أوقعته في خطأ تعريف الزيدية(*).

٤ ـ فتاوى الشيخ «محمد بن عثيمين» (حفظه الله)، فإنه لا يكاد يخرج عنها مع وجود فتاوى غيره من أهل العلم من السابقين واللاحقين ممن هم على منهاج السلف، كفتاوى شيخ الإسلام «ابن تيمية» وغيره من العلماء القدماء والمحدثين.

٥ ـ وأما في الفرق والأديان فمع ما سبق في رقم (٢، ٣) فقد يرجع إلى الملل والنحل للشهرستاني في أحيان قليلة، ونادراً ما يرجع إلى غيره من كتب الفرق المتقدمة المعتمدة.

وختاماً نقول: إن تأليف معجم ليس من السهولة بحيث يؤلف بهذا الأسلوب نقلاً من الكتيبات والرسائل الصغيرة التي طابعها نشر الوعي أكثر من التحرير والتأصيل، وإصدار معجم بهذه الأهمية يستغرق وقتاً طويلاً من الجمع والتحقيق والتدقيق والتمحيص والتوثيق والترجيح بين الآراء والأقوال، فلا يأتي إلا بعد سنوات طوال من الجهد المضني، وقد تأهل مؤلفه ونبغ في العلم ورسخ فيه وعلا كعبه، وإن أردتم أمثلة على ما أقول فانظروا إلى أيٍّ معجم معتمد كيف بلغ مؤلفه به شأواً عظيماً؛ ودونكم معجم المناهي اللفظية للعلامة «بكر أبو زيد»، كيف حرره وأبدع فيه.

أخي القارئ: هذه إشارات عاجلة سريعة على سبيل التمثيل لا الحصر، والله نسأل للجميع التوفيق والسداد.

(*) انظر مجلة البيان، ع/٢٣، مقال عن ملحوظات على هذه الموسوعة لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

السفينة الماخرة

مِن خلفِ بارقة الأيّام والكُتُبِ ... وخلفِ تلٍّ من الأمواج مضطربِ

سفينةٌ برزتْ تسعى على مَهَلٍ ... تداعبُ الريحَ في رفق وفي دأبِ

تجيء ترقصُ من فرحٍ ومن أملٍ ... ومن حنينٍ ومن حُبٍّ ومن طرَبِ

تسيرُ سيرًا حثيثًا في مكابَدةٍ ... تجُرّ هيكلها المضْنيَّ في تعبِ

ربّانها ثغرُه للموج مُبتسمٌ ... يقودُها بثباتٍ، غير مكتئبِ

لا يرعوي لخطوبٍ قد تُلِمُّ به ... ما دام معتصمًا بالله، ذا أدبِ

تسير في جَلَدٍ رغم العوائق في ... طريقها، لم تخفْ يومًا ولم تهَبِ

سفينة.. لو رأتْ عيناك ملعبها ... وسط البحارِ، وبين الموجِ والصّخبِ

لخالتا ـ عندها ـ أن لا نجاة لها ... وأن ركّابها ـ لا شكّ ـ في كُرَبِ

رأيتُها.. والأسى لفَّ الرّداءَ على ... نفسي، وقلبي، ووجداني، ومُطّلبي

ولألأت ـ حينها ـ الأنوارُ طافحةً ... والبشرُ في مُهجتي، والنّورُ شعْشَعَ بي

واغرورقتْ مقلتي بالدّمعِ في فرحٍ ... وأطلقت عبراتٍ أذهَبَتْ وصَبي

فيا سفينتنا.. سيري ولا تقفي ... وأبحري في خضم البحر لا تَهبي

وأيقظي أمتي من طولِ رقدتها ... وحرّكي الركب من عُجمٍ ومن عربِ

وبـيّـنـي سنّـة الأسلاف واضحـةً وفنّدي كلَّ قولٍ جَدَّ في لَعِبِ

فقد حُبيتِ بيانًا ساحرًا سلسًا يسيرُ حذوَ بيانِ المصطفى العربي

بيانُكِ الحلوُ أرضى كلَّ ذي خُلُقٍ وذي صلاحٍ، وذي تقوى، وذي أدبِ

أسيرُ بين روابيكِ التي حسُنتْ أنقّلُ الطَّرف من شِعْبٍ إلى شِعَبِ

فأستلِذُّ بيانَ الحقِّ يُطربني يا بهجة الروح بين الدين والأدبِ

فشمّري .. شمّري عن ساعدٍ قويَتْ وأبحري .. أبحري وسط الضبابة بي

تشبّثي عروةَ الرحمن جاهدةً فعُروَةُ الله سلوى كل مغتربِ

وعروةُ الله أمضى ما نسيرُ به وعروةُ الله لا تُبتاع بالذّهبِ

بريد البيان

■ الأخ / يوسف العصيمي:
أنحى باللائمة على الأسلوب الذي تُتكلَّف فيه العبارات وتُخترع المصطلحات مما يزعج القارئ ويمنعه من مواصلة القراءة، مؤكداً على أن الأسلوب ليس هدفاً بقدر ما هو وسيلة لتوصيل المعلومات.
ـ نشكر الأخ الكريم على ملحوظته وهي جديرة بأن تؤخذ في الاعتبار من قِبَل الإخوة الكُتَّاب.

● ● ●

■ الأخ / عبد السلام كريم:
ستصلك رسالة خاصة.

● ● ●

■ الإخوان / غازي عبد الرحمن، وزياد العبيدي، وسليمان الهذال:
سننشر مشاركاتكم في منتدى القراء، ونشكركم على تواصلكم معنا.

● ● ●

■ الأخ / عماد البذيخي:
نشكر لك جميل مشاعرك. ستنشر لك قصيدتان في منتدى القراء فيما بعد. ونعتذر عن الثالثة.

● ● ●

■ الأخ / محمود شرف:
نشكر لك مشاعرك تجاه المجلة. أما بخصوص قصيدتك فلم تجز.

● ● ●

■ الأخت / هند القحطاني:
مشاركتك ستنشر في منتدى القراء بمشيئة الله.

● ● ●

■ الأخ / إبراهيم نهار:
سننشر مقاطع من قصيدتك في منتدى القراء ـ إن شاء الله ـ.

● ● ●

■ الأخ / تركي المحيا:
مشاركتك سينشر منها مقاطع في منتدى القراء وهي بداية موفقة.

● ● ●

■ الأخ / أبو عاصم الحريري:
نشكرك على تنبيهك وسبق أن أشرنا إلى ملحوظتك في (بريد ١١٣).

● ● ●

■ الأخ / شاكر عبد الله:
نشكر لك ثناءك وتواصلك مع مجلتك البيان، وما ذكرته من اقتراحات محل عناية أسرة التحرير.

● ● ●

■ الأخ / سعيد غرم الله الغامدي:
نشكر لك متابعتك وحسن ثنائك على البيان. وجزاك الله خيراً على تواصلك.

● ● ●

■ الأخوان / حفظ الله عبد السلام وعبد العزيز العزاز:
قصيدتاكما مجازتان وستجدان طريقهما للنشر فيما بعد.

● ● ●

■ الأخ / عبد الكريم السيلاني:
قصيدتك «عقول للتقبيل» جميلة من الناحية الفنية غير أن موضوعها غير مناسب للنشر في البيان.

● ● ●

■ الأخ / عبد الله الدامغ:
ملحوظاتك القيمة بُلّغت للكاتب وجزاك الله خيراً على تواصلك.

● ● ●

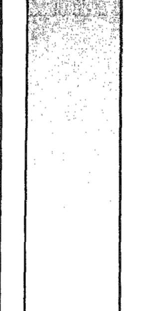
الورقة الأخيرة

بين هبل وأفروديت

بقلم : محمد الروبي عبد الوهاب

هل تخيلت مرة أن ترتدي ثوبًا كتب عليه هُبَل، أو اللات أو العزى أو مناة؟ هل كان لك قميص مكتوب عليه « ودٌّ » أو لزوجتك أو أختك خمار كتب عليه سواع أو لطفل من أطفالكِ رداء جميل مكتوب عليه يعوق أو نسر؟ ماذا سوف يكون رد فعلك؟ هل توافق على هذا العبث والهراء؟ هل تقف بين يدي الله تصلي وأنت ترتدي هذه الخبائث التي تمجد الأصنام؟ هل تسير بها في الشارع كي يرى الناس ذلك الاسم الوثني الذي يتربع على صدرك أو كتب على ظهرك؟ إنني أظن أنك حين تدرك معنى ذلك العبث والهراء فسوف توقد فيه النار من اللحظة الأولى، سوف تحكم على البائع بالترويج لعبادة الأوثان وجلب الملابس التي تحمل هذه الأسماء أو تتهمه بإشاعة الفتنة بين أبناء المسلمين الموحدين وهذا أضعف الإيمان.

غير أنني لاحظت أن في الأسواق مؤامرة خبيثة تحاك خيوطها بإحكام ضدنا، تستهدف ضرب العقيدة التي هي أعز ما نملك تسير حثيثًا حتى يتملك المرض جسدنا المنهك من كثرة الفتن التي تركت الحليم حيران يقول: ماذا نفعل؟ فمنذ أن ظهرت الدعوة لدين الله حاربها الكفار بكل ما توفر لديهم من عدد وعتاد، ووقفوا لها وقفة



الجاحد المنكر، وحاربوها بأساليب المكر والخديعة والدس والمواجهة؛ وها هم اليوم يعاودون الكرَّة مرة ثانية وقد تمكنوا من الولوج إلى منازلنا بل إلى غرف النوم، وعاشوا معنا وفي دمائنا من خلال البث الفضائي وأصبح كثير من بيوتنا مرتعًا لهم ولفجورهم ولفسقهم، وساعدناهم نحن باتباع الهوى والنفس وإبليس، وغرتنا الحياة الدنيا، وألْهَانا الأمل حتى سرنا على دربهم دون أن نفكر في إرضاء الله، بل سارعنا نخطب ود الزوجة والأولاد ولو غضب الله تعالى علينا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: قلدناهم في ملابسهم، وأصبحنا نرى الشباب، ويا حسرتنا عليهم، والفتيات، وما أعظم مصابنا فيهن، والأولاد والأطفال، وما أسوأ تربيتنا لهم، والزوجات، وما أشد غفلتنا عنهن يرتدين الملابس الفاضحة المكتوب عليها عبارات باللغة الإنجليزية أكثر خدشًا للحياء من هبل وأمثاله، جاؤوا بها من الرومانيين وأساطيرهم والآلهة التي كانوا يعبدونها، ومن الإغريق وأيضًا، إلى جانب بعض من أسماء الآلهة الفرعونية، ورأيت أنه لزامًا عليَّ أن أكتب وأوضح هذا الأمر ليكون بيانًا للناس حتى لا يوضع لي لجام من نار يوم القيامة.

وما أكثر الأنواع التي هي عبارة عن سترات (بلوزات) نسائية، وملابس تخص الرجال والنساء، وكذلك أنواع من أغطية الرأس ذات اللسان الذي يتدلى على الجبهة ويكتب فوقها أسماء قبيحة تعني مدلولات معينة كما توضحه أسماء آلهة القوم المزعومة(*).

والله أرجو أن ينفع بها عامة المسلمين ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

(*) من آلهة الإغريق الشهيرة المزعومة ما يلي:

١ـ أفروديت إلاهة الحب والجمال Aphrodite.

٢ـ إيروس: إله الحب Eros.

٣ـ نايكي: إلاهة النصر Nike.

٤ـ بِس: إلاهة الاستجمام Bisu.

٥ـ كلبة ـ عاهرة Bitch.



AL-BAYAN

Islamic Magazine

Subscription Form

(BLOCK CAPITALS PLEASE)

Name ---------------------------- Surname --------------------

Address --

City --- Post Code --------

Country --

New ☐ 1 Year ☐ 2 Years ☐ 3 Years ☐

Renew ☐ Amount Enclosed -------------------------

(Sterling Only) (Cheques payable to AL-BAYAN)

Please quote subscription number in all correspondance:--------------

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
LONDON SW6 4HR
U.K.

إفهام العالم انهم سلّموا أسلحتهم وجيوشهم إلى يهود فهذا قد عرفناه منذ زمن، أم المقصود التذكير المستمر بالخنوع وإهدار الكرامة..؟ فإننا نذكرهم بأن العزة (لله ولرسوله وللمؤمنين).

ثم إلى أي مدى ستذلنا (البروتوكولات) ؟! وإلى الله المشتكى.

7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel: 0171 - 731 8145
Fax: 0171 - 736 4255

الجاحد المنكر، وحاربوها بأساليب المكر والخديعة والدس والمواجهة؛ وها هم اليوم يعاودون الكرَّة مرة ثانية وقد تمكنوا من الولوج إلى منازلنا بل إلى غرف النوم، وعاشوا معنا وفي دمائنا من خلال البث الفضائي. وأصبح كثير من بيوتنا مرتعاً لهم ولفجورهم ولفسقهم،

٢ـ إيروس: إله الحب Eros.

٣ـ نايكي: إلاهة النصر Nike.

٤ـ بس: إلاهة الاستجمام Bisu.

٥ـ كلبة ـ عاهرة Bitch.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

اعتادت بعض الدول على إضافة بعض مراسم الاحتفال الخاصة باستقبال كبار ضيوفها، فيما يعرف بالبروتوكول (فن التعامل بين الدول والهيئات)، فهناك بعض الدول التي تقدم باقة من الزهور يحملها بعض أطفالها إلى الضيف، وهناك دول أخرى تضع في البروتوكول زيارة قبر الجندي المجهول، ودولة اليهود تصر على أن يزور الضيف حائط البراق (الذي يسمونه حائط المبكى) معتمراً قلنسوة اليهود الشهيرة، ومن طقوس بروتوكولهم أيضاً زيارة متحف ضحايا النازية (الهولوكست)، وتركيا تضع ضمن برامج البروتوكول زيارة ضريح الهالك أتاتورك ووضع إكليل من الزهور عليه، وكذلك كانت الدولة الشيوعية سابقاً: إذ كان لا بد من زيارة قبرَيْ: لينين وستالين، وكم وقف الرفاق العرب أمام قبريهما خاشعين وقدموا لهما قرابين الطاعة قبل أكاليل الزهور!

والقاسم المشترك بين هذه المراسم أنها تحمل دلالة رمزية ومعنى بعيداً يراد إشراك الزائر فيه.

ولكن أغرب ما رأيناه هو ما ابتدعه بعضهم عند استقبال رجال الحرب اليهود في بلادهم، حيث تكرر ـ فيما يشبه البروتوكول المفروض ـ تقديم (سيف عربي) إلى وزير آلة العدو الحربية ثم إلى رئيس أركانه! فما هي الدلالة الرمزية والمعنى البعيد من هذا الطقس الجديد؟! إذا كانوا يقصدون إفهام العالم أنهم سلّموا أسلحتهم وجيوشهم إلى يهود فهذا قد عرفناه منذ زمن، أم المقصود التذكير المستمر بالخنوع وإهدار الكرامة..؟ فإننا نذكرهم بأن العزة (لله ولرسوله وللمؤمنين).

ثم إلى أي مدى ستذلنا (البروتوكولات)؟! وإلى الله المشتكى.

في هذا العدد :

● افتتاحية العدد

بعد سنوات عجاف
الإنقاذ من جديد ٤
التحرير

● في إشراقة آية

نسـوا اللـه ..
فأنساهم أنفسهم............ ٨
د. عبد الكريم بكار

● دراسات شرعية

● الضحك
من منظور شرعي ١٦
عبد الله الماضي

● دراسات تربوية

الاهتمام بدعـوة
المرأة وتربيتها (٢) ٢٤
عبد اللطيف بن محمد الحسن

● دراسات دعويـة

الفرار إلى الله ٣٠
عبد العزيز الجليل

تأملات دعويـة

العمل المؤسسي والعمل الفردي .. ٣٨
عبد الله المسلم

● فتاوى أهل الذكر

حكم بيع الأراضي لليهود .. ٤٠

● البيان الأدبي

● رسـالـة إلـى مجاهـد
(نص شعري)............ ٤٢
فيصل الحجي

● معـالـم إسلامية في شعـر
محمود غنيم (دراسة أدبية). ٤٤
د. صابر عبد الدايم

● مجلة الأدب الإسلامي
(إصدارات أدبية).......... ٥١

● غـربـة الإسـلام (نـص
شعري)...................... ٥٢
فتحي الجندي

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الإردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة – ش الجلاء – الاهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦ ، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة:
ص.ب ٢٢٤ هـاتـف ٥٣٤٥٥٩ –
٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم المجاني: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

● **المسلمون والعالم**

• النظام الجزائري والبحث عن الشرعية...٥٤
د. يوسف الصغير

• عولمة أم أمركة (٢) ... ٦٢
حسن قطامش

• أجواء الحرب ... في أحلام السلام ٧٠
عبد العزيز كامل

● **في دائرة الضوء**

الاستنساخ حقيقته وما وراءه
أولاً : البعد العقدي لعملية الاستنساخ ٧٦
د. محمد بن عبد الله الشباني

ثانياً : ماذا وراء الاستنساخ؟!..٨٦
خالد أبو الفتوح

● **هموم ثقافية**

إشكالية البلورة السياسية للديمقراطية ٩٤
سامي الدلال

● **متابعــــات**

تعقيب على تعقيب .. حول الحوار مع د. القرضاوي ١٠٠
طاهر العتباني

● **منتدى القراء**

حتى لا تموت الدعوة دماغياً........... ١٠٨
عبد الله الوادعي

حديث النفس ١٠٩
مشبب القحطاني

● **بريد البيان**

ردود على بعض رسائل القراء... ١١٠
التحرير

● **الورقة الأخيرة**

ماذا دهى أمة الإسناد..... ١١١
محمد نجيب لطفي

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهاً استرلينياً
أوروبا	٢٠ جنيهاً استرلينياً
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهاً استرلينياً
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهاً استرلينياً
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهاً استرلينياً

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشاً ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ ,١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشاً ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهاً ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

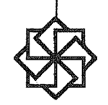
بعد سنوات عجاف
الإنقاذ من جديد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أما بعد:

فلقد خرج أخيراً الشيخ عباسي مدني ومن قبله الشيخ عبد القادر حشاني، وتبع ذلك العديد من التحليلات السياسية التي تحاول تفسير الموقف الحكومي من جهة، وموقف جبهة الإنقاذ من جهة أخرى، وموقف الشارع الجزائري والمغاربي بوجه عام. وبغض النظر عن دقة تلك التحليلات أو عدم دقتها، فإننا نرى أنَّه من المناسب الإشارة إلى المسائل التالية:

● **المسألة الأولى:**

لا شك أن الأحداث المتتابعة، وفترة السجن الطويلة التي قضاها شيوخ الإنقاذ، أعطتهم فرصة كبيرة للنظر والتأمل، ودراسة المواقف السياسية المختلفة التي تمخضت عنها الأحداث المتلاحقة. ولقد اتضحت طبيعة النظام الجزائري، ومواقف الأحزاب بمختلف اتجاهاتها السياسية، وتكشفت مواقف الأنظمة الغربية. وهذا يستوجب إعادة النظر بطبيعة الخطط والشعارات التي تبنتها جبهة الإنقاذ، وكيفية إدارتها للمواقف العملية.



وإذا أضيف إلى ذلك الرصيد الخصب للتجربة الإسلامية التي اكتسبها الشيخ عباسي مدني وأصحابه؛ فإنه سيساعدهم بالتأكيد - إن شاء الله تعالى - على تقويم الموقف برمته تقويماً شاملاً يدرس كافة الإيجابيات التي تم اكتسابها،

وكافة الأخطاء التي تم الوقوع فيها لأي سبب من الأسباب. ولعل ذلك يعدُّ من أولى أولويات المرحلة القادمة التي ينبغي أن تدرج ضمن خطة جبهة الإنقاذ ليتم الانطلاق منها بعد ذلك إلى رسم الخطط المستقبلية القريبة والبعيدة.

● المسألة الثانية:

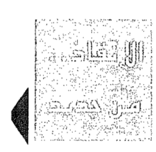
بعد الاعتقالات الشاملة التي واجهت جبهة الإنقاذ، والتي أدت إلى غياب أكثر القيادات الشرعية والسياسية، حدثت شروخ فكرية ومنهجية في جسم الحركة الإسلامية بعامة، وظهرت بعض الأطروحات العلمية والعملية التي قد ينقصها العمق الشرعي والأصالة المنهجية، كما تصدعت بعض الصفوف وانفرطت وحدتها، وتعددت البراعم التنظيمية هنا وهناك. وهذا كله يتطلب استنفاراً كبيراً في طاقات الشيوخ الفضلاء لترميم البناء من الداخل، وإعادة تأطيره، ومعالجة الانحرافات المنهجية علاجاً شرعياً مؤصلاً.

ونحسب أن شيوخ الإنقاذ ـ بحمد الله تعالى ـ يملكون الأصالة العلمية، والقدرة الإدارية والفنية، لوضع أيديهم بحكمة على مواضع النقص والخلل، لمعالجتها بعمق شرعي وبنفس طويل وصدر واسع، مع مراعاة كافة الاعتبارات التي تمر بها المرحلة الحالية من داخل الجبهة وخارجها.

● المسألة الثالثة:



لا شك أن رجالات جبهة الإنقاذ أثبتوا ـ ولله الحمد والمنة ـ بسالة وشجاعة في تحمل أعباء السجن والملاحقة والتضييق، وضرب الشيوخ أروع الأمثلة في ثباتهم وصدقهم واستعصائهم على الترويض، فكانوا قدوة ومثلاً يحتذى. نسأل الله تعالى أن يعظم للجميع الأجر والمثوبة، وأن يرفع درجاتهم، ويعلي منازلهم في الدنيا والآخرة.



إنَّ الطريق لإعلاء كلمة الحق واضح المعالم، بيّن السمات، ولن يقوم به إلا المخُلَّص الأبرار الذين باعوا نفوسهم لله تعالى، وآثروا الباقية على الفانية، ولم

يضرهم من خذلهم أو خالفهم، بل اعتصموا بحبل الله المتين، واقتدوا بهدي سيد المرسلين، وهانت في أعينهم مختلف المشاق والمصاعب.

وها هنا ينبغي التأكيد على أهمية البناء التربوي الراسخ في الصفوف؛ فتزكية النفس وتهذيبها وبناؤها من أولى أسس التغيير الشامل الذي يتطلع إليه المخلصون. ولن يبلغ البنيان تمامه إلا بجهد كبير في رعاية المحاضن التربوية.

ولم يكن هذا البعد التربوي غائبًا عن صفوف الجبهة في المرحلة السابقة، ولن نظن ـ بحول الله تعالى ـ أنه سيغيب في المراحل القادمة؛ ولكننا نرجو أن يولى عناية أكبر، وأهمية أعظم. والجماهير العريضة المتعطشة للحل الإسلامي، والتي تلتف حول العلماء والمصلحين والدعاة الصادقين تحتاج إلى رعاية تربوية ومنهجية أصيلة.

فالخطاب الوعظي المجرد ـ مهما كان بليغًا ـ لا يبني رجالاً راسخين، كما أن العاطفة المتوهجة التي لم تتجذر في أعماق الأرض ـ مهما كانت صادقة ـ قد لا تثبت أمام الأعاصير والأمواج العاتية!! ولهذا كان بناء الرجال وإعداد النفوس هو الطريق الصحيح للتغيير، وما لم تتضافر الجهود لذلك فسوف نظل نعرج ونتعثر!!

● **المسألة الرابعة:**

كشفت أحداث الجزائر السابقة، ومثلها التجارب السابقة للحركات الإسلامية المختلفة الأهمية الكبرى لوحدة الصف الإسلامي، فذلك هو السبيل الأمثل لمواجهة جموع الأحزاب العلمانية والأنظمة النفعية التي أجلبت بخيلها ورجلها لوأد الصحوة الإسلامية بعامة.



ولقد آن الأوان أن يدرك العقلاء والمخلصون في الحركة الإسلامية الجزائرية بمختلف فصائلها: أن التهارش والتدابر والتقاطع والاشتغال بالأعراض يُعد أفضل خدمة نقدمها للعلمانيين.

آن الأوان بأن ندرك: أن انكسار فصيل من الفصائل الإسلامية إنما هو خسارة للعمل الإسلامي بعامة.

آن الأوان أن ندرك: أن القوة الحقيقية لنا إنما هي باتحادنا وتعاوننا على البر والتقوى، والواجب علينا أن نتعالى على حظوظ النفوس وشهواتها، ونسمو فوق الهموم الصغيرة والولاءات الحزبية الضعيفة.. وصدق المولى الحق: ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

لقد علق المخلصون في أقطار الأرض آمالاً عريضة على الحركة الإسلامية في الجزائر، ولا زالوا يتطلعون إلى آفاق رحبة، خاصة أن المعطيات والبيئة الاجتماعية في الجزائر لا زالت خصبة واعدة بالمزيد من الخيرات، إن شاء الله تعالى، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعين إخواننا للنهوض من كبوتهم ويسدد خطاهم. وأن يحفظ الجزائر وأهلها الصالحين بالإسلام وأن يرد عنها كيد الأعداء المتربصين.

وصلى الله على محمد وآله وسلم،،،





نسوا الله فأنساهم أنفسهم

بقلم: د. عبد الكريم بكار

يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

هذه آية جليلة الشأن في كتاب الله ـ تعالى ـ وهي تضع أيدينا على حقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود، وتمنحنا استبصاراً بشأننا العام، لا يليق بنا أن نتجاوزه دون أن يملأ حياتنا بمعنى جديد!

ولعلنا في الصفحات التالية نقتبس من نور هذه الآية:

١ـ إن نسيان الله ـ تعالى ـ يكون على مستويين: مستوى ضعف صلة المسلم به، وتبلد أحاسيسه ومشاعره نحو خالقه ـ جل وعلا ـ ومستوى الإعراض عن هديه واستدبار منهجه.

وفي إطار المستوى الأول نجد أن لدينا الكثير الكثير من النصوص التي تحث المسلم على أن يكون كثير الذكر والمراقبة لله ـ تعالى ـ حتى يصل إلى مرحلة الحب له وفرح الوعي به، والاستئناس بذكره، وقد قال سبحانه:ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] وقال: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وفي الحديث الصحيح: «مثل الذي يذكر ربه ولا يذكره كمثل الحي والميت»(١) ولو رجعنا إلى ما حثت عليه النصوص من الذكر، مما يسمى بعمل اليوم والليلة لوجدنا أن الالتزام

(١) أخرجه البخاري.

بذلك يجعل المسلم لا يكاد ينفك عن تسبيح وتحميد وتهليل واستغفار وتضرع ودعاء، ما دام مستيقظًا. إن كثرة ذكر لله ـ تعالى ـ تولِّد لدى المسلم الحياءَ منه وحبه، وتنشِّطه للسعي في مرضاته، كما تملأ قلبه بالطمأنينة والأمان والسعادة؛ لينعم بكل ذلك في أجواء الحياة المادية الصاخبة.

إن الفكر يرسم المسار، ويرشد إلى الطريق الأصلح للحركة والعمل، لكنه لا يكون أبدًا منبعًا للطاقة والعزيمة والإرادة الصلبة، وإن الصلة بالله ـ تعالى ـ والتي هي لباب كل عبادة ـ هي التي تمدنا بكل ذلك، وإن المعاناة التي يشعر بها المسلم اليوم من جراء الانفصال بين قيمه وسلوكه، لم تتجذر في حياة كثير من المسلمين إلا بسبب ما يشعرون به من العجز عن الارتفاع إلى أفق المنهج الذي يؤمنون به؛ وذلك العجز لم يترسخ، ويتأصل إلا بسبب نضوب ينابيع المشاعر الإيمانية في داخلنا!

إن تيار الشهوات والمغريات الذي يجتاح كل ما يجده أمامه اليوم، لا يقاوم إلا بتيار روحي فياض، يعب منه المسلمون ما يسمو بهم عن أوحال الملذات والمتع الدنيوية، ويعوضهم عن نشوتها. ولذا فإن (أدب الوقت) يقتضي من المربين والعلماء الناصحين وأهل الفضل، التوجيهَ إلى إثراء حياة الشباب والناشئة بالأعمال الروحية ـ وعلى رأسها الذكر ـ حتى لا يقعوا في مصيدة النسيان واللهو والإعراض عن الله تعالى .

إن مما صار شائعًا أن ترى بعض العاملين في حقل الدعوة، وقد شُغلوا بضروب من أعمال الخير، لكن الجانب الروحي لديهم صار ذابلاً، وأقرب إلى الجفاف بسبب إفراغ طاقاتهم في السعي إلى تحقيق أهداف عامة، كنفع الناس، أو الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ دون أن يستحضروا النية، ودون أن يطبعوا على ذلك اسم الله ـ تعالى ـ ودون أن يعطروه بشذى من الصلة به، والإحساس العميق بالامتثال لأمره.

وكانت نتيجة ذلك أن فقدت تلك

الأنشطة نكهتها وتأثيرها، وقصَّرت عن بلوغ أهدافها، بل صار تسرب حظوظ النفس إليها أمرًا قريبًا وواردًا.

إن البنية العميقة للثقافة الإسلامية متمحورة على نحو أساسي حول تعظيم الله ومرضاته، وإن المسلم إذا فقد قوة الشعور بالارتباط بذلك، لن يسعى في إعمار الأرض، وإذا فعل ذلك فإن عمله لن يكون له أدنى تميز، وسيخبط، ويرتع كما يفعل غيره!

٢ ـ هناك مستوى آخر من نسيان الله ـ جل شأنه ـ يتمثل في تخطيط شؤون الحياة بعيداً عن الاهتداء بكلماته، والتقيد بالقيود التي فرضها على حركة عباده. وهذا في الحقيقة هو النسيان الأكبر.

وعند تقليب النظر في واقع أمة الإسلام اليوم نجد أن نسبة محدودة من المنسوبين لهذه الأمة ـ تلتزم على نحو كلي بفعل الواجبات، وترك المحرمات. وبما أن الإحصاء حول أي شيء ليس مرغوبًا فيه، فإننا لا نعرف، ولا نحزر الاتجاه الذي تسير فيه تلك النسبة المحدودة من الملتزمين: هل هو النمو، أو هو الانكماش والانحسار؛ لكن من الواضح أن العديد من القيم والأخلاق الإسلامية العتيدة بدأ يفقد التأثير في ضبط السلوك، وتكوين المواقف؛ لأسباب عديدة، ليس هنا موضع ذكرها. وحين تسمع لكلام كثير من ذوي النفوذ والثقافة في الساحات الإسلامية ـ لا تجد في أحاديثهم وخطابهم العام ما يدل في الشكل أو في الروح على أنهم على شيء من ذكر الله والدار الآخرة، أو أنهم متأثرون بشيء من منهجيات هذا الدين وأدبياته، على الرغم من أنهم يُذكرون في عداد المسلمين!

وإن مما يلاحظ في هذا السياق أن تطوراً مريعًا قد اجتاح لغة الخطاب لدينا خلال السنوات العشر الماضية، فقد كانت لدينا قيم موضوعية ثابتة، على من يستحق الثناء أن يتخلق بها، وقد كان الناس يقولون: فلان طيب (ابن حلال) خلوق، صالح، مستقيم، تقي، متواضع.. أما اليوم فإن ألفاظ

المديح تتمحور حول عدد من المزايا الشخصية المرتكزة على مهارات معينة، وعلى علاقات اجتماعية واسعة، هي أشبه بما على (مندوبي المبيعات) أن يتقنوه! وصار يقال: فلان ناجح، شاطر، اجتماعي (دبلوماسي) حَرِك، مَرِن، أثبت ذاته، وحقق وجوده.

وفي اعتقادي أن مثل هذا التطور سوف يجعل المجتمع يموج باللصوص والمرتشين والمحتالين ما دام النجاح، لا الفلاح، هو المنظم الخفي للتراتيبية الاجتماعية! وقد نعد هذا من أسوأ ما شاهدناه من أشكال التطور الأخلاقي والاجتماعي والتربوي، وسوف تكون له آثار بعيدة المدى في البنية الأساسية للشخصية المسلمة على مدى عقود عديدة قادمة!

٣ - إن الآية الكريمة صريحة في أن نسيان الله - تعالى - كان سببًا مباشرًا في جعل المرء ينسى نفسه، وكأن الذي يضيّع نفسه في عاجلها وآجلها، يضيّع الدنيا فتلفه المشكلات من كل صوب، ويضيع الآخرة بخسران النجاة والفوز بالجنة.

إن نسيان النفس ليس على درجة واحدة، وإن الضرر الذي سيلحق الناس سيكون بالتالي متفاوتًا، وعلى مقدار النسيان والتضييع لأمر الله - تعالى - سيكون التضييع للنفس والدنيا والآخرة.

إن خسران الآخرة للذين ينسون الله، واضح المعالم، ويستوي في معرفته العامة لدينا والخاصة، لكن التضييع لأمر الدنيا هو الذي يحتاج إلى نوع من البيان، ولعلنا نجلوه في النقطتين التاليتين:

أ - إن عصر المعلومات الذي يظلنا الآن سيكون - والله أعلم - أقصر العصور الحضارية، وسوف يعقبه عصر آخر، هو عصر (الفلسفة) وبحث المسائل الكلية، وستطرح الأسئلة الكبرى: من أين جئنا، ولماذا نحن هنا، وإلى أين المصير، ما حدود الطبيعة البشرية، وما ماهية الخير والشر..؟ وإنما نقول ذلك؛ لأن قراءة التعاقبات التاريخية، تنبئنا

أنه حين تصل حالة مّا إلى حدود متقدمة، تبزغ من الطبيعة البشرية حالة مضادة لها؛ فحين تشتد العقلانية أو التقنيَّة في أمة، فإن أشواقًا تنبعث لكسرها، فينبثق من العقلانيّ العاطفيُّ، ومن التقنيِّ الفلسفيُّ والفكريُّ، إنه أحد مظاهر سُنَّة التوازن التي بثها الخالق ـ جل وعلا ـ في هذا الكون!

ولذا فإن الهمجيّين وسوقة السوقة وحدهم، هم الذين لا يتشوّفون إلى معرفة مصيرهم النهائي، وإلى معرفة الغايات الكبرى للوجود!

حين تصير البشرية إلى هذه المرحلة، سيكتشف الذين نسوا الله، أنهم لا يملكون أي جواب جازم، أو مُقْنع على الأسئلة الكبرى المثارة بإلحاح، بل سيجد الغرب ـ على نحو خاص ـ أنه قد أحرق كل سفن العودة إلى (الوحي) الذي يُعد المصدر الوحيد الذي يجيب على تلك الأسئلة.

وقد كان (أنشتاين) يقول: «إن حضارتنا تملك معدات كاملة، ولكنها تفقد الإحساس بالأهداف الكبرى» !.

إن كل إصلاح لشؤون البيئة والاقتصاد، وإن أي نوع من المحافظة على منجزات البشرية، سيقتضي من اليوم فصاعدًا تقدمًا ملحوظًا على صعيد (الإنسان) وما لم يحدث هذا التقدم، فإن كل شيء سيكون في مهب الريح!!

والملاحظ بقوة أن الحضارة الحديثة بصبغتها المادية، قد نقلت مجال السيطرة من الإنسان إلى الأشياء، حيث أضعفت إرادة البشر، وأحاطتها بكل ما يخل بتوازنها، وهذا يعني أن الحضارة الغربية ببنيتها الحاضرة ليست مؤهلة للنهوض بالإنسان.

إذا كنا نعتقد أن الطبيعة البشرية واحدة، فهذا يعني أن غايات وجودها يجب أن تكون واحدة، وهذا هو منطوق الوحي، وهذا ما لا يبصره الإنسان العلماني اليوم!!

لن تكون الأسئلة المثارة أصيلة إلا إذا كان لها أجوبة موجودة عند جهة مّا

وهذه الجهة لن تكون أبداً الإنسان، فمن تكون إذن؟؟

إن العقل البشري خلقه الله ـ تعالى ـ ليكون في الأصل عقلاً عمليًا، وهو في عمله يشبه (الحاسوب)، وهو كالحاسوب لا يستطيع إدخال تحسينات جوهرية على المدخلات التي يُغذى بها، وسيكون الأمر مضحكًا إذا عمدنا إلى تشغيل العقل البشري وتحسين طروحاته وعمله بشيء من منتجاته التي تولى تنظيمها الفلاسفة، وهم الذين لم يفلحوا في الاتفاق على أي شيء!!. إن كل شيء اليوم يتقدم إلا الإنسان فإنه في تدهور مستمر، وإن مما يثير الفَزَع أنه على مدار التاريخ كان التقدم المادي والعمراني مشفوعًا بانخفاض في وتائر التدين والسمات الإنسانية الأصيلة، مما يدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يوازن بين مطالبه الروحية والجسدية، دون عون من خالقه.

ولكن المؤسف مرة أخرى أننا لا نريد أن نعترف بذلك؛ لأن ذلك يقتضي منا تغييرًا هائلاً، نحن غير مستعدين الآن لدفع تكاليفه!

إن نسيان الله ـ تعالى ـ قد أفسد النسيج الإنساني كله، وحين يفسد النسيج العام، فلن يكون ثمة فائدة تذكر من وراء التعليم والتدريب والتربية، وكيف يمكن إصلاح خبز أو كعك أو فطير فسد طحينه؟!

إن ضعف الإنسان على مدار التاريخ كان من عوامل استمرار بقائه، أما اليوم فقد اجتمع له القوة الغاشمة مع الطيش الشديد، وهذا ما سيسبب الكوارث ما لم يحدث انعطاف كبير في اتجاه الرشد والهداية والتدين المبصر الأصيل.

ب ـ إن المهمة الأساسية للرسل ـ عليهم السلام ـ أن يبصِّروا الناس بما يجب عليهم تجاه خالقهم، وأن يذكِّروهم الدار الآخرة ومطالب الفوز فيها: ﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ** ﴾ [غافر: ١٥].

ومهمة المصلحين ـ إذا ما أرادوا



الاستجابة لدعوتهم ـ أن يُنضحوا من التعاليم الإسلامية ما يمزجونه بالخيال الخصب والخبرة البشرية والملاحظات الذكية، من أجل توفير الظروف التي تجعل الناس أقرب إلى الالتزام. وإن هذه الدنيا دار ابتلاء، ولذا فإن علينا دائمًا أن نختار ما يصلح أحوالنا، وإن لكل عصر اختياراته واجتهاداته. والمشكلة أن الفضائل والقيم والنظم لا تتفق بعضها مع بعض اتفاقًا كليًا، بل إن إقامة كثير منها قد يتطلب التضحية ببعضها الآخر: إذا اخترنا الحرية الفردية، فقد يقتضي ذلك التضحية بشكل تنظيمي نحن في أمس الحاجة إليه، وإذا اخترنا العدالة، فقد نُرغَم على التضحية بالرحمة، وإذا اخترنا المساواة، فقد نضحي بقدر معين من الحرية الفردية..

ومن وجه آخر هل يصح أن نعذب أطفالاً كي ننتزع منهم معلومات عن خونة أو مجرمين خطرين؟ وهل للمرء أن يقاوم حاكمًا ظالمًا، ولو أدى ذلك إلى مقتل والديه أو أطفاله؟؟

كل هذا لا يستطيع العقل أن يعطي أجوبة واضحة وقاطعة عنه. وننتهي من هذا إلى أن كل مجتمع يحتاج إلى مقدار مًا من تلك الفضائل والنظم، كي يجعل حياته متوازنة ومتسقة، فكيف يتم تحديد ذلك المقدار؟

إن المنهج الرباني لا يحدد لنا على نحو دقيق القدر المطلوب من التماثل الاجتماعي، ولا القدر المطلوب من الحرية الفردية، أو العدل أو الرحمة.. لكنه يضيق دوائر الاختيار، ومساحات البحث والاجتهاد؛ والفارق بين المهتدي بنور الله والمحروم منه كالفارق بين من يبحث عن إبرة في صحراء، ومن يبحث عنها في غرفة. على الجميع أن يبحث، ولكن حظوظ العثور على المطلوب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، كما أن إمكانات الوقوع في الخطأ، هي الأخرى متفاوتة كذلك.

إن العقل ـ بطبيعة تركيبه ـ لا يستطيع أن يعمل في أي مجال: فلسفي أو تنظيمي أو تقني إلا إذا

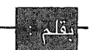
أُسعف بإطار توجيهي يهيئ له مقدمات، وبعض المدخلات الضرورية، وإن المنهج الرباني عقيدةً وشريعةً هو الذي يوفر ذلك الإطار.

في مجال التربية الاجتماعية - مثلاً - نجد أن الشريعة الغراء حددت لنا محاور أساسية، يجب أن ترتكز عليها أنشطتنا التربوية، وهي ما سماه أهل الأصل بالكليات أو الضرورات الخمس، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وقد تكفَّل الفقه الإسلامي بتوفير الأحكام والأدبيات التي ترسم حدود الحركة التربوية في ظل هذه المحاور الخمسة، كما وضحت المرتبية التي يجب اتباعها عند ضرورة التضحية ببعضها لحفظ الآخر، على ما هو واضح في كتب الأصول والفقه؛ فالشأن التربوي لدينا - على علاته - أفضل مما هو موجود لدى دول كثيرة متقدمة عمرانياً؛ وذلك بسبب وجود هذا الإطار التوجيهي، وهذا كله مع أن أكثر الشعوب الإسلامية تعاني من أوضاع معيشية قاسية، والجرائم بأنواعها لدينا أقل، والتماسك الأسري والاجتماعي أفضل.

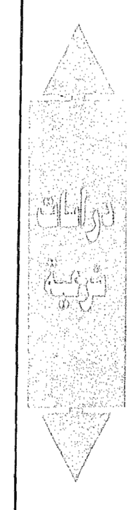
إن محنة العقل الذي نسي الله لم يحن أوانها بعدُ، ولكن إذا وصل النمو الاقتصادي إلى حدوده القصوى، وانتشرت البطالة، وعم ضنك العيش، فسوف يرى كل المعرضين عن دين الله أن الليبرالية والرأسمالية ليست أفضل ما أنتجه العقل البشري، وأن الخلاص يتطلب مراجعة جذرية، من أجل العودة إلى سبيل الرشاد.

الإنجازات الحضارية وسعادة الأفراد، ووحدة الكيان الحضاري، كل ذلك سيكون على حافة الهاوية إذا لم يضئ كل منعطفات الطريق شعاع من الغاية الكبرى، وإذا لم تتلفع جميعاً بهدي من هدي الله؛ والله غالب على أمره.

الضحك من منظور شرعي



بقلم: عبد الله عثمان الماضي



تمهيد:

إن عالم الضحك عالمٌ كالبحر واسع الجنبات، يمتد من جانب حتى يصل بالملحة والنادرة المحبّبة اللطيفة الظريفة إلى عالم الظرف والرِّقة، ويمتد من جانب آخر حتى يصل بالتهكم والهجاء والسخرية إلى عالم المأساة والترويع، ويشتمل فيما بين ذلك على ألوان من الابتسام، وصنوف متفاوتة في درجات الخِفة والثقل، ومقادير الحلاوة والمرارة، ومراتب الرفق والعنف، وعناصر الفكر والعاطفة والنشاط، وأساليب التلميح والتصريح، وما إلى ذلك[1].

تفسير الضحك:

لقد شغلت ظاهرة الضحك الناس جميعًا على حد سواء: المفكرين منهم أو القادة أو السواد الأعظم من الناس القديم منهم والحديث، كلٌّ نظر إلى هذه الظاهرة متعاملاً معها من خلال اهتمامه واختصاصه.

ورغم كثرة نظريات تفسير الضحك إلا أنها في الغالب لا تخرج عن المعالم الآتية:

١ ـ المفارقات والجمع بين المواقف المتناقضة.

٢ ـ وضع الشيء في غير موضعه.

٣ ـ التعبير عن السعادة.

٤ ـ المحاكاة والتجاوب مع ضحك شخص آخر (ابتسامة المجاملة).

---

(١) دراسات فنية في الأدب العربي، د. عبد الكريم اليافي، مكتبة لبنان ط الأولى ١٤١٦هـ (بتصريف).

٥ ـ حدوث بعض الوقائع المفاجئة التي تتجاوز التصور المنطقي.

مراتب الضحك:

بتتبع هذه المراتب نجدها لا تخرج عن حالات ثلاث هي ما يلي :ـ

أولا: التبسم:

ويعتبر مبتدأ الضحك، وهو انفراج الفم بلا صوت؛ إذ يمثل أقل الضحك وأحسنه؛ ويكون غالبًا للسرور. قال تعالى: ﴿ **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا** ﴾ [النمل: ١٩]. **قال الزجاج**: التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكانت البسمة أقرب ما تكون إلى قلب الرسول الخاتم ﷺ وشفتيه، بل كانت من ضمن وصاياه للناس؛ حتى رفع قدرها إلى مستوى الصدقة فقال: « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة »[(١)].

وجعل ﷺ لقاء الناس بوجه طليق ـ أي بوجه باسم ـ من قبيل المعروف فقال: « لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط »[(٢)].

ينبغي أن تكون الابتسامة وسيلة لجمع القلوب على الحب وتجديد النفس للإقبال على الحياة والتعبير عن حمد الله تعالى على نعمائه، وما أوثق علاقة التبسم بالتسامح إزاء كل الناس وكل الطبقات لتكون السعادة حقًا للجميع.

والابتسامة: هي مفتاح مؤكد النتيجة لفتح حوار محبوب صامت مع الآخرين.

والوجه المبتسم: هو من نعم الله تعالى على الإنسان، وينظر إلى صاحبه بشيء من الثقة التي لا توحي بها الملامح المتجهمة المنكرة تحت وطأة الآلام والأحزان.

والمبتسم: يكون في حالة ارتياح نفسي، فهو أقدر على التفكير واختيار الكلمات الملائمة التي يتعامل بها مع الناس واتخاذ قرار مَّا في وقته المناسب.

ثانيا الضحك:

وهو أعم من التبسم، فكل تبسم ضحك وليس كل ضحك تبسمًا؛ ولذلك قال ابن حجر رحمه الله: فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بُعد فهو القهقهة وإلا

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

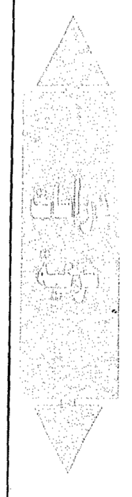
(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح (٥/٦٣).



فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم.

وتسمى الأسنان في مقدم الفم: الضواحك، وهي الثنايا والأنياب وما يليها، وتسمى النواجذ وهي التي تظهر عند الضحك.

صفة الضحك: خلق الله سبحانه وتعالى الضدين: الضحك والبكاء في محل واحد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] كما خلق الموت والحياة والذكورة والأنوثة في مادة واحدة[(١)]، وهذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى فهو خالق لقوتَيِ الضحك والبكاء، كما أنه سبحانه خالق لفعلَيِ الضحك والبكاء[(٢)].



استعمالات الضحك:

١ - يستعمل الضحك للتعجب المجرد؛ وهذا المعنى قَصْدُ من قال بأن الضحك يختص بالإنسان دون سواه قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ..﴾ [هود: ٧١] فضحكها كان للتعجب.

٢ - يستعمل الضحك في السرور المجرد كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩].

٣ - يستعمل الضحك عند التهكم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠].

ومن أنواع ضحك التهكم:

أ - ضحكة الازدراء. ب - ضحكة الهزء. ج - ضحكة السخرية.

٤ - يستعمل أيضًا عند الغضب: وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه. وسببه: تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكه لملكه نفسَه عند الغضب، وإعراضه عمن أغضبه، وعدم اقتدائه به[(٣)].

٥ - يستعمل كذلك عند الملاطفة أو الترحيب.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٩/٢٩).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٤/٤).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (جـ/١) مؤسسة الرسالة.

٦ ـ ويستعمل عند الانتصار.

٧ ـ وكذا عند التسلية.

٨ ـ ويستعمل الضحك في الحالة الهستيرية والجنون.

الضحك المندوب: من الأمور المحمودة:

١ ـ مضاحكة الزوجة وملاعبتها قال ﷺ: «تزوجتَ يا جابر؟ فقلت: نعم! فقال: بكرًا أم ثيِّبًا؟ قلت: بل ثيِّبًا، قال: فهلاً جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك...»[1].

٢ ـ لقاء الناس بوجه طلق لإدخال السرور عليهم كما في حديث جرير ابن عبد الله، قال: ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي...[2].

وقال ﷺ: «... تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[3].

من فوائد الضحك والتبسم:

١ ـ كونه بابًا من أبواب الخير والصدقة: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» الحديث[4].

٢ ـ كسب مودة الناس: كما قال ﷺ: «لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه»[5].

فينبغي لمن كان عبوسًا منقبض الوجه أن يتبسم، ويحسّن خلقه، ويمقت نفسه على رداءة خلقه، فكل انحراف عن الاعتدال مذموم، ولا بد للنفس من مجاهدة وتأديب.

قال الجاحظ في مقدمة كتاب البخلاء، شارحًا بعض فضائل الضحك: «وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيمًا ومن مصلحة الطباع كبيرًا، وهو شيء من أصل الطباع ومن أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في مواضع منها (ح ٦٨) في التبسم والضحك، ومسلم (ح٤٤) في فضائل جرير.

(٣) رواه الترمذي كما تقدم.

(٤) أخرجه الترمذي (ح١٩٥٦) وحسنه. وأحمد (٥/١٦٨)، وابن حبان (ح٨٦٤) وصححه.

(٥) أخرجه البزار (ح ٣٠٣٥)، والحاكم (١/١٢٤)، وأبو نعيم (١٠/٢٥) وهو ضعيف.

تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته».

ولفضل خصال الضحك عند العرب فإنها تسمّي أولادها بـ: الضحاك وبسام.

ثالثا: القهقهة:

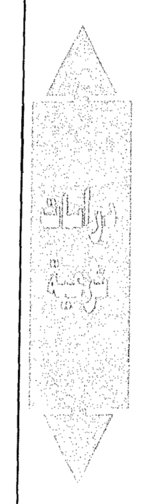
القهقهة هي الضحك بصوت مرتفع بحيث يُسمع من بُعد.

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا قطُّ حتى أرى منه لهواته، وإنما كان يتبسم»[(١)].

واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم يعني: ما يكون ضاحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك، بحيث تبدو اللهاة التي في آخر الفم[(٢)].

ولذلك كان هذا النوع من الضحك مخالفًا لهدي الرسول ﷺ حيث كان لا يكثر الضحك ولا يقهقهه، أي لا يرفع صوته به، بل كان وقوراً متزنًا هادئًا كما وصفه جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن النبي ﷺ كان طويل الصمت قليل الضحك»[(٣)].

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن استعرض عدداً من الأحاديث المتعلقة بالتبسم والضحك: «والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان لا يزيد في معظم أحواله عن التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك؛ والمكروه في ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط؛ لأنه يُذهب الوقار.



آداب الضحك:

١ ـ أن يكون الضحك تبسمًا:

كما في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه السابق في وصف رسول الله «... وكان لا يضحك إلا تبسمًا...».

٢ ـ الإكثار من التبسم، والإقلال من الضحك:

كما في حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «ما

---

(١) مسلم: كتاب الاستسقاء/ باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ح ١٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري/ باب التبسم والضحك.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة دون قوله: «قليل الضحك».

رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ »[1].

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: « التبسم دعابة[2] وهو أبلغ في الإيناس من الضحك ».

أما من روى عنه أنه لم يضحك ولم يبتسم مطلقاً، فهو خلاف الأفضل فالأفضل الضحك اليسير والتبسم.

وأهل العلم في هذا على قسمين:

أ ـ يكون فضلا لمن تركه أدباً وخوفاً من الله، وحزناً على نفسه المسكينة، واستشعاراً لما بعد الموت.

ب ـ يكون مذموماً لمن فعله حمقاً وكبراً وتصنعاً[3].

٣ ـ الإقلال من الضحك:

فإن كثرته تميت القلب، والإفراط فيه يُذهب الوقار والهيبة.

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « أقِلَّ الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب »[4].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به[5].

ولذلك حذر من كثرته العلماء، فقال الماوردي[6]: أما الضحك فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة، مُذْهِبٌ عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وُسِمَ به خطر ولا مقدار.

٤ ـ خفض الصوت في الضحك ما أمكن.

٥ ـ أن يضحك مما يُضحَك منه، وهو ما يُتعجب من مثله ويُستغرب وقوعه ويندر.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب (ح٣٦٤٥) وحسنه.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص٣٠٢) للماوردي.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/١٤٠).

(٤) أخرجه الترمذي في الزهد وابن ماجه في الزهد (٢/١٤١٠).

(٥) انظر: المنهج المسلوك في سياسة الملوك (ص٤٥٠) الشيرازي جـ١، عام ١٤٠٧هـ.

(٦) أدب الدنيا والدين (ص٣٠٢).

فلا تروى الطرف المكذوبة التي لا أصل لها؛ بقصد الإضحاك فقط.

فلقد روي النهي الشديد عن ذلك في الحديث الذي رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك به الناس، ويل له، ويل له»[1].

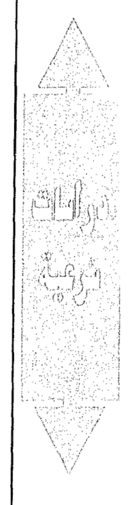
بعض المناسبات التي ابتسم فيها رسول الله ﷺ أو ضحك:

١ ـ قصة نعيمان وسويبط رضي الله عنهما:

عن أم سلمة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبل موت النبي ﷺ بعام ومعه نُعيمان وسويبط بن حرملة، وكانا شهدا بدراً، وكان نُعيمان على الزاد، وكان سويبط رجلاً مزاحاً، فقال لنعيمان: أطعمني. قال: حتى يجيء أبو بكر. قال: فلأغيظنك. قال: فمروا بقوم، فقال لهم سويبط: تشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم. قال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم: «إني حر» فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا عليّ عبدي. قالوا: لا، بل نشتريه منك. فاشتروه منه بعشر قلائص[2]، ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً! فقال نُعيمان: إن هذا يستهزئ بكم وإني حر لست بعبد!!! فقالوا: قد أخبرنا خبرك. فانطلقوا به، فجاء أبو بكر. فأخبروه بذلك، قال: فاتبع القوم ورد عليهم القلائص وأخذ نعيمان. قال: فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه، قال: فضحك النبي ﷺ وأصحابه منه حَوْلاً![3].

٢ ـ تبسمه ﷺ على قول صهيب الرومي رضي الله عنه:

عن عبد الحميد بن صيفي عن أبيه عن جده صهيب، رضي الله عنه، قال: قدمتُ على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر. فقال النبي ﷺ: «ادنُ فكل» فأخذت آكل من التمر، فقال النبي ﷺ: «تاكل تمرًا وبك رمد»[4]؟ قال: فقلت:



(١) أخرجه أحمد (٥/٧٠٥)، وأبو داود (باب ٨٠) والدارمي (باب ٦٦) وغيرهم. وصححه الحاكم.
(٢) نوق.
(٣) سنن ابن ماجه: الأدب، باب المزاح: ٢/١٢٢٥.
(٤) الرمد: وجع العين وانتفاخها. اللسان ٣/١٨٥.

إني أمضغ من ناحية أخرى! فتبسم رسول الله ﷺ[1].

قلت والله أعلم ـ: يظهر من سياق الحديث أنه كان مرمداً في إحدى عينيه فلما قال ﷺ ذلك أجاب بأنه يمضغ من ناحية أخرى: أي إن كان في العين اليمنى فهو يمضغ من ناحية اليسرى، وكذا بالعكس.

٣ ـ السباق على الرِّجل:

عن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا ثم قال لي: «تعالَيْ حتى أسابقك». فسابقته فسبقته فسكت عني، حتى إذا حملتُ اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا ثم قال: «تعالي حتى أسابقك». فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك»[2].

فيه: حُسن معاشرته ﷺ لأهله ومداعبته، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرًا غير عائشة رضي الله عنها، وكانت جارية؛ ففي هذه السن تحب المرأة الضحك والمزاح واللعب كما صح عنه ﷺ.

العلاج من كثرة الضحك:

تعالج كثرة الضحك بعدة أمور، منها:

١ ـ الإكثار من ذكر الله تعالى.
٢ ـ تذكر عظمة الله تعالى.
٣ ـ تذكر الموت واليوم الآخر.
٤ ـ مجاهدة النفس في كتم الضحك.
٥ ـ عدم الإكثار من مخالطة الشخصيات الهزلية.
٦ ـ محاولة اعتياد الجدية[3].

وأخيراً:

فإن موضوع الضحك أوسع من أن تحيط به هذه العجالة، وما ذكرته إنما هو إضاءات لبعض زواياه، وومضات في بعض جوانبه.

---

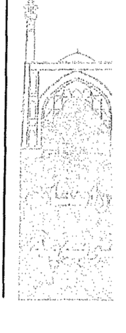
(١) أخرجه ابن ماجه: في الطب، باب ـ ٣ ـ الحمية ٢/ ١١٣٩ ـ قال في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات ـ وأحمد في مسنده ٥/ ٣٧٥.
(٢) مسند أحمد: ٦/ ٢٦٤.
(٣) محاضرة في آداب الضحك: محمد صالح المنجد.

الاهتمام بدعوة المرأة وتربيتها

(٢ من ٢)

بقلم:
عبد اللطيف بن محمد الحسن

تحدث الكاتب عن أهمية الدعوة في محيط النساء وأهمية أن تقوم النساء بالدعوة، وبيَّن الضوابط في خروج المرأة الداعية، بعد أن بيَّن العوائق التي قد تقف أمام حركتها في دعوة بنات جنسها، ويواصل في هذه الحلقة بقية الموضوع.
البيان



أهداف دعوة النساء:

أعظم معين على بلوغ الأهداف ـ بعد عون الله (عز وجل) ـ هو رسم الخطط العلمية ووضوحها، وتعيين الوسائل والطرق المعينة على الوصول إليها، ومتابعة العمل فيها بدقة وجدّ، ولعل أهم الأهداف التي ينبغي للداعية رجلاً كان أو امرأة أن يهتم بها في دعوته في داخل البيت وخارجه، ما يلي[1]:

أولاً: التربية الإيمانية، ويتحقق هذا الهدف بالعناية بوسائل منها: الوعظ والرقائق، ودراسة أسماء الله وصفاته وآثارها، وآياته في الكون من خلال الوسائل المتاحة، ودراسة الآيات والأحاديث ذات الصلة بها.

ثانيًا: التأهيل العقدي، بتأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة إجمالاً، وتأصيل القضايا ذات البعد العملي كالشرك، والولاء والبراء، وخطر التشبه بغير المسلمين، وذكر ملامح أهل السنة والجماعة.

ثالثًا: التأصيل العلمي والشرعي، بتنمية حب العلم، والاهتمام به، وحفظ القرآن الكريم، وبعض الدروس والبرامج العلمية.

رابعًا: التأهيل الفكري، بالتوعية بمعرفة التيارات والأفكار المنحرفة،

---

١) انظر شرح هذه الأهداف، ووسائل تحقيقها وطرقها، في مقال: الدعوة إلى الله في البيوت، عبد الله البوصي، في البيان، ع/٨٨، ص ١٤ ـ ٢٢.

وخطط الأعداء الماكرة التي كثيراً ما تخدع المرأة بأنواع من زخرف القول وادعاء إنصافها وتحريرها. ومن التأهيل الفكري أيضاً: توضيح المفاهيم الإسلامية الغائبة لدى كثيرات في خضم كثير من المناهج القاصرة والبعيدة عن التأصيل الشرعي في مناهج مدارس البنات في أكثر ديار الإسلام. والحق يقال: إن تعليم البنات في السعودية يعتبر نموذجاً طيباً للالتزام الشرعي، ويستحق التقدير.

خامساً: التأهيل الدعوي، ويمكن تحقيقه من خلال: تحميل المدعوين همّ الإسلام والدعوة؛ بتبصيرهم بأحوال المسلمين وجهود الأعداء، وتكوين الثقافة الدعوية، وبناء المبادرات الذاتية والمشاركة الفعالة في الدعوة، وتنمية الملكات التي يُحتاج إليها في الدعوة.

سادساً: تنمية الملكات التربوية، نظرياً وعملياً بالاستفادة من الأخطاء وكيفية التعامل معها، والاستفادة من التجارب التربوية للآخرين ما أمكن ذلك.

سابعاً: تنمية الملكات الاجتماعية، في التعامل مع الآخرين، بتمثُّل القدوة الصالحة في نفسه، والربط بالقدوات، والتعريف بالحقوق والواجبات، وذكر النماذج الحيّة من حسن الخلق، وبيان كيفية كسب الآخرين.

ثامناً: بناء الحصانة ضد المنكرات، ويتم ذلك ببيان أضرار المعاصي ـ وخاصة النسائية ـ وسد ذرائعها؛ بإبعاد وسائلها، وتجنب أماكنها.

تاسعاً: ملء الفراغ بالمباح، واستغلاله بالمفيد، ووسائل هذا كثيرة.

طرق إعداد المرأة للدعوة:

وهو المقصود الأهم من الحديث عن هذا الموضوع، وغير ممكن أصلاً أن تفي كتابة كهذه المقالة بشيء من هذا، غير أن هذا لا يمنع من إشارة تذكّر بجوانب من الموضوع، وتفتح الذهن لمداخله، وتبقي العهدة في مراجعة ما كتب في الموضوع لمباشرة العمل، ومما يعوّل عليه في هذا الصدد: رسالة «المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة، للدكتور أحمد أبا بطين»[1].

(١) وأظن الكتاب سد ثغرة مهمة، فجزى الله مؤلفه خيراً، ومن الكتب المفيدة في الجوانب الدعوية والتربوية النسائية ـ على قلتها ـ: مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة، دكتورة/ مكية مرزا، والمرأة في العهد النبوي، دكتورة/ عصمت الدين كركر، ومسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د/ فضل إلهي، والنساء الداعيات، د/ توفيق الواعي، ويا نساء الدعاة، للزبير فضل مضوي، والداعية الناجحة، لأحمد القطان، وشخصية المرأة المسلمة، د. محمد علي الهاشمي.

أسلوب إعداد المرأة للدعوة:

ولإعداد المرأة الداعية طريقان:

الأول: الإعداد النظري، ويشمل الجوانب التالية:

١ ـ الإعداد العلمي: وهو أمر ضروري في جانبين:

أولهما: المادة العلمية التي تدعو إليها، وتريد تعليمها [١].

وثانيهما: العلم بالكيفية المناسبة لعرض تلك المادة.

وقد عني الإسلام بإعطاء المرأة حقها في التعليم، مع التزام الضوابط الشرعية لذلك، والعلم المقصود هنا: ما يفيد المرأة في دعوتها من العلوم الشرعية، والعلوم المساعدة على فهمها، ولا يجوز بحال أن نجعل العلم عائقًا عن الدعوة، كحال الكثيرين اليوم، فالواجب التوازن، وكل تدعو حسب علمها وقدرتها.

٢ ـ الإعداد النفسي: بأن تتوفر في الداعية صفات: الإيمان بالله ورسوله، والإخلاص، والتفاؤل، والجرأة في الحق، والاعتزاز بالإسلام، والصبر، ومعرفة حال المخاطبين وبيئاتهم.

وهو إعداد غاية في الأهمية لارتباط وظيفة الداعية بالناس، وهم مختلفون في أديانهم وثقافاتهم وعاداتهم وأخلاقهم وأهوائهم وأهدافهم.

٣ ـ الإعداد الاجتماعي: وهو أن تعيش الداعية الحياة الإسلامية في الأسرة والمجتمع تطبيقًا عمليًا كما تعلمتها نظريًا، وكما تريد للناس أن يكونوا، وذلك بالتزام دين الله (عز وجل)، والتخلق بأخلاق الإسلام، وأخلاق الدعاة بخاصة، وإلا كانت الداعية على هامش المجتمع.

ومن أهم عناصر الإعداد الاجتماعي: الشعور بأن الدعوة حق لجميع الناس يجب بذلها لهم، والصدق والأمانة والكرم والسخاء ـ في

---

١) من الجوانب العلمية الملحّة: ما يخص المرأة من أحكام، وهو أمر تأخر إفراده بالتأليف، فقد كتب ابن الجوزي (رحمه الله) (ت٥٩٧هـ) كتابًا سمّاه «أحكام النساء»، قال في مقدمته: (ولم أر من سبقني إلى تصنيف مثله)، ولـ«صدّيق حسن خان» كتاب: (حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة) وهناك موسوعة نسائية شاملة بعنوان: «المفصّل في أحكام المرأة»، د. عبد الكريم زيدان، غير أن «ابن الجوزي» (رحمه الله) قد ضمّن كتابه ـ على صغر حجمه ـ ما لم يشتمل عليه الكتابان ـ على كبرهما ـ وهو فصل لذكر صفحات نسائية مشرقة في جوانب عدة بمثابة قدوات عملية للمرأة.

حدود ما تملك ـ ، والزهد والعفة، والحلم والعفو، والرحمة، والتواضع، والمودة والتآلف[1].

الثاني: الإعداد التطبيقي:

وهو: تهيئة الداعية بالتدريب العملي على فن الإلقاء، والكتابة؛ لنقل دين الله (سبحانه وتعالى) إلى الناس، عن طريق الخطبة والدرس والمحاضرة والندوة، والكتابة بأنواعها المختلفة.

وهو أمر في غاية الأهمية؛ إذ الإلقاء والكتابة هما وسيلتا مخاطبة الناس بالدعوة، وبهما نحصّل الثمرات المرجوّة من الإعداد النظري، فكم من الدعاة مَنْ يضعف أثره بسبب ضعف إعداده التطبيقي، وقد حصل في هذا الإعداد تقصير كبير، أسهم في قلة الدعاة المؤثرين.

ويقوم هذا الإعداد على أمرين:

أولاً: فن الإلقاء للمحاضرة أو الدرس أو الندوة، أو الكلمة أو الموعظة أو الخطبة.. ونحو ذلك.

ويعتمد على عنصرين:

١ ـ إقناع المستمع بمخاطبة عقله بالأدلة والبراهين.

٢ ـ إثارة عاطفته وأحاسيسه ومشاعره وهما أساس التأثير.

ولكل نوع من أنواع الإلقاء خصائصه ومميزاته وفوائده وأسسه وطريقته الخاصة، ويتطلب الإعدادُ لها جانبين:

أ ـ النظري: بمعرفة أهمية الخطبة ـ مثلاً ـ وأنواعها وصفات الخطيب.

ب ـ العملي: بالتطبيق والإلقاء أمام النساء في خطبة في المسجد أو المدرسة أو مجتمع النساء.. مع مراقبة المتدربة، وملاحظتها وتقويم أخطائها شيئاً فشيئاً.

ثانياً: الكتابة وذلك بإعداد البحوث والمقالات والنشرات... لنشرها في الكتب والمجلات والصحف التي طالت كل الناس، وأخذت جزءاً كبيراً من أوقاتهم، ويعتمد أسلوب الكتابة على عاملين:

١ ـ دقة العبارة وسلامتها.

٢ ـ قوة إقناع القارئ بالمكتوب: بوضوح الدليل، وقوة الاستدلال، والصدق والتوثيق.

وتعد الكتابة من أنسب وأهم الوسائل الدعوية بالنسبة للمرأة؛ إذ يمكنها الكتابة وهي في بيتها، فتستغل بها أوقات فراغها، وتصل بما تكتب

١) انظر تفصيلاً أكثر في رسالة د.أحمد أبا بطين، ص ١٥٣ ـ ٢٤٤ .

إلى جميع طبقات المجتمع. والكتابة كالإلقاء تتطلب إعداداً نظرياً وعملياً ليس هذا مكان تفصيله[١].

ميادين دعوة المرأة:

الإنسان مكوّن من روح وجسد، ويمكن تقسيم عمل الداعية ـ بناء على هذا ـ قسمين:

أولاً: الميادين التربوية: وهي الميادين المتعلقة بتربية الروح وتزكية النفس وتطهيرها بالإيمان، ويمكن من خلالها مخاطبة عقل الإنسان وروحه، وتتمثل هذه الميادين في المساجد والمدارس والمؤسسات والجمعيات الدعوية، ونحوها.

ثانياً: الميادين الاجتماعية، وهي الميادين المتعلقة بتربية الجسد من ناحية النمو والسلامة والصحة النفسية والاجتماعية والجسدية وأخذ الزينة، وتبادل هذه الخدمات بين الناس بما يخدم التربية الروحية؛ لإبراز الشخصية المسلمة، كما أراد الله (عز وجل).

وهذان الجانبان ـ الروحي والجسدي ـ مترابطان، وينبغي الوفاء بهما جميعاً بتوازن؛ لأن تغليب الروح: رهبانيةٌ، وتغليب الجسد: حيوانيةٌ، وكلاهما مذموم، وكم كانت تلبية الحاجات الجسدية سبباً في إسلام وهداية الكثير، وهو أسلوب يركز عليه المفسدون ـ وخاصة المنصّرين ـ اليوم؛ لأنه يصعب على الجائع والمريض والعاري والمشرّد أن يستمع لك ويعي كلامك، بل يكاد ذلك أن يكون محالاً[٢].

وسائل دعوة المرأة:

يمكن للداعية أن تبث دعوتها في الميادين التربوية والاجتماعية من خلال الوسائل التالية:

١ ـ المنزل: وهو الميدان الخصب، والوسيلة الأبلغ تأثيراً، ولا غرو أن الله جعل كلاً من الزوجين راعياً في بيته، وسيسأله الله عن أهله وزوجه، وأمرهما بوقاية الأهل من النار، ومهما حصل من تقصير من أهل المسؤولية في الدعوة من خلال الوسائل الأخرى، فإن ذلك مما يزيد مسؤولية الأبوين. والأم لها نصيب كبير ـ كما تقدم ـ والمسؤوليات التي تشارك فيها الرجل كثيرة أهمها: مسؤولية التربية الإيمانية، والعلمية، والخلقية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والجنسية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله (تعالى).

ويتميز المنزل عن بقية الوسائل

---

١) لمعرفة تفاصيل الخطوات العملية للإعداد، انظر رسالة د. أبا بطين، ص ٢٤٥ ـ ٢٩٨.
٢) انظر الميادين مفصلّة، في مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة، ص ٤٣٢ ـ ٤٥٩.

باجتماع أفراد الأسرة فيه لساعات طويلة، والتوافق النفسي والاجتماعي بينهم، مما يتيح إمكانية عرض القدوة الصالحة، والتأثير عبر التوجيه الموزع غير المباشر، والملاحظة المستمرة، والاستفادة من سائر الفرص والأحوال وتأثير التوجيه والعقاب؛ لكونه بعيداً عن أعين الناس.

٢ ـ **المجتمع**: من خلال الإحسان إلى ذوي القربى والجيران والمحتاجين، ودعوتهم وتوجيههم، مما يوحي بترابط أفراد الأمة، وكونهم كالجسد الواحد.

٣ ـ **المدرسة**: من خلال استغلال المناهج الدراسية، والأنشطة المدرسية في توجيه الطالبات، وتربيتهن، والعمل على توجيه المدرسات والعاملات وإصلاحهن.

٤ ـ **المسجد**: حيث يجوز للمرأة الحضور إليه بإذن زوجها، ـ ولا ينبغي له منعها إذا استأذنته ـ للاستفادة مما يلقى فيه، ومن القدوة الصالحة؛ حيث يرتاد المسجد النخبة من الناس، وهو مكان مناسب لأنشطة نسائية مفيدة من حلقات تحفيظ القرآن، وتعليم العلم الشرعي النافع وغيرها.

٥ ـ **المستشفيات والسجون ومراكز الرعاية الاجتماعية**[١].

وعوداً على بدء أقول: إن المقصود بالكلام هو العمل، ولا مكان اليوم للكسالى ولا النائحين. إن إعداد المرأة ميدانُ تنافسٍ كبير، تتسابق فيه الأمم والشعوب والملل والمذاهب.

انظر مثلاً: كتاب (المرأة وبرنامج التثقيف ـ المجالس الحسينية نموذجاً) لـ (عالية مكي) لترى أن الرافضة ينتقلون من مرحلة النياحة، إلى مرحلة أخرى من البناء والتثقيف والإعداد والتربية؛ ليقينهم أن العواطف لا تجدي شيئاً في عالم الصراع اليوم.

ولقد وعت الصوفية هذه الحقيقة، فسعت إلى إقامة حركة نسائية، امتدت في بلدان عدة، تقوم بتربية المرأة تربية تتفق مع المنهج الصوفي.

فأين المتحرقون من أهل السنة والجماعة حقاً لواقع المرأة المسلمة حتى لا تكون صيداً سهلاً للمنصِّرين وللرافضة والمبتدعة؟

وبعد: **فما زالت المرأة تتطلع إلى المزيد من عناية العلماء والدعاة بها، كما أن الصحوة تنتظر من المرأة الكثير والكثير من التوجيه والإرشاد السليمين من الإفراط والتفريط.**

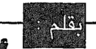
وما نيل المطالب بالتمني.

والله من وراء القصد.

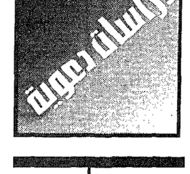
---

١) انظر: المصدر السابق، ص ٤٦٠ ـ ٥٢٠.

الفرار إلى الله
حقيقته والسبيل إليه(*)



عبد العزيز بن ناصر الجليل(**)



إن الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن الناظر اليوم بعين البصر والبصيرة في واقع الأمة الإسلامية وما حل بها من مصائب وويلات وفتن عظيمة على مستوى كثير من الأفراد والمجتمعات ليأخذ به الأسى والتوجع مأخذاً بعيداً حتى إن اليأس ليوشك أن يحيط به لولا عظيم الأمل في وعد الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ الذي يقول فيه: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1]. ومما يُذهب اليأس ويعزي النفوس أيضاً معرفة المسلم بسنن الله عز وجل، في عباده، وإدراك أن ما أصابنا من المصائب والفتن العظيمة إنما هو من عند أنفسنا، وبسبب ذنوبنا، وبما طرأ على حياتنا من بعد عن الله عز وجل، ونسيان للآخرة، وانغماس في الملذات، وإقبال على الدنيا والجري وراءها والانغماس في متاعها، مما انتشر بسببه كثير من المعاصي والفتن التي انجرف فيها الكثير إلا من شاء الله.

وما دام أن الداء قد عرف والمرض قد شُخِّص فلا يبقى أمام من ينشد النجاة

(*) توقفنا عن نشر مقتطفات من بحث الكاتب الكريم في وقفاته التربوية القرآنية مع قوله تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾ بعدما صدر البحث مؤخراً في كتاب. ونواصل مقتطفات أخرى مع بحث الكاتب الجديد: ﴿ففروا إلى الله﴾ وهذه الحلقة الأولى منه. ـ البيان ـ

(١) البخاري (٦/ ٦٣٢) الفتح، مسلم (١٣/ ٦٦) النووي.

لنفسه ولأمته إلا مباشرة العلاج؛ وذلك بالفرار إلى الله عز وجل، والإنابة إليه، والاعتصام به سبحانه كما أمر في كتابه العزيز بقوله: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وهذا الفرار يعني ترك أسباب سخطه إلى أسباب مرضاته، والفرار من عقوبته إلى معافاته، ومنه إليه سبحانه كما جاء ذلك في دعاء سيد المرسلين والمتقين ﷺ حيث قال: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[١].

من أجل ذلك جاءت فكرة الاهتمام بهذه القضية المهمة من الوقفات التربوية القرآنية، وعلى هدي من تلك الآية الكريمة. ودافعي لذلك أسباب لعل من أهمها:

١ ـ انفتاح الدنيا الشديد، وتغلب الجانب المادي على حياة أكثر الناس وما ترتب على ذلك من لهث وتكالب على حطامها دون تمييز بين حلال وحرام، وطيب وخبيث؛ فحصل التنافس الشديد على حطامها، وصار الحب والبغض من أجلها، بل والقتال عليها. نسأل الله السلامة.

وحصلت الغفلة الشديدة عن الآخرة والغاية التي من أجلها خلقنا، وتحولت هذه الدنيا الفانية من كونها خادمة ومملوكة إلى أن تكون مالكة مخدومة. لذا فمن موجبات النصيحة التحذير من فتنة الدنيا وغرورها، والفرار منها إلى الله عز وجل والدار الآخرة، وتنبيه الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد للرحيل إلى دار البقاء والحياة السرمدية.

٢ ـ ظهور المنكرات في أغلب البلدان، وانتشار الفساد بشكل ينذر بالخطر والعقوبة إن لم يتدارك الله عز وجل عباده ويرحمهم بالرجوع إليه وإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك ببعث الناصرين لدينه والصابرين على ما أصابهم في ذلك ابتغاء رضوان الله عز وجل.

٣ ـ ظهور الفتن المتلاطمة في هذا الزمان والتي يرقق بعضها بعضاً، ورؤية المتساقطين فيها ما بين هالك فيها بقلبه أو بلسانه أو بيده؛ حتى أصبح المسلم يخشى على نفسه في أي لحظة أن يزل فيها ويسقط، وصار هجيراه قولَ: (ربِّ سلِّمْ سلِّمْ) و ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣]

(١) أبو داود في الصلاة (١٤٢٧) ـ والترمذي في الدعوات.

دراسات دعوية

وغدت هذه الفتن من الكثرة بحيث أصبح من يريد لنفسه النجاة لا يدري بأيها يبدأ بالمقاومة، أم من أيها يفر إلى الله عز وجل: أمن فتنة الدنيا وزينتها ومناصبها، أم من الفتنة بالعلم وآفاته ومبطلاته، أم من فتنة البدع والمعاصي التي طمت وعمت، أم من الفتنة العمياء التي تدور رحاها اليوم بين المسلمين حيث دب فينا داء الأمم من الفرقة والشحناء والأهواء والحزبيات الكريهة، حتى صار كل حزب بما لديهم فرحين؟ وإن مما يزيد هذه الفتنة عمًى وشدة أنها في صفوف الطائفة المنصورة: طائفة أهل السنة والجماعة. وإن لم يتداركنا الله برحمته، ويسعى المخلصون من أهل السنة في إخماد هذه الفتنة فإن أمام الأمة ليلَ فتنةٍ طويلاً ثقيلاً يفرح به أعداء الإسلام ويستبشرون بذلك في مزيد من التسلط والاستعلاء. ولعل في طرح هذا الموضوع إسهامًا متواضعًا في التماس أسباب النجاة من هذه الفتنة الصماء والداهية الدهماء، وغيرها من الفتن.

٤ ـ الغربة الشديدة على الإسلام وأهله في أكثر بلدان المسلمين، حيث نُحِّيَ شرع الله، وتسلط الأعداء على أهل الغربة بالنكال والأذى؛ فقلَّ النصير والمعين، ونجم النفاق؛ حتى استوحش أهل الغربة من هذه الحال؛ فكان لا بد من التواصي معهم على الحق والصبر، لعل الله عز وجل، أن يثبت القلوب، وينجي من الفتن، ويكشف الكربة، وينصر حزبه المؤمنين.

٥ ـ التأكيد على الرجوع إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبينا محمد ﷺ في التماس سبل النجاة من الفتن والمهلكات، ولفت الأنظار إليهما بعد أن ابتعد كثير من الناس عنهما، والتأكيد أنه ما من خير إلا دلاً عليه، وما من شر إلا حذّرا منه. قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، كما أن السنة النبوية ما تركت من فتنة ولا شر يأتي على هذه الأمة إلى قيام الساعة إلا وألمحت إليه، وحذرت منه، وحددت سبيل النجاة منه؛ فلا عذر لنا في ترك ما فيه حياتنا وسبيل نجاتنا: كتابِ الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

وشيء آخر يتعلق بهذا الأمر ألا وهو لفت الأنظار إلى ذلك الانقياد العظيم من سلفنا الصالح لهدي الكتاب والسنة في الفرار من الشرور والفتن وضرورة الاطلاع الدائم على تلك المواقف العملية الموفقة من سلفنا الصالح إزاء الفتن، والزوابع، وضرورة الاقتداء بهم في تلك المواقف النبيلة المهتدية بالكتاب والسنة، وهذا ما سيرد ذكره في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

■ وقفة مع تفسير قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾:

قال الله عز وجل في سورة الذاريات: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية:

لما تقدم ما جرى من تكذيب الأمم لأنبيائهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد؛ أي قل لقومك: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي فروا من معاصيه إلى طاعته.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى معلقاً على الآية نفسها:

(فلما دعا العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشيته، والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه. أي: الفرار مما يكرهه الله، ظاهراً وباطناً؛ إلى ما يحبه، ظاهراً وباطناً، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر. فمن استكمل هذه الأمور؛ فقد استكمل الدين كله، وزال عنه المرهوب، وحصل له غاية المراد والمطلوب).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في (منزلة الفرار):

(قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ فحقيقة الفرار: الهرب من شيء إلى شيء. وهو نوعان:

فرار السعداء: الفرار إلى الله عز وجل. وفرار الأشقياء: الفرار منه لا إليه)[١].

وأغلب أقوال المفسرين لا تخرج عن تلك المعاني السابقة في تفسير الآية، فكلها ترجع إلى معنى واحد في أن المقصود هو: الفرار من المعصية إلى الطاعة؛ أي: الفرار من أسباب غضب الله تعالى إلى أسباب رحمته. والمراد منه الفرار من غضب الله عز وجل وما يترتب عليه من العقوبة، إلى رحمته وما يترتب عليها من المعافاة.

ومن الآيات التي تدخل في معنى الفرار واللجوء إلى الله عز وجل:

● قوله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

---

(١) مدارج السالكين: (١/ ٤٦٩).

دراسات دعوية

● وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات: ٩٩].

● وقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فاللجوء إليه سبحانه والذهاب والهجرة إليه، والمسارعة إلى مغفرته وجناته: كلها من معاني الفرار والهجرة إليه سبحانه؛ وذلك بتوحيده والسعي إلى مرضاته وجنته هرباً من سخطه وعقوبته؛ وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (وله في كل وقت هجرتان **هجرة** إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار في كل نفس إليه. **وهجرة** إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته)[1]. أهـ.

ومن الأحاديث الواردة: في معنى الفرار إلى الله عز وجل واللجوء إليه:

- قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

ومنها أيضاً: ما رواه الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[3].

وسيأتي شرح الحديث عند الكلام عن العزلة وضوابطها إن شاء الله تعالى.

■ **الفتن وأسباب السقوط فيها:**

وقوع الفتن سنة ربانية لا تتبدل كما في قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]. وقد كتبها الله عز وجل على عباده لحكم عظيمة: منها تميز المؤمنين من غيرهم، ومنها تكفير

---

(١) مقدمة طريق الهجرتين: ص ٩ . ط. دار الحديث.

(٢) رواه مسلم (٤٨٦) في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٣) البخاري في كتاب الفتن (٧٠٨٨).

السيئات ورفع الدرجات، ومنها غير ذلك مما لا نعلمه. فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً؛ فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر مرباداً، كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[1]. والحديث عن الفتن وأسبابها يتطلب إفراد كلمة (الفتن) بالتعريف والشرح، وتوضيح الفرق بين مدلولاتها.

(فالفتن): وهي بكسر الفاء وفتح التاء، جمع فتنة، قال الأزهري: جماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: «فتنت الفضة والذهب» أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

أي يحرقون بالنار، وقال ابن الأنباري: فتنت فلانة فلاناً، قال بعضهم: أمالته.. قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] أي يميلونك... فتنت الرجل عن رأيه أي أزلته عما كان عليه.... والفتنة: الإثم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩] وأما قول النبي ﷺ: «إني أرى الفتن خلال بيوتكم»[2] فإنه يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزبوا، ويكون ما يبلون به من زينة الدنيا وشهوتها فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها. والفتنة الإضلال في قوله تعالى: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ..﴾ [الصافات: ١٦٢] يقول ما أنتم بمضلين إلا من أضله الله.. والفتنة العذاب نحو تعذيب الكفار ضعفة المؤمنين في أول الإسلام ليصدوهم عن الإيمان، والفتنة الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق، وقيل: الفتنة: الغلو في التأويل المظلم. يقال: فلان مفتون بطلب الدنيا أي قد غلا في طلبها. وجماع الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان)[3]. ا. هـ.

(١) مسلم: كتاب الإيمان (١٤٤).

(٢) البخاري كتاب المناقب (٣٥٩٧). (٣) تهذيب اللغة (١٤/٢٩٧-٢٩٩) (باختصار).

مما سبق بيانه يتحصل لدينا أن الفتنة تطلق ويراد منها معان كثيرة تدل على كل معنى منها، ويعرف حسبما ورد بالسياق والقرائن، ومن هذه المعاني:

١ - الابتلاء والامتحان. ٢ - الميل عن الحق. ٣ - الإثم.
٤ - القتل والحرب. ٥ - الاختلاف والفرقة. ٦ - الإضلال.
٧ - الكفر. ٨ - العذاب، وغير ذلك من المعاني المذمومة.

والآن وبعد أن تبين لنا معنى الفتنة وما يتفرع عنها من المعاني، وبعد أن تبين لنا خطرها وذم الشرع لها، وجب الحذر منها والهرب والفرار والفزع إلى الله عز وجل من شرورها. ومما يساعد على البعد عنها والنجاة منها إذا وقعت معرفة أسبابها والطرق المؤدية لها؛ لأن معرفة أسباب السقوط فيها تعين على النجاة منها بإذن الله عز وجل.

■ **أسباب السقوط في الفتن:**

الأسباب المؤدية إلى ملابسة الفتن والسقوط فيها كثيرة؛ لكنها لا تخرج في مجموعها عن سببين هامين يرجع إليهما جميع الأسباب. وقد ذكر هذين السببين الإمامان الجليلان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، رحمهما الله تعالى، وعبرا عن ذلك بأسلوبين مختلفين لفظًا لكنهما متفقان في المعنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(ولا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر. فالفتنة إما من تَرْك الحق، وإما من ترك الصبر)[1].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (الفتنة نوعان: فتنة الشبهات. وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات.

وقد يجتمعان للعبد. وقد ينفردُ بإحداهما).

وهما ما ذكره شيخ الإسلام نفسه من الأسباب. فالشبهة إنما تنشأ من ترك الحق والجهل به، بينما تنشأ الشهوة من ترك الصبر أو ضعفه.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فسادُ القصد، وحصول الهوى.

(١) الاستقامة (١/ ٣٩).

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فَهْمٍ فاسد، وتارةً من نقلٍ كاذب، وتارةً من حق ثابت خَفيَ على الرجل فلم يَظْفر به، وتارةً من غرض فاسد وهوى مُتبع، فهي من عمى في البصيرة، وفسادٍ في الإرادة.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿ **كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٩].

أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها. والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال: ﴿ **وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا** ﴾ [التوبة: ٦٩] فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاق، والخوضِ بالباطل؛ لأنَّ فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو البدع وما والاها، وهو فساد من جهة الشبهات. والثاني: فسقُ الأعمال، وهو فساد من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: «احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه» وكانوا يقولون: «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»[1].

ويمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يلي:

١ ـ ترك الحق وعدم السعي للعلم به أو عدم إصابته بسبب شبهة أو تأويل فاسد؛ ومن هنا تنشأ الفتنة بسبب الجهل أو الفهم الفاسد.

وهذا ما عبر عنه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بقوله: (ترك الحق)، وعبر عنه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله: (فتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم).

٢ ـ ترك الصبر: وأصل الفتنة في هذا السبب هو عدم الصبر على الحق؛ فصاحب هذه الفتنة لا ينقصه العلم بالحق بل يعلمه ولا يجهله؛ ولكنه تركه ضعفًا وشهوة، وهو يعلم من نفسه أنه تارك للحق.

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٦٥ – ١٦٧ (باختصار).

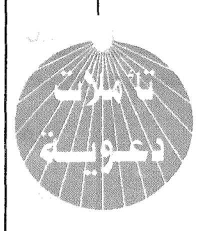
بين العمل المؤسسي والعمل الفردي

بقلم : عبد الله المسلم

لم يعد اليوم مجالاً للنزاع - في الساحة الفكرية على الأقل - أن العمل المؤسسي خير وأولى من العمل الفردي الذي لا يزال مرضاً من أمراض التخلف الحضاري عند مجتمعات المسلمين، وقد يرث الدعاة إلى الله شيئاً من هذه الأمراض من مجتمعاتهم باعتبارهم نتاجاً لها، ومن ثم فأنت تجد عناصر منتجة في المستوى الفردي أكثر مما تجدها ضمن أولئك الذين يجيدون العمل الجماعي، وكثير من الأعمال التي تصنف أنها ناجحة في الميدان الإسلامي وراءها أفراد.

إن العمل المؤسسي يمتاز بمزايا عدة على العمل الفردي منها :

١ - أنه يحقق صفة التعاون والجماعية التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢]، وقوله ﷺ : « يد الله مع الجماعة »(١) وقوله ﷺ : « إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »(٢) .

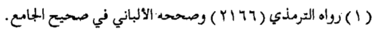


والعبادات الإسلامية تؤكد على معنى الجماعية والتعاون، كل ذلك يبعث رسالة للأمة مفادها أن الجماعة هي الأصل.

٢ - عدم الاصطباغ بصبغة الأفراد، ذلك أن العمل الفردي تظهر فيه بصمات صاحبه واضحة، فضعفه في جانب من الجوانب، أو غلوه في آخر، أو إهماله في ثالث لا بد أن ينعكس على العمل، وقد يقبل بقدر من الضعف والقصور في فرد باعتبار أن الكمال عزيز، والبشرية صفة ملازمة للعمل البشري، لكن لا يقبل المستوى نفسه من القصور في العمل الجماعي المؤسسي، وإن كان لا بد فيه أيضاً من قصور، فقد يقبل من مصلح وداعية

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع.


(٢) رواه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

معين أن يكون لديه قصور وضعف في الجانب السياسي أو الاقتصادي مثلاً باعتبار أن الفرد لا يمكنه الإحاطة بكل ذلك، لكن ذلك لا يقبل من مؤسسة دعوية بأكملها؛ إذ هي قادرة على تحقيق هذا التكامل من خلال مجموع أفرادها.

٣ ـ الاستقرار النسبي للعمل، أما العمل الفردي فيتغير بتغير اقتناعات الأفراد، ويتغير بذهاب قائد ومجيء آخر، يتغير ضعفاً وقوة، أو مضموناً واتجاهاً.

٤ ـ يمتاز العمل المؤسسي بالقرب من الموضوعية في الآراء أكثر من الذاتية؛ ذلك أن جو المناقشة والحوار الذي يسود العمل المؤسسي يفرض على أصحابه أن تكون لديهم معايير محددة وموضوعية للقرارات، وهذه الموضوعية تنمو مع نمو النقاشات والحوارات، أما العمل الفردي فمرده قناعة القائم بالعمل.

٥ ـ العمل المؤسسي أكثر وسطية من العمل الفردي؛ إذ هو يجمع بين كافة الطاقات والقدرات التي تتفاوت في اتجاهاتها وآرائها الفكرية مما يسهم في اتجاه الرأي نحو التوسط غالباً، أما العمل الفردي فهو نتاج رأي فرد وتوجه فرد، وحين يتوسط في أمر يتطرف في آخر.

٦ ـ الاستفادة من كافة الطاقات والقدرات البشرية المتاحة، فهي في العمل الفردي مجرد أدوات للتنفيذ، تنتظر الإشارة والرأي المحدد من فلان، أما في العمل المؤسسي فهي طاقات تعمل وتبتكر وتسهم في صنع القرار.

٧ ـ العمل المؤسسي هو العمل الذي يتناسب مع تحديات الواقع اليوم، فالأعداء الذين يواجهون الدين يواجهونه من خلال عمل مؤسسي منظم، تدعمه مراكز أبحاث وجهات اتخاذ قرار متقدمة، فهل يمكن أن يواجه هذا الكيد بجهود فردية؟

بل إن العمل التجاري المؤسسي اليوم أكثر نجاحاً من العمل الفردي.

كل ما سبق يؤكد قيمة العمل المؤسسي، وضرورة ممارسته وتجاوز الفرديات، وهذا لا يعني بالضرورة أن العمل المؤسسي معصوم من الخطأ والخلل، لكن فرص نجاحه أكثر من العمل الفردي، واحتمال الخلل في العمل الفردي أكثر منه في العمل المؤسسي.

وفي العدد القادم بإذن الله حديث حول عوامل نجاح العمل المؤسسي.

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



حكم بيع الأراضي العربية لليهود:

رجل مسلم يملك قطعة أرض فضاء، طمع يهودي في شرائها..، فهل يجوز بيعها له شرعاً ؟ وقد أجاب على الاستفتاء فضيلة الشيخ حسنين مخلوف مفتي مصر الأسبق.

الجواب: إن السياسة الصهيونية تقوم على انتزاع البلاد العربية من أهلها، وإجلائهم عنها بطريق التملك الفردي؛ فيتقدم اليهودي إلى العربي لشراء عقاره بثمن يغريه، فيقع في الشَّرَك، ويتم الصفقة، ثم يتقدم يهودي آخر إلى مالك آخر عربي بمثل ذلك، حتى إذا أحاطوا بالقرية ورسخت أقدامهم فيها، وكثر عديدهم بها، أرغموا الباقين من العرب على الهجرة منها بشتى الوسائل الوحشية.

وهكذا ينتقلون من قرية إلى أخرى حتى تسلم البلاد لهم، فيمسي أهلها العرب وقد جردوا من أملاكهم، وحرموا من أقواتهم، وأُجْلوا عن أوطانهم، وشُرِّدوا في الآفاق عشرات الآلاف شر مشرَّد، يعانون الجوع والعري والفاقة، ويشربون كأس الذل دهاقاً.

فعل اليهود ذلك في فلسطين، ويرومون تنفيذ هذه السياسة في مصر وغيرها من البلاد العربية الإسلامية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، في ضعة ومذلة، وسكون ومسكنة، حتى إذا تم لهم الأمر ولو بعد سنين، لبسوا جلود النمور، وكشروا عن أنياب الشره والانتقام، وأحالوها فلسطين أخرى.

وقد أعدوا العدة لذلك ونحن أغفال نيام ننخدع بمسكنتهم، ونغتر بظواهر أحوالهم، ونظن أنهم قلة لا يقدرون على كيد، والله يعلم، والتاريخ يشهد أن يهود العالم عصبة واحدة يشد بعضهم أزر بعض، وينفذون كل ما ترسمه قيادتهم العامة في الوطن الذي يعيشون فيه ويقتاتون منه، مهما أضر ذلك بأهل الوطن، تلك هي نتيجة بيع الأراضي العربية لليهود.

والآن وقد وضحت هذه السياسة الخبيثة والخطط الماكرة بأجلى برهان، يجب أن يكف المسلم عن بيع ملكه لليهودي مهما أغراه الثمن؛ وإلا كان بهذا البيع معيناً لألد عدو على ضياع بلاد الإسلام، وتمكين أبغض عباد الله إلى الله من التحكم في ديار المسلمين ورقابهم وأموالهم وأعراضهم بأبشع صور وأدنسها، وهذه معصية ظاهرة.

إن كل ربح يناله اليهودي في بلادنا قوة له وعُدَّة، وإذا كان على كل يهودي في

العالم قسط من المال يؤديه لـ (إسرائيل) لإعزازها وتمكينها من القضاء على العروبة والإسلام، لا في فلسطين وحدها، بل فيها وفي سائر الأقطار الإسلامية، وجب أن لا يمكن من ربح يربحه ببيع أو شراء، وإلا كان ذلك وبالاً ومضرة بالمسلمين.

اليهودي يحرِّم على نفسه ويحرم على أهل دينه وقادة شعبه أن يُخرِج من جيبه مليمًا واحداً لمنفعة مسلم إلا إذا جر له ذلك ربحًا مضاعفاً.

واليهودي يحرم على نفسه أن يسدي النصح لمسلم بما ينفعه في دنياه، وأن يدع مسلماً ينعم بخير دون أن ينغص عيشه ويمتص دمه ويستنزف ماله؛ ومن أجل ذلك أشاعوا الربا بين المسلمين، وقد حرصوا عليه، وقد نُهوا عنه، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** ﴾ [النساء: ١٦١] وقوله تعالى: ﴿ **..أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ..** ﴾ [المائدة: ٤٢].

واليهودي يحرم على نفسه أن يبيع عربياً أو مسلماً شبراً من أرض فلسطين مهما بذل من ثمن، فما بالنا قد عميت أبصارنا عن هذه الحقائق، وصمت آذاننا، عن سماع الأنباء الصادقة عن هذه الخطط الشنيعة الماكرة في ديارنا، وأفسحنا لهم مكان الصدارة في اقتصادياتنا وتركناهم يتحكمون في تجاراتنا وأسواقنا، وهم ألد أعدائنا كما قال تعالى: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾ [المائدة: ٨٢].

لا تبيعوا لهم أيها المسلمون شيئاً من أملاككم مهما بذلوا من ثمن، واحذروهم في دياركم؛ فإنهم أول الناس حرباً عليكم وخيانة لكم، واعلموا أن البيع لهم معصية لله، لما فيه من التقوية والتمكين لهم في الأرض، وذلك يسبب خطراً عظيماً لجماعة المسلمين وقد حرم الشارع كل بيع أعان على معصية، ولذلك حرم بيع عصير العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً؛ فعن أبي هريرة عند أبي داود، وعن ابن عباس عند ابن حبان، وعن ابن مسعود عند الحاكم، وعن بريدة عند الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن أحمد بن أبي خيثمة بلفظ: « من حبس العنب أيام القطف حتى يبيعه من يهودي أو نصراني أو من يتخذه خمراً فقد تقحم النار على بصيرة » حسنه الحافظ في بلوغ المرام، واستدل به في المنتقى على تحريم كل بيع أعان على معصية. ا. هـ. من نيل الأوطار للشوكاني.

ومن هذا يعلم السائل وغيره أنه لا يجوز بيع أرضه لليهودي؛ لأنه مظنة الإضرار بجماعة المسلمين عامة، وقد علمت أن اليهود عصبة واحدة، وأنهم جميعاً صهيونيون يدينون لإسرائيل، وبالكيد للعرب والمسلمين بشتى الوسائل، في أقل الأشياء وأحقرها فضلاً عن أكثرها وأعظمها. والله أعلم.

رسالة إلى مجاهد (*)

أشرعتَ في وجههم رمحاً فما قدروا ... أن يكسروه.. وهم في دارهم كُسِروا
أصبحتَ طوداً على أنفاسهم.. وغدا السـ ... ـجان في إِمرة المسجون يأتمرُ
رموك في حفرة.. فارتدَّ باطلهُم ... واكتظت الحفرة الملأى بمن حفروا
بالرغم من فرحتي يبقى بذاكرتي ... ذاك السؤال الذي قد شابَهُ الكدَرُ:
إن عدتَ من أسرك الموقوت هل رجعتْ ... من أسرها أمتي العزلاء... يا نمرُ؟
قد غيَّبوها لتغدو الأرضُ غابتَهم ... تسعى الوحوش.. فلا تبقي ولا تذرُ
غابت فكشَّرت الأصنامُ ساخرةً ... لما رأتْ أمةَ التوحيد تندحرُ
غابت.. وذنبك - يا موسى - محاولة ... لكي تعود إلى ميدانها مضرُ
مذ غاب عنها لواء (المصطفى) قَبَعَتْ ... خجلى على ضِفّة التاريخ تنتظرُ
قد كان (عنترة) المغوارُ فارسَنا ... قد كان.. لكنه كالوهم يندثرُ
تلقاه يستطلع (التلفاز) منبطحًا ... وقد سَبَتْ عقلَه الأشكالُ والصورُ
في غفلة يحلبُ (الريموتَ) منذهلاً ... عن حب (عبلة).. لا عشقٌ ولا وطرُ
ولا زئيرٌ بظهر الخيل صاهلةً ... ولا سيوفٌ كشُهْبِ الليل تنحدرُ
وتلك (عبلة) والأطفال في سغبٍ ... في موكب (الخبز).. في الطابور) تنعصرُ
لعلها بعد لأي في مذلتها ... يجني بنوها رغيفَ الخبز.. إن قدروا
قد كان (خالدُ) سيفُ الله قائدنا ... وكل غاز لنا بالرعب ينجحرُ
لكن أحفاده هانوا.. فهان على ... أعدائنا البطش والطغيان والصعَرُ

(*) أعني المجاهد الفلسطيني العائد من الأسر محرراً الأستاذ موسى أبو مرزوق، وفقه الله.

شعر : فيصل بن محمد الحجي

يا ويحهم. .سَرَبُ الضحضاح يغرقُهم وفي خضمّ الردى أجدادهم مخروا

رُبّوا كتربية الجرذان. . حين دنا سقفُ المذلة كالأقزام قد قصروا

رُبّوا كما شاء (حاخام) اليهود لهم حتى يكون لإسرائيله الظفرُ

هُبّي (حماسُ) فما في القوم من أمل من بعد ما رضعوا الإذلال. . بل سكروا

من بعد ما عاد (فرعون) الجبان إلى طغيانه. . . وعبيد الغيّ قد سدروا

يلغون يلغون. . لا يُصغي لهم أحد ومن يصيخ لأصفار وإن كثروا. .؟

هذي الديار بها سارت مواكبنا بالعز والخير. . حتى جَلّت السِّيَرُ

واخضر صخرُ بواديها التي ازدهرت من حين كبّر في أجوائها (عمرُ)

كم شَدّ في (الحرمين) الحقُّ رايتنا في ظلها ننقذ (الأقصى) وننتصرُ

لا تعبئي برموز البخل إن حبسوا عنك المعونة. . ها قد أورق الحجرُ

لا تعبئي بحشود الكفر إن قتلت أسخى رجالكِ. . فالأطفال قد كَبِروا

فالله أقوى وإن شدوا وإن حشدوا والله أدرى وإن كادوا وإن مكروا

* * *

موسى. . . رجعتَ إلى الميدان منتصراً رغم الألى نكثوا بالعهد. . أو غدروا

فارفعْ عصا الحق. . واضربْ لا تجامل مَنْ قد أحبطوا ثورةَ الأشبال أو نخروا

وقل لهم : بعصا (موسى) سنفضحكم كما أذلت عصا (موسى) الألى سحروا

معالم إسلامية

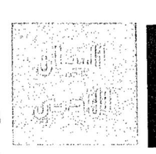
في شعر محمود غنيم

بقلم :

د. صابر عبد الدايم

إن الشاعر « محمود غنيم » يُعَدُّ في الطليعة من أولئك الشعراء الكبار .. الذين أخلصوا لفن الشعر .. وهو فن العربية الأول .. وهو ديوان العرب .. وسجل أمجادهم، ومناط فخارهم... ولقد كان الشاعر « محمود غنيم » ـ رحمه الله ـ وسيظل « في طليعة من أنجبتهم مصر من شعراء العربية وأدبائها، فحولة وأصالة، وصدقًا والتزامًا، فقد تميز شعره بغزارة الفكر، والثقافة الواسعة، والصياغة المحبوكة؛ لمعرفته بأصول اللغة العربية، وأسرارها، وحلاوة الإيقاع لحسه المرهف وشاعريته الأصيلة ».

وتمثل الرؤية الإسلامية في شعر « محمود غنيم » تيارًا رئيسًا في مرحلته الشعرية الخصبة الممتدة.. وآيةُ ذلك: أن ديوانه الأخير الذي أعدَّه وَبوَّبه، ثم طُبع بعد وفاته، جعل عُنْوانَه: (مع الإسلام والعروبة)، وكأنه يعلن أن الرؤية الإسلامية من خلال التصور الإسلامي هو المنهج الذي ارتضاه سلوكًا .. وتعبيرًا فنيًا يقدم من خلاله خطابه الأدبي للناس ..، وهو على يقين أن الرؤية الإسلامية في الشعر المعاصر لا تقتصر على الشعر الديني المباشر المتمثل في شعر المناجاة والتضرُّع، وشعر الوعظ..، وكذلك تستوحي هذه الرؤية جَوَّ الحضارة الإسلامية في مواقفه وشخوصه، وأماكنه وأزمنته، ولا تَرْوي هذه الرؤية الشعريةُ الإسلاميةُ في صياغتها الفنية التاريخَ في صورة سردية



تقريرية، بل تمتزج بروح ذلك التاريخ، وتشكل منه واقعًا له شخصيته ونفاذه وتأثيره.

وحين نرْصد المظاهر الإسلامية في شعر الشاعر «محمود غنيم» ندرك أنه يخصص جانبًا من دواوينه، ويجعله تحت هذا المسمَّى: «إسْلاميات».. وأرى أن هذا التخصيص يفرض حصاراً على رؤية الشاعر الإسلامية.. ويُقيِّدها؛ لأن الشاعر، مهما تعددت أغراض الشعر لديه في دواوينه، فهي تدور حول محور الإسلام، منه تنطلق، وإليه تعود.

وقد نشأ الشاعر في بيئة دينية محافظة، وبدأ تعلُّمه في الأزهر، وفي مدرسة القضاء الشرعي، وفي دار العلوم..

هذه البيئات كان لها أثرها العميق في توجه الشاعر، وفي اتساع آفاق الرؤية الإسلامية وتأثيرها في شاعريته، وهو يصور هذه المعالم الرئيسة في تكوين وجدانه، وصقل مواهبه.. فيقول منوِّهًا بقريته (مليج) وبالمعاهد العلمية التي تلقى فيها العلم:

سلام عليها في (مليج) مثابةً	حفظت بها السبع القصار المثانيا
سلام على (دار القضاء) وأهلها	وربْع من العرفان أصبح خاويا
لقد وأدُوها منذ خمسين حجة	وما زال قلبي غائر الجرح داميا
سلام على (دار العلوم) وعهدها	وهيهات هذا العهد يرجع ثانيا
رياض غَرفْتُ العلم من غرفاتها	وأوْدَعْتُ فيها بضعة من شبابيا
أروح إليها كل يوم وأغْتدي	إلى العلم عطشانًا من العلم راويا

ورؤية «محمود غنيم» الشعرية الدائرة في فلك التصور الإسلامي يمكن أن نحدد بعض معالمها في الظواهر الآتية:

أولاً: الرؤية الحضارية للمدّ الإسلامي:

وهذه الرؤية الحضارية للوجود الإسلامي في بعض تجاربه الشعرية يبثها من وحْي زيارته للأراضي المقدسة حين قام بأداء فريضة الحج.. فهو يبث المكان

أشْجانه، ويشتاق إلى المشاعر المقدّسة، وفي الوقت ذاته: لا ينسى واقع المسلمين، فيدعوهم أن يكونوا على قلب رجل واحد، وأن يكونوا أمة واحدة كما أراد لهم الله (عزَّ وجل). يقول «محمود غنيم»:

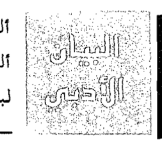
دَارَ النبوة ذَنْبي عنك أبعدني ... وحسن ظنِّي بربِّي منك أدْناني
ما غبْت عنِّي وإن لم يمتلئْ بصري ... من أهلك الصِّيد أو من رَبْعكِ الغاني
قد كنتُ ألقاكِ في لَوْحي وفي كُتُبي ... وفي سطور أحاديثي وقرآني
ما زلتِ رسْمًا جميلاً في مخيّلتي ... حتى كأنَّا التقينا منذُ أزمانِ

ثم يشيد الشاعر بفضل رسالة الإسلام التي انطلقت من مكة المكرمة ومن المدينة المنورة.. ويصور ذلك متأثرًا بمهنته في رحاب التربية والتعليم:

هنا بنى المصْلحُ الأميُّ جامعةً ... على أساسين من علْم وعرْفانِ
ربَّى العتيق أبا بكرٍ بها.. وأبا ... حفْصٍ، وربَّى عليًّا، وابنَ عَفَّانَ
طُلاَّبُها في ربوع العالم انتشروا ... مبشرين بإصلاح وعُمْران
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب فما ... أحسَّ شعب بجورٍ أو بطغيان [1]

وتمتزج هذه الرؤية الحضارية لدور الإسلام الفاعل والمؤثر في حركة الحياة بمشاعر التضرع والمناجاة.. والاعتراف بفضل الله (عز وجل)، ففي نهاية قصيدة: (في أرض النبوة) يتأثر الشاعر بمعاني القرآن الكريم... في أسلوب مشرق واضح.. ويناجي ربَّه في تضرع وخشوع:

يا ربِّ قد عشْتُ في دنْياي مغتربًا ... ويْلاَهُ إن أغتربْ في العالم الثاني
أستغفر الله من كفران نعمته ... بل فوق ما أستحقُّ.. الله أعطاني
ألم يجدْني أخا غيٍّ فأرشدني ... وهائمًا غيْر ذي مأْوى فآواني؟
ألم يجدْني أخا جهْل فعلَّمني ... وعائلاً غيْر ذي وُجْد فأغْناني
لبيك ملء فمي.. لبيك ملء فمي ... يا رب يا رب من قلبي ووجْداني



١) ديوان (مع الإسلام والعروبة)، ص ١٥ - ١٦.

ثانيًا : الأحداث والمواقف الإسلامية :

وحينما نتأمل هذا المعْلَم من معالم رؤية الشاعر الإسلامية نجد أنه لم يُعْنَ بتسجيل الأحداث التاريخية الإسلامية عناية كبيرة، حيث لم يسجِّل المناسبات الإسلامية التي ألِفَ الشعراء أن ينظموا في ظرْفها الزمني قصائدهم كلما حان موعد المناسبة، وكأن الشاعر «محمود غنيم» يعلن بهذا المسْلك الفني أنَّ التاريخ الإسلامي ليس أحداثًا تُرْوى، ولا أطلالاً ننوح عليها، بل يتجاوز التاريخ هذه الأحداث إلى التغلغل في صميم الحياة الإسلامية الناطقة بالوجه الحضاري للإسلام.

ولنتأمل تصويره الرائع في قصيدته (الركب المقدَّس) وهو يتابع الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة المنوَّرة.. ويَرْصد آثار ذلك الحدث الإسلامي الكبير.. حيث يتساءل في عزة وإيمان :

أيُّ ديـــن ذلـــك الـــديـــن الـــذي	حـــوَّل الأفــكـــار عـــن كُـــلِّ اتجـــاهْ
صَـهَـر الأنْـفـس حـتـى لـم تَـعُـدْ	تـدرك الأنـفـس شـيـئًـا مـا عـداهْ
كـــم أبٍ خـــاصـــم فـــي الله ابـنَـه	وأخ حـــارب فـــي الله أخـــاهْ
بـاسمـه أمسـى يـسوس الأرض مَـنْ	يحـلب النـوق ومن يَرْعى الشـياهْ
ويـــجـــوب الـــبـــحـــر مـــن لـــم يَـــرَهُ	غـيـر طـيـف مـن خـيـالٍ فـي كـراهْ
نـــاشـــرًا مـــن فـــوقـــه أعْـــلامـــه	تـفـزع الـعـقْـبـان مـنْـهـا والـبـزاهْ

ثالثًا : التأملية في ظلال الرؤية الإسلامية :

إن التأمل في شعر «محمود غنيم» لا يمثل تيارًا رئيسًا، فشعره ينزع إلى تجسيد العاطفة، وإذكاء المشاعر، ولا يقحم تجربته في شعاب الفكر.. بحيث تخبو العاطفة.. ويعلو صوت الذهن، وإيقاع الفكر.. وشاعريته لم تبتعد كثيرًا عن آفاق التجربة التأملية، ولكن التأمل في شعر «محمود غنيم» ممتزج بالعواطف الحارَّة، والمشاعر الإنسانية الدافئة، ولا يلقيه التأمل بعيدًا عن ظلال الرؤية الإسلامية.

وأهم جوانب التأمل النابع من رؤية الشاعر الإسلامية.. ما يلي:

أ ـ التأمل الشعري ورحلات الفضاء:

وللشاعر مطولات في هذا الاتجاه..، وهو يتأمل هذه الظاهرة العلمية، ويحلّق في آفاق الفضاء، ولكنه يظل مرتبطًا بالأرض، حريصًا على رخاء البشرية، متمسكًا بحبل الله المتين.. يقول الشاعر بعد تأمل حدث الصعود إلى القمر:

تعالى الله إن العلم نور	سناهُ من سناهُ مستعارُ
أفوق الأرض يُضمن ليت شعري	بهذا الكشف للعلم انتشارُ؟
ويُرسى للسلام به أساس	ويكتب للحضارة الازدهارُ؟
أمانٍ تلك إنْ هي أخطأتنا	فلا نصرٌ هناك بل اندحارُ

ثم يتساءل الشاعر ويتأمل ثمار هذه الرحلات الفضائية .. قائلاً:

سلوا الأفلاك إذ طرتم إليها	أكان لها من الضحك انفجارُ؟
وقبلكمُ بنى هامانُ صرحًا	فكاد النجم يدركه انهيارُ
أضعتم في الهواء كنوز مالٍ	وملء الأرض بؤس وافتقار

ثم ينتهي الشاعر من تأملاته إلى الاحتماء بمظلة الإيمان، ودائرة التوحيد، ولم تنته به التأملات إلى القلق أو الشك.. وإنما لأنه شاعر مسلم تنطلق تجاربه من نبع إيمانه الفياض بالتسليم المطلق لخالق الكون .. نجده يقول:

تعالَوْا نبتكر عهدًا جديدًا	يَعُمُّ الخيرُ فيه واليسارُ
شهدت بأن لله اقتدارًا	وغير الله ليس له اقتدارُ
وأن الجهل للإنسان مَهْما	يزدْ علمًا ومعرفة شعارُ
وأن وراء هذا الكون ربًّا	له في الكون أسْرارٌ كبارُ



ب ـ تأمُّلُ الطبيعة وتوظيفها في تشكيل التجربة الشعرية:

والطبيعة في تجربة «محمود غنيم» الشعرية التأملية تظل عاملاً خارجيًّا وتصل في بعض تجاربه إلى مرتبة (الاشتراك) مثل تجارب الرومانسيين.. ولا تتجاوز الطبيعة هاتين المرتبتين إلى مرتبة الفناء الوجداني في مشاهد الطبيعة

ومرائيها.. واتخاذها معادلاً موضوعيًا أو بديلاً عن الذات.. شأن الرمزيين الذين تتحد ذواتهم بكائنات الطبيعة ومشاهدها وظواهرها المتعددة.

وفي قصيدة «نيسان» يتجوَّل الشاعر في عوالم الطبيعة؛ ويبدع في وصف مغانيها ومجانيها، ويتأمل مرائيها ومراميها.. وهو يبدع أيما إبداع في هذا الجانب الوصفي المحلِّق.. وفي نهاية القصيدة يرسم لوحة إيمانية تأملية مستمدة إيقاعها العذب من أجواء الرؤية الإسلامية. ولنتأمل هذه النفثات الشعرية الإيمانية الصادقة!

سبحان من صوَّر الدنيا فأبدعها ... فقل لربِّك ربِّ العرش: سبحانُ
آيات ربِّك تترى في الوجود فهل ... للمرء عين؟ وهل للمرء وِجْدانُ؟
كل البقاع محاريب له صنعت ... وكل ما تَسْمع الآذان قرآنُ

والشاعر يعلن بهذه التأملات الإيمانية أن الكون ـ في المنظور الإيماني ـ مسرح التأملات؛ والشاعر يعود من رحلة التأملات بزاد روحيّ عميق وزاد أدبي مؤثر ناضج بخصائص التجربة الإسلامية، وهذه التأملات لا تقود الأديب المسلم إلى الهروب والارتماء في أحضان الطبيعة، ولا تجعل من الطبيعة إلهًا يعبده الأدباء، ولا تتخذ من الغاب فردوس الشاعر المفقود، ومهاجره الآمن، ومستقر أحلامه، هربًا من عالم الناس ودنيا الواقع، بل تصبح هذه الطبيعة مرآة مجلُوَّة يرى فيها الأديب نفسه وأمانيه وأحلامه: من جبالها يستمد مفردات الشموخ والإباء، ومن بحارها يستلهم مشاعر الحب والنقاء والصفاء، ويتلقى دروس السموّ والعطاء، ومن تقلبات فصولها يرسم للنفس طريق رؤاها، فهي صورة من وهج الصيف، ودفء الربيع، وجدب الخريف، وخصب الشتاء [1].

وللشاعر «محمود غنيم» مع الطبيعة تجارب تأملية عديدة، فهو ابن الريف الأصيل، وهو عاشق الريف، وشاعر الجمال الموهوب، وعاشقه، وللبحر صداقة وألفة ووجود في عالم الشاعر الأثير.. ومن خلاله يستجلي معالم



(١) انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، لكاتب الدراسة.

القدرة الإلهية . . . ويتأمَّل بديع صَنْعة الخالق، وجلال آثاره .

ولنصغ إلى هذه التأملات الشعرية الممزوجة بسوانح الفكر وعبق العلم :

إنه يخاطب البحر . . في لغة شعرية شفيفة، وحوارٍ مقنع جذاب، وصور شعرية مبتكرة :

قالوا عليك : أجاجُ الماء، قلتُ لهم ... بل ماؤك العذْب سيال بكل فم

ألمْ يحوِّلْ شعاع الشمس ماءك مِنْ ... ملح أجاجٍ إلى عذْب من الدِّيَم؟

لولاه ما هطلت وطفاءُ أو هدلت ... ورقاءُ أوْ قبَّلَتْ كأس شفاه ظمي

لم ينتسب شجر إلا إليك أبًا ... ولا انتمى زهَرٌ إلا إليك نُمي

سَرَيْتَ في طبقات الأرض مُنْسربًا ... فكيْف أصبَحْتَ تيجانًا من القمم؟

وكيف طرْتَ بلا ريش وأجنحة ... في حالق الجوِّ كالعقبان والرخم؟

ثم يواصل الشاعر هذه التأملات الإيمانية في رحاب الطبيعة الكونية .

ومن عيون قصائده وتجاربه الشعرية : قصيدة (راهب الحقل) وهي مزيج من التأملات الفكرية والروحية . . مع عاطفة رومانسية دافئة ونزعة واقعية إيجابية تنزع إلى جماليات الكون، وإضفاء ظلال الرؤية الإسلامية المشعة ببريق الصفاء والنقاء .

إن الشاعر « محمود غنيم » يصوِّر في براعة واقتدار « الفلاح » تصويرًا تأمليًّا إيجابيًّا بلغ فيه ذروة الفن الشعري، يقول في لغة رقيقة هامسة :

عرف الله فطرةً لا اكتسابًا ... فرجا عفْوه وخاف عقابَهْ

ما احتواه في الله شكٌّ ولا طو ... ل التحرِّي عنه أثار ارتيابَهْ

حسبه أن كل شيء بهذا الْـ ... كَوْن يُومي إليه بالسَّبَّابَهْ

عرف الله في الطبيعة عطْفًا ... وحنانًا وقوةً غلاَّبَهْ

وبعد :

فالشاعر الكبير . . ما يزال صوته الشعري يدوِّي في عالم الشعر والشعراء بآثاره الشعرية العظيمة، وشاعريته الخصبة العميقة المحلقة .

البيان الأدبي

مجلة: الأدب الإسلامي

صدر مؤخراً في قالب جميل العدد الأخير من مجلة الأدب الإسلامي - وهي تقف على مشارف عامها الرابع - متضمناً العديد من الدراسات والبحوث منها: تاريخ الأدب العربي للرافعي للدكتور محمد رجب البيومي، ودراسة تطبيقية في رواية الهجرة من أفغانستان لمرال معروف، والتي تصور مخازي الاحتلال الشيوعي في أواخر السبعينيات لأفغانستان من إعداد الدكتور حلمي القاعود، والأسلوبية وإعجاز القرآن لطارق شلبي، والصور الشعرية عند د. عدنان نحوي لمحمود السيد الدغيم، وحافظ الحكمي بين الشعر والنثر للدكتور محمد الشويعر، ويضم العدد إبداعات شعرية منوعة من الشعر العمودي والتفعيلة ومن شعر الشعوب الإسلامية قصيدة للشاعر التركي عاكف إيتان، وتعقيب على قصيدة للشاعر البنغالي روح الأمين خان، ومن مكتبة الأدب الإسلامي تم عرض كتابين هما من قضايا الأدب الإسلامي لصالح آدم بيلو، وكتاب في النقد الأدبي الإسلامي للدكتور إبراهيم عوضين، وكذلك عرضت رسالة جامعية عن الرؤية الإسلامية في شعر محمود حسن إسماعيل، وهكذا يستمر عطاء الأدب الإسلامي في تنوعه وغزارته وتجديده وأصالته عبر هذه المجلة المتخصصة. وهي لسان حال رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي آلت على نفسها أن تكون دائماً في خدمة قضايا الأمة الإسلامية عن طريق الكلمة الهادفة الملتزمة بتعاليم الإسلام وهي أحوج ما تكون إلى تشجيع كل مسلم حريص على إيصال الكلمة المؤمنة والرأي الهادف للجميع وذلك بالدعم والاشتراك، متمنين لها المزيد من التقدم والنجاح.

عناوين المجلة في البلاد العربية

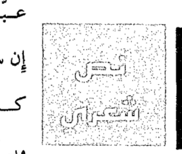
* المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٥٥٤٤٦ الرمز البريدي ١١٥٣٤
هاتف: ٤٩٣٤٠٨٧ - فاكس: ٤٩٢٠٦٩٣ / ٤٠٣٦٠٨٢

* القاهرة - ص.ب ٩٦ رمسيس * المغرب - وجده - ص.ب ٢٣٨ * الأردن - عمان - ص.ب ١٤١٦٤٨

غربة الإسلام

بينما كنت أحضِّر لكتاب: «غزوة فريدة ودروس عديدة» عن غزوة ذي قَرَد وبطلها: «سلمة بن الأكوع رضي الله عنه» جرى القلم بهذه القصيدة:

في زمن الغُربة يا ولدي — أحدو للحق فهل تَسمعْ؟
أبواقُ الفتنة يا ولدي — تنبحنا في أرضٍ بلقع
ضوضاءُ الفتنة تنهشنا — وبسوط الباغي تتلفَّع
أبناءُ (سلول) يا ولدي — منعوا (رايتنا) أن تُرفع
يخشون العبد إذا صلَّى — والفُحْشُ لديهم لا يُمنع
هذي يا ولدي قصّتنا — والبغي علينا يتربّع
ونداء الحق غدا غرضاً — في كل جوانبها الأربع
والحق الأبلج قد وضعوا — في كلْتَا عيْنَيْهِ أُصْبَع
والعبدُ الصالحُ في سجن — وبكفّ أبي جهلٍ يُصفع
عبّاد (الذات) لكم جدّوا — واجتهدوا في رصْد الرُكّع
إن سمعوا (قرآنًا) خافوا — فالسلطة منهم قد تُنزع
كم عقروا خيلاً يا ولدي — ضجرت من قيد لا يُرفع
وبكت إسلاماً مكبوتاً — ورقاب فوارسها تقطع



ولأجل الحق لكم نُرمى ... بالبغي ـ صغيري ـ ونُبدّع
فاكْفُر بالطاغوت العاتي ... ولغير الباري لا تركع

* * *

يا خيلَ الله متى يأتي ... بطلٌ في ثوب (ابن الأكوع)
يا ماجدَ (غزوةِ ذي قَرَدٍ) ... قد صرنا وسْط المستنقع
وكلابُ الصيد تُلاحقنا ... بنيوبِ سكاكينٍ تقطع
فأعرنْي رجْلَيْكَ لأعْدو ... فأنا في قيدي أتوجّع
وأعرنْي صَوْتَك لأُنادي: ... (سيجيءُ الحقُّ ولنْ يُقمع)

(سيجيءُ الحقُّ ولنْ يُقمع)
(سيجيءُ الحقُّ ولنْ يُقمع)
(سيجيءُ الحقُّ ولنْ يُقمع)

النظام الجزائري والبحث عن الشرعية!

لقد حاول الجيش الجزائري منذ بداية الانقلاب العسكري وإلغائه نتائج الانتخابات التي فازت بها جبهة الإنقاذ أن يبحث عن الشرعية، فمن مجلس انتقالي، إلى استيراد أحد رموز حرب التحرير (بوضياف) الذي لم يشارك في الحكم وبالتالي لا يتحمل أوزاره، وقد قتلوه بعدئذٍ لما أحسوا أنه يريد أن يمارس السلطة حقيقة، وفي نهاية المطاف جاؤوا (بزروال) الذي يبدو أنه يتصرف كأنه يسير على حبل مشدود؛ فهو تارة يدعو إلى المصالحة ويُخرج شيخي جبهة الإنقاذ من السجن إلى الإقامة الجبرية؛ ومن ناحية أخرى تزداد وتيرة العمليات العسكرية والأمنية، وهو في الوقت نفسه يؤيد الحوار والاستئصال! وقد تطورت الأوضاع بحيث أصبحت مسرحية البحث عن الشرعية لا تكفي لها الأختام المحلية المزورة، بل إن هناك رغبة عالمية في إعطاء النظام العسكري الشرعية؛ لأنه الوحيد القادر على مواجهة الإسلاميين وتأخير وصولهم إلى الحكم، فلم يعد يكفي مندوبو الجامعة العربية الذين بدوا مندهشين من المهمة الجديدة وهي مراقبة تطبيق الديمقراطية في الوطن العربي! حتى رأينا ـ ويا للعجب ـ مشاركة الغرب في إخراج المسرحية بصورة مباشرة؛ فقد شارك في ذلك مندوبون من بريطانيا وأمريكا على حين اعتذرت فرنسا عن المشاركة (لأن شهادتها مجروحة).

وبالنظر في الانتخابات الأخيرة وما سبقها فإن هناك جملة ملحوظات

المسلمون



والعالم



بقلم: د. يوسف الصغير

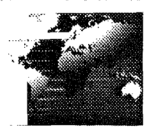
منها ما يأتي:

أولاً: لقد صِيغ نظام الانتخابات الجديد بحيث لا يكون لـ (المجلس الشعبي الوطني) سلطة مؤثِّرة، ولا يكون هناك إمكانية سيطرة أي طرف على الأغلبية؛ حتى ولو حصل أحد الأحزاب على أكثر الأصوات متقدماً بذلك على غيره من الأحزاب؛ فإن رئيس الدولة يمكنه تكليف رئيسٍ للحكومة ولو من خارج الأحزاب، إضافة إلى أن هناك مجلساً ثانياً أعلى ـ وهو مجلس الأمة ـ ثلثه مُعَيَّن من قِبَلِ رئيس الدولة، وثلثاه منتخب من خلال المجلس الشعبي والمجالس الولائية!

ثانياً: لقد نص النظام الجديد على أن (أحد عشر حزباً) فقط يحق لها دخول الانتخابات وهي التي تتفق والشروط الجديدة التي من بينها ألا يكون الحزب قائماً على مبدأ ديني أو لغة أو جهة؛ بمعنى أن تكون الأحزاب بدون هوية مميزة؛ ومن المعروف أن المقصود: هو ألا يكون هناك أي حزب إسلامي صريح؛ فقد أُجبرت الأحزاب على حذف ما يشير إلى الإسلام في اسمها، فمثلاً: (حركة النهضة الإسلامية) أصبحت: (حركة النهضة) وحركة: (المجتمع الإسلامي ـ حماس ـ) أصبحت: (حركة مجتمع السلم).

ثالثاً: لقد قام النظام بتشجيع أو تدبير انشقاقات عديدة في جبهة التحرير الوطني وجبهة القوى الاشتراكية في محاولة لفك ارتباطهما مع

المسلمون



والعالم

جبهة الإنقاذ. وقد اضطر (حسين آيت أحمد) للاشتراك في الانتخابات الأخيرة من أجل المحافظة على تماسك حزبه.

أما جبهة التحرير الوطني فقد كانت قطاعات منها ـ بدايةً ـ تشجع الانقلاب على الأمين العام السابق عبد الحميد مهري الذي كان مصراً على مشاركة جبهة الإنقاذ في أي حلٍ؛ مع الإيحاء للانقلابيين أن جبهة التحرير ستكون هي حزب الرئاسة.

رابعًا: لقد حرص النظام في هذه الانتخابات على دخول حزب جديد يمثل النظام الذي كان قبل ذلك يعتمد على بعض الأحزاب القائمة مثل: حزب التجمع من أجل الثقافة (الفرانكفوني البربري) و (حزب حماس الإسلامي) وذلك من أجل إعطاء إحساس باستمرار التعددية الحزبية. أما الآن فقد كوَّن النظام حزبه الخاص (الوطني الديمقراطي) حتى إن محفوظ نحناح زعيم حركة مجتمع السلم أطلق عليه اسم: (الطفل المدلل) تمييزاً له عن الأطفال غير المدللين!

خامسًا: وهي أهم قضية: أن النظام ومع أنه روَّض معظم الأحزاب الموجودة وكوَّن حزبه الخاص، فإنه لم يجرؤ على تكرار تجربة انتخابية فيها احتمال الإخفاق والتفريط في السلطة؛ ولهذا فإنه لم يسمح لأكبر قوة شعبية في البلاد بالمشاركة.

ولنتخيل أن كلينتون أصدر قراراً بحل الحزب الجمهوري المنافس للديمقراطي، وسمح بتشكيل عشرات الأحزاب الصغيرة التي ليس لها شعبية، ثم دخل انتخابات تشرف على نتائجها الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ومندوبون عن أعرق الدول الديمقراطية (بريطانيا) ليعلن بعدئذ فوز الحزب الديمقراطي فوزاً كاسحًا؛ فهل هذا يدل على شعبية حزبه المطلقة؟ بالطبع لا؛ بل ولا يُتوقع أن تشارك المنظمات الشعبية والدولية



السابقة بهذه المهزلة؛ فكيف يُحَلُّ أكبر حزب منافس وتكون هناك ديمقراطية؟ وكم كان (جون ميجور) قبل هزيمته يتمنى لو أن النظام البريطاني يخوِّله أن يصدر قراراً بحل حزب العمال قبل الانتخابات، ليخوض بعد ذلك انتخابات نزيهة مع حزب الخضر!

ونحن هنا لا نقول فقط: لماذا يتم حظر جبهة الإنقاذ، وهل تكون هناك انتخابات نزيهة إثر ذلك؟ بل نسجل هنا سقوط ما يسمى بالديمقراطية الغربية التي ختمت بشرعية النسخة المعدلة من الديمقراطية أو النسخة المعدة للتصدير للدول الإسلامية ألا وهي حكم (حزب النظام) مع عدد من الأحزاب الاسمية الصورية؛ مع الحظر الرسمي لأي حزب إسلامي؛ وهذه الديمقراطية مطبقة بنجاح في عدد من الدول الإسلامية!! وهناك محاولة لإرساء قواعدها في الجزائر وتركيا.

نعم لقد أرسلت بريطانيا وأمريكا مندوبيها ليقولوا: إن الانتخابات نزيهة! ولم يقع فيها تزوير واسع للأصوات ـ ولم يتحقق ذلك الأمل ـ ليتم دعم النظام الديمقراطي الجديد والتواصل معه بكل حرية من أجل الوقوف ضد الإرهاب الإسلامي!!

سادساً: حيث إن الدعاية الانتخابية العادية غير كافية لدفع الناس للمشاركة، فقد طبق في الجزائر أسلوب جديد مخترع؛ فقبل كل انتخابات سواءً لتعديل الدستور أو الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية تطغى على وسائل الإعلام المحلية أنباء مجازر رهيبة تقتل فيها النساء والأطفال والشيوخ، ويبالغ الإعلام المرئي في نقل مشاهد الصور المشوهة وبقع الدماء على الأرض والجدران، وكيف قتل الأبرياء بالسكاكين والمناشير، وأن المهاجمين كتبوا شعارات إسلامية على الجدران بدماء الضحايا. وكان الخطاب المحلي الموجه وصداه الخارجي يصران على أن الإسلاميين هم



الذين يرتكبون كل هذه المجازر مع تكرر نفي جبهه الإنقاذ لمسؤوليتها وإدانتها بل واتهامها النظام وميليشياته بارتكاب تلك الفظاعات، وذلك في الوقت الذي بدأت تتكشف فيه بعض الحقائق، وهي كما يلي:

١ ـ كثير من الضحايا هم من عوائل المجاهدين في جبهه الإنقاذ، وإشاعة النظام أن المجازر تحدث نتيجه الحرب بين الإسلاميين أنفسهم!!

٢ ـ القرى والمناطق التي وقعت فيها أبشع عمليات الذبح هي التي ظلت رافضة تسلم السلاح من الحكومة والمشاركة في ما يسمى بالمقاومة الشعبية أو الدفاع الذاتي.

٣ ـ تتركز المجازر في البلدات والقرى التي تشكلت حول المزارع الضخمة التي خلفها المستعمرون الفرنسيون في سهل (متيجه) الخصب وقد شاع أن جماعات القتل تخدم خطة لإخلاء هذه المناطق من أجل إعادة توزيعها على المتنفذين الجدد.

٤ ـ لوحظ أن المجرمين كانوا ينفذون جرائمهم وهم في منتهى الاطمئنان مع أن تسليحهم يقتصر غالبًا على السكاكين والبلطات، وبعد خروجهم من القرى تأتي قوات الأمن مع الوفود الإعلامية.

٥ ـ لقد تتابعت الانفجارات العنيفة في بدايه شهر رمضان المبارك الماضي في أسواق ومقاهي العاصمة الجزائرية عن طريق سيارات مفخخة؛ وذلك في أيام متتالية؛ وقد وجهت أصابع الاتهام إلى أطراف في النظام نظرًا لكمية المتفجرات الكبيرة التي لا يمكن للإسلاميين تدبيرها ونقلها داخل العاصمة التي تكثر فيها الحواجز الأمنية بالإضافة إلى استهداف أماكن تعتبر معاقل للإسلاميين.

٦ ـ تواتر اختراق المخابرات الجزائرية لبعض الجماعات المسلحة إلى مستويات قيادية عليا، وبالتالي توريطها في أعمال منافية للشرع ونسبتها

للعموم؛ مع ملاحظة ضعف العلم الشرعي عند بعض هذه الجماعات وسيادة روح الانتقام من تجاوزات النظام في حق أهاليهم.

٧ ـ يلاحظ في الوقت نفسه تغير نبرة الإعلام الغربي تجاه الأحداث؛ فمن عبارة: (قام المتطرفون بـ...) إلى (حدثت مجزرة... يعتقد أن الإسلاميين المتطرفين قاموا بها) إلى (حدثت... وتنسب هذه الأعمال عادةً إلى ...).

٨ ـ يحرص النظام بشدة على تعتيم أخبار الصراع العسكري مع الإسلاميين؛ حيث يمنع وجود المراسلين الأجانب، ويحظر على وسائل الإعلام المحلية نشر أي أخبار إلا التي ترد من قِبَلِ وزارة الداخلية. وبعملية بسيطة فإنه إذا كان يقدر عدد القتلى بين ستين ومائة ألف في خمس سنوات فإنه يعني حوالي خمسين قتيلاً يوميًا. نعم من أجل شرذمة من العسكريين الذين يسيطرون على كل شيء في الجزائر يقتل يوميًا خمسون فردًا لا يسمع عنهم أحد، بل ويطرح النظام في هذه المرحلة أسلوبًا استئصاليًا جديدًا؛ فبدلاً من الاستئصال الخاص للإسلاميين يطرح الآن وبدون حياء أو وجل أسلوب الاستئصال العام للمناطق التي ينبت ويتوالد فيها التطرف (كما زعموا).

● هل الانتخابات حل للأزمة القائمة؟

وأخيراً: هل تمثل هذه الانتخابات حلاً لمشكلة الجزائر؟ بالطبع: لا؛ وهذا ما أجمع عليه المراقبون، ولكن في تصوري أن ما يجري سيجعل الصراع أكثر تميزاً؛ فإذا كانت جبهة الإنقاذ تباطأت في المبادرة بالعمل العسكري مما ترك الفرصة لنشوء جماعات كثيرة غير منضبطة؛ فإن اشتراك الجبهة أيضًا في (عقد روما) كان يعطي غير الإسلاميين دوراً في حال سقوط النظام مع عدم مشاركتهم في الصراع المسلح. إن على الجبهة



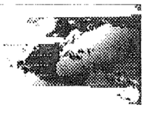
وهي تقف الآن وحيدة في الجانب السياسي أن تستغل بقوةٍ ميزةَ أنها تمثل الآن المعارضة السياسية الجادة الوحيدة بعد تدجين بقية فصائل المعارضة، والتركيز على كسر شوكة النظام، وهذا لا يكون إلا بالعمل الجاد على جمع شتات الجماعات المسلحة المنضبطة بضوابط الشرع؛ مع تحييد ومحاصرة المجموعات المخترَقة من قِبَلِ النظام أو التي لا تسير على المنهج الشرعي الصحيح.

إن إطلاق سراح الشيخ (عبد القادر حشاني) بعد محاكمة صورية ثم ما تبعه من إطلاق زعيم (الإنقاذ) الشيخ الدكتور (عباسي مدني) ـ مع ما صدر له من أوامر بعدم التعامل مع وسائل الإعلام ـ يدل ذلك كله على أن الجزائر مقبلة على مرحلة جديدة تواجه فيها جبهةُ الإنقاذ الاختبارَ الأخير الذي يوجب عليها أن تكون فيه على مستوى الأحداث، وأن يكون لها موقف موحد مبني على نظر ودراسة، وأن يحذركل مسؤول فيها على ألاَّ يكون له رأي فردي خاص يتخذه في مكان عام أو في مقابلة صحفية ثم يكون بعدئذٍ مثاراً للجدل؛ بل يجب أن يكون هناك موقف استراتيجي ثابت مبني على دراسة شرعية تأخذ بعين الاعتبار كل المتغيرات؛ فالنظام لم يتخل عن منهجه الاستئصالي، بل اتجه للجمع بين (الاستئصال الأمني) و(الاستئصال السياسي).

وسياسة النظام المستقبلية تعتمد على تقديره الخاص للوضع؛ فهو بين أمرين:

أحدهما: الإحساس بأنه وصل إلى نهاية النفق المسدود؛ فالقوة العسكرية لم تنجح، والمناورة السياسية الجديدة ليست ذات قيمة واقعية؛ وبالتالي يجب الحوار مع الجبهة والوصول معها إلى حل وسط يكون أحد أركان جبهة الإنقاذ جسر الحوار فيه.





والثاني: الإحساس بالانتصار، وأن الجبهة لم تعد تشكل خطراً على النظام، وأن النظام قادر على التعامل والتعايش مع مستوى المواجهة الحالية بحيث يضبط الأمن في المدن الكبرى، ويحرص على حماية خطوط أنابيب النفط والغاز؛ أما بقية البلد فيترك فيها الأمر للصراع بين ميليشيا النظام وجماعات الإسلاميين.

أخي القارئ الكريم: إن الصراع في الجزائر هو صراع شامل؛ وإذا كنا لا نحس بنقص الإمكانات العسكرية للإسلاميين، فإننا نحس وبقوه بضعف الجانب الإعلامي الواضح؛ فليس لهم صحف ناطقة باسمهم، بل وإذا كان ثمة متحدث رسمي في الخارج فإنه ليس على اتصال سريع أو مستمر بالداخل؛ ولهذا فإن البيان المنسوب لأي جماعة يوجب الانتظار فترة قبل القطع بنسبته إليها، وذلك من خلال عدم صدور بيان نفي له؛ ولهذا تُدبَّج المقالات أن فلانًا هو مفتي الجماعات المسلحة، وأنه يفتي وأفتى، ثم تفاجأ بالصحيفة تنشر اعتذارها للشيخ وتعترف بكذب المعلومات المنشورة، وأن السبب في هذا الخطأ أن المصدر لم يكن موثوقًا، بل ويصبح أحد الأشخاص غير الجزائريين والبعيد عن الجزائر دليلاً على نسبة المجازر للإسلاميين بتصريحات غوغائية لا ندري ما هو هدفه منها. يجب أن يكون للإسلاميين قنوات فعالة لتبليغ مواقفها الرسمية، وأن لا يكون اسمها مباحًا لكل غالٍ ومنافق؛ بل إن كثيراً من البيانات المنسوبة للإسلاميين تبين أنها مدسوسة من قِبَلِ المخابرات الجزائرية!

نسأل الله أن يلطف بشعب الجزائر المسلم، وأن يرزقه الحكام الصالحين الذين يعيدونه لمنهجه الإسلامي الأصيل؛ وما ذلك على الله بعزيز.

عولمة أم أمركة؟!

الخُلُق الأمريكي! (٢)

تحدث الكاتب في الحلقة الماضية عن استقرار أمريكا نموذجًا يقتدى به في نفوس شرائح من مجتمعاتنا، ثم تحدث عن الشهادات من بعض رموز المجتمع الأمريكي حول ضرورة ريادتهم للعالم، ثم بدأ في تصفح التاريخ الأمريكي محاولاً الكشف عن أصل هذا المجتمع، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة إيضاح جوانب أخرى من الموضوع.

ـ البيان ـ



الاستقلال عن بريطانيا أعظم المفاخر الأمريكية:

يلخص الأمريكيون منجزاتهم الكبيرة وأمجادهم في ثلاثة أمور: الاستقلال، الاتحاد، الدستور؛ وأهمها على الإطلاق: الاستقلال عن التاج البريطاني. وأصبحت وثيقة الاستقلال وثيقة تاريخية يجب أن يعرفها الكبير والصغير على حد سواء؛ ولخاصية هذه الوثيقة نعرض نصوصًا منها لأهميتها ومناسبتها في موضوعنا.

عندما يصبح ضروريًا ـ في سياق الأحداث البشرية ـ أن يفصم شعب الروابط السياسية التي كانت تربطه بشعب آخر، وأن يحتل بين دول الأرض المكانة المنفصلة والمتساوية التي تؤهلها له قوانين الطبيعة، ورب الطبيعة، فإن الاحترام اللائق لرأي الجنس البشري يطالبه أن يعلن الأسباب التي أجبرته على الانفصال.

ونحن نؤمن بأن هذه الحقائق بدهية «وأن جميع البشر خُلقوا متساويين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة غير قابلة للإسقاط أو التنازل عنها، من بينها: حق الحياة، والحرية، وطلب السعادة».

وتاريخ مُلك بريطانيا العظمى تاريخ إضرار متكرر، واغتصاب مستمر،



حسن قطامش

هدفه الثابت المباشر هو الطغيان المطلق على هذه الولايات.. فلقد أنشأ عدداً كبيراً من المناصب الجديدة، وبعث هنا أسراباً حاشدة من الموظفين والضباط لإرهاق شعبنا، واستنزاف أقواتنا وأبقى بين ظهرانينا ـ في وقت السلم ـ جيوشاً دائمة بدون موافقة الهيئات التشريعية، وجعل العسكريين مستقلين، وفي مكانة أرفع من السلطات المدنية، وعمل مع آخرين لجعلنا خاضعين لولاية قانونية غريبة على دستورنا!! ولا تعترف بها قوانيننا بأن وافق على قراراتها التشريعية المزعومة.

ولأنه أقام ـ أي الحاكم البريطاني ـ قوات مسلحة كبيرة بين ظهرانينا، وحماهم بمحاكمات هزلية في العقاب على جرائم القتل التي يمكن أن يقترفوها ضد أهالي هذه الولايات، ولأنه قطع صلاتنا التجارية مع كل أنحاء العالم، ولأنه حرمنا ـ في حالات كثيرة ـ من مزايا المحاكمة أمام محلفين، ولأنه نقلنا وراء البحار لنحاكم على جرائم مزعومة، ولأنه نزع منا مواثيقنا، وألغى أثمن قوانيننا، ولأنه فعل كل هذا، فقد أعلن أننا محرومون من حمايته، وشن الحرب علينا، لقد نهب بحارنا وسلب سواحلنا، وأحرق مدننا، ودمر حياة شعبنا، وهو في الوقت ذاته ينقل جيوشاً ضخمة من الأجانب المرتزقة ليُتم أعمال الموت والتخريب والطغيان التي بدأها فعلاً بوسائل القسوة والخيانة التي لا يوجد لها مثيل في أشد عهود الهمجية.

لقد أجبر الحاكم البريطاني مواطنينا الذين أسرهم في أعالي البحار أن يحملوا السلاح ضد وطنهم، ويصبحوا جلادين لأصدقائهم وإخوتهم، وأن يقتلوا أنفسهم بأيديهم.. وقد أثار الشقاقات الداخلية



في ما بيننا، وحاول أن يستقدم سكان حدودنا الذين لا يعرفون الرحمة والذين لا قانون لهم إلا الحرب، والقضاء على جميع الأعمار والأجناس والأحوال.

وفي جميع هذه المظالم، قدمنا الالتماسات للإنصاف بكل تواضع وخضوع، ولكن كان الجواب الوحيد على التماساتنا المتكررة هو الإساءة المتكررة، ولم نكن في أي وقت من الأوقات مقصرين في حق إخواننا البريطانيين، فقد أنذرناهم بين وقت وآخر بمحاولات مجلسهم التشريعي أن يمد سلطة ولايته علينا، وذكرناهم بظروف هجرتنا واستقرارنا هنا، وناشدنا عدالتهم ونخوتهم الفطرية، أن يستنكروا هذه الاعتداءات التي لا بد أن تفصم روابطنا وصلاتنا؛ ولكنهم أيضاً صموا آذانهم عن صوت العدالة، ورابطة الدم.

من أجل ذلك لا بد لنا أن نذعن لحكم الضرورة التي تملي علينا الانفصال، ونجعلهم ـ كما نجعل بقية العالم ـ أعداء في الحرب، أصدقاء في السلم.

لذا فإننا نحن ممثلي الولايات المتحدة في مؤتمرنا العام، المجتمع هنا نُشهد (الله جل ثناؤه) على صواب مقصدنا، ونعلن باسم شعب هذه المستعمرات (الطيب)!! وبسلطاته، أن هذه المستعمرات المتحدة، هي في حقيقتها وبموجب حقها ينبغي أن تكون ولايات حرة مستقلة، وأنها تحررت من كل ولاء للتاج البريطاني، وأن كل الروابط السياسية بينها وبين دولة بريطانيا العظمى قد انفصمت تماماً، وأنها من حيث هي ولايات حرة مستقلة لها كل السلطات الكاملة في شن الحرب، وإقرار السلم وعقد المحالفات، وإنشاء العلاقات التجارية، وإتيان كل الأعمال والأمور التي يحق للدول المستقلة أن تمارسها.

وتدعيماً لهذا الإعلان، معتمدين بثبات وعزيمة على حماية العناية الإلهية نتعاهد تعاهداً متبادلاً على صيانة أرواحنا، وشرفنا المقدس».

بقراءة سريعة لهذه الوثيقة، ودون علم بأنها وثيقة استقلال الأمريكيين عن التاج البريطاني نظن لأول وهلة أنها ـ على سبيل المثال ـ من الشعب



العراقي، أو الليبي، أو على أسوأ تقدير الشعب الكويبي، ولكن أن تكون ذات صلة بالأمريكيين فهذا أمر مستبعد إلى أقصى درجة، قد يقول قائل: تغير الأحوال والصراعات العالمية، جعلها تعدل من مبادئها، والسياسة لا مبدأ لها، قد نسلم بهذا الافتراض إن كان هناك زمن كبير بين هذه الوثيقة، وبين التبدلات الجذرية التطبيقية لها. ولكن أن تكون هذه الوثيقة كتبت في وقت مُورِسَ خلاله أبشع صنوف التصفية وأشدها همجية ضد صاحب الأرض الحقيقي، فهذا يجعلنا نلقي بالوثيقة برمتها في مزبلة التزييف والتضليل السياسي.

ونستعرض الآن للتدليل على ذلك نموذجين وقعا خلال كتابة الوثيقة، بل وقبلها وبعدها، ثم نرى: هل هناك ما يدعو لأن تفاخر أمريكا بهذه الوثيقة؟ أم أن ما جاء فيها هو خاص بشعب الله المختار فقط؟

ولعل ذكر هذه النماذج عقب الوثيقة التي يفاخر بها الأمريكيون يسقطها برمتها إلى حضيض التزييف التاريخي للحقائق التي ما يزال الكثير منها ماثلاً ولم يُمْحَ من الذاكرة.

الأول: النموذج الهندي .. الأحمر :

الشعب الأصلي الذي عاش في أمريكا قبل الاستعمار الأوروبي لها ليسوا هنوداً، وليسوا حمراً، ولكن هكذا راق للمحتلين أن يسموهم، وهم الذين عُبر عنهم في الوثيقة بـ(سكان حدودنا الذين لا يعرفون الرحمة، والذين لا قانون لهم إلا الحرب والقضاء على جميع الأعمار والأجناس والأحوال).

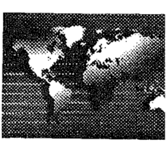
ونتساءل أولاً: مَنْ صاحبُ الأرض الحقيقي؟ ونتلوه بسؤال آخر: ألم يكونوا «بشراً متساوين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة غير قابلة للإسقاط أو التنازل عنها والتي من بينها: حق الحياة والحرية وطلب السعادة؟» أم أن هذا خاص بالشعوب الناطقة بالإنجليزية المستحقة لحماية الله؟! لقد استعمل الأمريكان لتطهير الأرض التي احتلوها من شعبها أبشع الوسائل والطرق التي لا تقارن بها «أشد العهود الهمجية» وعندما وطئت أقدام المستوطنين الأرض الجديدة كان بها نحو مليون هندي،



وكانت العلاقات في بادئ الأمر ودية، ولكن المهاجرين أخذوا يستولون على الأراضي بشكل متزايد، فبدأ ينشب القتال بين الجانبين، كان هذا قبل الاستقلال عن التاج البريطاني، وقد يعزوه الأمريكيون إلى بريطانيا العظمى!! وبعد الاستقلال عقدت (الحكومة الأمريكية) عدة معاهدات مع الهنود، وتعهد الهنود بالحفاظ على السلم مع المهاجرين، غير أن كثيراً من هذه المعاهدات كانت تخرق؛ وذلك بسبب دخول المهاجرين إلى أراضي حددت للهنود، ونتج عن ذلك حروب في منتهى الشراسة ومنها معركة (بيكووت) التي شنت لمقتل أحد المستوطنين، وأحرق فيها ٧٠٠ هندي، وقبض على معظم من تبقى من الهنود وعرضوهم للبيع بسوق النخاسة في (برمودا)، والجدير بالذكر أن الأمريكيين في هذه الموقعة اتفقوا مع بعض القبائل الهندية ليتعاونوا معهم على قتل إخوانهم الهنود، وقد زعم الأمريكيون في وثيقتهم أن الحاكم البريطاني أجبر إخوانهم الأسرى على حمل السلاح ضد وطنهم، وأصبحوا جلادين لأصدقائهم وإخوتهم!! وكان هذا الذي حدث للهنود عقب كتابة الوثيقة.

وأصدرت الحكومة الجديدة بعد ذلك قانوناً بإزاحة الهنود من أماكنهم إلى غربي الولايات المتحدة؛ وذلك لإعطاء أراضيهم للمهاجرين، وكان ذلك عام ١٨٣٠م، وهُجِّر إلى المناطق الجديدة أكثر من ٧٠,٠٠٠ ألف هندي، فمات كثير منهم في الطريق الشاق الطويل، وعرفت هذه الرحلة تاريخيًا بـ (رحلة الدموع).

لم يكتف الأمريكان بذلك، فلم يمض وقت طويل حتى أخذ المهاجرون في الاندفاع نحو الغرب متوغلين في الأراضي التي خصصت للهنود، وكان مما زاد الطين بلة أن اكتشف الذهب في هذه المناطق، فرحل كثير من عباد المال إلى هناك، وكانوا يقتلون الحيوانات البرية التي كان الهنود يعتمدون عليها في طعامهم، وقاتل الهنود دفاعًا عما تبقى من الأرض، ولكنهم هزموا في نهاية الأمر؛ ولكن للإنصاف والعدل فقد كانت الحكومة الأمريكية عادلة ومنصفة!! إذ نقلتهم من هذه الأرض إلى أماكن مخصصة (مستوطنات مغلقة) !!



انخفض عدد الهنود بعد هذه المراحل من الحرب والتشريد والطرد إلى ٣٥٠ ألفًا فقط، أي أُبيد على يد الأمريكيين ٧٥٠ ألفًا، وكان هذا هو الرأي الأمريكي في تقرير مصير الشعب الهندي الأحمر!

الثاني: النموذج الأفريقي .. الأسمر :

وتزامنًا مع الحالة الهندية كان الزنوج يُنتزعون من الساحل الغربي لأفريقيا، وكانت تجارة الرقيق تقوم بها مجموعات كبيرة من الشركات والأفراد الأمريكيين، وكانت هذه التجارة تدر أرباحًا وثروات هائلة؛ إذ كان العبيد يباعون مقايضة مقابل التبغ والأرز!! وكانوا بطبيعة الحال يعملون أشق الأعمال وأخطرها، ويُحرَمون من كل شيء، حتى الذي ورد في وثيقة الاستقلال. ومع بداية سنة ١٨٥٠م بلغ عدد العبيد ٣,٢٠٠,٠٠٠ مليون من بين سكان أمريكا الذين كان عددهم ٢٣ مليونًا، وكان الرق غالبًا في الجنوب الأمريكي، وبدأت دعوات في الشمال تطالب بإلغاء الرق، وكان ذلك في بداية عام ١٨٦١م، وكان سكان الجنوب ـ الذين يرفضون إلغاء الرق ـ يقارب عددهم ٩ ملايين شخص منهم ٣,٥ مليون عبد، أي أن لكل شخصين من البيض شخصًا من العبيد، وانفصلت الولايات الجنوبية عن الاتحاد، وبدأت الحرب الأهلية الأمريكية (حرب الأشقاء ١٨٦١ ـ ١٨٦٥م) ونذكر نموذجًا واحدًا من معارك هذه الحرب، وهي معركة (جتسبيرج) التي سقط فيها خلال ثلاثة أيام فقط ٤٥,٠٠٠ ألف أمريكي ما بين قتيل وجريح ومفقود وأسيرا!! واغتيل بعدها «إبراهام لنكولن» قبل أن يحسم الخلاف على الرق.

أمريكا .. نموذج علماني شامل:

أمريكا قارة بكر عذراء، مواردها هائلة، أراضيها شاسعة، بعيدة عن العالم القديم، فلم تستنزف ثرواتها في حروب كبيرة ولا احتلال، فالخير الذي أودعه الباري (عز وجل) فيها ما زال بوفرته، وهو ما ساعد على قيام دولة كبيرة غنية، تستغني عن غيرها، وهذه العوامل ساعدت أمريكا على الظهور كقوة كبيرة في العالم.

هذه القارة الجديدة الهائلة كانت مطمع المهاجرين الأوروبيين، وكان



الذين سبقوا بالاستيطان يراسلون ذويهم وأصدقاءهم قائلين: هلموا إلى أمريكا.. لقد وجدنا شوارعها مفروشة ذهبا، وكان ـ كما ذكرت ـ عدد كبير من أولئك من مجرمي الحروب ونزلاء السجون وتجار الرقيق والباحثين عن الذهب والمال، وقد وجدوا في الأرض الجديدة متنفساً كبيراً عن الذي عايشوه في أوروبا، من كبت واضطهاد، وفرصة ـ كذلك ـ للثراء، فرصة لأن يكونوا أمة شابة تقف أمام قارتهم الهرمة، فأنشأت هذه العوامل هذه النفوس، وعملت هذه النفوس على إحياء مبدأ واحد فقط: (المصلحة)، فمن مصلحة المهاجرين إبادة الشعب الأصلي للأرض كي لا يكون للأرض صاحب آخر يفجر الثورات، فنقلوا هذا الشعب إلى .. العالم الآخر!!

واقتضت المصلحة كذلك انتزاع شعب آخر من أرضه قهرياً، واستعباده في الأرض الجديدة.. شعب يعزل عن أرضه ـ أفريقيا ـ ويزرع هناك، بلا هوية، بلا دين، بلا صلات، فنقلوه كذلك من دنيا إلى ... دنيا أخرى لا يرتبط معها بأي رابط.

واقتضت المصلحة كذلك أن تفتح الأرض الجديدة على مصراعيها لشذاذ الآفاق من كل الدنيا للعمل على إحياء الأرض الجديدة؛ ولكن شريطة التخلي عن الدين والعرق والأخلاق. الشرط الوحيد للبقاء لهذه الفئة من الناس: أن تذوب ذوباناً كاملاً في ذلك المجتمع، تعمل فقط، تأكل فقط، تتلذذ بما شاءت .. فقط.

ولهذا وغيره كانت أمريكا نموذجاً مثالياً للعلمانية الشاملة، فهي أرض بدأت من الصفر، بدأ الحياة فيها قوم لا خلاق لهم، كان أكبر همهم هو التخلص من الثقافة الأوروبية والنمط الأوروبي الذي كان يمثل لهم نمطاً من احتلال الأرواح والأجساد معاً؛ لذا كانت نشأة أمريكا متحررة من كل شيء، تبيح لشعبها كل شيء، فلم يكن (لنشأتها) وازع ديني يمنعها من التحرر، ولا أخلاق تحكم التصرفات، حتى أولئك الذين هاجروا إليها من غير الأوروبيين كانوا على استعداد للذوبان فيها، كونهم هربوا من مجتمعاتهم، فكان شعورهم كشعور المستوطنين حين تركوا أوروبا.

إن فهم تلك الأبعاد للنشأة الأمريكية هام جداً وضروري جداً لكي

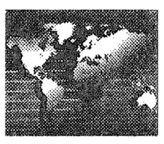


يكون مستحضراً ونحن نتعامل مع هذا النموذج المسيطر، وحتى لا نعجب أو نغتر أو يصيبنا الجزع ونحن نرى هذا الانتفاش الهش. إن الشيء الوحيد الذي يهتم به الأمريكي هو مصلحته، وأن يعيش مستمتعاً: يأكل بشراهة، يشرب كأنه لم يذق الشراب من قبل، المهم أن يستمتع، وهذا مما أشارت إليه (الواشنطن بوست) في افتتاحيتها عقب الإعلان عن فوز «كلينتون» بالرئاسة الأمريكية مرة أخرى قائلة: «الأمريكيون مهتمون فقط بأمور الزبدة والخبز، ويعتبرون النظام السياسي.. مجرد جهاز إداري، إن هذه النزعة لتهميش الوظيفة السياسية المؤسساتية تفسر إعادة انتخاب الأمريكيين لـ «كلينتون» رغم وعيهم لتجاوزاته الأخلاقية؛ لأن همهم أن يكون رئيساً إدارياً جيداً، وليس نموذجاً للأخلاق والمثالية».

كذلك هناك النزعة التوسعية المتأصلة في النفس الأمريكية، وعقلية المستوطن المحتل الذي يقيم حياته على رفات غيره من البشر؛ هذه العقلية التوسعية، صارت كذلك مدعاة للفخر والمباهاة، ففي الحوار الذي أجرته مجلة (أتلانتك) ونشرت مجلة (المجلة) جزءاً منه مع د. «بنجامين سوارتز» الخبير في الاستراتيجية الأمريكية في معهد السياسة العالمية في (نيويورك) أجاب عن السؤال التالي: لماذا تريد أمريكا أن تحكم؟ فأجاب: ربما السؤال الصحيح، لماذا تظن أمريكا أن من واجبها أن تحكم العالم؟ والإجابة هي أن التوسع جزء من التراث الأمريكي، في الماضي كان التوسع جغرافياً بتأسيس ولايات أمريكية في مناطق الهنود الحمر، حتى وصلنا إلى المحيط الهادي، ثم أسسنا ولاية في جزر (هاواي)، ثم وقفنا أمام طموح الآسيويين أنفسهم، ولهذا تحول التوسع الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية وخلال الخمسين سنة الماضية .. إلى توسع اقتصادي.

وللحديث بقية.

المسلمون



والعالم

خمسون عاما من الفشل..!

أجواء الحرب .. في أحلام السلام

(٣ ـ ٣)

مرّ الكاتب في مقالين سابقين على محطات الفشل العلماني في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي، فكان من محطات الحرب: نكبة ١٩٤٨م، والعدوان الثلاثي ١٩٥٦م، ونكبة ١٩٦٧م، وحرب التحريك ١٩٧٣م، ومن محطات الفشل في السلام: مؤتمر جنيف ١٩٧٤م، وكامب ديفيد ١٩٧٨م، ومؤتمر فاس ١٩٨٢، ومشروع إعلان الدولة الفلسطينية، ومؤتمر مدريد ١٩٩١م، ويواصل الكاتب الوقوف على محطات أخرى.

ـ البيان ـ

المحطة السادسة: محادثات المسارات المتعددة في واشنطن:

بعد الانتهاء من مؤتمر مدريد، اختيرت واشنطن لتكون مقراً لاجتماعات مسارات التفاوض الثنائية، ودارت المحادثات على مسارات منفصلة كما هو متفق عليه ـ أو كما أرادت (إسرائيل) فقد كانت تخطط لإضاعة الوقت في هذه المفاوضات لتشتيت جهود العرب والاستفراد بكل طرف على حدة، لكي تستثمر هذا الوقت لصالحها بتنفيذ برامج ومخططات تحتاج إلى تغطية، وقد ظهرت هذه النية بعد ذلك على لسان (شامير) الذي قال: (كنت أريد للمفاوضات في واشنطن أن تمتد عشر سنوات، حتى تستكمل خطط الاستيطان، وحتى لا تبقى أرض فلسطينية يتم التفاوض عليها...) !! نعم أليسوا يهوداً ؟.

لقد حرص هؤلاء الأعداء على إضاعة الوقت فعلاً، حتى إن بعض (القضايا) التي جرت مناقشتها بين الوفد الإسرائيلي والأردني مثلاً، كان منها: التعاون من أجل مقاومة توالد البعوض في وادي الأردن! وكان منها ضرورة التنسيق للتوصل إلى حل في مشكلة الحمام البري الطائر الذي يطير من الأراضي الأردنية ليتغذى على الغلال في الصوامع الإسرائيلية !!





عبد العزيز كامل

المسلمون



والعالم

أما القضايا الجادة - على كل المسارات - فكانت تؤجل باستمرار، وكانت وفود اليهود تردد دائماً قناعتها بأن من أصول التفاوض الصحيح حل المشكلات الصغيرة أولاً ثم التفرغ للمشكلات الكبيرة. ومع كل هذا الهوان، فقد كان المفاوض العربي والفلسطيني يشعر في نفسه بذلك الهوان، بغض النظر عن القضايا التي تناقش، يعبر عن ذلك (د. حيدر عبد الشافي) بقوله: (نحن وفد منقسم على نفسه، وفي الحقيقة فنحن أربعة عشر عضواً فلسطينياً وكل عضو فينا وفد مستقل، وكل واحد منا يمثل نفسه، وله اتصالاته وله ميادينه»!! وكان من الطبيعي مع كل هذا أن تكون نتائج مسارات واشنطن.. الفشل!!

المحطة السابعة: اتفاقيات أوسلو: بعد فشل محادثات المسارات المتعددة في واشنطن، اتجهت الأنظار إلى (أوسلو) عاصمة النرويج، وكان ذلك عقب ظهور عدد من المستجدات على الساحة العربية والدولية منها:

١ - انتقال رئاسة الوزراء في (إسرائيل) إلى حزب العمل برئاسة (إسحاق رابين) بعد سقوط (إسحاق شامير) زعيم حزب الليكود.

٢ - أن منظمة التحرير - من خلال محادثات واشنطن - ظهر أنها مستعدة نفسياً وعملياً لإعطاء كل شيء مقابل الاعتراف بها، وأنها سوف ترحب بأي تعاون من شأنه ألا ينقل الوصاية على القضية الفلسطينية من يد المنظمة إلى أيدي (حماس).

٣ - حرص كل أجهزة المخابرات ومراكز الدراسات في إسرائيل وغيرها على إظهار وإبراز أن هناك قوة إسلامية عارمة يمكن أن تكتسح أكثر من

ساحة عربية ومن ضمنها فلسطين في ظل التشرذم والفشل العربي، وأن تلك الموجه الإسلامية يمكن لها أن تقفز إلى واجهة الأحداث ليرى اليهود أنفسهم وجهاً لوجه أمام مبارز جديد لم يتعودوا على منازلته، وقد عبر عن هذا التخوف أحد الوزراء في حكومة رابين عندما قال: «إن الحركة الإسلامية ستتصاعد، وستؤدي إلى تقوية التيار الديني في (إسرائيل) نفسها، وأستطيع أن أقول: إن المتشددين الإسلاميين والمتشددين اليهود سيلتقون في ساحة المواجهة هنا على أرض فلسطين، وعندها سيخرج الأمر من أيدينا تماماً»!

وكان (رابين) يرى لأجل ذلك ـ أنه لا مانع من الاعتراف بالمنظمة بعد اعترافها بـ (إسرائيل) وبحقها في حياة آمنه ضمن حدود معترف بها، وكان في ذلك مخالفاً لسلفه (شامير) وقد سوّغ وجهة نظره بقوله: « إن المنظمة إذا وضعت بصمتها على ورقة الاستسلام، فلن يستطيع أحد أن يزايد على (أصحاب الشأن)»!

وبدأ الفلسطينيون عبر قنوات اتصال سرية في التفاوض مع الإسرائيليين لإبرام اتفاق (منفرد)، وأثمرت هذه الاتصالات في الوصول إلى اتفاق مبدئي أطلق عليه: (غزة وأريحا أولاً) وكان المفاوضون قد اتفقوا في أوسلو على ألا يكرروا الخطأ الذي حدث في واشنطن من الوفد الفلسطيني وهو المطالبة بالبدء بالموضوعات الصعبة الرئيسية مثل: حق تقرير المصير، والمستوطنات، ومستقبل القدس. واختاروا أن يكون البدء بأمور عملية تقبل التنفيذ، ووقع الاختيار على (غزة وأريحا أولاً) بمعنى تمكين الفلسطينيين من حكم هاتين المنطقتين حكماً ذاتياً، وكانت هذه مبادرة إسرائيلية صرفة، صادفت هوىً لدى القيادة الفلسطينية، وقد تم التوصل إليها بينهما دون شراكة من أي طرف ثالث.

وقد أراد الإسرائيليون بهذه الاتفاقية أن يضربوا عدداً من العصافير بحجر واحد في هذه المرحلة وذلك بما يلي:

١ ـ التخلص من قطاع غزة المزدحم والمزعج، والمليء بأسباب التوتر الأمني والعلل الاقتصادية والكثافة السكانية العربية.

المسلمون



والعالم



٢ ـ إرضاء غرور القيادة الفلسطينية المتطلعة إلى زعامة وهمية على دولة غير واقعية لن تفيد الشعب الفلسطيني، ولن تضر الشعب الإسرائيلي.

٣ ـ إيهام العالم بعدالة الصفقة اليهودية في آخر فصول القضية الفلسطينية.

٤ ـ عزل القوى العربية غير الراغبة في السلام ـ إن وجدت ـ بإعطاء البرهان على أن أصحاب القضية قد ألقوا البندقية.

٥ ـ احتواء التيار الإسلامي المتصاعد في غزة على يد الشرطة الفلسطينية بعد أن عجزت الشرطة الإسرائيلية عن القضاء عليها.

وبعد خمس جولات من المباحثات في أوسلو، تم التوصل في (٨/٥/١٩٩٣م) إلى ما يسمى وقتها بـ (اتفاق إعلان المبادئ) المتعلق بمنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً في غزة وأريحا، وكان بيريز متحمساً للإسراع في إبرام ذلك الاتفاق الذي تفتقت عنه قريحته، فقد كان يراه فرصة تاريخية لا تعوض في مثل ذلك الظرف الذي كان يقتضي الاعتراف بالعدو الذي لم يعد عدواً (منظمة التحرير)؛ لأن البديل هو كابوس لا يمكن تصوره، ولذلك قال: (إن البديل الوحيد لمنظمة التحرير ـ إذا تجاوزناها ـ هو (حماس) وحماس لن تعترف أبداً بإمكانية السلام معنا..»!

وما كان لاتفاق أوسلو أن يخرج إلى الوجود، إلا بعد أن تم تأجيل كل القضايا الأساسية وهي: (القدس) (الحدود) (المستوطنات). وبالرغم من أن الاتفاق أسوأ مما كان ينتظره المتشائمون، حيث إنه لا يحقق الحد الأدنى من الثوابت الفلسطينية، إلا أن ياسر عرفات كان يحب أن يطلق عليه: (سلام الشجعان).

وفي مقابل قبول الاتفاق على مضض من بعض العرب بسبب إجحافه

(١) يلاحظ أن هذه المساعدات المالية والاقتصادية، استمرت طوال السنوات الماضية، لتعطي الدولة العربية الكبرى إمكانية التصدي لزعامة (عملية السلام) فلما انتهى هذا الدور أو أوشك على الانتهاء الآن، فقد أصدر (الكونجرس) الأمريكي قراراً في (يونيو٩٧) بإيقاف المعونة الأمريكية لمصر (مليار دولار سنوياً) بدعوى أن مصر أصبح لها دور سيئ في تعويق عملية السلام!.

بالفلسطينيين في أرضهم، فإن الإسرائيليين عمهم الفرح به، حتى إن أحد الوزراء الإسرائيليين وهو (يوسي ساريد) علق عليه قائلاً: (إن إسرائيل اليوم خلقت من جديد، فمنذ إنشائها لم تكن الدولة شرعية في المنطقة التي قامت فيها، واليوم (١٣ سبتمبر ١٩٩٣م) اكتسبت إسرائيل شرعية الاعتراف بها» هذا على مستوى العارفين بالأمور من الإسرائيليين، أما قطاعات الشعب التي ساءها أن ترى (عرفات) داخل أرض الميعاد مرة أخرى، فقد هالهم هذا التغيير، ولكن رابين طمأنهم وهدأ من روعهم، وخاطبهم ـ ولما يجف مداد الاتفاق ـ قائلاً: «إنه لن يكون هناك انسحاب إسرائيلي، ولكن: إعادة انتشار، و(السلطة) للفلسطينيين سوف تكون تحت سيطرة (الدولة الإسرائيلية) وحتى الأرض، فليس هناك اتفاق بشأنها، ولكن بشأن البشر الذين يسكنون عليها.

أما الأموال التي ستأتي لتلك السلطة الفلسطينية، فلن تصل إلى أيديها مباشرة بل ستمر عبر قنوات دولية تضمن سلامة مصارفها»!

ثم بدأ تنفيذ بعض بنود الاتفاق، واستقدمت أعداد من المقاتلين الفلسطينيين السابقين الذين كانو قد تفرقوا في عدد من البلدان العربية، لتتشكل منهم كتائب شرطة ـ لمكافحة الشغب أو بالأحرى: مكافحة الشعب، إذا أراد أن ينتفض مرة أخرى، ومع كل هذا التنازل.. فإن الطرف اليهودي كان يتعامل مع الطرف الفلسطيني بالازدراء كله، والمكر والخداع كله، وكعادة اليهود في التملص من العهود، فإنهم لم يصبروا على (اتفاق أوسلو) رغم حيفه وجوره، وعادوا إلى التمثيلية المكرورة وهي (تعدد فهم النص) تلك التمثيلية التي درجوا على اللجوء إليها كلما أرادوا التحريف أو التزييف، فيقولون: النص هكذا، ولكننا نفهم منه كذا.. وأنتم تفهمون منه كذا، وبهذا في كل مرة يتخلصون من أي التزام، ويتبرؤون من كل مسؤولية، لقد قال رابين قبل مصرعه: (إنني اكتشفت أن هناك قراءتين لاتفاق أوسلو: قراءة فلسطينية وقراءة إسرائيلية، ونحن أمام تفسيرات مختلفة لقضية كنت أظنها واضحة في الاتفاق، وقال: «إن فجوة الاتفاق بيننا وبين عرفات واسعة».





بمثل هذه التصريحات، وفي ظل تلك المواقف التي توجهها الرغبة في التلاعب، تجري فصول العملية السلمية، فما كان يفهم (شامير) من قواعد اللعبة، يمكن أن يختلف غداً عما فهمه (بيريز)، وما كان مسلّماً به عند رابين، يمكن أن ينقلب على أعقابه في مفهوم (نيتنياهو)! وما تعاهدت عليه حكومة (الليكود) اليوم، ليس ملزماً لحكومة العمل غداً. وهكذا تتوالى الفصول في عملية السلام المهزول نقضاً للوعود، ونكثاً للعهود.

وبهذا تم التوسع في بناء المستوطنات، وبهذا تقرر الانتهاء من أمر (مصير القدس) قبل أن يأتي موعد التفاوض بشأنها، وبهذا يجري الآن العمل لنقل السفارة الأمريكية إليها، ليمثل هذا أرضية دولية للاعتراف بالقدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.

والظاهر أن أوان الفصل الأخير من فصول عملية السلام قد آذن بالأفول، حيث نعاه عرفات إلى العالم في تصريح له في زيارته الأخيرة إلى فرنسا (١ يوليو ١٩٩٧م) قال فيه: (إن نتنياهو قد اتخذ قراراً وسوف ينفذه، وهو إعادة احتلال غزة وأريحا)! فهل سيبدأ بغزة وأريحا.. أولاً؟

نقول للقيادات العربية التي وضعت نفسها في واجهة القضية الإسلامية: ليتكم قرأتم أو فهمتم من كتاب الله وصفين وخصلتين من اليهود لم ولن يتخلوا عنهما: الأولى: أنهم لا عهد لهم مع أحد. قال الله تعالى: ﴿ **أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة: ١٠٠].

والثانية: أنهم لا أمان لهم. قال تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا** ﴾ [المائدة: ٦٤].

إذن، فقطار (السلام)، لا يركبه اليهود إلا للوصول عبر محطاته إلى ميدان الحرب؛ وهذا أمر واضح لمن راقب أحوال القوم في القديم والحديث. ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ﴾ [النساء: ٤٥، ٤٦] اللهم كف عنا بأسهم في الحرب، ومكرهم في السلام.

الاستنساخ .. حقيقته وما وراءه

مدخل:

حفل المجتمع العلمي مؤخراً بحدث علمي خطير هو الاستنساخ الجيني قال عنه أحد علماء الفيزياء النووية: (جوزيف روتيلان): إن إطلاق العنان له بدون ضوابط قد يقود إلى عواقب ومخاطر تفوق أخطار الأسلحة النووية. وقد لقي هذا الموضوع اهتماما عظيما من قبل كثير من العلماء والمفكرين. وقد كُتب عنه العديد من الدراسات المختلفة، وعُقدت حوله كثير من الحلقات العلمية والندوات التي تناولته بالبحث والدراسة والتحليل.

ولقد ورد للبيان دراستان علميتان مرتبطتان بالمنطلق الإسلامي العقدي والفكري؛ آثرنا نشرهما معاً في (دائرة الضوء) آملين أن تسهما في التوعية بالموضوع والتعريف بأبعاده بلا تهاون أو تهويل.

ـ البيان ـ

في دائرة الضوء

أولاً: البعد العقدي لعملية الاستنساخ

د. محمد بن عبد الله الشباني

في الآونة الأخيرة أبرز الإعلام المقروء والمرئي قضية الاستنساخ الجيني وما توصل إليه العلم البشري، بعد أن أذن الله بذلك، من اكتشاف بعض أسرار الخلق؛ وذلك بمعرفة كيفية استنساخ النعجة «دوللي» ومن قبلها استنساخ عجول في اسكتلندا من جينات الأبقار.

لقد صاحب نجاح تجربة النعجة دوللي زخم إعلامي أخذ أبعاداً عقدية، وبدا لكل من كان في نفسه مرض أن يستغل الخبر للترويج للإلحاد، وتضخيم الأمر، وإظهار الحدث بأنه نوع من تحدي الله في خلقه ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ فمن ذلك مثلاً مقالة لنزار قباني بعنوان: هل يمكن استنساخ المتنبي؟ التي نشرتها صحيفة الحياة في عددها الصادر بتاريخ ٥ ذي القعدة عام ١٤١٧هـ حيث جاء في تلك المقالة قوله: (ومعناه أن العلماء بدأوا بتحدي السماء..! ومعنى هذا أيضاً أن الإنسان لم يَعُدْ له رب يؤمن

به، ويركع في محرابه، ويصلي له، ويطلب رضاه وغفرانه.. لأن المختبرات العلمية أخذت مكان الرب) وفي مكان آخر من مقالته يقول: (كان أسهل على الله أن يستعمل قالباً واحداً لصناعة البشر مثلما تفعل مصانع البلاط والقراميد والأحذية والملابس الجاهزة؛ ولكن الله فنان عظيم لا يكرر نفسه! ولا يكرر عباده! ولا يعيد تصاميمه القديمة أبداً!...). إن هذا الكفر الذي ينشر بين الناس في بلاد المسلمين ليقرأه من قلّت بضاعته في الدين ممن هو على جرف هارٍ سرعان ما يسقط في هوة الكفر وخاصة في زمن كثرت فيه الفتن، وتكلم فيه الرويبضة، وأصبح للكفر جولة وصولة ودولة!

إن التصدي لهذا الأمر ينبغي ألا يتجه إلى الحكم الفقهي ومدى جواز وعدم جواز الاستنساخ فقط، وإنما الأمر يتعدى ذلك إلى النظر إلى الموضوع من جانبه العقدي، ومدى خطورة العبث الذي ينشر بقصد إضلال الناس وحرفهم بأسلوب ماكر يتمثل باستخدام العلمية، وما توصل إليه العلم من كشف لأسرار كانت مجهولة؛ لحرف الناس عن الطريق المستقيم إلى الطرق المنحرفة تنفيذاً للمحاولات المستمرة والدائمة من عدو بني آدم إبليس الذي أخبر الله عنه في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وعمله على إضلال الناس كما في قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة ص: ٨٢، ٨٣].

لقد تعدى موضوع خبر استنساخ النعجة «دوللي» إلى التحدث عن إمكانية استنساخ البشر، وإمكانية إعادة الأموات باستنساخهم، وأخذَ الإعلام الذي يهدف إلى ترسيخ الإلحاد معالجة هذا الخبر ليس بأسلوب عقلي وعلمي وإنما بانتهاج أسلوب الإيحاء إلى أن الإنسان قد أصبح قادراً على التحكم في حياته وبقائه؛ ولهذا فإن من الواجب النظر إلى الموضوع من زاوية مدى التأثير على سلامة الاعتقاد فيما يتعلق بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

إن الجوانب التي سوف أتطرق إليها في هذه المقالة عن موضوع الاستنساخ ستنحصر في فهم حقيقة الاستنساخ وفق ما نشر عن ذلك من قِبَلِ المختصين، ثم مناقشة مدى تصادم عملية الاستنساخ مع حقيقة الخلق التي يتفرد بها الرب المعبود، وهل تعرض القرآن إلى موضوع ما يحدث الآن من عبث فيما يتعلق بالحيوانات، وما هو موقف القرآن من إمكانية استنساخ البشر بالحصول على نسخة كاملة لإنسان حي مرغوب في استنساخه، وهل أسس خلق الإنسان كما حكاها القرآن تماثل أسس خلق بقية

في دائرة الضوء

المخلوقات، وهل يتفرد الإنسان بخاصية في الخلق عن بقية المخلوقات؟

لمعرفة حقيقة هذا الأمر الذي صوَّره الإعلام في صورة تجلت فيما للإعلام من دور في قلب الحقائق والعمل على تغيير مفاهيم الناس؛ فالذي تم تصويره حول إمكانية استنساخ البشر أنه أمر أصبح من شبه المؤكد وإن كان في حقيقته مجرد خيال علمي وفرقعة إعلامية قصد من ورائها التضليل وزرع الشك في المرتكزات العقدية للإنسان المؤمن بالله الخالق لكل شيء. لقد كانت ردة الفعل لدى بعض ممن ينتسب إلى العلم الشرعي بالنظر إلى الموضوع من زاوية مدى تأثير ذلك على البناء الأسري، وحماية الإسلام للحاجات الخمس، وضرورة حماية الناس من هذا العبث باعتبار أن ما أشير إليه من إمكانية استنساخ البشر أصبح شبه مؤكد وحقيقة ثابتة.

● **الاستنساخ فرقعة إعلامية:** إن قضية الضجيج الإعلامي الذي صاحب قضية استنساخ النعجة «دوللي» هو أسلوب قديم يتبدل ظاهره ولا يتبدل جوهره؛ فقد سبق أن استمر الضجيج ولا زال في بعض الدوائر وإن انكشفت حقيقته وهو ما يتعلق بنظرية دارْوِن عن أصل الإنسان القردي؛ فكلما اكتشف الإنسان شيئًا من قدرة الله ذات ارتباط بقضية وجوده وحياته وموته ونشوره وعلاقته بخالقه استُغل هذا الاكتشاف لإضلال الناس بصدهم عن سبيل الله.

إن أسلوب التكاثر والتناسل الذي أوجده الله على هذه الأرض يأخذ ثلاثة أنواع هي[1]:

١ ـ **التكاثر اللاجنسي:** ويتم التكاثر وفق هذا النوع بالانتشار أو التبرعم أو التجدد، أي ليس هناك حيوانات منوية أو بويضات مثل حيوانات البرافسيون.

٢ ـ **التكاثر الجنسي:** ويتم ذلك من خلال اتحاد الحيوان المنوي (المشيج المذكر) مع البويضة (المشيج المؤنث) ومن اتحادهما تتكون النطفة الأمشاج (البويضة المخصبة) التي من خلالها يتم الاستنساخ بطريقة الانقسام والتفليج حيث يتكون الجنين.

٣ ـ **التكاثر العذري:** حيث يتم التكاثر من خلال البويضة لوحدها دون تدخل الحيوان المنوي حيث يتم تكوين جنين كامل، وهذا ما يحدث خلال تكاثر دودة القز أو النحل وغير ذلك من الحشرات.

وقد تم استخدام هذه الطريقة في التكاثر العذري الاصطناعي، وقد تم تطبيقه على العديد من الحيوانات وخاصة (الحيوانات اللافقارية) وبعض الحيوانات الفقارية مثل الضفادع والفئران. أما ما تم

(١) د. صلاح عبد العزيز الكريم، استنساخ الأجنة، جريدة عكاظ العدد ١١٦٩ ٧ ذي القعدة ١٤١٧هـ.

من استنساخ النعجة «دوللي» فهو ما يعرف بالاستنساخ الجيني بالزراعة في بويضة أخرى. ونظرية الاستزراع النووي تقوم على أساس أن أي خلية في جسم أي كائن حي تحتوي على جميع الجينات والصفات والشفرات الوراثية الكاملة، وهي توجد في حالتين: الأولى: في حالة استقرار نهائي وراثي لا يتطلب المرور بمراحل تكوين أخرى؛ حيث يمكن فيما إذا أتيحت لها الفرصة أن تنمو كخلية أولية وتنتج نسخة كاملة ومتطابقة للكائن الحي نفسه من جديد، ولكن خلايا الحيوانات المنوية عند الذكر والخلايا المكونة لنويات البويضات عند الأنثى كلاهما يختلف عن باقي خلايا الجسم في أمرين: الأول: أن كلاً منهما يحمل صفات وراثية زائدة عما تحمله الخلايا الأخرى وهي الصفات الخاصة بتحديد النوع (ذكر - أنثى) والثاني: أن كلاً منهما في حالة نهائية غير مستقرة من ناحية الشفرات الوراثية، وتحتاج للمرور بمراحل تكوين أخرى، ولكن عندما تقوم الحيوانات المنوية باختراق البويضات لتخصيبها يتحدان معًا ويكونان خلية أولية جديدة، ثم تستكمل باقي المراحل الأخرى.

إن ما حدث في تجربة النعجة دوللي هو ما تم أخذه من خلية في حالة استقرار نهائي وراثي قام بوضعها في بويضة منزوعة النواة، وتم توحيدهما من خلال شرارة كهربائية بحيث تم الإعادة إلى الأصل الأول وكأنه حيوان منوي حيث انقسمت الخلية إلى مراحل هي ٢-٤-٨-١٦ وهكذا تم إدخالها في رحم أنثى حيث استكملت دورتها.

إن دورة البويضة المنزوعة النواة هي إعادة الخلية إلى حالتها البدائية الخاصة بها حيث تصبح الخلية المنزوعة من الكائن الحي المراد استنساخه بمثابة الحيوان المنوي الملقح للبويضة. ولكن الاختلاف هو عزل الكروموزومات الخاصة بالخلية المزروعة في هذه البويضة المنزوعة النواة، وبالتالي فإن ما حدث هو تغيير في أسلوب التلقيح بأخذ المورثات الخاصة بالشيء المراد استنساخه ثم إكمال دورة الخلق وفق سنة الله في الإيجاد، فالأمر لا يعدو استغلال ما وضعه الله من سر في البويضة المخصبة التي تعد بداية تكون أي كائن حي[1] في حدث هو تنبيه الخلية في الانقسام فقط. فما حدث من فتح الله لهذا الجانب من المعرفة إنما هو تحقيق لوعد الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت: ٥٣].

(١) مقابلة في جريدة الأنباء مع الدكتور أحمد شوقي أستاذ الوراثة بجامعة الزقازيق وآخرين في العدد ٧٤٨٤ وتاريخ ٢٠ مارس ١٩٩٧م.

دروسان مهمان إن استنساخ الحيوانات ومحاولة العبث بما فتح الله على إنسان هذا العصر من المعارف والعلوم أمر لا بد من حدوثه ـ لأمرين:

الأول: امتحان البشر من خلال فتنة الغرور بالعلم وتخيله مفتاحاً لسيطرة البشر على الكون؛ فما يحدث الآن من مقولات حول إمكانية قدرة البشر على تغيير خلق الله، وبالتالي الحلم بالوصول إلى التحكم في مصير الإنسانية وتحقيق مقولة الإلحاد بالتطور الذاتي، بجانب ما في ذلك من إقامة الحجة على الناس بما أوتوا من العلم الذي من خلاله تمكنوا من معرفة بعض أسرار الكون مما أصبح فتنة لهم تحقيقاً لوعد الله في قوله تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

الثاني: تحقق ما أخبر الله عنه في كتابه بأن الشيطان الذي سلطه الله على الناس ليكون أداة الاختبار والامتحان لمدى استجابة الإنسان لفطرة الله بالإيمان به؛ حيث أعطي القدرة على إضلال الإنسان، وأنه يعمد إلى ذلك حسب ما أخبر الله عن ذلك عند محاورته لله في بدء خلق الإنسان في قوله تعالى:

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩] ومن خلال هذا الخبر عن الله فيما سيتخذ الشيطان من وسيلة للإضلال نعلم بأنه سيعمد إلى دفع الناس لتغيير خلق الله في الأنعام فيما لا فائدة ولا منفعة من ورائه.

● **من صور العبث العلمي** من ذلك ما تناقلته وكالات الأنباء من قيام علماء أمريكا بزرع مجموعة من خلايا دماغ جيني طائر الفرِّي (السمان) في دماغ جيني دجاجة؛ وكانت النتيجة قيام الدجاجة بالتغريد وتحريك رأسها مثل طائر الفري؛ فهذا نوع ـ إن صح ـ من العبث بما أفاضه الله من علم على الناس[1].

إن خبر استنساخ النعجة «دوللي» وما أثير حولها من جدل عن إمكانية استنساخ البشر؛ حيث وصل الأمر بوسائل الإعلام أنها أكدت الأمر وأنه لن تمر سوى سنوات قليلة للحصول على نسخ بشرية[2] ولكون هذا الأمر له بعدٌ عقدي حيث إن الإنسان كائن مغاير في جميع صفاته ومكوناته وغاية وجوده عن بقية المخلوقات؛ فالسؤال الذي يفرض نفسه: هل يمكن استنساخ الإنسان على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، وما هي نظرة القرآن الكريم

(١، ٢) جريدة الأنباء ١٦ مارس ٩٧ م العدد ٧٤٨٠.

تجاه خلق الإنسان، وهل يتعارض وجود نسخ أخرى مكررة لأي إنسان مع مفهوم الجزاء والعقاب للإنسان يوم القيامة كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم أي: من سيقع عليه العقاب: الأصل، أو النسخ المكررة؟

إن المتمعن في آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يجد أن أساس خلق الإنسان يختلف عن بقية المخلوقات الحية الأخرى التي تعيش على الأرض، وأن الإنسان يتميز بخاصية فريدة عن بقية المخلوقات حيث أخبر الله أنه عندما خلق آدم فقد تفرد خلقه بأن نفخ فيه من روحه؛ ولهذا أمر الله ملائكته بما فيهم إبليس بالسجود لآدم، وأنه نفخ فيه من روحه يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩] وقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ...**﴾ [سورة ص الآيات من ٧١ إلى ٧٤]. إن ما يثيره الإعلام المعاصر من إيحاء للناس بأن العلماء أوشكوا على إمكانية إيجاد نسخ بشرية، وأن استعادة الهالكين قد أصبحت قريبة الحدوث[1] إنما هي محاولة الشيطان الأزلية لإضلال الناس بتزيينه رغبة الإنسان بالعمل على طلب الخلود؛ وذلك بالبحث عن كيفية تحقيق ذلك بمعرفة سر خلق الإنسان. يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾ [طه: ١١٦ - ١٢٠] وكذلك الآية ٢٠ من سورة الأعراف هي في الموضوع نفسه، وبسبب هذه الحقيقة التي يسعى الشيطان ليضل الناس وفقاً لهذه الرغبة الدفينة يقول الله عن ذلك في القرآن الكريم: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾ [الكهف: ٥٠، ٥١] ففي هذه الآية تأكيد أن الشيطان سوف يسعى إلى دفع الناس إلى هذا ولكن الله قد حكم أن ذلك لن يتحقق؛ لأن الغاية التي يسعى إليها الشيطان وأتباعه من البشر هو العمل على نشر الضلال.

---

(١) لقد نشرت جريدة الوطن الكويتية خبراً في عددها ٧٥٧٢ بتاريخ ٧/١١/١٤١٧هـ نسبته إلى شبكة سي.إن.إن. أن العلماء قد دأبوا على أخذ عينات من الحامض النووي من الفراعنة، ويتساءلون: هل يمكن إعادة الفراعنة؟!

● **لا يمكن إعادة نسخ الإنسان :** إن إمكانية إيجاد نسخ مكررة للإنسان على ضوء القرآن الكريم غير ممكنة للأسباب التالية :

١ ــ إن الله أخبر في كتابه أن نسل الإنسان بعد آدم سيكون من سلالة من ماء مهين أي من الحيوان المنوي، وبالتالي استحالة أخذ أي خلية أخرى لتحل محل الخلية التي يحتوي عليها الحيوان المنوي، يقول تعالى في كتابه في سورة السجدة : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة : ٧، ٨] ومعنى هذه الآية كما أشار ابن كثير في تفسيره : أنهم يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهذا التفسير مأخوذ من قول الله تعالى في سورة الطارق : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق : ٥ ـ ٧] وهذه الآيات الواردة عن خلق الإنسان وتكاثره قد حددت بآيات محكمة غير قابلة للتأويل. وقد أشار الدكتور رأفت الشافعي استشاري أمراض النساء والتوليد إلى حقيقة هامة في أن ما يقال وينشر عن موضوع أخذ خلية من جسم شخص مًّا لتخلط مع بويضة مزروعة النواة وبعد ذلك توضع في رحم سيدة؛ أي : خروج مخلوق للحياة من سيدة واحدة دون الحاجة إلى رجل أمر يشبه ما يذاع في أفلام الرسوم المتحركة، ويدل على صحة ذلك بقوله : إن عملية التلقيح الصناعي وطفل الأنابيب الذي يقوم على أخذ بويضة من رحم المرأة ثم تلقح بالحيوان المنوي داخل الأنبوب حيث يبدأ بعد ذلك تخليق جنين بأطواره الأولى ثم يزرع في رحم المرأة، فإن حوالي ٩٥٪ من حالات زرع الأجنة وعملية التلقيح الصناعي لا تنجح[١] فإذا كان الاستنساخ أصعب من عملية التلقيح الصناعي ونسبة الإخفاق كبيرة وفق طريقة أسهل ولا تخرج عما أشار إليه القرآن؛ فكيف بأمر مخالف؟ ويؤكد الدكتور عز الدين فوزي أستاذ أمراض النساء بجامعة عين شمس[٢] اختلاف خلق الإنسان عن بقية المخلوقات بقوله : (إن التكاثر الطبيعي يتم من خلال اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة التي تنمو في الرحم بعد انقسامها. ومن المعروف أن كل خلية في الإنسان تتكون من ٤٦ كروموزوماً، وهذه الكروموزومات ٢٣ منها في البويضة و٢٣ في الحيوان المنوي وبعد اتحادها يصبح عددها ٤٦ كروموزوماً، وهذا الأسلوب في الزواج هو الذي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات؛ لذلك فإنه حتى مع افتراض نجاح هذا الأسلوب في الحيوان فمن الصعب نجاحه مع

في دائرة الضوء

(١، ٢) جريدة الأنباء العدد ٧٤٨٣ في ١٩ مارس ١٩٩٧م.

الإنسان، خاصة أنه ليست هناك خلية قادرة على الانقسام وتكوين مخلوق جديد سوى البويضة الملقحة التي تنقسم إلى خليتين أو أربع أو ثمان وأحياناً أكثر).

٢ ـ لقد أشار القرآن الكريم إلى مراحل الخلق للإنسان التي تشبه بقية الخلق للمخلوقات الأخرى من حيث مراحل نمو الخلايا وحركتها إلى أن يكتمل التكوين الجسمي ثم يدخل عنصر مغاير في عملية خلق الإنسان التي يتميز بها عن بقية الكائنات الحية، يقول الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤] يقول ابن كثير مفسراً لهذه الآية: (ثم جعلناه نطفة: هذا الضمير عائد على جنس الإنسان) كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] يعني: الرحم معد لذلك مهيأ له إلى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون: أي مدة معلومة وأجل معين استحكم، ونقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة، ولهذا قال هنا (ثم خلقنا النطفة علقة) أي ثم سيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره، وترائب المرأة وهي عظام صدرها ما بين الترقوه إلى السرة، فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة ... ثم استشهد لهذه المرحلة بأحاديث تؤكد تفرد الإنسان عن بقية المخلوقات بهذه الخاصية: منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد.. إلخ» وحديث حذيفة بن أسيد الفقاري الذي رواه أحمد في مسنده برواية مقاربة لسابقتها[1].

إن هذه الأحاديث التي أوردها ابن كثير ورواها أئمة الحديث تؤكد حقيقة تفرد الإنسان بحقيقة أن كل فرد من أفراده يُنفخ فيه روح مغايرة لروح الحياة التي يشترك فيها الإنسان مع بقية المخلوقات وذلك بنفخة الملك حيث إن هذه النفخة أمر ضرورة لتغيير خلق الإنسان من الحيوان ليصبح سميعاً بصيراً ذا عقل وفكر وعواطف وهي صفات لا توجد إلا في الإنسان؛ ولقد أوضح رسول الله ﷺ ضرورة امتزاج الحيوان المنوي بالبويضة.

٣ ـ تفرد الإنسان عن بقية المخلوقات

---

(١) ابن كثير الجزء الثالث ص ٢٤٠ـ ٢٤١.

الأخرى بأن جسده المادي الحي يحتوي على روح مغايرة في طبيعتها عن الحياة التي يشترك فيها الإنسان مع بقية المخلوقات الأخرى الحية ولهذا نجد تأكيد هذه الخاصية في القرآن الكريم سواء عندما تحدث عن خلق آدم ـ عليه السلام ـ أو عند خلق المسيح ـ عليه السلام ـ أو عند خلق بقيه البشر. لقد حاول العلماء معرفة حقيقة النفس الإنسانية والروح، واختلف فيها الفلاسفة كما اختلفت الأديان في النظر إلى الروح وحقيقتها، وجاء القرآن الكريم والسنة النبوية لتقرر حقيقة نفس الإنسان وروحه التي هي جزء داخل في جسمه وهي في الوقت نفسه مغايرة له.

لقد دار النزاع حول حقيقة النفس: هل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه، أو جسم مساكن له مودع فيه، ذكر ذلك ابن القيم في كتابه (الروح) ويعقب ابن القيم على الوجه الثالث ـ وهو أن الروح جسم مخالف بالماهية للجسم المحسوس ـ من الأقوال التي أوردها الرازي بقوله: (وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة) ثم ساق عدداً كبيراً من الأدلة منها قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الزمر: ٤٢]. وبقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ**﴾ [**الأنعام**: ٦٠]. ثم ذكر عدداً من الأحاديث الكثيرة الصحيحة حول قبض الأرواح عند الموت وغيرها من الأحاديث التي تؤكد خاصية الروح في الإنسان عن بقية المخلوقات.

٤ ـ لقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة ما يحدث يوم القيامة من المجادلة بين المؤمنين في الجنة وقرنائهم في النار، يقول تعالى في سورة الصافات: ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ**﴾ [الصافات: ٥٠-٥٦] فهذه الآيات تشير إلى تأكيد حقيقة تعرُّف الأفراد بعضهم على بعض. يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآيات: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الدنيا، فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا تراباً؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة، وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فاطلع المؤمن فرأى صاحبه في سواء الجحيم) فهذه الآيات من سورة الصافات تؤكد منافاة إمكانية الحصول على نسخ بشرية؛ فلو قلنا بإمكانية

ذلك فكيف يُعرف الأصل من النسخ؟ ومن سوف يعذب: الأصل أم النسخ إذا ماتت هذه النسخ؟ فهل تجازى على أعمال من استنسخت منه؟ أم لا؟ وإذا بقيت حية وارتكبت آثاماً إضافية: فهل يجازى الأصل بما اقترفته ألنسخ أم لا يجازى؟ ولهذا فإن عملية الاستنساخ وفقاً لهذه الآيات أمر غير ممكن؛ لأن عملية التعرف كما أشارت إليها هذه الآيات سيكون أمراً صعباً لعدم إمكانية التميز بين الأصل والنسخ، ويؤيد هذا الأمر ما جاء في سورة الأعراف حيث وصفت حالة من حالات التخاطب والمناقشة بين المؤمنين والكافرين ومعرفة الأشخاص من خلال أشكالهم يقول تعالي: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦ – ٤٨] يوضح ابن كثير رحمه الله معنى الآية فيقول: (يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم: ما أغنى عنكم جمعكم أي كثرتكم وما كنتم تستكبرون، أي: لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال.

وقال حذيفة: إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصّرت بهم حسناتهم عن الجنة، وقصّرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم)[١] ومن هذه الآيات ندرك أن عملية الاستنساخ كما يروِّج لها الإعلام والذي يقوم على علمية الحصول على نسخة مطابقة للأصل أي تعدد النسخ للفرد الواحد بأنه يتعارض مع نص هذه الآية التي تؤكد على تمايز الأفراد؛ فإيجاد نسخ من الفرد الواحد يعني وجود أفراد متعددين للفرد الواحد؛ فمن يكون الأصل؟ ومن يكون النسخة؟

إن عملية استنساخ البشر أمر غير ممكن الحصول مهما حاول المضلون ممن يريد صرف الناس عن الصراط المستقيم، وإن التجربة التاريخية لنظرية دارون حول أصل الإنسان وكيف استطاع الملاحدة بما توفر لهم من سيطرة إعلامية أن يجعلوا أعداداً كبيرة من الناس تؤمن بنظريته حتى كشف العلم مؤخراً زيفها، وإن الدعاية لتأكيد إمكانية استنساخ البشر والترويج لها تخرج من المشكلة نفسها التي خرجت منها نظرية دارون، وسيكون المصير واحداً، وصدق الله العظيم: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١].

---

(١) ابن كثير الجزء الثاني ص ٢١٨.

ثانياً: ماذا وراء الاستنساخ؟!

(١ من ٢)

خالد أبو الفتوح

في دائرة الضوء

أثارت أجهزة الإعلام (العالمية والمحلية) في الأيام الماضية ضجة كبيرة حول كشف علمي كان المفترض أن يمر كغيره من التجارب العلمية ويمضي إلى سبيله.. ولكن حجم الإثارة ـ الذي فاجأ أصحاب الاكتشاف أنفسهم ـ أعطى لهذا الكشف أبعاداً ودلالات تتجاوز اعتبار المسألة مجرد الإعلان عن كشف علمي مثير، كما أن ردود الأفعال المختلفة التي أتبعت هذه الحملة أظهرت لنا ـ أو أكدت ـ مكنون بعض الفئات، حيث صُوِّر الأمر على أنه إحدى حلقات الصراع بين العلم والدين، وتركت آخرين في حيرة من أمرهم، لا يدرون أو لا يريدون أن يدروا بما يدور حولهم..

فما هو الاستنساخ (أو الاستنسال الجيني (أو الخلوي)؟ وماذا وراء الحملة المصاحبة للإعلان عن مولد النعجة (دوللي)؟ وما أثر ردود الأفعال التي تلت هذا الإعلان؟ :

قبل أن نعرض لعملية الاستنساخ ـ كما شرحها بعض العلماء وتناقلته أجهزة الإعلام ـ نود تقديم إلماحة عن عملية التكاثر الطبيعي لدى الإنسان؛ حتى يتبين لنا الجديد في الاستنساخ والفرق بينه وبين التكاثر الطبيعي:

يحتوي ماء الرجل المقذوف في رحم المرأة على عدد من الحيوانات المنوية يتراوح بين ٢٠٠ ـ ٦٠٠ مليون حيوان منوي، يحتوي كل منها على جميع الصفات والشفرات الوراثية الكاملة للرجل في صورة نشطة (غير مستقرة وغير نهائية) من خلال ٢٣ صبغيًّا (كروموسوماً)، وفي مسافة حوالي عشرة سنتيمترات تقطع هذه الحيوانات المنوية رحلة شبهها علماء وراثة التكوين بأنها أشبه بسباق جري طويل لمسافة أكثر من ٢٠٠٠ كيلو متراً بين ٢٠٠ ـ ٦٠٠ مليون رجل.. وفي النهاية يصل أفضل الحيوانات المنوية وأقواها وأصحها

ليخصب البييضة الصحيحة الناضجة.. تلك البييضة التي تحمل هي الأخرى جميع الصفات والشفرات الوراثية الكاملة للمرأة في صورة نشطة (غير مستقرة وغير نهائية) من خلال ٢٣ صبغيًّا أيضًا.

وبعد إخصاب البييضة بالحيوان المنوي واتحادهما تتكون خلية أوليَّة جديدة تأخذ نصف صفاتها من الرجل، والنصف الآخر من المرأة، وتختلطان معًا لتتكون خلية الجنين الأوليّة التي تحتوي على خليط من ٤٦ صبغيًّا (كروموسومًا) تمثل ٢٣ زوجًا، تحمل ١٠٠ ألف مورِّث (جين)، تعتبر خليطًا من صفات الرجل والمرأة، حدثت بينها انعزالات وتبادلات بين الاختلافات الوراثية للأب والأم لتنتج صفات جديدة خاصة بهذا الجنين الجديد، ثم تتحول هذه الخلية الأولية الجديدة إلى حالة اكتمال واستقرار نهائي (غير نشطة)، وتبدأ في النمو والتكاثر بواسطة انقسام الخلية إلى خليتين ثم أربع ثم ثمان.. وهكذا، بحيث تحمل كل خلية ناتجة صفات الخلية الأولى نفسها[١]، وبعد عدة انقسامات أولية تتخصص كل خلية في وظيفة من الوظائف تنشط فيها المورثات الخاصة بتلك الصفة، وتعمل على تكوينها وإبرازها، فتخصص مجموعات من الخلايا لتكوِّن بدايات أعضاء الجنين المختلفة، فتخصص مجموعة للقلب، وأخرى للمخ، وغيرها للعين... وهكذا، بينما تظل المورِّثات (الجينات) الأخرى في كل خلية متخصصة في حالة كُمون، إلى أن يتم الخلق وينمو الجنين ويكبر، حتى يأذن الله بخروجه من الرحم وبداية مرحلة جديدة من مراحل نموه وحياته.

هذا ما اكتشفه العلماء في التكاثر الطبيعي[٢]، فما الذي أحدثوه في التكاثر بالاستنساخ[٣]؟.

---

١) يوجد في جسد الإنسان نحو ٦٠ ألف مليار خلية، وفي داخل كل خلية تكمن كافة المعلومات الوراثية الخاصة به.

٢) تتفق آلية التكاثر في الثدييات، ولكن تختلف الصبغيات في كل نوع من حيث عددها وشفراتها الوراثية.

٣) اقتبست المعلومات العلمية الخاصة بالاستنساخ وتاريخه من دوريات عدة، من اهمها:

- مجلة (علوم وتكنولوجيا) الصادرة عن معهد الكويت للأبحاث العلمية، ع/٤١-٣/١٩٩٧م،(ملف العدد).
- جريدة (الرياض) السعودية، ع/١٠٥١٧-٢/١٢/١٤١٧هـ مقال (فانظروا كيف بدأ الخلق)، د. خالص جلبي.
- جريدة (القبس) الكويتية، ع/٨٥٣٣-٢٥/٣/١٩٩٧م، حوار مع د. مختار الظواهري، ص٢٩.
- جريدة (الأنباء) الكويتية، ع/٧٤٨٩-٢٥/٣/١٩٩٧م، تحقيق بعنوان (استنساخ البشر قادم ولو حاربناه بالسلاح).
- جريدة (الأهرام) المصرية، ٧/٣/١٩٩٧م، تحقيق بعنوان (الاستنساخ قنبلة علمية..)، ص ٣.
- جريدة (الشرق الأوسط) اللندنية، ع/٦٦٧٣-٦/٣/١٩٩٧م، تحقيق بعنوان (استنساخ «دوللي» اكبر نقطة تحول..)، ص١٥، وأيضاً: ع/٦٧٥٧-٢٩/٥/١٩٩٧م، حوار مع د. هاري جريفن، ص١٦-١٧.
- مجلة (العربي) الكويتية، ع/٤٥٤-٩/١٩٩٦م، مقال (استنساخ الأجنة....) د. محمد علي بديوي، ص ١٦٨.

تناقلت وسائل الإعلام أن استنساخ النعجة (دوللي) تم عبر الخطوات التالية:

١ ـ أُخذت خلية جسدية من ضرع النعجة المراد استنساخها (ولنسمها: س)، ثم وضعت في محلول مغذٍّ خفيف جداً، يسمح لها بالبقاء ـ بكامل مورثاتها ـ، ولكن لا يعزز قدرتها على التكاثر أو الانقسام (تجويع الخلية).

٢ ـ تم استخراج نواة هذه الخلية وعزلها، فأصبح لدينا نواة تحتوي على كامل صفات النعجة المراد استنساخها (س).

٣ ـ تم توفير بييضة من نعجة أخرى (ولنسمها: ص).

٤ ـ استخرجت النواة (التي تحمل الصفات الوراثية لهذه النعجة ص) من البييضة، فأصبحت هذه البييضة خالية من أي صفة وراثية للنعجة (ص)، لكنها تحتوي على بروتينات وجزيئات في هيولى الخلية (السيتوبلازم)، وهذه لها دور في تشغيل الجينات وتنشيطها، وستعمل هذه البييضة المفرغة في الخطوة التالية كحاضن لنواة الخلية (س) توفر لها البيئة المناسبة لنموها.

٥ ـ وضعت نواة خلية النعجة (س) بجوار البييضة المفرغة من نواتها للنعجة (ص)، وباستخدام تقنية الحث الكهربائي تم دمجهما معاً، فنتج لدينا بييضة بداخلها نواة تحمل جينات الصفات الوراثية للنعجة (س).

٦ ـ وبصدمة كهربائية أخرى تحاكي انبثاق الطاقة الطبيعي عند التخصيب الطبيعي تبدأ الخلية في الانقسام[1].

٧ ـ بعد ستة أيام زُرِع الجنين في رحم نعجة ثالثة[2] لإكمال مراحل الحمل طبيعياً.

---

١) تدور حول هذه الخطوة علامات استفهام وتشكيك من بعض العلماء حول كيفية تنشيط الجينات التي تحمل الصفات الكامنة لتظهر وتعمل بشكل منتظم كما في الإخصاب الطبيعي بين البويضة والحيوان المنوي، ومما ذُكر من هذه الشكوك:

١ ـ احتمال أن تكون البويضة مخصبة في الأصل، وقد نفى هذا الاحتمال د. «إيان ويلموت» معلن الاكتشاف.

٢ ـ احتمال أن الخلية التي نجحت عليها التجربة (من بين ٢٧٧ تجربة) كانت بالمصادفة خلية غير ناضجة وحديثة العهد ولم تتمايز بعد، كما في الأمعاء أو الجلد أو خلايا جذعية تساعد في تجديد الأنسجة، وقد أبقى الدكتور «هاري جريفن» ـ الذي وصفته جريدة (الشرق الأوسط) بأن له اليد الطولى في هذا الإنجاز ـ الباب مفتوحاً حول هذا الاحتمال .

٣ ـ احتمال أن تكون الخلية التي تم الاستنساخ منها إحدى الخلايا السرطانية؛ حيث إن الجنين والأورام السرطانية ـ علمياً ـ وجهان لعملة واحدة، حيث تنشط في كلٍّ منهما الجينات الخاصة بالتكاثر السريع.

وعلى كلٍّ: فهم يقولون: إن المنطق العلمي يحتم الا نحكم على نجاح تجربة من خلال نجاح إحدى المحاولات من مجموع ٢٧٧ محاولة؛ فقد يكون هذا النجاح نتيجة إيجابية كاذبة .

٢) من الممكن نظرياً أخذ البويضة من النعجة الأولى (س) ودمج الخلية المأخوذة منها أيضاً في البويضة، ثم زرعها في النعجة نفسها، ولكن لم يتم ذلك لأن الأنظمة والقوانين في بريطانيا لا تسمح بإجراء تجربتين على حيوان واحد .

٨ ـ بعد مرحلة الحمل وضعت النعجة الحامل وليداً هو النعجة (دوللي) نسخة طبق الأصل من النعجة (س).

هذا هو ما تم عمله ـ حسبما أُعلن ـ، وبه يتضح أن « كل ما فعله العلم هو قفزة نوعية جديدة في تقليد فطرة الله في بعض مخلوقاته، فكما سارت سنة الخلق بالتكاثر والانقسام، استطاع الذكاء الذي وهبه الله للإنسان فك الموجود ثم إعادة تركيبه، وذلك بعد التعرف على قانون تكوين هذه المخلوقات ودفعه في مجرى مختلف، فلم يتم التعامل مع القانون بإلغائه، بل بالتعامل مع صرامته بقانون آخر، فكما ندفع النهر في غير مجراه، ونجري الكهرباء في سلك، أمكن للعلماء دفع خيوط المادة الوراثية للالتحام ببييضة نزعت منها مادتها الوراثية، فالبييضة تتلمظ فاغرة فاها لاستعادة توازنها الفطري، فتم إقناعها أن مادتها الوراثية التي سلبت منها قد عادت إليها في هيئة نواة الخلية المراد استنساخها »[1].

● تطور العلم التجريبي قبل (دوللي):

لم تكن تجربة النعجة (دوللي) منبتة عن التطور العلمي التجريبي في هذا المجال؛ فاستعراض تاريخ محاولات اللعب بالخلايا منذ بدايته يؤكد أن استنساخ النعجة (دوللي) لم يكن إلا محطة في طريق طويل لم تعرف بعدُ نهايته:

ـ فأول تجربة تلقيح صناعي في العالم أجريت عام ١٧٩٩م.

ـ ويقال إن فكرة الاستنساخ نفسها طرحت في العقد الثالث من هذا القرن الميلادي في (ألمانيا) بدافع التمييز العنصري، وبعد مجيء « هتلر » إلى السلطة بدأت الأفكار تدخل حيز التنفيذ، لكن التقنية المتوفرة وقتها خذلته.

ـ ثم كانت أول محاولة لعمل أجنة أنابيب في الحيوانات عام ١٩٤٤م من قبل كلٍّ من « روك » و« مينكين» (J.Rock & M.F.Menkin).

ـ وفي سنة ١٩٥١م تمت أول تجربة ناجحة للتلقيح خارج الرحم.

ـ وتمكن العلماء سنة ١٩٥٢م من تجميد الحيوانات المنوية للأبقار وإعادة التلقيح بها، ونجحت التجربة، وبذلك نشأت فكرة بنك الحيوانات المنوية.

ـ وعلى إثر ذلك تم في عام ١٩٥٣م تلقيح أول امرأة بحيوانات منوية مجلوبة من بنك حيوانات منوية، وقد تم الحمل وأنتجت مولوداً.

ـ وفي عامي ١٩٥٤م و١٩٥٥م بدأت تجارب استنساخ على الضفادع، وكان القصد منها: فَهْمَ ما تكوِّنه نواة خلية

١) بتصرف عن د. خالص جلبي، جريدة الرياض، ع/١٠٥١٠، ص ١٥.

عندما تزرع في بييضة، حيث تمكن الأمريكيان «بريجر» و«كينج» من زرع خلايا جنينية من طور مبكر من أطوار النمو الجنيني للضفادع في بييضة، ونجحت التجارب في بعض الحالات وأعطت ضفدعة كاملة.

ـ وفي بداية الستينيات طوَّر البريطاني «جوردون» التقنية السابقة بأخذ خلايا من جنين ضفدعة في طور متقدم من النمو وزرعها في بييضة، وحصل على نتائج إيجابية إلا إنها لم تكن قاطعة، حيث كان عدد المحاولات الناجحة ١١ محاولة من أصل ٧٠٧ محاولة أجراها، ولكن تعتبر هذه التجارب بداية تدشين الاستنساخ الجسدي.

ـ وفي بداية الستينيات أيضًا تمكن العلماء من استنساخ النباتات بتقنية متقدمة.

ـ وفي عام ١٩٧٠م أخرج الأمريكي «ألفين توفلر» كتابًا بعنوان: (صدمة المستقبل) وعرض فيه فكرة أن الإنسان قد يستطيع ـ أو ينبغي عليه ـ التحكم بنوعية السلالات البشرية، وأن من الممكن إنتاج الكائنات البشرية بلا محدودية كإنتاج السلع في المعامل والمصانع!!.

ـ وفي عام ١٩٧٢م تم تجميد أجنة الفئران (وليس الخلايا فقط) لإعادة زراعتها.

ـ أما أول ولادة لطفل تم حمله خارج الرحم (أطفال أنابيب الاختبار) فكانت للطفلة الإنجليزية «لويزا براون» عام ١٩٧٨م.

ـ وفي عام ١٩٨١م بدأت تجارب استنساخ الأجنة على الأبقار.

ـ وبدأ عهد (البيوض والأرحام المستأجرة) في عام ١٩٨٣م، حيث حملت امرأة بتلقيح مني زوجها ببييضة امرأة غريبة، ثم زرعت الخلية الملقحة في رحمها.

ـ ونجح استنساخ العجول والخرفان بطريقة الاستنساخ الجنسي (التوأمة الصناعية) عام ١٩٨٦م، حيث خرجت سبعة عجول توائم.

ـ وفي عام ١٩٩٢م تمت ولادة غير عادية، حيث حملت الإيطالية «روزانا ديلاكورتي» البالغة من العمر (٦٢) سنة، بوضع بيضة امرأة مجهولة ملقحة بمني زوجها في رحمها.

ـ وتجربة أخرى قام بها علماء أمريكيون في مركز أبحاث القرود في (أوريجون)، حيث استنسخوا توأمًا من القردة من فصيلة الرس بواسطة خلية جنينية واحدة (قبل الانقسام الرابع إلى أكثر من ٨ خلايا)، ولم يتم استنساخ القرد من قرد حي بالغ كما في النعجة (دوللي)، ولكن تكمن أهمية هذه التجربة عند هؤلاء العلماء بأنها إشارة إلى



أن هذا النجاح في القردة يعني نجاحه عند الإنسان؛ فالقردة أقرب الحيوانات الثديية للإنسان.

ـ وفي أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٣م وأثناء انعقاد مؤتمر جمعية الخصوبة الأمريكية بـ (مونتريال) بكندا أعلن مدير معهد الإخصاب الصناعي بجامعة (جورج واشنطن) بأمريكا الدكتور «چيري هول» عن نجاحه هو والدكتور «روبرت ستيلمان» في إنتاج توائم بشرية من خلية جنينية واحدة، حيث اختارا لتجاربهما أجنة مشوهة محكومًا عليها بالموت المبكر، وقاما بشطر ١٧ جنينًا مجهريًّا، ليصبح عددهم ٤٨ جنينًا، بتقنية أقرب إلى ما يحدث بصورة طبيعية داخل رحم الأم عندما يحدث انقسام البييضة المخصبة وينفصل كل قسم حاملاً نسخة من نواة البييضة المخصبة الأصل، فينشأ التوأم المتطابق، وفي إطار هذه التجربة تم فصل الخليتين الأوليين كيميائيًّا واحتفظ العالمان بإحداهما مجمدة، وبعد عزل كل خلية منقسمة عن الأخرى أعادا إغلاق الغشاء المحّي، مستخدمين غشاءً صناعيًّا مأخوذًا من مادة هلامية (جيل) مكونة من بعض الطحالب البحرية؛ ليحدث ما كان يحدثه الغشاء الطبيعي من تطور ونمو في حالة التوأمة الطبيعية، وبعد نموها شطروها مرة أخرى، وفعلوا بها ما فعلوا بالأولى... وهكذا نجحت التجربة وحصلا على ٤٨ نسخة جنينية منشطرة، ولكن لم يعش أي من هذه الأجنة أكثر من ستة أيام؛ نظرًا للتشوهات القاتلة المصاحبة لها.

ـ وفي عام ١٩٩٥م تمكن العلماء اليابانيون من تلقيح بييضة بواسطة خلية جسدية واحدة.

ـ وفي مطلع عام ١٩٩٦م اقتربت التجارب من مرحلة النعجة (دوللي)، عندما أعلن عن ولادة خروفين بطريقة الاستنساخ، حيث أخذوا خلايا من جنين يبلغ من العمر ٩ أيام، وتركوا الخلايا تتكاثر خارج منظومة الانقسام الرابع، ثم أخذوا خلية من التركيبة الجديدة وزرعوها في بييضة غير ملقحة، ونجحت ٥ تجارب من ٢٤٤ تجربة، مات منها ثلاثة خرفان، وعاش الخروفان اللذان أعلن عنهما.. ونلاحظ هنا أن الخلايا جنينية أيضًا ولكنها تجاوزت مرحلة الانقسام الرابع، أي دخلت مرحلة التخصص.

ـ وأخيرًا وبعد أبحاث تكلفت زهاء ٩٢ مليون دولار أعلن في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٩٧م عن ولادة النعجة (دوللي) التي تميزت بأنها:

١ ـ ليست نتيجة تلقيح بحيوان منوي.

٢ ـ الخلية المزروعة في البييضة غير مأخوذة من خلايا جنينية، بل من جسد بالغ (يبلغ عمر النعجة التي استنسخت

٦ سنوات).

٣ ـ أنها تحمل صفات نعجة واحدة هي النعجة المستنسخة.

ورغم تميزها إلا إنها تعتبر إحدى الحلقات المتصلة في سلسلة التجارب المعنية بهذا المجال(١)، ولكن فصل هذه الحلقة عن تلك السلسلة أعطاها عنصر المفاجأة، ثم جاءت وسائل الإعلام بعد ذلك بآليتها الرهيبة لتصنع هالة كبيرة حول الحدث، الذي تجاوزت مدلولاته وردود الأفعال حوله حدود الكشف العلمي، ولعلنا نتناول بعض أبعاد هذا الحدث في النقاط التالية:

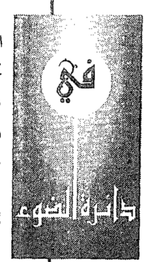
● الاستنساخ.. مخاوف وآمال:

تحدث العلماء عن مخاوف كثيرة من الاستنساخ وصلت إلى حد الوهم، كما تحدثوا عن آمال عريضة وصلت إلى حد الأحلام، وقد أسقطوا بين هذه الأوهام وتلك الأحلام المنطق العلمي الذي خرج من رَحِمه كشف النعجة (دوللي).

ومن أعجب هذه المخاوف: الخوف من أن تستطيع هذه التقنية استنساخ أمثال « هتلر » و« ستالين »، رغم أن أمثالهما ليسا في حاجة إلى استنساخ؛ فجهابذة مخابرات العالم الأول تنتج لنا أجيالاً متطورة من هذه النماذج في مختبر العالم الثالث بدون حاجة إلى تقنية الدكتور « ويلموت ».. وعلميًّا: فإنه لا يمكن حتى الآن إجراء عملية الاستنساخ إلا من خلية حية، كما أن السلوكيات الشخصية لا تتحكم فيها العوامل الوراثية فقط، بل تشارك معها ـ وبقدر كبير ـ ظروف البيئة المحيطة والخبرة والثقافة المكتسبتين، الأمر الذي يجعل الشخص المستَنسَخ ـ بفرض حدوث ذلك ـ يختلف عن نسخته؛ نظراً لاستحالة تكرار هذه الظروف نفسها.

ـ كما تخوفوا ـ في هذا الشأن ـ من إنتاج الإنسان فائق القدرات (السوبر)، واستخدام ذلك الإنسان في أغراض إجرامية أو غير إنسانية.. ولكن الاستنساخ غير معني بإنتاج هذا الإنسان؛ فهو تكرار لجسد ما، أما الإنسان (السوبر) فمجال أبحاثه هو علم الهندسة الوراثية... وهل الإنسان في حاجة إلى هذه التقنية لإنتاج ذلك الإنسان؟!

ـ ومن المخاوف المختلطة بالآمال: فتح المجال أمام إنتاج (قطع غيار إنسانية)



١) وإن كانت هذه التجربة نتيجة بحوث غير مقصودة لم يكن هدفها إنتاج حيوانات متطابقة تماماً، كما صرح بذلك الدكتور « هاري جريفن » لجريدة (الشرق الأوسط)، ع/٦٧٥٧، ٢٩/٥/١٩٩٧م. وقد أعلن فيما بعد عن استنساخ نعجة أسموها « پوللي » تحمل مورثات بشرية، ولكن استنساخها لم يكن بتقنية استنساخ (دوللي)، بل كان عن طريق زرع خلايا جنينية في بييضة، فهي عودة إلى تقنية قديمة أقل تعقيداً نسبياً، والجديد فيها هو استخدام مورثات بشرية عن طريق الهندسة الوراثية.

لتعويض المرضى الذين يعانون من تلف بعض أجهزتهم أو قصورها في القيام بوظيفتها، حيث ستكون (قطعة الغيار) المستنسخة تحمل صفات المريض نفسها، وعليه: فلا مجال لرفض الجسم لذلك العضو الجديد، والخوف هنا يكمن في التعامل غير الإنساني مع النسخة البديلة التي ستؤخذ منها قطعة الغيار ثم يلقى بما تبقى منه في سلة المهملات.. ولكن إلى الآن لم يقدم أصحاب هذا الأمل طريقة علمية وعملية لتحقيقه خاصة مع الاختلاف المفترض بين عمر الأصل وعمر البديل.. والاقتراح الأقرب إلى التطبيق: استنساخ العضو المراد استبداله بشكل منفصل، «وهذا غير ممكن؛ لأن العضو لا ينمو ولا يتشكل إلا من خلال كيان متكامل يمد هذا العضو بالإحساس والأوامر العصبية والدم والهرمونات.. لكي ينمو ويتشكل ويستطيع القيام بوظائفه، وإلا فإنه سينتج نسيجًا فقط وليس عضوًا متكاملاً»[1].

- وقالوا: إن الاستنساخ سيقضي على مشكلة العقم! ونسوا أن الاستنساخ ليس إنجابًا من زوجين، فالطفل الناتج - إذا فرض نجاح ذلك - يحمل صفات أحد الزوجين فقط، كما إنه توأم متطابق له وليس ابنًا، إضافة إلى أن هذا المستنسَخ من الأصل العقيم سيكون عقيمًا أيضًا.

ولكن هناك بعض المخاوف الحقيقية والآمال الواقعية التي قد تنشأ عن تقنية الاستنساخ..

وهذا ما سنطالعه في العدد القادم إن شاء الله (تعالى).

---

1) د. مختار الظواهري أستاذ الوراثة الطبية، حديث مع جريدة القبس الكويتية، ع/٨٥٣٣، ٢٥/٣/١٩٩٧م.

إشكالية البلورة السياسية للديمقراطية

بقلم: سامي محمد الدلال

في مسيرته النقدية للديمقراطية استعرض الكاتب في حلقات سابقة عدداً من الإشكاليات التي تواجه هذا المبدأ، فتعرض للمفهوم العام، وزاوية النظر، والبلورة الثقافية، والبلورة الاقتصادية، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة عرض لإشكالية أخرى.

- البيان -



في البدء نقرر وجود اتفاق على استعمال كثير من مفردات التعبيرات السياسية من مثل:

- الحرية.
- الوحدة.
- المساواة.
- الاشتراكية.
- الديمقراطية.
- العلمانية.
- القومية.
- الوطنية.
- الحقوق السياسية.. وغيرها.

إن الاختلاف حول الشكل والمضمون لكل مفردة من تلك المفردات هو أحد إشكاليات البلورة السياسية للديمقراطية.

لقد أخفقت الأنظمة الديمقراطية في بلورة مفهوم موحد لأي من المفردات المذكورة. إن الإخفاق المشار إليه لم يكن مستغرباً، بل هو متوقع تماماً، بل الاستغراب، كل الاستغراب، أن يحصل العكس، أي أن يحصل الاتفاق على مفهوم موحد لتلك المفردات.

إن تفاوت:

- مستويات الفهم السياسي.

ـ قدرات التخطيط في الإطار السياسي.

ـ الإمكانات المتوفرة، أو المتاحة، لكل شريحة لها دور في القرار السياسي، أو التأثير عليه.

ـ الطاقات في استثمار الإمكانات.

ـ إمكانية توظيف ذلك الاستثمار في المنظومة الاستراتيجية العامة للعمل السياسي.

ـ في القدرة على حشد الجماهير خلف المطالب السياسية.

ـ في استخدام وسائل التعبير عن المشروع السياسي.

ـ الخبرات المكتنزة والمتولدة عن خوض غمار الصراع السياسي.

ـ المرجعيات السياسية، بل والعقدية للمشاركين في البلورة السياسية.

ـ درجة فهم مقصودات تلك المرجعيات في تأصيلاتها السياسية.

ـ استيعاب المرحلة السياسية الخاصة بالدولة قياساً على الخريطة السياسية الدولية.

وغيرها كثير من ألوان التفاوت.

إن كل ذلك التفاوت بين:

ـ الأحزاب بكافة أطروحاتها السياسية والعقدية.

ـ المثقفين (من اقتصاديين ومحامين وأدباء ومدرسين، محترفين سياسيين وغيرهم).

ـ الإسلاميين (بمختلف مدارسهم وجماعاتهم).

ـ العسكريين (وكثير منهم متسيِّسون)

ـ عامة أفراد الشعب (من عمال وفلاحين وموظفين ومهنيين وغيرهم).

هذا التفاوت يؤدي إلى اضطراب سياسي متعدد الأوجه؛ حيث إن لكل فئة من الفئات المذكورة نظرة معينة وتفسيراً خاصاً بها إزاء كل عنصر من عناصر التفاوت المنصوص عليها آنفاً، مما يقود حتماً إلى وقوع الاختلاف بينها بما يفضي قطعاً إلى صراع سياسي متأجج ترمي كل فئة إلى تغليب فهمها الخاص لتلك المفردات المذكورة، بما تراه أنه يحقق مصلحتها أو يحقق

مصلحة الأغلبية الشعبية التي ستسير خلف مشروعها السياسي الذي عبَّر عن قضاياها، مما ينتج عنه توسيع القاعدة الجماهيرية لتلك الفئة.

إن المتمعِّن في أصل فكرة الديمقراطية، وكذلك المتمعن في الأنظمة التي عبَّرت عنها على أرض الواقع يتبين له بسهولة أن الديمقراطية لم تنجح في نزع الفتيل من القنبلة السياسية المتعددة الأوجه، بل ساعدت في إشعال ذلك الفتيل مما أدى إلى تفجر قنابل سياسية كثيرة في الأنظمة التي حكمت بالديمقراطية.

نحن نعتبر ذلك أمراً طبيعياً بسبب ما تضفيه الديمقراطية من سعة في تفسير تلك المفردات؛ حيث تسعى كل فئة ـ من الأحزاب والمثقفين والإسلاميين والعسكريين وعامة أفراد الشعب ـ إلى احتكار أكبر حصة ممكنة من القرار السياسي أو من المشاركة في صنعه.

إن اتساع حصة أي فئة من تلك الفئات سيكون حتماً على حساب تضييق حصص الفئات الأخرى مما يجعل دخولها في مواجهات على كافة المستويات أمراً لا مندوحة عنه.

وعندما ترتفع درجة حرارة الصراع بين تلك الفئات تحت المظلة الديمقراطية، ثم تبدأ المواجهات الجماهيرية في مختلف المرافق يأتي دور العسكر شاهرين سيف الحسم السياسي لصالح المؤسسة العسكرية (وهذا خاص بالعالم الثالث غالباً) التي تقوم فوراً بحل المجلس النيابي وتعليق الديمقراطية إلى حين ترى أن إعادة تقديم تلك المنحة (أي الديمقراطية) إلى كافة تلك الفئات سيكون مرضياً للجميع، وتبدأ الدورة نفسها من جديد.

إن جعبة العسكريين ستكون ملأى بالحجج القوية التي تسوِّغ فعلتهم التي فعلوها. ومن أهم تلك الحجج وضع حد لتوظيف الديمقراطية في خدمة مصالح فئات بعينها واستغلال المجلس النيابي لتمرير تلك المصالح، وكذلك وضع حد لتفتيت الوحدة الوطنية التي



تجزأت بفعل الصراع السياسي الذي أتاحته المظلة الديمقراطية. وليس شرطًا أن يتم ذلك من خلال العسكريين، بل يمكن أن يتم ذلك من خلال السلطة الحاكمة صاحبة القرار السياسي في المنحة الديمقراطية.

وفي كلتا الحالتين، فإن الحكام الجدد سينتهي بهم المطاف إلى الاستيلاء على مقدرات البلاد لتصب في استثماراتهم الخاصة، حتى إذا ما تنامى الضغط الشعبي نحو التغيير، وبلغ مرحلة الانفجار أدلوا له بدلو الديمقراطية من جديد، وتتكرر اللعبة!!

ويبقون هم في الحكم!!

إن أولئك العسكريين ربما كانوا مستقلين، أو واجهات لفئات حزبية أو طائفية أو عرقية، وفي كل الأحوال فإنهم سيصبغون الوضع السياسي في البلاد بالصبغة العلمانية، من مثل:

* الاقتصاد السياسي من منظور علماني.
* الثقافة السياسية من منظور علماني
* الإعلام السياسي من منظور علماني.
* السلوك السياسي من منظور علماني.
* المناهج التربوية السياسية من منظور علماني.
* الدراسات السياسية (بحوث ومؤسسات) من منظور علماني... وهكذا.

إن الوصول إلى إضفاء الصبغة العلمانية في الجانب السياسي للأمور المذكورة يتطلب:

* تحديد الأهداف المرحلية، ثم النهائية لكل وجه من الأوجه السياسية المذكورة: (الاقتصاد، الثقافة، الإعلام، السلوك، المناهج، الدراسات).
* رصد الدعم المالي الذي يحقق الوصول إلى تلك الأهداف.
* إعداد الحشد البشري المؤهل علميًا لتحقيق تلك الغاية، والمكافئ للاحتياجات المطلوبة لكل وجه ولكل مرحلة.

* وضع الخطط اللازمة لتلبية الترجمة العملية لكل ذلك.

* المتابعة والتقويم، ليسير الركب العلماني ضمن الخطط المرسومة، ولسد الثغرات، وتصحيح الأخطاء، واقتراح التعديلات بما يضبط خط سير الموكب العلماني نحو غايته.

إن المهيمنين على السلطة (سواء كانوا عسكريين أو حزبيين أو طائفيين أو غير ذلك) سيتخذون من الديمقراطية وسيلة يمكن ضبط إطارها لتحقيق الوصول إلى تلك الصبغة السياسية العلمانية من خلال تشريعات نيابية تأخذ أوضاعها القانونية دون أن تتأثر بحل المجلس النيابي بعد ذلك.

إن الإسلاميين عندما يتخذون قرار المشاركة في المجالس النيابية ينبغي لهم أن يأخذوا كل ما ذكر بعين الاعتبار. وقد شارك الإسلاميون في المؤسسات السياسية العلمانية على مستوى نواب وعلى مستوى وزراء، وبما أنهم لم يدركوا المدى العلماني في المؤسسات التي سمحت لهم بولوج تلك القنوات النيابية والوزارية فهذا يعني قصور فقههم للواقع، بل الأكثر من ذلك، أصبحوا هم جزءاً من درجات السلم التي ترتقي عليها المؤسسة السياسية الحاكمة للوصول إلى أهدافها السياسية العلمانية. وإنه من المعلوم أن لجاناً عدة تنبثق من المجلس النيابي لوضع التصورات للقضايا التي تعرض على المجلس في كافة المجالات. وقد شارك الإسلاميون في كثير من تلك اللجان. ورغم تلك المشاركة فإن محصلة ما يعرض على المجلس من الدراسات التي تقدمها اللجان لا تخرج عن الإطار السياسي العلماني بما لا يوحي بوجود أثر لمشاركة الإسلاميين في أعمال تلك اللجان؛ ذلك أن الخطوط الموضوعة من قِبَلِ الملأ لعمل اللجان المذكورة مؤطرة مسبقًا بالإطار العلماني، وفي حال نجاح الإسلاميين في أي لجنة من تلك اللجان في تمرير دراسات معينة تخرج عن الخط العلماني المحدد لعمل تلك اللجنة فإن إجراءات معينة تتخذ



لإجهاض تلك التوصيات: منها إعداد العدة لإسقاطها بالتصويت في المجلس، ومنها تأليب الرأي العام ضد نتائجها باستعمال الصحافة وأجهزة الإعلام المختلفة بما يجعل تلك التوصيات وكأنها ليست في صالح الشعب، فيصبح رفضها محصلة حاصل، فربما لا تصل حتى إلى مرحلة التصويت عليها، وفي حالة حدوث ذلك - وقد حدث عدداً من المرات - فإن النتيجة الطبيعية التي يصل إليها الراصد أن المؤسسة الحاكمة قد نجحت في الوصول إلى أهدافها المتعلقة بالبلورة السياسية العلمانية للشعب ومؤسساته.

إن خلاصة ما وصلنا إليه هي أن إشكالية البلورة السياسية الديمقراطية يمكن رصد أهم معالمها في النقاط التالية:

١ - الاختلاف حول تفسير التعبيرات السياسية، وإخفاق الديمقراطية في توحيد ذلك التفسير.

٢ - إن سبب الاختلاف تفاوتات منوعة بين المشاركين في الإطار السياسي.

٣ - إن استمرار تلك الاختلافات يؤدي إلى اضطراب سياسي متعدد الأوجه.

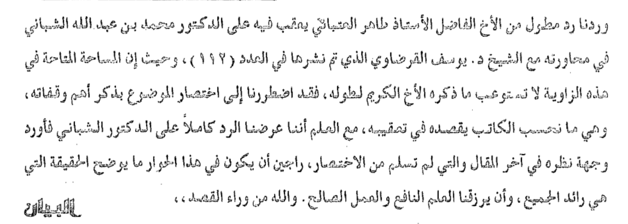
٤ - إن هذا الاضطراب يحسم لصالح الملأ الحاكم الذي يوجه جميع مضامين الصراع السياسي وجهة علمانية.

٥ - الإسلاميون المحتوون في ذلك الإطار الديمقراطي السياسي العلماني يصابون برذاذه على مستوى النيابة أو التوزير دون أي فاعلية حقيقية جوهرية لصالح العمل الإسلامي، بل تستغل مشاركتهم السياسية لصالح توفير واجهة مقبولة للنظام الحاكم.

تعقيب على تعقيب

حول الحوار مع الشيخ القرضاوي

بقلم: طاهر العتباني



وردنا رد مطول من الأخ الفاضل الأستاذ طاهر العتباني يعقب فيه على الدكتور محمد بن عبد الله الشباني في محاورته مع الشيخ د. يوسف القرضاوي الذي تم نشرها في العدد (١١٢)، وحيث إن المساحة المتاحة في هذه الزاوية لا تستوعب ما ذكره الأخ الكريم لطوله، فقد اضطررنا إلى اختصار الموضوع بذكر أهم وقفاته، وهي ما نحسب الكاتب يقصده في تعقيبه، مع العلم أننا عرضنا الرد كاملاً على الدكتور الشباني فأورد وجهة نظره في آخر المقال والتي لم تسلم من الاختصار، راجين أن يكون في هذا الحوار ما يوضح الحقيقة التي هي رائد الجميع، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح. والله من وراء القصد،،

البيان

لقد قرأت مقال «وقفات متأنية مع آراء فضيلة د. القرضاوي حول العلاقة مع أهل الكتاب» الذي نشرته «البيان» في العدد (١١٢) وتصورت أن صاحب المقال ـ وفقه الله ـ قد قرأ كل ما كتبه الدكتور القرضاوي في موضوع التعقيب الذي كتبه، مما قد أفرد له الدكتور القرضاوي بعض كتبه، ومما ورد في بحوثه المختلفة أو كتبه الأخرى التي لا يتسع المقام لذكرها.

لكنني وجدت الكاتب أخذ أقوال الشيخ من (من مجلة المجتمع الكويتية) ثم بنى عليها مقاله وآراءه وانتقاداته.

من هنا جاء هذا التعقيب على ذلك التعقيب الذي توخيت فيه أمرين ـ أسأل الله تعالى أن يبلغني إياهما ـ وهما:

١ ـ رجاء حسن المثوبة بإحسان القصد والوجهة فيه لله تعالى.

٢ ـ أن ينفع الله به قارئه، بأن يصيب الحق أو يقاربه.

أما التعقيب فإنه يتضمن عدة وقفات هي:

الوقفة الأولى: أني أشكر لصاحب المقال حرصه على نفع المسلمين بما لديه من علم وغيرة، كما ظهر من مقدمته، كذلك أحمد له أدبه الشديد في حديثه عن الشيخ وجهوده المعروفة من خلال كتبه ومحاضراته ودروسه وخطبه وأبحاثه وفتاواه وما شارك فيه من الندوات واللقاءات في كثير من أقطار المعمورة، فضلاً عما ابتلي به ـ عافاه الله ـ من إيذاء واضطهاد بسبب الحق الذي جاهد في سبيله، فجمع بذلك بين العلم والعمل، والجهاد والتضحية، نحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحداً.

ثاني هذه الوقفات: التنبيه على عدد من الملحوظات على الأخ الكاتب في نقده، ومنها:

(أ) أن تقويم الآراء والرد عليها يجب أن يراعى فيه جميع أقوال المردود عليه في موضوع الرد، ولا يكون الرد على عبارات عارضة في حديث مجمل في مقام معين وظرف محدد؛ وذلك الأصل المنهجي مبناه على عدة أمور:

١ ـ أن الفتوى ـ وهي ألصق وأقرب للدقة والضبط والإحكام وتحرير المسائل وتنقيحها ـ تراعي ظروف الزمان والمكان ومقتضى الحال والعرف، وهي قاعدة مشهودة معروفة. فكيف بحديث الناس فيما يعرض لهم من محاورات وأحاديث للصحف مما هو ليس على سبيل الفتوى.

٢ ـ أن في الكلام ما هو إجمال وما هو تفصيل، وهذا وارد حتى في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ.

وكما أنه لا يصح النظر إلى نص دون غيره من أقواله ﷺ في الاستدلال على حقيقة رسالته، وإنما يجب أخذ مجموع النصوص حتى في استخراج حكم المسألة الواحدة، كذلك فلا

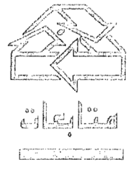
يصح أن تلصق تهمة بعالِّم من علماء المسلمين لعبارة وردت في حديث له وَهَمَ منها السامع معنى لم يدُر بخلد قائلها، وهو أنه يحصر الإسلام في الجانب الأخلاقي فقط دون العقيدة والعبادة، وغير ذلك من جوانب الرسالة الإسلامية عند الوقوف مثلاً أمام الحديث النبوي: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

٣ ـ أن للكلام اعتبارات ووجوهًا، فعلى الناظر في كلام أي أحد أن ينظر في وجوهه المختلفة؛ فالجملة من كلام بعض العلماء قد تكون صحيحة من وجه من الوجوه، فاسدة من وجه أو وجوه كذلك. وموقف الإمام علي رضي الله عنه والإمام ابن عباس مع الخوارج عند وقوفهم عند قوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ معروف للجميع.

(ب) أنه لو اتُبع هذا المنهج في الرد على أقوال مبتورة مجملة مقطوعة عن سياقها وظرفها، واعتبر منهجًا في الرد لما سلم لأحدٍ من علماء الأمة شيء مما قال أو كتب.

(ج) أن كلام المسلم ـ في عمومه ـ يجب أن يحمل على المحمل الحسن إلا أن تقوم القرينة القاطعة على فساده، فإذا كان الكلام لعالم جليل له خبرته بالعربية وأصولها وبلاغتها وقواعدها من نحو وصرف، وبالأصول والقواعد والأدلة من نصوص القرآن ونصوص السنة وجب عندئذ أن يحمل كلامه على أفضل وجوهه وأحسن تأويلاته.

(د) أن انتقاد عبارة أو جملة أو عدة جمل لعالم استفاضت أبحاثه وتنوعت وكثرت في جميع جوانب علوم الإسلام، وتلقاها عنه كثير من العلماء وطلبة العلم بالقبول في مجموعها الأعم على مدار ما يقارب أربعين عامًا، والوقوف أمام هذه العبارة دون غيرها مما يتصل بموضوعها وتقويم آرائه من خلالها منهج غير صحيح. ولقد ذكر أهل العلم ـ كابن تيمية في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» المنهج الصحيح تجاه أقوال العلماء مما يجب أن يحتذى.



الوقفة الثالثة: أن عالمًا مشهودًا له بالعلم والعدالة والبلاء الحسن يجب النظر إلى مجموع حسناته وجهاده قبل أن يُشنَّع على آرائه التي يجتهد فيها فيصيب أو يخطئ.

لا سيما وأن فضيلة الدكتور القرضاوي ـ حفظه الله وأمد في عمره ـ قد فهم الإسلام بمعناه الشامل الذي يبدأ من العلم والاعتقاد والعبادات والشعائر حتى جوانب التشريع في نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية والثقافية وغيرها، وأسهم في التوعية بذلك للناس كافة.

وأنا لا أعني بكلامي هذا عدم الرد إذا ما لزم الأمر؛ لكن على أن يكون الرد منهجيًا مبنيًا على القواعد والأصول التي تُتبع في الرد على العلماء ونقد أقوالهم مما أحتاج إلى شيء منه.

الوقفة الرابعة: أن صاحب المقال ـ جزاه الله خيرًا ـ أفاض في التعقيب على ثلاث عبارات وردت في حديث الدكتور القرضاوي، ورتب عليها كلامًا كثيرًا هو صحيح من حيث معناه، ومن حيث الاستدلال عليه بآيات وأحاديث؛ ولكنه في غير موضعه مما اعتبره صاحب المقال ردًا يوهم القارئ أن في كلام الدكتور ما يناقض كلام صاحب المقال فيما ساق من حديث، والأمر غير ذلك!

وأحسب أن صاحب المقال لو تعامل مع هذه العبارات بموضوعية لاستخراج وجوه الكلام الممكنة أولاً في كل عبارة، وحملها على المحمل الحسن ثانيًا، ثم أيد هذا الذي ذهب إليه بما عُرف من فهم الشيخ للإسلام فهمًا صحيحًا مما يدل عليه ما جاء في بقية كتبه وأبحاثه ودراساته وفتاواه، ـ لو فعل ذلك لكان أصاب الحق والصواب.

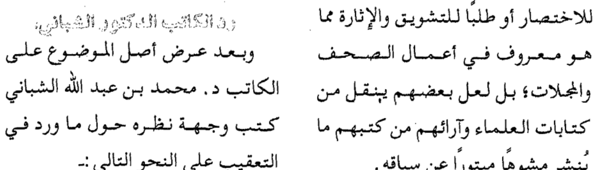
الوقفة الخامسة: أن آراء عالم كالدكتور القرضاوي في العلاقة مع أهل الكتاب لا تؤخذ من مجرد تصريح أدلى به لمجلة أو جريدة ـ هذا إذا صحت نسبته إليه فعلاً ـ وإلا فأحيانًا تنسب الصحف للناس ما لم يقولوه، أو تنشره مشوهًا لتصرُّفها فيه طلبًا

للاختصار أو طلبًا للتشويق والإثارة مما هو معروف في أعمال الصحف والمجلات؛ بل لعل بعضهم ينقل من كتابات العلماء وآرائهم من كتبهم ما يُنشر مشوهًا مبتورًا عن سياقه.

ثم إن الدكتور القرضاوي لا يتساهل في مثل موضوع: «العلاقة بأهل الكتاب» بل إنه ليحرص في هذا الباب على تحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وينبه حتى في الأمور المباحة بيننا وبينهم على ما يمكن أن يخرج بهذه الإباحة عن مقصودها الذي شرعها لأجله الشارع الحكيم. كما وضح ذلك في كتابه: (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي).

وفي ختام هذه الوقفات أود ألا أكون جانبت الصواب، وأسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

* * *

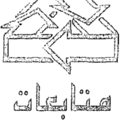


رد الكاتب الدكتور الشباني:

وبعد عرض أصل الموضوع على الكاتب د. محمد بن عبد الله الشباني كتب وجهة نظره حول ما ورد في التعقيب على النحو التالي:-

أود بادئ ذي بدء أن أشكر للأخ طاهر العتباني رده وتعقيبه على ما نشرته حول ما نسب لفضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله وأحسن الله له قصده، وجعلنا وإياه ممن يسعى للحق ويهدي إليه.

لقد ترددت كثيرًا في التعقيب على تعقيبه ولكن حيث أورد الأخ طاهر بعض الأمور التي يجب التنبيه عليها لما لها من صلة بأصل المحاورة ولما ظنه من أن محاورتي لفضيلة الدكتور القرضاوي، هو طعن في مكانة الشيخ القرضاوي، وما أشار إليه من أن استفادتي من كتب القرضاوي مزعومة، ويعلم الله أنني لم أقصد من ذلك إلا النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم في أمر له أهميته العقدية، ولم أقصد التقليل أو صرف



الناس عن قراءة كتبه كما توهم الأخ العتباني ـ عفا الله عنا وعنه .

كما أن الأخ العتباني أشار في معرض تعقيبه إلى أنه كان ينبغي عليَّ الاتصال بفضيلته لمناقشته، ولقد قمت بالاتصال، ولكن من خلال الوسيلة التي تم نشر ما نسب إليه فيها، فقد أرسلت نسخة من محاورتي التي قامت البيان بنشرها لمجلة المجتمع لعل المجلة أن تقوم بدورها باستيضاح رأي الشيخ القرضاوي وتنشر وجهة رأيه فيما نسب إليه، ولكن مع الأسف تجوهل الموضوع حتى كتابة هذا التعقيب؛ وللأسباب المشار إليها وحتى لا يلتبس الأمر على قارئ التعقيب فقد ارتأيت أن أوضح وجهة نظري فيما أورده الأخ العتباني من وقفات على النحو التالي :

أولاً : ما أشير إليه من ضرورة مراعاة جمع أقوال المردود عليه في موضوع الرد، فأود أن أهمس في أذن الأخ طاهر أنني لم أقصد دراسة كل ما كتبه فضيلة الشيخ القرضاوي والرد على آرائه؛ فهذا لم يكن هدفي من محاورته؛ وإنما قصدت من الرد على ما جاء في مجلة المجتمع في الموضوع من آراء تصب في الدعوة الخطيرة التي يدعى لها في هذه الأيام وهي فكرة وحدة الأديان والتي تنبه لها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة السعودية ـ أطال الله في عمره ونفع الله به ـ فقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة فضيلته فتوى في الموضوع نشرت في أكثر من مجلة وصحيفة .

ثانياً : ما أشار إليه الأخ، وهو أمر خارج عن نطاق التعقيب، من ضرورة عدم معارضة العلماء المشهورين الذين بلغوا مكانة عالية من العلم والمعرفة والإحاطة بفروع العلم وأصوله، وضرورة البحث عن مخارج لأقوالهم في حالة وقوع أخطاء، والبحث عن تبريرات لهم، وفي حال الرد عليهم... إلخ. فلي على ما ذكره ملاحظتان :

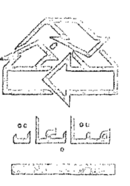
١ ـ إن مما أصيبت به الأمة في هذا العصر تقديس من تحب والتغاضي عن

أخطائه، والبحث عن التبريرات لأقواله والتشنيع والتسفيه للمخالف حتى ولو كان الحق معه؛ وهذا منهج نهى الله عنه حيث إنه يؤدي إلى الانحراف والضلال يقول تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد وضح رسول الله ﷺ معنى هذه الآية بحديث عدي بن حاتم الطائي بأن المقصود بعبادتهم اتباعهم فيما يفتون به مما هو على غير هدى مستقيم.

٢ – إنني لم أخالف المنهجية في الرد؛ حيث اعتمدت فيما أوردته من محاور على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وكنت حذراً أن أجزم بأن ما ينشر في الموضوع هو قوله، وكنت كلما نقلت كلاماً عنه أشرت إلى ذلك بعبارة: إن ذلك منسوب إليه؛ تحفظاً من أن يكون هناك تحريف في كلامه؛ وعلى أمل أن يطلع فضيلته على محاورتي فيرد أو يوضح ما ينسب إليه من ذلك؛ أما عدم الرد على عالم جليل مثل الدكتور القرضاوي فهو أمر غير مقبول؛ ولنا في سلفنا الصالح أسوة؛ حيث يقول الإمام مالك: كلٌّ يؤخذ من كلامه ويُرد إلا صاحب هذه الحجرة ﷺ. ومع احترامي وتقديري لجهود الدكتور القرضاوي المعروفة التي أرجو الله أن يثيبه عليها لكن ذلك لا يمنع من مناقشته وعدم قبول كل ما يقوله على علاته، والبحث عن تبريرات لما يفتي به؛ فالحق أحق أن يتبع.

ثالثاً: ما أخذته على فضيلة الشيخ من قوله: « ... إن رسالة الإسلام أخلاقية بالدرجة الأولى » ورد الكاتب أن أمر مفهوم الأخلاق في الإسلام يختلف عن المفاهيم الغربية، واستطراده يذكر ما كتب حول مفهوم الأخلاق في الإسلام؛ فأنا لا أختلف معه حول ما أشار إليه وما أحال عليه؛ لكن أعارض جعل رسالة الإسلام أخلاقية بالدرجة الأولى؛ فما هو مستند الشيخ من الكتاب والسنة؟ لأن رسالة الإسلام هي بالدرجة الأولى عقدية بتعبيد الناس لله تعالى، وتحقيق



كلمة التوحيد؛ ويا ليت فضيلة الشيخ يوضح وجهة نظره فيما ذكرت.

رابعاً: لقد أشار الأخ العتباني عند محاولته تفسير ما ينسب إلى الدكتور القرضاوي في مجلة المجتمع: «لا مانع في الإسلام من أن يقف أتباع الديانات السماوية الذين يتبعون إبراهيم الخليل...» إلى أن الشيخ القرضاوي يقصد حسب زعم الكاتب تحالف أهل الأديان السماوية الذين يؤمنون بوجود الله ربّاً وخالقًا، وبالجزاء والحساب، وقد استرسل الأخ العتباني في بيان ذلك.

فإذا كان هذا هو قصد الدكتور القرضاوي كما فهمه الأخ العتباني، فالأمر في غاية الخطورة؛ لأنه يخالف أصل مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فمشركو العرب لم ينكروا ربوبية الله والبعث والجزاء، لكن ذلك لم ينفعهم فـ«التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية له وحده بأن يُشهد أن لا إله إلا الله ولا يُعبد إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُوالى إلا له، ولا يُعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله...

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية... فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دونما سواه ... وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أنداداً...»[1]؛ فحاربهم الرسول ﷺ ودعاهم للإيمان، ولم يقبل توحيد الربوبية منهم؛ فلا بد من تحقيق العبادة لله وحده بتوحيد الألوهية، وكذلك بتوحيد الأسماء والصفات.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يهدينا إلى سواء السبيل.

(١) لمزيد البيان انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المكتبة التجارية ص ١٥ ـ ١٧.

حتى لا تموت الدعوة دماغياً؟!

بقلم: عبد الله بن حسن الوادعي

الوفاة الدماغية مصطلح طبي يعني أن يموت دماغ المريض ويتوقف عن العمل ولكن بقية الأعضاء تبقى عاملة كالقلب والرئة والكُلى ... وغيرها، وحيث إن الدماغ هو مركز التفكير والإحساس والأوامر فإن هذه الوظائف تُفقد، فيصبح المريض مجرد جثة هامدة لا يستطيع حَراكاً ولا يُعْمِل فكراً ولا يحسُ ألماً ولا يشعر بمسؤولية.

وهذه الحالة أو قريب منها - هي المرحلة التي تمر بها الدعوة في بعض البلدان؛ فمنذ عدة سنوات كانت الدعوة في قمة نشاطها؛ فعقول الدعاة إلى الله كانت تفكر وتتأمل لتنتج كل يوم عملاً جديداً ما بين محاضرة أو ندوة أو أمسية أو شريط أو كتاب إلى غير ذلك مما يصعب حصره.

وحيث كان عقل الدعوة المفكر سليماً فقد كان تأثيره إيجابيًا على العاملين في حقل الدعوة، فيقومون بتنفيذ هذا العمل الدعوي أو ذاك بكل جد وإخلاص فترى أثره ملموساً وجليًا في أوساط المجتمع الذي هو مادة الدعوة. وما كان ذلك ليحدث لو لم يكن عقل الدعوة المفكر والمسؤول عن الإحساس سليمًا، فقد كان يحس بالأخطار المحدقة بالدعوة، ويتلمس حاجة الناس إليها، ويعرف مداخلهم ومخارجهم، ويدرك واجبه المنوط به.

ثم دار الزمن، وتعاقبت السنون؛ فإذا بقطار الدعوة يقف ـ أو يكاد ـ فلم نعد نرى أو نحس جهوداً من أجل الدعوة تبذل، أو صرحاً من أجل الدعوة يُقام، أو وقفًا في سبيل الدعوة يُبذل، أو نفساً في سبيل الدعوة تتعب، أو فكراً من أجل الدعوة يعمل، أو خاطراً من أجل الدعوة يَهتم أو على الأقل حساً من أجل الدعوة يُستثار!

فأين الخلَل يا تُرى؟

* هل عدمت مادة الدعوة وهي المجتمع ؟!! * أم هل استنفد رصيد الدعوة وهو الدين؟!!
* أم هل شلت أعضاء الدعاة العاملين في حقلها وهم شباب الصحوة ؟!!
* أم هل توقف عقل الدعوة المفكر ودماغها الذي كان يحس بالمسؤولية، وفكرها الذي كان ينتج الأعمال الدعوية ؟ هل توقف كل هذا ؟ * هل ماتت دماغيًا ؟!!

هذا ما لا يرضاه أي مسلم .... فإلى الدعوة والعمل المسؤول الهادف لخدمة الناس كافة بدعوتهم إلى صراط الله المستقيم وبكل السبل المشروعة.

حديث النفس

شعر: د. شبيب أحمد القحطاني

يا أُمتي - والحُزْنُ يَعصرني - علامَ الإنحناءْ!

ما بالُ رحلَتِك انتهت وخلعت ثوبَ الكبرياءْ!

لو كان يُسْعِفُني البكاءُ لَمُتُّ من فَرْطِ البكاءْ

يا أُمّتي هل يصبحُ الأعداءُ يوماً أصدقاءْ؟

رَبَّاهُ ماذا قد دهانَا كيفَ ذلَّ الأنقياءْ؟!

لكأنَّما الأمجادُ شِيدتْ دُونما بذلِ الدِّماءْ!

قِفْ يا زماني ساعةً واذكر زمانَ الأقوياءْ

كم جَلْجَلَ الحقُّ المبينُ وطافَ أنحاءَ الفضاءْ؟

كم طهَّرَ الإسلامُ أجساداً وجمَّعها الإخاءْ؟

السُّقْمُ دَبَّ بأُمةٍ تركتْ دروبَ الأنبياءْ

لو يعلمُ الوسنانُ منّا أن في التَّقْوى شِفاءْ

لاستيقظَ اللَّيْثُ الهصورُ وسارَ في جَيْشِ الفِداءْ

قُمْ يا رعيلَ اليومِ وارفَعْ ما تهدَّم من بناءْ

هذي مُصيبَةُ أُمّتي ولعلّنا نَجِدُ الدّواءْ

إنْ طالَ ليلُ الآملينَ فَسَوفَ يُسْفِر عَن ضياءْ

هَلاَّ رَفَعنا بالدُّعاءِ أكفَّنا نحو السَّماءْ

وَمَضَتْ رواحِلُنَا على دَرْبِ البطولةِ والفِداءْ

يكفي من التاريخِ عاراً أن يسودَ الأشقياءْ

بريد البيان

■ **الأخ / محمد عبدالرحمن الزامل:**
نشكرك على تفاعلك مع (البيان) ومتابعتك لها ومحضك النصح لها بما أدليت به من آراء سديدة ومقترحات وجيهة في الشكل والمضمون، ونقدر لك هذا الشعور الطيب، وثق أن أسرة التحرير تضع مرئياتك محل اهتمامها وعنايتها، وستعد المجلة دراسة عن نتائج الاستبانة التي طرحتها سابقًا وما أرسله بعض القراء المتابعين أمثالك، ولنا لقاء قادم مع تلك النتيجة، وجزاك الله خيرًا.

● ● ●

■ **الأخ / سعيد بن عقيل:**
نشكر لك متابعتك وحرصك على البيان. أما المقال المرفق الذي اقترحت إعادة نشره لأهميته فمع تقديرنا لك ولكاتبه ولمضمونه إلا أنه لا يعاد نشر مقال نشر لا سيما أنه سبق نشره في صحيفة يومية معروفة بمنهجها العلماني ومواقفها السلبية من الدعوة والدعاة.

● ● ●

■ **الأخت / لانا حميدان حمدان:**
مقطوعتك ضعيفة فنيًا، ولكنها بداية تبشر بروح شاعرية. عليك الاهتمام بأوزان الشعر؛ فالشعر وزن وقافية ومبنى ومعنى وخيال وعاطفة، واصلي محاولاتك الشعرية بالاطلاع على جيد الشعر قديمه وحديثه.

● ● ●

■ **الأخ / د. مازن الهاجري، وزيابينة أحمد، وخميس أبوطالب:**
ستصل كلاً منكم رسالة خاصة.

● ● ●

■ **الأخ / عبد الرزاق بن حمود:**
نشكر لك مشاركتك، ولكننا نعتذر عن شعر المناسبات.

● ● ●

■ **الأخ / نواف عواض:**
نشكرك على متابعتك للبيان. وما اقترحته سينظر فيه ضمن نتيجة الاستبيان، ومشاركاتك القادمة ستعرض على لجنة الإجازة لنشر ما يناسب منها.

● ● ●

■ **الأخ / عبد الرحمن التركي:**
مقالك عن ثمرات اتباع السنة غير واضح عبر الهاتف المصور، وسيعرض ما ترسله على لجنة الإجازة، والمناسب منها سيرى النور إن شاء الله ويحسن أن لا تطول المقالات كثيراً.

● ● ●

■ **الأخ / أسامة الجامع:**
موضوعك سينشر في منتدى القراء في عدد قادم بمشيئة الله.

● ● ●

■ **الأخ / أسامة محمد إبراهيم:**
موضوعك مجاز وسينشر في في عدد قادم بمشيئة الله.

● ● ●

■ **الأخ / محمد أحمد عبد العزيز:**
موضوعك معروض على لجنة الإجازة.

● ● ●

■ **الأخ / علي محمد الغريب:**
مقالك عن باكثير سينشر بالملف الأدبي في عدد قادم.

● ● ●

ماذا دهى أمة الإسناد؟!

بقلم : محمد نجيب لطفي

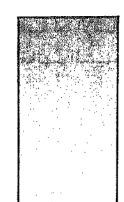
نحن أمة الإسناد، ما في ذلك من شك؛ وتراثنا العظيم في الحديث النبوي الشريف وعلومه أعظم دليل على ذلك، حيث يتجلى ذلك بوضوح في دواوين السنة من صحاح وسنن ومعاجم ومسانيد ومستدركات ومستخرجات وهي من الكثرة والدقة بمكان، وكذلك في كتب الرجال والجرح والتعديل ـ كل ذلك من مفاخر أمتنا العظيمة أمة الإسناد الذي تفاخر به العالمين.

نفاخر أن أمم الأرض قاطبة لن تستطيع الوصول إلى عشر معشار ما وصلنا إليه مهما تطاولت أعناقهم وتمنت نفوسهم.

ولكن !! ماذا دهى الأمة العظيمة؟! أمة الإسناد؟! فالناظر في الكتابات المعاصرة ـ في سوادها الأعظم ـ يؤلمه ويحزنه أن الاهتمام بالإسناد تضاءل إلى حد كبير جداً، سواءٌ أكان ذلك في المؤلفات والمصنفات، أو في الصحف والمجلات، أو في الندوات والمحاضرات، أو في الخطب والمناظرات؛ وقد ترتب على ذلك الأمر المؤسف أمور منها:

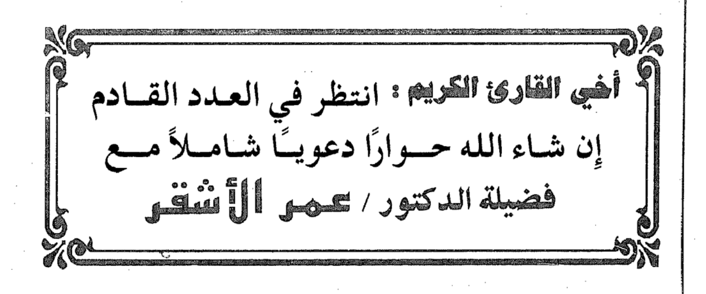
١ ـ تهجم بعض الجهلة والمغرضين على السنة والطعن في حفظ الصحابة للسنة بدعاوى مكرورة نقلاً عن المستشرقين أو الفئات الضالة ممن لها مواقف معروفة من السنة ونقلتها.

٢ ـ انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة انتشاراً كبيراً مما كان له أسوأ الأثر على عموم المسلمين بسبب اعتقاد صحة هذه الأحاديث ومن ثَمَّ العمل بها .



٣ ـ ضعف مكانة السنة في نفوس المسلمين.
٤ ـ عدم تقدير علوم الحديث كما يجب، والتهاون في حقها.
٥ ـ الرجوع إلى كتب الوعظ والتصوف القديمة والحديثة، والنقل منها بدون تحقيق.
ولذا: أرى من الواجب الاهتمام بأمور عظيمة، منها:

١ ـ الاهتمام في الجامعات الإسلامية بعامة بالحديث وعلومه اهتمامًا بالغًا بدلاً من الاهتمام بالتصوف وما يسمى بـ (الفلسفة الإسلامية) والمنطق وما يسمى بـ (علم الكلام)، وأن تنحو هذه الجامعات منحى المنهج العلمي لسلف الأمة.
٢ ـ علو الهمة في دراسة الحديث وعلومه، والنظر إلى ما فعله الأقدمون العظماء، أمثال: ابن معين والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وأحمد والنسائي، وغيرهم..
٣ ـ الاهتمام البالغ بتخريج وتحقيق الآثار على سبيل الإلزام في المؤلفات والمصنفات والجرائد والمجلات.
٤ ـ الاعتقاد بأن للاهتمام بالسنة ودراستها ثوابًا جزيلاً؛ وإن الأمل ليحدو كل غيور في أن تستجيب الأمة لهذا الأمر الخطير الجليل، وتعود كما كانت في عصورها الذهبية أمة الإسناد.
٥ ـ التحذير من أولئك النفر المرددين لشبه غيرهم، وكشف منطلقاتهم المشبوهة حيال السنة ورواتها.
﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].





AL-BAYAN

Islamic Magazine

Subscription Form

(BLOCK CAPITALS PLEASE)

Name ---------------------------- Surname -------------------

Address --

City -------------------------------------- Post Code --------

Country --

New ☐ 1 Year ☐ 2 Years ☐ 3 Years ☐

Renew ☐ Amount Enclosed -------------------------
(Sterling Only) (Cheques payable to AL-BAYAN)

Please quote subscription number in all correspondance:--------------

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
LONDON SW6 4HR
U.K.

على منعها، وأخيرا مؤتمر الشبيبة العالمي في باريس الذي دعي إليه بابا الكاثوليك ليلقي ما يسمى بالقداس مع استقبال الرئيس الفرنسي شيراك له بكل حفاوة وليقول له إنه قدوة للجميع. هذا فعلهم مع شبابهم؛ فماذا فعلت أكثر الدول العربية لشبابها سوى مواصلة تغريبهم، وترسيخ صور الانحراف فيهم بدعاوى التطور والتقدمية؛ هذا حالهم مع شبابهم، وتلك أحوالنا مع شبابنا!

والله المستعان ،،،

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

٣ ـ ضعف مكانة السنة في نفوس المسلمين.

٤ ـ عدم تقدير علوم الحديث كما يجب، والتهاون في حقها.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:
AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

افتتاحية

كلمة صغيرة

الشباب هم عماد المستقبل وعدة الأمم لمواجهة النوائب؛ لذا تضع كل أمة من الأساليب التربوية والعلمية والعملية ما تصنع به شباباً يرفع رايتها ويواصل أمجادها.

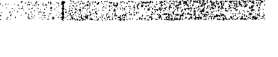
والمنطلقات العقدية والإيديولوجية لكل أمة هي أول ما تحرص على ترسيخه في أذهان بنيها، وهذا ملموس في كل دول العالم.

غير أن الإسلام يكاد يكون الدين الوحيد المحارَب حينما يطلب أن يكون منهج حياة فاعلاً للشباب؛ وذلك في كثير من الدول الإسلامية لأسباب كثيرة معروفة لا يتسع المجال لذكرها.

ولذلك رُفِضَ اسم تجمع شبابي إسلامي رياضي تقدمت به دولة خليجية منذ سنوات حينما عقد فيها مؤتمر إسلامي، ورأت اللجنة الأولمبية العالمية منع ذلك لعدم الموافقة على أن يكون أي تجمع رياضي دولي ذا انتماء ديني! فاضطرت تلك الدولة لتسمية الدورة بـ « دورة الصداقة والسلام! ».

لكننا سمعنا مؤخراً عن الدورة الرياضية اليهودية التي لم يجرؤ أحد على منعها، وأخيراً مؤتمر الشبيبة العالمي في باريس الذي دعي إليه بابا الكاثوليك ليلقي ما يسمى بالقداس مع استقبال الرئيس الفرنسي شيراك له بكل حفاوة وليقول له إنه قدوة للجميع. هذا فعلهم مع شبابهم؛ فماذا فعلت أكثر الدول العربية لشبابها سوى مواصلة تغريبهم، وترسيخ صور الانحراف فيهم بدعاوى التطور والتقدمية؛ هذا حالهم مع شبابهم، وتلك أحوالنا مع شبابنا!

والله المستعان ،،،



في هذا العدد :

● افتتاحية العدد

في ظل الأوضاع القائمة أحداث .. ومعان ٤

التحرير

● دراسات شرعية

سنن : الإعداد والتدافع ٨

د . محمد أمحزون

● دراسات دعوية

الانكفاء إلى الداخل ١٤

عادل ماجد

● تأملات دعوية

عوامل النجاح في العمل المؤسسي .. ١٨

عبد الله المسلم

● مقال

النقد الهدام ٢٠

مراد بن أحمد المقدسي

● حوار

مع فضيلة د. عمر الأشقر..... ٣٠

التحرير

● نص شعري

الدولة المسخ................. ٤٠

مروان كجك

● ندوات ومحاضرات

التطورات الأخيرة لعملية السلام والتوقعات المستقبلية ٤٢

وائل عبد الغني

● في دائرة الضوء

ماذا وراء الاستنساخ ؟ !.............. ٥٤

(الحلقة الثانية)

خالد أبو الفتوح

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع ، ص.ب ٢٩١٢٦ ، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦ ، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة : ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١ ، فاكس ٥٣١٢٨١ .

امريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

المسلمون والعالم

● مئة عام على مؤتمر دهاة صهيون.. دولة اليهود بين العجز والإعجاز........... ٦٦
عبد العزيز كامل

● حلف الأطلسي هل يرفع الرايات الصليبية ٧٤
حسن قطامش

● دروس من زائير ٨٦
إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

هموم ثقافية

إشكالية نتائج وإفرازات الديمقراطية ٩٢
سامي محمد الدلال

متابعات

دعوة لإعادة النظر ١٠٠
أسامة محمد إبراهيم

منتدى القراء

فن الإقناع ١٠٦
الموفقون ١٠٧
بداية ونهاية ١٠٩

بريد البيان

ردود على بعض رسائل القراء ١١٠
التحرير

الورقة الأخيرة

المؤتمر المشبوه ١١١
عبد الرحيم البلوشي

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وامريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٣٠ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

في ظل الأوضاع القائمة

أحداث .. ومعانٍ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أما بعد:

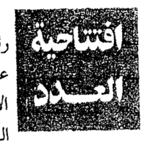
فلقد شهدت الفترة الماضية مجموعة من الأحداث التي يضمها رباط واحد وإن تباعدت أماكنها، واختلفت أشكالها، وكان من أبرزها:

- عربدة العدو الصهيوني في حصاره غير الإنساني لمناطق الحكم الذاتي بعد التفجير المزدوج في القدس الذي كان ردة فعل على الضغوط الصهيونية والاستهتار المستمر بما يسمى بعملية السلام؛ بينما يعيش الصهاينة في منأى حتى عن اللوم الدولي الشفوي؛ وذلك للموقف الأمريكي الأعمى المنسجم مع اليهود دون أي خجل أو احترام للأمة العربية والإسلامية. وذراً للرماد في العيون فإن الحكومة الأمريكية ترسل منسقها لعملية السلام ليقوم بزيارات مكوكية مخفقة، وقصارى جهده دعوة الأطراف لضبط النفس فقط! مع التغاضي عن خروقات العدو اليهودي والاكتفاء بالتربيت على ظهره.

- إصرار بعض الأطراف العربية على الاستمرار في التطبيع مع العدو، والسقوط في أحضانه مع عدم امتثاله لشروط عملية السلام واستمرار غاراته المتوالية على المواقع العربية في جنوب لبنان بكل وحشية، التي لا يملك لبنان حيالها سوى الشكاوى التي مصيرها الإجهاض؛ فالفيتو الأمريكي جاهز عند اللزوم.



وفي الشمال من (إسرائيل الكبرى) - في حلمهم - فرض «مسعود يلماظ» رئيس الوزراء التركي العلماني الذي جاء إلى الحكم بانقلاب ديمقراطي، نفذ على طريقة (الهندسة الديمقراطية، وبتأييد عسكري) زيادة مدة التعليم الإلزامي من خمس سنوات إلى ثمانٍ؛ بقصد ترسيخ الاتجاه العلماني في المجتمع التركي الذي بدأ يعود من جديد إلى أصالته الإسلامية وبدا ذلك في تأييده



لحزب (الرفاه) الذي نال أكثر الأصوات في البرلمان التركي، وأيضاً بهدف الإقلال من أعداد المدارس الشرعية وتقليص آثارها لدى التلاميذ؛ بدعوى حماية الاتجاه العلماني الأتاتوركي، مما دعا الآلاف من أنصار التيار الإسلامي إلى الخروج في مظاهرات جابت أكثر من مدينة تركية؛ لكن العصا الغليظة للجيش التركي ضربت بيدٍ من حديد، واعتقلت المئات من المتظاهرين وأودعتهم السجون؛ مع صمت مريب من قِبَلِ جمعيات ما يسمى بحقوق الإنسان؛ لأن الأمر يتعلق بالإسلام والمسلمين!! ومن المهازل في تركيا : منع العلمانيين الحجاب للفتيات المسلمات والعمامة للشيوخ؛ بينما أبيح الحجاب في أمريكا وفرنسا باعتباره حرية شخصية؛ فالمسألة كراهية علمانيي « الدونمة » للإسلام وما يذكّر به. والله المستعان.

ومن جانب آخر أشارت (اللجنة القومية للسياسة الخارجية الأمريكية) في تقرير لها بعد التغيرات الأخيرة في إيران بترشيح الرئيس الجديد خاتمي رفعته للرئيس الأمريكي كلينتون؛ وكالعادة في متابعتهم للأصولية العالمية؛ أشار التقرير إلى ما زعم من تراجع (الأصولية) والمقصود بها بالدرجة الأولى (المد الإسلامي) وأنها تفقد جاذبيتها.. وأنها محكومة بالزوال [جريدة الشرق الأوسط ٦٨٣٧ في ١٧/٨/١٩٩٧].

فماذا تعني هذه الأحداث ؟

لا شك أنها تعني أشياء كثيرة من أهمها :

١ ـ أن الدول العربية مستمرة في الانحدار في مواقفها مع العدو؛ لعدم وجود مرجعية يخشاها اليهود الذين يعملون جاهدين على الحيلولة دون تَشكُّل مثل هذه المرجعية بكل السبل، ويشجعون بعض الدول الموالية لهم على ضرب الاتجاه الإسلامي؛ بدعوى أنه العائق الوحيد لعالمٍ يسوده الأمن والسلام!



٢ ـ أن التكالب والتداعي المفعم بالتعالي والصلف، والتنمر على القصعة الإسلامية من قِبَل أعداء الأمة وصل حداً من الجرأة قلَّ أن بلغه في تاريخ الصراع معهم، وأن هذا التداعي والتعالي يستند إلى اطمئنان مبعثه مسلسل من التجارب السابقة بأنّ أقصى ما يفعله الحاكمون بأمرهم هو إطلاق عيار (الاستنكار والتنديد والاحتجاج)! يُسكتون به شعوبهم المغلوبة على أمرها!!

أحداث.. ومعان

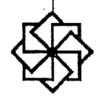
٣ ـ أن النخبة العلمانية (التي ما زالت تصر على إلصاق نفسها بالإسلام) تزداد تعانقاً مع الغرب بعامة و(إسرائيل) بخاصة كلما ازدادت توغلاً في

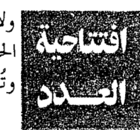
علمانيتها، حتى وصل الأمر بقومي علماني يساري معروف هو.. «لطفي الخولي» إلى أن يصرح لجريدة صهيونية قائلاً: «إنه لا يوجد صراع بين (مصر) و(إسرائيل)، بل إن الصراع هو بين البلدين من جهة وبين الأصولية الدينية الإسلامية واليهودية من جهة أخرى!! وقال: إن صلاح إسرائيل هو صلاح لنا - يقصد العرب!! - وإن إسرائيل ليست جزءاً في الشرق الأوسط مثل تركيا وإيران، بل هي في قلب المنطقة، وأمنها وسلامتها ومستقبلها واقتصادها مرتبط باستقرار المنطقة العربية!!»(١).

ولا غرابة في هذا الموقف من منظِّر (قومي) اشتراكي علماني لا يقيم للإسلام وشريعته أي اعتبار ما دام أن ذلك رأيه وتلك هي أفكاره.

٤ - وتعني هذه الأحداث أيضاً أن روح المقاومة والتململ من الواقع المرير لم تخمد في الأمة، وأنه كلما ظن أعداؤها أنهم أوشكوا على القضاء عليها خرج لهم شبيبة لفظوا الدجل العلماني، ولم يتشربوا الذل الاستسلامي، ليسطروا على جبين الأمة: أن (لا)، لن نرضى بالدنيَّة، وسنقطع الأيدي التي تمتد إلى قرآننا ونبينا...

فيا أيها الحاكمون بأمرهم! ويا رعاة السلام الموهوم: نؤكد لكم أن عداءكم للإسلام وللاتجاهات الإسلامية لا يعني سوى اقتناع الأجيال الجديدة المؤمنة وإدراكها - مهما حاولتم تغريبها - أنكم أعداء دينها وأعداء ملتها بعلم منكم أو بغير علم، وستكون أكثر إيماناً ويقيناً بأن صلاح أمرها واستقرار أحوالها باستقلالها تماماً من التبعية للآخرين، وإن أساتذتكم في التغريب وقدوتكم في العلمنة هم أكثر ما يكونون احتقاراً لكم وسخرية منكم؛ فقد جاء في التقرير الأمريكي آنف الذكر أن النزعة التسلطية لبعض الحكومات العربية وتوجهاتها المتعثرة نحو الإصلاح الاقتصادي أسهمت في إعطاء الانطباع أنه لا صلة للوطن العربي بالإصلاح الاقتصادي أو التوجه الديمقراطي، في وقت يشهد العالم فيه - ولا يزال - توجهات ديمقراطية كاسحة. وأشار التقرير إلى أنه وإن وجد شيء من الحرية النسبية في بعض الدول العربية إلا أن قوانين الطوارئ ما زالت حاكمة، وتُستغل بشراسة ضد المعارضين بمناسبة وبغير مناسبة!





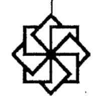
(١) مجلة الشراع اللبنانية في ١٠/٣/١٤١٨هـ الموافق ١٤/٧/١٩٩٧م، ص ١٥.

غير أن ما يُؤسف له، بل هو المتوقع ـ والذي سبق أن أكدناه كثيراً ـ أن التداعي على عملية السلام لم تؤتِ ثمارها المتوهمة، ولم تزد اليهود سوى غطرسة وعنجهية، ولم تزد المهرولين نحو السلام الموهوم سوى الإذلال المستمر الذي يصر على تقبيل الأعتاب في الوقت الذي يبصق العدو فيه في الوجوه.

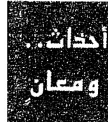
ولا نرى ـ في نظرنا ـ من أمل إلا الوقوف بصلابة أمام العدو، وإفهامه اللغة التي يعرفها؛ وذلك بإطلاق الاتجاهات الإسلامية لتعمل في الهواء الطلق لتحقيق الموقف الصحيح، ليس رد فعل لما يحصل، بل تقريراً لحقائق شرعية ومنطلقات أساس تمس حياة الأمة.

فهذا ما يرعب اليهود منذ أن قال بن جوريون: « نحن لا نخشى اشتراكيات المنطقة ولا ثورياتها، ولا ديمقراطياتها؛ نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ من جديد ». والرعب نفسه نجده لدى (نيتن ياهو) في كتابه الجديد: (محاربة الإرهاب) الذي يؤكد فيه على العقلية التصادمية لأعداء الإسلام الذين يرون في ديننا الحنيف العدو البديل بعد سقوط الماركسية، ويصر على أن أي موقف عدائي من دولتهم هو بالضرورة إرهاب، وأنه يجب فرض العقوبات على الدول العربية والإسلامية في محاولة لضرب الحركات الإسلامية التي يراها الخطر الأكبر على دولته.

أما دعاوى تراجع المد الإسلامي فإنما هي وَهْمٌ في أذهان أعدائه؛ إذ ما يزال الإسلام هو المحرك للفعاليات الإسلامية، وهو منطلقها في طريق الدعوة إلى الله، ومتى أتيح له المجال وصل إلى القمة؛ وهذا ما يرعب عشاق الكراسي ولا يخشون سواه؛ لذا يعملون لتهميشه ووضعه في دائرة الممنوعات وصدق البشير النذير ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ...**» رغم كل ما يحصل من كبت ومحاصرة ومصادرة.



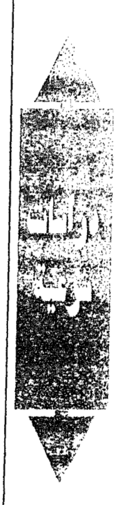
ولقد سبق أن قلنا: إن التهور وعدم الاستمساك بأدلة الشريعة وقواعدها والعنف الناتج عن ذلك ليس وسيلة لإصلاح المجتمعات وتقويمها، كما أن الغلو في التكفير غير المنضبط بالضوابط والأصول الشرعية المتفق عليها عند سلف الأمة منزلق غير محمود العواقب؛ وهذا سر بعض الإخفاقات التي حصلت لبعض الاتجاهات الإسلامية.



والله نسأل أن يوفق الجميع لاقتفاء صراطه المستقيم وأن يجنبنا سبل الضالين والمضلين.

سنن: الإعداد والتدافع

بقلم: د. محمد أمحزون



إن إعداد النفوس للجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام هذا الدين؛ إذ من اليقين الجازم: أنه لا يرفع عن المسلمين ما هم فيه من ذلة ومهانة إلا أن تحيا معاني الجهاد في نفوسهم لقول النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[1].

وهذا الإعداد هو ثمرة الفهم الصحيح والقصد السليم والصبر الطويل، وهو مهمة ورثة الأنبياء.

وتتجلى سنة الإعداد في قوله (تعالى): ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ويجب أن يشمل هذا الإعداد الجوانب التالية:

* الإعداد العلمي والتفقه في الدين والبصيرة فيه: ليكون الجهاد على بصيرة وروية ووضوح راية، فيفقه المرء لماذا يجاهد وما هي غايته؟ وكيف يجاهد؟ ومن يجاهد؟ ومتى يجاهد؟ كل ذلك يقوم على العلم والفقه في دين الله[2].

* الإعداد التربوي والسلوكي: حيث يتخلق المجاهدون بأخلاق رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب البيوع، رقم ٣٤٦٢، ج٣، ص ٢١٤. وأحمد في المسند، ج٢، ص٨٤، وقال الألباني: حديث صحيح لمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة، ج٣، ص ١٥.

(٢) عبد العزيز الجليل: متى نصر الله، ص ١٥٢.



ـ وصحبه؛ فغاية جهادهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يتطلعون من وراء جهادهم إلى زعامة أو جاه أو منصب أو مكسب من مكاسب الدنيا.

ويتضمن هذا الإعداد تقوية الصلة بالله (عزو جل) وإخلاص النية والتقرب له بالطاعات، كما كان النبي ﷺ يربي عليه أصحابه في مكة من صلاة الليل، وذكر الله وتلاوة القرآن، والتربية على الزهد والتخفف من الدنيا، والتطلع إلى ما عند الله (عز وجل) من الجنة والرضوان.

كما يشمل التربية الجادة للنفوس بإحياء السلوك الإسلامي وأخلاق السلف الفاضلة، والقضاء على رواسب الأخلاق السيئة، مما يحتاج إلى جهد كبير، وصبر متين، ونفس طويل، وذلك حتى يتم صقل النفوس وتمحيصها، وأن تربى على الانطلاق من خلال الشريعة وقواعدها لا من ردود الأفعال العاجلة والعواطف الملتهبة، كما هو الحال في العهد المكي الذي ظهرت فيه هذه المعاني بوضوح وجلاء [1].

ـ الإعداد المالي: إن القوة المادية ـ كما قيل ـ عصب الحياة الدنيا وقوامها، والضعيف فيها ـ على مر العصور ـ مقهور مسروق لا يحسب له حساب إلا في ظل شرع الله حين يحكم، وليس معنى هذا جعل الدعوة شركة تجارية؛ لكنه ينبغي الاعتماد على الذات في موارد ثابتة؛ وهذا من النفرة التي أمرنا الله (عز وجل) بإعدادها لمواجهة الأعداء ونشر الدين، والاستغناء عن مد يد الاستجداء؛ مما يوفر للدعوة حرية التحرك، واتخاذ القرار دون ضغوط كابحة للنشاط من أي جهة كانت، إضافة إلى ما توفره القوة المادية من ثقل إعلامي واجتماعي هي بأمس الحاجة إليه.

وهذا يقوم ابتداءً على ترويض النفوس بالتربية على الإنفاق، وبذل الغالي والنفيس في سبيل الله، وتخليص النفوس من الشح والحظوظ العاجلة أسوة بسلفنا



(١) المرجع نفسه، صص ٩٨، ٩٩، ١٠٣.

الصالح؛ فهذا أبو بكر (رضي الله عنه) كان يعتق المستضعفين من الرقيق المسلم بماله؛ فنزلت الآيات الكريمة من سورة الليل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١][(١)].

كما خرج مع رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة حاملاً ماله كله، وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم لإنفاقه في سبيل الله[(٢)].

الإعداد الإعلامي: وذلك بالتعريف بأهداف الدعوة ومقاصدها، ليعلم الناس أن قضية الإسلام قضية عادلة، لا كما يصورها الأعداء بنعوت وأسماء زائفة تخالف الحقيقة، ففي العهد المكي كان الشعر والخطابة هما الوسيلة المتاحة لنشر الدعوة والرد على خصومها[(٣)]، أما في عصرنا فيمكن توظيف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية للقيام بوظيفة البلاغ المبين، وإيصال رسالة الإسلام إلى كافة الفئات الاجتماعية؛ حيث يستفيد الدعاة من التطور التقني الهائل في مجالات الاتصال لتبليغ دعوتهم ونشر أفكارهم.

الإعداد البدني: بغاية تحمل الجهاد ومشاق الطريق؛ وذلك بممارسة الرياضة البدنية، وركوب الخيل، والسباحة، وتعلم الرماية، لكن قد يقول قائل: ما الدليل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، ج٢، ص ٥٢٥ - ٥٣٦. وقال أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة: إسناده حسن، ج١، ص ١٢٥٦.

(٢) رواه أحمد في المسند (بترتيب الشيخ الساعاتي)، ج ٢٠، ص ٢٨٢. والحاكم في المستدرك، ج٣ ص ٥، ٦. وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، ج٦، ص ٥٩.

(٣) انظر البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ج ٤، ص ١٦١. وكتاب التفسير، سورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ج٦، ص ١٦. والطبراني: المعجم الكبير، رقم ٨٠٦، ج ٢٠، ص ٣٤٣ وابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج١ ص ص ٢٨٦ -٢٩٣، ٣٠١، ٣٥٦.

على أنه ﷺ كان يدرب أصحابه على الرماية والرياضة في مكة؟ والجواب: أنهم لم يكونوا في حاجة إلى ذلك؛ فطبيعة نشأتهم وبيئتهم وحياتهم كانت في الأصل قتالية مدربة جاهزة لا يحتاجون معها إلا إلى مجيء لوقت المناسب والأمر بالجهاد[1].

ومن السنن التي أوضحها القرآن الكريم: سنة التدافع أو سنة الصراع بين الحق والباطل، وهي سنة مترتبة على السنة التي قبلها (أي سنة الإعداد)، كما أنها ماضية عبر التاريخ الإنساني الطويل، وباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ويحتدم الصراع نتيجة هذا الاختلاف لإقرار الحق أو إقرار الباطل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وهذا التدافع هو الذي عناه الله (سبحانه وتعالى) بقوله: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وهذا الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»[2].

وهذه الطائفة المنصورة تجتمع فيها أسباب النصر المعنوية والمادية التي خلقها الله (عز وجل)، من علم صحيح، وسلوك مستقيم، وأخذ بالمقدمات التي جعلها الله وسيلة موصلة إلى نتائجها المرجوة؛ وإلا فإن مجرد الإيمان والالتزام بعقيدة أهل

---

(١) عبد العزيز الجليل: متى نصر الله؟ ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح (بشرح النووي)، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، ج١٣، ص ٦٦.

السنة والجماعة ـ دون الأخذ بأسباب التمكين ومقدماته المادية، ودون الالتزام بسنن الله الكونية الصارمة ـ لا يضمن النصر ولا يكفل الظهور والتمكين في الأرض الذي وعد الله به عباده الصادقين[1].

وقد أوضح الله (عز وجل) أن الجهد الإنساني للمؤمنين هو الذي يحسم الصراع بقدر من الله ـ لصالح المؤمنين: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

إن التدافع الذي يعنيه القرآن الكريم من خلال هذه السنة هو الذي يكون لخير البشرية، وبه يتحقق السلام العالمي، بتحقيق العبودية لله وحده في الأرض، وإزالة كل طاغوت يُعبد من دون الله، قال (تعالى): ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فالبشرية بدون العبودية لله (عز وجل) لا تستطيع أن تسلك قاعدة عليا من الحق؛ لأن لكل معبود من الشركاء قاعدته الخاصة وسبيله المختلف، ولا سبيل أبداً لتوحيد هذه القواعد إلا بالتخلص من الشركاء جميعًا، والاتجاه المنقاد المستسلم لله (تعالى) وحده لا شريك له.

وبين فوضى الأرباب والآلهة والطواغيت والمعبودات ذات الأسماء والشعارات المختلفة والصور المتباينة يرسم القرآن الكريم للمؤمن الموحد طريقًا واضحًا أبلجَ لا زلل فيه ولا عثار، محذراً إياه بأن اختياره لغير هذا الطريق أو تردده في الاستمساك به معناه الكارثة المحققة والخسارة الكبرى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦].



---

(١) محمد عبد الهادي المصري: أهل السنة والجماعة، ص ٥٢.



كما بيَّن القرآن الكريم أن عاقبة الصراع تكون دائماً للمؤمنين مهما طال الطريق وعصف بهم طغيان المشركين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والهدف من هذا البيان هو شد عزائم الجماعة المؤمنة في مكة لتعي وتفقه طبيعة الصراع بين الإيمان والكفر، ولتعد نفسها إعداداً كاملاً، علماً وتربية وتخطيطاً وتنظيماً ـ لمواجهة أعداء وعوائق الطريق وكثرة الأعداء من الداخل والخارج، من النفس والعشيرة والأموال والأزواج، ومن الشيطان وجنوده، ومن المشركين.

وفي ضوء ما بذله المؤمنون من جهد بقيادة الرسول ﷺ، ومن خلال ما قدموه من تضحيات في الأموال والأنفس وهجرة الأوطان والأهل، جاءتهم البشرى بحسم الصراع لفائدتهم واستخلافهم في الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

الانكفاء إلى الداخل

بقلم: عادل ماجد

إنها فترة زمنية تمر بالمجتمعات على اختلاف صورها، أمةً كانت أو ...لة أو جماعة، وهي من سنن الله في المجتمعات؛ إذ يأتي عليها زمن تعود إلى د...لها وتترك أراضي كانت وطأتها، وينجزر مدها، وينعكس ذلك على قيا...نها وقواعدها؛ فيشعر أولئك بالضعف والضيق، بل يصل إلى اليأس والإحباط.

يقول الله (تعالى) عن هذه الحقيقة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا ...تِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِي... مَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال صاحب الظلال: «.. يتوجه إليهم بأن هذه سنة الله القد... في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا أهلاً لها: أن ... افع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم، وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم وا... ...دة والضر، وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدتـ... لم تزعزعهم شدة، ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفـ... ... استحقوا نصر الله» «هكذا خاطب الله (تعالى) الجماعة المسلمة الأ... ...ى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة كلها، وإلى سنته (سبـ... ...انه وتعالى) في تربية عباده المختارين الذين يكل إليهم رايته، وينوط بهم ... ...نته في الأرض: منهجه وشريعته وهو خطاب مطّرد لكل من يختار»[1].

وجاء الانكفاء في حياة رسولنا الكريم ﷺ، فنرى حذيفة بن اليمان (...ـي الله عنه) يحدثنا عن ذلك في الحديث المتفق عليه: «كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «احصوا لي كم يلفظ بالإسلام؟ قال: قلنا: يا رسول الله! أتخاف علينا

(١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٢١٨ ط دار الشروق.

ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تُبتلوا، قال: فابتُلينا؛ حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً»(١).

وبنظرة شاملة للتاريخ، قديمه وحديثه، نرى في الأمم ضعفاً بعد قوة، وضموراً بعد نشوة؛ ولعلنا نقف على صور من ذلك:

١ ـ ما أصاب العلماء في زمن الحجاج من العنت والضعف والمطاردة.

٢ ـ ما أصاب الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) وطلابه وعلماء عصره ن الفتنة بالقول بخلق القرآن زمن المأمون، فطائفة لقيت حتفها، وأخرى ضحت سجينة، وثالثة هاربة، ورابعة في بيوتها لا تجرؤ على الكلام، ولا تجد لتحديث باباً.

٣ ـ وما لقيه شيخ الإسلام ابن تيمية حينما كان مع طلابه في غياهب سجون؛ وأنصاره وأحبابه لا يستطيعون قولاً ولا حراكاً، بل كان كثير من لمه ينشر بغير اسمه؛ لأن اسمه صار جرماً للمادحين وسلّماً للقادحين.

وشهد هذا القرن الميلادي الذي نحن فيه عدداً من صور الانكفاء لأم حزاب من أشهرها ما حدث للحزب الشيوعي في القيصرية الروسية عام ١٩٠٠م عندما سجن وقتل عدد من قادته وزعمائه حتى أضحت عضوية هذا حزب كفيلة بالإعدام أو النفي؛ وهذا الحزب هو الذي حكم البلاد بعد ام ١٩١٧م.

وفي نهاية العشرينات من هذا القرن انكفأت أمريكا إلى داخلها؛ فتأثرت ظرية الرأسمالية بذلك، وشهدت دون عدة انقلابات شيوعية، وصار من ألوف تغيير الحكم إلى الاشتراكية، ولم تخرج أمريكا من عزلتها إلا عام ١٩٣م خلال الحرب العالمية الثانية عند ضرب اليابان لميناء بيرل هاربر.

لماذا الانكفاء؟

إن الانكفاء إلى الذات ليس حدثاً يسقط فجأة فيصيب من أصاب؛ بل هو:

* تراكم عبر سنوات، وتفاعل خلال أزمنة؛ فالمشكلات الداخلية في البناء والإدارة والاستراتيجيات تظل تنخر في الجسد حتى يأتي زمن لا تستطيع الأمة بعدها عطاءً أو صراعاً، فتجذبها مشكلاتها إلى داخلها،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص ٣١٥، وفتح الباري ج٦ ص ١٧٧ واللفظ لمسلم.

وينشغل أهلها بأهلها، وقاعدتها بقادتها؛ فتضطر الأمة إلى ترك مواقع اكتسبتها، والتراجع عن خطوات قطعتها.

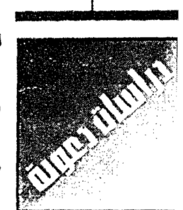
* والسبب الآخر خارجي: إذ إن المتغيرات على هذه البسيطة ليست بيد أحد دون غيره؛ فمتى تداعى الجميع، وتكالبت الأمم، وحدَّ الآخرون شفراتهم فإنه لا توصد جبهة إلا وتفتح جبهات، ويتكاثر الأعداء، ويكشف المزيف زيفه، ويلقي المقنَّع قناعه؛ فإذا حوصرت أمة هذه المحاصرة، وضُيِّق عليها كل تضييق اضطرت أن تعود إلى داخلها، وتتمحور حول ذاتها، ويظل الجزر يتكرر فيها حتى ترجع من حيث بدأت.

أهمية استثمار الانكفاء:

والسؤال الآن: كيف لنا أن نستثمر الانكفاء؟ وكيف نتحوَّل بهذه المرحلة إلى نصر جديد، وأسلوب للكسب؟

نسوق هنا تسع اقتراحات لهذه الحالة عندما تحدث، وقد يزيدها القارئ ويتوسع فيها:

أولاً: العودة إلى المعيار الشرعي وهو القرآن والسنة لتقويم مسارنا كما فهمه أهل خير القرون، وأن نتبرأ من كل قول أو عمل أو فكر ليس له في ديننا حظ.



ثانياً: تقويم التاريخ الدعوي من حيث المصالح والمفاسد، وإبراز المصالح الموهومة والمفاسد المزعومة من غيرها؛ ليكون البناء عليها مستقبلاً أكثر وضوحاً وأكثر صواباً.

ثالثاً: توسيع دائرة (النقد الذاتي) وقبول الحق ممن جاء به كائناً من كان، ومشاركة الآخرين في عقولهم باستحثاثهم على التقييم والتقويم.

رابعاً: السعي الحثيث إلى درء الخلاف ما أمكن، واستشعار أهمية الائتلاف وضرورته بين أهل الحق وأصحاب الصراط القويم؛ ولا سيما في مثل هذه المرحلة الحرجة.

خامساً: إعادة ترتيب الأولويات الشرعية؛ إذ إن زمن المد والتوسع يجعل الملحَّ قبل المهم؛ واستثمارُ الفرص قد يجعل بعض الزوايا تتضخم على حساب زوايا مثلها أو أولى منها.

سادساً: الاتجاه إلى الفرد وبنائه بناءً صحيحاً، وصياغة تفكيره صياغة

واضحة بعدما طال إهماله في فترات المد . وهذا البناء الخاص عندما يكون همًّا جمعيًا؛ فإنه ينتج أمة قوية بمنهجها وبأفرادها .

سابعًا : تقييم الآخرين في الخنادق المقابلة تقييمًا منطقيًا بعيدًا عن التضخيم المغالى فيه، أو التحجيم المبالغ فيه؛ فعندما تعطي خصمك قدره الموضوعي فإن هذا يجعلك قادرًا أكثر على وضع الاستراتيجيات الفاعلة بعيدًا عن الكر والفر اللذين كانا منطلقين من ردود أفعال آنية .

ثامنًا : كما يستفاد من زمن المد في إذكاء روح العمل والتعاون والمفاعلة الاجتماعية؛ لذا يجب الإفادة من زمن الانكفاء في إذكاء روح الصبر والقناعة، وليكون الزمن معينًا لكثير من معاني الصدق والإخلاص التي كان زمن المد مجرد كلمات وعبارات، فأضحت في بعض البيئات واقعًا يبتلى فيه المؤمنون .

تاسعًا : وضع برنامج مرحلي لتجاوز زمن الانكفاء إلى زمن مد جديد واضح المعالم، جلي الأهداف، موجه نحو الأمة، متخفف من أثقال الماضي وترسباته .

إننا بتفهم هذه المرحلة ودراستها دراسة منهجية شرعية وافية نصبح في الخيرية التي أرادنا الله لها في قوله (تعالى) : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠] والتي أرادها لنا رسوله الكريم في قوله ﷺ : «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(١) .

أسلوب غير مقبول :

وأما الطريق الآخر لهذا الانكفاء فهو التلاوم المنبوذ، وتحميل الأخطاء للآخرين، وتبادل الاتهام؛ فتمتلئ المرحلة بالمناوشات وتصفية الحسابات، ويكون الحق فيه للأقوى؛ وعندها تتشرذم الكلمة، وتنفك الآصرة، وتتشتت الرؤية، وتنتقل الجموع من سيئ إلى أسوأ، ومن مهلكة إلى أخرى، وتشتد دائرة الخناق حتى يصبح الجميع أثرًا بعد عين .

نسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم .

---

(١) رواه مسلم ٤٢٥ ٧ شرح النووي ج١٨ ص ٣٢٥ .

عوامل النجاح في العمل المؤسسي

بقلم : عبد الله المسلم

إن مجرد ممارسة العمل من خلال مجلس إدارة، أو من خلال جمعية ومؤسسة خيرية لا ينقل العمل من كونه عملاً فرديًا إلى عمل مؤسسي؛ فكثير من المنظمات والجمعيات الخيرية الإسلامية التي لها لوائح وأنظمة، ومجالس إدارة وجمعيات عمومية ـ إنما تمارس العمل الفردي؛ فالمنظمة أو الجمعية لا تعني إلا فلانًا من الناس؛ فهو صاحب القرار.

وحتى يؤتي العمل المؤسسي ثماره المرجوة، وحتى يُجنب آثار العمل الفردي كان لا بد له من مقومات تسهم في إنجاحه، ومن أهم هذه المقومات:

١ ـ أن يكون مصدر القرارات مجالس الإدارة، أو اللجان المخولة، لا أن يكون القائد أو الفرد هو مصدر القرار، بل إن القائد يستمد صلاحياته من المجلس، لا العكس، وأن تملك هذه اللجان مراجعة قرارات القادة ونقضها.

٢ ـ أن تكون لغة الحوار هي اللغة السائدة، وأن يكون التنازل عن الرأي الشخصي حين يعارض رأي المجموعة أسلوب العاملين بما فيهم القادة، أما حين يتمسك الفرد برأيه بحجة اقتناعه به؛ فسوف يفقد العمل المؤسسي قيمته.

ومن أعظم الشواهد على ذلك موقف النبي ﷺ حين استشار أصحابه في أُحُد، حين كان رأيه ﷺ البقاء في المدينة، بل قد رأى ﷺ رؤيا تؤيد رأيه، لكنه تنازل عن رأيه لرأي جمهور أصحابه، وحين انتهت الوقعة وتحققت رؤياه.. لم يَلُم أولئك الذين كان رأيهم الخروج.

٣ ـ التركيز في جداول الأعمال على المنطلقات والأسس، وعلى الخطوط العامة، دون المسائل الإجرائية، أو تلك التي يكثر الجدل والخلاف حولها،

أو المسائل الإجرائية التي تحتاج لمجرد قرارات إدارية بحتة فهذه يجب أن تترك للأفراد.

٤ ـ وجود أرضية ومنطلقات مشتركة لدى العاملين، ومن ثم فلا بد للمؤسسات والجمعيات الإسلامية من تحديد ثوابت ومنطلقات أساس في عملها تكون بمثابة إطار مرجعي للعاملين في هذه القطاعات، وتشكل أصولُ أهل السنة والجماعة أهمَّ هذه القواعد والأسس.

ثم تكون هناك بعد ذلك منطلقات، ومعالم عامة توجه خط سير العمل تتناسب مع المرحلة والظروف التي تعيشها المؤسسة، كل ذلك يجب أن يمثل الإطار الذي ينطلق منه الجميع. أما حين لا تحسم هذه القضايا، أو حين تختلف المنطلقات فقد لا ينجح العمل المؤسسي في أداء رسالته.

٥ ـ الاعتدال في النظرة للأشخاص؛ إذ تسيطر على كثير من مجتمعات المسلمين نظرة للأفراد مبالغ فيها، وقد تصل الصورة إلى حد الغلو لدى بعض الفئات المنحرفة، وحتى أهل السنة الذين سلموا من الغلو وتقديس الأشخاص قد لا يسلم بعضهم من إعطاء هالة لبعض الأشخاص تترك أثرها في مدى استعداد هؤلاء لمناقشة رأيهم، أو احتمال رفضه مع بقاء الاحترام والتقدير الشخصي؛ فحين يوجد أمثال هؤلاء في ميادين العمل، فقد يشكلون ضغطاً وتوجيهاً غير مباشر للآراء.

ولعل عمر (رضي الله عنه) فطن لهذا المعنى حين عزل زياد بن أبي سفيان، فقال زياد في ذلك: لِمَ عزلتني يا أمير المؤمنين: ألِعَجْزٍ، أم خيانة؟ فقال عمر: «لم أعزلك لواحدة منهما، ولكني كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس»[1].

(١) مقدمة ابن خلدون (١٦٤).

مقال

النقد الهدّام

مظاهره - أسبابه - علاجه

بقلم: مراد بن أحمد القدسي

دعاني للكتابة حول هذا الموضوع أهمية التعرف على هذا الخُلُق الذميم الذي أصبح منتشراً بين بعض شباب الدعوة؛ حيث انبرى للنقد من لا يعرف آدابه ولا يعرف ما هي الأمور المنتقدة والأسلوب الأمثل للنقد؛ وإسداءً للنصيحة لكل من يقع في هذا الاتجاه الذميم، ولأهمية بيان آثاره الوخيمة على الدعوة والدعاة، ودفاعاً عن إخواني الدعاة والعلماء والمصلحين: أضع بين يدي إخواني القراء هذا الموضوع راجياً من الله التوفيق والسداد.

تعريف النقد: يأتي النقد في اللغة بمعنيين:

الأول: نقد الشيء بمعنى نقره ليختبره أو ليميز جيده من رديئه.

الثاني: إظهار العيب والمثالب، وغمط الناس وبخسهم أشياءهم فيقال: فلان ينقد الناس: أي يعيبهم ويغتابهم (١).

وأهل العلم قسموا النقد إلى قسمين على نحو ما ورد في اللغة.

فسموا أحدهما: النقد البنّاء، وهو النقد الذي يقوّم به صاحبه الخطأ، ويحاول إصلاحه.

وهو «واجب أو مستحب وهو الذي يحق الحق، ويبطل الباطل، ويهدف إلى الرشد»(٢).

---

(١) المعجم الوسيط: ٢/٩٤٤..

(٢) الرد على المخالف للشيخ بكر أبو زيد ص ٤٧.

وسموا الآخر: النقد الهادم «أو الهدام». وهو «محرم أو مكروه وهو ما يكون لدفع الحق أو تحقيق العناد»(١).

وهذا فيه إظهار عيب الآخرين للنيل منهم وتشويه سمعتهم والطعن في نياتهم من غير حجة ولا برهان.

أهميه النقد البناء: تكمن أهميته في عدة جوانب رئيسة ألخصها فيما يلي:

١ ـ هو نوع من النصيحة تحقيقًا لقول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة: لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(٢).

٢ ـ هو كذلك نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ولقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره...»(٣).

٣ ـ وهو نوع من الجرح والتعديل؛ ذلك العلم الذي اختصت به أمتنا المسلمة والذي حفظ الله به الدين من التحريف والغلو.

٤ ـ كذلك هو نوع من محاسبة النفس لقوله (تعالى): ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، ولما جاء في الأثر: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا».

مظاهر النقد الهدام: فإذا عرفنا أهمية النقد البناء؛ فالمناقض له ذو سمات يلمسها المتابع وهي غير خافية على اللبيب، ومن أهمها:

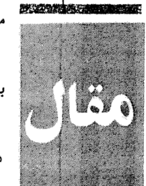
١ ـ الجرح في شخصية من يوجه إليه النقد: كوصف بعض الدعاة بالميوعة أو عدم القدرة على نطق بعض الحروف العربية؛ أو أن بضاعته في العلم مزجاة.

وهذا بعيد كل البعد عن التعرض للأخطاء من أجل تقويمها وتبيين الحق

---

(١) المرجع السابق ص٤٩. (٢) أخرجه البخاري بهذا اللفظ، كتاب الإيمان.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، وقال هذا حديث حسن صحيح.



من الباطل؛ مما يجعل الناقد مغرضاً وصاحب هوى. نسأل الله السلامة.

٢ ـ الجرح بلا دليل: فيتعرض بعضهم لجرح الآخرين من غير حجة ولا برهان؛ وإنما للتشفي، وليصبح النقد مهنة لذلك المنتقد في نقد المخالفين.

فالجرح في أي داعية أو عالم، سواء أكان من أهل السنة أم من المبتدعة دعوى تحتاج إلى مستند.

والدعاوى إن لم يُقِمْ أصحابُها بينات، فأصحابُها أدعياءُ

٣ ـ الاعتماد في النقد على حجة واهية:

إما لعدم التثبت، أو لعدم عدالة الناقل، أو لأنه يَهِمُ في خبره، أو تحميل الكلام ما لا يحتمل؛ وهذا ملحوظ والله المستعان.

٤ ـ تتبع العثرات، وعدم الموازنة بين هفوة الداعية أو العالم وفضائله الكثيرة، بل وغَمْرِ تلك الفضائل العظيمة من أجل زلة وقع بها.

«ومن مستندات المشنعين» الجراحين: تتبع العثرات وتلمس الزلات؛ فمن ذا الذي سلم من الخطأ غير أنبياء الله ورسله؟ وكم لبعض المشاهير من العلماء من زلات لكنها مغتفرة بجانب ما هم عليه من الحق والهدى والخير؟

ولو أخذ كل إنسان بهذا لما بقي معنا أحد، ولصرنا مثل دودة القز تطوي على نفسها بنفسها حتى تموت»(١).

٥ ـ الطعن في النيات والمقاصد: بدعوى أن مقصد ذلك الداعية خبيث والحكم عليه في نيته بالظن؛ وهذا مسلك خطير؛ فمعرفة ما في السرائر موكول إلى الله (سبحانه وتعالى)، مثل أن يقال: يظهر السلفية ويبطن الصوفية، أو أنه ذو نية خبيثة، أو أنه صاحب فتنة ويريدها، أو أنه عدو للسنة.

٦ ـ التندر على الدعاة في المجالس، واستغلال أي فرصة للغمز والطعن بحجة بيان الحق وتعرية الباطل وأهله؛ وهذا خُلق ذميم.

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين للشيخ بكر أبو زيد ص ٣١.

٧ ـ التهويل: في نقد بعض العلماء أو الدعاة، ورميهم بالكذب أو البدعة، أو أنهم أخطر من اليهود والنصارى.

٨ ـ الطعن فيما يجيده ذلك الداعية أو العالم؛ فقد يكون بعض أهل العلم يشتغل في دراسة الحديث فينتقد بأنه ليس لهم همٌّ إلا: حدثنا وأخبرنا، أو لاهتمامه بفقه الواقع ومن يعمل فيه؛ فيتنقص بأن ذلك فقه (القواقع) مثلاً؛ بحيث يُزْهَدُ من هذا الفن الذي هو من فروض الكفايات.

أسباب النقد: ساحاول الإيجاز في عرضها حتى تظهر للعيان ومن أهمها:

١ ـ الغيرة: الغَيْرةُ بالفتح ـ محمودة من أجل دين الله وحرماته، لكنها قد تجر صاحبها ـ إن لم يتحرز ـ شيئًا فشيئًا حتى يقع في لحوم العلماء ـ والدعاة ـ من حيث لا يشعر.

وأما الغِيرَة بالكسر ـ فهي مذمومة ـ وهي قرينة الحسد والمقصود بها: هو كلام العلماء بعضهم في بعض[١].

٢ ـ الحسد: وهو يعمي ويصم؛ ومنه التنافس للحصول على جاه أو مال ـ أو القرب من شيخه أو كسب رضاه ـ فقد يبغي على إخوانه بسبب ذلك.

٣ ـ الهوى: هو كل ما خالف الحق ـ وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد[٢] ورغبة النفس في الوقوع في أعراض الآخرين.

وكان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه»[٣].

٤ ـ التقليد والتعصب: «قد يوجد رجل ينقد آخر لا بناءً على علم أو فهم أو دليل، بل مجرد تقليد أعمى: سمع فلانًا ينقده أو ينتقصه أو يذمه فسار على أثره بغير هدى ولا برهان»[٤] وهذا التقليد المذموم كان المشركون

---

(١) لحوم العلماء مسمومة (د. ناصر العمر).

(٢) الهوى وأثره في الخلاف للشيخ عبد الله الفتيمان ص ١٢.

(٣) لحوم العلماء ص ٢١.

(٤) النقد أدبه ص ٩٩.

مقال

يفعلونه وكانوا يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً: إن آمن.. آمن، وإن كفر كفر؛ فإنه لا أسوة في الشر»(١).

٥ ـ التعالم: لقد كثر المتعالمون في عصرنا، وأصبحت تجد شابًا حدثًا يتصدر لنقد العلماء، وتفنيد آرائهم وتقويم قولهم، وهذا أمر خطير؛ فإن من أجهل الناس من يجهل قدر نفسه ويتعدى حدوده»(٢) (*).

٦ـ النفاق وكُرْهُ الحق: إن دسائس المنافقين والكارهين للحق من العلمانيين بشتى اتجاهاتهم من أقوى أسباب النقد.

فالإخوة الذين يتبعون أعداء الدعوة من حيث يشعرون أو لا يشعرون سيكونون فريسة سهلة فيما بعدُ لهم، فإنهم قد أعانوا الأعداء على إخوانهم؛ وهل سيتركهم الأعداء؟ لن يتركوهم كما هو ملموس في الواقع.

٧ ـ سوء الظن: وهو حمل التصرفات، قولاً وفعلاً، على محامل السوء والشكوك وسوء الظن(٣).

٨ ـ وقوع التفرق في الأمة: «وبهؤلاء المشنعين» آل أمر طلائع الأمة وشبابها إلى أوزاع وأشتات وفرق وأحزاب، وركض وراء السراب، وضياع في المنهج والقدوة، وما نجا من غمرتها إلا من صحبه التوفيق وعمر الإيمان قلبه. ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٤).

٩ ـ بُعد الأمة عن علمائها: إن تصنيف العالم الداعية ـ وهو من أهل السنة ـ ورميه بالنقائص: ناقض من نواقض الدعوة وإسهام في تقويضها،

---

(١) النقد وأدبه ص ١٠٠. (٢) لحوم العلماء مسمومة ص ٢٤.

(*) وللشيخ العلامة (بكر أبو زيد) ـ حفظه الله ـ كتاب عن (التعالم) أبدع فيه أيما إبداع وهو نسيج وحده كشف فيه هذه الظاهرة المرضية. وننصح طلاب العلم بالاطلاع عليه مع قرينه كتاب: (حلية طالب العلم) للشيخ نفسه ـ ـ البيان ـ

(٣) تصنيف الناس ص ٣٢ (٤) تصنيف الناس ص ٤٠.

ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير، وبذلك ينفتح السبيل للزائغين»[١].

فضلاً عما في ذلك من السعي في الأرض بالفساد؛ لأنه يوقع الشحناء والبغضاء في صفوف الدعوة الإسلامية، ويعمل على تأخر النصر والتمكين للأمة.

١٠ ـ ضياع الأوقات، وإهدار الجهود والطاقات والقدرات في غير فائدة تعود على الإسلام والمسلمين.

علاج النقد الهدام:

يمكن علاج هذه النزعة التي يحاول بعضهم إثارتها وادعاء التعالم بواسطتها بانتشار الأخلاق الإسلامية في نفوس أهل هذه الفئة ومن ذلك:

١ ـ تذكر الخوف من الله وضرورة حفظ اللسان: عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»[٢].

٢ ـ التجرد في النقد: وعدم الغيرة والحسد والهوى وعدم سوء الظن، فالغيرة تهلك صاحبها وتجعله في همّ وغم؛ لأنه يحسد الآخرين ويغار منهم، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال: رسول الله ﷺ: «... لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا»[٣].

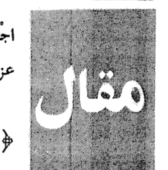
وأما الهوى فيضل الإنسان عن الحق وإن كان يعرف ذلك، فإذا صار الهوى هو القائد والدافع صار أصحابه شيعاً يتعصب كل واحد لرأيه، ويعادي من خالفه ولو كان الحق معه واضحاً؛ لأن الحق ليس مطلوبه»[٤].

(١) المصدر السابق ص ٧٩.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم الحديث ١٨٧١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب.

(٤) الهوى وأثره في الخلاف ص ٢٣.



والأصل في المسلم حسن الظن به: قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] «فأمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن؛ لأن بعض هذا الكثير إثم»(١).

وفي حادثة الإفك دروس ينبغي لكل مسلم أن يعيها فقوله (تعالى): ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

فكما أنه يحسن الظن بنفسه فعليه أن يحسن الظن بإخوانه.

ثم وعظنا الله (تعالى) بقوله: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]. وفي هذا تحذير أي تحذير لمن يفقه ذلك والله المستعان.

٣ ـ لا بد من الموازنه بين فضائل المنتقَد ومساوئه والحكم على الغالب:

هذا هو هدي النبي ﷺ: ففي يوم بدر عندما رأى عتبة بن ربيعة بين المشركين على جمل أحمر قال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا»(٢).

وقال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء لتركتهم له»، فيظهر من هذا أن النبي ﷺ كان يذكر محاسن المشركين.

وهذا هدي السلف الصالح من بعده: قال سعيد بن المسيب: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب؛ ولكن إن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله؛ كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله»(٣).

وقال ابن القيم: «فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرِكَ جملةً، وأُهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها»(٤).

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة في النقد ص ٢١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٦٨.

(٣) حقيقة البدعة وأحكامها للشيخ سعيد الغامدي ٢/٣٥٩.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٣٩.

وقال الذهبي: «ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده ـ مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق ـ أهدرناه وبدّعناه لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه»(١).

«وهذا الكلام في الموازنة بين الحسنات والسيئات إنما هو في الحكم على الأشخاص»(٢) وكذلك الهيئات والجماعات.

أما في تصحيح الأخطاء أو ذكر الأمور الحسنة العظيمة والموافقة في الحق: فإذا كنت في مقام رد خطأ عالم من العلماء فلا يلزم ذكر الحسنات، وعلى هذا فإذا بينت خطأ إمام فقلت: أخطأ في الأمر الفلاني كفاك ذلك.

ـ إذا كان بعض أهل البدع يجيدون فنًا معينًا كعلم البلاغة أو النحو أو الصرف أو المواريث فاثنيت عليه وذلك في مقام ذكر أي فن، كأن تثني على الزمخشري بأنه بارع في علم البلاغة فلا بأس.

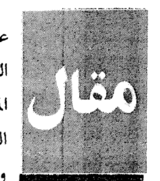
هذا إذا أمنت الفتنة على السامع، أما إذا كان السامع سيفهم الكلام على غير وجهه ويظنه حكمًا مطلقًا فلا بد من البيان(٣).

٤ ـ عدم رواية كلام الأقران: فقد قعّد السلف قاعدة عظيمة هي: «كلام الأقران يطوى ولا يروى». وقد ورد معناها عن السلف، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: «خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض؛ فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة».

يقول الذهبي: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصراً من العصور سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس»(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي عند ترجمة ابن خزيمة ١٤/٣٧٤.
(٢) قواعد التعامل مع العلماء ص ١٣٨.
(٣) قواعد في التعامل مع العلماء ص ١٣٨.
(٤) منهج أهل السنة في النقد ص ٦١.



١٥ ـ الشعور بالولاء لمن تنتقده: عندما نوجه أي انتقاد لأي داعيه أو عالم؛ لبيان الخطأ أو الزلة التي وقع فيها فعلينا ألا نُفرِطَ في الأمر حتى يصبح الكلام فيه حديث المجالس، وكذلك لا نبغضه بغضاً أشد من أعداء الإسلام المعادين له؛ لأن أصل الولاء ما زال بيننا وبينه، قال ابن تيمية: «ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه؛ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة»

١٦ ـ الاشتغال بأخطائنا نحن:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً	إن عبت منهم أموراً أنت تأتيها
وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه	في كل نفس عماها عن مساويها
عرفتها بعيوب الناس تبصرها	منهم ولا تبصر العيب الذي فيها(١)

١٧ ـ عدم التهويل في الأمور الخلافية التي يسوغ فيها الاجتهاد:

فقد تكون الأمور التي ينتقد عليها بعض الدعاة أو العلماء أمور اجتهادية يسوغ فيها الخلاف، وقد يكون الخلاف فيها قد حصل عند السلف فيأتي بعضهم مُهوِّلاً أن فلاناً قد خالف في المسألة الفلانية، وأن هذا خلل في المنهج وانحراف عنه؛ وليس الأمر كذلك؛ فلا ينبغي أن تجرنا الخصومة إلى هذا الحد؛ بل لا بد من الترفق بإخواننا؛ فإن المخالفة تسوغ في الفروع وفي الأمور الظنية.

١٨ ـ الأدب مع العلماء، والرجوع إليهم، ووضع الثقة فيهم:

فالكثير من العلماء يثنون على شخص أو هيئة أو جماعة لما علموا من حالهم فترى هؤلاء الجراحين لا يقبلون منهم ذلك، ويقبلون ممن هم أقل منهم علماً ودراية؛ فلا بد أولاً إذاً من التأدب مع العلماء في كل الأحوال مع احترام آرائهم والثقة في علمهم.

قال طاووس بن كيسان: «من السنة أن يوقر العالم».

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول ﷺ: «إن من إجلال الله

---

(١) لحوم العلماء مسمومة ص ٤٤.

(تعالى): إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[1].

نصيحة عامة لمن ابتلي بالجراحين:

ـ استمسكْ بما أنت عليه من الحق المبين من أنوار الوحيين الشريفين وسلوك جادة السلف الصالحين، ولا يثيرنك تهييج المرجفين وتباين أقوالهم فيك فتزل عن وقارك فتضل.

ـ لا تبتئس بما يقولون، ولا تحزن لما يفعلون، وخذ بوصية الله سبحانه لعبده ونبيه نوح (عليه السلام) ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦].

ـ ولا يثنينك هذا «الإرجاف» عن موقفك الحق وأنت داعٍ إلى الله على بصيرة؛ فالثباتَ الثباتَ متوكلاً على مولاك؛ والله يتولى الصالحين.

ـ ليكن في سيرتك وسريرتك من النقاء والصفاء والشفقة على الخلق ما يحملك على استيعاب الآخرين، وكظم الغيظ والإعراض عن عرض من وقع فيك، ولا تشغل نفسك بذكره، واحتسب ذلك عند الله.

وأنت بهذا كأنما تسفُّ الظالم المَلَّ؛ والأمور مرهونة بحقائقها، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ [الرعد: ١٧] والله أسأل للجميع التوفيق والسداد.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٤٣).

حوار

مع فضيلة: د. عمر الأشقر

حول مسائل علمية ودعوية وفكرية ملحّة

تحرص مجلة البيان على استضافة العلماء والدعاة والمفكرين المسلمين على صفحاتها للتعريف بهم، والاستفادة من علمهم، وليُبدوا آراءهم في كثير من القضايا الشرعية والفكرية والعملية التي عادة ما تكون محل اهتمام كثير من القراء الكرام.

ولقد سعدنا بموافقة فضيلة الدكتور عمر الأشقر (حفظه الله)، على الحوار مع البيان بالرغم من مشاغله العلمية التي تأخذ حيزاً كبيراً من وقته، وكذلك ظروفه الصحية مؤخراً ـ عافاه الله ومتعه بالصحة والعافية ـ.

وهو (وفقه الله) معروف على الساحة الإسلامية عالمًا فقيهًا وداعية موفقًا له جهود علمية متميزة في التأصيل الدعوي الشرعي وبخاصة في العقيدة.

ويسرنا أن يشاركنا القراء الكرام الجلوس مع فضيلته والاستئناس بعلمه. والاستفادة من توجيهاته.

ولما كان الحوار طويلاً لشموله كثيراً من المسائل المتنوعة فقد اضطررنا لنشره على حلقتين، هذه أولاهما.

ـ البيان ـ

س١: يعاني العالم الإسلامي من ضمور في الوعي، وفي الوقت نفسه: تُخرج المطابع سيلاً من المطبوعات التي لا يستطيع المسلم المعاصر ملاحقتها: فما تفسيركم لهذه الظاهرة؟ وما الواجب على المسلم حيال هذا الكم من المطبوعات، إذا أخذنا في الاعتبار ضغوط الحياة اليومية؟

ج ١: ضمور الوعي الذي يوصَف به العالم الإسلامي الآن ظاهرة بارزة، ولكنه ليس وصفًا كليًا عامًا؛ ودليل صدق ذلك: وجود قطاع كبير من أهل

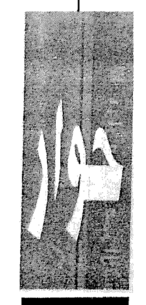
العلم وأصحاب التوجه السوي يمتاز بالوعي المستنير، والرأي الحصيف، والعمق في التعلم والتعليم، وليس ذلك قصراً على الذين درسوا في مدارس العلم الشرعي، بل رأينا كثيراً من أصحاب التخصصات العلمية نبغوا في العلوم الشرعية، ووعوا أحوال أمتهم، وعرفوا داءَها وأدواءَها، ولكن هذا الصنف قليل بالنسبة لعموم المثقفين في العالم الإسلامي، فبعض المثقفين رضعوا ثقافة الغرب وفكره، ووقفوا في الصف المعادي للإسلام، وآخرون وقفوا بعيداً عن مجال الصراع كأن الأمر لا يعنيهم، وبعض الذين وقفوا في الصف الموالي للإسلام لم يستوعبوا الإسلام فقهاً وأهدافاً، ولم يعوا مقاصده وقواعده؛ ولذا: فإن السفين تضطرب بهم، ولا يقرُّ لهم قرار على حال.

إن إغراق كثير من المثقفين من الذين يُحسبون على الإسلام وأهله في تحصيل متع الدنيا، وانشغال آخرين بالتافه من الأمور، وقضاءهم أوقاتاً طويلة أمام التلفاز يضيع كثيراً من الأوقات؛ وبذا لا تجد المؤلفات النافعة التي تدفع بها المطابع كل يوم طريقاً إلى أبواب هؤلاء، وإن وجدت الطريق إلى بيوتهم، فيكون مصير كثير منها الرفوف، لتكون زينة تحلى بها البيوت.

وبعض الذين لهم نَهَمٌ بالعلم قد لا يحسنون الاختيار لما ينبغي أن يقرأ ويفقه، فتجدهم يقضون أوقاتاً طويلة في قراءة كتب أقل ما فيها أنها تضيع الوقت، لا أعني بذلك الغثاء من القصص والمسرحيات الهابطة، ولا الكتب التي كتبها أعداء الإسلام، بل أعني تلك الكتب التي تحسب على الإسلام، ولكنها تمثل انحرافاً فكرياً أو عقدياً، وقد يكون كاتبها صاحب مقاصد خبيثة يدس السم في العسل.

لقد أدرك المنحرفون عن سواء الصراط أن بضاعتهم التي أضلوا بها أمتنا دهراً طويلاً قد بارت؛ ولذلك دفعوا ببعض منهم إلى لُبْس ملابس أهل العلم ومزاحمتهم في الندوات والمحاضرات والتأليف من وجهة النظر الإسلامية؛ ولكنهم على الحقيقة لم يدخلوا في الصف الإسلامي، لأنهم ما زالوا واقعياً في زمرة أهل النفاق الذين يمكرون بالإسلام، ولبعض هؤلاء المنافقين ألسنة طويلة، وأقلام ندية طرية طراوة جلود الأفاعي، وقد زاحم هؤلاء أصحابَ الفكر السوي والمنهج الأصيل، وأخرجوا سيولاً من المؤلفات، عملت عملها في حرف المسار السوي، وأخذت تدمر العقول والنفوس، وبدأ بعض البسطاء يُخْدعون بطرح هؤلاء.

وبعض المثقفين الذين تسأل عنهم لم يحسنوا الاختيار؛ فتراهم يقرؤون



ما لا يحتاجون إليه، ويتركون النافع من العلوم التي يحتاجونها، وتحتاج إليها أسرهم وأمتهم؛ ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يلاحق اليوم ما تدفع به المطابع من الصحف والمجلات والمؤلفات في تخصصه الدقيق، فضلاً عن أن يلاحق قطاعًا واسعًا كالعلوم الإسلامية أو الأدبية؛ ولذا فإن على المسلم أن يحسن الاختيار، وأن يحدد المسار الذي يحتاج إليه، وأهم ذلك ما يفقه به دينه، وبخاصة علوم الإيمان التي تقر العقيدة في النفوس، وتهدي القلوب، وتبعث على العمل الصالح، والسلوك القويم، وتقيم الموازين والقيم وفق تعاليم الإسلام العظيم، ويأتي بعد ذلك العلوم التي تعرِّف المسلم بأمته وأحوالها، وما جرى عليها من خطوب، وما تعانيه من أدواء، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وأحب أن أبيِّن أن قمة العلوم التي تأتي في المرتبة الأولى هي علوم القرآن والسنة النبوية؛ فإنها تمثل الوحي الإلهي الذي جاءنا بالهدى والنور والحياة، وبهذا الوحي أحيا الله نفوسنا وأمتنا، وأنقذنا من الظلمات إلى النور، والعلوم الخيرة هي التي تدور في فلك القرآن والحديث.

س٢ : المهتدي إلى طريق الله قد يصعب عليه أن يجد المؤسسة الدعوية التي تتعهده بالتزكية والتعليم المطلوبين، وإن وجدها فهو يتحير في تعددها وتحزبها... فما الذي عليه حتى ينجو بدينه؟

ج٢ : هذه القضية ليست قضية المهتدي، بل هي قضية أصحاب الخط الأصيل؛ فالمهتدي سيتلقف أول من يدعوه إلى الإسلام، وسيظن أن الذي يُعرَض عليه هو الإسلام، فإن كان الذي تلقفه صاحب كتاب وسنة وُفِّق هذا المهتدي أيما توفيق، وإلا فإن هدايته ناقصة؛ وهذا يوجب على أصحاب المنهج من أتباع أهل السنة والجماعة الذين فقهوا هذا الدين على نهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان أن يكثفوا جهودهم للدعوة إلى الله، وإقامة مراكز الهداية والتوجيه في شتى بقاع الأرض، وأن يتلقفوا الذين بدت عليهم علائم الاهتداء إلى طريق الله، وأن يربوهم على الإيمان، ويقودوهم بالإسلام، ويزكُّوا نفوسهم بمنهج الله، ويخلصوهم من شوائب الشرك والذنوب والمعاصي، ويقيموهم على نهج العبودية الحقة لله رب العالمين،

وعليهم أن يربطوهم بالرباط الوثيق الذي يجعل الدينونة لله رب العالمين، لا أن يُربطوا بالأشخاص والتجمعات، حتى إذا انهارت هذه التجمعات والأشخاص انهار البناء كله في نفوس هؤلاء. إن الارتباط ينبغي أن يكون بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يحول ولا يزول ولا يموت، قبل أن يكون بالأفراد الذين يزولون ويحولون ويموتون ويتغيرون.

فإذا كان هذا المهتدي في حيرة من أمره، وجاء شاكيًا مما هو فيه من الحيرة وتشابك الطرق، فعند ذلك يُعرض عليه الإسلام الحق، وبخاصة عقيدة الإسلام، والأهداف الكبرى للإسلام التي تحدد له الوجهة والطريق، قبل أن تُعرض عليه المشكلات الصغيرة. إن الهدف الكبير الذي يقصده الإسلام هو تكوين الإنسان الصالح بتحقيق منهج العبودية الحقة لله رب العالمين، وبذلك يحقق الإنسان الغاية من وجوده فوق ظهر هذه الأرض، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إن الواجب على الدعاة في كل مكان ربط المهتدين بهذا الحق؛ فهو الذي يحيي النفوس والقلوب، ويؤتي ثماره بغرس الطمأنينة بالحق الذي انتقل إليه المهتدون، وحذار حذار من أن يكون الهمُّ هو تكثير الأتباع، بدعوة المهتدين إلى الانضواء تحت الرايات المرفوعة المختلفة؛ فيتمزق المهتدون ويتفرقون، وقد يرتدُّون على أعقابهم فيتحمل الدعاة المتنازعون وزر ردتهم، والله المستعان.

س٣: التمسك بالكتاب والسنة والسير وفق ما يدلان عليه: دعوى عريضة يدعيها كل فصيل من أبناء الحركة الإسلامية، ثم تختلف بعد ذلك المشارب والأفهام والتطبيقات.. فهل هناك أسس مشتركة ينبغي أن تجتمع عليها فصائل العمل الإسلامي بحيث لا تتنافر في عملها الدعوي؟

ج٣: لا شك أنه يوجد تجمعات كثيرة تدعي الانضواء تحت راية الكتاب والسنة، وعند التحقيق يتبين أن فئات كثيرة منها بعيدة عن هذه الدعوى، كما أن أقوامًا يدَّعون أنهم مسلمون، والإسلام منهم براء.

إن القبول بالدين المنزل على عبد الله ورسوله محمد ﷺ والعمل به يفرق أهل الإسلام عن أهل الكفر والشرك، فالذي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، ويقبل بالشريعة المنزلة على عبد الله ورسوله محمد ﷺ، ويتبرأ من الشرك وأهله، هذا مسلم، فإن ادعى الإسلام والإيمانَ من لم

حوار

يؤمن بأصول الإيمان، ولم يتابع الرسول ﷺ ويلتزم بشريعته فهو مدَّعٍ للإيمان والإسلام؛ وإيمانُه مردود؛ كما يدعي ذلك بعض اليهود والنصارى وغيرهم ممن بقي على عقيدته ودينه.

فمن قَبِلَ بالإيمان والإسلام، وعرف حدود الإسلام والإيمان، وتابع الصحابة ومن اتبعهم بإحسان على طريقتهم، وكان الكتاب والسنة هو الحاكم عليه دون غيرهما: فهذا هو السائر على الدرب القويم والصراط المستقيم.

وقد خالف أصحابَ هذا المنهج أقوامٌ أصَّلوا أصولاً وقعَّدوا قواعد مخالفة لما كان عليه الصحابة، فهؤلاء وإن كان اسم الإسلامِ يجمعنا بهم، إلا أنهم انحرفوا في مسارهم، وهذه هي الفرق الضالة من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم. وقد أصَّلت كل فرقة من هذه الفرق أصولاً خالفت بها ما كان عليه الصحابة ومن سار على دربهم من بعدهم، الذين هم أهل السنة والجماعة، وقد وضع أهل السنة والجماعة أصولاً عاصمة من الزيغ إلى طرق أهل الضلالة من هذه الفرق المنحرفة، وقد اجتهد أهل السنة في تحديد هذه الأصول وتفقيه طلبة العلم بها، حتى لا ينحرف بهم المسار، وهذه الأصول منها العلمي في مجال العقيدة، ومنها العملي، ومنها قواعد ضابطة للعلم والعمل، وقد حاول دعاة الفرق الضالة اختراق الحواجز التي أقامها العلماء بدعوتهم إلى توحيد الأمة الإسلامية بعيداً عن الأصول الضابطة التي وضعها علماء أهل السنة والجماعة، فأرادونا أن نتفق على الاسم العام الذي يجمعنا بهم من غير أن يغيّروا ضلالهم، وتمادى بعض هؤلاء بادعاء أنهم سائرون وفق منهج الصحابة، وأنهم سائرون على سنة رسول الله ﷺ، وإذا حققتَ في دعوتهم رأيت أن همهم هو تحطيم الحواجز التي أقامها أهل السنة كي يبث هؤلاء دعوتهم وفكرهم؛ فهم يمكرون بأهل السنة بدعوات التقارب بينهم وبين أهل السنة.

وعندما يأتي دعاة أهل السنة إلى مجامع الحوار يُمنَعون من الدعوة الواضحة الصريحة التي تُظهِر الحق، وتكشف ظلمة الباطل؛ بحجة أن الصراحة تفرق ولا تجمع، إذن: لماذا الاجتماع؟ وعلامَ يكون التقارب إن مُنِعْنا من إظهار الباطل الذي تلبَّس به هؤلاء؟ إن هذه الدعوات مدخولة

مزيفة، وليس مثلها إلا تلك الدعوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان.

أما الذين ليس لهم إلا صفة واحدة تجمعهم وهي استقامتهم على منهج الكتاب والسنة وفق الأصول التي جاء بها هذا الدين، وفقهها الرعيلُ الأول، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، ولا يزال هؤلاء هم السواد الأعظم في الأمة الإسلامية، وهؤلاء فيهم العلماء والعوام، وعلماؤهم وعوامهم فيهم المستقيم والمنحرف، والمنحرف قد يكون انحرافه بدعيًا جزئيًا أو عمليًا بالذنوب والمعاصي كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقد يوجد في العلماء الذين ينضمون إلى هذا الصف من تلبّس بشيء من باطل الفرق الأخرى؛ فالباطل قد يَرُوجُ شيء منه على كبار أهل العلم؛ ولكن هؤلاء ـ على الرغم من ذلك ـ لا يرضون أن يكونوا على منهج مخالف لأهل السنة والجماعة؛ فهؤلاء من أهل السنة، والباطل الذي تلبسوا به مردود عليهم، فلا يخرجون من إطار أهل السنة بخطأ اجتهدوا فيه، ولا يُقَرُّون على هذا الباطل الذي راج عليهم.

والحركات التي تُنسب إلى الإسلام وتوصف بأنها حركات إسلامية منها ما هو داخل في إطار أهل السنة والجماعة، ومنها ما هو في إطار الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة؛ فالحركات التي في إطار أهل السنة والجماعة، هي التي نشأت في ديارهم، وتدعو بدعوتهم، وليس لها إلا الكتاب والسنة، فلا تدعو إلى غيرهما، وتنادي بالعودة إلى الإسلام؛ فهذه من أهل السنة والجماعة، على تفاوت بينها في فقه أصول أهل السنة والجماعة، وعلى تفاوت بينها في الفقه في كتاب الله (تعالى)، وعلى تفاوت بينها في فقه الأصل الأصيل الذي قام عليه الدين وهو فقه الإيمان، وتحقيق العبودية لله رب العالمين.

لقد أخطأ فريق عدَّ هذه الجماعات فِرَقًا أراد من المسلمين أن يصارعوها ويقاتلوها ويدمروها، وأحدثَ مثل هذا الموقف شرخًا كبيرًا في حياة الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن، فزادنا هؤلاء ـ غفر الله لهم ـ خلافًا ونزاعًا وجدالاً، ولا يمنع هذا الفهم للحركات الإسلامية المعاصرة في إطار أهل السنة من مناصحة القائمين عليها وأتباعها، وبيان ما وجد عندها من قصور وخطأ؛ فالدين النصيحة.

وأمراض هذه الجماعات منها ما هو قديم وجد في عصور سابقة، ومنها ما هو

حوار

جديد؛ لأنه يتعلق بالدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية في ظل أوضاع بعيدة عن الإسلام في كثير من ديار الإسلام، والحركة بالإسلام في ظل هذه الأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي تحتاج إلى فقه للإسلام؛ فكثير من أوضاع المسلمين اليوم تدخل في إطار النوازل المستجدة التي تحتاج إلى أن تُفْقَهَ في ظل نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها؛ والعلماءُ يختلفون في هذا المجال أيما اختلاف، والاختلافُ في النوازل المستجدة يختلف فيه المجتهدون، ومثل هذا الاختلاف لا يقطع ما بين العلماء من ود.

إن الذين جعلوا التجمعات الإسلامية فِرَقًا كالخوارج والمعتزلة لم يفقهوا المسألة حق الفقه، ولم يتبين لهم الصواب في هذه المسألة، وإن كان كثير من أهل العلم أصاب الحقيقة، وتبين له وجه الحق فيها، والله المستعان.

أما الحركات الإسلامية التي نشأت في رحم الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، فإنها تعد من تلك الفرق الضالة، كالجماعات التي نشأت في البلاد الشيعية، ملتزمة بالأصول التي يقوم عليها مبدأ تلك الفرق من ضلال وانحراف.

وبناء على ما تقدم يظهر لك أن الاتفاق بين الجماعات التي تنسب إلى أهل السنة والجماعة كبير والخلاف بينها قليل، بل إن الخلاف بينها سببه نشوء كل منها في ديار بعينها، وعندما يلتقي قادة هذه الجماعات أو أتباعها فإنهم لا يجدون بينهم اختلافًا كثيرًا، بل إن كثيرًا من اختلافهم اختلاف شكلي؛ ذلك أن كثيرًا من هذه التجمعات إنما قامت لتكون قوة تأخذ بيد الأمة الإسلامية وتنهض بها، ولم تتوجه إلى بناء منهج عقدي أو فقهي، وأكثرها إنما يعرض منهجًا لإعادة مجد الإسلام وتوحيد الأمة وإعادة الشريعة الإسلامية حاكمة للأمة الإسلامية.

وفي ظني أن أصحاب هذه التجمعات التي تدعى بالحركات الإسلامية قد قصروا في حق أنفسهم؛ فالواجب عليهم أن يتوحدوا فيما بينهم، خاصة وأن الأصول التي يقومون عليها أصول واحدة، فدعوتهم واحدة، وعقيدتهم واحدة، ودينهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، وكثير من الاختلاف الذي بينهم شكلي، بل إن كثيرًا منه قائم على سوء فهم، أو سوء ظن، أو أنه مفتعل.

وعلى فرض أن اجتماعهم في كيان واحد غير ممكن، فالواجب أن يكون هناك منتديات ومنابر للحوار تجمع هؤلاء، يطرح فيها القضايا الأصول التي تثير الخلاف، ومتى أدام القائمون على هذه الحركات الاجتماع والتباحث في ظلال الأدب الإسلامي الذي يلتزم قول الحق بأدب الإسلام من غير تعصب ولا تحامل، فإن عصراً جديداً سيفتح أمام دعاة الإسلام وأهل العلم، قد يثمر ثماراً طيبة، ويحطم كثيراً من الظنون والأوهام الخاطئة التي يحملها بعض الدعاة تجاه الآخرين.

إن إحسان الظن بالآخرين وتلمس العذر لهم، ومحاجّتهم بالتي هي أحسن، وتبصيرهم بالحق من منطلق الود والحب والإخاء والنصح والحكمة يقرِّب بين دعاة الإسلام والعاملين به والمتحركين به، وأنا أقول هذا من خلال تجربة شخصية، فأنا حبي للإسلام، ودعوتي إلى الحق، وكل من بذل من نفسه وماله للإسلام ونصرته فهو محل تقديري واحترامي، وله في نفسي إعزاز وإكرام، ولا يمنع ذلك كله من النصح له من منطلق الحرص عليه، والإحسان له، من غير استعلاء ولا استكبار ولا صلف، بل هي أخوة الإسلام ومودته، يجادل بالتي هي أحسن، ما دمنا نتفق في المنهج والأصول، وتجمعنا دعوة أهل السنة والجماعة، وقد حمدت هذا المسار، ورأيت ما فيه من خير، ولا يمنع ذلك من أن ينالك الأذى من الآخرين إن كنت كما وصفت، ومع الأذى الصبر، وفق ما أرشد الله إليه في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣] ومع الصبر والأذى يكون الغفران وعدم تتبع سقطات الآخرين؛ فلقد كان الأسوة القدوة رسول الله ﷺ يغفر للذين أساؤوا إليه حتى من أهل النفاق والشقاق، وحسبك أنه (عليه الصلاة السلام) صلى على رأس النفاق ابن أُبَيّ، وألبسه ثوبه، حتى نهاه الله عن الصلاة على مثله والقيام على قبره.

س ٤ : ولكن قد ينظر كل فصيل إلى الآخر على أنه معوق لعمله، وأنه كي يحدث التآلف يجب على الآخر الانضواء تحت لوائه!

ج ٤ : جواب هذا السؤال قد عُلِمَ أكثره من جواب السؤال السابق، فالجماعات القائمة على أساس من منهج واحد: منهج أهل السنة والجماعة، التي ليس لها أصول غير الكتاب والسنة، ينبغي أن تكون جماعة واحدة، فإن عسر عليها ذلك فينبغي أن تتعاون فيما بينها، وأن تحكِّم كل جماعة الإسلام في علاقاتها بالجماعات الأخرى، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ولا يغتابه، ولا يدل على

حوار

عوراته، وينصح له، ويدعو له بظهر الغيب، تسره أفراحه وتحزنه أتراحه، الأفراد في ذلك والجماعات سواء، فإذا نظرت كل جماعة إلى الأخرى على أنها معوقة لعملها، مضادة لها، فإن ذلك يحدث النزاع والشقاق من الجماعات، فتسعى كل جماعة للمكر بالأخرى، والبحث عن عيوبها وأخطائها، فتوجه الجهود إلى غير الهدف الذي يفرضه عليها دينها، وعند ذلك يكون الفشل ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

س٥ : بعض المهتمين بشؤون الصحوة يعزو التفرق الحادث بين أفراد هذه الصحوة إلى أنه ناتج عن أزمة أخلاق وليس عن أزمة فكر، فما مدى موافقتكم على هذا الرأي؟

ليس هذا القول صحيحاً على إطلاقه؛ فأسباب التفرق والنزاع مختلفة متعددة، وواحد من هذه الأسباب مرده إلى عدم تمسك الفرقاء المتنازعين بأخلاق الإسلام، وعدم أخذهم بما ألزمهم الله به تجاه إخوانهم في الإسلام؛ ومنهم الجماعات الإسلامية الدائرة في فلك أهل السنة والجماعة كما سبق بيانه، وأزيد هنا: أن بعض قادة هذه الجماعات قد يكون همه تأصيل الخلاف، حتى تمتاز جماعته عن غيرها بأصول خاصة بها، ومحاولة إثارة الخلاف، كي يحافظ على أتباعه، ومن سار مساره، وقد يدخل على بعضهم حب الرئاسة والهوى، بحيث يكيف النزاع على أنه نزاع منهجي إسلامي، وهو في الواقع نزاع على المناصب والرئاسات، وبعضهم في سبيل تكثيره الأتباع والأنصار يطيل في تزكية نفسه وجماعته وذم الآخرين من غير بينة ولا استبصار، فيدعي في تزكية نفسه وجماعته ما ليس فيهم، ويرمي الآخرين بما ليس فيهم؛ وكل ذلك داخل في الجانب الأخلاقي والأزمة الأخلاقية. ولكن الخلاف والنزاع ليس قصراً على ما يقوله هؤلاء؛ فإن الجهل بشيء من الحق الذي جاء به الإسلام قد يؤدي إلى ظلم الآخرين، وقد تناول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في حديثه عن صفة العبادات الظاهرة التي حصل فيها نزاع بين الأمة في الرواية والرأي ـ تناول أنواع الفساد الذي حصل بسبب ذلك، وهذه الأنواع تصلح لأن تكون أسباباً للنزاع والخلاف الثائر بين الجماعات في هذه الأيام.

وفي ذلك يعدد ـ رحمه الله ـ تلك الأسباب قائلاً:

الأول: جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله، والذي سنه رسول الله ﷺ لأمته، والذي أمرهم باتباعه.

الثاني: ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم لبعض، ونعيهم عليهم تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه، وبغضهم على ما لم يبغضهم الله عليه، وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم لهم على الوجه الذي يؤثرونه حتى إنهم يقدمون الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخراً عند الله ورسوله، ويتركون من يكون مقدماً عند الله ورسوله لذلك.

الثالث: اتباع الظن وما تهوى الأنفس حتى يصير كثير منهم متديناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة، ونحوهم.

الرابع: التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز، وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى الهجران والمقاطعة، حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض!

وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله.

والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله، قال (تعالى): ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

النوع الخامس: ... شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون، بل وفي بعضها ما عليه أهل الإسلام، بل وبعض ما عليه سائر الملل متفقون، وذلك من جهة نقلهم وروايتهم تارة، ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى.

هذا الذي ذكره شيخ الإسلام ونقلته عنه بشيء من الاختصار ـ يصلح لأن يكون أسباباً لفرقة الجماعات فيما بينها على تفاوت بينها فيما تلبست به.

وللحوار مع فضيلة الشيخ عمر بقية في العدد القادم إن شاء الله.

الدولة المسخ

دَعُوهَا تعِشْ بَيْنَنَا سَيِّدَهْ ... تُجِيدُ النِّكَايَةَ وَالْعَرْبَدَهْ .

وَتَجْعَلُ مِنَّا رُسُومَ رِجَالٍ ... يَلُوذُونَ بِالصَّمْتِ وَالْهَدْهَدَهْ

تُقَطِّعُ أوْصَالَنَا كُلَّ حِينٍ ... ونُشْوَى عَلَى نَارِهَا الْمُوقَدَهْ

وتَقْتَلِعُ الشَّوْكَ مِنْ كُلِّ صِقْعٍ ... وَتُلْقِيهِ فِي أَرْضِنَا الْمُجْهَدَهْ

وَتَبْقَى الطَّلِيقَةَ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ ... وأَبْوَابُنَا دُونَنَا مُوصَدَه

لَهَا العُرْسُ وَالقُرْصُ وَالْهَيْلَمَانُ ... لَهَا الْمَاءُ وَالشَّاءُ وَالأَرْصِدَهْ

* * *

دِمَانَا لِصُنْعِ فَطِيرِ الْيَهُودِ ... فَقُلْ لِلشَّرَايِينِ والأَوْرِدَهْ :

أَفِيضِي مِنَ الْخَيرِ إنَّ الْيَهُودَ ... جَدِيرُونَ بِالأَخْذِ وَالْبَغْدَدَهْ

وَلِمْ لا وَنَحْنُ ضَلَلْنَا الطَّرِيقَ ... وَصِرْنَا فُرَادَى بِلا أَفْئِدَهْ

وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا سِوَى حَشْرَجَاتٍ ... وَرُوحٍ مِنَ الغَرْبِ مُسْتَوْرَدَهْ

نَرُومُ الْعَدَالَةَ مِنْ ظَالِمِينَ ... وَنُؤْمِنُ بِالْمِلَّةِ الْمُلْحِدَهْ



شعر: مروان كجك

وَأُمَّتُنَا أَصْبَحَتْ كَالْهَشِيمِ عَنِ الأَمْرِ والنَّهْيِ مُسْتَبْعَدَهْ

نَلُوذُ بِأَعْدَائِنَا إنْ فَزِعْنَا وَنَهْفُو إِلَيْهِمْ بِلا مَحْمَدَهْ

وَأَحْوالُنَا - يَا سَوَادَ الوُجُوهِ - إِلَى غَيْرِنَا أَصْبَحَتْ مُسْنَدَهْ

يُعَيِّرُنَا الْخَلْقُ أَنَّا هُزِمْنَا وَتَنْثُرُنَا الرِّيحُ كَالأَسْمِدَهْ

وَيَرْفَعُنَا الشَّوْقُ نَحْوَ المَعَالِي وَتُسْقِطُنَا حَالُنَا الْمُكْمَدَهْ

* * *

ولَكِنَّ هَذَا الشَّقَاءَ الْمُرِيعَ سَيَذْهَبُ يَوْمًا وَلَنْ نَفْقِدَهْ

وَيَبْزُغُ فَجْرٌ سَخِيُّ العَطَاءِ يُعِيدُ لَنَا دِرْعَنَا الْمُسْرَدَهْ

فَلا تَيْأَسُوا يَا كِرَامَ الوُجُوهِ فَإِنَّ غَدًا يَحْمِلُ الْمَوْعِدَهْ

ضِيَاءً وَرِيًّا وَفَجْرًا جَدِيدًا ومِيلادَ أُمَّتِنَا السَّيِّدَهْ

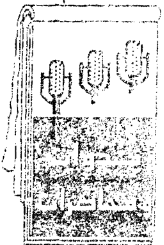
* * *

التطورات الأخيرة لعملية السلام والتوقعات المستقبلية

(١ من ٢)

إعداد

وائل عبد الغني



إيماناً من مجلة البيان بأهمية الدور الإعلامي في معالجة قضايا الأمة معالجة إسلامية تستند إلى تأصيل شرعي ورؤية علمية، فقد رأينا أن نطرح إحدى قضايا الأمة في حاضرها على عدد من المختصين ممن عُرفوا بولائهم للحق ونصرتهم للذين في ندوة؛ لنحيط بالتطورات الأخيرة لعملية السلام والتوقعات المستقبلية لها من جميع جوانبها، ونخلص إلى رؤية متكاملة لتلك القضية التي هي قضية الحاضر والمستقبل في أهم جوانبها.

ضيوف الندوة:

١ـ الدكتور: محمد عبد المنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر والأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية.

٢ـ الدكتور: جمال عبد الهادي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعتي القاهرة وأم القرى سابقاً والباحث والمؤلف المعروف.

٣ـ الدكتور: حامد عبد الماجد الأستاذ بقسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

٤ـ الأستاذ: كمال السعيد حبيب الكاتب والمحلل السياسي بعدة صحف عربية.

* بداية نرحب بالضيوف الكرام في هذه الندوة التي نأمل أن تبلغ آفاقاً من الرصد والتحليل تغني القارئ عن كثير من التحليلات التي يشوبها غبش في التصورات وعدم صفاء في المنطلقات.

فهذا العام هو عام ١٩٩٧م وهذا يعني مرور قرنٍ كامل على مؤتمر بال، وخمسين عاماً على قيام (إسرائيل)، وثلاثين عاماً على احتلال القدس،

وعشرين عاماً على أول اتفاقية مع اليهود، والحصاد: تَسَارُعٌ عجيب في الأحداث، وتضارب في المواقف؛ لذا نحب أن نضع أمامكم القضية بجوانبها لنغطيها جانباً جانباً، ولتكن نقطة البداية انطلاقاً من عمليات السلام.

*** فنريد من الدكتور حامد عبد الماجد رصداً تاريخياً لعملية السلام وتطورها وأهم الدلالات التي نخرج بها.**

بداية أشكر مجلة البيان...

إذا أردنا أن نفهم طبيعة عملية (التسوية السياسية) الجارية الآن، فعلينا أن نعود إلى الاتصالات السرية بين الزعماء العرب والصهاينة في أعقاب نكبة ١٩٦٧م التي أدت إلى قبول النظام الناصري لمبادرة روجرز في ذلك الوقت، مروراً بالمفاوضات التي جرت تحت رعاية كيسنجر بعد حرب ١٩٧٣م، تلك المفاوضات التي مهدت لاتفاقية «كامب ديفيد»؛ لنجد أن القيادات العربية أبدت استعدادها لقبول الحلول الوسط (مبدأ التوفيق)، حيث اختفت شعارات «تحرير الأرض المحتلة» وتواضعت الآمال لمجرد (إزالة آثار العدوان) بالانحساب إلى حدود ما قبل النكبة.

وتم القبول بمرجعية القرارات الدولية ومنها القراران: ٢٤٢، ٣٣٨؛ اللذان يكرسان وجود الكيان الصهيوني وشرعيته، وهذه الخلفية تبرز لنا ثلاث حقائق استمرت في إطارها عملية التسوية السياسية:

الأولى: تغير الرؤية الطبيعية المصيرية لهذا الصراع ـ على الأقل من قِبَلِ القيادات العربية ـ واختفاء مرجعية (الحقوق العربية) والأراضي المحتلة والمغتصبة لتحل محلها «التسويات السياسية» و«التنازلات المتبادلة» من خلال قرارات الأمم المتحدة.

الثانية: اختيار القيادات العربية لمنهج جديد هو «منهج التفاوض السلمي» الذي جاء بديلاً عن منطق استمر لقرون طويلة إزاء التعامل مع الصراعات المصيرية، ألا وهو منطق الجهاد وقوة السلاح؛ وبالتالي اعتبرت حرب ١٩٧٣ حرباً «تحريكية».

الثالثة: أن القيادات والأنظمة الحاكمة بدأت التفاوض وهي في أسوأ أوضاعها ـ من ناحية فقدان الإرادة السياسية ـ واتبعت أسلوب «التفاوض السري» الذي يجري تحت رعاية المخابرات الدولية، إلى جانب الاجتماعات

المعلنة التي تبدو فيها الأنظمة أمام الرأي العام الداخلي « متماسكة » وأحيانًا « متصلبة ».

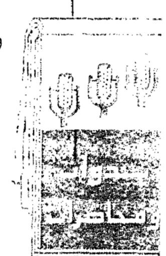
وكانت اتفاقية أوسلو (التي تعتبر أسوأ اتفاقية « إذعان » عرفها تاريخ الصراعات المصيرية) أوضح نموذج لذلك.

* البيان : الأستاذ كمال، هل لديك إضافة؟

أ. كمال : نعم أريد أن أجلّي بُعدًا خطيرًا في الصراع، وهو غياب الجانب الإدراكي لطبيعة الصراع لدى القيادات العربية، وأعتقد أن من أخطر استراتيجيات العدو التي طرقتها القيادة الصهيونية في التعامل مع القيادات والجيوش العربية محاولة هي تغيير إدراكها عن طريق إقناعها باستحالة حسم الصراع مع اليهود إلا من خلال السلام! وهذا ما تحقق فعلاً، وهذا يدل على أن الأنظمة العربية لم تكن جادة في حرب إسرائيل، وهذا الشعور تسرب إلى كل الأجهزة التي كانت موجودة آنذاك بما في ذلك الجيش؛ والسر في ذلك هو تبني القيادات العربية منهجًا في الصراع قائمًا على استبعاد الدين، واستبعاد الرؤية الصحيحة للصراع!

* إذن هذا يدفعنا للوقوف على بنود اتفاقية أوسلو : ما مدى واقعيتها، وما حدود تطبيقها الآن؟

د. حامد : بداية جاءت اتفاقية « أوسلو » لتشكل تراجعًا عن صيغة « مدريد ».



اتفاقية أوسلو (أ) تحدثت عن اعتراف متبادل بين « دولة إسرائيل » كدولة، و« منظمة التحرير الفلسطينية » كمجرد ممثل للشعب الفلسطيني دون الإشارة إلى وطن قومي لهم أو « دولة فلسطين ».

كما أن هذا الاتفاق لم يتطرق لمسائل مهمة، مثل : مسألة المستوطنات، الحدود، اللاجئين، القدس... إلخ

ثم تبلور ذلك في اتفاق عملي يكون بداية لحكم ذاتي فلسطيني في غزة وأريحا، أما أوسلو (٢) فهي خاصة بإعادة انتشار الجيش الإسرائيلي، وتسلم الفلسطينيين مهام الحكم الذاتي في بقية مدن الضفة الغربية.

أما ما تم تطبيقه بالفعل من هذه الاتفاقية غير المتكافئة بين جانبين فإنه يكاد لا يذكر؛ فرغم مرور عامين تقريبًا إلا أنه لم يحدث تغير ملموس في الاتفاق الذي لا يشمل سوى ٢٠٪ من مساحة فلسطين التاريخية ـ مع مواجهته

للعديد من التحديات في تطبيقه، حيث لم يتم إعادة الانتشار في مدن الضفة في التوقيتات المحددة، بل زاد الحصار على مناطق السلطة الوطنية لملاحقة عناصر حماس. ومع وصول الليكود إلى السلطة تكشفت النوايا، واتضحت المواقف التي كان يراوغ فيها بيريز، وأعلن نيتن ياهو عن برنامجه الآتي:

١ - «الأمن» هو الاعتبار الأول في أي سلام توقعه إسرائيل.

٢ - رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة.

٣ - تمتع إسرائيل بحرية كاملة - في الضفة والقطاع - لا سيما في معركتها ضد (الإرهاب).

٤- احتفاظ إسرائيل بسيادتها على المناطق ذات الأهمية الأمنية وأيضًا المستوطنات اليهودية.

٥ - الاحتفاظ بالموارد المائية في الضفة دون تقسيمها.

٦ - القدس الموحدة هي عاصمة إسرائيل الأبدية، وإنهاء كافة أنشطة السلطة الوطنية في المدينة.

وبهذا يتضح أن حكومة الليكود تنصلت من كافة الاستحقاقات السياسية التي نصت عليها كافة الاتفاقيات الموقعة، وجمدت عملية التفاوض من جانب واحد تحت ذرائع أمنية.

*** د. عبد المنعم البري: ما موقف الشرع الإسلامي إذن من هذه الهرولة التي ملأت الآفاق نحو عملية السلام من قبل العرب؟**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد - فإني أشكر مجلة البيان على هذا الجهد البناء، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل مباركًا نافعًا، وألا يحرمنا أجره.

الهرولة ليست جديدة في تاريخ الصراع؛ ففي القرآن الكريم نرى نظائر لها في الصدر الأول على يد الضعفاء: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** [المائدة: ٥٢]. واليهود هم اليهود كما صورهم القرآن.. يشهد بذلك تاريخهم وواقعهم، وقد كشفت لنا الأحداث طرفًا من مخططاتهم لضرب الإسلام والسيطرة على العالم، من أجل ضمان استقرار أبدي لأمن إسرائيل.

لذا: فالهرولة هي الهرولة في كل وقت، وحكمها محرم بنص الكتاب. والجديد هو أن جدهم في قضيتهم أفسح لهم جميع المحافل الدولية، ومكنهم



من التغيير في كل المجالات؛ ولذا طمع ضعاف النفوس في رضاهم!

* **وما ثمن هذه الهرولة من جهة إسرائيل أولاً؟**

أ. **كمال**: الصهاينة ثوابتهم لا تتزحزح، ولكن أطماعهم تزيد؛ فهُم جميعاً بمن فيهم «اليسار والشيوعيون والعلمانيون» يستندون إلى المقولات التوراتية، ويصيغون صراعاتهم مع العالم الإسلامي على أساس أنه صراع ديني عقدي مصيري.

أما المهرولون فينظرون للصراع على أنه صراع حدود لا وجود، وأنها مسألة سياسة لا صلة لها بالأديان؛ ومن هنا نشأ التساهل في الاستسلام لمطالب اليهود، وبالتالي الهرولة.

أضف إلى ذلك أن استفادة اليهود من المنطلق التاريخي في الحرب كان مستحضراً من قِبَل العقلية الصهيونية بحيث استفادوا منه استفادة عظيمة ـ وهو ثابت آخر ـ فنرى سيناريوهات الصراع تتكرر بصورة تكاد تكون حرفية؛ فمراسلات حسين مكماهون تكررت مع السادات بعد ١٩٧٣م، ثم مع عرفات بعد ذلك، حيث كان يتم التخاطب مع عقلية القائد الذي يدير الصراع من منطلق قائم على تحليل نفسية هذا القائد؛ وبذلك يتضح أن اليهود يقبضون ولا يدفعون.



* **لا شك أن فاتورة الهرولة مكلفة جداً للعرب؛ فما أهم بنود هذه التكاليف؟ أعني: ما أعظم الخسائر من جرَّاء هذه الهرولة؟**

أ. **كمال**: الهرولة نجم عنها خسائر عظيمة بدأت بعزل مصر عن أداء دورها بوصفها دولة مركزية في النظام الإقليمي العربي وقت أن كان هناك نظام إقليمي عربي؛ وهذا أدى إلى نوع من التحركات الخفية نحو التطبيع أو على الأقل محاولة تهيئة الرأي العام المعارض لما تستبطنه باقي الأنظمة؛ والعقلية العربية لم تكن محصنة؛ مما أدى إلى سهولة اختراقها.

وكانت النتيجة أن دخلت إسرائيل في عام ١٩٨٢م عاصمة عربية واحتلتها لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، ولم يكن هناك أي رد فعل عربي موحد، وجرى تشتيت منظمة التحرير بعد ذلك، ثم تدمير المفاعل النووي العراقي، ثم ضرب منظمة التحرير الفلسطينية في تونس.

أما بعد اتفاقات مدريد وغزة وأريحا.. وانتقال الصراع من الحرب إلى التفاوض السلمي، وما تبع ذلك من مؤتمرات اقتصادية وأمنية وسكانية أدت



إلى خروج إسرائيل من عزلتها الإقليمية وزيادة نفوذها في إفريقيا وآسيا، بالإضافة إلى إلغاء المقاطعة بدرجتيها (أ، ب) وبالتالي أدى ذلك إلى انتعاش العدو وتحركه في كل المجالات؛ لأن المقاطعة كانت تكلفه مليارات الدولارات، ومن ثَمّ زادت قدرته على التوغل في بنية النظام العربي في أسواقه ومجتمعاته حتى أصبح جزءاً من هذه البنية أتاحت له عقد الاتفاقيات الاستراتيجية، وإقامة التحالفات بما يمكّن له من إقامة خططه بصورة أدق وأسرع.

* **هل يعني ما سبق تغيير التشكيلة السياسية للمنطقة؟**

أ. **كمال**: إسرائيل كانت تخطط منذ أن قامت - كيف تُصبح جزءاً من بنية النظام الإقليمي الذي تنتمي إليه من أجل ضمان بقائها. وهذا ما حدث.

فبعد الهرولة والتحلل العربي التابع لها بدأ طرح نظام بديل هو النظام (الشرق أوسطي) بحيث تصبح إسرائيل مركزه، وتقوم هي بالسيطرة على ما يمكن أن نسميه بـ (حركة الموارد الاستراتيجية) المتمثلة في المال والاتصالات والأسواق والمواد الخام؛ بحيث يقدم العرب الأيدي العاملة والمواد الخام لهذا النظام.

* **وهل يعني ذلك انتهاء النظام الإقليمي العربي؟**

أ. **كمال**: لا يمكن الآن أن نقول إن هناك نظاماً إقليمياً عربياً؛ لأن إطلاقنا لفظ « نظام » يفترض معها وجود منظومة تنظم عمله، وأن هناك حداً أدنى للاتفاق بين أعضائه يكفل لهم اتخاذ موقف موحد إزاء المخاطر التي تتهددهم بل لا يوجد تصور موحد عن مسألة إدارة الصراع مع اليهود - خاصة - بعد صعود نتنياهو إلى سدة الحكم.

وهذا يبرز الضعف العربي الذي يعكس دلالة رمزية لكيفية تعامل الآخرين معهم؛ وهو مبدأ سارٍ على علاقات الأفراد والدول على حد سواء؛ وهذا علة كافية لكثير من القرارات الدولية والإسرائيلية الأخيرة؛ لأن قناعة صناع القرار في إسرائيل أن العالم العربي ضعيف وعاجز ومفكك، وأنه غير قادر على اتخاذ قرار موحد؛ يغريها على أن تتعامل مع كل دولة على حدة، ويطلق العنان لمخابراتها في التعامل مع كثير من مخابرات الدول العربية سراً، ويفتح أمامها الطريق للاستمرار في تنفيذ خططها، بصرف النظر عن الوجود العربي!

* **د. حامد**: في كتاب: « مكان بين الأمم - إسرائيل والعالم » الذي ألفه نيتن ياهو فرق بين سلامين:



« سلام الديمقراطيات » وينعدم فيه أي طموح للصراع المسلح، وتحميه الإرادة

الشعبية السائدة في النظم.

وسلام يتم مع الأطراف الديكتاتورية في البلاد اللاديمقراطية، وهو (سلام الروع) الذي يقوم من خلال القوة؛ وهذا واضح في سياساته هو بالذات.

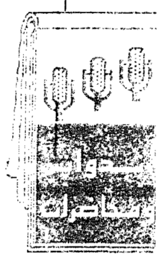
* د. عبد المنعم: القضية الآن ليست في عدونا بقدر ما هي فينا؛ فأضعف الإيمان أن تُهيأ النفوس المؤمنة لتعي هذه الحقائق استعداداً للمواجهة الحتمية، وعلى الحكومات تغيير بعض سياساتها التي تقلل المخاطر.

*** نترك الهرولة العربية جانبا ونهرول نحن نحو فلسطين المحتلة لنجيب عن تساؤلات عدة عن الداخل، ونبدأ بتساؤل عن الفرق بين الليكود والعمل؟**

د. جمال عبد الهادي: العمل والليكود وجهان لعملة واحدة؛ فليس هناك حمائم وصقور؛ فهم جميعاً صقور، الجميع لهم هدف مشترك هو قيام إسرائيل كبرى من النيل إلى الفرات؛ لذلك لا تجد في دستورهم ما ينص على حدود لهم حتى الآن! وعلينا أن نعي أن سياسة جميع زعماء الأحزاب الإسرائيلية تصب في اتجاه واحد هو إنشاء دولة صهيونية عالمية تحكم من أورشليم القدس.

أ. كمال: لا يوجد اختلاف حقيقي بين الليكود والعمل أو المعراخ من جهة الرؤى الأساس؛ وإذا كان هناك خلاف فهو خلاف في التكتيك وليس في القضايا الاستراتيجية.

*** إذن ما تشيعه وسائل الإعلام العربية عن حزب العمل والمعراخ خديعة!**



أ. كمال: نعم؛ وأكبر دليل على ذلك أن معظم المستوطنات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي المحتلة تمت أثناء وجود العمل في الحكم، والفَرْق هو سرية إقامة المستوطنات خلال فترة حكم حزب العمل، وإعلان سياسة: (لا مستوطنات قبل وجود حل نهائي) مجرد إعلان.

كذلك فإن فتح أبواب الهجرة إلى إسرائيل كان معظمه في ظل حكم العمل، وكذلك مسألة التربية القتالية ـ والتطور المستمر للترسانة الحربية، وعقد الاتفاقيات الاستراتيجية مع الدول الخارجية.

فالفرق: أن العمل أكثر دهاءاً وخبثاً، والليكود أكثر صراحة؛ لأنه يتمثل القضية الدينية، وهو صريح في الإعلان عن مبادئه وأهدافه، إضافة إلى الخلاف في التكتيك.

* إذن: لماذا صعد الليكود في هذا الوقت بالذات؟

أ. كمال: صعود الليكود له دلالة هي: أن الاتجاهات الدينية اليمينية المتشددة التي تستجيب للأسطورة الصهيونية بدأت تتنامى وتؤثر على الرأي العام بشدة، وتضغط على صانع القرار؛ لذلك فضلت الليكود على غيره، وهذه القوى كانت هامشية، وانتقلت لتصبح هي القوى الفاعلة لتشكل المجرى الأساس للتيار العام داخل إسرائيل.

* وهل لاختيار نيتن ياهو دلالة زائدة؟

نيتن ياهو يعبر عن جيل جديد.. فهو يملك جنسية مزدوجة: إسرائيلية أمريكية، دارس إعلام، صغير في السن نسبياً، رجل مخابراتي وعسكري سابق وله إنجازاته في ذلك المجال.

وهذا يعكس نوعية إفراز إرادة الرأي العام هناك؛ لإيجاد جيل جديد يغلِّب الحسم العسكري لإيمانه بمعركة هرمجدون.

لكن نيتن ياهو لا يملك القرار وحده؛ لأن وراءه مؤسسة سياسية تشارك بقوة في القرار، وتمثل عامل ضغط عليه مما يقلل من مساحة مناوراته السياسية في التفاوض بالإضافة إلى منطلقاته هو في التعامل مع الواقع، وكذلك الرأي العام.

* نأتي لقضية الأمس واليوم: فالأمس كانت القضية هي القدس، واليوم القضية هي المستوطنات، وغداً... فكان لقرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية للقدس واعتماد مبلغ ١٠٠ مليون دولار لذلك ـ كان له صداه العالمي ودلالاته من جهة التوقيت ومن جهة متخذ القرار نفسه ـ ومن جهة الوضع العربي. فنسأل لماذا هذا التوقيت بالذات؟

د. جمال: هذا التوقيت؛ لأن العرب يمرون بحالة من الضعف والتفكك، ولأن العدو حقق كل ما يريد: هيمنة اقتصادية ـ إعلامية ـ ثقافية.. تعليمية على العالم، وكذلك على أطراف رد الفعل العربية.

وتم تأمين حوض البحر الأبيض المتوسط ـ القرن الإفريقي ومدخل البحر الأحمر ـ المساعدات الأمريكية المستمرة ـ محطات الإنذار المبكر ـ القوات الدولية الموجودة في المنطقة؛ لذلك هو يستعجل الحسم العسكري؛ لأنه بطبيعته عدواني خاصة بعد أن وقَّع مع الولايات المتحدة اتفاقية الدفاع الاستراتيجي ليصبح أي تهديد لإسرائيل معناه تهديد لأمريكا، وأي تهديد لهم بالتالي يعني قرار حرب.

* وما دلالاته على الجانب الأمريكي؟

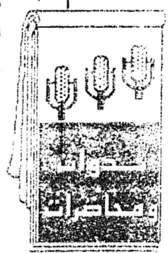
أ. كمال: هذا القرار صدر قبل ذلك عام ١٩٩٥م عن مجلس الشيوخ، وثارت وقتها ضجة. وهذا القرار كان من مجلس الشيوخ فقط، وأعطى الإدارة الأمريكية فرصة تأجيله ٦ أشهر، واستخدمت الإدارة الأمريكية هذا الحق الذي يتجدد كل ٦ أشهر حتى عام ١٩٩٩م.

هذا القرار الذي اتخذ أخيراً كان بأغلبية كبيرة؛ ولهذا الأمر، فإن له دلالات عدة:

ـ أن اليهود استطاعوا اختراق أمريكا بالكامل عن طريق دعايتهم ابتداءً من البروتستانتية التي تعتبر قراءة توراتية للإنجيل.

ـ وبالتالي وجود تيار ديني قوي داخل المجتمع الأمريكي يلعب دوراً في إنجاح كلينتون؛ ويؤثر بدوره في السياسة الأمريكية التي تشكل عمود السياسة الغربية.

ـ اختراق المؤسسة الحاكمة الأمريكية بالكامل من قِبَلِ اليهود بدءاً من بلاط كلينتون وبالتحديد زوجته اليهودية هيلاري، ومروراً بكل مواقع صناعة القرار في الولايات المتحدة بما في ذلك مدير المخابرات المركزية ووزيرة الخارجية وكل المواقع الحساسة في مراكز القرار. إذن هناك منظومة واحدة تحرك العقل الغربي إزاء إسرائيل وإزاء القدس بوصفها ـ بزعمهم ـ عاصمةً موحدة وأبدية لإسرائيل.



د. جمال: كلينتون له توجهاته الصهيونية التي تتعدى كل الحدود التي بلغها الرؤساء الأمريكيون السابقون عليه؛ وهذا الحوار الذي دار في الكنيست الإسرائيلي مساء ٢٧ / ١٠ / ٩٤ بمناسبة الاتفاق مع الأردن:

تكلم رابين رئيس الوزراء، ثم تكلم نيتن ياهو زعيم المعارضة، ثم تكلم كلينتون. يقول رابين موجهاً كلامه إلى كلينتون:

تذكر وصية أستاذك في المرحلة الثانوية «القس واو» التي أوصاك بها، وهو على فراش الموت؛ بأن تحافظ على إسرائيل وترعاها عندما تصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وهي قوله:

«الإرهاب الإسلامي هو عدو السلام وعدو العالم كله، وعدوكم وسيعبر البحار والمحيطات ليصل إليكم.

أورشليم كانت وستظل إلى الأبد عاصمة لإسرائيل القلب النابض للشعب اليهودي».

ثم كان خطاب كلينتون على ما يلي:

أشعر كأني في بيتي.. لقد حققت إسرائيل أمس جزءاً من حلم الآباء بتوقيعها للاتفاقات مع الأردن.. هذا السلام هو من أجل الشعب الأمريكي أيضاً.. إننا نعرف أهمية إسرائيل منذ عهد الرئيس ترومان، وإن بقاءها هو بقاء لكل القيم العزيزة علينا. أنا ملتزم بالعمل مع الكونغرس لصيانة المستوى الحالي للمعونة الاقتصادية والعسكرية والتعاون العلمي وتصدير التكنولوجيا المتقدمة لإسرائيل، كي تبقى في مقدمة التقدم العلمي والتكنولوجي العالمي للتغلب على مخاطر السلام! لذا سنرسل لإسرائيل خمس عشرة طائرة (١٥ـ ف) لتكون قادرة على الدفاع عن نفسها بنفسها.

لقد أصبحت سوريا جادة للدخول في السلام. إن الجندي الإسرائيلي الذي قتله الإرهاب مؤخراً، كان أمريكياً أيضاً.. لذا فعلينا مجابهة الإرهاب بصورة حازمة؛ فالتطرف والإرهاب لا زالا يهددانا جميعاً.

ـ نحن نحترم الإسلام وعندنا ملايين من الأمريكيين يستجيبون كل يوم لنداء الصلاة في المساجد. والصراع هو مع من يثيرون العنف ويريدون تدمير السلام.

ـ الإرهاب يهددنا من الداخل ونقول لـ: تجار الإرهاب لن تحققوا النجاح.

ـ جئت إلى القدس قبل ثلاثة عشر عاماً، وعشت الكتاب المقدس، كتابنا وكتابكم ... وقلت للقس «واو» الذي أوصاني بشعب إسرائيل وقال لي: «عندما تصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية فإن الله لن يسامحك أبداً إذا قصرت في تأمين إسرائيل»، قلت له: لن أنسى وصيتك ـ بمشيئة الله؛ فإن القدس هي موطن الكتاب المقدس وستظل إلى أبد الآبدين..

*** هل يعني هذا أن القدس خرجت من خيارات التفاوض؟**

أ. كمال: في الواقع أن القدس لم تدخل في خيارات التفاوض؛ وإنما الذي جرى عبارة عن تكتيك لتمرير التهويد؛ فالمتابع لما يجري داخل القدس يومياً يكاد يُفجع لما يجري لكل البنية الموجودة في القدس الشرقية من أجل تزييفها لتهويدها بالكامل، وعلى سبيل المثال:

ـ تغيير المناهج الدراسية العربية إلى مناهج إسرائيلية، وإلغاء الإشراف الأردني عليها، وهو ما يعني تهويد التعليم رغم أن هذا المجال ظل مغلقاً تماماً في وجههم.

ـ سحب الهويات من المقدسيين بشكل يومي.

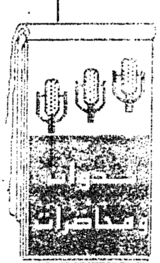
ـ الاستيطان؛ وطبعاً مستوطنة أبي غنيم هي التي عرفنا بها وما خفي كثير، وإلا فإن هناك أربع عشرة مستوطنة أخرى غيرها يجري إقامتها.
ـ التضييق الدائم على التجار العرب عبر سلسلة من الإجراءات: ضرائب ـ تكسير محلات ـ فرض حصار ـ إجبار على الإغلاق..
ـ الخروج عن حدود القدس القديمة؛ بحيث يجري توسيع حدود القدس الموحدة؛ وهذا طبعاً وأد لأي فكرة للتفاوض.

* إذن: تأخير المفاوضات بالنسبة للقدس كان مجرد لعبة سياسية لا أكثر!

د. حامد: الواقع أن إرجاء المفاوضات بشأن القدس للمرحلة النهائية حتى تكون إسرائيل قد استكملت خطة تهويدها؛ وبذلك تضع العرب أمام الأمر الواقع!

ولنرجع إلى الوراء قليلاً فقد بادر بن جوريون عام ١٩٤٨م فور إعلان القدس الغربية عاصمة لإسرائيل إلى إعمال السيطرة على الجزء الشرقي وتهويده؛ وقد تمكنت إسرائيل على مدى العقود الثلاثة الأخيرة من تحويل ملكية أراضي القدس الشرقية من ٩٠٪ في أيدي الفلسطينيين إلى ١٣٪ فقط، وارتفعت نسبة اليهود في المدينة إلى ٧٢٪ مقابل ٢٨٪ للفلسطينيين.

وقد أقامت الحكومة الإسرائيلية ثلاثة أطواق متتالية من المستوطنات لعزلها عن بقية الضفة الغربية يضم الخارجي منها ٣ مستوطنات كبرى، والأوسط ٧ مستوطنات موزعة على شمال المدينة وجنوبها وشرقها، ويشمل الطوق الداخلي المجمعات الاستيطانية القابعة في قلب مناطق سكن الفلسطينيين.



وببناء مستوطنة جبل أبي غنيم تتم الحلقة الأخيرة لإتمام السيطرة على القدس وهي تنفذ مشروع شارون القديم ٢٦ بوابة حول القدس، وهذا يؤدي إلى الدمج التام بين شطري القدس، وعزل الأحياء العربية، وإنجاز تطويق القدس بالحزام الاستيطاني، واستكمال تهويدها.

* وما مستقبل المسجد الأقصى في ظل هذه الظروف؟

د: حامد: بالفعل يجري تنفيذ مخطط هدمه عبر أساليب مختلفة كان آخرها إجراء حفريات بطول ٤٠٠ متر بزعم البحث عن قواعد الهيكل، وإنشاء نفق طولي تحته يصل إلى بيت لحم بحذاء السور الجنوبي بهدف تقويض دعائم المسجد وأعمدته.

د: جمال: أحجار الهيكل جاهزة ومرقمة في أمريكا، وتنتظر النقل، والعدو - بين آونة وأخرى - يقوم باختلاق بعض المصادمات مثل الإساءة التي وجهت للنبي ﷺ وغيرها بقصد قياس ردة الفعل العربية الإسلامية.

وكون ردود الأفعال العربية ضعيفة ولا تتناسب مع فداحة ما يحدث؛ لأنه جرى ترويض الأمة وتكبيلها بالأغلال عبر حملات من الإجراءات في الفترة الماضية، واقترن ذلك بعملية غسيل للمخ العربي في مناهج التعليم، وتزوير أحداث التاريخ؛ لذلك كله لا أستبعد محاولة هدمه - لا سمح الله -.

فماذا لو وقف ألف مليون مسلم في الشوارع لمدة يوم كامل وفي وقت واحد يحملون لافتات تفيد أن القدس إسلامية وقد دُوِّن على هذه اللافتات التاريخ الحقيقي للقدس وقرارات الأمم المتحدة؛ مما يثبت حق المسلمين، ويكذب ادعاءات اليهود؛ وذلك كخطاب أخير للنظام العالمي الجديد؟

* إذن هل حسمت مسألة القدس في حس الأنظمة العربية لصالح إسرائيل؟

د. جمال: نعم، أظن ذلك .. وأذكر أن بيجن عند توقيع اتفاقية السلام أرسل خطاباً إلى كارتر ضمن ملحقات الاتفاقية - بأن الكنيست قد اتخذ قراراً باعتبار القدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل فحوَّله كارتر بدوره إلى السادات للعلم، وضمنوه في ملحقات الاتفاقية.

إذن منذ اللحظة الأولى لتوقيع اتفاقية «كامب ديفيد» ومسألة القدس خارجة عن طاولة المفاوضات؛ إنما الذي حدث أنه لم يمكن إعلان هذا القرار في ذلك الحين؛ لعدم تهيئة الرأي العام العربي والعالمي لهذا الأمر؛ ومن جهة أخرى لم تكن إسرائيل قد تحركت بقوة في سبيل تهويد القدس؛ وهي عملية خداع كبيرة؛ فربما رضوا بالإعلان عن أن القدس موضع مفاوضات إلا أن بناء المستوطنات مستمر، والهجرة مستمرة، والاستعداد العسكري مستمر، وبالتالي فإن قضية فلسطين تقلصت؛ فأصبحت المشكلة تتعلق بمستوطنة أبي غنيم بل تعدتها.. فهل تنتهي المشكلة لو أوقفوا إقامة هذه المستوطنة وحلوا الأزمة؟! وهل تُحرر الأرض ويعود الحق إلى أصحابه، وتنتهي الهجمة الشرسة؟! لا، لا نظن ذلك!!

لكن الموضوع هو مزيد من الوقت لتهيئة الرأي العام لتقبُّل كأس السم جرعة جرعة.

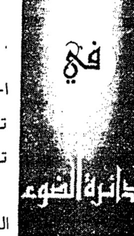
ماذا وراء الاستنساخ؟!

(٢ من ٢)

خالد أبو الفتوح

استهل الكاتب الحلقة الأولى من المقال بإجابات عن عدة أسئلة طرحها في بدايته : ما الاستنساخ؟ وماذا وراء الحملة المصاحبة له؟ وما أثر ردود الأفعال التي تلت ذلك الإعلان؟ ثم صدر كلامه بشرح مفصل عن عملية التكاثر الجنسي في الإنسان، ثم شرع في شرح ما حدث في عملية الاستنساخ، ثم استعرض تطور المحاولات التجريبية القريبة من عملية استنساخ «دوللي». ويواصل الكاتب بقية الموضوع في هذه الحلقة.

ـ البيان ـ



ولكن هناك بعض المخاوف الحقيقية والآمال الواقعية التي قد تنشأ عن تقنية الاستنساخ، فمن تلك المخاوف :

• القضاء على التوازن الفطري بين الكائنات، وقد أثبتت التجارب خطأ العبث بهذا التوازن حتى في بعض حالات القضاء على كائنات ضارة لحساب كائنات أخرى.

• إيقاف التطور الطبيعي في الكائنات الحية، هذا التطور الذي يحدث عن طريق الطفرات الوراثية عبر الاختلافات التي تتوزع وتنعزل عن طريق الإنجاب الطبيعي، ولكن الاستنساخ سيقف عند حدٍّ معين (يحدده القائمون عليه) ولا يتعداه.

• واستنساخ نسخ متطابقة ينطوي على خطر جعل الكائنات المتماثلة عرضة لأمراض معدية واحدة أو لطفيلات قد تقضي مرة واحدة على جميع النسخ.

• ارتفاع النعرة العنصرية القومية والنبرة الجنسية النوعية: وذلك بمحاولة أصحاب كل عنصر قومي استنساخ المزيد منهم (في حالة الوصول إلى استنساخ البشر) والاستغناء عمن عداهم فضلاً عن محاولة القضاء عليهم، أما النبرة الجنسية النوعية فقد عبرت عنها (عالمة) من العلماء بقولها: إنه لم تعد هناك حاجة لدور ملح للرجل؛ فقد تبين علميًّا أن بإمكان أي امرأة أو حتى عذراء أن تنسخ طفلة منها على نحو تكنولوجيا النعجة دوللي.. فإذا أضفنا إلى ذلك إمكانية نجاح تجارب تجرى في بريطانيا لتحقيق فكرة الحمل خارج الرحم الذي قد يؤدي إلى استغناء الشواذ عن دور المرأة.. لأدركنا أن الإنسان (المتحضر) يضع النوع البشري على حافة التدمير.. فللعاقل أن يتخيل عالمًا كله رجال أو عالمًا كله نساء!، ولنا أن نتأمل: هل من حكمة الله أن جعل التكاثر والتناسل ناتجًا عن الشهوة البهيمية وليس راجعًا إلى اختيار عقل الظلوم الجهول؟.

• اختلال التنظيم الاجتماعي والأخلاقي: ففي عالم البشر المنسوخ لن يكون هناك مجال للأمومة؛ لأنه ستحل محلها المؤسسات الحاضنة، كما سيصعد بقوة الاتجاه الناشئ في الغرب حول الأسرة أحادية الأصل (أب فقط أو أم فقط)، كما ستنشأ مشاكل عديدة حول علاقة الطفل المستنسخ بمن حوله، فمثلاً إذا أرادت امرأة متزوجة أن تستنسل نسخة منها، فهل ستكون هذه النسخة ابنة لها أم امتداداً لذاتها؟ فما علاقة زوج المرأة بهذه النسخة: هل سيعتبرها عندما تكبر امتداداً لزوجته ويعاشرها كما يعاشر زوجته، أم سيكون في حكم المَحْرَم لها؟ وما علاقة هذه النسخة بأسرة المرأة؟ وإذا كبرت هذه الطفلة النسخة وأرادت حمل نسخة من توأمها الذي فصل عنها وهي جنين، فهل ستعتبر أمًّا لأختها؟! بل ماذا لو أرادت هذه النسخة أن تحمل نسخة أخرى من المرأة الأصل، فهل ستعتبر الطفلة المستنسخة الجديدة أمًّا لها أم ابنة؟!.. أضف إلى ذلك: الصراع النفسي الرهيب لهذا الطفل ـ أو

الطفلة ـ المستنسخ عندما يجد نفسه في هذا المجتمع الممزق.. وهذا بالطبع إذا تجنبنا الحديث عن المتاجرة بمثل هذا الطفل أو استعماله في استخدامات غير أخلاقية أو غير إنسانية.

• ومن المخاوف أيضًا: إنتاج مسوخ وأجنة مشوهة أثناء تلك التجارب، فمن يضمن ألا يؤدي هذا العبث بالخلية إلى مخلوقات غريبة ومشوهة؟ وهذا ما قد يحدث بالفعل حاليًا، ولكن يتم كتمانه، ولا يعلن عنه، ثم يكون مصير هذه المسوخ سلة مهملات العلماء الذين لا يعبؤون بالأرواح.

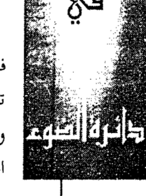
ومن الآمال الواقعية:

• هذه التقنية تتيح للعلماء فرصة فهم طريقة عمل الجينات وكيفية تطورها وتخصصها وتميزها ونشاطها في مرحلة التكوين الجنيني المختلفة.

• كما أن الاستنساخ يساعد على الوصول إلى فهم أدق للأمراض الوراثية والتشوهات الجنينية، فعندما تجرى التجارب والاختبارات على حيوانات متميزة وراثيًا عن بعضها فالنتائج قد تأتي على أساس الاختلاف الوراثي للحيوانات وليس على أساس ردود الفعل لما يتم اختباره، أما إذا حيّدنا هذا العامل وكانت الحيوانات التي تجرى عليها التجارب نسخًا متطابقة فستصبح النتائج أكثر دقة، وينبني على ذلك تحديد أفضل السبل لعلاج هذه الأمراض في الإنسان، إضافة إلى إنتاج عقاقير دوائية باستخدام هذه التقنية.

• ومن الممكن استخدام هذه التقنية في الزراعة النسيجية أو في الإكثار الحيواني من السلالات شديدة التميز، عن طريق إنتاج كميات كبيرة من هذه السلالات المتميزة بلحومها وحليبها وصوفها بأسعار زهيدة، وهذا بالطبع إذا ثبت أن هذه التطبيقات لا تؤثر بالسلب على الإنسان عند استهلاك منتجاتها، فلا بد من دراسة الآثار بعيدة المدى لهذه التطبيقات.

كما يمكن بهذه التقنية الإكثار من الفصائل النادرة المهددة بالانقراض التي تعاني صعوبة التكاثر الجنسي وقلة النسل.



● من الممكن أن يفتح الاستنساخ الباب أمام فهم حقائق الشيخوخة واكتشاف الهفوات والأعطاب الوراثية البسيطة التي تتراكم مع تقدم الإنسان في السن فتظهر عليه علامات الشيخوخة، وكذا فهم أدق لأمراض خطيرة، كالسرطان.

العلم في خدمة الشيطنة:

فكثيراً ما يظهر أنه ما تزال تقرع أذن ابن آدم العبارة التي ألقاها الشيطان إلى أبي البشر: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]، وهنا تظهر رغبة الإنسان في ذلك الخلد من خلال محاولته إيجاد امتداد لذاته عبر محاولة استنساخ نفسه، ومن خلال محاولته القضاء على الشيخوخة التي يعتبرها مقدمات نهايته.. وبالطبع لا ضير من محاولة تحسين صحة الإنسان، ولكن لا يظهر أن الصحة فقط هي التي تشغل ذهنه، بل أيضاً: الهرب من الموت أو البحث عن الخلود.

وأيضاً: من الممكن النظر إلى بعض تطبيقات هذه التقنيات على أنها تطوير لمبدأ ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، فلم ترد صيغة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾ في القرآن إلا في هذا الموضع وموضع آخر قبله مباشرة يتعلق أيضاً بتغيير الخلقة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ [النساء: ١١٩]، وهي صيغة تحمل من علامات التوكيد: لام التوكيد، ونون التوكيد المشددة، إضافة إلى الفعل المضارع (آمر) الذي هو أوكد درجات الطلب.. وكل ذلك يدل على مدى الإصرار الشيطاني في تغيير الخلقة.. وإذا كانت الاستجابة لهذا الأمر من بعض بني آدم بدأت بصور بسيطة كقطع الأذن والأنف والأطراف، وكالإخصاء والوشم وتفليج الأسنان والنمص... فإنها تتطور اليوم وتأخذ بعداً جديداً معقداً يتناسب مع تقدم العلم! الذي يحاول أن ينتج الآن نعجة آدمية !! وغيرها من تجارب العبث العلمي التي تحاول «إنتاج حيوانات لها بعض الصفات التي تنتمي إلى حيوانات أخرى، أو حتى صفات إنسانية، ولقد تمكنا بهذه

---

(١) حديث مع جريدة (الشرق الأوسط)، ع/٦٧٥٧، ٢٩/٥/١٩٩٧م.

الوسيلة من إنتاج فئران معدلة وراثيًا، كذلك الخراف، وحيوانات أخرى» بنص كلام الدكتور «هاري جريفن»[1].

ومن أجلّ الخدمات التي تقدمها التقنية الجديدة للشيطنة: محاولة تعويض النقص الحادث نتيجة تدمير الأسرة وتزيين قيام (أسرة) الشواذ، فالشيطان الذي يعمل دومًا على هدم كيان اللبنة الأساس للمجتمع الإنساني قطع أشواطًا في تحقيق هذا الهدف في الغرب، فترنحت الأسرة الطبيعية وتفككت، وظهرت الأسرة أحادية الأصل وأسر الشواذ (رجل ورجل أو امرأة وامرأة).. والآن يمكّن العلم هؤلاء من التمتع بشطر زينة الحياة الدنيا (البنون) مع الإبقاء على شذوذهم الجنسي والاجتماعي.

إلى أين تأخذنا الحضارة الغربية؟:

تجنح الحضارة الغربية إلى الفردية والذاتية بمنهج أعمى، فمن الملاجئ والمحاضن التي يلقى فيها الأطفال، إلى دور المسنين التي يلقى فيها الشيوخ الذين تقطعت بهم سبل الحياة، وعبر الاهتمام بتحقيق أقصى درجات اللذة والمتعة الحسية ـ مهما كان ثمنها ـ، وبواسطة الاستغلال السيئ للتقنيات الحديثة (الكمبيوتر ـ الإنترنت...) التي تستغرق هذا الفرد وتعزله داخل ذاته بدون الحاجة إلى أسرة.. نجد هذا الإنسان ـ الذي يصفونه بأنه حيوان اجتماعي ـ يقترب من الحيوانية بقدر ابتعاده عن الاجتماعية، وفي هذا المناخ يكون الحديث عن فرد مستنسخ يعيش منقطعًا عن المجتمع أمرًا مطروحًا عندهم.

والحضارة الغربية هي التي رفعت راية التشكيك في أصل الإنسان، رفعتها عندما لوحت ـ تحت ستار العلم أيضًا ـ بنظرية داروين حول نشأة الإنسان الأولى، ويريد المغرضون الآن من خلال النعجة (دوللي) التشكيك في نشأته الثانية.

والحضارة الغربية قامت على فكرة الصراع بين الإنسان والطبيعة (وليس الانسجام بينهما)، وعلى توهم أنهم في تخريبهم للتوازن الفطري في الأرض إنما يعيدون ترتيب الطبيعة لإصلاحها والاستفادة

منهـا، بينـما الشواهـد تشيـر إلى أن ما يـحدث هو أكبر إفساد في الأرض بيد الإنسان.

والحضارة الغربية عندما فصلت الدين عن كل شيء ـ والعلم من ذلك ـ جعلت الأخلاق تابعة للعلم، فاصبحت التجارب تسير بغير هدى، وفُقدت الثقة في هدف هذه التجارب ومآلها؛ فليست المتاجرة بالآمال وتحقيق النزوات والتكسب من الممارسات غير الأخلاقية ببعيد عن الاستنساخ، ولا توجد ضمانة واحدة لعدم استخدام مثل هذه التجارب لتحقيق تلك الأغراض، كما لا نستطيع الثقة بالوعود الأخلاقية لمثل هؤلاء العلماء؛ فالدكتور «ويلموت» الذي صرح لجريدة (الجارديان) البريطانية ـ عند سؤاله عن الفترة الزمنية المتوقعة لاستنساخ الإنسان ـ.. بأنه يأمل ألا يحصل ذلك أبداً، ولا يوجد سبب مقنع لذلك.. هو نفسه الذي نفى قبل عام شروعه في أبحاث الاستنساخ؛ فقد سأله مراسل مجلة (الشبيجل) الألمانية: ولكنكم يا سيدي أعلنتم قبل سنة من الآن أنكم أقسمتم بالأيمان المغلظة أنكم لم ولن تمضوا في رحلة الاستنساخ التي نراها قد ولدت أمام أعيننا!!.. فأجابه الدكتور «ويلموت»: هذا صحيح، ولكننا أردنا بذلك صرف نظر الآخرين، حتى لا ندخل معهم في ماراثون بيولوجي، فأنجزناه بكثير من الهدوء والدقة والنضج والنجاح، ألا ترى أننا كنا محقين بذلك؟![1] فإلى أين تأخذنا حضارة المعامل الغربية ؟!.

العلم الإنساني بين النسبية والتقديس:

هناك من يريدون منا التسليم لكل ما يخرج من المعامل والمختبرات والسير خلفه على أنه (سائبة) لا ينبغي التعرض لها ولا توجيهها ولا لومها، وهذا ما يلحُّ عليه مراراً الدكتور «خالص جلبي»، حيث يكرر ـ على سبيل المثال ـ النص التالي في حلقتين متتابعتين (٢ ـ ٣) حول الاستنساخ[2]: «لا حدود للبحث

(١) د. خالص جلبي، جريدة الرياض، ع/١٠٥١٧.

(٢) السابق، ع/١٠٥١٠، ١٠٥١٧، وقد ذكر المعنى نفسه في الحلقة الأولى (ع/١٠٥٠٣) أيضاً.

العلمي، ولا يمكن محاصرته؛ فطبيعته تقدمية، ولا خوف من التفكير!، لأن أعظم ما في الإنسان جهاز التفكير، فالتفكير قاعدة الإيمان وأداته المعرفية، لشق الطريق إلى فضاءات معرفية لا نهائية، ولكن الخوف كل الخوف من إغلاق العقل، ومصادرة الفكر، وممارسة الإرهاب عليه، ولا حاجة لإعلان الوصاية الأخلاقية على العلم، فهو يمشي بقوته الأخلاقية الذاتية، فيحور ويحرر الإنسان والعالم..».

وإرهاب الدكتور «خالص» للمخالفين له بعبارة «.. ومصادرة الفكر، وممارسة الإرهاب عليه..» لن يمنعنا من مناقشة كلامه؛ فأي فكر يقصد الدكتور «خالص» أن لا خوف منه، ويخاف من مصادرته؟ هل هو مطلق التفكير أم أن لذلك حدوداً؟ أليست الوجودية والشيوعية والصهيونية فكراً؟ بل أليس للإرهاب فكر؟! وما معنى «لا حدود للبحث العلمي»؟!.. إن الغرب عندما فصل الدين عن كل شيء كان مما فصله عنه: العلم، فأصبح «لا حاجة لإعلان الوصاية الأخلاقية على العلم»!..

إننا بوصفنا مسلمين نؤمن أن دين الله يهمين على كل شيء في الحياة ويوجهه ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ونؤمن أن الشرع الصحيح يوافق دوماً العقل الصريح.. ولكن ما هو الموقف إذا تناقض الشرع (الصحيح) مع ما يُظن أنه عقل صريح؟.. إن غير المسلم لا يعبأ بما ورد في الشرع؛ لأنه غير مؤمن به أصلاً، أما المسلم فإنه يثق في كلام الله المنزل بعلمه ولا يمضي خلف ما يظنه الظانون علماً ولو كان خارجاً من معامل التجارب، فعندما نعلم - مثلاً - من كلام الله (جل وعلا) عن أصل الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨].. إلى غير ذلك من الآيات الصريحة، ثم تأتي نظرية داروين - التي يعوزها البرهان العلمي الدقيق، والتي طالما نوّه الدكتور «خالص» بمضمونها

وبصاحبها ـ لتقول لنا إن الإنسان ناسئ عن تطور مخلوقات أخرى وارتقائها.. فإن موقف المسلم هو إهدار تلك النظرية وتكذيبها بلا تردد ولا وجل من وصم دعاة تقديس العلم له بالتحجر والتخلف ومصادرة الفكر، معلناً ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾

[يونس: ١٨]

وهذا يدعونا إلى إلقاء نظرة حول حقيقة مسيرة الإنسان العلمية التي يسعى فيها لتحقيق ما يراه مصلحته ورفاهته؛ فالإنسان في لهثه العلمي إنما هو في سباق لاكتشاف جهله: جهله بعالم المجهول (مجهول الزمان والمكان والكم والكيف) الذي يطرقه فتنكشف له حقائق كانت حاضرة ولا يشاهدها..، وجهله الذي يراه عندما يكتشف مخاطر ومضاعفات وخطأ ما ظنه سابقًا إنجازات علمية هائلة، والتي كانت غائبة عنه حينما ﴿ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ٢٤]، يحاول الإنسان اختراق هذا المجهول عن طريق التجربة الحسية، والحفريات والتوثيق، والتأمل والتحليل، والاستقراء والإحصاء، وأحيانًا عن طريق الحدس والتوهم.. والمسلم يستفيد بما صلح من ذلك كله إضافة إلى وسيلة لا ينتفع بها غيره، ألا وهي العلم بالغيب الذي يخبره به الرسول ﷺ..

فإذا كان الأمر كذلك فإن المسلم لا يحجر على العلم الإنساني ولكنه لا ينساق خلفه انسياقًا أعمى، بل يضعه في موضعه الصحيح: أن نسبته ـ مهما بلغ ـ إلى علم الله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وأن مصدر هذا العلم في النهاية من الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].. ويبقى العلم الحقيقي الشامل الذي لا يُنقض ولا تشوبه آفة الجهل السابق أو الآني أو اللاحق.. هو علم الله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾ [المؤمنون:

٩٢]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ولكن الإنسان عندما يغفل عن حقيقة علمه فإنه يمضي بطرًا ببعض إنجازاته التي يظن أنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ينظر إلى مسيرته الماضية فيراها ظلمات وجهالات، يتعجب من جهل من سبقوه وينتشي بما وصل إليه من هذه الإنجازات، ثم يأتي مَن بعده ويتقدم قليلاً في طريق محو الجهل، فيحقق إنجازات أخرى تبطل الإنجازات السابقة التي ينظر إليها من جديد فيراها ضربًا من العبث!.. وهكذا دواليك تسير مسيرة التقدم الإنساني.. فإذا تناولنا أبسط الأمثلة ممثلاً في الطعام الذي يطعمه الإنسان المعاصر نجد أن اكتشاف المبيدات الحشرية الكيماوية في الزراعة والمواد الحافظة في صناعة الطعام المعلب كان إنجازًا مهمًا.. والآن يُنظر إليها على أنها سموم تسري في جسد الإنسان عبر الطعام.. ومؤخرًا أعلن علماء بريطانيون أنهم يخشون من أن العسل المصنع من تطوير لقاحات نباتية جديدة عن طريق الهندسة الوراثية قد يشكل خطرًا على صحة الإنسان[١].. وفي السابق كان اكتشاف معدن الألومنيوم وتطويعه في صناعات شتى - ومنها أواني الطعام - يعد إنجازًا مهمًا، وبعد ذلك اكتشفوا دلائل على خطورة طهو الطعام في الأواني الألمونية؛ لدخول ذراتها الصغيرة في جسم الإنسان مختلطة بالطعام مما ينتج عنه مشكلة التسمم الألموني.. وجنون البقر البريطاني ثبت أنه نتيجة تلاعب العلماء بفطرة الحيوانات النباتية، حيث دأبوا منذ أكثر من ٧٠ عامًا على إطعام حيوانات التسمين النباتية أعلافًا تحتوي على بقايا فضلات حيوانات أخرى ميتة؛ رغبة في الربح السريع.. وثقب الأوزون المزعوم الذي يهدد الأرض ومن عليها، هل كان إلا نتيجة مخلفات بعض المبتكرات الصناعية المتقدمة... وليس ببعيد عن موضوعنا الأدوية ذات الآثار الجانبية التي قد

---

(١) صحيفة (الشرق الأوسط) ع/٦٧٤٧-١٩/٥/١٩٩٧م، نقلاً عن (الصنداي تلجراف) الأسبوعية البريطانية..

يؤدي بعضها إلى السرطان (عافانا الله وإياكم)، وتكنولوجيا صناعة السلاح والمخدرات.

وحتى ولادة (دوللي) ما هي إلا إحدى تغيرات المفاهيم في علم البيولوجيا الذي شهد فيما لا يزيد عن القرن تغييرات متسارعة، يخطئ اللاحق فيها السابق أو يزيل عنه جهالته.

ويمكننا تلخيص المقصود فيما سبق بما قاله «تاوته تشنج»: «إن إنجازات الإنسان التكنولوجية والتنظيمية إنما هي شَرَك لاصطياده»، ويعبر عن ذلك أيضًا «مارك أوزيون» بقوله: «حالما ينطلق التقدم فلن يوقفه أحد، وهذا التقدم ذو الأوجه المتعددة لا يكف بالوقت نفسه عن تعقيد الحياة»(١).

وبالطبع فليس المقصد من عرض ما سبق إيقاف عجلة التقدم والبحث ولا الرجوع بها إلى الوراء، ولكن المقصد: أن يوضع علم الإنسان في موقعه؛ حتى لا نرى ذا العقل الرشيد منبهراً بالأحداث الجزئية التي قد تُنْقَض بعد حين.. وأن يخرج الإنسان من حالة ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] التي تقود إلى حالة ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ٢٤] التي تكون عاقبتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]...

عندما يأتي الدجال (أعاذنا الله من فتنته) يكون معه ماء ونار، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نكذب حواسنا ونلقي بأنفسنا في النار؛ فإنها ماء بارد.. أما الذي يقدم بين يدي العلم النبوي فإنه يتبع الدجال ويلقي نفسه في النار يظنها الماء الزلال..!

موقف علماء الشريعة:

تباينت مواقف علماء الشريعة من الاستنساخ تبايناً قد يعبر عن واقع الأمة؛ فهناك طائفة تحدثت بتوازن وهدوء بعد أن استوعبت ما وصلها من معلومات حول هذا الموضوع، وطائفة أخرى توقفت عن الحديث في الموضوع من أصله إلى أن تتضح الأمور..

(١) عن مقال (انحرافات الثقافة العلمية)، د. نزار العان، مجلة علوم وتكنولوجيا الكويتية، ع/٤١-مارس ١٩٩٧م.

في دائرة الضوء

ولكن هناك طائفة أخرى ـ ليست قليلة ـ تسرعت في الحديث حول الموضوع بغير رويَّة ولا دراسة، وجاءت ردود أفعال بعضهم مشوبة بشيء من الانفعال، معلنة أن الناس تكاثروا على وجه الأرض حتى كادت تضيق الأرض بأهلها، وأننا لسنا في حاجة إلى مثل تلك التجارب!!، وأن من يقومون بهذه التجارب إنما يفعلون ذلك للتسلية!!.. إلى غير ذلك من الأقوال والاستدلالات التي لم يقف فهمي القاصر على وجه دلالتها في الموضوع، مثل قوله (تعالى): ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، وما روي عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: «المرأة الحمقاء لاتلد إلا أحمق»!!.. متخيلين أنهم بذلك يدفعون عن حمى العقيدة من يحاول استلاب صفة الخلق من الله!!.

ولكن ما يعنينا هنا هو النظر إلى طريقة المعالجة:

فتسرع العلماء بالرفض أو القبول يذكرنا بموقف آخرين عندما ظهرت تجربة طفل الأنابيب، ثم بعدما اتضحت الأمور واستقرت هدأت الاجتهادات ـ أو كادت ـ.

كما إن الانفعال في الرفض غير المبرر أو القبول غير المقنع يحمل في طياته علامات الانهزام النفسي والحضاري:

ـ يظهر هذا الانهزام في مجرد المقارنة بين الله (جلا وعلا) وأحد خلقه في أمرٍ لم يدَّعِ أحد من المشركين القيام به ولا إسناده إلى شركائهم، وحتى أصحاب (دوللي) لم يدعوا خلقها، فهذه المقارنة تنزل من قدر الله (جلا وعلا) بقدر ما ترفع من قدر المخلوق، حتى وإن انتصر في النهاية لله (عز وجل)، وفي مثل هذه المقارنة يقول الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره
إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر:

إذا أنت فضلت امرءاً ذا براعة
على ناقص كان المديح من النقص

ـ ويظهر أيضاً في الرفض المطلق ومحاولة إغلاق باب الحوار حول الموضوع، فهذا المسلك يشي بأن الرافض يخشى مناقشة الموضوع نتيجة

صعفه، وأنه يخفي عورة منهجه بدفن رأسه في الرمال.

- كما يظهر أيضًا في القبول غير الحذر المصحوب بتعليق لافتة (الإسلام دين العلم والتطور).. وهو بالطبع كذلك، ولكن بعض المتحدثين يتحدث وكأنه تسيطر عليه عقدة اضطهاد الكنيسة لجاليليو، وهذا هو المسلك نفسه الذي يتبعه بعضهم عند الحديث عن سماحة الشريعة وعدالتها وإنصافها للمرأة، ثم محاولة إظهار توافقها مع أصول القوانين الغربية، أو تلفيق الشورى مع الديمقراطية والعدالة الإسلامية مع الاشتراكية...

- وأخيرًا يظهر في محاولة الاختباء خلف بابا الكاثوليك وكلينتون والمؤسسات الغربية، وإبراز أن المسلمين ليسوا وحدهم الذين يحذرون من الاستنساخ، كقول أحدهم: «والعالم الغربي حرم هذا تحريمًا قاطعًا، ونحن أولى بالتحريم»، وقول الآخر: «إنه من حسن الطالع! أن الذين لا يدينون بالإسلام لا يتفقون مع الاستنساخ الجيني بشكل عام فضلاً عن الاستنساخ الجيني للبشر».. فكأن ليس لعلماء المسلمين الأهلية وحدهم أن يقولوا رأيهم ويعلنوه لو كان مخالفًا للآخرين.

بعد مرور مئة عام على المؤتمر الأول لدهاة صهيون ؟

دولة اليهود بين العجز والإعجاز

«لو أردت أن اختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة، لقلت: في بازل أسست الدولة الصهيونية، إن العالم سيرى بعد خمسين سنة على وجه التأكيد هذه الدولة».

هذا ما سطره مؤسس الصهيونية الحديثة بقلمه في مذكراته قبل نحو قرن من الزمان تعليقاً على المؤتمر الأول لقادة اليهود، الذي انعقد في مدينة بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧م، وذلك في الجزء الثاني من مذكراته وبالتحديد في صفحة (٥٨١).

فهل كان هرتزل من المتنبئين بالغيب، الذين كشفت لهم أسراره وأستاره عندما بشر بقيام دولة اليهود بعد خمسين عاماً؟.. لا..لا!.

إنه - في رأيي - لم يكن أكثر من لص، أسس عصابة للسطو على بيت مأهول وسط قرية كبيرة، عبر طريق وعر طويل، فظل هو وعصابته يتحسبون لأخطار الطريق، وعقبات الوصول، واحتمالات التصدي، وتوقعات الثأر والانتصار؛ ففوجئوا جميعاً بسرعة الوصول وإنجاز المأمول، بسبب واحد؛ وهو: أن الطريق خلت من الشرطة، والقرية افتقرت إلى الساهرين، وأهل البيت كانوا نائمين؛ فمن يصدق أن مقولة هرتزل تحققت قولاً وعملاً في موعدها المحدد؟!

إن مؤتمر بازل هذا انعقد في الفترة ما بين ٢٩ - ٣١ أغسطس عام ١٨٩٧م، وبالفعل، لم تنقضِ الأعوام الخمسون بعدها حتى أُعلِنَت دولة اليهود في مايو ١٩٤٨م.

وها نحن نعيش زمن انقضاء الخمسين الثانية بعد استيلاء العصابة على

المسلمون



والعالم



عبد العزيز كامل

البيت، وبعد أن أعلنوا عن سكناه وملكيته إلى الأبد؛ رغم أنف كل أهل القرية!

وها هي الأجيال تلو الأجيال من العصابة تتوارث الإصرار على النجاح والانتصار بالعمل ، وها هي أيضاً الأجيال تلو الأجيال من أهل القرية تتوارث التواصي بالأمل بالعودة.. الأمل بالتحرير.. الأمل بالنصر، مجرد أمل مع قليل من العمل حتى صاح فيهم متكلموهم أخيراً: لا داعي للأمل! بل لا داعي للعمل!!

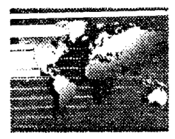
هل يقال بعد ذلك: إن هرتزل تنبأ (بمعجزة) إنشاء دولة (إسرائيل)؟

إنني أقول: إن تلك لو كانت (معجزة) لما كان السبب فيها (إعجاز) العقل اليهودي المستهدي بالتوراة وبرؤى الأنبياء ـ كما يرددون ويكررون ـ بقدر ما كان السبب هو (عجز) العقل العربي بعد أن أريد عزله عن هدي النبوة ووحي السماء، نعم! لقد صادف التفاف اليهود حول باطلهم التفات قومنا عن الحق الذي معهم، وتوافق إقبالهم على دينهم، مع الإدبار عن ديننا!

كثيراً ما حاولنا تجاهل هذه الحقيقة، فرددنا مراراً: أن زعماء اليهود، بدءاً من هرتزل، وحتى بن جوريون وبيجن ورابين (علمانيون) لا صلة لهم بعقائد التوراة، ولا تأويلات التلمود!

أتدري ـ أيها القارئ ـ ما الحدث الذي أوجد فكرة (الدولة اليهودية) عند هرتزل قبل مائة عام؟ اسمع ذلك منه، يقول متحدثاً في

المسلمون والعالم



مذكراته عن رؤيا رآها: «ظهر لي المسيح (الملك) على صورة رجل مسن في مظهر العظمة والوقار، فطوقني بذراعيه، وحملني بعيداً على أجنحة الريح... والتقينا على إحدى تلك الغيوم القزحية بصورة موسى، فالتفت المسيح إلى موسى مخاطباً إياه: من أجل هذا الصبي كنت أصلي»، إلا أنه قال لي: اذهب وأعلن لليهود بأنني سوف آتي عما قريب لأجترح المعجزات الكبيرة، وأسدي الأعمال العظيمة لشعبي وللعالم».

ونحن نعرف أن عقيدة «المسيح المنتظر» محور يدور حوله المسلسل التاريخي اليهودي القديم والمعاصر، وهي عقيدة لا يستطيع أحد أن يدعي أنها فكرة علمانية!. وفي الصفحة الأولى من يومياته، نجد هرتزل يتحدث عن (الأرض الموعودة) التي اتخذها عنواناً لرواية عقد العزم على كتابتها، وهي التي قرر بعد ذلك أن يترجمها إلى برنامج عملي. أما كيف دفعته تلك الأحلام والعقائد إلى السير في طريق إكمال البرنامج فيقول: «شُغلت لمدة خلت بعمل لا حدَّ لعظمته، ولا أعرف الآن ما إذا كنت سأمضي به حتى النهاية، يتراءى لي كحلم جبار، لكنه استحوذ عليَّ أياماً وأسابيع إلى ما وراء حدود الوعي، يرافقني أنى توجهت، ويرفرف فوق حديثي اليومي، ثم يتطلع من خلف ظهري إلى عملي الصحفي التافه لدرجة السخرية، يزعجني ويسكرني، من السابق لأوانه الظن بما سيؤول إليه أمره، لكن تجاربي قد علمتني أنه حتى ولو كان حلماً، فهو شيء عظيم»! (يوميات هرتزل ج١ ص٣).

لقد تجاوز هرتزل مجاراة النفس مع الأحلام بوصفها أحلاماً، ولكنه أيقظ تلك الأحلام من سبات ألفي عام، وشرع ينظم وينسق الأفكار المتعلقة بالآلام وآمال اليهود لكي يصل إلى عرضها على شكل مشروع (حل) أمام كبار المتمولين اليهود، أمثال البارون (دي هيرش) ومجلس إدارة أسرة (روتشيلد)، ولم يكن اليهود يملكون في ذلك الوقت إلا المال، الذي كانوا لا يدرون ماذا يفعلون به!



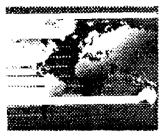
وعبر عامين كان يصيد فيها الأفكار من فضاء الخواطر، تبلورت الفكرة في رأس هرتزل ودوَّنها في كراسة، صارت بعد ذلك كتابًا باسم (الدولة اليهودية) وكان ذلك عام ١٨٩٦م، ووصف ما دوَّنه بأنه «محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية» وبعد ذلك بعام، جمع هرتزل أساطين اليهودية في العالم لمناقشة أفكاره، وكان المؤتمر الأول في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م، الذي استمر في الانعقاد بشكل دوري، حتى يومنا هذا.

لقد تمكن الأب الروحي لليهود المعاصرين (تيودور هرتزل) من استقطاب مختلف الاتجاهات والتيارات الصهيونية السائدة بين يهود العالم في ذلك الوقت، لكي يجمعهم على هدف واحد لا يختلفون عليه ولا ينفضِّون من حوله وهو: إعادة اليهودية إلى المجد من خلال دولة؛ ولكن أي دولة؟! قال هرتزل: «إن الشعار الذي يجب أن نرفعه هو: دولة داود وسليمان»!

ولم تكن هناك دولة لداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ إلا في فلسطين، ولكن «فلسطين» كانت تطلق على مساحة تفوق بكثير حدود فلسطين المعروفة الآن جغرافيًا، لتشمل جميع الأراضي اللبنانية والسورية والأردنية وبعض الأراضي العراقية والمصرية، وأراضي من شمال الجزيرة العربية، وهذه الأراضي في جملتها هي ما اصطلحت برامج التوسع اليهودي على تسميته بـ (إسرائيل الكبرى)، الذي حددته نصوص العهد القديم بأرض الميعاد، من النيل إلى الفرات.

والذي يعنينا هنا، أن المؤتمر الصهيوني الأول الذي دعا إليه هرتزل، حدد هدف الصهيونية القديم في عبارة معاصرة وهو: «إيجاد وطن للشعب اليهودي يضمنه القانون الدولي العام».

أما الوسائل التي اعتبرها المؤتمر الصهيوني كفيلة بتحقيق ذلك الهدف فهي: -



أولاً: تعمير كل ما يمكن من الأراضي الفلسطينية بسكان يهود مستقرين، من عمال وزراعيين وصناعيين، لإنشاء أجيال تتشبث بالأرض، ويستحيل اقتلاعها أو إجلاؤها.

ثانيًا: تشجيع وتنظيم هجرة اليهود في العالم إلى أرض فلسطين لتكثيف الوجود اليهودي فيها، وربط هذه الهجرة بمنظمات محلية ودولية.

ثالثًا: بعث الشخصية اليهودية، بما ينبغي أن تحمله من مشاعر وعقائد وشعائر وتقاليد على المستوى الفردي والجماعي، وذلك بإحياء ما اندرس من تراث الديانة اليهودية نظريًا وعمليًا.

رابعًا: العمل على ضمان موافقة القوى الدولية على إنشاء هذا الكيان عند تهيؤ الفرصة لإعلانه.

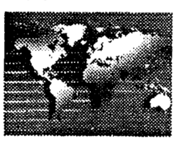
ولم يضيِّع اليهود الوقت في التشاغل بالخلافات - رغم تشعبها بينهم في كل العصور - ولكنهم تخطوا الدعوة إلى ما تتحد عليه القلوب، إلى السير خلف ما تحتمه العقول.

ولم يكد يمضي وقت طويل بعد انعقاد المؤتمر الأول، حتى كانت المساعي اليهودية الجماعية نحو الهدف والشعار، تتحرك في خطوات وئيدة، لكن نتائجها أكيدة، وإذا أرض (داود وسليمان) تبرز إلى الوجود تحت اسم نبي ثالث هو يعقوب أو (إسرائيل)!

ولنلق الآن نظرة على السنوات التي أعقبت المؤتمر الأول، وكيف سارت الأمور فيها، لنرى العلاقة بين (الأمل) و(العمل) عند اليهود في عصورهم الأخيرة، ولنقارن بعد ذلك بينها وبين العلاقة بين (الأمل) و(العمل) عندنا - نحن المسلمين - في عصورنا المتأخرة.

* في عام ١٨٩٨م - أي في العام التالي للمؤتمر الأول - وحَّد هرتزل الجماعات اليهودية ولمَّ شعثها في كيان واحد، واستطاع كسب تأييدها لمشروعه، وتمكن من رص صفوفها خلف برنامجه.

المسلمون



والعالم

* في عام ١٨٩٩م، تم تأسيس المصرف اليهودي، الذي كُلِّف بمهمة تمويل نشاطات الاستيطان في فلسطين، وتأمين الخدمات المالية التي تحتاجها الحركة الصهيونية الموحدة.

* في عام ١٩٠١م، تأسس (الصندوق القومي اليهودي) ليكون مسؤولاً عن شراء الأراضي في فلسطين من أصحابها العرب لتمليكها لليهود.

* في عام ١٩٠٣م قرر المؤتمر الصهيوني تركيز جهود الحركة اليهودية العالمية على أرض فلسطين وحدها، دون تشتيت الجهود في أماكن أخرى في العالم، اقتُرحت على اليهود لتأسيس دولة لهم فيها ـ كأوغندا أو العريش.

* في عام ١٩٠٧م قرر المؤتمر الصهيوني السادس أن يتولى بنفسه مهمة مباشرة النشاط الاستيطاني الاستعماري في أرض فلسطين، وشكَّل من أجل هذا شركة تعمل كفرع من فروع (المصرف القومي اليهودي).

* في عام ١٩٠٨م، أطلق أحد الاقتصاديين اليهود شعار: (التغلغل الاقتصادي) ووضع برنامجًا لتنفيذه باعتبار أن الاقتصاد هو المحرك الفعال للسياسة، إذا أُحسِن استغلاله.

* في عام ١٩١٣م قررت الحركة الصهيونية إنشاء (الجامعة العبرية) في فلسطين، لتتولى مشروع البعث الديني اليهودي بشكل أكاديمي منظم يضمن تنشئة الكوادر المخلصة للمبادئ الصهيونية.

* في عام ١٩١٤م، نشبت الحرب العالمية الأولى، فكانت نقطة انطلاق جديد للحركة الصهيونية ومؤتمراتها، حاولت من خلالها السعي للحصول على كسب التأييد الدولي للقضية اليهودية؛ نظرًا لما حدث خلال هذه الحرب من تعرض قطاعات من اليهود للإبادة في أفران الغاز على يد الزعيم الألماني الحانق على اليهود (أدولف هتلر).

* في عام ١٩١٧م، أثمرت جهود المؤتمرين اليهود في الوصول إلى



استصدار (وعد بلفور) الذي أعطت بريطانيا بمقتضاه الحق القانوني لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وقد كانت هذه مرحلة فاصلة في تاريخ اليهود المعاصر، حتى إن أحد الصهيونيين المعاصرين[1]، حدد تاريخ الصهيونية في مراحل محددة فقال: «إذا أمعنا النظر، نرى أن تاريخ الصهيونية ينقسم إلى أربعة أزمنة مختلفة: الأول: زمن التوراة، والثاني: الزمن السابق لهرتزل، والثالث: الزمن المعاصر لهرتزل، والرابع: الزمن التالي لتصريح بلفور».

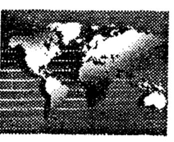
وتتسلسل القصة بعد ذلك بما هو معروف بعد وعد بلفور؛ حيث وجد اليهود في هذا الوعد ـ فرصة تاريخية حقيقية سنحت لهم للمرة الأولى منذ أكثر من ألفي عام لكي يحققوا ما بشرهم به نبيهم الكذاب (تيودور هرتزل)!

لقد حقق اليهود خلال المئة عام المنصرمة كثيراً من أحلامهم التي كانت ـ كما يقول الشاعر: حلماً فخاطراً فاحتمالاً، ثم أضحت حقيقة لا خيالاً، ولكن هل خلت مخيلاتهم من الأحلام المستقبلية الآن؟! وهل توقفت أطماعهم عند هذا الحد من العلو فقالوا: كفى؟!. أبداً، فما تزال جعبتهم ملأى بالأطماع، وما تزال الأهداف أمامهم ينتظر كل منها سهمه في تراخينا وخمولنا؛ والذي أريد قوله: إن الصراع الذي استمر قرناً ولا يزال مستمراً؛ مرشح للاستمرار عهوداً وعقوداً أخرى؛ فماذا يا ترى دبر اليهود لمئة عام أخرى قادمة..؟! وماذا يا ترى أعددنا ـ نحن المسلمين ـ لمواجهتهم ولو لعشر أعوام قادمة؟

بقي أن أشير إلى أن البرنامج المفصل لإفساد العالم على يد اليهود، والذي اشتهر باسم: (بروتوكولات حكماء صهيون) كان قد بدأ في وضعه منذ المؤتمر الأول لفيف من عتاة زعماء اليهود، يمثلون خمسين

---

(١) هو إيلي ليفي أبو عسل، في كتاب (يقظة العالم اليهودي) الذي طبع بمصر عام ١٩٣٤م.





جمعية يهودية، ولم يكونوا يخططون فقط للسيطرة على فلسطين، بل كانوا يخططون للسيطرة على العالم منطلقين منها، و ىن (أورشليم) لتثبيت عرش الحكومة العالمية برئاسة ملك من نسل داود ومن هناك وعبر وسائل ووسائط سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية، يستغل اليهود فيها جهود غير اليهود ويوظفونها لمصلحتهم هم، جاء في البروتوكول الثالث : « وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها، أي نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا» .

وجاء فيه : «إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا في مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً » .

وجاء في البروتوكول الخامس: «إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل. إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً إلا لأيد عريقة كأيدينا... إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلاً لها من قبل، والوقت متأخر بالنسبة لعباقرتهم، وإن عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة في أيدينا، هي التي تسمى.. الذهب»!.

إذن فالبروتوكولات تحدثنا عن صراع لم تنته أكثر فصوله..

أما نحن... فإننا نكتفي بالشك والتشكيك في البروتوكولات ومن وضعوها ومن نشروها.. ونغمض العين عمن نفذوها أو معظمها، ونظل نوغل في التغافل والتهرب، حتى نفاجأ بأن دولة اليهود (الصغيرة) قد أعدت لكل عاصمة عربية ـ ما لا يقل عن عشر قنابل نووية.. وعندها علت الأصوات : نحن عاجزون، نحن مضطرون. نحن مدفوعون إلى الاستسلام.. عفواً إلى السلام... بل سلام الشجعان!

حلف الأطلسي هل يرفع الرايات الصليبية بعدما لوّح بها؟

في الثاني والعشرين من إبريل عام ١٩٩٣م لم يكن مضى على استلام الرئيس الأمريكي (بل كلينتون) للحكم أكثر من ثلاثة أشهر، حين أقام احتفالاً في العاصمة الأمريكية بمناسبة افتتاح متحف المحرقة اليهودية، وبحضور عدد من رؤساء أوروبا بشرقها وغربها، في ذلك اليوم وقف رئيس وزراء الكيان الصهيوني الهالك (رابين) خطيباً يقول:

«إننا لسنا متأكدين بعدُ من أن الرئيس كلينتون وفريقه يدركان تماماً خطر الأصولية الإسلامية والدور الحاسم لإسرائيل في محاربتها، إن مقاومتنا ضد الإرهابيين المسلمين القتلة مقصود منها إيقاظ العالم الذي يرقد في سبات عميق على حقيقة أن هذا خطر جاد وحقيقي يهدد السلام العالمي».

في ذلك الحفل هطلت الأمطار وسادت الفوضى، وذهب حرس الرئيس كلينتون للبحث عن مظلات ليحتمي بها الضيوف، وفجأة ودون ترتيب بروتوكولي وجد الرئيس التشيكي «فاتسلاف هافل» نفسه إلى جانب الرئيس الأمريكي يحتميان ببعضهما. انتهز هافل الفرصة وقال: سيدي الرئيس! لماذا لا تفكر في تحريك مجتمع حلف الأطلنطي بقيمه المشتركة، وأنظمة دفاعاته إلى الشرق ليضم الدول الديمقراطية الجديدة في وسط أوروبا؟

هذا المشهد السينمائي الأخير يروّج له ساسة أمريكان على أنه الموحي والملهم للرئيس بفكرة توسيع (الناتو) شرقاً؛ كي يبعدوا واقعية التخطيط المسبق لتوسيع الحلف ولمحاولة إخفاء الأهداف الحقيقية وراء ذلك، ولتبدو الصورة استجابة رحيمة من رئيس عطوف على أوروبا الشرقية التي خرجت

المسلمون



والعالم



حسن قطامش

من العباءة الشيوعية لترى النور الغربي. ويبدو أن الأمريكان أخفقوا في هذا السيناريو الهوليودي غير المحبوك عن قصة التوسعة للحلف، التي سنعود إليها من أولها.

أنشئ حلف شمال الأطلسي (الناتو)، بعد الحرب العالمية الثانية، ليكون وسيلة دفاعية ضد ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي، وكانت دول أوروبا وحلفاؤها تشعر بالقلق تجاه السياسة السوفييتية التوسعية بعد أن ووجهت بالحاجة إلى إعادة بناء اقتصادها لفترة ما بعد الحرب. وبعد أن قامت الحكومات الغربية بتنفيذ تعهداتها على نفسها ـ خلال سني الحرب ـ بتخفيض مؤسساتها الدفاعية الخاصة، وتسريح القوات العسكرية، فوجئت هذه الحكومات بالتحركات السوفييتية للمحافظة على قواتها العسكرية بكامل عددها وعتادها، وازدادت المخاوف عندما فرض السوفييت أشكالاً من الحكومات الشيوعية على العديد من دول وسط أوروبا وشرقها؛ ونتيجة لذلك سعت الحكومات الغربية إلى تحالف جديد لفترة ما بعد الحرب العالمية لتأمين الدفاعات الأوربية ضد احتمالات التهديد السوفييتي، وكانت النواة الأولى للحلف وضعت في بروكسل، عام ١٩٤٨م بتوقيع معاهدة تعاون أمني ودفاع مشترك لمدة خمسين عاماً بين كل من فرنسا وبلجيكا ولوكسمبورج وهولندا وبريطانيا، ثم أعلن عن تأسيس الحلف رسمياً بوصفه منظمة دفاعية في ٤ أبريل ١٩٤٩م بإضافة البرتغال وإيطاليا والولايات المتحدة وكندا



وأيسلاندا والنرويج والدنمارك، ثم انضمت في عام ١٩٥١م كل من اليونان وتركيا ثم ألمانيا، والتحقت أسبانيا في العام ١٩٨١م سياسياً فقط.

وتشمل وثيقة الحلف الرئيسة معاهدة للتعاون الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بين الدول الموقعة يستهدف بشكل رسمي ترسيخ القيم الغربية، أما شعار الحلف فهو: «الاعتداء على دولة واحدة... اعتداء على الجميع».

ويبلغ حجم قوات الحلف مجتمعة، بدوله الست عشرة ٤,١ مليون جندي!! بينما تصل ميزانية الدفاع لهذه الدول مجتمعة ٤٣٧,٨ بليون دولار.

ماذا يعني توسيع الحلف.. شرقاً؟

بعد هدوء الضجيج الشديد الذي أثارته قمم هلسنكي، ودنفر، ومدريد بين روسيا ورئاسة الناتو الأمريكية استقر الأمر على الموافقة على إدخال كل من بولندا والمجر والتشيك أعضاء جدداً في الحلف من كتلة أوربا الشرقية، على أن يظل الباب مفتوحاً أمام دول أخرى حين تستوفي الشروط الأطلسية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ألم يكن حلف الأطلسي (الناتو) أقيم لمناهضة التطلعات التوسعية للاتحاد السوفييتي البائد؟ وأن الحلف معني أساساً بذلك؟ فلماذا إذن بقاء الحلف فضلاً عن توسعته؟

ونجيب أولاً عن ذلك من خلال مرئيات السياسة الأطلسية الرسمية، أما الإجابة الأخرى فلها شأن آخر، والوجه الرسمي المعلن تجيب عنه سيدة الخارجية الأمريكية في مقال نشر في (لوس أنجلوس تايمز) ونقلته جريدة القبس في ١٣/٧/١٩٩٧م، تقول أولبرايت: إن توسعة حلف الناتو لها أسباب أربعة:

الأول: أن توسيع الناتو سيجعله أقوى وأكثر تماسكاً، فشركاؤنا الجدد يشاركوننا قيمنا وتطلعاتنا الأساسية لأوروبا والعالم.

الثاني: أن توسيع الحلف يقلل من مخاطر مشاركة جنود أمريكيين في حرب أخرى داخل أوروبا.



الثالث: أن توسيع الناتو سيساعدنا في الدفاع عن مكتسبات أوروبا الديمقراطية والسلمية والاندماجية.

الرابع: تصحيح أخطاء الماضي، فقبل ثلاث سنوات قررنا أنه إذا كان الحلف لم يعد من مؤسسات الحرب الباردة التي تستهدف روسيا، فإن من غير المنطقي أن تقصر عضويته على الدول الأعضاء في حقبة الحرب الباردة.

الموقف الروسي:

كذلك سنبدأ بالصورة المعلنة من الموقف الروسي، فالاتحاد السوفييتي هو السبب الرئيس لقيام حلف شمال الأطلسي لوقف تطلعاته التوسعية في أوروبا، ومع الانهيار المدوي للاتحاد، اغتر الغرب، وبدأ بتنفيذ خططه التي منها توسيع حلف الأطلسي ليقف بقواته وعتاده على الأبواب الروسية لمنع أي نوايا لإعادة بناء الإمبراطورية الشيوعية، وكذلك تطويق المنافذ الروسية إلى أوروبا، ومنع امتداد نفوذها، فليس هناك معنى لضم المجر وتشيكا، وبولندا التي كانت مقراً لحلف وارسو ـ وهي دول شيوعية سابقاً قريبة من الحدود الروسية، بل والوعد لدول أخرى أشد قرباً «دول البلطيق» ـ ليس هناك معنى لكل ذلك إلا إذلال الأمبراطورية الشيوعية التي طالما أجهدت الغرب في سني الحرب الباردة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

ولكن كيف تقبل روسيا بهذا الوضع، ولماذا؟!

كما هو معروف في العلاقات السياسية أنه ليس هناك عداوت دائمة، ولا صداقات دائمة، بل هناك مصالح فقط، وعليه فإن الوضع الروسي الآن لا يسمح بمواجهة الغرب والوقوف أمامه لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا عسكرياً.

فالجيش الأحمر فقد لونه واعتل دمه، وأنياب الدببة تساقطت، فالحكومة لا تستطيع أن توفر له سوى وجبة طعام واحدة خلال اليوم الواحد!!

وهذا يعني أن الاقتصاد الروسي في حالة انهيار شديد؛ ومعنى أن تحاول



روسيا إعادة بناء جيشها فإن ذلك فيه القضاء على حلم الانتعاش الاقتصادي.

وإن الارتباط بالغرب الأمريكي الآن يمكن اعتباره متماشياً مع العصر الأمريكي حتى إشعار آخر.

هناك أيضاً الخوف الروسي من العملاق الصيني، وهي الجارة الكبيرة التي يتوقع أن يكون لها تأثير كبير في الساحة الدولية خلال سنوات قليلة، مع الخوف الأكثر من الطمع الصيني في أراضي سيبيريا القليلة السكان؛ فالانضواء تحت الجناح الغربي مصلحة روسية بلا شك.

أيضاً كان على يلتسن أن يرد الجميل للرئيس كلينتون الذي دعمه بفريق من الخبراء الأمريكيين لإدارة حملته الانتخابية ومساعدته للفوز بالرئاسة مؤخراً.

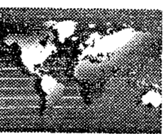
والأهم من ذلك كله أن روسيا ليس لديها ما يحفزها على التخلي عن الغرب من أجله، فها هي تترك العرب المشارقة والمغاربة إلي مصيرهم الجديد.

ومع ذلك فروسيا تمتلك ما يخشاه الغرب، وهو السلاح النووي، وهو ما يدفعها للتفاوض بقوة للحصول على أكبر ثمن ممكن نظير قبول كل هذا الذل، وهذا ما كان مثار مناقشات في الفترة الأخيرة تمخضت عن اتفاق روسي أطلسي يكون لروسيا فيه حق الجلوس على الموائد الدبلوماسية للحلف للإصغاء والمراقبة والاقتراح والمشاورة.. ولكن دون أن تقرر شيئاً، وتم التوقيع على ذلك، وعقب التوقيع مباشرة أعلن صندوق النقد الدولي عن تحويل عشرة بلايين دولار قرضاً لروسيا، وتم تحويل ٧٠٠ مليون دولار منها فوراً.

حقيقة القصة .. والقصة الحقيقية:

كان هذا هو الوجه المعلن من التوسيع، ويظهر منه التعمد الرسمي أن هذه الخريطة الجديدة للعالم بحكومتها الأطلسية وقياداتها الغربية النصرانية ليس للمسلمين علاقة بها ولا ارتباط.

فعلى الصعيد القومي العربي لم يعد هناك للعرب المشارقة أو المغاربة



أي تحالفات يمكن الركون إليها؛ فالتوسع الأطلسي والتخاذل الروسي كانا المسمار الأخير في نعش التحالفات العربية؛ بحيث لا يبقى معارض للإملاءات الأمريكية والغربية، ولكن يبدو حتى الآن أن عرب الشرق غير مصدقين بانتهاء روسيا كدولة عظمى يمكن الركون إليها عند غضب القبلة الغربية، أما عرب الغرب فإن الناتو قد وضع قواته على أراضيهم قبل توسيعه إلى شرق أوروبا عبر تحالفات ثنائية دفاعية وتدريبية، فليس هناك حاجة إلى ضمها إلى الناتو اسمياً، فالواقع أبلغ.

إذن فما قصة حلف شمال الأطلسي مع العالم الإسلامي، والظاهرة الإسلامية خاصة؟

بداية: أي حلف لا بد أن يكون له عدو، وإلا ما كان لوجوده أي فائدة، والإسلام للغرب النصراني عدو دائم وليس عدواً جديداً ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

ففي التاسع والعاشر من يونيو ١٩٩٤م عقد اجتماع ضخم في «اسطنبول» ـ لاحظ المكان ـ شارك فيه أربعون وزيراً للخارجية والدفاع بالدول الغربية في اجتماعين منفصلين، ضم الأول وزراء حلف شمال الأطلسي الذي يضم كافة الدول الأوروبية سواء الشرقية منها أو الغربية وكذلك ضم الاجتماع روسيا!! وكان محور الاجتماعين يدور حول وضع خطة لمواجهة الخطر القادم بعد زوال الشيوعية، وبعد عشرات الاجتماعات التي عقدت بين الوزراء الأعضاء في الحلف كُلِّف الأمين العام للحلف «ويلي كلايس» رسمياً بإعداد ورقة عمل للحلف عن خطر الأصولية الإسلامية، كونها تشكل التهديد الأخطر بعد زوال الشيوعية، وبعد إعداد كلايس للتقرير صرح في فبراير ١٩٩٥م خلال مؤتمر أمني عقد في ألمانيا أنه: «منذ انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية، قبل خمس سنوات، برز الدعاة المسلمون المتطرفون ربما كأخطر تهديد يواجه التحالف والأمن الغربي» الأنباء ١٢/٢/١٩٩٥م عن الواشنطن بوست.



وقبل ذلك بأيام صرح في حديث لصحيفة ألمانية قائلاً: «إن الأصولية هي ـ على الأقل ـ خطيرة كما كانت الشيوعية، ونرجوكم ألا تقللوا من شأن هذا الخطر».

كانت تصريحات كلايس ملخصاً لورقة العمل التي كلف بإعدادها وبدأ في تنفيذها كاستراتيجية جديدة للحلف التي بها يتفرغ تماماً لمحاربة دين الله العزيز الحكيم!

إرهاصات ما قبل التصريح والنتائج:

لم يكن الاجتماع ولا التصريح من قادة الأطلسي هو البداية الحقيقية لقيام الحلف النصراني بإعلان الحرب على المسلمين، ففي العام ١٩٩٢م، وفي بداية حرب البوسنة صرح وزير الإعلام الصربي قائلاً: «نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة» وعندما تجاوز الصرب الحدود التي رسمت تكفل حلف شمال الأطلسي بحفظ السلام في البوسنة!! وفي ٧/٩/١٩٩١م ومع استقلال الشيشان حذرت صحيفة الأندبندنت في تقرير لها من أن الأصولية الإسلامية ستكون البديل للأنظمة القائمة في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي سابقاً، وحذرت من تنامي المد الإسلامي السريع في هذه المناطق.

وفي افتتاحية للصاندي تايمز: «إن الغرب والاتحاد السوفييتي ينبغي أن يستعدا لمواجهة إسفين إسلامي أصولي هائل يمتد من شواطئ البحر المتوسط في شمال إفريقيا إلى آسيا الوسطى إلى حدود الصين».

وفي العام ١٩٩١م كذلك صرح الجنرال هيلموت فالمان قائد الفيلق الأوروبي عقب الانهيار السوفييتي: «كل شيء واضح الآن!! إن محور التهديد ضد أوروبا انتقل نحو الجنوب!!».

وفي ٢٢/ ٤/ ١٩٩٣م كان حفل افتتاح متحف المحرقة اليهودية في واشنطن وخطاب رابين الذي أشرت إليه سابقاً.

وفي العام نفسه ظهرت مقالة د. صموئيل هنتغتون «صدام



الحضارات » ـ التي تحولت بعد ذلك إلى كتاب ـ يقول فيها : إن الإسلام أصبح الخطر الجديد على الغرب بعد زوال الشيوعية.

وفي ٢٩/١/ ٩٤م وعقب عودته من واشنطن والاجتماع مع كلينتون، صرح المستشار الألماني هيلموت كول في اجتماع ضم ٢٠٠ من كبار المسؤولين الغربيين المهتمين بشؤون الدفاع قائلاً :

« لا يسعني إلا أن أنصح الغربيين بأن يستفيقوا من سباتهم!! هناك خطر حدوث مواجهة مع ٨٠٠ مليون مسلم في العالم ».

ويأتي وزير الدفاع الفرنسي حينها « فرانسوا ليوتار » ليقول : « إن الأصولية الإسلامية تغرز خنجرها عميقاً في صدر أوروبا وإفريقيا ».

ويبدو أن هذا التصريح لم يرق لوزير الاقتصاد الألماني، فزايد عليه قائلاً : إن فرنسا لم تعد منذ فترة طويلة هي البلد الوحيد المهدد، وإن التطرف الإسلامي يهدد ألمانيا أكثر فأكثر!! ثم تساءل : لماذا علينا أن نسمح بدون حدود ببناء مساجد وإدخال نمط الحياة الإسلامية إلى بلادنا؛ بينما لا ترفع هناك في الوقت نفسه القيود المفروضة على المسيحيين والتمييز بحقهم؟

وفي ٦/٨/١٩٩٤م نشرت مجلة « الإيكونومست » دراسة مهمة تحت عنوان : « الإسلام والغرب، يقولون إنها الحرب المقبلة » وتدور الدراسة حول تحليل الصراع القائم والقادم بين الإسلام والغرب.

وفي ٦/٢/١٩٩٥م قدم نيوت جنجريتش للمجلس عقب فوزه بمنصب رئيس مجلس النواب الأمريكي (الكونجرس) خطة مكونة من أربع نقاط لمواجهة « الإرهاب الإسلامي » المزعوم وقال : إن تطوير خطة استراتيجية متماسكة لمقاومة الإرهاب الإسلامي، يجب أن يكون لها الأولوية الأولى، إن علينا أن نتجاوز لغة العقوبات الاقتصادية والإدانات السياسية، إن من واجبنا أن نساعد الجزائر أن تعيش!! وأن نساعد على استمرار السياسات العلمانية في مصر وتركيا، إن هذا من شأنه أن يشل



« القوى الاستبدادية » سواء تلك التي تقتل الإسرائيليين في الضفة الغربية، أو تقتل الأمريكيين في نيويورك، إن الأصولية تعني إعلان الحرب على الحضارة الحالية للعالم، وعلينا أن نتعامل مع هذا الموقف على أنه فعلاً « حرب معلنة ».

وفي ٦ / ٢ / ١٩٩٥م اجتمع وليام بيري وزير الدفاع الأمريكي السابق مع عدد من كبار المسؤولين في حلف شمال الأطلسي خلال ندوة رسمية عقدت في ميونخ، وصرح قائلاً:

إن حالة عدم الاستقرار التي تنتشر على طول المتوسط لا تهدد الأنظمة الصديقة في شمال إفريقيا فحسب، بل تهدد أوروبا أيضاً.

وأخيراً في ٧ / ٢ / ١٩٩٥م كان تصريح ويلي كلايس الأمين العام السابق لحلف شمال الأطلسي آنف الذكر.

لم يكن هذا الكم من التصريحات النصرانية الأطلسية العدائية إلا قطرة في بحر من العداء النصراني لدين الله (تعالى) ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وفي شهر يوليو الماضي ١٩٩٧م كانت الصياغة النهائية للمشروع الأطلسي الجديد بزعامة أمريكية كالتي كانت في قمة مدريد التي سبقتها بقليل قمتا هلسنكي ودنفر، وقد اتضح الدور بصورة أكثر جلاء عبر الصحافة العالمية، فنشرت الهيرالدتربيون مقالاً تحت عنوان: « حلف شمال الأطلسي معني بمواجهة مد الانبعاث الإسلامي » ونشرته جريدة الأنباء في ٢١ / ٣ / ١٩٩٧م وجاء فيه: إن تحالف الأطلسي الجديد لا يصوِّب أسلحته النووية وقوات الانتشار السريع نحو الشرق!! ـ يقصد به روسيا ـ ولكن حلف الأطلسي ينظر بقلق في اتجاه آخر، إلى جنوب وشرق أوروبا، فهو يتساءل عن كيفية منع صدام حسين آخر من القيام بمحاولة للاستيلاء على نفط الخليج، وكيفية السيطرة على اندفاعات الانبعاث الإسلامي في



الجزائر ومصر وإيران، وكيفية التعامل بيد ثابتة مع الإضرابات في آسيا الوسطى، وكيفية حدوث تفكك دموي لمعظم إفريقيا؛ هذا هو برنامج حلف الأطلسي الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة.

لقد أصبح لدينا مقومات تحالف دائم للديمقراطيات الغربية، وجيش قائم وجاهز للتعامل مع أي أزمات يمكن أن نواجهها في غرب آسيا وشمال إفريقيا خلال القرن المقبل أ.هـ.

إن المسلمين الآن لا يواجهون حلفاً من ست عشرة دولة سيضاف إليها ثلاثة أخرى هذا العام وثلاثة أخرى عام ١٩٩٩م ـ وهي دول البلطيق ـ ولكننا نواجه حلفاً يتكون من أربع وأربعين دولة !! وهو يعتبر أكبر تحالف في التاريخ، فإن ثمة مجلساً ظهر في ٣٠/٥/١٩٩٧م يسمى: «المجلس الأوروبي للتعاون الأطلسي» وقد عقدت اجتماعاته عقب قمة مدريد في يوليو السابق بحضور الدول الست عشرة المعلنة وثمان وعشرين دولة أخرى وقَّعت مع الحلف ميثاقاً خاصاً، ومن بينها كل دول الاتحاد السوفييتي السابق، وقد صرح وليام كوهين وزير الدفاع الأمريكي اليهودي في ١٤ يوليو ١٩٩٧م بعد قمة مدريد وبعد زيارته لأوكرانيا بأن «انضمام كل دول الاتحاد السوفييتي السابق إلى الحلف أمر قادم لا محالة».

وقد نظمت الولايات المتحدة على أراضيها في ٣٠/ ٨/ ١٩٩٥م مناورات عسكرية مشتركة لحلف الناتو جمعت دولاً شيوعية قديمة تحت عنوان: «الشراكة من أجل السلام» ضمت أمريكا وكندا وبريطانيا من حلف الأطلسي، وألبانيا، وبلغاريا، والتشيك، واستونيا، والمجر، وقيرغستان، ولاتفيا، وليتوانيا، وبولندا، ورومانيا، وسلوفيكيا، وأوكرانيا، وأوزبكستان.

وعلى هذا فالمسلمون أمام أربع وأربعين دولة مجهزة بأحدث الأسلحة وتتحكم في ٧٠٪ من إنتاج العالم بزعامة حلف الأطلسي؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل.



موقف الدول العربية:

خدعة كبرى صدقتها الدوائر الرسمية العربية تلك التي وجهها الغرب: أن حرب حلف شمال الأطلسي هي مع الأصولية وليست مع الإسلام!! وما ذلك إلا ليجد السند القوي والتعاون من الدول والأنظمة الصديقة التي يهدد بنيانها ويقوضه الإرهاب الإسلامي!! وما دام في المسألة زعزعة استقرار أنظمة فلا بد إذن من التنسيق والترتيب مع حلفائهم الأطلسيين، فكان من مبادرة الحلف إجراء مباحثات ـ كذلك ـ تحت عنوان «الشراكة من أجل السلام» وهو ما عرف ويعرف حتى الآن بـ «الحوار المتوسطي» وهذا المشروع استهدف تحسين الرؤية السياسية الشاملة مع ست دول متوسطية لضمان الاستقرار في منطقة البحر المتوسط، وقد بدأ في فبراير أيضاً ـ ١٩٩٥م مع كل من مصر وتونس والمغرب وموريتانيا وإسرائيل والأردن سعياً إلى تبادل الرؤى الأمنية بين هذه الدول وحلف الأطلسي، وفتح أبواب المعاهد الحربية للعسكريين من هذه الدول المتوسطية، ومشاركتهم في الندوات الأمنية، مع الاشتراك في مناورات عسكرية مشتركة بين الحلف وهذه الدول.

وسبق هذا الحوار المتوسطي اجتماع سري عقد في نهاية صيف عام ١٩٩٤م عقده ممثلو الدول الغربية مع بعض الخبراء العرب في رحاب جامعة إكسفورد لمناقشة بعض الترتيبات الأمنية!! أما اللاحق بعد السابق، وعقب مبادرة كلايس، فكانت هناك زيارات لعدد من رؤساء الدول الإسلامية لواشنطن، وكان أول الزائرين رئيسة وزراء باكستان السابقة بي ناظير بوتو، وكان ذلك في إبريل ١٩٩٥م، وكان على رأس جدول الأعمال: تفكيك القواعد والمواقع التي يستخدمها المجاهدون العرب داخل باكستان.

وإن المراقب لتلك الفترة الزمنية يجد أن المواجهات للحركات الإسلامية قد ازدادت حدة، بداية من تكميم الأفواه الناطقة بالحق، وتحويل



المحاكمات المدنية إلى عسكرية، ومن السجن إلى الإعدام، وجاءت التبريكات الغربية والإشادة النصرانية بالجهود المبذولة في ذلك!

ونختم هنا بتصريحين: أولهما ـ نسأل الله أن يكون سبباً في إيقاظ النائمين المحاربين لدين الله ممن ينتسبون إليه ـ وهو لـ «يوجين روستو» رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية ومستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون لشؤون الشرق الأوسط.. يقول:

إن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة النصرانية «الغربية» لقد كان الصراع محتدماً بين النصرانية والإسلام منذ القرون الوسطى، وإن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها معادية للشرق الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي [الشرق/ ١٥٢/٣/٦/٩٥م].

أما الآخر فهو لصموئيل هنتغتون في حوار أجرته معه مجلة المجلة في عددها ٨٩٦/١٣/٤/١٩٩٧م يقول: «ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً، وليس هناك أي شك في ذلك، وما دام الغرب سيبقى غرباً، ولا يتوقع أحد أن يصبح الغرب شرقاً، فسيظل الصراع قائماً بينهما كما ظل قائماً لأربعة عشر قرناً».

ولعلنا لا نذهب بعيداً إذا أشرنا إلى أن كل هذه التجهيزات النصرانية هي للملحمة(*) التي أخبر عنها سيد البشر عليه الصلاة والسلام ـ والتي كما هي عقيدة لدينا ـ فهي تعمل في عقولهم بشدة شديدة.

تنبيه: يواصل الكاتب حلقات: عولمة أم أمركة .. في العدد القادم إن شاء الله.

(*) انظر/ مسند الإمام أحمد / مسند الشاميين، ومسند الأنصار، وأبا داود في الجهاد، والملاحم وابن ماجة في الملاحم، والفتن.

دروس من زائير . .

فهل نستفيد ؟

بعد استقلال زائير قام موبوتو العائد من دراسة الاقتصاد السياسي في فرنسا بانقلاب عسكري في زائير عام ١٩٦١م بدعم من المخابرات الأمريكية ضد الرئيس لومومبا، فهرب (كابيلا) المؤيد للنظام السابق إلى الأدغال مع مجموعة من أنصار الرئيس لومومبا، وتبنى النهج الماركسي، وبدأ الحرب على موبوتو، لكنه بقي ضعيفاً، ثم فجاة وخلال سبعة أشهر استطاع إسقاط نظام موبوتو في واحدة من أسرع الحملات العسكرية في تاريخ إفريقيا الحديث، وكانت شرارة البداية عندما أبلغ حاكم مقاطعة جنوب كيفو الزائيرية ٣٠٠ ألف من التوتسي الذين يعيشون في تلك المنطقة بوجوب مغادرة البلاد؛ وذلك بعد سيطرة إخوانهم التوتسي على (رواندا) و(بوروندي) وانتزاع حكمهما من الهوتو المدعومين من موبوتو.

وكابيلا ليس من التوتسي؛ لكن معركته يخوضها جنود رواندين وأوغنديون وأنغوليون إلى جانب توتسي شرق زائير، ولعل وضعه قائداً من أجل طمأنة الأعراق الأخرى في زائير.

لكن السؤال: من يقف خلف هذه الحركة، ومن المستفيد منها، ومن الخاسر وما الآثار المتوقعة لها؟

أما من يقف خلف هذه الحركة ويستفيد منها: فهم عدة أطراف: أولها الدول المجاورة خاصة رواندا المحرك الأساس للتمرد؛ لأنها تعتقد أن هوتو رواندا اللاجئين في شرق زائير يخططون لغزوها، فكان هدف رواندا إقامة منطقة عازلة شرق زائير، لكنها لم تتوقع اكتساح المتمردين لمدن زائير بتلك السهولة، وقد اعترف نائب رئيس رواندا أن قواته أسهمت في إسقاط أربع مدن زائيرية.

كذلك تستفيد منها بوروندي التي يحكمها التوتسي، وكذلك أوغندا التي





بقلم: إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

يتزعمها زعيمها موسيفيني الائتلاف القوي للزعماء الذين يقفون خلف كابيلا، فقد تسلم حكم أوغندا عام ١٩٨٦م بدعم من الجالية التوتسية الرواندية الكثيفة العدد في أوغندا، وساعد منذ ١٩٩٠م الحركات التوتسية المتمردة التي سيطرت على رواندا وبورندي عام ١٩٩٤م، وأخيراً كابيلا.

ولا يُخفي الرئيس الأوغندي حلمه في إقامة دولة التوتسي الكبرى التي تضم أوغندا ورواندا وبوروندي وأجزاء من زائير، وتمتد شمالاً من منطقة البحيرات إلى السودان وغرباً إلى الكونغو، وتشكيل منطقة مهمة بموقعها الاستراتيجي مع غناها بمواردها الطبيعية.

وبالجملة: فسبع دول من الدول التسع المجاورة لزائير تقدم الدعم للمتمردين بسبب عدائها لموبوتو لدعمه حركات التمرد فيها.

أما المستفيد الثاني والأكبر: فهو أمريكا حيث تستفيد نفوذاً سياسياً واقتصادياً، أما النفوذ السياسي: فبعد انتهاء الحرب الباردة انتقلت المواجهة في إفريقيا من صراع بين الشرق الماركسي والغرب الرأسمالي إلى صراع بين الغرب الأمريكي والغرب الفرنسي، والمفهوم الأمريكي يتجه إلى الإعداد لخريطة إفريقية جديدة عن طريق ضم بعض الدول وإعادة تركيبها؛ بناءً على أسس قبلية؛ فتكون بذلك دولة التوتسي الكبرى ـ إذا ما قامت ـ هي الحليف الاستراتيجي لأمريكا على غرار إسرائيل في الشرق الأوسط أي إنها ستكون إسرائيل الإفريقية: أقلية عددية تتمتع بتفوق نوعي وبدعم أمريكي؛ وذلك جرياً على عادة الاستعمار في دعم الأقليات، ويصبح كابيلا رجل واشنطن والركن الركين لسياستها في المنطقة حيث تحيطه بزمرة من الشباب المتعاونين معه المتخرجين من الجامعات الأمريكية.



أما سبب عدم تدخل أمريكا المباشر بجنودها في إفريقيا ولجوئها إلى أفارقة يقومون بتنفيذ مخططاتها: فلا شك أنه درس من الهزيمة القاسية التي تلقتها في الصومال حيث خرجت تجر أذيال الخيبة خاصة بعد مقتل ١٥ جنديًا عام ١٩٩٣م في مواجهة مع الصوماليين، وكان لمنظر الجندي الأمريكي القتيل الذي يجره أطفال الصومال بحبل وهو شبه عارٍ - كان لهذه الصورة أثر عظيم على الرأي العام الأمريكي، الذي كان سببًا في تعجيل الخروج من الصومال؛ وبعد ذلك رأت أمريكا أن التدخل بواسطة العملاء الأفارقة هو الأوْلى.

ونتيجة للصراع الأمريكي الفرنسي في إفريقيا عملت أمريكا على إلحاق زائير الفرنسية بالحظيرة الأمريكية التي وسعتها ببعض دول شرق إفريقيا: إرتريا - إثيوبيا - أوغندا، إضافة إلى العميل قرنق.

إذن: فإفريقيا تعيش مرحلة تحوُّل بعد انتهاء الحرب الباردة تسعى فيها أمريكا إلى إيجاد موطئ لأقدامها على حساب القوى التقليدية الأوروبية مثل فرنسا.

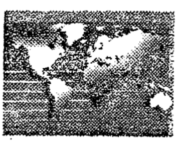
وأما من الناحية الاقتصادية فتمثل إفريقيا في القرن ٢١، من المنظار الأمريكي، السوق الاستهلاكية البديلة عن آسيا؛ حيث تراجعت الصادرات الأمريكية أمام منتجات اليابان والصين والنمور الآسيوية الصاعدة.

وزائير أكبر دولة في المنطقة ثروةً ومساحةً وبشرًا، وهي تختزن ٦٠٪ من الكوبالت في العالم، ومخزوناتٍ ضخمة من النحاس والفضة والذهب والحديد والمنجنيز واليورانيوم والبترول الخام؛ إضافة إلى موارد طبيعية من مياه وغابات وعاج ومطاط وموز وكاكاو وزيت نخيل وشاي وسكر..

ولذا: وصلت إلى مدينة لومومباشي أسراب من الطائرات الخاصة التابعة لمديري الشركات الأمريكية؛ وذلك لعقد صفقات تجارية مع كابيلا حتى قبل أن يزحف نحو العاصمة كنشاسا.

وقد وقَّع وزير المناجم في حكومة كابيلا في المنفى - وقع عملية استثمار مع الشركة الأمريكية لحقول المناجم بمبلغ يزيد على بليون دولار، فأمنت الشركة لكابيلا السيولة المالية لدعم حركته عن طريق شراء الألماس الذي اكتشفه أنصاره في المناطق التي احتلوها، بل ووفرت له طائرة للانتقال داخليًا وخارجيًا.

أما المستفيد الأخير: فهو إسرائيل حيث إنها تسعى للسيطرة على أسواق



السلاح الإفريقية، والاقتراب من منطقة البحيرات العظمى حيث ينبع النيل لإيجاد موطئ قدم لها على البحر الأحمر؛ لكي لا يكون بحيرة عربية، وهي ـ بالإضافة إلى جنوب إفريقيا ـ تعمل كرديف للسياسة الأمريكية في القارة الإفريقية.

أما بالنسبة للأطراف الخاسرة في هذه المعركة: فلا شك أن أولها موبوتو الذي كان يخدم المصالح الأمريكية لأكثر من ٣٠ سنة من خلال التعاون مع الأمريكيين ضد الحكومات اليسارية والماركسية التي كانت في أنجولا وموزامبيق وغيرها؛ لكن بعد هزيمة الماركسيين لم يعد موبوتو مهمًّا مثلما كان؛ والأمريكان يريدون توسيع مصالحهم السياسية والاقتصادية، لذا كان لا بد من إيجاد البديل الأقدر منه على تلبية المصالح الأمريكية الجديدة.

وقد أسهم موبوتو في إسقاط نفسه بنفسه؛ فخوفه من حدوث انقلاب جعله يحكم بمبدأ فرِّق تسدْ بين الهيئات الأمنية المختلفة. يقول محلل عسكري: إن الجيش الزائيري لم يكن أبدًا أداة للحرب، وإنما كان أداة أمنية مخصصة لحماية الرئيس؛ إضافة إلى أن الجنود بلا مرتبات لعدة شهور؛ بل كان قادة الجيش وقت اشتعال المعارك يبيعون الأسلحة التي تم شراؤها لشن هجوم مضاد نهائي على المتمردين ـ يبيعونها إلى حركة يونيتا المتمردة في أنجولا.

أما ثاني الأطراف الخاسرة: فهي فرنسا فقد خسرت كنزًا ماديًا ومعنويًا وثقافيًا كانت تتمتع به طيلة قرون عديدة؛ ويتمثل في ثروات هذه البلاد، ولم تعد أمريكا راغبة في أن تشاركها فرنسا في اقتسام الكعكة الزائيرية.

لم تجرؤ باريس على القيام بعملية منفردة إنقاذًا للنظام الموالي لها في زائير؛ وذلك بعد الانتقاد الحاد الذي تعرضت له لتدخلها في رواندا عام ١٩٩٤م.

أما سبب استيلاء أمريكا على منطقة النفوذ الفرنسية هذه، فإنه يرجع إلى الخلاف القديم المستمر بين أمريكا وفرنسا؛ فالأخيرة منذ عشرات السنين وهي تعتز بذاتها وتريد أن تكون مستقلة لا تابعة لأمريكا؛ ويظهر ذلك من خلال اهتمامها المعروف بلغتها وتمسكها بذلك في جامعاتها، بل وسعيها لنشرها بواسطة (تجمُّع الفرانكفونية) على الرغم من أن التفوق من حيث الانتشار في العالم هو للغة الإنجليزية. ومظهر آخر لذلك هو الشكوى الدائمة التي يبديها

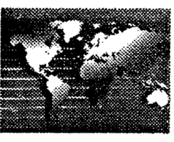


مثقفو فرنسا من خطر انتشار الثقافة الأمريكية في فرنسا، ودعوتهم لحماية ثقافتهم من خطر الأفلام والمسلسلات الأمريكية وانتشارها في فرنسا، وأنه سبيل لنشر الثقافة الأنجلو ـ سكسونية؛ لحماية ثقافتهم الفرانكفونية؛ ومثال آخر على ذلك: هو مقاطعتها لاجتماعات حلف شمال الأطلسي لمدة ٣٠ عاماً حتى عام ١٩٩٥م بسبب الخلاف على قيادة حلف الأطلسي واحتجاجاً على الهيمنة الأمريكية على ذلك الحلف.

ومع قدم هذين المسوِّغين للعداء الفرنسي الأمريكي إلا أن أمريكا امتنعت سابقاً عن التدخل في مناطق نفوذ فرنسا؛ وذلك بسبب الحرب الباردة وحاجتها إلى توحيد الصف الغربي ضد الاتحاد السوفييتي السابق، أما بعد سقوط الماركسية فلم يعد لذلك التحفظ مسوِّغ، إضافة لما صدر من مواقف فرنسية محرجة للأمريكيين كان طابعها الاستعراض والمراءاة أمام العالم؛ فكان لا بد من تأديبها حتى تعود لبيت الطاعة الأمريكي، ومن تلك المواقف زيارة الرئيس الفرنسي إلى سراييفو في بداية حرب البوسنة ودعوة فرنسا الدائمة للمجتمع الدولي أن يوقف الحرب؛ فظهرت بمظهر المدافع عن المظلومين أكثر من غيرها، إضافة إلى ما قام به الرئيس الفرنسي شيراك من زيارة القدس والاستعراض أمام كاميرات التلفاز بتلمسه ذلك وتهديدهم بقطع الزيارة، إلى غير ذلك من الاستعراضات؛ فكان لا بد من تأديبه وإخضاعه وإيقافه عند حده، لتبقى السيادة لزعيم النظام العالمي الجديد كما تصورها هو!

أما ثالث الأطراف الخاسرة فهو السودان؛ فقد كان يستخدم زائير للهجوم من أراضيها على قرنق، وقد ذكرت جريدة الواشنطن بوست أن الحكومة الأمريكية تنسق مع يوغندا ورواندا بشأن السودان.

ويفترض المخطط الأمريكي إنهاء النفوذ العربي والإسلامي عن طريق إقامة نواة إفريقية صلبة تتعاون مع إسرائيل كقبيلة التوتسي، وإغلاق بوابة العبور العربية الإسلامية باتجاه إفريقيا والمتمثلة بالسودان؛ وذلك بما يشاهد من حصار اقتصادي عالمي يدبر ضد السودان، يتزامن مع دعم عسكري يقدم لرفيقهم قرنق لإنجاح عملية انفصال الجنوب عن الشمال المسلم. ولا يقف المشروع التوتسي عربياً عند حدود السودان؛ بل يتعداه للإمساك بمنطقة البحيرات



ومنافذ البحر الأحمر ومنابع النيل وكلها أوراق ضغط على مصر وهي الطرف الرابع الخاسر من هذه الحرب إضافة لقيام (إسرائيل) ببناء ٤٠ سداً ومشروعاً للري والزراعة والكهرباء على نهر النيل الأزرق قبل أن يدخل السودان، واستصلاح ١٥٠ ألف فدان من الأراضي الأثيوبية المجاورة للسودان، تعتمد في ريها على المياه المخصصة لمصر من نهر النيل.

لكن مصر عن هذا الخطر غافلة وعلى عدائها للسودان مستمرة، وما يفعله قرنق من محاولة فصل جنوب السودان في زعمها شأن داخلي لا علاقة لها به مع أنها هي المستهدفة مما يحدث أكثر من السودان، فهل تصحو مصر من غفلتها قبل أن يلتف الحبل على عنقها؟ أم تأخذها العزة بالإثم؟!

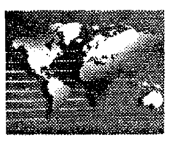
ومن الأطراف الخاسرة في هذه الحرب نيجيريا التي جعل تقرير البيت الأبيض عن استراتيجية أمريكا خلال القرن المقبل، جعل من أهدافه تخفيض تصدير المخدرات الإفريقية خاصة من نيجيريا إلى أمريكا.

ويظهر مدى العداء بين أمريكا ونيجيريا وأنها تُرى خاسرة من هذه الحرب: تكرر إعلانها التضامن ضد التدخل الامبريالي.

ولعل آخر الأطراف الخاسرة زعيم كينيا؛ لأنه كان حليفاً قديماً لموبوتو.

ثم بعد الحديث عن الرابح والخاسر في هذه الحرب لعلنا نختم الحديث بالتساؤل عما بعد هذه الحرب، وعن آثارها: فهل يا ترى سيعبر كابيلا نهر الكونغو إلى برازافيل لإعادة توحيد الكونغو الكبير الذي يضم زائير وبرازافيل والغابون وإفريقيا الوسطى؟ وهل سيكون الدور على نيجيريا بإثارة اضطرابات العمال فيها؟ أم على كينيا، أم إفريقيا الوسطى؟ وهل سيكون لهذه التغيرات أثر حاسم في معركة جنوب السودان؟ وهل ستعي مصر الخطر الذي يحاك ضدها، فتدع إعانة أعداء السودان عليه؟ أم تثبت للجميع قصر نظرها حيال ما يدبر ضدها؟ وهل في محاولات احتواء منابع النيل ما يشير إلى بداية حرب المياه في الشرق الأوسط؟

هذه التساؤلات وغيرها ستجيب عنها الأيام والأحداث؛ والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



إشكالية نتائج وإفرازات الديمقراطية

بقلم: سامي محمد الدلال

هموم ثقافية

يحق لنا أن نقف موقف الانبهار عند شروعنا في الحديث عن إشكالية النتائج بشأن التعبير العملي عن الديمقراطية، حيث إن كل نتيجة منها هي إشكالية بحد ذاتها.

ونظراً لتزاحم إشكاليات النتائج فإني سأسوقها ضمن نقاط، ليس شرطاً أن تأخذ نمطاً منطقياً في تتابع ذكرها، كما أني أستميح القارئ عذراً في اضطراري أن أقتطع جزءاً نفيساً من وقته وهو يتابع هذه النتائج المهمة بتركيز شديد؛ فلنبدأ معاً:

١ـ اعتقد كثير من الإسلاميين ـ ولا يزالون يعتقدون ـ أن الديمقراطية ليست شيئاً يذكر في مجال التهيب والوجل، فهي ليست إلا مجرد مجلس نيابي يمكن لهم أن يحققوا من خلاله بعض المكاسب.

وقد تبين لنا خطأ هذا التصور وسطحيته؛ ذلك أن الديمقراطية، كما تبين لنا، تعني علمنة الدولة والمجتمع على كافة المستويات.

وبسبب التجذر العميق للمفاهيم الإسلامية في أمة المسلمين، فإن الانتقال بها إلى هاوية العلمنة يقتضي اجتثاث تلك الجذور من أصولها، ولما كان ذلك ليس سهلاً ولا هيناً، بل صعباً وشاقاً، بل هو في مرتبة الارتقاء نحو الاستحالة؛ خاضت العلمنة من خلال الطرح الديمقراطي صراعاً مريراً لتصل إلى تلك النتيجة، ولقد أظهرت تجليات الوقائع أن الديمقراطيين قد حققوا بعض النجاحات في هذا الاتجاه، لكنهم أيضاً أصيبوا ببعض الإخفاقات، إلا أن من أهم نجاحاتهم البارزة جداً هو تمكنهم من سحب كثير من قيادات الإسلاميين من مواقعهم المتحصنة بعقيدة الإسلام إلى ساحات الانكشاف الديمقراطي، فأصبحوا كمن لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع. وبعد أن نجح

العلمانيون في ضم الإسلاميين النيابيين إلى صفوفهم الديمقراطية شرعوا في تعميق مؤثراتهم على المستوى الجماهيري التي تنأى بالمسلمين عن الحياة الإسلامية، لقد طرح العلمانيون الديمقراطية منهجًا للحياة يستوعب جميع مناحيها الفكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والفنية وغيرها؛ ولذلك فإنهم خاضوا الصراع، ولا يزالون في تلك المناحي جميعًا بقصد علمنتها فكرة وحركة. لقد نجح العلمانيون في استخدام وتوظيف كافة الوسائل والأساليب [من مثل: الإعلام، المناهج التربوية، الصيغ الاجتماعية، المؤسسات الاقتصادية (البنوك وغيرها)، الاستباحات الترفيهية] لتعميق المفهوم الديمقراطي في المناهج الحياتية للمسلمين.

ولقد كانت نتائج الصراع في هذا الاتجاه لصالحهم حتى الآن، إلا أن الإخفاقات التي واجهتهم هي فشلهم في استيعاب جميع المسلمين في تلك الأطر التي خاضوا الصراع ضمنها. إن تمسك كثير من المسلمين بالكتاب والسنة بمفهوم السلف الصالح جعل استيعابهم في المخطط العلماني الديمقراطي مستعصيًا، وإن كان العلمانيون قد نجحوا في استمالة بعض الشخصيات السلفية نحو أفكارهم الديمقراطية إلا أن العبرة بجمهور المتمسكين بالكتاب والسنة وليس بآحادهم.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن سيطرة العلمانيين على الوسائل السالفة واستخدامهم الأساليب المختلفة لا يعني أنهم تمكنوا من الاختراق الشامل للمضامين الإسلامية المتراكمة في نفوس المسلمين عبر القرون الطويلة.

وهذا يعني أن صراع العلمانيين نحو علمنة المجتمعات الإسلامية عبر الجسر الديمقراطي سيستمر، وأن توظيف نتائج ذلك ـ ليصب في مكتسباتهم ـ سيتواصل.

٢ ـ لقد فطن العلمانيون إلى مربط الفرس في معمعة ذلك الصراع، واستقر في أذهانهم أن نجاحهم في تنفيذ مخططاتهم لا يمكن أن يتوالى ويستمر إلا إذا حصل على الدعم القانوني، إضافة إلى الإمكانات المادية والجموع البشرية؛ ولذلك فإن إيجاد مؤسسة تقوم عليها أركان الدولة وتحقق تلك الغاية بات أمرًا ملحًا ومطلبًا علمانيًا مستعجلاً، إن من أهم مواصفات تلك المؤسسة أن يكون لتقنينها طابع قدسي وبرغبة جماهيرية. ولقد جاءت فكرة المجالس

النيابية في الأنظمة الديمقراطية ملبية لتلك الأغراض مجتمعة، ثم إنها أخذت قدسيتها من التعاقب على تبنّيها في عالم غير المسلمين عبر القرون. وعندما أفلح العلمانيون في إقحام الديمقراطية على الدول الإسلامية التقطوا تلك البلورة وصاغوها في أطر مجالس نيابية هي طبق الأصل في فكرتها لتلك التي في الدول الغربية.

ورغم أن كثيراً من الدول الإسلامية خضعت إلى أنظمة حكم ديكتاتورية فإن تلك الأنظمة كانت ولا تزال ترى أن لها مصلحة عظمى في علمنة المجتمعات الإسلامية؛ ولذلك فإن بعضها فطن أو لقن أن تبنيه للديمقراطية يحقق له تلك المصلحة العظمى، وهي بقاؤه ممسكًا بالسلطة، فسارع إلى الأخذ بها. ولأجل أن تكتسب القوانين المشرعة من قبل المجالس النيابية قوة تنفيذية أوسعَ، وتأثيراً نفسيًا أعمق كان لا بد من أن تستوعب تلك المجالس النيابية أكبر عدد ممكن من الشرائح الجماهيرية ذات التوجهات العلمانية، دون إغفال توريط بعض الإسلاميين في إقحامهم في ذلك المجهول لاتخاذهم دريئة تتترس بها، وعلى الجماهير ألا تحتج على أي قانون وإن خالف دينها؛ إذ إن ذلك القانون قد صدر من المجلس النيابي الذي يحضره ممثلوها!

إن خلاصة ما ذكرناه في هذه النتيجة هو أن الفئات العلمانية نجحت في استخدام الديمقراطية في علمنة المجتمعات الإسلامية بالقانون وبدعم إسلامي!!

٣ - إن الديمقراطية تعني الانفتاح الفكري بغير حدود ولا قيود، وتعني أيضًا ممارسة الحرية المعبرة عن ذلك. إن الديمقراطية لدى معتنقيها هي فوق الأديان جميعًا، وإن للمجلس النيابي الكلمة الفصل في التحليل والتحريم وذلك بحسب ما يراه أعضاؤه من توجهات خاصة بهم أو بأحزابهم أو قبائلهم، إن الحرية الديمقراطية أطلقت العنان لكل صاحب عقيدة أن يدعو إلى عقيدته وإن كانت إلحادية بحتة، وإن كانت تحارب الله ورسوله جهاراً نهاراً، بدون قيد ولا شرط.

ولقد استغل العلمانيون مظلة الديمقراطية أيما استغلال، وراحوا يدعون من على منابرها المجلسية النيابية وأجهزتها الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية إلى وأد الفضيلة ونشر الرذيلة بحماية قانونية ودعم من المو[illegible] الدستورية.



٤ ـ رغم أن الفئات العلمانية نجحت في استخدام الديمقراطية لعلمنة المجتمع الإسلامي، ورغم توقعنا استمرار جهود تلك الفئات، بل وتصعيدها، ورغم تحقيقها مكاسب شيطانية تتعلق بممارسة التحليل والتحريم وفق أهواء البشر؛ رغم كل ذلك فإن الديمقراطية لن تتمكن من مواصلة طريقها عبر المجتمع الإسلامي إلى نهايته؛ وذلك لأسباب، من أهمها:

ـ أن الإسلام بوصفه عقيدة، قد تجذرت آثاره العملية من خلال الممارسة في أعماق المجتمع الإسلامي عبر قرون طويلة.

ـ وأن الله (تعالى) قد تكفل بحفظ دينه؛ فلا يكاد يمر قرن من الزمان إلا وفي طيات سنيه جهابذة من العلماء المصلحين يقومون بدورهم في تجديد الدين.

ـ ولأن الجسد الإسلامي كالجسد الآدمي، فيه من المناعة الذاتية ما يقاوم به الفيروسات الوافدة، سواء كانت في أشكال عقدية أو فكرية أو حركية، ثم لا يلبث أن يلفظها أو يقضي عليها.

ـ ولأن كنوز التراث الإسلامي لم تندثر، بل لا تزال محفوظة في المكتبات العربية والإسلامية والأجنبية.

إن توفر تلك المقومات جميعاً، وغيرها التي لم أذكرها هنا، لهي كفيلة ـ إذا رجع المسلمون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ـ بأن تواصل حبل الحاضر بماضيه وتمده إلى مستقبله.

وبالتالي فإن الديمقراطية ستخفق في فك الارتباط بين المجتمع الإسلامي المعاصر وبين تاريخه، على كافة المستويات العقدية والثقافية والسلوكية، إذا توفرت المقومات التي نوّهت عنها، ومن أهمها ـ بعد الاستمساك بالكتاب والسنة ـ: بعث التراث الإسلامي من جديد.

٥ ـ إن النتيجة التي ذكرتها في (٤)، تصطدم بمعوقات كثيرة؛ ذلك أن الجهود الحالية: المحلية والدولية، منصبّة على إقناع الجماهير الشعبية بأهمية الديمقراطية وأنها هي المخلص لتلك الجماهير من حالة التسلط الديكتاتوري، ومن حالة الجهل والفقر والمرض... إلخ. وإننا سنكون قد خدعنا أنفسنا إذا ادعينا أن العلمانية قد أخفقت في مشروعها الديمقراطي بهذا الخصوص.

ولقد وجدنا أن كثيراً من المنتسبين للإسلام يهاجمون الإسلام من منطلق الديمقراطية.

وبالتالي فإن الإسلام لا يتعرض حالياً لمحاولة إجهاض انبعاثه من قبل

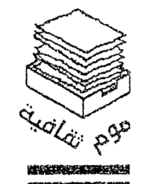
السلطات الحاكمة فحسب، بل من شرائح متعددة من الطبقات الشعبية، تزداد اتساعًا يومًا بعد يوم.

وهكذا فإن الديمقراطية ساعدت على نقل الصراع ضد الإسلام من انفراد التصدي السلطوي إلى مزاوجة السند الشعبي لذلك التصدي، أي إن الإسلام في ظل الديمقراطية يفقد سواد معتنقيه.

٦ ـ وبناء على ذلك فإن الشعوب الإسلامية ـ في ظل الديمقراطية ـ ستبدأ في فقد هويتها المميزة. تلك الهوية المتمثلة في كونها شعوبًا تدين لله (تعالى) بعقيدة التوحيد، وأن تلك العقيدة قد أضفت عليها لبوسًا حضاريًا منفردًا، تغلغلت آثاره في كافة مناحي حياتها، شاملة جميع مكوناتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

إن الديمقراطية، بطبيعتها العلمانية، لا تستطيع أن تقدم نموذجًا يضفي هوية مميزة على أي مجتمع يعتنقها عقيدة وتطبيقًا.

ولذلك فإن دورها في حياة المسلمين هو دور تهشيمي، يهشم مقوماتها الإسلامية ويحت أصالتها الانتمائية، وينتهي بها إلى فراغ اللاشيء!!



٧ ـ إضافة إلى ذلك، فقد تبين لنا أن الديمقراطية بما وفرته من الحرية غير المنضبطة بالإسلام قد أدت إلى التفتيت الأسري، ثم إلى التفكيك الاجتماعي.

ولقد لاحظنا أن الديمقراطية تتوحد مع الديكتاتورية في هذا الاتجاه.

وقد ترتب على ذلك أن فقد المجتمع الإسلامي مقومًا مهمًا من مقوماته هو مقوم الوحدة والاندماج. إن بديل الوحدة الاجتماعية هو التضعضع والتخلخل؛ مما يؤدي إلى الضعف والوهن. ولذلك فإن حكومات الدول الديمقراطية والديكتاتورية، بعد أن شعرت أنها قد وصلت إلى هذه النتيجة، وهي توهين الشعوب وإضعاف إرادتها، لم تتردد في عقد معاهدات الصلح مع اليهود، في أجواء احتفالية وزخارف ابتهاجية ترفرف عليها أعلام الديمقراطية، إن إشكالية هذه النتيجة ذات طابع خطير؛ لأنها ستحمِّل الأجيال المقبلة تبعات وتركات حالة الانهزام التي تمر بها الأجيال المعاصرة.

٨ ـ لقد تعلقت آمال كثير من المسلمين بأحلام الرفاهية والطمأنينة والسلام والأمن إذا تمكنوا من حكم أنفسهم بأنفسهم في ظل نظام

ديمقراطي؛ إلا أن تلك الآمال ذهبت أدراج الرياح بعد أن حكمتهم الديمقراطية بأنياب لا تقل حدة عن أنياب الطغاة الديكتاتوريين.

لقد سيق كثير من الإسلاميين إلى غياهب السجون، بل وعلقوا على أعواد المشانق، في ظل الحكام الديمقراطيين، فلم يشفع لهم مجلس الشعب.

إن كثيراً من الطغاة المتجبرين استغلوا مدة تربعهم على عرش السلطة ليفتكوا بالإسلاميين، ثم هم أنفسهم بعد ذلك يدعون إلى الانتخابات النيابية، وإقامة الحكومات الديمقراطية.

فليعلم الجميع بأن الإرهاب الديمقراطي لا يقل عن الإرهاب الديكتاتوري في بعض الحالات.

وقد أعجبني ـ بهذا الصدد ـ ما قاله الدكتور توفيق الواعي في مجلة «المجتمع» الكويتية عدد ١١٠٣، المؤرخ: ٤ محرم ١٤١٥هـ الموافق ١٤ يونيو ١٩٩٤م تحت عنوان «هل عاد زوار الفجر» إذ قال: «نعم عادوا، ولكنهم ليبراليون ديمقراطيون، ومصطلح زوار الفجر أطلق في العصر الحديث على عصابات الأنظمة البوليسية في العالم الثالث، وعلى الفرق المخابراتية في الأمم المتخلفة، التي كانت تطارد الأحرار والعناصر الفاعلة والنابهة في الأمة، تباغتهم ليلاً وتنزعهم من أحضان أسرهم ومن بين أطفالهم وذويهم، إلى حيث يغيبون في سجون، أو قل في قبور، بحيث لا يعرف عنهم طير ولا إنس ولا جان أي أثر، يلاقون من العذاب ما يشيب له الولدان وتضع له كل ذات حمل حملها، ثم تلفق لهم القضايا وتنتزع منهم الاعترافات..»، ثم ساق أبياتاً من قصيدة للدكتور يوسف القرضاوي يذكر فيها سوقه إلى السجن في ظل الحاكمْ الديكتاتوري الديمقراطي!! (عبد الناصر)، يقول فيها:

يا سائلي عن قصتي اسمع لها
قصص من الأهوال ذات شجون
أمسك بقلبك أن يطير مفزعاً
وتول عن دنياك حتى حين
فالهول عات والحقائق مرة
تسمو على التصوير والتبيين
والخطب ليس بخطب أرض وحدها
بل خطب هذا المشرق المسكين
في ليلة ليلاء من نوفمبر
فزعت من نومي لصوت رنين
فإذا كلاب الصيد تهجم بغتة
وتحوطني عن شمأل ويمين
فتخطفوني من ذويّ وأقبلوا
فرحًا بصيد للطغاة سمين
وعُزلت عن بصر الحياة وسمعها
وقُذفت في قفص العذاب الهون

ما كدت أدخل بابه حتى رأت
عيناي ما لم تحتسبه ظنوني
في كل شبر للعذاب مناظر
يندى لها ـ والله ـ كل جبين

ثم قال الدكتور الواعي: « لهذا يلجأ بعض الفارين من مطاردة الشعوب إلى الاختباء وراء ديمقراطيات مزورة وحريات مغشوشة، علهم يفلتون، وما أظن ذلك يغني عنهم من عذاب الله من شيء، أو من المصير المحتوم، أو من هجمة الشعوب وانطلاقة الأمم، وقد يكون ذلك إلى حين..».

إن كثيراً من الديمقراطيات التي تحكم العالم الإسلامي إنْ هي إلا واجهات لحكم الطغاة. فالرأي هو رأي الحاكم، وعلى المجلس النيابي أن يبصم، بطريقة أو بأخرى!!

٩ ـ لقد وجد التجار وأصحاب رؤوس الأموال في الديمقراطية ضالتهم ليحكموا سيطرة رأس المال على رقاب الشعوب باسم الديمقراطية.

وقد جاءت النتائج الواقعية مدعمة لهذه الحقيقة، وهكذا تحولت المجالس النيابية إلى مواقع انطلاق دستورية لامتصاص عرق الكادحين وابتزاز جهود العاملين، وراحت المجالس النيابية تصدر القرارات تلو القرارات بزيادة الضرائب وفرض الرسوم ورفع أسعار الخدمات، كل ذلك لأجل مصلحة الشعب!!

كذبوا؛ ليس ذلك إلا لمصلحة جيوبهم التي أتخمها المال الحرام!

إن إشكالية هذه النتيجة تتجسد في رضوخ هذه الشعوب المنكسرة إلى هذا اللون من الجور الديمقراطي. أليست هي رضيت بالديمقراطية منهجاً وطريقاً؟

ولكن إلى متى؟

نعم، سيستمر هذا الواقع المهين إلى أن تدرك الشعوب المسلمة أن الحكم بالديمقراطية لا يزيد في إفلاسه عن الحكم باسم القومية العربية أو الاشتراكية العلمية ـ كما يسمونها زوراً وبهتاناً ـ أو البعثية أو...

وعندها لا بد أن تتململ هذه الشعوب المسلمة، ثم تتحرك، ثم تندفع كالرياح العاتية لتقتلع الأصنام الحديثة المتدثِّرة بالديمقراطية.

إن الديمقراطية في العالم الثالث هي أحد منابع الانفجار الاجتماعي المرتقب؛ ولكن هل ستعي هذه الشعوب المسلمة أن لا بديل عن الإسلام؟



نعم، إنها ستعي ذلك، ولكن بعد أن تدفع الثمن غاليًا نتيجة سيرها ولهاثها خلف الشعارات الديمقراطية الزائفة.

١٠- إن الناخبين يعلقون آمالاً كباراً على مرشحيهم لاعتقادهم بامتلاك أولئك المرشحين لعصا سحرية سرعان ما يلمع بريقها في ردهات البرلمان؛ فتحل بذلك جميع مشاكل الذين انتخبوهم وأوصلوهم إلى سدة المجلس العتيد؛ وبسبب استحواذ تلك الآمال الوضاءة على أفئدة الناخبين؛ فإنهم لا يبالون بما يبذلون من جهد ووقت ومال لدفع مرشحيهم إلى تلك المواقع المتقدمة، يفعلون ذلك وهم سادرون في أوهام الشعارات التي يرفعها المرشحون، ولكن ما إن يستتب الأمر، ويصل المرشح إلى كرسي المجلس حتى تبدأ آمال الناخبين بالتلاشي شيئًا فشيئًا بما يرون من عدم مبالاة المرشحين بقضاياهم الحقيقية وانشغالهم بالقضايا الذاتية. إن هذه السمة ليست من اختصاصات ديمقراطية العالم الثالث فحسب، بل هي من السمات الملصقة بالديمقراطية حيثما وجدت.

إن نائبًا مثل (برنار تابي) وهو رئيس نادي ميلانو الإيطالي لا يبالي بقضايا فقراء إيطاليا؛ ذلك أنه منهمك في تثمير أمواله وتوجيه دفات قنواته التلفزيونية، ومثل ذلك يقال عن (سلفيو برلسكوني) الفرنسي الذي كوّن، بسبب قدرته المالية الفائقة، حزبًا سياسيًا خلال شهرين ليفوز بواسطته بالأغلبية الانتخابية ثم يتولى منصب وزير أول[1]، نعم لقد استفاد جداً من كونه رئيسًا لنادي أوليمبيك مرسيليا، ولكن ماذا استفادت الجماهير التي انتخبته؟.

إنها تقوم بالمظاهرات احتجاجاً على الأداء السيئ لنواب الشعب المنهمكين في سباقهم مع الزمن لتحصيل مصالحهم قبل انقضاء مدة المجلس!!

إن إشكالية النتائج هنا تتعلق بخيبة الأمل التي تصيب الجماهير بالإحباط لأن الثقة التي أعطوها للنواب كانت كسراب بقيعة، مما أفقد الجماهير ثقتها بنفسها أيضًا، بسبب وضوح عدم وصولها مرحلة الرشد التي تؤهلها لاختيار من يمثلها تمثيلاً صحيحًا!!

---

(١) صحيفة شؤون عربية ١٩/٦/٩٤، مقابلة مع محمد مواعدة.

دعوة لإعادة النظر

في أسلوب الإسلاميين لإدارة معركتهم مع العلمانيين



أسامة محمد إبراهيم

* قرأت مقالاً للأستاذ جمال سلطان في مجلة «البيان» الغراء بعددها الرقم ١١٥ الصادر في ربيع الأول ١٤١٨هـ، حيث اختار الكاتب عنواناً لمقاله هو: «في الصراع الفكري - ملاحظات على معركة حسن حنفي وجبهة علماء الأزهر».

وبادئ ذي بدء فإنني أسجل تقديري واحترامي الشديدين للأستاذ جمال سلطان بوصفه أحد الكتاب الإسلاميين في مصر، وله باع طويل في الدفاع عن الصحوة الإسلامية التي شهدتها البلاد منذ عقود مضت، فضلاً عن إسهاماته المهمة في مجال الدعوة الإسلامية سواء من خلال الكتب أو المقالات أو غيرها من السبل التي تيسرت له.

غير أن كل ذلك لا يمنع من التعليق على بعض ما جاء في مقال الأستاذ جمال السالف الذكر؛ فقد لفت نظري في مقاله عدم وضوح الرؤى لدى بعض إخواننا الذين يتصدون للدعوة الإسلامية؛ وذلك فيما يتعلق بالأسلوب الأنسب الذي يجب اتباعه في هذه الدعوة، خاصة في مواجهة الأبواق والمنابر العلمانية التي ازداد عددها وانتشرت كالسرطان في جسد الأمة في السنوات الأخيرة، سواء تلك التي تستخدمها بعض الأنظمة السياسية في بلادنا كأحد الأسلحة الوقائية ضد التيار

متابعات

الإسلامي، أو تلك التي تهيمن عليها العناصر الماركسية والإلحادية والعلمانية التي نجحت في التغلغل داخل العديد من الصحف والمؤسسات الإعلامية واسعة الانتشار بمؤازرة من هذه الأنظمة التي جعلت شغلها الشاغل مهاجمة كل ما هو إسلامي والسخرية منه والتنديد به وتمجيد ما عداه!

ولقد تعرض الأستاذ جمال في مقاله إلى تلك الحادثة المتعلقة بالدكتور حسن حنفي التي بدأت ببيان د. يحيى إسماعيل أستاذ علم الحديث بجامعة الأزهر وأمين عام جبهة علماء الأزهر، الذي هاجم فيه د. حسن حنفي ووصف أفكاره بأنها تدميرية، وقامت على أثر ذلك ـ كالعادة ـ حملة إعلامية شعواء من قِبَلِ الكتاب العلمانيين الذين يسيطرون على عشرات المجلات والصحف، فشن هؤلاء هجومًا على الأزهر وجبهة علماء الأزهر وعلى الإسلاميين من دون استثناء.

وبما أن مثل هذه الحملات الإعلامية المنظمة التي تهدف ـ في الأساس ـ إلى وأد الصحوة الإسلامية واستعداء السلطات على رموزها، أصبحت من الأمور اليومية المعتادة في الصحف ووسائل الإعلام بسبب وبدون سبب، فإن ما يجب أن يعنينا هنا: هو البحث عن «صيغة موحدة» يلتزم بها الدعاة والإسلاميون في مواجهة مثل هذه الحملات، وليسمح لي الأستاذ جمال أن اختلف معه في بعض الطرح الذي وضعه في كيفية إدارة الصراع، أو ما أطلق عليه «المعركة التاريخية والفاصلة بين الإسلام والمناهج الوافدة».

يقول الأستاذ جمال في مقاله: «إن إثارة معركة مع حسن حنفي في هذا الوقت لم يكن له ما يسوغه أبدًا، ومن أي وجه من الوجوه، فالأخطاء العقدية والفكرية عند الرجل، قديمة، وليست جديدة، والكتب المشار إليها صدرت قبل سنوات، ومرت دون أن يشعر بها أحد، كذلك فإن أسلوب د. حسن حنفي المسهب والمطنب في التأليف يجعل القارئ ـ غير المتخصص ـ زاهدًا في قراءته، ولذلك لم يشعر

أحد بأي خطر فكري ـ لحسن حنفي يستحق هذه الضجة الكبرى إلا بعد البيان الذي نشره الدكتور (يحيى إسماعيل) ».

ومن حيث المبدأ، فإنني أتفق مع الأستاذ جمال فيما ذهب إليه من أن الصراع الفكري، مثل الصراع العسكري أو السياسي، يحتاج إلى فنون خاصة في إدارة معاركه، ويحتاج إلى حكمة وتخطيط وذكاء ووعي بالواقع ــ واقع الناس وواقع الصراع فيه ــ إلا أنني أختلف معه في مسألة « التوقيت » الذي يراه غير مناسب في إثارة معركة مع المذكور؛ وذلك على الرغم مما يعلمه كاتب المقال ـ ويعلمه الجميع أيضًا ـ من أن د. حسن حنفي هو أحد غلاة العلمانيين في مصر، ونحن نسأل الكاتب هنا عن الوقت الذي يراه مناسبًا لمواجهة مثل هذه الكتابات التي تثير الحيرة والبلبلة في نفوس العامة من الناس وعقولهم فضلاً عن التدمير الفكري الذي تحدثه لدى الشباب والناشئة خاصة في الجامعات التي ابتليت بمثل هؤلاء الناس، وهل أن قدِّم الكتب التي قام د. يحيى إسماعيل بمهاجمتها وفضحها مسوِّغ لعدم التعرض لها، كما أن قول الكاتب بعدم وجود خطر فكري من كتابات حسن حنفي كلام ــ في نظري ــ تنقصه الدقة؛ لأن مثل هذه الكتب مقررة على مئات الطلاب في كلية الآداب ومطلوب منهم قراءتها مرات ومرات واستيعابها حتى ينجحوا في اجتياز امتحانات آخر العام!

يخطئ من يظن أن هناك خلافات وتناقضات داخل المعسكر العلماني فيما يتعلق باستراتيجيتهم في مهاجمة الإسلام والداعين له، وبالتالي فإننا نختلف مع القائلين بضرورة وضع « أولويات » في مواجهة رموز العلمانية، فكما أن حربهم على الإسلام ودعاته شاملة؛ فيجب أن تكون مواقفنا منهم أيضًا شاملة، ويكفينا هنا طمأنة الباري (جل وعلا) لنا بقوله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

متابعات

أما الدكتور حسن حنفي فمعروف أن نهجه الفكري، وأستشهد هنا بكلام الأستاذ جمال سلطان نفسه في وصفه إياه بأن قناعاته الفكرية والاعتقادية في قضايا الدين ـ بوجه عام ـ مادية، والإيمان بالغيب عنده مسألة فيها نظر، وهو متأثر كثيراً بالفيلسوف اليهودي الشهير (باروخ اسبينوزا)... ولذلك نجد الدكتور يحيى إسماعيل لم يجاوز الحقيقة عندما وصف د. حنفي بأن مشروعه ذو خطر تدميري، فهو يحقر الأنبياء والرسل ويدعي عليهم بما ليس فيهم، وأن الله ـ عز وجل ـ عنده مثل مجنون الحارة الذي يطارده الغلمان في الأزقة!!، وأنه ينكر النبوة ولا يعتبر القرآن الكريم كتاب تحليل وتحريم، بل كتاب فكر يجوز إنكار سورة منه مثل سورة يوسف؛ لأن الجنس عيب وتحليله رذيلة، وأنه يمجد إبليس وينكر الجنة والنار، ويقول: إن سؤال الملكين خيال شعبي حول الخوف من عواقب الأمور، ويضيف د. إسماعيل ـ ونحن معه في ذلك: أن يدرس الطلاب مثل هذا، ماذا ننتظر من جيل يتخرج على ذلك بعدما أهان الله رب العالمين والرسول والقرآن الكريم ومجّد إبليس، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ذلكم هو حسن حنفي الذي يعتبره كاتب المقال يمثل شرخاً نفسياً عميقاً في معسكر العلمانية، وأن حرصه على أن يقدم نفسه بوصفه مفكراً إسلامياً متحرراً ومستنيراً ونصيراً للمستضعفين جعله يهاجم بقوة وجرأة الأقلام والرموز العلمانية المتحالفة مع الفساد، في الوقت نفسه الذي يتعاطف فيه بوضوح مع الحركات الإسلامية «سياسياً ونفسياً وإن كان يختلف معهم بطبيعة الحال ـ فكرياً ـ.

وليس من شك أن مبعث كلام الأستاذ جمال سلطان هنا هو حرصه على كسب أي صوت يؤازر الإسلاميين ويدافع عنهم في الحرب الشعواء التي تُشن عليهم منذ أمد طويل بتحريض صريح من الداخل والخارج، غير أننا نذكِّر الكاتب هنا

بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣] وأظن بعد ذلك أن الأمر لا يستأهل المزيد من التوضيح أو الإسهاب.

كما أن ما أريد أن أخلص إليه أيضًا من هذا كله وما يجب أن نسخر له جل تفكيرنا وجهدنا له هو: البحث عن أنسب السبل والوسائل التي يلتزمها جميع الداعين إلى الإسلام والساعين لإعلاء كلمته، وأن يوحدوا جهدهم في التصدي لمثل هذه الهجمات الشرسة التي ما فتئ العلمانيون يشنونها على الإسلام ودعاته، وألا تكون مثل هذه الوسائل قائمة على جهد فردي محض كما فعل الدكتور يحيى إسماعيل؛ فإن مجرد الاتفاق على مثل هذه الصيغة كفيل بالذود عن الإسلام وفضح المهاجمين له والذين معهم ـ على الأقل ـ أمام الرأي العام في العالم الإسلامي: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].



تحية وتوضيح
من الأستاذ جمال سلطان

سعدت بقراءه التعليق الذي كتبه الأستاذ أسامة محمد إبراهيم، تعليقًا على مقالي: «في الصراع الفكري» المنشور بالبيان الغراء (العدد ١١٥)، والحقيقة أننا في حاجة ماسة إلى سعة الصدر في تقبل الآراء المختلفة المهمومة بقضايا الدعوة، بل وتنشيط طاقات الاجتهاد والبحث فيها، ولا نفزع من وجود بعض الخلاف فيها؛ إذ إن هذا مما يخصب الفكرة ويوسع الآفاق فيها، وأنا أحيي الأخ الكريم على مبادرته وعلى غيرته التي استشعرتها من التعليق، وأما بخصوص المعركة مع «حسن حنفي» وما رأيته من استعجال لها وكان هناك ما هو أهم وأخطر، فإنني أؤكد أن هناك في مجتمعاتنا كثيرين من أمثال حسن حنفي في الفكر والتصور والمعتقد، ولكنهم أخطر منه بكثير، كما أنهم جمعوا إلى فساد العقيدة فساد الخلق والضمير والذمة، وسفاهة الكلام والقسوة في

التبجح والإعلان في خصومتهم للإسلام وشريعته وحضارته والانتماء إليه، فكانوا حرباً على الإسلام ضارية، بينما رجل مثل حسن حنفي كان، رغم فساد عقيدته، يمتاز بشرف الموقف السياسي والإنساني مع الإسلاميين، ودفاعه عن المضطهدين ودعواته الواضحة إلى منحهم الحرية في الدعوة، ويهاجم المرتزقة من العلمانيين الذين يهيجون أجهزة الدولة ضد الإسلاميين، ويحرضون السلطات على البطش بهم وحرمانهم من أن يكون لهم صوت أو منبر.

وكان سؤالي هو: لماذا نترك كل هؤلاء الفجرة ونبدأ بمن يدافع عنا ويجيرنا في أوقات المحنة؟ لماذا نترك أبا لهب ونحوّل حرابنا إلى المطعم بن عدي! كما أن حسن حنفي يمثل شرخاً حقيقياً في صفوف العلمانيين المصريين والعرب أيضاً، ويدرك ذلك بوضوح من يخالط الحياة الثقافية عن قرب، وقد عاينت ذلك بنفسي، وهجومه على النخب الثقافية العلمانية واتهاماته القاسية لهم بممالأة الفساد والظلم ونحو ذلك: هي أمور علنية وليست مستترة، وينبغي، ونحن نخوض صراعاتنا الفكرية - أن نلاحظ مثل هذه الحقائق وأن نستثمرها جيداً ولا نغمض أعيننا عنها بعاطفية ليست في أوانها ولا في محلها.

وأما مخاطر تدريسه على الطلبة في الجامعة فهو كما أشرت مهموم بمشروع سياسي أكثر منه عقدي أو فكري؛ ولذلك فخطره محدود من هذه الناحية، بل إن ما لا يعرفه كثيرون أن ابن حسن حنفي نفسه هو من المتمردين على منهجه الفكري وهو شاب من شباب الإسلام الملتزم والغيور، فلا أظن المبالغة في التوجس من هذه الناحية لها ما يسوّغها.

وحاصل الكلام هنا أن الصراع الفكري يتطلب منا البصيرة بالواقع، وموازناته ودقائقه، لكي نضع خطط المواجهة على بصيرة ونور، وبحيث تؤدي دورها وتؤتي أكلها، بدقة وفاعلية.



فن الإقناع

بقلم : محمد المرشد

س : لماذا نحاول إقناع الآخرين برأي أو بفكرة ما ؟

ج : قد يكون ذلك لتحقيق التوافق، أو لتغيير السلوك، أو للتعلم، أو للحث على الخير، أو للدعوة إلى الله، أو لتقوية العلاقات مع الآخرين لنيل بعض المصالح، أو لتقارب الأفكار ووجهات النظر وخاصة لمن يعملون في مجال واحد..

فلا بد لمن يريد إقناع الآخرين بفكرة مًّا، أن يعلم:

ـ أن الإقناع موهبة؛ ومن لا يجيدها فعليه تعلمها.

ـ أن مدارك الناس تختلف، وأفهامهم تتفاوت مما له الأثر في سرعة الاقتناع؛ فلا تعجل على أحد.

ـ قد تكون فكرتك صحيحة ولكنك لا تجيد الإقناع.

ـ قد تكون فكرتك غامضة فحاول توضيحها أكثر.

ـ أنت بشر.. وقد تكون فكرتك خاطئة؛ فلا تحاول إرغام الآخرين عليها أو قيادتهم إلى رأيك؛ فالرأي ليس حكرًا على أحد.

ـ قد يكون مَنْ أمامك معاندًا أو مكابرًا؛ فلا تتعب نفسك!

ـ إن عدم اقتناع صاحبك برأيك لا يدل إطلاقًا على إخفاق الحوار..

ـ وأخيرًا.. وكما قيل: «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».



الموفقون

بقلم: عبد الله بن فهد آل محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

قال الله (تعالى) عن شعيب (عليه الصلاة والسلام): ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، فالتوفيق منزلة عظيمة يهبها الله لمن أحب من عباده، فإذا علم الله من عبده الصدق والإنابة إليه وفّقه الله وهداه، قال (تعالى): ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، وإذا وفق الله العبد اجتباه ويسر له أسباب العمل فيما يرضيه، وشرح صدره للطاعة، وحببه إليها، فيقبل العبد على أبواب الخير يضرب بسهم في كل باب تواقاً منهوماً مستسهلاً للصعاب مطارحاً للعقبات.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة»[1]، وقال (عز وجل): ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

فالموفق هو ذاك المخلص الذي أخلصه الله إليه فصدق مع ربه يريد مرضاته مكتفياً باطلاع الله عليه، فلا يلتفت إلى المخلوقين ليُعرِّض بنفسه أو بكلامه أو لحظات طرفه أمامهم ليمدحوه أو ينال إعجابهم، فهو يحذر من الرياء والسمعة والعجب والإدلال بالعمل وغيرها من مفسدات الأعمال وموهنات القلوب. والمخلص هو الذي حفظه ربه (تعالى) فسلّمه من شر الالتفات إلى الناس والشكاية إليهم، والطمع فيما عندهم، والخوف منهم ومداهنتهم، والتملق لهم، وطلب رضاهم على حساب الحق؛ فالإخلاص هو سر التوفيق وهو بوابة حيازة الخيرات والقربات وقبولها من الله الذي يحب المخلصين الذين باعوا أنفسهم وأوقاتهم وكل ما يملكون لربهم قال (تعالى): ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وإذا أردت أن تعرف ميزانك عند الله فانظر في همك وشغلك هل هو لله أم لا؟ وقد قيل: «إذا أردت أن تعرف قدرك عند السلطان فانظر في أي الأعمال يوليك».

وأهل الإخلاص هم الذين يقيهم الله من الفتن والشبهات والشهوات، ويكون معهم يحفظهم وينصرهم، وينزل السكينة على قلوبهم، ويثبت أقدامهم حين اشتداد الكربات ونزول الضوائق والأزمات.

١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.



ـ والموفق هو الذي تحزنه آلام الأمة ويدمي قلبه ضياعُها وكثرة أعدائها المتربصين، وهو المحزون حينما يرى أهل الفسق يسقطون في الرذيلة وهم صادُّون عن ربهم معرضون عن سنة نبيهم ﷺ؛ لأنه يسوؤه أن يُعصى الله وتنتهك حرماته.

ـ والموفق هو من صرف الله قلبه عن التعلق بالدنيا والطمع في جمعها والظفر بزينتها وشهواتها، وأنزل الله بقلبه همَّ الآخرة، يعد أيامه وأنفاسه يريد ألا ينفقها إلا فيما يرضي الله والهاتف دائماً في قلبه: الرحيل.. الرحيل، قال الله (تعالى): ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وهذا بخلاف المغبون الذي صرفته دنياه عن آخرته.

ـ والموفق هو من قام على نفسه يحاسبها على الدوام؛ لأن النفس جموحة طموحة منوعة تريد الرفعة والعلو والمديح والتقدم والتعالي على الآخرين، فهو معها في جهاد يكبح جماحها؛ فإن عمل طاعة فهو متلهف مشغوف يحسن الظن بربه أن يقبل تلك الطاعة، وإن أذنب ثم تاب فهو خائف قلق يخشى أن لا يقبل الله توبته.

ـ والموفق هو الذي نجاه ربه وسلمه من شر كبائر القلوب الخفية كالغل والحسد وسوء الظن بالآخرين واتهام نياتهم والوقوع في أعراضهم والوشاية بهم والسقوط في الغيبة والنميمة والكذب المُبطَّن؛ فما أسوأ حال من كانت هذه صنعته وما أبعده عن التوفيق؛ لأنه من شرار الناس، فعن «عبد الرحمن بن غنم» يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله: الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله، وشرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبُرآء العنت»[1].

ـ والموفق هو ذلكم المحسن للآخرين العطوف عليهم الذي يقلقه شجون المصابين وأنات المساكين والمشردين والمحرومين والمظلومين، فهو يسعى بكل سبيل ليكفكف عبراتهم، ويضمد جراحهم، ويمسح على رؤوسهم ليرد إليهم اعتبارهم وينفي كربهم ويدخل السرور عليهم يوم نسيهم المسلمون وانشغلوا بأنفسهم وشهواتهم وكماليات حياتهم.

ـ والموفق من ألهمه الله ذكره فأصبح ذاكراً لربه بقلبه ولسانه فقضى العمر بهذه العبادة العظيمة التي رتب الله عليها أعظم الأجور؛ فإنها المنّة الكافية والمنحة الشافية أن يستديم العبد ذكر ربه ويتلذذ بمناجاته ذلك الذكر الذي هو أسهل العبادات وأيسرها، قال (تعالى): ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ـ والموفق من فتح الله على قلبه في الدعوة إليه والجهاد في سبيله فتحرك قلب الداعية وهزه الشوق والحنين ليسوق العباد إلى ما يرضي رب العباد، فهو أحسن الناس وأعظمهم أجراً وأشرفهم مهنة وكفى بها فخراً أنها مهنة المرسلين. فهنيئاً لك ـ أيها الداعية الصادق فقد قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[2].

---

١) رواه أحمد (٤/٢٢٧).
٢) [رواه أحمد ومسلم].



بداية ونهاية

بقلم : محمد حسين فقهاء

كان يحمل في قلبه همّ الإسلام.. يقف في مصلاه ليلاً وقد تعلق قلبه بالله... يدعو ربه بإصرار. وخشوع.. يذكر ربه خاليًا فتفيض عيناه...يصلي ولجوفه أزيز.. لا تكاد تراه بعد صلاة فجر إلا منكبًا على كتاب الله يتلوه وفي عينيه دموع تفيض من خشية الله... كيف لا... وهو يخشى ضمة القبر.. وهو لا يأمن مكرْ الله (عز وجل) بالمنصرفين عن سبيله.. وهو يرى ذنوبه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه..[1] ينظر إلى حال المسلمين اليوم فيتقطع قلبه عليهم حسرات. كان نجماً شامخاً محلقاً في الآفاق.. بل كان طيراً يحلق فوق الرؤوس لينظر إلى الدنيا فيراها صغيرة حقيرة تتناهشها الذئاب.. يحب أن يبقى محلقاً بفؤاد ذاق حلاوة الحياة الطيبة.. يرجو أن ينتقل إلى طائر آخر أحلى وأعلى من طائره الأول.. ذاك طائر في الفردوس الأعلى يحمل أرواح الشهداء، ثم يأوي إلى قناديل تحت العرش.. لقد كان غريباً حتى بين أهل الإسلام.. كان قمة ينظر إليها الناس فيتمنون لو يصلون إليها..

أما اليوم فكأنه ما كان... هو اليوم لا يتعدى أن يكون ربوة بين قمم. لم يتغير فجاة.. بل كأنه حقن بسم الدنيا البطيء ليموت ببطء.. مال وبنون.. همّ طغى على كل همّ.. لا تراه في صلاة الفجر يرفع يديه كما كان يفعل متضرعاً إلى الله، لا تراه كما كنت تراه.. حتى سَمْتُه الإسلامي تغير.. فهو يزعم أن الرزق هكذا يتطلب.. لا يتورع عن بعض النظر والسماع المحرم... ينظر فيرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار.. هو الآن له قلب يذوب كما يذوب الملح في الماء[2]... كان الناس ينظرون إليه كقمة واليوم ينظرون إليه بحسرة... هو باختصار كان.. رحمه الله.. وردَّ الله غربته.

---

(١) ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار».

(٢) ذكر ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) يرفعه قال: «يأتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء، قيل: م ذاك يا رسول الله؟ قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره».

بريد البيان

■ الأخ / رضا بن حمدان الذبياني

نشكر لك اقتراحك، لكن مثل هذه المحاضرات سمعها قطاع كبير من الناس، ولعل من مميزات تلك المحاضرات: أن تسمع بصوت أصحابها جزاهم الله خيراً ونفع بهم.

• • •

■ الأخ / د. مصطفى فوفيل ـ المغرب

نشكر لك تواصلك مع مجلتك، وعن مشاركتك «فقه الدعاء في قصص الأنبياء» فقد أجازته اللجنة.. ونأمل مشاركات أخرى.

• • •

■ الأخ / فريد مرعي ـ السعودية

وصلتنا رسالتكم التي أبديتم فيها بعض الملحوظات حول مقال «فرعون باشا»، وقد تم إرسالها إلى الكاتب للتعقيب عليها.

• • •

■ الأخ / عبد الوهاب الغفري ـ المغرب

عرضك لكتاب «الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي عزت بيجوفيتش كان مجازاً غير أنّا نعتذر عن نشره لكونه نشر في مطبوعة أخرى.

• • •

■ الأخ / أسامه الجامع ـ السعودية

نشكر لك تواصلك الدائم مع «البيان» ونقدر فيك تلك الروح الطيبة، أما مشاركتك «انغلاقية بعض المتدينين نحو مجتمعهم» فقد أُجيزت لمنتدى القراء.. في عدد قادم ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ الأخ / محمد الروبي ـ السعودية

نشكرك على مشاركتك «الغزو القادم» مع الاعتذار عن نشرها لعدم مناسبتها، ونرجو دوام التواصل، وفق الله الجميع.

• • •

■ الأخ / محمد الرويلي ـ السعودية

كنا نود إرسال رسالة خاصة لك؛ ولكن للأسف: عنوانك غير موجود لدينا، حتى نجيب على استفساراتك.. وتقبل تحياتنا.

• • •

■ الأخ / العياشي الفلوس

نشكر لك تواصلك معنا، وعن مشاركتك «وطن للعلمانية» فإننا نعتذر عن نشرها، ونأمل دوام التواصل وبالتوفيق في مرات قادمة.

• • •

■ الأخ / أحمد آل عامر ـ السعودية

نشكر لك جهودك الطيبة من خلال مشاركتك «من علامات اهتمام المحدثين بالسند» ونعتذر عن نشرها لأنه قد سبق معالجة الموضوع في عدد سابق، وفقنا الله وإياك لكل خير.

• • •

■ الأخ / عاصم إسماعيل ـ السودان

وصلتنا رسالتك الرقيقة وأحسسنا من خلالها بشعورك الفياض بالحب للمجلة، فلك كل التقدير، وعن طلبك: فعسى الله أن ييسر من يقوم بسداد قيمة الاشتراك.. والله الموفق.

• • •

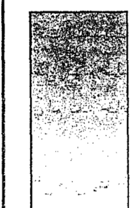


المؤتمر المشبوه !

بقلم : عبد الرحيم البلوشي(*)

عقد مؤخراً برعاية النظام الإيراني ما سمي بـ(مؤتمر الوحدة الإسلامية) الذي دعي إليه ـ ضمن من دعي ـ نفر من أهل السنة من خارج إيران يشاركون في هذا التجمع المشبوه! ولا نقول ذلك من فراغ؛ إذ تبين لنا أنه أحد مؤتمرات الضِّرار التي يعقدها القوم لتبييض صورتهم الملطخة بالإساءة المستمرة لأهل السنة داخل إيران؛ حيث وزعت في مؤتمر الوحدة هذا!! الكتب والأشرطة التي تسيء للسنة وأهلها، وتهاجم الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ بأساليبهم المعروفة من التكفير والتفسيق والذم. ومن المواضيع التي نوقشت خلال المؤتمر موضوع (التَّقِيَّة) لمحاولة إضفاء الصفة الشرعية عليه، وتطرَّق البحث إلى موضوع المذاهب الكلامية في الإسلام فأثبتوا ـ كالعادة ـ أصالة (رفضهم) وأن التشيع كان موجوداً منذ عهد النبي ﷺ. أما الاتجاه السني فهو ـ في زعمهم ـ حادث وطارئ؛ إذ جاء بعد القرنين الثاني والثالث؛ وهذه دعوى تافهة يعرفها أصغر طلبة العلم.

ولتأكيد الوحدة الإسلامية المزعومة عرضوا على المؤتمرين فيلماً لعددٍ من طلاب السُّنَّة بعد أن تم انتزاع الاعترافات منهم تحت التهديد



والتعذيب ـ فيما يبدو ـ وبكل وقاحة لُقِّنوا بأنهم كانوا وهّابيين، وأنهم كانوا يدرسون العقيدة الواسطية لابن تيمية، وكتاب التوحيد لابن عبد الوهاب؛ لكنهم الآن تائبون نادمون، ويقدمون اعتذارهم إلى الجمهورية الإسلامية طالبين العفو والرحمة!!

وعرضوا فيلمًا آخر لمجموعة أخرى يعترفون بأنهم من جماعة (الفرقان) وأنهم تدربوا خارج إيران للقيام باغتيال إمام الجمعة الحكومي في بلدتهم؛ وهذه أيضًا أساليب مستهلكة لم يعد يخفى على أحد تزييفها؛ وقد ألقى خطيب الجمعة المعني خطبته مهددًا أهل السنة في إيران بأن الحكومة ستصب الرصاص المذاب في أفواه هؤلاء وأمثالهم.

ومما يؤسف له أن توصيات هذا المؤتمر قد تلاها أحد علماء السنة الإيرانيين المعروفين بعمالتهم للرافضة (فحسبنا الله، ونعم الوكيل)، ونحن نستنكر ما جاء في ذلك المؤتمر المشبوه وأمثاله مما يعد له سلفًا للإساءة إلينا وإظهارنا أمام الرأي العام بأننا إرهابيون زورًا وبهتانًا، ونؤكد أن تلك الاعترافات التي أدلى بها أولئك الطلاب إنما تمت تحت التعذيب، مما يجعلها عارية عن أي صفة شرعية أو قانونية، أو أن هؤلاء الذين ادُّعيَ أنهم طلبة تائبون نادمون ليسوا إلا ممثِّلين مأجورين أو متطوعين للقيام بهذا الدور الذي لم يَعُدْ خافيًا على أهل النظر والتدبُّر.

ونتساءل بكل مرارة: إلى متى تنطلي أكاذيب القوم على أهل السنة؟ وإلى متى يتدافع بعض أهل السنة لحضور تلك المؤتمرات وهي معروفة الأهداف والنوايا؟

ولا نملك إلا أن نقول لهم: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

(*) مدير مكتب رابطة أهل السنة في إيران ـ بلندن ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

الطريقة الاستفزازية التي تتعامل بها أمريكا مع قضية فلسطين تنبئ عن العقلية المتعصبة المتوترة التي تفكر بها؛ فراعية السلام المحايدة! عجزت عن مجرد اتقان تمثيل هذا الدور حتى النهاية، على الرغم من الإمكانات المسرحية الهائلة التي تمتلكها. وشعاراتها التمثيلية (سلام الشجعان!) لم تستقر عليها، بل أصرت على أن ترفع شعاراً آخر تلزم به طرفًا واحداً فقط، وهو: (سلام العبيد!!) تُمارس من خلاله كل ألوان الإذلال والاستهانة والعبث بعقول أمة.

وقديمًا بيّن (جوستاف لوبون) الخلفية الفكرية والنفسية التي يتعامل بها الغرب مع القضايا الإسلامية بقوله: «لقد تجمعت العقد الموروثة: عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة، حتى أصبحت ضمن تركيبنا العفوي».

وليس العتب الحقيقي على الغرب فما تخفي صدورهم أكبر، ولكن العتب كل العتب علينا أبناء هذه الأمة الذين نرضى بالدنية في ديننا، ونقبل تلك المسرحية التي اتضحت ألاعيبها وتكشفت مهازلها!!

في هذا العدد :

● افتتاحية العدد

لا عزاء للطغاة ٤

التحرير

● دراسات شرعية

هل يمكن التعاون بين المسلمين ٨

هيثم بن جواد الحداد

● دراسات تربوية

موقف النظرية التربوية الإسلامية من النظرية التربوية الغربية ١٦

عبد المجيد بن مسعود

● دراسات دعوية

فتن يجب الفرار منها ٢٤

عبد العزيز بن ناصر الجليل

● تأملات دعوية

رفقًا بالشباب ٣٠

عبد الله المسلم

● من قضايا المنهج

العمل الإسلامي ومنهجية التغيير ٣٢

د. جلال الدين صالح

● حوار

مع فضيلة د. عمر الأشقر.. ٣٦

التحرير

● نص شعري

رسالة إلى الأقصى......... ٤٦

عبد الله بن عطية الزهراني

● ندوات ومحاضرات

التطورات الأخيرة لعملية السلام والتوقعات المستقبلية ٤٨

وائل عبد الغني

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤ /٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي امام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة : ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

امريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم الهاتفي: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

المسلمون والعالم

● مؤتمر الشبيبة في باريس..
أحلام يوحنا بولس........ ٦٢
أبو إسلام أحمد عبد الله

● تقرير الحالة الدينية في مصر
عرض وتحليل ٧٠
أيمن محمد سلامة

● عولمة أم أمركة المصلحة
دبلوماسية الإجبار (٣) .. ٨٢
حسن قطامش

● **في دائرة الضوء**
عقد النقص والدونية............ ٩٢
د. محمد يحيى

● **هموم ثقافية**
إشكالية نتائج وإفرازات
الديمقراطية ٩٦
د. سامي محمد الدلال

● **منتدى القراء**
● حددت الهدف ..
الإيمان بالغيب ١٠٦
● محاسبة النفس..
الأمة والحاجة إلى الصبر ١٠٨

● **عجلة الحياة ..**
حديث صريح مع
العلمانيين ١٠٩

● **بريد البيان**
ردود على بعض رسائل
القراء ١١٠
التحريـر

● **الورقة الأخيرة**
بين الحق والرجل ١١١
محمد بدري

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٤٠ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس ، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ دينار ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

لا عزاء للطغاة

كانت فترة الخمسينات والستينات الميلادية مليئة بنماذج مشوهة من الطواغيت الذين ملؤوا الدنيا ضجيجاً مجوجاً، عقوداً مديدة ... مريرة .

فكان منهم: الرفيق، والقائد الأوحد، والجنرال والماريشال، والكولونيل، إلى آخر ذلك من ألقاب اكتسبوها في غفلة من البطولة الصادقة، واستغفال الشعوب المنقادة بالظلم وبمباركة أولي الأمر من شرق وغرب .

أطبق طغيانهم على شعوبهم ظلمات بعضها فوق بعض، وتبدلت المفاهيم الصادقة إلى ضدها؛ فكان الظلم عدلاً، والباطل حقاً، وأضحى الناس بين خفض ورفع، فمن أتقن الانتهازية وأدرك اللعبة وكان من التابعين؛ فروح وريحان، ومن أبت نفسه ذلك وتمسك بمبادئ الأولين، فله شقاء الكادحين، وشظف المعدمين، إن لم يكن من المسجونين.

إذا جاعت الشعوب.. أكلت جوعها لتزداد جوعاً، أما الطغاة، فإذا شبعوا... جاعوا ليأكلوا حتى يموتوا.



لبست الشعوب على عظامها جلوداً كجلود الأحذية، وهم لبسوا شحوماً على لحومهم.



استثمروا أموال تلك الشعوب بطريقة خاصة، في مصارف خاصة، فلم يعد منها لهم شيء البتة.

ولكن سنة الله في الطغاة وإخوانهم لا تتبدل، فلهم خزي الدنيا، ولَعذاب

الآخرة أشد.

في الأيام القليلة الماضية هلك الماريشال «موبوتو سيسي سيكو» النمر المرقط، إمبراطور زائير السابق، وهو الذي قام في «أيلول زائير الأسود» بانقلاب عسكري عام ١٩٦٠م مقابل خمسة ملايين دولار من بلجيكا، لكن المحاولة أخفقت لقلة الأموال، وربما لأن الإخفاق كان هو المستهدف، ثم انقلب مرة أخرى بأموال أخرى وذلك عام ١٩٦٥م ونصب نفسه رئيساً مطاعاً، وكان يراد له أن يلعب دوراً فجثم على صدور الزائيريين أكثر من ثلاثين عاماً، حلب فيها الوصيلة والحامي، وتردى شعبه بعدما نطحه، بينما هو قد أكل لحوم السباع ولبس جلودها.

بلغت ثروته التي جمعها من راتبه الشهري!! ما يقارب السبعة مليارات من الدولارات، وتوزعت ثروته العقارية ما بين قصور.. وقصور، في فرنسا وبلجيكا، ولوكسمبورج وإيطاليا، وأسبانيا.

مرض الرجل بمرض الطغاة المعتاد.. «سرطان البروستاتة» وخرج للعلاج، فانقلب البلد ولكن هذه المرة بأموال أمريكية قدمتها أياد غير بلجيكية.. هام الرجل على وجهه يطلب ولو كوخاً يؤويه؛ فقد حيل بينه وبين قصوره، وتنكر له رفاقه الطغاة حين طلب أن يكون لاجئاً لا إمبراطوراً، فحنطوه في ذله، وأذلوا كبرياءه.



ظن موبوتو وهو على سرير المرض أن الشعب سيفديه بالأرواح والمهج، وأنهم سيحملونه على جناحي طائرة ويعودون به مرة أخرى، ولكنه عندما أيقن بالنهاية، قطع حبال الأحلام، وأحضر القساوسة الكاثوليك، وتوسل إليهم أن يدعوا له بالمغفرة والرحمة!!

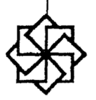
خرج القساوسة بعدما ترحموا عليه، ودخلت مجموعة من المحامين

والمحاسبين لوضع الشكل النهائي لمصير ثروته وأملاكه!!

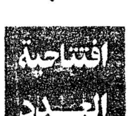
مات موبوتو ولم يبكه أحد، حتى أبناؤه كانوا منشغلين بالتركة التي تركها، وحاولوا أن يختموا حياة أبيهم بكرامة، ولو صغيرة، فطلبوا حضور مندوبين عن الدول الكبار التي وضعته في الحكم، فاعتذر الجميع، ودُفِنَ «مؤقتاً» في جوار الأطلسي.

وإذا كان الرجل قد هان على أوليائه في نهاية حياته؛ فلم يروا أن يدفعوا عنه آثار ظلمه وعاقبة بغيه على الرغم من أنه كان أداة لظلمهم ومجدافًا في أيديهم، بل لم يفاوضوه حتى يحفظ ماء وجهه، وأقصى ما قدموه له أن سمحوا له أن يفر بجلده كي لا يموت ذليلاً مغموراً مرتين.

فهل يتذكر العقلاء أن تلك النهاية هي ثمرة ولاية الشيطان التي قصها القرآن: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وهل يتذكر قوم يشترون ما عند أولئك الأولياء بعز أوطانهم ودماء شعوبهم؟.



لقد عاد موبوتو إلى قساوسته فهل يعود قومنا إلى الله قبل أن يلقوه حكماً عدلاً فيسألهم عما أضمروه ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** ﴾ [إبراهيم الآيتان: ٤٢، ٤٧]؟



إن حديثنا الذي هو صدى للحدث منطلق من ثوابت، ولنا منه نحن أيضًا نصيب: فالليل خطوة والنهار خطوة، ثم ما يلبث العمر حتى ينقضي والأيام

تطوى، ويمثل المرء أمام الحكم العدل لينظر عن يمينه فلا يرى إلا عمله، وعن يساره فلا يرى إلا عمله، لقد أمرنا الله سبحانه في قرآنه الكريم أن نسير في فجاج التاريخ، ونضرب في أصقاع الدهور، ونستنطق الأحداث، ونفتش عن مواضع العبرة ومواطن العظة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩] فكيف إذا جاءتنا الأحداث وقرعت أبوابنا الوقائع ورأيناها رأي العين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ؟

يقول سيد قطب (رحمه الله): إن تلك النهايات كلها تفيض الطمأنينة على القلب المؤمن، وهو يواجه الطغيان في أي زمان ومكان، تفيض طمأنينة خاصة؛ فربك هناك راصد لا يفوته شيء، مراقب لا يَندُّ عنه شيء، فليطمئن بال المؤمن، ولينم ملء جفونه، فإن ربك بالمرصاد للطغيان والشر والفساد..

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[ص: ٥٥، ٥٦]

إن أولئك الطغاة وأمثالهم يصدق فيهم قول الحق (تبارك وتعالى): ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] وقوله: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] وليكون ذلك تحذيراً لكل مستبد، فإن ربك بالمرصاد؛ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].



ومن الخسران المبين: ألا يعتبر اللاحق منهم بالسابق، وأن يسلك الطريق نفسه إلى خزي الدنيا وعذاب الآخرة!



هل يمكن التعاون بين المسلمين مع وجود الاختلاف؟

بقلم: هيثم بن جواد الحداد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه من والاه، وبعد:

فقبل الخوض في غمار هذه القضية الشائكة لا مناص من البدء بالتأكيد على أصلين عظيمين لا بد أن يستصحبهما من يتناول هذا الموضوع قراءة أو بحثاً:

أما الأصل الأول: فهو وجوب الاجتماع، ونبذ التفرق.

وهذا أصل عظيم من أصول الإسلام تضافرت في الدلالة عليه بطرق شتى آيات وأحاديث كثيرة جداً، وفاضت به كتب علماء الإسلام قديماً وحديثاً، ولا أظن أحداً يخالف فيه، فلا داعي لإطالة الكتابة بذكر أدلته وأقوال العلماء فيه ويكفي أن نذكّر بقول الله (عز وجل): ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال القرطبي (رحمه الله تعالى): «.. فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة؛ فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، ورحم الله ابن المبارك إذ يقول:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا   منه بعروته الوثقى لمن دانا»[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى): «وهذا الأصل العظيم، وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً، وألا يتفرق: هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله (تعالى) به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة أو خاصه، مثل قوله ﷺ: «عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة».. وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة، بل وفي غيرها: هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم ـ وإن كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحيه، أو توبته، أو غير ذلك ـ لكن

(١) تفسير القرطبي ٤/١٥٩.

ليعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام »[1] .

وأما الأصل الثاني : أن من صَدَقَ عليه وصف الإسلام لا بد أن ينال من الحب والولاء ولوازمهما بقدر ما معه من الإسلام والإيمان، وفي المقابل يجب أن ينال من البغض والتبري بقدر ما معه من عصيان، وأن الولاء والحب لا يزولان بالكلية، إلا بخروج الإنسان بالكلية من الإسلام، فعندئذ فقط يستوجب كمال البغض والتبرؤ، يقول ابن تيمية (رحمه الله تعالى) : « وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم . . »[2] .

بعد ذلك لا بد من بيان بعض الأمور:

أولاً : لا بد من بيان حكم التعاون بين المسلمين؛ والأصل فيه قوله (تعالى) : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] وما في معناها من آيات وأحاديث، وهي ظاهرة في وجوب التعاون بين المسلمين ـ فهم المخاطبون بتلك الآية ـ على البر، وظاهرة في تحريم التعاون على الإثم والعدوان .

وهنا نقول : إن كل من صدق عليه وصف الإسلام، وجب التعاون معه على كل ما يصدق عليه أنه بر وتقوى؛ عملاً بعموم الآية الكريمة، ولا شيء يخصص هذا العموم .

والأخذ بهذا الأصل، بشروطه المذكورة في الآية ـ بهذه البساطة والوضوح ـ يريح المسلم من كثير من التعقيدات والإشكاليات حول موقف المسلم من المخالفين له .

ولنضرب لذلك مثالاً يعتبر من أكبر الإشكاليات في هذا الوقت وهو التعاون مع أهل البدع، فنقول : إذا لم يكن أهل البدع ممن يكفرون ببدعتهم، كبعض الصوفية، والأشاعرة وغيرهم، ممن لا يزال وصف الإسلام صحيحاً عليهم، وكان التعاون معهم في أمر يصدق عليه أنه من البر والتقوى، مثل أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو دعوة إلى الله، أو بناء مسجد، أو غيرها، فما هو المحذور الشرعي من ذلك التعاون؟

---

(١) رسالة خلاف الأمة في العبادات ص ٣٢ ـ ٣٤ .

(٢) الفتاوى ٢٨/٢٠٨ ـ ٢٠٩، وللاستزادة حول هذا الموضوع : يراجع الولاء والبراء للدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والموالاة والمعاداة لمحماس بن صعب الجلعود .

فالجواب: عندئذ لا يعد التعاون مع هؤلاء على مثل تلك الأمور تعاونًا على البر والتقوى، بل أصبح تعاونًا على الإثم والعدوان، ونحن منهيون عنه.

فإذا اشتمل التعاون على بر وإثم في آن واحد، رجعنا إلى الأصل الشرعي المتفق عليه وهو إذا تعارضت مصلحتان أخذ بالأعلى منهما، كما أنه إذا تعارضت مفسدتان قدم الأخف منهما، فيصدق على ما يقدم في كلتا الحالتين أنه من البر والتقوى.

قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى) «... فإذا تعذر إقامة الواجبات، من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرًا من العكس، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل..»[1].

بعد هذا البيان المقتضب الخالي من التعقيد لا شك أن كثيرًا من المسلمين لن يروق له ذلك في بادئ الأمر، وسيعترض عليه، بل ربما رفضه، ولكنه لو تأمل لوجد أن هذا الإشكال الكبير الذي دوَّخ كثيرًا من المسلمين، وأدخلهم في دوامات لا نهاية لها، وزجَّ بهم في صراعات متنامية، هذا الإشكال ينتهي ويُحل إذا فهمنا هذه الآية فهمًا دقيقًا حسبما تقدم ذكره؛ إذ لا معارض لها من آيات أو أحاديث أو أصول عامة.

وبهذه المناسبة أقول: إن وجود هذا الإشكال بهذا الحجم، حدث بسبب التقصير في الاعتماد على نصوص الوحي في الاستدلال، والتقصير كذلك في الاعتماد على أصول الاستنباط المتفق عليها، التي من أهمها فهم النصوص الشرعية في ضوء قواعد الشريعة العامة المتفق عليها، واستبدال ذلك بالموازنة بأقوال العلماء، حتى أصبح كلامهم كالنص، يجب العمل به، ويُحمل على عمومه.

بل ربما أصبح كلام بعض العلماء وبعض مواقفهم، هو الأصل وأن الآيات والأحاديث تُحمل عليه، ولم تعد الوقائع، أو أفعال الصحابة أو مواقفهم، وكذلك أقوال العلماء تُرجع إلى الأصول العامة المتفق عليها وتقارن بها، وإنما تُجتزأ اجتزاء، وكل فريق يجتزئ من النصوص والأقوال ما يدعم مذهبه، ويرد كل على الآخر، ويتكلف كل فريق في الاستدلال وإيراد الأقوال الدالة على مذهبه، ويكثر اللغط؛ فتظهر تلك القضية كأنها من القضايا الكبرى المصيرية، التي تنبني عليها الموالاة والمعاداة، وتحدث الفرقة، ويغيب الحق، ويزج بالدعاة في دهاليز مظلمة، يصعب

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢١٢.



عليهم الخروج منها وينصرفون عن واجبهم الأول وهو الدعوة إلى الله، إلى صراعات حزبية لا تزيد الأمة إلا وهنًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ونعود الآن إلى ما نحن بصدده.

ثانيًا: لا بد من التفريق بين التعاون الذي أُمرنا به وبين الحب والبغض، والولاء والبراء الذي أمرنا به كذلك؛ فحينما نقول: يجب أن نتعاون مع المسلمين على البر والتقوى، فإن هذا لا يعني أن الحب الكامل والولاء الكامل يجب أن يتوجه إلى كل المسلمين؛ فالتعاون شيء، والحب والبغض شيء آخر، فنحن نتعاون مع الفاسق في بناء مسجد مثلاً مع أننا نكره ونبغض في الله ما يأتيه من فسق، وربما يُمَثَّل لذلك بأننا أُمرنا بالجهاد مع البر والفاجر من الأمراء، مع أننا نبغض الفاجر لفجوره، ومن لازم بينهما ـ أعني التعاون والمحبة، فعليه الدليل والتعليل.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن الأصل المتقدم من جواز اجتماع الخير والشر في الرجل الواحد، وأنه ينال من الحب بقدر ما معه من خير، وينال من البغض كذلك بقدر ما معه من الشر، هذا الأصل دال على هذا وشاهد عليه.

وكما ذكر ابن تيمية في الفقير السارق: «تقطع يده لسرقته، ويعطى من الزكاة أو الصدقة لفقره».

وبهذا يزول قدر أكبر من الإشكال، فلا مانع من التعاون مع المخالف على البر والتقوى، ونحن في القلب نكره ما فيه من مخالفة، ونتبرأ منه بقدر ما معه من مخالفة.

وهنا قد يقول قائل: ولكن التعاون مع المخالف مثل أهل البدع؛ قد يتضمن الرضا ببدعتهم، أو قد يصور للناس أن المتعاون معهم هو منهم، وموافق لهم على بدعتهم؟!

والجواب: ينظر حينئذ في المصالح والمفاسد المترتبة على هذا التعاون؛ فأيهما غلبت كان لها الحكم؛ فإن كان ظهور الإنسان بمظهر الموافق لهم على بدعتهم ينطوي على مفسدة أكبر من المصلحة المترتبة على ذلك التعاون، مُنِعَ التعاون، وإلا فلا، وكذلك الأمر إذا كان نشر البدعة وإظهارها وحض الناس عليها، له مفسدة ـ وهو في الغالب كذلك ـ أكبر من المصلحة المترتبة على ذلك التعاون أصبح هذا التعاون من التعاون على الإثم والعدوان؛ فهو داخل في النهي، فيزول بذلك الإشكال.

أما مسألة الرضا ببدعتهم: فلن يرضى عنها إلا من هو موافق لهم وعلى مذهبهم، أو يرى أنها ليست بدعة، أو من كان متساهلاً في أمر البدع؛ وهذا كله راجع إلى أمر قلبي في ذات الشخص، فكأنه أصبح منهم، فليس هو عندئذ ممن يسأل هذا السؤال.

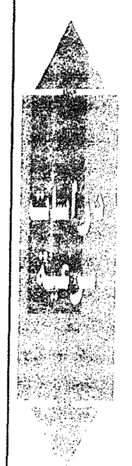
وقد يثار هنا إشكال آخر وهو: ألا يعتبر التعاون مضاداً لهجر المخالفين الذي أُمرنا به؟

والجواب: أولاً: لا بد أن نعلم أن الهجرَ خلافُ الأصل واستثناءٌ منه؛ إذ الأصل وجوب الألفة والمحبة بين المسلمين والآيات والأحاديث ونصوص العلماء سلفاً وخلفاً على ذلك متضافرة، قال الله (تعالى): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[١] قال ابن عبد البر: «وفي هذا الحديث من الفقه: أنه لا يحل التباغض؛ لأن التباغض مفسدة للدين، حالقة له، ولهذا أمر ﷺ بالتواد، والتحاب ... ثم قال: فمعنى: تدابروا، وتقاطعوا، وتباغضوا، معنى متداخل متقارب، كالمعنى الواحد في الندب إلى التآخي، والتحاب، فبذلك أمر رسول الله ﷺ في معنى هذا الحديث وغيره، وأَمْرُ رسول الله ﷺ على الوجوب حتى يأتي دليل يخرجه إلى معنى الندب»[٢].

كما أن الهجر ـ إن عملنا به ـ لا يكون إلا مدة يسيرة عابرة، قال النووي: «قال العلماء: وفي هذا الحديث ـ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق... ـ تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث، وإباحتها في الثلاث، الأول بنص الحديث، والثاني بمفهومه»[٣].

ثم إن الأصل في الهجر المصلحة، كما نص على ذلك جمع من العلماء[٤]؛ فحيث وجدت المصلحة جاز الهجر، أما إذا انتفت المصلحة، أو كانت المفسدة المترتبة على الهجر أكبر من المصلحة المترتبة عليه حرم.

قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى): «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في



---

(١) متفق عليه من حديث أنس، أما البخاري فرواه في الأدب باب الهجرة، وأما مسلم فرواه في كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٦/١١٦ ـ ١١٧)، وانظر الهجر في الكتاب والسنة لمشهور سلمان.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٦/١١٧، وأحاديث الهجر المشهورة في الصحاح والسنن كلها تقيد الهجر بمدة معينة.

(٤) انظر جملة من هذه النصوص منثورة في كتاب الهجر في الكتاب والسنة، لمشهور سلمان، ولم أر في حدود ما اطلعت عليه، من نص من أهل العلم أن الهجر يعمل به بصرف النظر عن المصلحة المترتبة عليه.



قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور عنه وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفْيَته كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوما، ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرًا من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح.

وجواب الأئمة كأحمد وغيره، في هذا الباب مبني على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخرسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق[1].

وقال في موطن آخر: «فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد، ولا انتهاء أحد، بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها، كما ذكره أحمد عن أهل خرسان إذ ذاك، أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية، فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم، سقط الأمر بفعل هذه الحسنة، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي، وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم...»[2].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الهجر لا ينافي مبدأ التعاون، فإذا قبل المخالف التعاون على أمر فيه مصلحة للمسلمين مع إصراره على التمسك بما هو عليه من مخالفة ـ لو تصورنا ذلك ـ فما المانع من التعاون معه، إذا كانت المصلحة في الأمر المتعاون عليه هي الغالبة.

وبهذا يظهر أن أمر التعاون مع المخالف، قد يكون في كثير من صوره أمرًا خاضعًا للاجتهاد؛ وذلك حسب كل حالة والظروف المحيطة بها، وأنه منوط بالمصلحة،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٦.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢١٢.

وعندئذ فلا يجوز لأحد أن ينكر على من خالفه في الأخذ بمبدأ التعاون في بعض الصور إذا كان يظهر أن المصلحة ربما تكون فيها راجحة ولو من وجهة نظر المخالف.

وفي ظل هذا نستطيع فهم كثير من مواقف السلف الصالح، والعلماء، حول هذه القضية، ففي بدر ـ مثلاً ـ حكى الله (عز وجل) عن الصحابة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ولا شك أن الرسول ﷺ كان عالمًا بمن هو من أصحابه ممن يريد الدنيا، أو لإعلام الله له بذلك إن كان فيه ضرر عليهم، ومع ذلك فقد جاهد الجميع في خندق واحد.

ولذا أمرنا بالجهاد مع البر والفاجر من أمراء المسلمين(١)، وعلى مر التاريخ جاهد علماء المسلمين مع أمرائهم وأئمتهم ولو خالفوهم في بعض مسائل الاعتقاد؛ لأنهم رفعوا راية إعلاء كلمة دين الله بصدق.

ولا بد من أن نؤكد هنا ـ بناء على ما تقدم ـ على أن مواقف الأئمة وأقوالهم في المخالفين، يجب أن تُفهم في ضوء هذا الأصل، وهو أن الموقف من المخالف منوط بالمصلحة؛ فكل زمن له وضعه وأحواله؛ فليس زمن قوة الإسلام كزمن ضعفه؛ فلا يجوز أبداً اجتزاء بعض أقوال العلماء بعيداً عن هذا الأصل، ومن ثم الاحتجاج بها، فضلاً عن أن تجعل أدلة قائمة بذاتها، لتسويغ الفرقة الحاصلة بين المسلمين، وما أجمل كلام شيخ الإسلام إذ يقول: «... وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل، قد علم المسؤول وحاله، أو خرج خطابًا لمعين قد علم حاله، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول ﷺ إنما يثبت حكمها في نظيرها، فإن أقواما جعلوا ذلك عامًا، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به، فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمر بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض، لا ترك المنتهي الكاره، أو وقعوا فيها... ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه. والله أعلم».

---

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برًا كان أو فاجرًا، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برًا كان أو فاجرًا وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم برًا كان أو فاجرًا وإن عمل الكبائر، رواه أبو داود كتاب الجهاد، وقال البخاري: باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر لقول النبي ﷺ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير.

وأخيراً فقد يقال: لكن يبقى أن المخالف مخالفة سائغة يكون المسلم أقرب إلى التعاون معه، وكذلك النصرة له من المخالف مخالفة غير سائغة، ولا مقبولة، أو قد تحتم بعض الظروف معرفة درجه المخالف والمخالفة.

وهذا ولا شك صحيح يضاف إليه ما ذكرنا مما يجب أن يقوم في القلب من حب وبغض وولاء وبراء بحسب المخالف، وهذا ما نتناوله في المسألة التالية:

ثالثاً: بقي النظر في المخالف، ودرجة مخالفته، وموقف الإنسان منه: محبة وبغضاً، وولاء وبراء؛ وهذه المسألة ذات شقين:

الشق الأول: وهو الحديث عن الخلاف، والمختلفين.

وأما الشق الثاني: فهو الحديث عن الموقف من الخلاف، والمختلفين.

فبالنسبة للشق الأول، فإنه لا بد أن نحرر أقسام الخلاف وأنواعه تحريراً دقيقاً.

والذي يظهر لي أننا يمكن أن نقسم الخلاف بين المسلمين، بحسب الموقف منه إلى خلاف سائغ، وخلاف غير سائغ.

والأساس الذي بني عليه هذا التقسيم، بل وأكثر مسائل الخلاف وما ينبني عليها: متى يكون المخالف لنا، مخالفاً لأمر الشارع ـ جل وعلا ـ عاصياً بفعله ـ وهذا بالطبع فيما يظهر لنا ـ فعندئذ يستوجب ما يستوجبه العاصي من نكير، وبغض وتبرؤ من عصيانه، ومتى لا يكون كذلك؟

والأصل في هذا كله قوله (تعالى): ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [النساء: ٥٩] وما في معناها من آيات وأحاديث.

وحاصل ذلك بعبارة موجزة: أن من انتظم في سلك هذه الآية، بمعنى أنه يصدق عليه أنه راد الأمر إلى الله ورسوله، فإنه فاعل ما أمر به، فهو معذور، وأما من لم يرد إلى الله ورسوله، فإنه ولا شك مخالف أمر الله، وهو عاص مستحق للعقوبة، مستحق للبغض والهجران بقدر ما حصل منه من مخالفة.

وتقسيم الخلاف إلى سائغ، وغير سائغ، مبني على ذلك؛ فمن انتظم في سلك الآية، فخلافه سائغ، ومن لا فلا.

وعليه؛ فإذا فهم هذا الدليل، ووجه الاستدلال به، اتضح ما يأتي من تفصيل، وظهر وجهه؛ كما سنبينه في الحلقة القادمة ـ إن شاء الله.

موقف النظرية التربوية الإسلامية
من النظرية التربوية الغربية

بقلم:
عبد المجيد بن مسعود

مقدمة:

لعل من الثوابت التي أصبحت راسخة في وجداننا الحضاري وسلوكنا الفكري ـ نحن المسلمين ـ في العصر الحديث، وباتت تتحكم بقدر غير يسير في منهج دراستنا للظواهر، وتحليلنا لمختلف القضايا الفكرية والتربوية، لعل من تلك الثوابت: أن نعرض الأنساق والنظم الإسلامية المرتبطة بشتى مجالات النشاط النظري والفكري، في سياق المقارنة بينها وبين مثيلاتها في عالم الغرب، ولا شك أن هذا الثابت النسبي ستستمر مسوغاته وفعالية تأثيره على تحليلاتنا ودراستنا الفكرية والنظرية، ما دام هناك في واقعنا المعاصر فئات عريضة من الناس تنظر إلى الغرب على أنه مركز الحضارة والإشعاع الفكري المستنير الذي لا نملك إزاءه إلا أن نطاطئ رؤوسنا في خشوع! من هنا رأيتني أُقبل على دراسة موقف النظرية التربوية الغربية ومناقشتها في ضوء معالم التربية الإسلامية؛ بغرض إبراز التصور التربوي الإسلامي للتربية. والواقع: أن منهجية المقابلة هذه لا يمكن للتصور الإسلامي إلا أن يخرج منها منتصراً مرفوع الرأس؛ لأنه ينطلق من موقع قوة يستمدها من ربانية مصدره التي تمنحه التنزه عن التجاوز والضعف، والاهتزاز والقصور، ولأن منهجية المقابلة تقتضي عرض الصورة كاملة أمام الناس ـ بكلا طرفيها ـ فيتضح الطرف الهزيل من الطرف القوي، من خلال إبراز العناصر والمكونات التي تدخل في نسيج كل بناء نظري على حدة.

النظرية التربوية عرض وتقديم:

هناك قواسم مشتركة بين النظريات التربوية الغربية تتمثل فيما يلي:

أولاً: الاعتماد المطلق على العقل:

منذ البداية يمكننا أن نلفت النظر إلى

حقيقة أساس مفادها: أن النظريات الغربية على تعددها وتباينها في بعض الخصائص والصفات، تكاد يجمعها قاسم مشترك هو: كونها صادرة عن مصدر وحيد في المعرفة هو: العقل البشري في حركته ومعاناته وقلقه المأساوي في البحث عن الحقيقة، وكونها صادرة عن تصور واحد للكون والإنسان والحياة.

والجدير بالاعتبار أنه ما من نظرية في التربية إلا وهي انعكاس لمذهب فلسفي ما، وهذه قاعدة عامة لا يمكن أن يند عنها أي مذهب تربوي.

ولا تعدو الاختلافات التي تظهر بين نظرية وأخرى أن تكون تعبيراً عن الاختلاف والتنوع في الملابسات والتطورات التاريخية التي مرت بها المجتمعات الغربية، بكل ما تحمله تلك التطورات من أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية وغيرها.

ثانيًا: النظريات التربوية الغربية ضيقة الأفق أحادية النظرة:

فالنظرية التربوية المثالية هي صدى للفلسفة الأفلاطونية حيث يقول أفلاطون بعالمين: «العالم المحسوس» ويتألف من الأجسام أو الماديات، و«العالم المعقول» وهو يتكون من الموجودات المجردة[1].

فتلك النظرية تنطلق أساسًا من «الصدارة المطلقة للروح على المادة» وهي تفضي إلى تصرف تأملي يهمل المشكلات الزمنية، وطبيعة الإنسان الأرضية، وتعنى أساسًا بكمال الروح ونجاتها.

وانطلاقًا من هذه المعطيات يتجلى لنا الطابع النظري الذي يكتسيه التعليم في إطار النظرية المثالية؛ حيث إن الهدف من التربية يرمي بالدرجة الأولى إلى «تمرس العقل بالتراث الفكري والعقلي الذي خلفته الأجيال السابقة، بل اكتسب هذا التراث صبغة القداسة وأصبح ينقل بحرفيته، وارتبطت موضوعات الدراسة بضرورات التراث بدلاً من ضرورات الواقع، وصارت صلتها الوثيقة بالماضي في تحوّل دون ارتباطها بالحاضر والمستقبل»[2].

أما المذهب الطبيعي، فإنه على العكس من المذهب المثالي؛ إذ يركز على الجسد وما به من عواطف وغرائز وميول، فيعطيها الأهمية القصوى على حساب العقل.

وإن كان من المعلوم أن هذا المذهب قد تجاوز من طرف التيار النفسي في

---

(١) سعد بن عبد الله، أصول التربية الإسلامية، ص ٤٠.

(٢) أحمد علي الفنيش، أصول التربية، ص ٢٩، ٣٠، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

التربية الذي يستمد أسسه من رائد المذهب نفسه «روسو»، حيث يرى «بأن اللجوء إلى علم النفس هو الإمكانية الوحيدة لتوفير المعيار الحقيقي لموضوعية البيداغوجيا»[1].

ومما يؤخذ أيضًا على هذه النظرية تضييق نطاق التربية بحيث ينحصر في الطفل، الأمر الذي أدركت التربية المعاصرة خطأه وقصوره فوسّعت نطاق التربية ليشمل المراهق والراشد والشيخ، وهذا ما أكدت عليه الرابطة الدولية (الجديدة) للتربية الجديدة.

أما المذهب البرجماتي، وهو ذلك المذهب الذي يحوّل «النظر بعيدًا عن الأشياء الأولية والمبادئ والقوانين والحتميات المسلَّم بها، (ويوجه) النظر نحو الأشياء الأخيرة: الثمرات، النتائج، الآثار»[2].

فإن مركز الثقل في اهتمامه لا ينصبُّ على الحقائق الثابتة، وإنما على ما يحصله الإنسان من منافع يستثمرها في حياته العلمية حتى إنه ينظر إلى الحقيقة على أنها هي المنفعة وفي هذا «خلط واضح بين الحقيقة نفسها، والهدف الأساس من محاولة الظفر بها، فقد ينبغي أن يكون الغرض من اكتساب الحقائق هو استثمارها في المجال العملي والاستنارة بها في تجارب الحياة، ولكن ليس هذا هو معنى الحقيقة بالذات، فإعطاء المعنى العلمي «البحت» للحقيقة، وتجريدها من خاصية الكشف عما هو موجود وسابق! استسلام مطلق للشك الفلسفي الذي تحارب التصورية والسفسطة لأجله، وليس مجرد الاحتفاظ بلفظة الحقيقة في مفهوم آخر كافيًا للرد عليه، أو التخلص منه»[3]، وما دام تيار الحياة متناميًا في سيره، فإن حقائق جديدة تلغي وتتجاوز الحقائق القديمة، فلا شيء يبقى ثابتًا، وفي ضوء هذه القناعة فإن أصحاب هذا المذهب يرون أن «التربية والنمو صنوان وليس للنمو غاية تتجاوزه أو تعلو عليه، فغاية النمو هو النمو ذاته»[4].

إن من عيوب هذا المذهب جعله الحياة الحاضرة محورًا وحيدًا للتربية دون الالتفات للحياة المستقبلية، الأمر الذي جعله يفتقد قاعدة صلبة من المبادئ

---

(١) محاضرات الأستاذ الدباجي في علوم التربية، المركز الوطني لتكوين المفتشين لسنة ١٩٨٧م، ١٩٨٨م.

(٢) خليل أبو العينين، مرجع سابق.

(٣) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ١٨٠، ط٢/٩/١٩، والكاتب رافضي ينسى الموضوعية عند الحديث عن عقيدته..

(٤) خليل أبو العينين، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

والأهداف الثابتة التي تضبط حركة الحياة، وتحمي الإنسان من التيه والقلق والتأرجح بين أحداث الحياة وتطوراتها المتلاحقة؛ وتلك نتيجة حتمية لإغفاله للجانب الروحي في الإنسان ورفضه للإيمان بما وراء المادة[١]، وهذا ما حكم على نظريته التربوية بالدوران في حلقة مفرغة، فهي تدور مع حركة الحياة المادية حيث دارت من غير الاستناد إلى مبدأ عميق ومقياس دقيق تفصل بواسطته بين الغث والسمين، والصالح والطالح ضمن تراث الإنسانية المترامي الأطراف، وتنفذ بواسطته وراء أسوار الحياة المادية الضيقة.

سمات عامة في التربية الغربية:

وهكذا فإننا إذا تأملنا المذاهب التربوية الثلاثة تبين لنا بوضوح انطباعُها بطابع النظرة الأحادية الجانب، التي تركز على بُعد واحد من أبعاد الكيان الإنساني على حساب الأبعاد الأخرى؛ فقد لمسنا كيف يضخم المذهب المثالي جانب الروح على جانب الجسد بكل ثقله، مستهيناً بما يستشعر ذلك الجسد من حاجات، عازلاً الإنسان عما تموج به الحياة، مغرقاً إياه في صور وخيالات غريبة لا قِبَلَ له بها، مخرجاً إياه من فطرته التي فطره الله (تعالى) عليها، وهذا في مقابل المذهب الطبيعي الذي يفعل العكس تماماً؛ فليس هناك في ظل ذلك المذهب مُثُلٌ عليا يتجه إليها، غير الانسياق وراء ما تمليه عليه الطبيعة، ولا مكانٌ مرموق لقوى العقل وضوابط الأخلاق، والثغراتُ نفسها تشكو منها النظرية التربوية البراجماتية؛ إذ إن إعداد الإنسان عندها هو الإعداد لحياة هادرة يتقلب الإنسان بعنف وراء أمواجها المتلاطمة دون تحديد لقواعد ثابتة يتم الرجوع إليها وللكمال الذي يأوي إليه.

إن نتيجة مهمة يمكن استخلاصها مما سبق، وهي أن تضارب الأفكار والمواقف الذي تعبر عنه النظريات الغربية، هو برهان ساطع على أن المنطلقات التي تصدر عنها تلك النظريات خالية تماماً من اليقين العلمي، وإلا لانتهت إلى قناعات مشتركة حول قضايا الإنسان والمجتمع، فهذا التخبط الذي تعاني منه هذه النظريات وغيرها نابع من الجهل بحقيقة الوجود وحقيقة الإنسان محور الحياة فيه، وهذا ما يؤكد عليه الدكتور «ألكسيس كاريل» في قوله: «إننا لا نفهم الإنسان ككل.. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا، فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح، تسير في

(٣) آمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٥٥، ط ١ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، جدة.

وسطها حقيقة مجهولة»[١].

من سمات النظرية التربوية الإسلامية: إن التصور الإسلامي في التربية تجاوز ذلك التخبط الرهيب، الذي ظل يلاحق النظريات الغربية؛ لأنه ينطلق من أسس وأصول محكمة وفهم شامل حول الكون والإنسان والمجتمع بني على وحي ممن خلق الإنسان ويعلم حقيقته وجوهره : ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وهو يتعامل مع الإنسان على بصيرة، بمكوناته كلها، دون إغفال إحداها لصالح الأخرى؛ لأن مطبقيه يعلمون أن ذلك الإغفال هو مدخل الخلل في الكيان البشري وانعدام التوازن فيه، وبالتالي إفلات الزمام تماماً من قبضة المربين الذين يتولون تنشئة الإنسان، وتعرّض هذا الأخير للدمار والانتكاس.

فالتربية الإسلامية التي تنبثق من الإسلام ونظرته الشاملة في الكون والإنسان والمجتمع، تميز في المعرفة بين مجال يرتاض فيه الإنسان بطاقاته العقلية، ويصل فيه إلى اكتشاف حقائق وأسرار، وهو مجال الطبيعة الفسيح الذي لا قِبَلَ للإنسان بمعرفته إلا عن طريق الوحي الإلهي: أي عن طريق الدين الصحيح، وهو مجال (ما وراء الطبيعة)، والكيان البشري بتعقيده الهائل وتفاعل عناصره جزء من ذلك المجال، وبتعبير واضح: مجال تنظيم حياة الإنسان وعلاقاته بالآخرين في دوائرها المختلفة وكيفية معاملته لذاته.

فإصرار الفكر الغربي على أن بوسعه معرفة كل شيء عن الإنسان هو الذي قاده إلى الطريق المسدود، والأزمة الخانقة التي تضرب الغرب بعنف شديد.

العلوم الكونية بين ذانك المنهجين:

وتقودنا المسالة الآنفة الذكر إلى البحث عن الدافع الذي كرس لدى الإنسان الغربي هذا الاعتداد بالعقل. ومن الميسور لنا أن نقول بأن التقدم العلمي الذي أحرزه الإنسان الغربي أدى إلى إصابته بالغرور والانبهار؛ فاعتقد ـ خطأً ـ أن العلم هو الآلة السحرية التي لا يند عنها شيء؛ ولا يعزب عنها مثقال ذرة، وخيل إليه من فرط إعجابه باكتشافات العلم أن هذا الأخير أصبح بديلاً عن الدين في تحقيق السعادة للإنسان.

أما التربية الإسلامية، فإنها تنظر إلى العلوم الكونية على أنها مجال لتعميق الإيمان بالخالق (عز وجل)؛ إذ إن المعرفة ليست معزولة عن الحكمة، بل هي علـ



(١) ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص ١٦، ط ٣، مكتبة المعارف، بيروت.

العكس من ذلك الخراب الذي يقود إليها، قال (تعالى): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال (تعالى): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وإننا بنظرة عميقة إلى كلمة الشهادة التي هي إعلان لدخول الإنسان في الإسلام نتبين حقيقتين عظيمتين في الوقت ذاته: الحقيقة الأولى: هي مسؤولية الإنسان الفردية في فعل الشهادة، والحقيقة الثانية: تعني أن تعبيري عن الشهادة بقولي: «أشهد أن لا إله إلا الله» «لا يحدث في فراغ أو في انعزال عن عالم الطبيعة، وإنما يحدث في عالم الطبيعة وبه، فالمعرفة المطلوبة في الشهادة لا تحدث في الإنسان وحده كعارف، وإنما تحدث فيه بوجود موضوع المعرفة أو وجود عالم المخلوقات بما فيها هو نفسه كأحدها»[(١)].

أهداف التربية بين المنهجين: إن الخصائص المذكورة التي ميزت النظريات الغربية في التربية، ومن بينها وقوع الفصام النكد بينها وبين الدين، وبالتالي التعويل على العقل وتأليه العلم، كل ذلك أوقع التربية الغربية في الذاتية والهوى ومحدودية الأفق في تحديد الأهداف الكبرى التي تتوخاها، ورغم الشوط الذي قطعته العلوم الإنسانية في الغرب، فإنها لم ترتق بتلك الأهداف «فعلى الصعيد الفردي دعت هذه العلوم الإنسان إلى الاعتماد على الذات وتقويتها؛ لأنها منبع القيم المستقل والمرجع الأخير لوجود الإنسان ووعيه بوجوده، وأصبحت الحرية في نظر الغرب متساوية مع الممارسة التي لا تخضع لمبدأ أو قانون، بل تصدر عن الإرادة الشخصية مجردة»، وقد تأثرت نظرية التربية بهذه النزعة إلى التمركز حول الذات؛ فأصبحت ترى غايتها في إحداث التجانس في الرغبات بين أفراد المجتمع الواحد، أما إذا تجانست فلا سؤال ولا استفهام بعد ذلك في خيرها أو شرها[(٢)].

لقد استقرت التربية الغربية على أن الهدف الأسمى (للتربية) الذي ينبغي العمل على تحقيقه هو إعداد المواطن الصالح، وشتان بين هذا الهدف الضيق

(١) عيسى عثمان، الإسلام اكتشف الإنسان، مجلة العلوم الاجتماعية، ص ٤٥.
(٢) إسماعيل راجي الفاروقي، مجلة المسلم المعاصر، ع/ ٣٩.



والهدف الرفيع الذي ترمي إليه التربية الإسلامية، وهو إعداد الإنسان الصالح «الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان؛ وذلك معنى أشمل ـ ولا شك ـ من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين»[١].

من إيجابيات النظريات التربوية الغربية: وإذا كانت النظريات الغربية ـ موضوع النقاش ـ تشكو من تلك العيوب والثغرات التي رأيناها، وهي عيوب وثغرات مترتبة حتماً عن طبيعة الأسس الفلسفية التي يشيد عليها أعلام الفكر والتربية في الغرب أبنيتهم ونظرياتهم التربوية، فإن الإطار العام لتلك النظريات قد اشتمل على بعض الاجتهادات في مجال التنظير والتطبيق التربويين، التي مكنت الفكر التربوي الحديث من تجاوز بعض العناصر المثبطة؛ فاهتداء التربية الحديثة في شخص أحد أقطابها المرموقين «روسو» إلى أهمية وضرورة تحرير الطفل من عوائق الآباء والمجتمع، وتحذير (البراجماتية) ـ مستفيدة في ذلك من تراث: «روسو» ـ من سلب الطفل فاعليته وقصر نشاطه على تقبل آراء المعلم ومتابعة أفكاره، بدل إشراكه بطريقة ديمقراطية في التفكير والبحث والتمحيص ليصل إلى الحقائق بنفسه[٢]، كل ذلك شكّل مكاسب في إطار الفكر التربوي الغربي أزاحت مجموعة من العوائق التي كبلت الفعل التربوي مما تسبب عنه ارتقاء في المردود التربوي وتحسن في وتيرته.

ملحوظة مهمة: ومن خلال بحث هذا الموضوع أرى ـ من الأمانة العلمية والإخلاص للحق ـ أن نورد ما انتهى إليه أحد الباحثين من أن هذا الذي أصبحت تنادي به التربية الحديثة من ضرورة تخفيف «آثار البيئة وآثار الآباء على نمو الأطفال من ناحية، وتنظيم البيئة التي تتطابق أكثر من غيرها مع خير نمو لنموهم العقلي والخلقي من ناحية أخرى»[٣]، إن هو إلا تعبير عما جاء به الإسلام ممثلاً في مفهوم الفطرة الواردة في حديث الرسول ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»[٤]



---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ١، ص ٩، ط دار الشروق، بيروت.

(٢) خليل أبو العينين، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

(٣) عيسى عثمان، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤) أخرجه البخاري بتمامه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين.

إن التأمل في واقع الإنسان يدلنا على قابليته للتطبع بعقائد البيئة التي تكتنفه في مراحله الأولى؛ مما يترتب عنه تشكُّل عقليته ونظرته للحياة في قوالبها، كما يدلنا على حرص الآباء على أن يكون أبناؤهم على غرار النماذج المرضية عندهم المألوفة لديهم. في خضم هذا الوضع يعلن الإسلام عن مبدأ الفطرة التي تعني أن مصير الولد في عقيدته وأخلاقه كامن فيه وليس في المجتمع الذي يولد فيه و« هذا التركيز على ما أوجد في خلق الإنسان من قدرات ترشحه لحب الحق وللتوجه نحوه وبه، نَقَلَ مهمة التربية نقلاً جذريًا وغيَّر غاياتها تغييرًا أساسًا، فبعد أن كانت مهمتها نَقْلَ ما توارثه الآباء والمجتمع صارت مهمتها توفير ما يلائم فطرة الإنسان من نمو عقلي وخلقي ووجداني، وصارت غايتها كمال هذه الفطرة، وبهذا الانتقال ارتقت التربية من ضيق وتعدد نسبية المجتمعات المختلفة إلى تربية عالمية ترتبط بحقيقة الإنسان أينما كان وفي أي عصر كان »[(١)].

خلاصة واستنتاجات: يَتَبَيَّنُ من المعطيات السابقة أن في الإسلام تصورًا يمتلك مقياسًا دقيقًا يُعْرَض عليه ما توصل إليه التراث الإنساني في المجال التربوي، يقبل منه ما يقبل مما هو داخل في نسيج الحقائق المعبرة عن واقع الإنسان، ويرفض منه ما يرفض مما لا تتوفر فيه شروط الصدق وموافقة قوانين الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ ومن هذا المنطلق: فإن التصور الإسلامي يتبنى بكل ثقة ما تتوصل إليه الإنسانية من كشوف متميزة ومناسبة في عالم التربية بما لا يناقض أسسها ومنطلقاتها معتبرًا إياها جزءًا من نسيجها الشامل على اعتبار أن في ذلك النسيج ما يدل دلالة واضحة عليها، ويهدي إليها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٨، ٣٩.

فتن..
يجب الفرار منها

بقلم: عبد العزيز بن ناصر الجليل



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن منشأ الفتن كلها من فتنة الشيطان الذي حذرنا الله ـ عز وجل ـ منه بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧] ولذا ـ في معرض الحديث في هذا المقال ـ لن أفرد فتنة الشيطان بحديث مستقل؛ لأن الحديث عن أنواع الفتن المختلفة إنما هو في الحقيقة حديث عن فتنة الشيطان ـ أعاذنا الله منه ومن شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن ـ.

وسأحاول إن شاء الله (تعالى) أن أربط الموضوع بواقعنا المعاصر؛ وذلك بذكر بعض الصور والمظاهر لكل نوع من أنواع الفتن في زماننا اليوم.

ومن الفتن التي ستكون محوراً للحديث:

١ ـ فتنة الغربة. ٢ ـ الفتنة في العقيدة. ٣ ـ فتنة المعاصي وترك إنكارها.
٤ ـ فتنة الدنيا وزخرفها. ٥ ـ فتنة الاختلاف والفرقة بين المسلمين.
٦ ـ الفتنة بالعلم. ٧ ـ فتنة المصائب والمكاره.

أولاً: فتنة الغربة: إن البدء بالحديث عن هذه الفتنة يأتي من كونها نتيجة تراكم مجموعة من الفتن تنشأ الغربة بسببها، ويحسن بنا في بداية الكلام عن هذه الفتنة أن نتطرق لحديث الغربة والغرباء الذي ثبت عن النبي ﷺ من عدة طرق، ثم نعرج على كلام السلف في شرحهم لهذا الحديث، ونختم الموضوع بذكر بعض مظاهر الفتنة في عصور الغربة وخاصة في زماننا اليوم.

روايات حديث الغربة:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» قال: قيل: ومن الغرباء؟

قال: «النُّزَّاع من القبائل»[1].

٢ ـ عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ غريباً؛ فطوبى للغرباء» قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الذين يُصْلِحون إذا فسد الناس»[2].

٣ ـ عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرزُ بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها»[3].

٤ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[4].

من خلال هذا السرد للروايات الصحيحة لحديث الغربة يتضح لنا وصف حال أهل الغربة، وأنهم نُزَّاع من القبائل، وهذا يشير إلى قلتهم، وأنهم يُصلِحُون إذا فسد الناس، وأنهم أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.

وتدلنا هذه الأوصاف المذكورة للغرباء أنهم أهل غيرة ودعوة وإصلاح ولم يكونوا صالحين يائسين مستسلمين لواقعهم الفاسد، كما تدلنا هذه الروايات على بقاء المصلحين مهما اشتدت الغربة ولو كانوا قلة ونزاعاً من القبائل. ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحق حتى يأتي أمر الله (عز وجل).

ولذلك ـ والله أعلم ـ صدَّر الإمام الهروي، (رحمه الله تعالى) منزلة الغربة بقوله (تعالى): **﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾** [هود: ١١٦].

وقال ابن القيم (رحمه الله تعالى) في شرحه لمنازل السائرين عند هذه الآية: «استشهاده، ـ أي: مؤلف كتاب منازل السائرين ـ بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن؛ فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية»[5].

من أقوال السلف في الغربة وأهلها:

• قال الأوزاعي (رحمه الله) في قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً...» الحديث: أما

(١) الترمذي ٥/ ١٨، أحمد ١/ ٣٩٨، والبغوي في شرح السنة ١/ ١٨ وصححه.
(٢) أخرجه أبو عمر الداني في (السنن الواردة في الفتن) (٣/ ٦٣٣) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة ٣/ ٢٦٧.
(٣) مسلم شرح النووي ٢/ ٧٦.
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧، ٢٢٢) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٦٦٥٠).
(٥) مدارج السالكين: ٣/ ١٩٤.

إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد »[1].

- وقال يونس بن عبيد (رحمه الله تعالى) : « ليس شيء أغرب من السنة، وأغرب منها من يعرفها »[1].
- وعن سفيان الثوري (رحمه الله تعالى) قال : (استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء »[1].
- وقال ابن رجب (رحمه الله تعالى) : « وهؤلاء الغرباء قسمان : أحدهما : من يصلح نفسه عند فساد الناس، والثاني : من يُصلح ما أفسد الناس وهو أعلى القسمين وهو أفضلهما »[2].

وقد شرح حديث الغربة هذا أئمة أجلاء منهم شيخ الإسلام (رحمه الله تعالى) في [مجموع الفتاوى : ١٨ / ٢٥١]، والإمام ابن القيم (رحمه الله تعالى) في [منزلة الغربة : ٣ /١٩٤] والإمام الشاطبي (رحمه الله تعالى) في كتابه النفيس (الاعتصام) : ١ / ٩٧ والإمام ـ ابن رجب ـ (رحمه الله تعالى) في كشف الكربة فليرجع إلى هذه الشروحات ففيها فوائد جمة .



وخلاصة ما قاله الأئمة حول الغربة وأهلها:

١ ـ أن الغربة المطلقة في كل الأرض لا تكون إلا قبيل قيام الساعة، أما قبل ذلك فلن تخلو الأرض من قائمين بالحق ولو كانوا قلة، ولكن قد توجد غربة تامة في مكان دون مكان وفي جانب من الشريعة دون جانب . والله أعلم .

٢ ـ أن أهل الغربة الممدوحين في كل مكان وزمان هم الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة المتمسكة بالكتاب والسنة وفَهْم الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين لهم بإحسان .

٣ ـ أهل الغربة في كل مكان قليلون ولكن أثرهم على الناس عظيم؛ لأن من أهم أوصافهم أنهم يدعون إلى الله (عز وجل) ويصلحون ما أفسد الناس ويجددون لهم دينهم .

٤ ـ المخالف لأهل الغربة كثير، والأذى الذي يتعرضون له عظيم؛ لكنهم ـ بالحق الذي يحملونه، والمهمة الشريفة التي يؤدونها، والصبر الجميل الذي يتحلون به ـ ثابتون مطمئنون .

٥ ـ في حديث الغربة معنى لطيف أشار إليه شيخ الإسلام (رحمه الله تعالى) بقوله : « وهو لما بدا غريباً لا يُعرف ثم ظهر وعرف؛ فكذلك يعود حتى لا يُعرف،

---

(١) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب ص٢٨، ٢٩ .

(٢) كشف الكربة ص٣٢ .

ثم يظهر ويُعرف»(١) .

وفي هذا رد على من يفهم من أحاديث الغربة انحسار الإسلام وعدم الأمل بعودته، وهذا ما يفهمه كثير من اليائسين من هذا الحديث، وفي كلام شيخ الإسلام السابق رد على هذا الفهم الخاطئ، وذلك أن الإسلام إذا عاد غريباً كما بدأ، فإنه سيعود قوياً ظاهراً كما حصل ذلك بعد غربة الإسلام الأولى.

وهذا الفهم الصحيح هو الذي تشهد له أحاديث صحيحة كثيرة منها قوله ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»(٢)، وقوله ﷺ : «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل: عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»(٣).

٦ ـ الغربة في شدتها وعظم أجر أهلها ليست على رتبة واحدة وإنما هي متفاوتة، فهناك غربة أهل الإسلام بين أهل الأديان الكافرة، وأشد منها غربة أهل السنة والإيمان بين أهل الإسلام والفرق الضالة من أهل القبلة. وأشد منها غربة أهل العلم بين عامة أهل السنة. وأشد منها غربة العلماء المجاهدين الصابرين بين أهل العلم القاعدين. وهؤلاء هم الذين قال عنهم ابن القيم ـ رحمه الله (تعالى): (هم أهل الله حقاً فلا غربة عليهم) وهم الذين قال عنهم النبي ﷺ : «إن من ورائكم أياماً: الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قالوا: يا نبي الله أوَ منهم؟ قال: بل منكم»(٤).

٧ ـ أهل الغربة وإن كانوا قلة فهم السعداء حقاً ولا وحشة عليهم، وإن خالفهم أكثر الناس؛ فحسبهم راحة وطمأنينةً أنهم في قافلة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

مظاهر الغربة في زماننا اليوم:

يمكن إجمال أهم مظاهر الغربة في الأزمنة الحاضرة اليوم فيما يلي:

١ ـ غربة في العقيدة، فلا يوجد مَنْ هو متمسك بعقيدة السلف من جميع جوانبها إلا القليل من الناس؛ حيث تنتشر الخرافة والشركيات والبدع في أكثر

---

(١) انظر مجموع الفتاوى: ١٨/ ٣٠٥ . (٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩).

(٣) رواه ابن حبان بنحوه (٦٦٩٩ إحسان)، وصححه الألباني في السلسلة ١/ ٧.

(٤) أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨) وصححه الألباني في السلسلة (٤٩٤).

بلدان المسلمين.

٢ – غربة في تطبيق الشريعة والتحاكم إليها، فلا يُحكم اليوم في أكثر بلدان المسلمين إلا بأحكام الإفرنج الكافرة.

٣ – غربة في الالتزام بأحكام الإسلام، سواء ما كان منها بين العبد وربه، أو بين العبد وبين الخلق؛ فلا يوجد الملتزم بها إلا القليل.

٤ – غربة في السلوك والأخلاق الفاضلة، وتزامن ذلك مع انفتاح الدنيا وكثرة الشهوات.

٥ – غربة أهل الحق ودعاة الإسلام، وتسلط الأعداء عليهم، وإيذاؤهم لهم بأشدّ أنواع الأذى والنكال.

٦ – غربة في عقيدة الولاء والبراء؛ حيث مُيِّعَتْ هذه العقيدة عند كثير من الناس، وأصبح ولاء أكثرهم وحبهم وبغضهم للدنيا فحسب.

٧ – غربة في أهل العلم؛ حيث قلّ أهل العلم الشرعي الصحيح، وانتشر الجهل وكثرت الشبهات وقلّ العاملون بالعلم والداعون إليه.

دراسات دعوية

مظاهر الفتنة في أزمنة الغربة: إن من أشد ما يخشى على أهل الإسلام في أزمنة الغربة أربعة مظاهر من الفتن يمكن إجمالها فيما يلي: (والتفصيل يأتي في الحديث عن بقية أنواع الفتن كلاً في بابه) إن شاء الله (تعالى).

١ – الفتنة التي تنشأ من الوقوع في الشبهات والتأثر بأهلها الذين هم الأكثرية في عصور الغربة، مما يحصل معه السقوط في فتن الشبهات سواء ما يتعلق منها بالعقائد أو الأعمال أو المخالفات الشرعية الأخرى، وتسويغ ذلك بشبهة شرعية تبرز عادة في غيبة الحق وفشو الجهل.

٢ – الفتنة التي تنشأ من الوقوع في الشهوات التي تطمُّ وتنتشر عادة في عصور الغربة وقلة أهل الحق وانفتاح الدنيا بزخرفها على الناس؛ فلا يكاد يثبت ويستقيم على أمر الله (عز وجل) مع كل هذه الضغوط إلا القليل الذين يعتصمون بالله، ويقومون بأمره، ويدعون إلى سبيله، أما الكثرة الكاثرة الذين ضعف صبرهم، فتراهم يتنازلون عن دينهم شيئاً فشيئاً أمام مظاهر الغربة الفاتنة؛ سواء كان ذلك التنازل في العقيدة أو السلوك أو التزام الأحكام.

٣ – فتنة اليأس والقنوط من ظهور الحق وانتصاره أمام تكالب الأعداء وتمكنهم وتسلطهم على أهل الخير بالأذى والابتلاء مما قد يؤدي ببعض أهل الغربة إلى اليأس وترك الدعوة حين يرى «إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق،

وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً . . . فإذا طال الأمد وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى، وكان الابتلاء أشد وأعنف، ولم يثبت إلا من عصم الله »[1].

وإن فتنة اليأس والإحباط وترك الدعوة إلى (عز وجل) في عصور الغربة لا يقف عند حد؛ بل قد تؤدي بصاحبها – والعياذ بالله – إلى الضعف والنقص في دينه شيئاً فشيئاً أمام فتن الشبهات والشهوات؛ ذلك لأن أيامَ الغربة أيامُ فتن وإغراءات وفشو منكرات وظهور وتمكين لأهل الباطل والفساد. فإن لم يكن للمسلم فئة صالحة – ولو كانت قليلة – يأوي إليها ويدعو معها إلى الله (عز وجل) حسب الوسع والطاقة فإنه لا بد أن يتأثر بالفساد وأهله إلا من رحم الله (عز وجل) ومن غير المقبول عقلاً وشرعاً وحساً أن يبقى المسلم محافظاً على دينه أمام الغربة وهو تارك للدعوة بعيد عن أهلها، فإما أن يؤثِّر أو يتأثَّر.

نعم! يمكن أن يترك المسلم الدعوة ويبقى محافظاً على دينه في حالة الاعتزال التام عن الناس في شعف من الجبال، ولا إخال هذا متيسراً في هذا الزمان، ثم لو كان ذلك ممكناً: فمن ذا الذي يدعو إلى الله (عز وجل) ويواجه الفساد. وعلى أي حال فالعزلة الشرعية لها أحكامها وضوابطها التي سنعالجها (إن شاء الله تعالى) في حلقة قادمة.

إذن: فلن ينجو من فتنة الغربة في أي زمان أو مكان إلا أحد رجلين:

– إما مجاهد في سبيل الله (عز وجل) داع إلى الخير آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر.

– أو رجلٌ معتزلٌ عن الناس في مكان من الأرض يعبد ربه، ولا يخالط الناس.

وما سواهما فهو على شفا هلكة، ولعل هذا ما يفهم من الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال: «مِنْ خَيْرِ معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يلتمس الموت، والقتل مكانه. أو رجل في رأس شعفة من الشعاب، أو بطن واد من هذه الأودية: يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير»[2].

٤ – فتنة العجلة وقلة الصبر على الأذى في الغربة؛ مما يؤدي ببعض من يقاسي ضغوطها إلى التسرع والاصطدام مع أهل الفساد دون مراعاة للمصالح والمفاسد؛ فينشأ من جراء ذلك فتنة أشد وفساد أكبر على أهل الغربة.

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٧١٩، ٢٧٢٠ (باختصار).

(٢) مسلم في الإمارة: (٣/١٥٠٣، ١٥٠٤) (١٨٨٩).

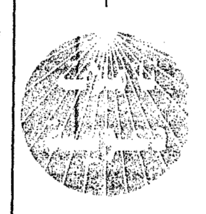
رفقًا بالشباب

بقلم: عبد الله المسلم

لقد كان من نتاج الصحوة المباركة أن توافد فئام من الشباب الغض إلى ركاب الصالحين، بل إن عامة أتباع الصحوة اليوم وحاملي لوائها هم من الشباب؛ وليس ذلك بغريب، إذ إن ذلك سنة الله في الأمم السابقة واللاحقة.

وحين يتأمل المصلحون اليوم واقع الشباب يرون أن ثمة ثغرات ومواطن ضعف وخلل لديهم لا بد من علاجها وتسديدها، فينبرون للإصلاح والنصح والتوجيه. ويأخذ معظم الحديث في هذه الدائرة صفة النقد، ومع الحماس وتوقد العاطفة يتحول إلى نقد لاذع؛ كأن يقال: الشباب مهملون في جانب العبادة، ومقصرون في الدعوة، ومفرطون في حقوق الأخوة، وضعاف في العلم الشرعي، والتزامهم غير جاد بل مصطنع..

وينصت الشباب الأخيار الأفاضل إلى هذا الحديث الناصح، ينصتون إليه بآذانهم وقلوبهم، وتغرورق عيونهم بالدموع التي يجتهدون في حبسها، وينصرفون داعين لمحدثهم بالسداد والثبات والتوفيق.



إن النقد العلمي الموضوعي المعتدل مطلب لا بد منه، لكن الإفراط في استخدام هذا الأسلوب ينطوي على محاذير عدة، منها:

١ ـ نسيان محاسن هؤلاء الشباب وإيجابياتهم؛ فهم وإن قصروا في قيام الليل إلا أنهم سرعان ما يهبّون من فراشهم لصلاة الفجر رغم الجهد والتعب، وربما في بيوت لا يستيقظ فيها سواهم، وهم الذين تعففوا عن الحرام في ظل واقع مليء بوسائل الإثارة والإغراء، وهم الذين يتورعون عن الصغائر، ويبادرون بالتوبة من اللمم في حين يفاخر غيرهم بارتكاب الكبائر ويسعون إليها بما أوتوا من سبيل، ومع ذلك كله فشباب الصحوة متفوقون في أعمالهم ودراستهم مع ما يحملونه من هموم الدعوة والإصلاح.

٢ ـ كثير من الأهداف التي يرتجى تحقيقها من خلال النقد يمكن

الوصول إليها بطرق أخرى غير طريق النقد؛ فالحديث عن النماذج في مجال ما من المجالات يشحذ الهمم على التأسي والاقتداء، والحديث عن أهمية أمر من الأمور يأخذ بيد المقصرين فيه.

والإيحاء غير المباشر يفعل فعله في النفوس، ولنا في النبي ﷺ أسوة حسنة؛ فحين رأى ابن عمر (رضي الله عنهما) رؤيا وقصها على حفصة؛ فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ قال: «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[1].

وعن سليمان بن صرد (رضي الله عنه) قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[2].

٣ ـ أن هذا الأسلوب يخرج جيلاً فاقداً للثقة في نفسه، محطم الآمال، يشعر أنه مجموعة متراكمة من الأخطاء، بل إنه يشكك ربما في صدق انتمائه وصلاحه؛ إذ هو لا يسمع إلا النقد والتقريع، وجيلٌ يعيش هذه النفسية سيكون بعيداً عن المزاحمة في ميادين العمل والنشاط الخير.

٤ ـ أن كثيراً ممن يمارس هذا الأسلوب قد يوجب ما لا يجب، ويمنع ما لا يلزم منعه، فالنوافل نوافل لا يمكن أن تتحول إلى واجبات لا يعذر بتركها، ودقائق الورع إنما هي مراتب فاضلة للخاصة لا العامة، فعلامَ نؤثِّم من لم يؤثِّمه الشرع؟ ونوجب ما لم يوجبه؟

وهذا لا يعني التخلي عن النقد، ولا عن بيان الأخطاء والحديث عنها، فقد كان ﷺ يفعل ذلك، وليكن ذلك بتوازن واعتدال؛ فقد كان ﷺ يثني على أفراد من أصحابه في مواقف لا تحصى، وأثنى على قبائل كأسلم وغفار، وأثنى على المهاجرين والأنصار، وعلى أهل اليمن... وغير ذلك كثير.

---

(١) رواه البخاري (١١٢٢) ومسلم (٢٤٧٩).
(٢) رواه البخاري (٦١١٥) ومسلم (٢٦١٠).

العمل الإسلامي ومنهجية التغيير

من قضايا المنهج

بقلم: د. جلال الدين صالح

لقد بات تجديد الإسلام في نفوس المؤمنين به أكبر هَمٍّ يؤرق شانئيه، وصار تتبع توسعه، واقتفاء نموه بين جيل الشباب بخاصة يشغل حيزاً واسعاً واهتماماً كبيراً في عقول أعدائه من الذين أوتوا الكتاب من قبلنا والمارقين من من صفوفنا، حتى تمخض عن ذلك هذه الأساليب المشؤومة لكبح المد الإسلامي وإعاقته مما سُمِّيَ بـ (مكافحة الإرهاب)، وليس في هذا ما يدعو إلى القلق والانزعاج ما دام خط العمل الإسلامي في حد ذاته منضبطاً بضوابط الشرع، ومحكوماً بقواعد التصور الصحيح في تأسيس مفاهيمه، فما كان الدين أبداً على ودٍ مع خصومه، ولن يضيره ذلك إلا حين تدب في المؤمنين به مفاهيم التدين المنحرف، وتجتالهم عن مصادر التدين الصحيح إلى مساقط الزيغ والهلاك؛ ذلك أن إمامة المسلمين في الأرض مرهونة بوعي الإسلام على النحو الذي كان عليه جيل الصحابة (رضوان الله عليهم) فالرب (عز وجل) ـ كما يقول المفسر ابن سعدي (رحمه الله) ـ: « عندما سأله نبيه إبراهيم أن يوقف الإمامة على ذريته من بعده قال: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤][(١)] والظلم من أبلج صوره الانحراف المنهجي، وتتعدد صور هذا الانحراف تبعاً لتعدد مصادر التلقي والتفقه، وأكبرها مقتاً عند الله وأشدها أذى على العمل الإسلامي تلك التي تكدِّر صفاء الرؤية العقدية وتشذ عن مألوف الدين ومعروفه، وتحاول أن تجعل منه مادة جامحة، أو جافة مخلوطة بما هو غريب عنه. وقد عرف مجتمع الإسلام هذا النوع من الانحراف في وقت مبكر من تاريخه، وكان من جراء ذلك تنامي توجهات تحمل خللاً منهجياً في تدينها؛ فمنها من آثر خلخلة قواعد المجتمع

---

(١) تفسير السعدي (١/١٣٥ ـ ١٣٦) .

وقتال أهله على مواجهة الكفر ومجاهدته ظنًا منه أن ذلك أفضل ما يتقرب به المرء إلى الله كالخوارج الذين يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، وإن منها من كسب انحياز السلطان نحوه؛ فسخر ذلك لإعلاء كلمته، واستغله في فرض انحرافاته المنهجية على غيره؛ كما فعل المعتزلة في عهد المعتصم (رحمه الله وغفر له) مع الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله).

الانحراف المنهجي في واقع العمل الإسلامي:

والعمل الإسلامي اليوم ليس على براءة من ذلك الإرث المنحرف؛ فكثير من شبابه وبعض من قياداته من يؤصل لهذا الفهم السقيم ويزيّنه في قلوب المتحلقين حوله حتى إن قياديًا بارزًا رأيت له مؤلفًا يعدِّد فيه منجزات حركته التي منها إعادة الاعتبار إلى الفكر الاعتزالي في نطاق الحركة وتفاعلاتها الفكرية. وهذا من شأنه أن يحيي تلك المواقف التاريخية التي انبهرت بأطروحات الفلسفة اليونانية ومعاييرها في إصابة الحق، ويبعث فيها من جديد روحَ تخطي النصوص وإخضاعها لتلك المعايير؛ الأمر الذي يحول دون تعميق التمايز الفكري بين الجانب الإسلامي والآخر المزاحم، في حين أن نقاء مصدر التغيير الإسلامي وتفرده في تكوين الذات وتشكيل مفاهيمها ومنهجها ضرورة لا بد منها تحتمها طبيعة هذا الدين. ولقد أدرك سيد قطب ـ رحمه الله ـ هذه الحقيقة حين أكدها بقوله: «ولكنني أقرر ـ وأنا على يقين جازم ـ بأن التصور الإسلامي لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ إلا حين نلقي عنه ـ جملةً ـ كلَّ ما أطلق عليه اسم الفلسفة الإسلامية، وكل مباحث علم الكلام، وكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضاً، ثم نعود إلى القرآن الكريم»(١).

ولا شك أن هذه العودة بجانب ما تعمقه فينا من أصالة التفكير والتحرر من التبعية تضفي على مشروعنا التجديدي خاصيتي: العلم بالحق، والرحمة بالخلق؛ على نقيض الاتجاهات المنحرفة، فلا يصدر لنا قول أو فعل إلا عن معرفة بالحق ورحمة بالعباد، كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في وصف أهل السنة والجماعة: «يعرفون الحق ويرحمون الخلق؛ فلهم نصيب وافر من العلم والرحمة، وربهم ـ تعالى ـ وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأهل البدع يكذبون الحق، ويكفرون الخلق؛ فلا علم عندهم ولا رحمة»(٢).

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ص ١٠ ـ ١١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢.

من قضايا المنهج

وأرى أن من أهم مقتضيات هاتين الخاصيتين: قراءة نصوص الاستدلال قراءة بعيدة عن «تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» والالتزام بمرادفها في تحقيق مفاهيم الدين وإلا كان فسادٌ في الأفهام، واعتراضٌ على شرع الله ودفعٌ نحو الشتات والهوان.

يقول ابن قتيبة ــ رحمه الله ــ: «وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون... لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين: فـ(أبو الهذيل العلاَّف) يخالف (النظَّام)، و(النجَّار) يخالفهما.. وفلان وفلان ليس منهم واحدٌ إلا وله مذهب في الدين»(١).

وهذه المنهجية المعوجة لا تصلح أبداً لتصحيح المسار وإحداث التغيير في واقعنا الحالي، وغالبًا ما تكون مجالاً للاختراق الفكري، وتقويض دعائم المجتمع الإسلامي وتخريبه.

اتقاؤها ومقاومتها:

وحيث إن وجودها لا يكون إلا على حين غفلة عن العلم الشرعي وغياب عنه تأصيلاً وتربية، فإن اتقاءها ومقاومتها بداهة لا يكون إلا بتحصيل العلم الشرعي والتزود منه، وإلا انقلب الأمر من غاية النهوض بالدين إلى الاستخفاف به، وهذا ما نقله ابن عبد البر عن أهل البدع في كتابه جامع بيان العلم وفضله: «وما ينعى على أهل البدع إلا أنهم اتخذوا الدين رأيًا، وليس الرأي ثقة ولا حتمًا.. فلا أجد أحداً أشد استخفافًا بدينه ممن اتخذ رأيه ورأي الرجال دينًا مفروضًا»(٢).

ولكن لا معنى للعلم ما لم يكن مقرونًا بالعمل سوى أن يوظف لمكاسب دنيوية عابرة تعكس تناقضًا بين المقول والمعمول، وتجعل المتصف بهذا في مصاف علماء السوء الذين يقول فيهم ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم»(٣).

وفي هذا الصنف من العلماء يجد دعاة الضلالة وسيلة لإغواء الأمة وتخديرها عن إدراك رسالتها في الحياة. والسقوط في هذا الخلق حتمًا يتنافى مع غاية العمل الإسلامي، ويحبس الذات في نطاق شهواني ضيق لا يتجاوز حد الهموم المادية، ويسلب الشخصية الإسلامية تأثيرها بخلاف تلك التي تربط بين العلم والعمل؛ فإنها لا محالة تكون مثالاً للاحتذاء والاقتداء، ومن ثَمَّ طريقاً إلى التغيير المنشود.

(١) تاويل مختلف الحديث ص ١٢ ـ ١٣.
(٢) انظر ص ٣٢٥.
(٣) الفوائد ص ٦١.

التغيير الإسلامي بين خيارين:

والتغيير الإسلامي اليوم في مفاهيم كثير من الشباب يفتقر إلى تأصيل شرعي تتوازن فيه المصالح والمفاسد ساعة الإقدام أو الإحجام، وأرى في هذا قصوراً في فهم الواقع المعاش، وخللاً في فهم مقاصد الإسلام من عملية التغيير ذاتها، وأحسب أن قصة عبد الله بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ أفضل ما يمكن إيراده عند مناقشة هذه الظاهرة لدى هؤلاء الشباب فإنه ـ رضي الله عنه ـ بكى من غير جزع حين قرر الملك الروماني إلقاءه في قدر يغلي بزيت متمنياً أن لو كانت له أكثر من نفس تعذب في سبيل الله، ولكنه في الوقت ذاته رضي بتقبيل رأس الملك بعد أن اشترط عليه إطلاق أسرى المسلمين، ولقد مدح عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ صنيعه هذا وكافأه بتقبيل رأسه حيث قال: «حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه»(١).

هذا الموقف من عبد الله بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ بكل ما فيه من إخلاص، وصدق وتضحية يبرز لنا من جانب آخر قدراً عالياً من فقهه في حمل الرسالة الإسلامية فلم تكن الدعوة في ذهنه تعني فقط إجادة الموت في سبيل الله، ولكن أيضاً تعني إجادة الحياة في سبيل الله؛ والافتقار إلى هذا النوع من الفقه يعني خللاً في العمل الإسلامي، واعتماده يعني اقتفاء لجيل الصحابة؛ وواقعنا الإسلامي أشد ما يكون حاجة إلى هذا الفقه، ومن ثَمَّ تصريف العمل الإسلامي وفق قدرات الذات في مغالبة تحديات هذا الواقع ومجاهدته.

يقول ابن سعدي (رحمه الله): «لو سعى المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها أفراد الشعب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أوْلى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية»(٢).

إن هذا التأصيل من ابن سعدي يحملني على لَوْم وتخطئة أولئك الشباب الذين يحجِّرون واسعاً، ويحشروننا بين خيارين لا ثالث لهما: القتال حتى الموت، أو إقامة الدولة الإسلامية، دون النظر إلى واقع الذات من ضعف وقوة، وواقع التغيرات السياسية دولياً وإقليمياً، وواقع الوعي الإسلامي في المجتمعات التي ينشطون فيها، ويدفعني أيضاً إلى القول: بأن في الأمر سعة.

والله المستعان،،،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٨٨.

(٢) تفسير السعدي ٣/٤٥٧.

حوار

مع فضيلة: د. عمر الأشقر

حول مسائل علمية ودعوية وفكرية ملحّة

(٢ ـ ٢)

في الحلقة الأولى من الحوار مضينا مع د. الأشقر في محطات بدأت حول سيل المطبوعات التي تدفع بها المطابع وضمور الوعي الذي يعاني منه العالم الإسلامي، وكذلك عالج الضيف دور المؤسسات الدعوية، وقضية المعايشة بين الجماعات وتعاون الجماعات التي يضمها إطار أهل السنة والجماعة، ونواصل الحوار مع الضيف في حلقته الأخيرة.

ـ البيان ـ

س٦: هناك ارتباط كبير بين الائتلاف والاختلاف، والتحلي بأدب الحوار أو عدمه؛ فهل من سبيل كي يكون أدب الحوار من خلاله واقعاً ملموساً في حياة أبناء الصحوة؟ وما هو دور قيادات العمل الإسلامي في ذلك؟

ج٦: الواجب على الدعاة وقيادات العمل الإسلامي، بل وطلبة العلم وأتباع الجماعات الإسلامية أن تكون وجهتهم جميعاً طلب الحق، وأن يكون رائدهم الالتزام بالحق إذا عرفوه، فالحق أحق أن يتبع، فإن اختلفوا فعليهم بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] إن الدعوة إلى الاتفاق والاجتماع على مبدأ عام ونظرة عامة غير صواب، والصواب أن نلتقي على ما اجتمعنا عليه، ونتباحث فيما اختلفنا فيه، جاعلين من الكتاب والسنة حكماً على خلافنا ونزاعنا.

ولا يلزم من الاختلاف أن نتعادى ونتباغض؛ فقد اختلف الصحابة قديماً في الفروع، ولم يؤد بهم هذا الاختلاف إلى التنازع والتباغض، وعصم الله صحابة رسوله ﷺ من التنازع في مسائل الاعتقاد أو مسائل الإيمان الكبار.

ويجب أن يكون خلاف المسلمين خلافًا رفيعًا في آفاقه ومستواه، وهذا يقوم على ركنين:

الأول: بيان الحق الذي يعتقده المسلم مدعمًا بالحجة والبرهان من الكتاب والسنة.

والثاني: التزام أدب الحوار القائم على احترام الطرف الآخر، وعدم تحقيره أو الاستهانة به، والتشكيك في نيته وإخلاصه، إذ ينبغي اتباع الحق إذا ظهر للمرء أثناء الحوار.

ومن أعظم ما يصد الناس عن اتباع الحق عندما يظهر للمحاور: الهوى والعصبية، وأخص منها هنا العصبية للجماعة التي ينتمي إليها المرء؛ فإن داء العصبية داء فتاك قتال خبيث، يفسد النفوس والقلوب، ويدمر العلاقات بين الأفراد والحركات؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وخلاصة القول: أن الواجب على قيادات العمل الإسلامي الدعوة إلى الألفة والتحاب لا الفرقة والتباغض، وأن يدعوا إلى التحاور حول ما اختلف فيه بأدب الإسلام بعيدًا عن المهاترات والتهريج والغيبة والنميمة وإساءة الظن.

س ٧: قد يكون لكل بلد خصوصية في العمل الإسلامي حسب طبيعة كل مجتمع وظروفه، فما هي الركائز والصفات الأساس التي ينبغي ألا تغيب عن أي عمل إسلامي، وبخاصة الدعوي. وما الطريقة التي نعرف بها ملامح وأصول التعامل مع تلك الخصوصيات التي يقابلها العمل الإسلامي في كل مجتمع؟

ج ٧: قد يكون ما تذكره صوابًا، ولكن في نظري أن هذه الخصوصية لا تستدعي هذا الاختلاف بين الحركات العاملة لإعادة مجد الإسلام، إن هذه الفرقة بين الجماعات أخّرت المسيرة الهادفة للنهوض بالأمة الإسلامية، ورد العاديات التي أحاطت بها، ومغالبة الخصوم الرابضين في معاقلها وحصونها.

إن الهدف الكبير الذي يجب أن يسعى إليه العاملون بالإسلام هو توحيد هذه الأمة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإقامة حكم الله في الأرض، وجعل الدينونة لله رب العالمين، ومجاهدة أعداء الله الذين يحيطون بالأمة الإسلامية إحاطة السوار بالمعصم، فتراهم يذلونها، ويحتقرونها،

ويسلبونها ثرواتها، ويدمرون معاقلها، ويحاربونها في دينها وعقيدتها - إن تحقيق ذلك كله لا يتم من غير أن يتولاه طائفة كبيرة في العالم الإسلامي كله؛ ولذا فإنني أدعو إلى قيام مجلس إسلامي أعلى للحركات الإسلامية ذات الأصول الواحدة - أعني الحركات التي تدور في فلك أهل السنة والجماعة، ومهمة هذا المجلس: هو العناية بالقضايا الكبرى في العالم الإسلامي، وعلى أن يترك معالجة القضايا التي لها خصوصية في كل بلد لأهلها.

س ٨ : ذكر أحد الدعاة أن العلمانية دخلت العالم الإسلامي لابسة عمامة! فما هو السبيل لفصل الالتباس الحادث بين العلمانية والإسلام؟

ج ٨ :إن خلط الإسلام بغيره يؤدي إلى أن يُلَبَّس على الناس دينهم، وقد حرص أعداء الإسلام من قديم على تحريف القرآن فباؤوا بالخيبة والخسران، فدخلوا إلى إفساد الدين بتأويل نصوص القرآن تأويلاً يفسد معانيه ويحرفها، ثم حرصوا على تحريف حديث رسول الله ﷺ، فادخلوا فيه ما ليس منه، وقد اقتضى حفظ الحديث مما تلبس به من المكذوب أو المحرف جهوداً خيالية قام بها علماء الإسلام، ولا تزال تبذل حتى اليوم لتنقية أحاديث الرسول ﷺ مما تلبس بها.

وقد قام اليوم أولئك الذين حاربوا الإسلام علانية فأخفقوا في هدمه إخفاقًا ذريعًا - قاموا بإدخال أوليائهم ليتحدثوا باسم الإسلام، وينظّروا لأتباعه، وهم بذلك يحاولون هدمه من داخله كما فعل أهل النفاق من قبل، وقد تحدثت عن هؤلاء في إجابة سؤال سابق، ولذا فإنك تجد في ما يكتبه هؤلاء ظلمات ومكائد وفلسفات تقصد إفساد هذا الدين، وحرف مساره، وإضعاف تياره؛ وقد تصدى لهؤلاء جمع من الذين عرفوا حقيقتهم وكشفوا مخططاتهم وأهدافهم، وإن كان بعض الناس يحسن الظن بهم، وفعل هؤلاء كفعل المنافقين من قبل الذين ائتمروا بالإسلام ورسول الإسلام وصحابته الكرام، وبنوا مسجد الضرار، ومكروا بالرسول ﷺ لقتله واغتياله، ولكن الله رد كيدهم، وأبطل مكرهم، وكشف مخططاتهم، وجاء نصر الله وهم كارهون.



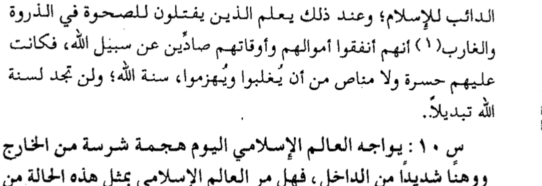
إن الرد على هؤلاء واجب إسلامي، وكشف ما تلبسوا به من باطل، وإظهار حقيقتهم أمر مطلوب شرعاً.

س ٩ : يزعم بعض المناوئين للصحوة أن صعود المد الإسلامي آخذ في الانحسار بعد بلوغه قمة المنحنى في العقدين الماضيين، فهل المظاهر التي تشوه وجه الصحوة تدل على شيخوختها، أم على عدم بلوغها مرحلة النضج، أم أن هناك تفسيراً آخر؟

ج ٩ : إن الصحوة الإسلامية فيما أعتقد قدر إلهي، يريد الله به إحياء هذا الدين، وإحياء الأمة الإسلامية بدينها الذي به عزتها ونصرتها وكرامتها، وقد تكفل الله في كتابه أن يبقى كتاب هذه الأمة محفوظاً، وأن يستمر وجود هذه الأمة إلى قيام الساعة، ووعدها بالعزة إن هي استقامت على أمره، واتحدت على منهجه، وقد ذاقت الأمة الإسلامية في القرن الأخير من البلاء أشكالاً وألواناً نتيجة بعدها عن دينها، وتوجهها إلى مناهج الكفر، وإعجابها بما عليه أعداؤها، ثم جاءت الصحوة الإسلامية لتؤصل الإسلام في النفوس، وتعيد المسلمين إلى الأصالة، وتبني الشخصية الإسلامية السوية، وامتلأت الجامعات والمساجد بشباب الإسلام، وعادت الفتاة المسلمة مرة أخرى إلى حظيرة الإسلام، وعادت الجموع مرة أخرى إلى ربها ومعبودها ودينها، وحملت الراية من جديد، واتجهت إلى قبلة المسلمين مكة بعد أن كان وجهتها موسكو ولندن وباريس وواشنطن، ورمى أعداء الإسلام وأولياؤهم شباب الصحوة بكل قبيح ونقيصة، وزعموا أن هذه الصحوة توشك أن تهمد وتتلاشى، وكذبوا في زعمهم؛ فالإسلام في كل يوم يتأصل في النفوس، وينغرس في أعماق القلوب، ونحن موقنون بأن الإسلام آت آت، نوقن بذلك من خلال فقهنا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن خلال سنن الله التي يجريها في الإسلام وأهله والكفر وأهله، ودعاوى أولياء الكفر دعاوى باطلة متهاوية، لا تستند إلى الحقيقة، بل تزيف الحقيقة وتزورها.

أنا لا أنكر أن هناك مشكلات تحيط بالصحوة الإسلامية، وهذه المشكلات تؤخر مسيرتها، وتشغلها بقضايا ما كانت لتنشغل بها، وأخطر هذه القضايا غياب الهدف المرحلي الذي يجب أن يعمل دعاة الإسلام لتحقيقه، والفرقة والنزاع، وعدم إدراك المنهج الكبير الذي ينبغي القيام به، وهو إقامة منهج

العبودية الحقة لله رب العالمين.



نعم هناك مشكلات تواجه الصحوة الإسلامية، وتؤخر مسيرتها، ونسأل الله أن يهيئ للأمة الإسلامية من يرفع عنها العوائق المغروسة في طريقها والبلاء الذي يحيط بها، وسيأتي يوم ينعم فيه المسلمون في ظلال الإسلام، يملكون فيه قرارهم بأنفسهم، ويعرفون كيف يقفون في وجه أعدائهم، وكيف يأخذون على أيدي سفهائهم، وكيف يغسلون الحوبة بالتوبة، وكيف يستنزلون النصر بالاستقامة والإخلاص والعَمل الدائب للإسلام؛ وعند ذلك يعلم الذين يفتلون للصحوة في الذروة والغارب(١) أنهم أنفقوا أموالهم وأوقاتهم صادِّين عن سبيل الله، فكانت عليهم حسرة ولا مناص من أن يُغلبوا ويُهزموا، سنة الله؛ ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

س ١٠ : يواجه العالم الإسلامي اليوم هجمة شرسة من الخارج ووهناً شديداً من الداخل، فهل مر العالم الإسلامي بمثل هذه الحالة من قبل؟ وكيف تواجه الأمة مثل تلك الحالات؟

ج ١٠ :أمَّا إن الإسلام يواجه هجمة شرسة من الخارج فنعم، وأمَّا الوهن الذي في الداخل فعلى الرغم من وجوده على مستوى القمة في الشعوب الإسلامية ـ أعني على مستوى الحكام ـ فنعم؛ فالفرقة المفروضة على الشعوب الإسلامية، وارتهان قرار الحكام واستلابه من قبل أعداء الإسلام، بل تحوَّلَ القرارُ ليكون بإرادة بعض الحكام في مصلحة أعداء الإسلام. أما الشعوب الإسلامية المغلوبة المقهورة فإنه سرى فيها روح الإيمان، ودخل قلوبها وعقولها أنوار الوحي من جديد، كما بينت في إجابة السؤال السابق، ويوشك أن يكون الغلب لهذا الإيمان وذلك النور.

وقد مرَّ على الإسلام وأهله فترات صعبة مشابهة لما نعيشه اليوم، بل أشد في بعض الأحيان، ولولا أن دين الله محفوظ لزال هذا الدين بسبب ما أحاط به على مر العصور، لقد أجلبت علينا أوروبا بخيلها ورجلها في الحروب

---

(١) يفتلون للصحوة في الذّروة والغارب: أي يخادعونها ويتلطفون بها لتستجيب لهم.

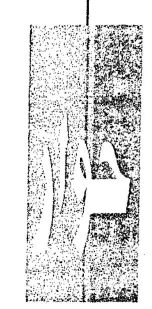
الصليبية، ووصل المدّ التتري إلى عاصمة الخلافة الإسلامية، ودمر ديار الإسلام ومدنه ومعاقله، وترك ديارنا خربًا ينعق فيها البوم، وفي كل مرة تقوم الأمة من كبوتها وتنهض من عثارها، وسيتحقق هذا بإذن الله في هذه المرة.

وتدفع الأمة عن نفسها الوهن، وتزيح عن ظهرها البلاء باجتماعها على كلمة سواء، ورفع راية الإسلام، والعودة لهذا الدين، ورفع راية الجهاد من جديد، والاعتزاز بالإسلام، وهذا يحتاج إلى تفصيل وبيان لا يحتمله المقام.

س ١١ : تعيش المنطقة العربية منذ فترة محاولات حشد للرأي العام نحو قبول الوجود الصهيوني ضمن نسيج المنطقة، هذا في الوقت الذي لا يخفي فيه اليهود صلفهم ونياتهم التوسعية، فإذا أخذنا في الاعتبار بعض التصريحات والمواقف العنترية التي تطلق في عالمنا العربي لحفظ ماء الوجه.. فما مستقبل ما يسمى بعمليه السلام في الشارع العربي؟ وما هو دور الحركة الإسلامية الذي ينبغي أن تقوم به؟ ولماذا يراد تقليص هذا الدور أو الاكتفاء باستغلاله (كورقة ضغط)؟

ج ١١ : غُرِسَ الكيان اليهودي في فلسطين في جسد الأمة الإسلامية كما يغرس عضو غريب في جسد الإنسان، والأعداء يحاولون جهدهم على أن يقبل جسد الأمة الإسلامية هذا الكيان الغريب، وفي كل يوم يظهر للعيان أن هذا غير ممكن.

إن اليهود وأولياءهم يجاهدون كي يستمر الكيان اليهودي في أرض الإسراء، وقد صنعوا مؤامرة كبرى اشتركت فيها الغالبية العظمى من دول العالم، وسميت هذه المؤامرة بـ (عملية السلام) وما عملية السلام هذه إلا مؤامرة دولية لتمكين اليهود من الاستقرار إلى الأبد في فلسطين، وأحد خطوط هذه المؤامرة رضا الفلسطينيين والعرب والمسلمين باليهود، ولكن نسي العالم كله أن لله قدرًا ماضيًا في اليهود، وقدره فيهم أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة وأن يتغشاهم غضب الله، وإذا رفعت عنهم الذلة فترة من الدهر، فهو استثناء لحكمة يعلمها الله (تبارك وتعالى) فهذه الأمة ابتعدت عن منهج الله، فضربها الله بسوط عذاب من عنده جزاءًا وفاقًا، ومن ذلك أن يسلط عليها أبغض خلق الله إليه وإليهم، وهم اليهود ليذيقوها البلاء أشكالاً وألوانًا جزاء بُعدنا عن إسلامنا وإيماننا، كما



فعل الله باليهود أنفسهم عندما سلط عليهم عُبَّاد النيران أيام أن كان فيهم أنبياء وصالحون، بسبب بعدهم عن الله، ونحن نعلم أن التغيير مرهون بالعودة إلى الإسلام، وجمع الأمة عليه، وإدراك المسلمين طبيعة المعركة وحقيقة المعركة بينهم وبين اليهود؛ عند ذلك سيزول الاستثناء الذي قرره الإله الغالب القادر الذي لا راد لأمره، ولا مبطل لقدره، وقد قرر الله هذا القدر وأخبر به في كتابه، كما أخبرنا عن حالة الاستثناء هذه التي يعيشها اليهود اليوم فقال (تعالى): ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فقد ضرب الله عليهم ـ قدراً إلهياً ماضياً ـ الذلة والمسكنة هذا مع إحاطة غضب الله بهم، واستثنى الحق (تبارك وتعالى) من الذلة المضروبة عليهم فقال: ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ فترفع عنهم الذلة بحبل الله من الله وحبل من الناس، وهذا هو الذي نشاهده اليوم، فقد جعل الله لهم دولة ورفعت الذلة عنهم، وكان ذلك بحبل من الله؛ لأن المسلمين أغضبوا الله فأذلهم بأذل خلقه إليه، جزاء بُعدهم عن ربهم، وها هو حبل غليظ شاركت في صنعه دول العالم كي يمكنوا لليهود في أرض الإسراء، بل إن كثيراً من الدول العربية والإسلامية شاركت في فتله وصنعه، ولكن على الرغم من رفع الذلة عنهم استثناءً كما يقرر النص القرآني؛ فإن الغضب الإلهي لا يرفع عنهم، كما لا ترفع المسكنة عنهم، فالاستثناء فقط للذلة فحسب، أما الغضب والمسكنة فهما باقيان ماضيان، ويوشك الاستثناء أن يزول بعودة المسلمين إلى الله (عز وجل) فيعود اليهود إلى الذلة مرة أخرى، ويعودون إلى القدر الماضي فيهم إلى يوم القيامة، ومن قرأ تاريخ يهود يعلم صدق هذا الذي أخبرنا الله عنه عبر التاريخ، وأن هذا الذي يقوله كتابنا هو القانون الساري في قتلة الأنبياء الكافرين بآيات الله العصاة المعتدين.

إن عملية السلام جاءت في فترة الاستثناء، وتوشك أن تزول، وسيُقنع

اليهود العالم كله بأنهم لا يستحقون هذا الحبل الذي مُدَّ لهم، وعند ذلك تقطع الأمم هذا الحبل، فيهوي اليهود في الهاوية، إن الشخصية اليهودية والعقلية اليهودية لا تستطيع أن تحافظ على علاقة جيدة مع الأمم والشعوب، فهي عقلية محرفة منحرفة كالخلق اليهودي، وانظر ما يفعلونه اليوم من إذلال لأهل فلسطين، وانظر ملصقاتهم التي تهين رسول الإسلام، وتهين مريم العذراء البتول، وتدنيسهم للمساجد، وتمزيق المصاحف ودوسها بالنعال، وها هم ماضون في هدم الأقصى، والاعتداء على كل الحرمات، وستكتشف الدول التي أيدت اليهود أنها أخطأت خطأً كبيرًا، فجعلت التكريم والإعزاز لإخوان القردة والخنازير، أي جعلتهما عند من لا يستحق، وقد قيل قديمًا:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته ... أو أنت أكرمت اللئيم تمردا

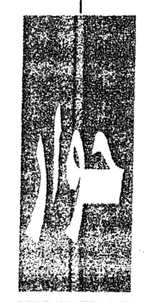
إن اليهود ليسوا بأهل للتكريم؛ فتكريمهم خطأ كبير؛ ولذا فإنهم يعضون اليد التي تمتد إليهم بالإحسان، وسيعلم العالم أن رسولنا ﷺ هو الذي أفلح في معالجة اليهود عندما عاثوا في الأرض فسادًا في قريظة والنضير وخيبر.

إن عملية السلام وَهْمٌ كبير، على الرغم من أن بعض من في أيديهم زمام الأمور يظنون أن إقامة السلام بيننا وبين اليهود ممكن، ولكن الواقع الذي يمارسه اليهود يثبت كل يوم للذين يرون هذا الرأي أنهم مخطئون، وسيأتي يوم يدمر عملية السلام من بناها؛ لأنهم سيعلمون أنهم لم يفقهوا حقيقة اليهود وأهدافهم وأخلاقهم.

على أن الواجب على الأمة الإسلامية والحركات الإسلامية ألا تنتظر انهيار بناء عملية السلام من تلقاء نفسها؛ فاليهود أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء الأمة الإسلامية، وهم دنسوا أرض الأنبياء وأرض الإسراء، واحتلوا قبلة المسلمين الأولى، وأهانوا دين الإسلام؛ ودنسوا مقدسات الإسلام؛ ولذا فإن واجب كل مسلم أن يسعى لطرد أعداء الله من بلاد المسلمين، وتخليص المسلمين من هذا السرطان الخبيث الذي غُرس في أحشاء الأمة الإسلامية، والله غالب على أمره؛ ولكن المنافقين لا يعلمون.

س١٢ : استُغل الفهم الخاطئ للقدر في ترسيخ سلوك التواكل والاستسلام للواقع المفروض على الأمة من قِبَل أعدائها؛ فكيف يلائم المسلم بين المطلوب منه شرعًا والواقع عليه قدرًا؟ وهل يمكن استشراف المستقبل من خلال تأمل

النصوص الشرعية المخبرة عن قدر سوف يقع؟



ج ١٢: القدر كما فسره الإمام أحمد (رحمه الله): قدرة الله، ومن قدرته (تبارك وتعالى) وتمام علمه: أنه علم كل ما سيكون كما يعلم كل ما كان، وقد سجل الله الكائنات في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويأتي التنفيذ بعد ذلك بالخلق والإيجاد والتدبير والتصريف وفق ما قدره الله.

ولا حظَّ في الإسلام لمن كفر بالقدر وكذب به، ولكن القدر لا يعني التواكل وترك العمل والقعود والكسل، إن الأخذ بالأسباب والعمل هو القدر؛ فالله قدر أن يُرزَقَ فلانٌ أولادًا، ولكنه قدر أيضًا أن لا يرزقه الأولاد بإنباتهم من الأرض، ولا إهباطهم من السماء، بل قدر أن يتزوج هذا الرجل ويعاشر زوجته فيرزق الأولاد، فالذي يريد أولادًا من غير زواج ويسأل الله أن يهبه الأولاد من غير زواج لم يفهم القدر، والله قدَّر أن يُنْصَرَ المسلمون على عدوهم في بدر والقادسية واليرموك وغيرها من معارك الإسلام، وقدر أيضًا أن يملك المسلمون أسباب القوة التي يحققون النصر بها، فمن رام أن يُنصر من غير إعداد وتخطيط ومغالبة لم يفقه القدر.

إن المستقبل غيب، والقدر المستقبلي الغائب مكتوم عنا، ونحن مطالبون بأن نبذل أقصى ما يمكننا فعله وتحقيقه وفق منهج الله ودينه، وبذلك نؤمن بالقدر، ونحقق الشرع. إن الانحراف في فقه القدر أوجد ثَلْمًا في حياة المسلمين؛ فمنهم الذي ترك العمل اتكالاً على القدر، ومنهم الذي كذَّب بالقدر، ومنهم الذي لم يفقهه حق الفقه؛ فهو يخبط خبط عشواء، ولكن الغالبية العظمى من الأمة تفقه الأمر على وجهه؛ فهي تؤمن به، وتسعى إلى تحقيق أمر الله، وهي تعلم أن لا تناقض ولا تعارض بين الأمرين، ومن عَسُرَ عليه فقهُ الأمر فلينظر إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم أكمل المؤمنين إيمانًا كيف كانوا يسعون في الأرض متوكلين على الله عاملين مجاهدين، ولم يجدوا تناقضًا بين الإيمان بالقدر والتوجه إلى العمل باذلين أقصى ما يستطيعون في ذلك.

أما القدر بعد وقوعه فهو معلوم معروف، والموقف من القدر الواقع إن

كان من فعل الإنسان فإن العبد يحمد الله على أن وفقه وهداه، إن كان فعله خيراً، فإن كان شراً فالواجب عليه أن يتوب ويستغفر، وإن كان الذي وقع به بلاءً ومصيبة صبر، وإن كان نعمة شكر.

والقدر المكتوب لا يمنع الإنسان من استشراف المستقبل ليخطط لما هو آت، فهذا النظر هو فعل الإنسان قد يصيب فيه وقد يخطئ، ولكن عليه أن لا يفرق في هذا المجال، ولا يقيم على استشرافه جبالاً من الآمال كما يفعل بعض الناس، زاعمًا أن ما يراه هو الذي سيكون، فيضيّع كثيراً من عمره في تخيلات وبُعد عن الصواب.

س١٣ : الدكتور عمر: شهد الحرف العربي المطبوع كثيراً من إصداراتك الهادفة... نسأل الله أن يأجرك عليها.. فهل لك أن تحدثنا عن آخر مشروعاتك العلمية وإصداراتك الجديدة؟

لقد وفقني الله في مسيرتي الماضية إلى نشر أكثر من ستين كتابًا مطبوعًا ما بين صغير وكبير، وآخر هذه الإصدارت صحيح القصص النبوي، وشرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، وأحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، وسيصدر قريبًا إن شاء الله: «محاضرات إسلامية نافعة» وهو يضم المحاضرات التي نشرت مفردة فيما سبق وعددها إحدى عشرة محاضرة وأضفت إليها ثلاث محاضرات لم تنشر من قبل.

ولا شك أن الذي يسير في طريق العلم دائم البحث والتنقيب ما بقي في الجسد روح تَرَدَّد، وهناك مشروعات علمية بعضها كبير وبعضها صغير، ولكنني أخشى الحديث عن المستقبل، فالمستقبل غيب، ولا يدري المرء هل يقدر له أن يقوم بما عزم عليه؛ ولذا أحب أن يُعلم بأعمالي بعد خروجها، وأسأل الله أن يعين على تحقيق ما تهفو النفس لتحقيقه في مقبل الأيام، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

رسالة إلى الأقصى

يَكْفي الْقَوافي، ويَكْفي حينَ أُلْقيهَا ... أنّي إلى ثَالث الْبَيْتَيْن أُهْديهَا
أُهْدي قريضي إلى الأقْصَى وقُبَّته ... لَحْنًا يُجلْجلُ من حُبٍّ يُعانيهَا
قَصيدَتي مِنْ بلادِ (الْوَحْي) أُرْسلُهَا ... عَبْرَ (الْبَيَان)، ونُورُ الْحَقِّ كاسيهَا
فيهَا الْوَفاءُ، وفيها صدْقُ مَنْهَجهَا ... وفَوقَ ذَلكَ تأْصيلٌ يُزَكّيهَا
جُذُورهَا مِنْ نَميرِ الْوَحْي قَدْ شَربَتْ ... فَأَنْبتَ الْغُصْنُ، وَازْدَانتْ حَوَاشيهَا
قَصيدَتي وَاحَةٌ خَضْرَاءُ يَانعَةٌ ... تَشْدُو الْبَلابلُ فيهَا من أغانيهَا
قَصيدَتي لِدُعَاةِ الْخَيرِ مُنْتَجَعٌ ... لكنَّ فيهَا لأهْلِ الْبَغْيِ تَسْفيهَا

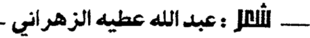
* * *

قَلْبي يَتُوقُ إلى تِلْكَ الْبِقَاعِ، بِهَا ... صَلَّى الرَّسُولُ، وأَسْرَى من نَوَاحيهَا
وَالمُرْسَلُونَ لَهُمْ ذِكْرٌ وسَابِقَةٌ ... صَلَّى بهِمْ مُنْقذُ الدُّنْيَا وَهَاديهَا
كَانَتْ فِلَسْطِينُ بالأَخْيَارِ حَافِلَةً ... وَالْيَومَ أنْذَالُ صُهْيُون تُرَدّيهَا
كَانَتْ تُعَانِقُ أَمْجَادًا إذا ذُكِرَتْ ... حَنَّ الْفُؤَادُ، وَفَاضَتْ عَيْنُ بَاكيهَا
وَاللهِ لَوْ كَانَ فينَا مِثْلُ مُعْتَصِمٍ ... لَمَا تَربَّعَ (بِنْيَامينُ) عَاليهَا
وَلَو رأَى عُمَرُ الْفَارُوقُ ذِلَّتَنَا ... لَعَبَّأَ الْجَيْشَ يَرْعَاهَا ويَحْميهَا
ولَوْ رَآنَا صَلاحُ الدِّينِ فِي خَوَرٍ ... لَجَرَّدَ السَّيفَ يَفْري مَنْ يُعَاديهَا

* * *

مِنْ أَيْنَ يَهْنَؤُنَا عَيْشٌ وَعَافِيَةٌ ... وفي فِلَسْطِينَ آلامٌ تُغَنّيهَا؟
مَعَاوِلُ الْهَدْمِ في أَرْجَائِهَا عَمِلَتْ ... هَدْمًا، وَنَسْفًا، وَتَخْريبًا، و تشْويهَا
والله إنَّ دُمُوعَ الْحُزْنِ تَغْلِبُني ... فَيضًا غَزيرًا فَتَجْري في مَآقيهَا

* * *





إنَّ الْقُلُوبَ بِهَا حِقْدٌ وَمَوْجِدَةٌ ... تَخْفَى عَلينَا، وَرَبُّ العرْشِ يُبْدِيهَا

ضَغائِنٌ في صدورِ القومِ شاهِدُهَا ... في مُحْكَمِ الذِّكْرِ آيَاتٌ تُجَلِّيهَا

حوادِثٌ يَسْتَدِرُّ الدَّمْعَ مَنْظَرُهَا ... وَيَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ أَحْلَى أمانِيهَا

* * *

هَلْ مِنْ غَيُورٍ على الإِسلامِ يُعْلِنُهَا ... حَرْبًا ضَرُوسًا، وَقُودُ الدِّينِ يُذْكِيهَا؟

هَلْ من مُحبٍّ لأَرضِ القُدسِ يَنْثُرُ في ... رُبُوعِهَا مِنْ صُنُوفِ الْوَرْدِ زَاهِيهَا؟

قَدْ حَصْحَصَ الْحَقُّ، لا سِلمٌ ولا كَلِمٌ ... مَعَ الْيهود وقد أبدَتْ عَوَادِيهَا

قَدْ حَصْحَصَ الْحَقُّ، لا قولٌ وَلا عَمَلٌ ... وَلا مَوَاثِيقُ صِدْقٍ عِنْدَ دَاعِيهَا

أَيْنَ السَّلامُ الَّذي نَادَتْ مَحافِلُكُمْ؟ ... أَيْنَ الشِّعَارَاتُ يَا مَنْ بَاتَ يُطْرِيهَا؟

أَيْنَ الْمَوَاثِيقُ، بَلْ أَيْنَ الْوُعُودُ وَمَا ... قَالَتْهُ (مَدْرِيدُ) في أيَّامِ مَاضِيهَا؟

تَآمُرٌ لَيْسَ تَخْفَانَا غَوَائِلُهُ ... وَفِتْنَةٌ تَتَوَارَى مِن أَفَاعِيهَا

* * *

بُشْرَاكَ يَا أَيُّهَا الأقصَى بِمَوْعِدَةٍ ... قَدْ قَالَهَا الْمُصْطَفَى، واللهُ مُجْرِيهَا

بُشْرَاكَ، صَحْوَتُنا شَعَّتْ طَلائِعُهَا ... وَلاحَ فِي الأُفْقِ يَحْدُونَا مُنَادِيهَا

شَبَابُنَا لأُصُولِ الدِّينِ قَدْ رَجَعُوا ... بِعَزْمَةِ الْحَقِّ مَا كَفَّتْ غَوَادِيهَا

أَبْصَارُهُمْ نَحْوَ بَيْتِ اللهِ شَاخِصَةٌ ... وَقُوَّةُ الدِّينِ مَا اهْتَزَّتْ رَوَاسِيهَا

بَشِّرْ زَبَانِيَةَ (الليكود) أَنَّ لَهُمْ ... يَوْمًا عَبُوسًا سَيَنْعي فِيه نَاعِيهَا

بَشِّرْ شَرَاذِمَةَ الآفَاقِ أَنَّ لَهُمْ ... مَقَامِعًا من حَدِيدٍ سَوْفَ تُلْفِيهَا

لا وَعْدُ بِلْفُورَ يَبْقَى ذِكْرُهُ أَبَدًا ... وَلا لَقِيطُ يَهُودٍ فِي مَبَانِيهَا

لَنْ تَسْتَمِرَّ يَهُودٌ في غِوَايَتِهَا ... وَسَوفَ يُجْتَثُّ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

* * *

التطورات الأخيرة لعملية السلام والتوقعات المستقبلية

(٢ من ٢)

إعداد
وائل عبد الغني

صُدِّر الجزء الأول من الندوة برصد تاريخي لعملية السلام وتطورها وأهم الدلالات التي يُخرَجُ بها، ثم عرج إلى الحديث عن الموقف الشرعي من الهرولة نحو عملية السلام، ومن ثم عولجت آثار عملية السلام على النظام الإقليمي العربي، وبهذه الحلقة تختتم وقائع الندوة .

ـ البيان ـ

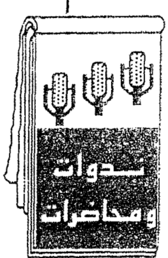
*** على ضوء ما يجري داخل إسرائيل، ما هي توقعاتكم لردود الأفعال العربية: الداخلية والخارجية؟**

د. جمال: بالنسبة للداخل: ردود الأفعال أصبحت محسومة من خلال شرطي إسرائيل المتمثل في السلطة التنفيذية الذي يقوم بدوره؛ وخارجيًا فكل السياسات تصبُّ في خط إسرائيل؛ لذا: فإسرائيل أمنت ردود الأفعال؛ هذا طبعًا في حسابات البشر وفقًا لاستقراء الواقع؛ أما ما يحدث مستقبلاً فهو في علم الله.. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] لأن ردود أفعال الشعوب لا يمكن حسابها بدقة؛ رغم وجود مراكز استراتيجية لجمع المعلومات عن ذلك لدى الأعداء؛ إلا أن هناك تخوفًا وعدم وضوح، رغم أن العدو يتحرك حركة منظمة ومدروسة.

*** الواضح أن عملية التسوية السياسية في المنطقة تمر بمرحلة من التحول؛ فعلى ضوء توازنات القوى في المنطقة، وطبيعة الاتفاقيات بين الأطراف؛ ما هي سيناريوهات المستقبل المتوقعة؟**

د. حامد: يمكننا أن نتصور ثلاثة سيناريوهات مستقبلية لعملية التسوية السياسية، وكلها خيارات مطروحة على النحو التالي:

السيناريو الأول: استمرار حالة الجمود الحالية (حالة اللاسلم واللاحرب): في



ظل حكومة الليكود الحالية، وفي ظل توازنات القوى في المنطقة العربية؛ فإنه من المتصور أن تستمر الأوضاع على ما هي عليه ـ فالكيان الصهيوني ينشئ واقعًا جديدًا كل يوم، ويعمل على إبقائه وحمايته، والأطراف العربية تعيش على آمال «استئناف التفاوض» مع الكيان الصهيوني.

هذا السيناريو لا يُتَصوَّر تغييره إلا بتوافر شرطين على الأقل:

الأول: إعادة إشعال الانتفاضة الشعبية داخل الأرض المحتلة مع إحداث نقلات نوعية في أساليب هذه الانتفاضة ـ والقيام بعمليات استشهادية جديدة.. وهذا يستلزم ـ بدايةً ـ كف أيدي أجهزة الأمن العرفاتية عن ملاحقة أعضاء حركتي حماس والجهاد، وكافة الفاعليات القائدة للانتفاضة الفلسطينية، وكسر طوق تنسيقها مع أجهزة الأمن الإسرائيلية في هذا الصدد، وتوفير كافة وسائل الدعم الشعبي للانتفاضة ـ باعتبارها نوعًا من المقاومة المشروعة للاحتلال الأجنبي.

الثاني: ضرورة وجود حد أدنى من المواقف العربية المشتركة إزاء عملية «التطبيع» مع إسرائيل؛ وإنهاء حالة التشرذم العربي الحالية بصدد الموقف من الكيان الصهيوني.. وليس إصرار «قطر» على عقد ما يسمى بـ«المؤتمر الاقتصادي» ـ رغم كل ما يجري على أرض الواقع ـ إلا مؤشرًا واضحًا على حقيقة أوضاع التضامن العربي. ولن نتحدث عن تخاذل بعض أطراف التفاوض العربي في دعم الموقف السوري في العملية ذاتها.. وهو ما جعل الكيان الصهيوني يتلاعب بالأطراف العربية ويفرض ما يريد من سياسات على أرض الواقع..

السيناريو الثاني: استئناف عملية التفاوض السياسي، والتوصل إلى تسويات سياسية جزئية في المنطقة.

وفي ظل معادلات الواقع الاستراتيجي والسياسي؛ فإن معظم الأطراف العربية ليس لديها ما يمنع من التوصل إلى تسويات سياسية جزئية، واتفاقيات غير متكافئة أخرى جديدة ـ يتم من خلال آلية الدعاية السياسية توفير صناعة القبول بها..

إن التوصل إلى تسوية شاملة في المنطقة يعني على الأقل قيام الكيان الصهيوني ـ من وجهة نظر الأطراف العربية المفاوضة ـ بتنفيذ تعهداته، والاتفاقيات التي أبرمها منذ أوائل التسعينات؛ وهذا يعني:

١ ـ التوصل إلى تسوية نهائية على المسار الفلسطيني؛ ويعني ذلك استكمال تنفيذ المرحلة الثالثة من الاتفاق الذي يتعلق بمفاوضات الوضع النهائي ـ التي تنتهي بقيام «الدولة الفلسطينية».

٢ ـ الانسحاب الكامل من جنوب لبنان.

٣ ـ الانسحاب الكامل من الجولان والعودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧م.

بالطبع فكل المؤشرات الواقعية ـ حتى هذه اللحظة ـ تقول: إن هذا الأمر ضرب من الخيال السياسي.

وإن المطروح هو تسوية جزئية بالغة التواضع تقوم على مفهوم «السلام الإسرائيلي» بكل ما يعنيه ذلك من إهدار وإضاعة للحقوق العربية؛ فالسلام الإسرائيلي المطروح بقوة ووضوح ـ وسبق أن أشرنا إليه ـ يتضمن:

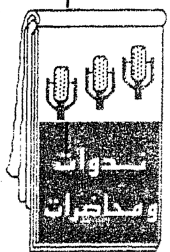
عدم التنازل عن الجولان، وعدم السماح بقيام دولة فلسطينية؛ وتهويد القدس تمامًا، وجعل القدس الكبرى العاصمة الأبدية للكيان الصهيوني؛ مع الاستمرار في سياسات هدم الأقصى لإقامة هيكل سليمان.

بالإضافة إلى ذلك إدخال المنطقة بكاملها في حقبة السلام الإسرائيلي عبر سياسات فرض التطبيع الاقتصادي والثقافي وفرض الأمر الواقع.

السيناريو الثالث: اندلاع حرب جديدة في المنطقة وهذا السيناريو ليس مستبعداً؛ بل ربما يكون أكثر احتمالاً في الوقت الراهن، في ظل جمود الأوضاع على صعيد مفاوضات التسوية السياسية.

وقد لوَّح القادة الإسرائيليون بهذا الخيار أكثر من مرة ـ في الوقت الذي تعلن فيه أطراف عربية مهمة في توازنات القوى في المنطقة أن السلام خيارها الاستراتيجي الوحيد!! والطرف الأكثر ترشيحًا لاحتمال المواجهة معه هو «سوريا» ولذلك: فإنه يمكننا أن نتصور «حربًا خاطفة» تقوم فيها القوات الجوية الإسرائيلية بضرب القوات السورية في الجنوب اللبناني ـ ويمكن أن نتصور الهجوم المباشر على الأراضي السورية، ويمكن توريط تركيا في مثل هذه المهمة..

وغير مستبعد توسيع دائرة الحرب لتشمل العديد من دول المنطقة.



*** هذا يجعلنا نطرح بعداً آخر من أبعاد الصراع أصبح يشكل دوراً خطيراً في صياغة شكل الصراع ويحدد معالمه وآلياته.**

هذا الجانب هو التحالفات الإسرائيلية مع العديد من القوى، والاستفادة من ذلك في دعم استراتيجيتها، الأمنية والتوسعية، بالإضافة إلى التحركات السريعة والمؤثرة في المنطقة: نريد بداية بلورة هذه الجوانب!

د. جمال: عقد العدو عدة اتفاقيات استراتيجية للدفاع المشترك:

- إسرائيل ـ اليونان.
- إسرائيل ـ تركيا.
- إسرائيل ـ الولايات المتحدة.



ـ بالإضافة إلى مناورات مشتركة مع حلف شمال الأطلسي، وإنزال على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط للتعرف على طبيعة أرض المعارك المستقبلية.

ـ تجهيز البنية الأساس في كثير من الدول العربية.

ـ عملية مسح جغرافي وطبوغرافي لخدمة المرحلة القادمة.

ـ إلى جانب تدمير السلوكيات والأخلاق وإفساد الذمم ونشر المخدرات والإيدز.

ـ إنساء الناس قضية المقدسات.

ومن جانب آخر: تخريب الوطن الإسلامي من الداخل عن طريق إثارة الفتن:

ـ المسلمون X النصارى

ـ الأنظمة X الصحوة

ـ الأغلبية X الأقليات

ـ النزاعات العرقية لإنهاك الداخل.

لذلك أتساءل: لماذا يجري كل ذلك إن لم يكن لقرار مصيري هو الحرب؟ لذلك أقول للحكام: هاتوا علماء التاريخ وعلماء الإسلام والمختصين والباحثين وادرسوا استراتيجية العدو بدقة؛ لتدركوا أننا منذ ضَرْب الخلافة ووصول الاستعمار الأجنبي إلى بلادنا ـ لم نضع أقدامنا على الطريق الصحيح.. كل الذي يحدث أن الأمة تكبل... تخدر.. تنوَّم بحجة إرادة السلام!!

*** التحالف الإسرائيلي مع عسكر تركيا ـ رغم أنف الشعب التركي ـ له أهداف وحسابات ومصالح مشتركة ـ فهل لنا أن نحيط بالأهداف الظاهرة على الأقل؟**

أ. كمال: كان لتركيا في النظام القديم ـ دور بارز باعتبارها دولة جوار للاتحاد السوفييتي فكانت جزءاً من الصيغة الأمنية في المنطقة مثلها مثل إسرائيل؛ وبعد قيام النظام الجديد بدأ كل منهما يبحث له عن دور في اللعبة الدولية، فحاول كلاهما أن يفجر فكرة حرب الأصولية من أجل حماية العالم الغربي، فتوافقت على إثر ذلك مصالح العسكر في تركيا مع إسرائيل في الارتباط بالنظام الغربي... وظهر التحالف العسكري تحت دعوى إتاحة فضاء للطيارين الإسرائيليين للتدريب في أراضي تركيا لتكون قريبة من دول الجوار: العراق ـ سوريا ـ إيران ـ للتدريب على طبيعة أرض المعارك المستقبلية هناك ولرصد الأهداف الاستراتيجية.

وهدف ثان: هو ضرب الصحوة الإسلامية والعالم الإسلامي، والحيلولة دون تمكن الإسلاميين من السلطة في تركيا، والمساهمة في الضغط على الرفاه لصالح العسكر وحماية العلمانية هناك.

وهدف ثالث: هو إيجاد مجالات مجاورة للضغط بها على دول الجوار وهو ما



يعرف بسياسة شد الأطراف لتهديد القلب.

وهدف رابع: هو محاولة تطويق الصحوة الإسلامية في دول آسيا الوسطى التي تمثل قوة جبارة مضافة إلى العالم الإسلامي عن طريق تحييدها إن لم يستطيعوا إسقاطها كلية؛ لذلك دخلت تركيا هذه المناطق لتطرح نموذجها العلماني بديلاً هناك؛ لأن المنطقة هناك تشهد مخاضاً إسلامياً سواء في جورجيا أو طاجيكستان أو أذربيجان أو في الشيشان وتحاول تركيا بإيعاز من إسرائيل والغرب السيطرة عليه وإجهاضه.

*** هل اكتفت إسرائيل بدور تركيا في دول آسيا الوسطى؟**

أ. كمال: لا؛ فالولايات المتحدة وإسرائيل لها توجه قوي نحو هذه الدول؛ إذ يكفي أن كل هذه الدول التي استقلت في آسيا الوسطى - ويا للأسف - أقامت إسرائيل معها علاقات دبلوماسية - وكانت أسبق من الوجود العربي. وهذا دأب إسرائيل لتعويض النقص الاستراتيجي؛ فتحاول السبق إلى أي مكان فيه فراغ أو تحول سياسي.

*** ما الهدف الاستراتيجي الأكبر للتحالفات مع القوى؟**

د. جمال: المراد بداية تحزيم العالم الإسلامي من منطقة الشمال، وتأمين حوض البحر الأبيض المتوسط؛ لأن تركيا من الدول الضاغطة على النظام العربي؛ بالإضافة إلى أن تركيا واليونان عضوان في حلف شمال الأطلسي، ووفقاً للوائح الحلف لا يجوز لدول الحلف عقد تحالفات عسكرية مع دول من خارج الحلف إلا بموافقة الحلف؛ ومعنى هذا: أن الحلف وافق ضمنياً على هذا التحالف الجديد وهذا لا يعني سوى أن الحلف بدأ يتوسع جنوباً بشكل غير معلن، وبذلك خرج من أوروبا، ودخل في منطقة الخطر (العالم الإسلامي).



هذا بمحاذاة الاتفاق الإسرائيلي الأردني؛ ومعناه أن هذه الأرض لها منطق أمني واحد، وهذه المنطقة كذلك منطقة عمليات لحلف شمال الأطلنطي عند حدوث أي تغيرات في المنطقة؛ هذا بالإضافة إلى القوات الأمريكية وقواعدها المنتشرة في المنطقة؛ ولعل كل ما يجري هو من قبيل الإعداد لصدام محتمل من أجل القدس.

*** ننتقل إلى جانب آخر على الصعيد الآسيوي: إلى روسيا التي بدا نفوذ اليهود فيها واضحاً: فإلى أي حد بلغ هذا النفوذ؟**

أ. كمال: كل التحولات التي جرت في روسيا كان وراءها اليهود: فريق جورباتشوف كلهم كانوا من اليهود، وجميعهم زار إسرائيل؛ بل الثورات الحمراء في روسيا كان وراءها يهود.

والآن معظم الأسماء التي تصنع السياسة هناك من اليهود، فلم يعد بلاط كلينتون وحده بل يلتسن أيضاً .

النائب الاول لرئيس الحكومة أناتولي تشوبايس - كوزيريف وزير الخارجية جرينوفسكي - بانونومسكي - تشيرنومردين.

كل رؤساء الأحزاب في روسيا - بلا استثناء - من اليهود .

كل أجهزة الإعلام - المجلات كلها ما عدا البرافدا - رؤساء تحريرها يهود وكان لهم جميعاً دور في مساندة إسرائيل.

إذن فاغلب من يشغلون المناصب العليا والحساسة ويملكون صناعة القرار في روسيا كانوا من اليهود.

اليهود السوفييت فتح لهم باب الهجرة إلى إسرائيل وهم أكثر من مليون، و٥٠٪ منهم من ذوي التخصصات العالية، ولهم حزب متحالف مع الليكود.

الظاهرة التي تحدث الآن أن اليهود الأمريكيين في ظل التحول الحادث في روسيا هم الذين يذهبون إلى هناك يحاولون السيطرة على الاقتصاد الروسي لصالح إسرائيل.

*** ننطلق بعد ذلك جنوباً إلى الهند والانفتاح الإسرائيلي الهندي! ما أهدافه؟.. وما أرباحه بالنسبة لإسرائيل؟**

*** أ. كمال:** الهند دولة جوار لباكستان «الإسلامية» التي تمثل جزءاً من قوس الأزمات ومصدراً من مصادر الخطر على أمن إسرائيل - رغم بعد المسافة - لامتلاكها قوة نووية، ومن هنا فمن مصلحة إسرائيل عمل محور مع الهند؛ رغم أن الهند كانت قوة من قوى عدم الانحياز وكانت مع العرب وكانت تمثل مجالاً محرماً على إسرائيل؛ لذلك حاولت إسرائيل اختراقه ونجحت، وكان أكبر مظاهر ذلك هو زيارة فايتسمان للهند أوائل هذا العام، التي هدفت بشكل أساس إلى تحديث أسطول طائرات «الميج» الهندية الروسية الصنع، وهي تمثل صفقة العصر (٧٠٠ طائرة). كذلك طرحت إسرائيل عقد تدريب قوات الأمن الهندية على مكافحة الشغب (أي: المسلمين).

هناك تشابه بين الهند وإسرائيل، وهو أن كلتيهما لم توقعا على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية؛ ويوجد نوع من الدعم الدولي المشترك في هذه المسألة، وكذلك قدمت إسرائيل عرضاً للهند بشراء طائرات «كافير» الإسرائيلية لكنها رفضت.

الوفد الإسرائيلي ضم عدداً كبيراً من رجال الصناعة؛ وأبرم اتفاقيات في مجالات الزراعة والتجارة والتكنولوجيا، وقدموا ١٠٠ مشروع للعمل مع الهند.

الشاهد في الموضوع: أن إسرائيل رغم كونها دولة صغيرة وضعيفة وفيها عيوب هائلة، إلا أنها تسعى لتقوية نفوذها من خلال الانتشار في العالم، وفي المقابل نجد

تحركات الدول العربية ضعيفة إن لم تكن منعدمة!

*** ننتقل إلى حلف شمال الأطلسي واجتماعاته هذه الأيام: ماذا وراءها؟**

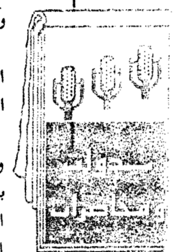
أ. كمال: هذه الاجتماعات طبعًا لإعادة الترتيبات الأمنية للحلف الذي بدأ يمتد شرقًا في أوروبا الشرقية لمحاولة دمج روسيا في النظام الغربي؛ إضافة إلى التمكين للنظام العالمي ذي القطب الواحد لتضييق الخناق على الإسلام.

*** ماذا عن دور أوروبا في اللعبة؟**

أ. كمال: أوروبا كلها موافقة على سياسات إسرائيل، وأغلب دولها يؤيد ذلك جهارًا. وفي الفترة الماضية اتفقت أربع دول أوروبية هي بريطانيا ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ أسبانيا ـ على إقامة قوة أوروبية سريعة الانتشار الـ(URO.4) منفصلة عن حلف الأطلنطي.

د. جمال: هذه القوة قامت بعمل مناورات مشتركة مع مصر، وعملت إنزالاً على الساحل الشمالي في مصر تمهيداً لأي تدخل مستقبلي عند الحاجة في الشمال الإفريقي، أو بمعنى آخر: التحرش بإسرائيل ـ أو وصول الإسلاميين إلى الحكم في أي بلد عربي. والعجيب أن لأعدائنا استراتيجية ثابتة؛ أما نحن فمتأخرون حتى في قراءة فكر العدو؛ وهذا الذي وصلوا إليه هو: الخطوات قبل الأخيرة لنهاية الصراع. لكن هذا تفكير البشر وجهد البشر، حتى لا يصيبنا الإحباط واليأس ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

*** ومن فم التنين الجائع (الأطلنطي) ننتقل إلى اللقمة التي يسيل لها لعاب الجميع! (القارة السوداء ـ إفريقيا) لنرصد التحركات الاستخباراتية الإسرائيلية: صورها ـ وأهدافها.**



أ. كمال: كانت خطة إسرائيل ـ ككيان ضعيف ومليء بالنقائض ـ هي توسيع وجودها في العالم من خلال نشاط الاستخبارات؛ وهذا النشاط كان واسعاً جداً بحيث يشمل العالم كله: لمحاصرة منابع النيل، ولتحزيم الوطن الإسلامي والعربي من الجنوب، ومنع انتشار الإسلام باعتبار هذا التحزيم حوائط صد لقطع الصلة بين شمال القارة المسلمة وجنوبها الذي يقل فيه الإسلام، كذلك لفتح أسواق جديدة لصادراتها وبالذات السلاح، وللاستفادة من الثروات الطبيعية المتوافرة بكثرة مثل: الماس والذهب واليورانيوم والكوبالت... في عام ١٩٧٢م كان عدد الإسرائيليين المتواجدين في إفريقيا ٢٠ ألفا، وفي عام ٩٥ تقول الإحصائيات إنه تم عقد ١٣٠٠ صفقة حققت إسرائيل منها في عام ٩٦ أرباحًا قدرت بـ ١,٤ مليار دولار، وتحصل في مقابلها على مواد خام. وعلى سبيل المثال فإن من الدول التي عقدت معها إسرائيل صفقات سلاح سرية: رواندا، وبورندي، وأوغندا، وإرتيريا؛ ولهذا دلالة

واضحة في الأحداث التي جرت وتجري الآن.

كذلك من عوامل التواجد القوي: مسألة حماية الرؤساء - وهو مجال خصب؛ فللاستخبارات الإسرائيلية هناك حوالي ١٥٠٠ خبير لحماية رؤساء إفريقيا (حماية شخصية).

هناك مشروعات اقتصادية دخلتها إسرائيل مع ٤٢ شركة إفريقية بعقود بدأتها بـ ٢٠٠ مليون دولار، ثم صارت شريكة في ٥٠٠ مليار دولار؛ وبهذا تصبح مسألة السوق الشرق الأوسطية ليست هي المخرج الوحيد للرواج الإسرائيلي؛ لأنها اليوم خطت خطوة أوسع لتحزيم العالم العربي عن طريق السيطرة على جزر حنيش بمضيق باب المندب في البحر الأحمر ثم بوجود قواعد عسكرية في إرتيريا وإثيوبيا.

*** هل للأصابع الاستخباراتية الإسرائيلية دور فيما يجري الآن من تغيرات على الخريطة الإفريقية؟**

أ. **كمال**: أصابع اليهود في أغلب الأحداث الإفريقية واضحة، ففي سيراليون (٨٥٪ مسلمون) مثلاً والصهاينة لهم يد في دفع الانقلابيين الجدد للإطاحة بأحمد تيجان أول رئيس مسلم لسيراليون.

كذلك أحداث رواندا وبورندي، ثم زائير: كانت المخابرات الإسرائيلية تلعب دوراً كبيراً فيها للقضاء على الهوتو، ذوي الأغلبية المسلمة واللسان العربي لصالح التوتسي ذوي الولاءات الغربية رغم أنهم أقلية.

وتقوم كل من أوغندا وإثيوبيا وجنوب إفريقيا بخدمة مصالح اليهود والغرب هناك على حساب النفوذ الإسلامي والعربي باعتباره نفوذاً تقليدياً في إفريقيا. وباستقراء الأحداث نجد أن الرؤساء الجدد يكونون من الزنوج المحررين القادمين من أوروبا أو من الاشتراكيين القدامى، وبمجرد تولي رئيس جديد من هؤلاء السلطة؛ فإنه يقيم علاقة مع إسرائيل، ويفتح الباب أمام التغيير!

وهذا له صلة بمنابع النيل ومحاصرة مصر عن طريق تكبيل السودان عن طريق ما يسمى بـ «تداعيات السلوك بين الحركات» فبدأت الاضطرابات برواندا.. ثم بورندي... ثم زائير.. ثم سيراليون.. ثم برازفيل.. ثم إفريقيا الوسطى.. كل هذا التتابع في وقت قصير!.. والعدوى العرقية تنتشر بين الدول!

وكان لهذا الأمر أهميته في قمة دينفر الأخيرة؛ إذ كانت إفريقيا في مقدمة موضوعات ورقة العمل الأطلنطية.

كل ذلك إضافة إلى سعي الولايات المتحدة لتقديم مساعدات اقتصادية لدول إفريقيا بهدف دمج إفريقيا في النظام العالمي الجديد.

*** موضوع زعماء الانقلابات في إفريقيا رغم اختلاف مناهجهم إلا أنه يدفع بهم إلى السلطة؛ وهذا يلقي ظلالاً أخرى على كيفية الوصول إلى الاشتراكيين بالذات، وتجنيدهم لمصلحة إسرائيل والغرب!**

هناك بالفعل أمر عجيب يثير الدهشة، وهو أن إسرائيل حاولت التغلغل بقوة في إفريقيا، وتبنت في ذلك منظوراً إيديولوجيا يختلف من وقت لآخر، ومن ظروف لظروف مغايرة.

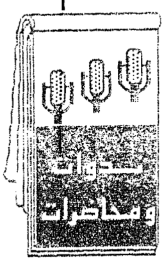
فأيام انتشار الاشتراكية حاولت التغلغل من خلال المفهوم الاشتراكي لدرجة أنه يوجد حوالي ١٧ معهداً أو أكثر في إسرائيل متخصصة في تدريب القيادات الإفريقية على أفكار الموساد والكيبوتس ـ ربما بأساليب مختلفة ـ ونقل هذه الأفكار داخل المجتمع.

مثلاً: إقامة مشروعات اقتصادية للمياه والري بالتنقيط، كما يجري استقدام طلاب من إفريقيا في إطار تعاون علمي من أجل إعدادهم ليكونوا في المستقبل أداة من أدوات إسرائيل في السيطرة على القارة الإفريقية.

*** إذن هذا يكشف لنا عن تحركات أوسع من التحركات الاستخباراتية.. ربما.. أليس كذلك؟!**

هناك تحركات عسكرية إسرائيلية قوية في أغلب القارة السوداء؛ وإليك بعض الأمثلة:ـ

● ساعدت إسرائيل إريتريا في احتلال جزر حنيش، وتطهير جزر دهلك من الألغام... هناك حوالي ٤٠ جندياً إرتيرياً في بعثة بالقوات البحرية الإسرائيلية وتم إيفاد عسكريين إسرائيليين للعمل كمستشارين هناك.. وتجري الآن هناك مناورات عسكرية من قوات قوامها ١٥٠٠٠ مجند نصفهم إسرائيليون تمهيداً لغزو جنوب السودان.



● **في إثيوبيا:** تم تبادل قطع غيار طائرات F - 5 وتدريب ٣٨ طياراً. كذلك موضوع النيل الأزرق وإقامة ٢٠ سداً بمساعدة أمريكية وخبرة إسرائيلية لخنق مصر والسودان وتقوية نفوذ أثيوبيا. ولا ننسى أن أثيوبيا مع إرتيريا تمثلان محوراً من محاور التهديد للنظام الإقليمي العربي.

● **في كينيا:** هناك صفقات صواريخ (جيريل) الإسرائيلية.. وهناك قوات كوماندوز ترابط في مطار نيروبي.

ويوجد ١٠٠ خبير إسرائيلي لمكافحة الإرهاب (الوجود الإسلامي) هناك.

● **في أوغندا:** يتم تدريب سلاح الطيران، تطوير طائرات ميج ٢١ في المصانع الإسرائيلية.

● **في تنزانيا:** تدريب ضباط وهناك خبراء يهود لترويج الأسلحة الصغيرة وأجهزة الاتصال المنقولة لأفراد الشرطة.

في تشاد ذات الأغلبية المسلمة: حصلت الحكومة هناك على سلاح إسرائيل عن طريق زائير عام ١٩٨٣م وتوجد عناصر زائيرية في تشاد تقوم بتدريب الجيش

التشادي على نفقة إسرائيل!

● نيجيريا: رغم أنها تعتبر أكبر دولة إسلامية في إفريقيا إلا أن إسرائيل تقوم بإنشاء ٣ قواعد جوية بمساعدة ٣ خبراء يهود.

وتقوم بتدريب ٣٥ ضابطًا وجنديًا من قوات الكوماندوز لتأمين القيادة النيجيرية.

*** ننتقل إلى النقطة قبل الأخيرة في ندوتنا؛ والتي تنقلنا إلى كوبنهاجن والتطبيع الثقافي! لنتساءل: ماذا وراء الأكمة؟ وما الذي يهدف العدو من وراء توريط بعض المثقفين العرب في التطبيع الثقافي؟**

د. جمال: العدو يهدف إلى عملية غسيل لمخ الأمة! ونجح في اختراق الطبقة المثقفة عن طريق من كانوا يحملون لواء الشيوعية من قبل؛ الذين أصبحوا يحملون لواء الديمقراطية.. نجح العدو في استقطاب عدد كبير منهم! لتصبح هناك فئة تنادي بما ينادي به العدو؛ من نسيان القدس والمقدسات، وفتح أبواب التطبيع ـ أما كونهم وجدوا لهم صدى داخل المجتمع الإسرائيلي فهذا طابع تكتيكي ـ ذرًا للرماد في العيون ـ والنهاية... أن الذين كانوا يزعمون أنهم يقاتلون في ٤٨، ٥٦، ٦٧، ٧٣ هم الذين وقَّعوا عقد كوبنهاجن مع الفئة المستدرجة ليفتحوا بابًا آخر من الصراع هو الغزو الثقافي، وهو بلا شك أشد خطرًا؛ لأنه يُختَرقُ من خلاله عقل الأمة.

أ. كمال: أزمة المثقفين في العالم الإسلامي والعربي هي جزء من أزمة الأنظمة التي روّج لها هؤلاء من قبل، وكلاهما يفتقد البعد العقدي في الصراع بالإضافة إلى أن أكثرهم كانوا من المتسغربين الذين تربوا على موائد غير إسلامية، ولذلك فالمسألة في قناعاتهم سياسية؛ والسياسة بطبيعتها متغيرة، والموقف الذي تتشدد فيه اليوم يمكن أن تتراجع عنه كلية إذا تغيرت الظروف في المستقبل.

فالمسألة لا تتعدى صفقة تجارية تخضع للربح المادي.

وللبحث في حس هؤلاء فإن هناك ملاحظة أخرى هي أن رموز هذا الفريق من العرب هم من الأقلية، والأقليةُ أكثر قبولاً للاختراق وأكثر استجابة للتطبيع، وأبرز هؤلاء لطفي الخولي وهو شيوعي نصراني!

*** إذن هم لا يمثلون الأمة!**

أ. كمال: نعم! هؤلاء المتحالفون ـ بالإضافة إلى أنهم لا يمثلون الأمة في هويتها ـ لم يفوضهم أحد من الشعب المصري للتحدث باسمه، وإذا ادعي أنهم يساعدون المفاوض المصري، فهذه ليست مسؤولية المثقف! ودور المثقف هنا هو وضع علامات على الطريق للسياسي إذا اضطرته الظروف أن يتخذ موقفًا لا يمثل ثوابته بحيث يرده إلى تلك الثوابت.

* **وهل يعني سكوت الأنظمة عنهم موافقتها على هذا التطبيع ؟!**

بالطبع لم يكن ممكنًا لهؤلاء أن يتحركوا في هذا الاتجاه إلا بضوء أخضر من وزارة الخارجية في مصرا وكذلك الحال في إسرائيل.

* **المطبعون يقدمون مسوِّغًا لتحالفهم بأنه يمكنهم عبر هذا التحالف اختراق المجتمع الصهيوني؛ باعتبار أن هناك حركات سلام داخله يمكن أن يقام معها نوع من الحلف لإجبار إسرائيل على إعطاء العرب حقوقهم؛ ورغم أن الأمر واضح في الحس العام إلا أننا نود تجليته أكثر.**

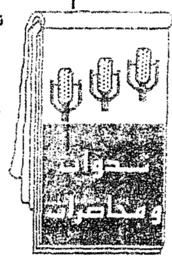
أ. كمال: هذه فرية كاذبة؛ لأن المجتمع الصهيوني - برمته - كله شيء واحد - بالنسبة لثوابتهم - وهذا الادعاء من قبيل الوهم؛ لأن المثقف إذا ما أراد أن يخدم قضيته فليخدمها أولاً داخل وطنه وأمته عن طريق توعية الناس.

ولكن الواضح أن هؤلاء المثقفين - بالمعنى الدارج - «قبضوا» !!

د. جمال: العدو استفاد من تجربة ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية في اعتمادها على العاهرات في جمع المعلومات؛ لأنهن ليس لديهن انتماء، وبالصورة نفسها وظف العدو فئة من المثقفين - ممن يبيعون أنفسهم من أجل المال - من أجل جمع المعلومات من خلالهم.

* **هناك شخصيات ومنظمات تخدم التطبيع تحت أقنعة متعددة؛، فهل لنا أن نقف على بعضها؟**

د. البري: تشير بعض التقديرات إلى أن هناك ٣٠٠ مليون دولار سنويًا تأتي من مصادر مشبوهة لتمويل مراكز الأبحاث في مصر فقط، مثل جمعيات حقوق الإنسان - ومركز ابن خلدون للدراسات الذي يشرف عليه د. سعد الدين إبراهيم وهو أول من أقام مؤتمرًا لحماية الأقليات في العالم، واعتبر الأقباط في مصر حينها أقلية مضطهدة، وهو الشعار الذي تروِّج له اليوم الولايات المتحدة للضغط على الدول.



كذلك عبد المنعم سعيد، ولطفي الخولي، واللواء أحمد فخر صاحب مركز الشرق الأوسط الذي يصدر مجلة «أوراق الشرق الأوسط» وهذا المركز غاية في الخطورة؛ لأنه يلتقط صغار الباحثين ويربيهم تربية تطبيعية!

* **هل نتوقع أن ينفذ المطبعون ما أعلنوا عنه في تحالف كوبنهاجن؟**

أ. كمال: أعتقد أن بيعة المثقفين خاسرة؛ لأنهم خسروا وانكشفوا أمام الأمة ولا أظن أنهم يستطيعون تحقيق شيء مما أعلنوه.

* **ربما تكون المسألة مسألة وقت!**

بالعكس. وأقرب شاهد على ذلك أن الميزان التجاري بين مصر - وهي أكبر المطبعين - وإسرائيل انخفض بنسبة ١٢,٥ ٪ لأسباب تتصل بمقاومة التطبيع من

القوى الإسلامية وقوى المعارضة.

ومما أثر في ذلك فتوى أصدرها مفتي مصر يعتبر فيها أن من يتعاملون مع الكيان الصهيوني من رجال الأعمال ـ في ظل هذه الأوضاع ـ خونة! وكثير من رجال الأعمال انزعج من هذه الفتوى وتأثر بها.

*** هذا يجعلنا نتكلم عن المعارضة: فهل تتوقعون محاولات الالتفاف عليها وإسكاتها أو إخمادها لا سمح الله؟**

أ. كمال: لا يمكن ـ بإذن الله ـ احتواء المعارضة؛ لأن هذه الأمة ستظل تسري في عروقها الحياة إلى أن يتحقق وعد الله.

وهناك حركات معارضة شعبية قوية، ولا تزال الجماهير متجاوبة معها رغم كل الظروف، وهذا دور العلماء الربانيين في توجيه الأمة.

*** لكن العلماء ـ والصحوة عموما ـ يعانون تضييقًا وتعتيمًا عليهم، فكيف يقومون بالدور في ظل هذه الأوضاع رغم عظم الخطر وقلة الإمكانات؟**

ينبغي أن تكون الثوابت الشرعية جلية واضحة في حس العلماء لا تتغير بتغير الظروف، وعليهم أن ينطلقوا من هذه الثوابت وأن يستندوا إليها دائمًا.

وعليهم كذلك أن يعوا قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وأن يعلموا من خلال تاريخ الأمة أن طريق التحرير لا بد أن يمر بهم وينطلق منهم؛ كما فعل صلاح الدين حينما تولى الحكم ـ إذ أخرج العلماء من السجون وأعطاهم صلاحيات واسعة لغسل قلب الأمة؛ فأعادوها إلى دينها؛ وهذا هو الدور المطلوب من العلماء؛ وهو الدور نفسه الذي قام به العلماء في التاريخ. وأذكر مثلاً من تاريخنا الحديث يوم أن كان في الأمة بقية خير ـ يعتبر معجزة، وتطبيقًا لقول الله (تعالى): ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهو حملة «فريزر» الفاشلة على رشيد عام ١٨٠٧م باعتبارها مدخلاً لاحتلال مصر من قِبَل الإنجليز عن طريق الأسطول البحري البريطاني ـ وقد استيقظ أهل رشيد ذات صباح على أصوات قذائف البوارج والمدافع البحرية؛ وهنا برز دور العلماء إذ اجتمعوا في أحد مساجدها بقيادة الشيخ حسن فريج، وتدارسوا الأمر، وقدموا خطة عملية بسيطة تتمثل في صعود الفتيات على أسطح البيوت والتلويح بالرايات البيضاء ـ علامة الاستسلام ـ وهنا نزل الجنود إلى الشوارع وكان أول ما يحتاجونه النوم، فناموا في الطرقات ـ وبعد أن جهز الماء المغلي داخل البيوت أمر الشيخ بالتكبير من على المآذن؛ وفي الحال خرج الجميع ليصبوا الماء المغلي على الجنود ليصابوا جميعًا بالعمى، ويهرع بعدها الأعداء فزعين مندحرين. بهذا التخطيط تأخر غزو مصر ٧٥ عامًا؛ ويظهر فيه أثر العلماء في تحريك الأمة وقيادتها في الأزمات.

د. جمال: هناك أدوار كثيرة فيها خلل كبير وتقصير وتحتاج لجهود واسعة:

أولها: دور البلاغ والتعليم؛ لأن تجاوب الأمة مع الأحداث يرجع إلى جهلها بالمطلوب منها؛ وهذا ترتب عليه قعود.

لذلك ينبغي تعريف الأمة - بالثوابت - بالفرائض - بالواجبات - بالعدو والصديق - معنى الولاء والبراء - قيادة مسيرة الأمة على طريق النبوة - إنشاء المجتمع المنضبط سلوكيًا وأخلاقيًا وعقديًا وتعليميًا وإعلاميًا مع الضوابط الشرعية؛ وبهذا تستعيد الأمة هويتها التي ضاعت.

وهذا ليس كلامًا نظريًا؛ لكن موقف العلماء بالذات ينبغي أن يكون أقوى من واقعهم؛ لأنهم يمثلون الحصن الأخير من حصون هذه الأمة؛ ولهذا فإن تحرير القدس يبدأ بـ(اقرأ).

ثانيًا: لا بد أن يكون للصحوة دور في الإعلام لخدمة قضايا الأمة المصيرية.

ثالثًا: حشد طاقات الأمة وجَعْلها في مواجهة هذه الهجمة العسكرية الفكرية العقدية الاقتصادية التعليمية الإعلامية الشرسة!

رابعًا: مطالبة الأنظمة بمصالحة مع الله أولاً. وكذلك المصالحة بين أبناء الأمة، والسعي إلى وقف التطبيع بجميع أشكاله؛ لأن هذا من مقتضيات الولاء والبراء.

خامسًا: السعي نحو وحدة الأمة؛ لأن تداعي الأمم علينا لا يدفعه مثل توحد الأمة على أصولها: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

سادسًا: إحياء الإيجابية في نفوس الناس؛ بحيث يدرك كل فرد منا أن مواجهة هذه الحملة الشرسة واجب فردي كما أنه واجب جماعي: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤].



سابعًا: تعرية عدونا، وبيان نقاط ضعفه؛ فهو كيان ضعيف يعيش على صدقات وإحسان، وهو عبارة عن شيء غريب في جسد الأمة يقوم بضخ الدم إليه قوى خارجية! ويوم أن يتوقف هذا الدعم فإن هذا الكيان سيموت.

وقد يحدث هذا إذا نجحنا حتى مع غيرنا - في إيقاظ الرأي العام الغربي لخطورة الصهيونية على اقتصاده ونظامه - وبالذات أمريكا حتى لو بقيت حالة «اللاحرب» فإنها سترهق العدو - أما في حالة الحرب فهو لا يستطيع الاستمرار؛ لأنه في كيان محدود المساحة والموارد.

ثامنًا: علينا أن نذكر المبشرات التي تحفز النفوس على العطاء، مثال ذلك: قول جارودي: «أوروبا الآن في مرحلة مخاض تحمل جنينًا في بطنها، وليس هذا الجنين سوى الإسلام» لأنها تتطلع لحل مشاكلها بعد أن عجزت جميع النظريات عن حل مشاكل الإنسان، وهذا يعطينا ثقة في ديننا وفي أمتنا؛ فنحن أمة ممتدة جغرافيًا..

ممتدة عبر التاريخ ... لها عمق استراتيجي - ولديها إمكانات محلية - ثروات .. موارد مائية .. لدينا قبل ذلك كله عقيدة؛ لهذا فلدينا كل مقومات الحضارة - وإمكانات الاستمرارية والبقاء، وتنمية الحياة الإنسانية، وإقامة الأمن.

أما هم: فليس عندهم شيء من ذلك! كل شيء في مصلحتنا - بإذن الله لو اعدنا حساباتنا.

أما بدون ذلك.. فنرى العدو يستعجل المواجهة بعد أن خدر الوعي، ويخشى من عودة الوعي مرة أخرى؛ فماذا نرى؟

نريد أن نضع أقدامنا على الطريق. واجبنا، إذ لا نملك غيرها، وليتهم يتركونها لنا؛ لأن الكلمة التي تُسمع «كشجرة طيبة».

لذلك نقول: أطلقوا حرية الدعوة إلى الله - تربية الأمة وتعليمها؛ لتعرف هي: مَنْ عدوُّها مِنْ صديقها.

ناور أنت ما شئت عبر المفاوضات، لكن أطلق حرية العمل للأمة لتجهز نفسها لتخطط من الآن لاستقلالها اقتصاديًا وعسكريًا دون الاعتماد على أعدائها. وأعود لأقول: القضية تحتاج لتحرير إرادة الأمة وقرارها.

وكلامنا لا معنى له إن لم تكن ثَمَّ إرادةٌ، والإرادة لا تتحرر إلا بالعقيدة؛ وأعتقد أنه إن لم يحدث هذا وتخطو الأمة على الطريق فربما يكون الأمر مزيدًا من الضربات، وربما تطبق تجارب مثل البوسنة والهرسك والشيشان في كثير من بلاد العرب، والعدو ما زال يحلم بخيبر والمدينة ولبنان والشمال الإفريقي.

د. البري: أحب أن أضيف أنه ربما تأتي الانفراجة من صواريخ نيتن ياهو التي توقظ الجميع ليزيلوا جميع المعوقات التي تحول دون أداء الصحوة لدورها.

وعلينا أن نقرأ الحقائق القرآنية عن التركيب النفسي لليهود ليبين لنا قدر عدونا ونعلم كثيرًا من أسراره الحربية والنفسية - مثل قوله: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

لذلك نجد تصديقًا للآية عِرْقًا متعددة تتناطح داخل إسرائيل.

كما ينبغي ألا ينطلي علينا العداء المصطنع بين إيران والغرب؛ وهذا يعكس دورًا مهمًا للعلماء والصحوة هو: فضح الباطل وتعرية أهله وكشف مؤامراتهم.

● وفي الختام نرجو أن نكون قدمنا تحليلاً ذا عمق لقضية الأمة الكبرى - الصراع العربي الإسرائيلي - بعيدًا عن السطحية وعن المنطلقات غير الشرعية.

مؤتمر الشبيبة في باريس :

أحلام يوحنا بولس .. هل تتحقق؟

ينتشر بين الباحثين المسلمين، معرفتهم بعدد من المؤتمرات الكنسية العالمية مثل مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م على الرغم من اشتهاره بأنه مؤتمر يهودي بحت، ثم مؤتمر القدس عام ١٩٠٦م، ثم مؤتمر الصعيد بالقاهرة عام ١٩١١م، وهكذا حتى نصل إلى مؤتمر لوزان عام ١٩٧٤م، ثم مؤتمر كلورادو عام ١٩٧٨م، ثم مؤتمر إيطاليا الحاشد عام ١٩٨٤م، ثم مؤتمر مسيحيي الشرق في باريس عام ١٩٨٥م، ثم مؤتمر قبرص عام ١٩٩٤م.

والمغالطة في هذا الحصر، أنه أولاً: يعطي انطباعاً بأن هذه المؤتمرات شبه دورية، تعقد كل عدة سنوات، وهي فقط التي عقدت، ثم إنه ثانياً: يخلط الأوراق التي لا يصح خلطها بشأن المذهبيات والملل الكنسية التي تعقد هذه المؤتمرات، وثالثاً: لا يميز بين الأنماط العقدية والفكرية والسياسية لكل سلسلة من سلاسل هذه المؤتمرات.

ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية التي يتزعمها بابا روما، لها أعيادها ومنظماتها وإرسالياتها وسفاراتها التي تنتشر في كل بلاد الدنيا، ومنها البلاد الإسلامية، ولهذه الكنيسة مؤتمراتها الخاصة والمتنوعة على مدار أيام السنة الشمسية على خمسة مستويات تشترك فيها كل الكنائس في العالم، الأول: هو المستوى الداخلي لكل كنيسة مفردة، ثم المستوى المحلي بين كنائس المدينة، ثم المستوى الوطني، ثم المستوى الإقليمي، أما الخامس فعلى مستوى العالم.

وللكنيسة الإنجيلية التي تعرف بالإصلاحية أو البروتستانتية، ما لا يمكن حصره من الأعياد والمناسبات والمنظمات والإرساليات والمؤتمرات التي

المسلمون



والعالم

المسلمون والعالم



بقلم: أبو إسلام أحمد عبد الله

تفوق عشرات المرات ما تعقده الكنيسة الكاثوليكية في روما، التي تبدو كأنها المهيمنة على مقاليد الأمور الكنسية في العالم.

ويرجع هذا التوسع الإنجيلي إلى المرض العضال في جسد هذه الملة، وهو ما يهددها من الداخل كسرطان لا شفاء منه، وتؤكد أدبيات كثيرة أنها ـ بسببه ـ أقرب الملل النصرانية إلى الانهيار، برغم التوسع الظاهري الذي فاق حدود إمكانات التوسع الكاثوليكي.

ذلك المرض هو: التفتت غير المحدود داخل هذه الملة، والانشطار اليومي إلى مذهبيات وكنائس وفرق وجماعات ومنظمات، عجزت مراكز أبحاث الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا وأمريكا عن حصرها أو إيقاف المد الانشطاري الأفقي لها، أما الكنيسة الأرثوذكسية (القبطية) التي تمارس نشاطها من مركزها الرئيس في الكاتدرائية المرقصية الذي أنشأه لهم عبد الناصر بقلب القاهرة على مساحة ٦٠٠٠ متر مربع، والذي يعتبر الآن مقراً مؤقتاً بعد أن وضع الأنبا شنودة رئيس الكنيسة حجر الأساس للمبنى الجديد للكاتدرائية المرقصية في العام الماضي (١٩٩٦م) بالإسكندرية على مساحة ٤٠ فداناً، لاستعادة الوضع التاريخي لكنيسة الإسكندرية التي تمردت على الكنيسة الرومانية، واستقلت عنها منذ خمسة عشر قرناً.

هذه الكنيسة، التي استطاعت خلال ربع قرن من الزمان ـ يبدأ مع اتفاقية السلام بين السادات واليهود تحت مظلة الهيمنة الأمريكية ـ أن تنشئ أكثر من مئة وخمسين كنيسة أرثوذكسية على مستوى العالم

بالتنسيق مع من يُعرفون بأقباط المهجر الذين يتبعون في طقوسهم ونظمهم وانتمائهم الروحي للكنيسة المصرية، وتعقد المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية، وتنشئ في أنحاء مصر الكليات والمعاهد والمدارس اللاهوتية المتخصصة، وتقيم المستشفيات الضخمة والمكتبات، وتجدد أديرتها وتعيد بناء أسوار كنائسها، وتوسع منشآتها في صمت وأدب كحمل وديع، استطاع بذكاء ومهارة أن يحصد ما وسعه حصاده، ولا تكف عيونه عن ذرف الدموع حارة تؤجج مشاعر الجهلاء بتكرارها الدائم قصة القهر والظلم الذي يعيشونه في هذه السنوات العجاف.

وبالعودة إلى النشاط الكاثوليكي، يمكننا أن نرصد عدداً من أهم المنظمات وأخطرها، التي تعقد كل واحدة منها مؤتمراً سنوياً على مستوى العالم، على ضوء التوصيات والقرارات والخطط والمقترحات التي انتهت إليها الجمعيات والمنظمات والمؤتمرات والإرساليات الإقليمية والمحلية.

من هذه المنظمات: **إيمانويل ـ أسد يهوذا ـ، تي. تي. دي ربع العالم ـ الكاريزماتية الكاثوليكية** (تمييزاً لها عن مثيلتها البروتستانتية) وتملك واحدة من أضخم مؤسسات الطباعة والنشر في روما: **القربان والتحرر ـ البؤر الصغيرة ـ الشبيبة** التي هي موضوع زيارة بابا الفاتيكان الأخيرة إلى فرنسا، **العمل الكاثوليكي ـ جماعة أمبير** التي تملك ثلاثة عشر داراً للنشر المتخصص في مجال الرسوم المتحركة للأطفال، **عمل الرب** ـ التي منحها بابا الفاتيكان ميزة لم تمنح لمنظمة سواها وشي الاستقلال التام والسيادة الذاتية المطلقة بعيداً عن أي سلطة كنسية غير سلطته المباشرة، وكرمت في مايو عام ١٩٩٢م فمنح مؤسسها المدعو الأب **بالاجير** صفة القداسة، وتضم أكثر من مائة ألف عضو، ويلقبها الإعلام الإيطالي بلقب «**الماسونية الكاثوليكية**» لشدة خطورتها وتوغلها الخفي بالشؤون الدولية ـ ثم أخيراً وبمناسبة الاحتفال المرتقب لبابا الفاتيكان باستقبال الألفية الثالثة، وعزمه على أن يقوم بجولة رعوية دعوية يتمثل فيها خطى **إبراهيم وموسى وعيسى المسيح** ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بدءاً من العراق ثم

المسلمون



والعالم

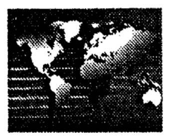
دمشق التي شهدت ـ على حد قول يوحنا ـ معمودية بولس ـ ثم الناصرة ثم صور وصيدا وجبل سيناء .

وقد أنشأ الفاتيكان أحدث وأخطر منظمة كنسية دولية، تمارس دعوتها من خلاله قمر صناعي، إذ أطلق تحت رعاية الفاتيكان وبأمواله ولخدمته الخاصة باسم «لومن ٢٠٠٠» أي: «نور سنة ٢٠٠٠» الذي تتلخص مهمته في أن يمطر الإنجيل ـ حسب تعبير المتحدث الرسمي للفاتيكان ـ على الكون بأسره، عبر الأثير، وعبر الطائرات والسفن والباصات والجامع الثقافية والمراكز والمؤسسات والهيئات والكنائس والوزارات، وبكافة اللغات في كل قارات العالم، وفي توقيت واحد، بالتنسيق مع عمدة وأجهزة مدينة دالاس الأمريكية التي رشحها الرئيس الأمريكي لهذه المهمة.

وهكذا في إيقاع محموم، يلهث التعصب الكنسي بكل الوسائل والتقنيات الحديثة وفي كل المجالات العلمية والعملية، على خط متواز يعضده ويمهد أمامه الصعاب متمثلاً في زيارات بابا الفاتيكان، لتحقيق الحلم الجهنمي الذي يسعى نحوه وهو «العالم كنيسة واحدة» وهو ما صاغه كتاب (C.colonna Cesari: La Ge´opolique Vaticane, La De´ couverte Paris 1992 بقوله (ص:٤٩): «توحيد العقيدة الكونية تحت لواء الكاثوليكية المقدسة» وهو ما ذهب إليه أيضاً كتاب (Catechisme De L' Eglise Catholique Mame Plon, Paris ,1992)

حيث جاء في (ص: ١٨٥) «إن هدف الخلاص يتضمن، أيضاً من يعترفون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم ويعبدون معنا الله الواحد، الرحيم، حاكم الناس في اليوم الآخر».

وقد أشار الكتاب الأخير بوضوح شديد: «لقد أعيدت صياغة النص ـ المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم ـ حتى لا يتخذ تمهيداً لإقرار النسب التاريخي للعرب أنهم من نسل إبراهيم (ص ٢٠٠) وحتى لا يفهم منها أن الله قد تحدث أيضاً إلى محمد (ص ٢١٨)، فالنص النهائي لا يكشف



عن أن إبراهيم جد نَسَبِي للعرب المسلمين، ولكن كنمط للإيمان الإسلامي، بخضوعه لإرادة الله (ص ٢١١).

تلك المقدمة، أحسب أنها كانت من الأهمية بمكان قبل أن نلقي الضوء حول زيارة بابا الفاتيكان الأخيرة إلى باريس، بعد زيارته إلى بيروت التي استمرت في إطار ما سمي بيوم الشبيبة العالمي الثاني عشر.

فقبل وصول بابا الفاتيكان إلى فرنسا في زيارته السادسة إليها، صباح يوم الخميس ٢١ أغسطس ١٩٩٧م، في طائرته الخاصة قادماً من روما إلى مطار باريس، كان هناك ٣٠٠ ألف شاب وفتاة من كل أجناس العالم يأكلون ويشربون وينامون ويلهون سوياً، في انتظار وصول يوحنا، بعد ثلاثة أيام من بدء الافتتاح للمؤتمر العالمي الثاني عشر ليوم الشبيبة؛ حيث أقاموا أقواس النصر، ورفعوا رايات الصليب ترفرف على جانبي الطريق، وامتلأت الشوارع بلافتات الترحيب، وازدانت الفنادق والمسارح ودور اللهو، ودقت أجراس الكنائس لمدة عشر دقائق متوالية، ورفعت السلطات الفرنسية في أنحاء العاصمة باريس درجة الطوارئ، وتزاحمت مئات الكاميرات التليفزيونية، تلاحق الحدث لحظة بلحظة، والقمر الصناعي «لومن ٢٠٠٠» ينقل خطواته مباشرة إلى ١٧ دولة على مستوى العالم، وخصصت شبكات التليفزيون الفرنسية أكثر من ٢٠ ساعة إرسال مباشر لمتابعة زيارته.

وفي مطار أورلي كان في استقباله الرئيس **جاك شيراك، وزوجته برناديت التي اقتضى البروتوكول الفاتيكاني أن تغطي رأسها بمنديل أسود، ضاربة عرض الحائط بالدستور العلماني لفرنسا**، كما وقف عشرات الممثلين للأجهزة الرسمية والشعبية والتنفيذية والكنسية في استقبال يوحنا الثاني، لكن كاميرات التليفزيون الفرنسي سلطت الضوء كثيراً على **جوزيف فريزنسكي** رئيس **منظمة التضامن الكاثوليكية** التي تعرف بـ«أي: تي دي ربع العالم».

ومن مطار أورلي استقل يوحنا بولس ومرافقوه من كبار البطاركة وممثلي

المسلمون والعالم



المؤتمرات والبرامج الكاثوليكية العالمية طائرة هليوكبتر إلى استراحة خاصة في قلب العاصمة باريس، قرب ساحة حقوق الإنسان أمام برج إيفل.

وبرغم الإجهاد الشديد الذي كان واضحاً على وجهه وفي خطواته، استقل سيارته ذات المنصة الزجاجية المصفحة التي تم شحنها من روما إلى باريس، لينتقل بها إلى قصر الإليزيه، حيث كان في استقباله ثانية، الرئيس **جاك شيراك** وزوجته **برناديت** ولكن بدون منديل أسود هذه المرة، حيث تخضع في هذه إلى البروتوكول الفرنسي العلماني.

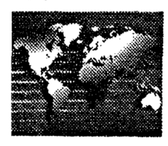
وفي كلمة **شيراك** أمام الضيوف، أشار إلى زيارة **يوحنا بولس** إلى لبنان، ووصفها بأنها أسهمت في هدم الحائط، دون أن يفصح عن المقصود بالحائط، وكان يوحنا قد استخدم المصطلح نفسه في خطابه الرسمي بلبنان حيث خاطب **الشبيبة** هناك قائلاً: «يعود إليكم أن تهدموا الحواجز التي أمكنها أن ترتفع في أثناء حقبات تاريخ وطنكم الأليمة»، ثم أردف شيراك قائلاً بأن زيارة يوحنا بولس الثاني لفرنسا تحمل في العديد من محطاتها رسائل مهمة!

أما الحائط الذي هدمه **يوحنا**، وأشار إليه شيراك؛ فهو ذلك الاتفاق الذي عقده يوحنا الثاني مع قيادات الكنيسة المارونية لتوحيد صفوفهم وتعديل موقفهم تجاه الوجود الصهيوني في الجنوب اللبناني، وترك القوى الإسلامية وحدها أمام مدافع وقنابل الاحتلال الصهيوني.

وبهدم **يوحنا الثاني** لهذا الحائط، فقد عقد صفقتين في مقامرة واحدة:

الأولى: هي التأكيد للسلطة اللبنانية بالحماية الكاملة من أي هجوم عسكري صهيوني ضد الحكومة القائمة، مقابل وعد من الحكومة اللبنانية بأداء المهام التي سوف تلقى على عاتقها عند زيارته التي سوف يتمثل فيها خطى المسيح في العام ٢٠٠٠ بمدينتي صور وصيدا، **والثانية**: هي الاستجابة لقائمة الطلبات التي تقدم بها **نتن ياهو** رئيس وزراء الكيان الصهيوني لبابا الفاتيكان أثناء زيارة الأول للثاني في مقر البابوية بروما قبل شهرين، بتهدئة النشاط الكنسي الكاثوليكي والماروني ضد القوات

المسلمون



والعالم

الصهيونية في جنوب لبنان، وذلك مقابل وعد من حكومة الكيان الصهيوني بأداء المهام وتأمين الزيارة التي يعزم القيام بها في العام ٢٠٠٠ لعدد من القرى والمدن الفلسطينية التي أقام فيها المسيح عليه السلام أو مر عليها.

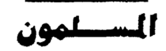
وبالمناسبة وحول هذه الرحلة المزعومة عام ٢٠٠٠ التي سوف تقتضي زيارته إلى صعيد مصر عبر جبل سيناء، فقد اكتفى يوحنا الثاني برسالة تقدمت بها سفارته في القاهرة إلى وزارة الخارجية المصرية منذ عدة شهور ولم يتلق إجابة عليها حتى الآن.

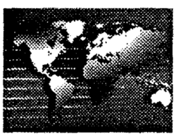
أما المحطات التي حملت رسائل مهمة في زيارة **يوحنا لباريس** - حسب تعبير **شيراك** - فكانت أولها قيام يوحنا بزيارة كاتدرائية **إيفري** بجنوب فرنسا - التي تعد الكاتدرائية الوحيدة، التي بنيت في فرنسا في القرن العشرين حيث قبر صديقه الراحل الدكتور **جيروم لوجون** الذي كان من أنشط الداعين إلى مكافحة الإجهاض ورفض قانون ١٩٧٥ الذي يسمح بالإجهاض، وهو ما يمكن اعتباره تحدياً للدستور العلماني للحكومة الفرنسية وتدخلاً في الشؤون الداخلية لفرنسا.

أما المحطة الثانية: فكانت زيارته إلى كنيسة **نوتردام فردريك أوزانام** المفكر العلماني الذي رفع لواء المواجهة في القرن الماضي، ضد النظم الرأسمالية التي برزت حينذاك، وقد حاول يوحنا الثاني بهذه الزيارة، أن يؤكد مساندته ودعمه لحل مشكلات الشباب التي سببتها أدوات الفكر الرأسمالي للشباب، حتى أغرقته البطالة والجريمة والمخدرات والجنس المدمر.

وفي ساحة برج إيفل، وقف **يوحنا بولس الثاني**: أسفل البرج ليخطب في شبيبة الكنيسة الكاثوليكية، بحضور عدد من الوفود الرسمية التي تمثل مئات المذاهب الكنسية الأرثوذكسية والإنجيلية في العالم مطالباً شباب العالم الكاثوليكي بحمل مشاعل الريادة، وأن يتعاونوا حتى تعم رسالة المسيح أنحاء المعمورة.

وفي يوم السبت، التقى **يوحنا الثاني** بممثلي الوفود العالمية من الشباب، حيث قام بتعميد عشرة منهم، وكما خطب في شبيبة لبنان







باللغة الفرنسية، فعل ذلك في فرنسا، خاطباً ود قادة السياسة والفكر في الحزب الجمهوري الحاكم الذي يؤكد على القومية الفرنسية كأحد العناصر الأساس لعلمانية الدولة.

ولا شك أن **يوحنا** كان يضع في اعتباره جيداً، التأكيد الرسمي لفرنسا على غياب الوجود الديني الكاثوليكي، وهو ما يصيب العقل الفاتيكاني بصداع مزمن؛ لأنه يقف حجر عثرة أمام محاولات يوحنا لبيان كونية وعالمية الدعوة الكاثوليكية واستقلاليتها، ولا تحسب أنه يمكن أن ينسى للحكومة السابقة الاحتفالية الفرنسية بالمائة الثانية لسقوط السلطان الكنسي من فوق أرض فرنسا إلى غير رجعة، وهو ما أشار إليه بدقة الكاتب الفرنسي الشهير **جاك فريمو**، في ص ٢٨٦ من كتابه: «فرنسا ـ والإسلام ـ من نابليون إلى ميتران» الذي أصدرته مترجماً دار قرطبة بقبرص عام ١٩٩١م.

وفي يوم الأحد، كان القداس الختامي لأيام الشبيبة العالمية؛ حيث وقف في ميدان لسباق الخيل، تحوَّل بهذه المناسبة إلى كنيسة في الهواء الطلق، أعلن من فوق منصتها دعوته إلى أن يكون العام ٢٠٠٠ هو عام التوحد الكوني في المسيح، وأن يكون آخر يوم في القرن العشرين، هو يوم الرجاء ويوم الخلاص الذي يحلم به كل نصارى العالم ـ حسب تعبير يوحنا ـ لكن على الطريقة الفاتيكانية، حيث يكون قد بلغ هو من العمر ثمانين ـ إذا قدر الله له البقاء ولم يمت خلال الشهور القليلة القادمة، حيث يعاني من مرض السرطان وأجريت له عملية لاستئصاله في العام الماضي لم تحقق النجاح الذي كان مرجواً لها ـ.

تقرير الحالة الدينية في مصر

(عرض وتحليل)

(١ - ٣)

يعتبر (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية) ـ الذي أنشئ في العهد الناصري ملحقاً بمؤسسة الأهرام الصحفية بالقاهرة ـ من أقدم المراكز التي تعنى بهذه الدراسات المتخصصة في منطقتنا العربية، كما تزداد أهميته من كونه يعرِّف نفسه دائماً على اعتبار أنه يقدم خدماته «للباحث المتخصص والقارئ المهتم والمؤسسات البحثية والصحفية والسفارات العربية والأجنبية» «بهدف تنوير الرأي العام المصري والعربي بتلك القضايا، وأيضاً بهدف ترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار في مصر»، وكثير من دراساته وتقاريره المتنوعة تتوجه أساساً «إلى صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام».

وقد خرج علينا هذا المركز منذ عدة أشهر بتقرير مثير للجدل، كرَّس له أكثر من ثلاثين باحثاً، بين مستشار، وباحث رئيس، وباحث، وباحث مساعد، فاعدوا فيما يقارب الأربعمئة صفحة من القطع الكبير بحثاً شاملاً عن (الحالة الدينية في مصر)، وهذا الجهد الضخم يعبر عن مدى المكانة والأهمية التي تحتلها الحالة الدينية في عقل أصحاب قرار الدراسة والمخاطبين بهذا العمل.

يقع التقرير في ٣٨٩ صفحة، وبعد افتتاحية كتبها مدير المركز جاء التقديم الذي كتبه رئيس تحرير التقرير الأستاذ نبيل عبد الفتاح، بعنوان: «تقرير عن الحالة الدينية المصرية.. لماذا؟» في اثنتي عشرة صفحة، ثم تتابعت أقسام التقرير، فكان القسم الأول عن المؤسسات الدينية الرسمية، وتناولت الدراسة فيه: الأزهر (٣٢صفحة)، ووزارة الأوقاف (١٤ص)، ودار الإفتاء (٨ص)، ثم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (٢٤ص) والكنيسة الكاثوليكية في مصر (١٦ص) والكنيسة الإنجيلية في مصر (١٢ص) وأخيراً: دراسة خاصة عن نظام الرهبنة والتكريس والتفرغ في الكنائس (٢٦ص).

أما القسم الثاني فكان عن الحركات الدينية غير الرسمية، فكان مما درس فيه

المسلمون



والعالم

بقلم: أيمن محمد سلامة

الإخوان المسلمون (١٨ص)، والجماعات الإسلامية الراديكالية (المتشددة) (٢٨ص)، وإسلاميو الخارج (٦ص)، وأقباط المهجر (١٢ص). وتحدث القسم الثالث عن العمل الأهلي والطوعي، فتناول الجمعيات الأهلية الإسلامية (١٤ص)، ثم الجمعيات الأهلية المسيحية (٢٦ص)، ثم الحركة الصوفية (١٤ص).

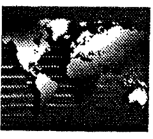
وتحت عنوان (العلاقات والتفاعلات) جاء القسم الرابع ليتناول موضوعات: التيار الإسلامي في انتخابات ١٩٩٥م (١٦ص)، والأقباط وانتخابات ١٩٩٥ (٢٦ص)، ثم: الخطاب الديني المؤسسي في مصر.. الآليات والتوجهات (٢٦ص)، وأخيراً: الصحافة الدينية في عام ١٩٩٥م: المجلات الإسلامية (٤ص)، المجلات المسيحية (٦ص)..

ثم اختتم التقرير بـ (قاموس الحالة الدينية): القاموس الإسلامي (٥ص)، والقاموس المسيحي (٩ص).

وقد أحدث التقرير ردود فعل واسعة في الأوساط الثقافية المهتمة بهذا المجال، وعلق عليه أكثر من كاتب، وكان من أبرز التعليقات ـ في حدود ما اطلعت عليه ـ: **ما كتبه الأستاذ فهمي هويدي، والدكتور حسن حنفي.**

وقبل أن نخوض في عرض بعض النقاط التي ينبغي التوقف عندها نود الإشارة إلى أن هذا المقال وما فيه من نقد لا يعني نقض التقرير ولا إهدار الجهود التي قام بها فريق البحث؛ فما قاموا به خطوة رائدة من حيث نوعيتها، كنا نتمنى لو قامت بها جهة إسلامية يوثق في مصداقيتها وقدرتها، وما نعرضه إنما يهدف إلى التنبيه على النقص والخلل الذي نرى أنه شاب التقرير؛ عسى أن يُتدارك ذلك في الأعداد القادمة، حيث يعتزم القائمون عليه إصداره سنوياً.

كما نشير أيضاً إلى أننا لن نناقش بعض الآراء والأفكار التي وردت في التقرير



حكاية عن بعض الشخصيات أو المذاهب، والتي نعتقد بخطئها؛ وذلك لأن هذ
المناقشة غير مقصودة في هذا المقال الذي ينصب على مناقشة التقرير ذاته ومنهج
في البحث من خلال تناول القائمين به، إضافة إلى بعض الملحوظات على الحال
الدينية كما تظهر من خلال التقرير.

● مصداقية وعلامات استفهام!!

يحرص المركز صاحب التقرير على التأكيد في كل إصدار من إصداراته على أنه
مركز «علمي مستقل»، بمعنى أنه لا يخضع لتأثير أي جهة؛ أو ضغوطها، أي إن
حياده فوق مستوى الشبهات! ولا يشهد إلا بما علم (مركز علمي!)..

وإذا كنا نستطيع مغالبة أنفسنا وتمرير أن المركز مستقل ماليًا وإداريًا عن
الحكومة، فلا نستطيع تصديق أنه مستقل عنها فكريًا، فلا نظن أن القائمين على
المركز ينفون عنه توجهه العلماني أو محاولته توجيه سياساتها من خلال درا
فهو من هذه الناحية يعتبر طرفًا غير محايد تجاه التيار الإسلامي ـ الذي نظن أن
التقرير يهدف إلى الإحاطة به ـ فبدهي أن هذا التيار إذا عارض تلك الحكومة فإنه
لا يعارضها لكونها مجرد تنظيمٍ حكومي؛ بل لكونها تحمل فكرة ومنهجًا يعتقد
أنها تخالف الإسلام (أي: العلمانية)، وهو ما يحمله أيضًا المركز صاحب التقرير..
أضف إلى ذلك: فإن المركز ـ عرفانًا بهامش حرية التعبير الذي وفره له العهد الحالي ـ
أضفى على الموضوعية رداء الخجل عندما تناول موضوعات لها صلة بهذا العهد،
حيث تبنى وجهة النظر الحكومية تجاه التيار الإسلامي في جل أجزاء التقرير، عدا
الجزء الخاص بالعلاقات والتفاعلات عند الحديث عن التيار الإسلامي في انتخابات
١٩٩٥م، الذي نظن أنه جاء موضوعيًا.

وفي هذا الإطار: فالمركز لم يحاول عرض وجهة نظر هذا التيار حسب المنتمين
إليه رغم عرضه لوجهة النظر ـ بل والمطالب ـ الكنسية كاملة كما سيتضح لاحقًا،
حيث كان ضمن فريق البحث أقباط مخلصون لكنيستهم، بل منهم قساوسة
وأعضاء على قائمة البطريرك الأرثوذكسي، ولا نستبعد أن تكون بعض أجزاء
التقرير خرجت من الكنيسة نفسها، وبقول آخر: فإن الذين أعدوا الأجزاء الخاصة
بالحالة الإسلامية كانوا علمانيين متعصبين لعلمانيتهم، رأوا أنه من الحياد والشجاعة
الأدبية عدم الميل إلى مشخصات هذه الحالة فجاروا عليها، أما الذين أعدوا الأجزاء



الخاصة بالأقباط فهم من أبناء الكنيسة المخلصين الذين أحسنوا عرض وجهة نظرهم ومطالبهم من خلال التقرير!

وباختصار: فإن المركز حاول أن يمارس الحياد، ولكنه جاء كحياد الخصم في حدود المتاح من حرية التعبير، فإذا أضفنا إلى ذلك ضلوع مؤسسة أجنبية في تمويل التقرير هي مؤسسة (كونراد أديناور) الألمانية ـ التي يثني مدير مركز الدراسات عليها وعلى مدير مكتبها بالقاهرة، ويصف تمويلها للتقرير بأنه «دون تدخل في أي مرحلة من مراحله!» [1] ـ فإن التساؤلات تثور حول حقيقة الأهداف التي يصب في خدمتها التقرير وحول الطريقة التي قدمت بها المعلومات الواردة في التقرير.. ولعلنا نلتمس في التقرير ذاته إجابات لتلك التساؤلات:

يقول مدير المركز الدكتور عبد المنعم سعيد في الافتتاحية: «ومن هنا يأتي التقرير كجزء لا يتجزأ من جهد عالمي تقوم به الجماعة العالمية للعلوم السياسية لفهم ودراسة الظاهرة الدينية في أبعادها المختلفة، ومن ناحية أخرى: فإنه يأتي استجابة لظروف إقليمية ومحلية تراكمت خلال السنوات الماضية، لم تأخذ فقط شكل تنامي الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية في منطقة الشرق الأوسط، وإنما ـ وربما كان ذلك لا يقل أهمية ـ لتزايد دور المؤسسات الدينية التقليدية والمجتمع المدني المستند إلى الدين [الجمعيات الأهلية الدينية] في تقرير أمور كثيرة في الحياة العامة» (ص ٩).

ويقول رئيس تحرير التقرير الأستاذ نبيل عبد الفتاح في المقدمة: «إذن لم تعد الحالة الإسلامية الرسمية واللارسمية محض حالة أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، وإنما هي حالة عامة ونفسية، ومن ثم: لم تدرس هذه الحالة إلا من المنظور السياسي الذي يتعامل مع أبعادها السياسية والأمنية وظواهر العنف المصاحب لها... أي إن الحالة الدينية المصرية لا تزال مجهولاً على مستوى المعرفة، وعلى مستوى الوعي العام بها..» (ص ١٢، ١٣)، ويقول أيضاً: «إن عملنا



المسلمون والعالم

---

(١) الغريب أن التقرير أنحى باللائمة على جامعة الأزهر لقبولها دعماً مادياً لمعهد تابع لها، حيث يقول (ص٥٦): «ويأخذ البعض على مركز صالح كامل تلقيه غير المحدود للهبات والتبرعات تحت لافتة تدعيم المركز تارة، ولإقامة المؤتمرات والندوات تارة أخرى، مما قد يؤدي إلى تدخلات غير محمودة من قبل الجهات والدول المانحة لهذه الهبات والتبرعات، وهو الأمر الذي قد يهز من صورة الأزهر الشريف وهيبته!».

يستهدف بناء اندماج قومي مصري رصين، نتجاوز به ومعه مشكلات وظواهر نراها عارضة» (؟!) (ص٢٢).

ويسوِّغ التقرير أسباب الاهتمام بدراسة الجماعات الإسلامية ورصدها على النحو التالي:

«١ ـ إننا إزاء نمط متميز من الجماعات السياسية التي ترتكز على قاعدة اجتماعية، وتتسم هذه الركيزة الاجتماعية بالسيولة، **ومع غياب دراسات** سوسيولوجية معمقة لهذا الأساس الاجتماعي، وخصائصه، وسماته، ومناطق تركزه جغرافيًا، ومحليًا داخل البلاد، ومن ناحية أخرى: تتسم القاعدة الاجتماعية لهذه الجماعات بالتغير، وعدم الثبات، سواء في موجاتها المختلفة، أو في أجيالها العديدة.

٢ ـ إن الخصائص العمرية والاجتماعية والمهنية لهذه الجماعات على اختلافها لا زالت أمرًا **مسكوتًا عنه في الدرس الأكاديمي** المصري المعاصر.

٣ ـ الفوارق بين الأنظمة الفكرية، والمعيارية والتنظيمية وأنماط التنشئة والتجنيد السياسي لها، لا زالت أمرًا مجهولاً، **نظرًا لغياب بنية معلوماتية** عن البناء التنظيمي والحركي لهذه الجماعات»(ص١٦١).

ويقول التقرير أيضًا: «وربما يكون التركيز على أهمية المرجعية الدينية في التفسير والتحليل مقصودًا منه لفت الانتباه إلى أهميتها [أي: المرجعية]، وعدم قصر الرؤية على بعد واحد دون غيره، وإيلاء أهمية خاصة لهذه المرجعية في أيّ تناول أو حوار مع تلك الجماعات» (ص ١٨٨).

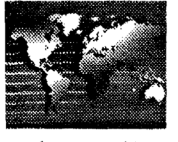
فهل جاء التقرير ليسد الفراغ في هذه الدراسات الذي نشأ نتيجة الانشغال بالمنظور السياسي والأمني؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإلى من يقدم هذا التقرير؟!

● شاهد أم طرف؟!

فإذا انتقلنا إلى استطلاع موقف التقرير من التيار الإسلامي نجد أنه اختار أن يكون طرفًا مقابل هذا التيار، وليس مجرد واصف أمين أو محلل دقيق له، فهو ـ في مواجهة هذا التيار ـ يتبنى مواقف فكرية، ويشيد بإجراءات وأساليب حكومية:

* **فهو يبتر تاريخ هذا التيار** عندما يقرر تحديد انتقال «الحالة الدينية من محض استلهامات خلقية ومعيارية وسلوكية للمجال الخاص إلى المجال العام السياسي والثقافي» بعام ١٩٧٤م (ص١١)، يريد بذلك ربط هذا التحول ـ كما يراه ـ بأوّل





محاولة انقلاب منسوبة لهذا التيار فيما يسمى بحادثة الفنية العسكرية عام ١٩٧٤م (ص ١٨٣)، وهو بذلك يهدر كفاح هذا التيار - بل منهج هذه الأمة - قبل هذا التاريخ، وفي الوقت نفسه: يربطه باستدعاء خلفيات العنف الذي سيصبح هذا التيار مسؤولاً عنه فيما بعد، فهي محاولة لتشويه المرجعية التاريخية لهذا التيار.

* وهو يكرر ذكر الأسباب نفسها التي طالما لاكها خصوم هذا التيار حول نشأته، فيراها في «تفسير هزيمة ١٩٦٧م ببعد المجتمع عن الدين، وتشجيع سلطة السبعينيات الفكر والحركة الإسلامية في مواجهة تيارات سياسية أخرى [يسارية وناصرية وماركسية]، والأزمات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع المصري منذ هزيمة سنة ١٩٦٧م، وفشل الاتجاهات الاشتراكية والليبرالية في معالجة المشاكل الاقتصادية» (ص ١٨٧).. إلى آخر تلك الأسباب التي تهدف إلى سحب الشرعية الإيمانية من هذا التيار؛ ليقف على الأرضية نفسها التي ينطلق منها خصومه، أرضية الدوافع والمصالح المادية والذاتية.. وهي الأسباب التي سبق أن ناقشها كاتب آخر على صفحات (البيان)[1] عند تناول طرح مماثل عن أسباب نشوء ظاهرة التوجه الإسلامي في مصر للأستاذ/ السيد ياسين أحد مستشاري هذا التقرير، ولكن أُضيفَ هنا سبب أكثر يسارية، وهو ما يزعم من «تشجيع سلطة السبعينيات الفكر والحركة الإسلامية في مواجهة تيارات سياسية أخرى»، وتكرر الزعم نفسه في مواضع أخرى، (كما في ص ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٦) «يمكن القول إن سياسة الرئيس السادات في مواجهة اليسار والناصريين في السبعينيات كانت أحد الأسباب الرئيسية في ارتفاع نسبة الجمعيات الإسلامية [الأهلية الخيرية]»[2].

وهذا الزعم يعوزه البرهان والدليل؛ فأصحاب هذه الدعوى لا يقدمون لنا إيضاحاً تاريخياً لوقائع ذلك الدعم وكيفية حدوثه، فهل زوَّر النظام حينها الانتخابات لصالحهم كما يحدث دائماً مع غيرهم وآخرها انتخابات ١٩٩٥م التي يذكر التقرير أن الحكومة ذاتها اعترفت بحدوث تجاوزات فيها؟ (ص ٢٨١)، أم أصدر القوانين التي تحول دون سيطرة غيرهم على النقابات كما فعلوا مع أنصار التيار

(١) انظر مجلة البيان، ع / ١٠٦، ص ٦٨.

(٢) وذلك رغم أن التقرير يدعو في الصفحة نفسها إلى «الإقرار بأهمية المكون الديني وحق هذا النوع من الجمعيات في الوجود بدون حساسيات».

الإسلامي؟ (ص ٢٩٩)، أم شطب ٦٠٪ من المرشحين لانتخابات الاتحادات الطلابية ليحول دون انتخاب اليساريين كما حدث مع التيار الإسلامي؟ (ص٣٠٢)..

إن (الدعم) الذي قدمه النظام وقتها هو أنه أعطى للجميع فرصاً متساوية، وهنا انكشف اليساريون والعلمانيون، فاطلقوا هذه الدعوى... وكان قمع الإسلاميين وخنقهم وحرمانهم بات أهم الطقوس السياسية العلمانية، وغير ذلك يعتبر كرماً ودعماً وتضامناً معهم!

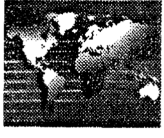
والواقع يكذب هذه الدعوى، فالأستاذ فهمي هويدي يصفها بأنها: «توفر تفسيراً مريحاً للظاهرة الإسلامية، يعطي الانطباع بأنها من صنع السلطة وليست خارجة من عمق المجتمع وضميره وأشواقه، غير أن الدكتور كمال أبو المجد الذي عاصر تلك الفترة بحكم موقعه كوزير للشباب يعتبر الواقعة (افتراء وشائعة مختلقة ومكذوبة من أساسها)، وسمعته يتحدث عن شهود أحياء يمكن الرجوع إليهم للتثبت من حقيقة الأمر، وقد كانوا أعضاء في الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي آنذاك، وقد عرضت عليهم قضية الشباب وحركته، ومنهم الأساتذة: محمد عثمان إسماعيل، وأحمد عبد الآخر، وإبراهيم شكري» (١).

بل إن من عايشوا وقائع تلك الفترة يروون أن الاتحادات الطلابية -التي يتوجه الكلام أساساً نحوها بهذه الدعوى (ص ٢١٩)- كانت تسيطر عليها التيارات اليسارية والناصرية تماماً حتى عام ١٩٧٥م، وفي الفترة التالية (١٩٧٥-١٩٧٧م) التي شهدت بداية نمو التيار الإسلامي في هذه الاتحادات شهدت الحركة الطلابية الإسلامية معوقات وضعتها السلطة وصلت إلى حد الصدام، كاعتقال محيي الدين أحمد عيسى أحد رموز هذه الحركة، والمشادة التي حدثت بين عبد المنعم أبو الفتوح والسادات عام ١٩٧٧م، ثم في عام ١٩٧٨م رفضت الحكومة عقد مؤتمر اتحاد طلاب الجمهورية لانتخاب مكتب تنفيذي للاتحاد؛ لأنه كان واضحاً أن الطلاب الإسلاميين سيسيطرون على المكتب، وبعد بذلك تم إغلاق مقر الاتحاد في القاهرة بالشمع الأحمر، وتعطل فترة طويلة، ثم صدر قرار جمهوري بإلغاء لائحة اتحاد طلاب مصر الصادرة عام ١٩٧٦م لتحل محلها لائحة ١٩٧٩م الشهيرة التي ألغت نهائياً كيان اتحاد طلاب مصر (٢).

---

(١) جريدة الأهرام - ٢٦/١١/١٩٩٦م.

(٢) انظر: أبو العلا ماضي، مقال «السادات والإخوان والحركة الطلابية في السبعينات» جريدة الحياة اللندنية، ٣/١١/١٩٩٦م ص ١٨.



وقد حاول التقرير في موضع آخر (ص١٨٨) وضع مثل هذه الأسباب في حجمها، حيث يقول في معرض إبدائه وجهة نظره في طبيعة (هذه الجماعات) وتقييمه لها: «ويمتد تأثير الأساس الفكري الديني إلى مختلف جوانب وجود الحركة الإسلامية، بدءاً من مصطلحاتها ورموزها وحتى تكتيكات واستراتيجيات حركتها، الأمر الذي يميزها في نهاية الأمر من نواح عديدة عن غيرها من الحركات السياسية والاجتماعية.

والحقيقة أن التركيز على أهمية العامل الفكري، أو المرجعية الدينية، في تفسير ظهور ونمو وانقسام الجماعات الإسلامية المتشددة لا يعني الاستبعاد التام لأي تفسيرات اجتماعية أو سياسية.. إلا إن ذلك لا يصل إلى حد اعتبارها مجرد ظاهرة اجتماعية أو سياسية لا علاقة للعامل الديني بها».

* **والتقرير يحمِّل الإسلاميين ـ بمشاركة الحكومة المصرية ـ مسؤولية إحباط الأقباط وسلبيتهم السياسية والاجتماعية**: «ويترتب على ذلك تكريس الانقسام الديني بين المواطنين والاستبعاد السياسي للأقباط، وساعد على هذه الأنماط التفكيكية والانقسامية: نزوع الحركة الإسلامية الأصولية الراديكالية والمعتدلة ومؤسسات الإسلام الرسمي إلى فرض الخطاب الديني وتأويلاته الفقهية ومعاييره على الفضاء السياسي والاجتماعي والقيمي في المجتمع..» (ص ٣١٠).. «إذن يشكِّل التغير في التركيبة الاجتماعية والثقافية والقيمية اتجاهاً عاماً نحو مزيد من المحافظة السلوكية، وفي أنماط الزي والرموز والطقوس الاجتماعية؛ مما أدى إلى خلق مظاهر من التميز القيمي والسلوكي بين المواطنين المصريين ـ على اختلاف انتماءاتهم الدينية ـ فضلاً عن تنامي عمليات العنف ذي الوجوه الدينية والطائفية أيًّا كانت أهدافه ! ـ والسطو على محلات بيع الحلي الذهبية في مناطق متعددة بالوجه القبلي والقاهرة والجيزة، أدى ذلك إلى خلق حالة نفسية انسحابية لدى المواطنين المصريين الأقباط من المجال العام ـ والسياسي تحديداً ـ تحت وطأة إحساس جمعي بأنه لا يمثلهم، ولا يجدون فيه تعبيراً سياسيًا، أو ثقافيًا، أو رمزيًا عنهم، وأنهم غير مرغوب فيهم» (ص ٣٠٨).. ليس ذلك فقط، بل «شكَّل تزايد مظاهر المد الإسلامي في المجتمع المصري وتنامي نشاط ونفوذ جماعات الإسلام السياسي بمختلف تياراته قيداً عمليًا وأمنيًا على حرية إنشاء جمعيات أهلية مسيحية

جديدة، خاصة في المناطق الساخنة أمنيًا» (ص ٢٥٣).

فأين المفر أمام الأقباط المضطهدين أمام زحف التتار الإسلاميين ؟!. لقد وجدوه في «اعتصامهم بالحقل الديني القبطي، ومؤسسته وأكليروسة كل منهم في إطار مذهبه الديني» (ص ٣٠٨، ١٤).

فهل عرفنا الآن سبب تعصب الأقباط والتفافهم حول كنيستهم ـ كما يرى التقرير ـ؟.. إنهم الإسلاميون !!، بل أكثر من ذلك: فهؤلاء الإسلاميون هم سبب ترك بعض الأقباط لمصر «فإذا كانت الدولة قد أسقطت كافة القيود التي كانت مفروضة على الهجرة بشقيها الدائم والمؤقت.. فإن ذلك ترافق مع تزايد نفوذ الجماعات التي رفعت شعارات دينية [إسلامية]» (ص ٢١٦)، وهم سبب إصابة هؤلاء المهاجرين بالحساسية الشديدة والتأثر تجاه أقباط الداخل «وقد تزايدت معدلات الهجرة بفعل سياسات التأميم والتعبئة السياسية قبل نكسة ١٩٦٧م، ثم تصاعد المد الإسلامي بعد النكسة.... من هنا أدت ظروف الخروج من مصر إلى جعل هذه التجمعات شديدة الحساسية والتأثر تجاه كل ما يجري على أرض الوطن» (ص ٢١٨).

بالطبع فإنه لا يُذكر في هذا المقام أن العهد الناصري كان عهد «التوافق الاستراتيجي» بين الدولة والكنيسة (ص ٩٣)، ولا يذكر «التوافق الشخصي الحميم» بين عبد الناصر وبابا الكنيسة (ص ٩٣)، ولا يذكر أيضًا أن ظواهر الإسلام السياسي لم تبدأ في الظهور إلا عام ١٩٧٤(ص١١)، ولا تذكر الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ظهور هذا التيار (ص ١٨٧)، ولا يذكر أن هذه الأسباب أثرت في المحيط القبطي!، ولا يذكر أن قرارات التحفظ التي أصدرها السادات (سبتمبر ١٩٨١م) التي اتخذت مبررًا لردود فعل الأقباط في الداخل والخارج إلى حد مطالبة بعضهم المجتمع الدولي بفرض عقوبات على مصر.. أنها إذا كانت طالت ٤٩ شخصًا من رجال الكنيسة ومجموعة من الأقباط (ص ٢١٩) فإنها طالت الآلاف من العلماء ورموز الحركة الإسلامية وشبابها.. لا يذكر كل ذلك وتُذكر فقط الصحوة الإسلامية، أصل كل شر على العلمانيين وحلفائهم !!.

* والتقرير لا يدع فرصة ـ ولو مفتعلة ـ لإظهار نصرته لأهل قرابته في التوجه إلا ويقتنصها:

ـ فهو يمتدح الدولة الفاطمية بأنها لم تلجأ إلى نشر مذهبها الباطني قسرًا ـ



رغم ذكره أن تعصبها وصل إلى حد الحجر على حريات الأفراد ـ، في حين ينعى على الدولة الأيوبية التي «كانت سنية المذهب وأوغلت إيغالاً بعيداً في لدد الخصومة للمذهب الشيعي، وكان في مقدمة برنامجها الداخلي القضاء على هذا المذهب واستئصال شعائره ومعالمه ومحاربة معاقله» (ص ٢٧).

فهل يريد إفهامنا أن أمثال هؤلاء (السنية) إذا وصلوا إلى السلطة فلن يبقوا على أي مخالف لهم؟!

ـ ويمتدح اختيار شيخ الأزهر منذ عهد محمد علي باشا وخصوصاً بعد (ثورة يوليو)، معتبراً أنه «أصبح من يتولى المشيخة يوزن بميزان علمي دقيق وتتوافر فيه مواصفات خبرة وتخصص ومستوى رفيع»، وسبب هذا المدح أوضحه سابقاً في الصفحة نفسها «ولما جاءت الحملة الفرنسية حركت الركود في الأزهر، وتمخض الاحتكاك العلمي أثناء الحملة على إدخال علوم مدنية!، ودعم هذا الأمر سفر علماء الأزهر بعد ذلك إلى الخارج» (ص ٤٤)، فهو امتداح لتأثير الحملة الفرنسية والبعثات الأوروبية، وهو ما أشار إليه في مواضع أخرى من الإشادة بالشيوخ «المطربشين» والإشارة إلى الصراع بينهم وبين «المعممين» (ص ٤٣، ٤٤، ٥٤).

ونظرته إلى المشايخ السابقين على تلك الفترة نظرة أحادية؛ فما أخذه عليهم من أن الاختيار كان أحياناً تؤثر فيه عوامل القرابة.. يهمل ظاهرة العائلات العلمية التي كانت ـ وما تزال ـ موجودة، وأما تأثير كون العالم من طبقة أرستقراطية فهو يهمل أن ذلك قد يكون عامل استقلال وكرامة، وقد يُنظر إلى معيار الزهد أو الثراء على أنه أدعى إلى العفة ونظافة اليد (انظر ص ٤٤)، وبالطبع فإن المعيار العلمي لم يكن غائباً أو باهتاً بجوار مثل هذه المؤثرات، أما الدور السياسي الذي نوه التقرير بقدرة مشايخ الأزهر على القيام به بعد ثورة يوليو: فواضح أنه دور تبعي يخدم سياسة الدولة أكثر مما يخدم قضايا المسلمين ـ كما سيأتي من أقوال التقرير نفسه ـ.

ـ ويُعرِّض بدور الأزهر الرقابي في موقفه تجاه بعض أصحاب الانحرافات الفكرية والثقافية، فيقول (ص٥٢): «وتحاول الدولة أن توازن بين دور الأزهر في حماية المعتقدات الدينية وإعطاء الضوء الأخضر له.. وفي الوقت نفسه المحافظة على حرية الفكر والإبداع، ويبدو أن كفة الأزهر هي الغالبة كما أثبتت ممارساته عام ١٩٩٥م، خاصة في رأيه بشأن قضية نصر حامد أبو زيد، القائم على اعتبار أن

المسلمون



والعالم

هناك فرقًا بين (حرية الفكر وحرية الكفر)» . ولم يفت التقرير أن يشير إلى أن مجلة (منبر الإسلام) التي تصدر عن (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) التابع لوزارة الأوقاف أولت قضية التفريق بين الدكتور نصر حامد أبو زيد وزوجته اهتمامًا كبيرًا «حيث تناول رئيس تحرير المجلة عبد اللطيف فايد في مقالته الافتتاحية في عدد يوليو ١٩٩٥م تلك القضية بهجوم ضارٍ على د. أبو زيد» (ص ٦٧).

ولعل ذلك أحد الأسباب التي دعت التقرير إلى وصف تلك الأجهزة الرسمية بأنها مؤسسة أصولية رسمية (ص١٢، ٣١٠).

* والتقرير يتبنى مواقف وآراء فكرية يفترض أنها قائمة على اجتهادات شرعية: «فما اصطلح على تسميته بالشروط العمرية» التي تحدد طريقة معاملة أهل الذمة «الثابت تاريخيًا أن عمر بن الخطاب بريء من الشروط العمرية» (ص ٨٧)، بينما «حفاوة» عمرو بن العاص بالبابا بنيامين بطرك الأقباط وسماحه لهم «ببناء ما هدم من الكنائس والأديرة» لا تحتاج إلى تمحيص وتدقيق، وتعامل باعتبارها حقيقة تاريخية ثابتة (ص ٨٧).

والحديث عن (أهل الذمة) يغضب محرري التقرير فـ«لقد ساعد على هذه الأنماط التفكيكية والانقسامية: نزوع الحركة الأصولية الراديكالية والمعتدلة، ومؤسسات الإسلام الرسمي، إلى فرض الخطاب الديني وتأويلاته الفقهية ومعاييره على الفضاء السياسي والاجتماعي والقيمي في المجتمع. وثمة لغة فقهية محافظة توظف في المطارحات السياسية والفقهية حول موقع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وعودة النسق التاريخي لأهل الذمة في خطابات الجماعات الإسلامية ووعاظ الغضب والمؤسسة الأصولية الإسلامية. ولا شك أن انتقاء هذا النسق والفقه المعبر عنه - من بين رؤى أخرى أكثر تسامحًا وإنسانية وأصالة - أثار همومًا وشجونًا وصورًا تاريخية في المخيال التاريخي للأقباط المصريين» (ص ٣١٠).

ويقدم التقرير لنا رؤيته في علاقة الدين بالدولة من خلال تصريحات شيخ الأزهر والمفتي: «فإن كان الدين هو مصدر المنطلقات السياسية وتوجهاتها من حيث وجوب أن تتسم بقيم الأخلاق والفضيلة والحث على التنمية والبناء والتفاعل الإيجابي مع الآخر ورد العدوان والوقوف إلى جانب الحق.. إلى آخره، فإن السياسة هي الجانب الآخر المكمل لمثل هذه المنطلقات، وهي الجانب الذي يركز

المسلمون



والعالم

على الكيفية الدقيقة أو السؤال الخاص بـ « كيف؟ » ... » (ص ٣٥٤).

ولا يكتفي التقرير بتقديم رؤاه الفكرية في مسائل شرعية، بل يقدم أيضاً (اجتهادات) الجانب القبطي النصراني: فبابا الأرثوذكس يوضح أن من أسباب التطرف والإرهاب: الفهم الخاطئ للدين « وهذا الفهم الخاطئ تولدت عنه مفاهيم لـ (التكفير) الخاطئ، مثل: تكفير الشيخ الذهبي مثلاً، وكذلك تكفير من لا يؤمن بالإسلام !» (ص٣٤٥)، ويشير التقرير إلى اجتهادات البابا الشرعية واستشهاداته القرآنية! حينما يورد طلبه بإنجاز قانون الأحوال الشخصية مع مراعاة أحوال الأقباط « تنفيذاً للشرع الإسلامي الذي يقول: (احكم بينهم حسبما يدينون) »[1] (ص ٣٤٧).

ويورد رأي مجلة (رسالة الكنيسة) الكاثوليكية في وثيقة الزواج المقترحة والتي رفضها شيخ الأزهر وتحفَّظ عليها المفتي، ولكن المجلة رأت في الوثيقة « أنها راعت وضع المرأة المسلمة، وأنها وسيلة فعالة لحماية المرأة وضمان استقرار الأسرة » (ص ٣٦٥).

ويبرز أن بعض أساتذة جامعة الأزهر لا يجد « مبرراً لتقسيم الكليات إلى بنين وبنات، خاصة الكليات العملية، ويطالبون بالاختلاط على مستوى الكليات العملية؛ حتى يستطيع الخريجون التكيف أكثر مع الواقع العملي! » (ص ٥٤، ٥٥).

* **والتقرير يتدخل في نيات الناس ويفتش في قلوبهم**: فإسلام بعض النصارى ليس ناتجاً عن رغبة في الإسلام وسماحته وهروباً من النصرانية المحرفة وآصارها ومصادمتها لفطرة البشر ومصالحهم « وقد شهد عام ١٩٩٥م - حوالي ٦٧ حالة إشهار للإسلام، معظمهم من الأجانب، ولا يدل هذا العدد على حقيقة إشهار المسيحيين المصريين لإسلامهم ؛ فهناك أسباب غير دينية لإشهار إسلام بعضها يتعلق بالأحوال الشخصية وقضايا الزواج والطلاق » (ص ٥٣، ٥٤).

ومن يبني مسجداً أسفل منزله لا يقصد بذلك التقرب إلى الله، « الزوايا الصغيرة في أسفل المساكن والتي يبنيها أصحابها للوجاهة الاجتماعية أحياناً، وللتهرب من الضرائب العقارية أحياناً أخرى » (ص ٦٤).

---

(١) لعله يريد الإشارة إلى قوله تعالى ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]!

■ الحالة الدينية في مصر ■

المسلمون والعالم



عولمة أم أمركة؟! (٣)

المصلحة.. وديبلوماسية الإجبار!!

تعرض الكاتب في الحلقتين السابقتين إلى الحديث عن التاريخ الأمريكي الحقيقي، وفند التلميع الزائف لهذا التاريخ المزور وتناقضاته، ويبدأ في هذه الحلقة الحديث عن محددات السياسة الأمريكية وطرق عولمة النموذج الأمريكي.
- البيان -

المصلحة استراتيجية أمريكية:

مصلحة أمريكا أولاً وآخراً، هذه باختصار إحدى البدهيات الأولى لاستراتيجية السياسة الأمريكية تجاه العالم.

في سؤال طرحته مجلة « تايم » الأمريكية الأسبوعية، مع إيرادها الإجابة عليه في الوقت نفسه: لماذا طالب الجمهور الأمريكي بسحب القوات الأمريكية من الصومال، على الرغم من أنه لم يقل شيئاً عن طلعات الطيران الأمريكي فوق العراق وسقوط طائرتي هليوكوبتر، ومقتل ١٥ جندياً أمريكياً؟ والجواب: الفرق واضح، فالجمهور الأمريكي يفهم أن البترول يمثل « مصلحة حيوية » وأن صدام طاغية يأمل في صنع أسلحة نووية ويمثل خطراً على الأمن الأمريكي.

سؤال آخر طرحته المجلة ذاتها مع التدخل الأمريكي في البوسنة: ما الذي يجعل البوسنة تستحق الموت من أجله؟ ما المصلحة القومية في ذلك؟ أما الجواب فكان من رئيس أمريكا وتبعه وزير الدفاع السابق، أما كلينتون فاجاب: « إذا لم نقم بالجزء الذي يخصنا من مهمة حلف الناتو فسنضعف التحالف، ونعرض الزعامة الأمريكية في أوروبا للخطر ».

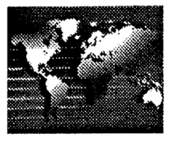
أما وليام بيري وزير الدفاع السابق فكان موافقاً رئيسه في « أن مهمة حفظ السلام في البوسنة تؤثر على مصالح الأمن القومي الأمريكي من خلال الحفاظ على مصداقية حلف الناتو ».

المسلمون



والعالم

بقلم: حسن قطامش



أقسام المصلحة الأمريكية:

تنقسم المصالح الأمريكية إلى أقسام ثلاثة:

١ ـ مصالح استراتيجية: وهي التي تمس الأمن القومي الأمريكي مباشرة، وتؤثر على مصالحها الذاتية بصورة بالغة، أو ترى أنها تهدد الزعامة الأمريكية للعالم، وأوضح الأمثلة على ذلك: بقاء كيان يهود بين الدول الإسلامية، ثم البترول العربي، ولعله لا يوجد ما نستدل به على ذلك أفضل من إخبار هنري كسينجر اليهودي، وزير الخارجية الأسبق لأحد المسؤولين العرب عند حظر البترول: أن أمريكا أعدت خطة لاحتلال أحد منابع النفط في الخليج وبالتحديد «أبو ظبي» وليمنع العرب ما شاؤوا!!

٢ ـ مصالح ملحة: وهي مصالح تؤدي إلى خدمة المصالح الحيوية بصورة كبيرة، كالحفاظ على الأنظمة الصديقة في العالم، ونجاح عملية السلام، ومحاربة الإرهاب كمهدد للأنظمة الصديقة ومقوض لعملية السلام.

٣ ـ مصالح تكتيكية: وهي غالباً ما تكون للمناورة وإثبات الذات والظهور الدائم على الساحة العالمية والإعلامية كالضغط على إيران والعراق، والسودان وسوريا وليبيا كدول إرهابية ومساندة للإرهاب!!

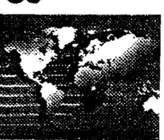
ولن نجهد كثيراً للبرهنة على ان المصلحة عقيدة سياسية، بل هي المحرك الأساس للسياسة الخارجية الأمريكية، فالنبرة المصلحية واضحة جداً في الخطاب الرسمي الأمريكي بداية من الرئيس، ومروراً بوزرائه، وانتهاءً بالفرد العادي.

في كتاب: «بين الأمل والتاريخ» يحدثنا كلينتون عن المصلحة الأمريكية بشيء من التفصيل فيقول: «إن على أمريكا ان تكون قوة فاعلة في تحقيق السلام العادل في عالم مليء بالصراعات، ليس ثمة طريقة أخرى (لتدعيم

أمننا) على المدى الطويل، إن علينا أن نتحمل مسؤوليتنا تجاه ذلك العالم، لا أن نقف منه موقف غير المبالي؛ فعندما تصبح التحالفات ضرورية، فإن علينا أن نقيمها، وعندما تصبح المفاوضات ضرورية، فإن علينا إجراءها، وعندما تصبح الاستثمارات مطلوبة، فإن علينا تقديمها، وعندما تصبح القوة مطلوبة (لضمان أمننا) فإن علينا استعمالها، ومعنى ذلك كله: أن علينا الترحيب بآمال العالم وثقته لا أن نُعرض عنه، ليس لأجل العالم فقط.. بل لأجلنا نحن أيضًا»، أما روبرت دول زعيم الأغلبية في الكونجرس، فكتب دراسة في مجلة (فورين بولسي) في العام ١٩٩٥م، بعنوان: تشكيل مستقبل الولايات المتحدة، وكان أكثر وضوحًا من كلينتون في شرح استراتيجية المصلحة، يقول: «صحيح أن التلوث البيئي والتفجر السكاني في إفريقيا أو جنوب آسيا مشكلتان، لكن تأثيرهما على (مصالح أمريكا) هامشي في أحسن الأحوال، ولا شك أن المجاعة في الصومال ورواندا مأساوية يتعين على أمريكا مد يد المساعدة الإنسانية في الكوارث وفقًا لمواردنا وبطريقة لا تفضي إلى نسف جاهزيتنا العسكرية، غير أن الأحداث في رواندا والصومال لا تنطوي ـ في أسوأ الأحوال ـ إلا على تأثيرات هامشية بالنسبة لأمريكا. إننا لا نستطيع أن نستمر في نسف سمعة قواتنا المسلحة من أجل عمليات إنسانية (لا تفعل شيئًا في مجال تعزيز مكانة أمريكا!! فلا تجوز المخاطرة بحياة الأمريكيين إلا دفاعاً عن المصالح الأمريكية) إن من شأن مثل هذه التحركات أن تزيد صعوبة إقناع الأمهات والآباء الأمريكيين بضرورة إرسال أبنائهم وبناتهم إلى المعركة (التي تكون مصالحنا الحيوية معرضة فيها للخطر) لن يطيق الشعب الأمريكي إصابات أمريكية في سبيل... أمية غير مسؤولة».

أما مادلين أولبرايت فإنها تُجْمِلُ سياسة وزارتها في أن الأهداف الحيوية: «تأمين مصالح الولايات المتحدة»، والتوسع بها لتشمل الكرة الأرضية.

وكثيرًا ما ترى المحللين والكتاب عن السياسة الأمريكية يجهدون أنفسهم في تفسير المواقف المتناقضة والمزدوجة للولايات المتحدة، ويذهبون في ذلك مذاهب شديدة الغرابة لا تخلو من الطرافة أحيانًا، ومن اللامعقولية أحيانًا أخرى في فهم السياسة الأمريكية، ونحن نوقن أن السياسة الأمريكية ليس لها محرك حقيقي إلا المصلحة الأمريكية فقط.



الأمركة بالقوة و... ديبلوماسية الإجبار:

تتحرك الولايات المتحدة لأمركة العالم من أجل مصلحتها في البقاء والسيطرة، واستنزاف الدول، وهي في هذا السعي تستعمل - من وجهة نظري - طريقتين لفرض هذه الأمركة، وكل واحدة منهما تكشف عمَّا أوردتُه في البداية من النزعة الاستيطانية، وحب السيطرة، والحياة على أنقاض غيرها من الشعوب، وكما استعرضنا سريعًا النشأة الأمريكية كدولة جديدة في العالم، فإننا نستعرض كذلك سريعاً - أيضًا - نشأة الولايات المتحدة كقطب وحيد في العالم الحديث، وهي الفترة التي لم تتجاوز نصف قرن من عمر البشرية، وقد كان بروز أمريكا أثناء الحرب العالمية الثانية وعقبها بعد انتصار الحلفاء على دول المحور، وكانت القوانين قد حالت دون المشاركة في الحرب من بدايتها، وذلك لتشريع الحياد الذي اتبعته الولايات المتحدة، ولكن استراتيجية «المصلحة» كانت بارزة في الحرب، فتحتم تغيير القوانين، فألغى مجلس النواب بسرعة قانون الحياد بحجة مساعدة فرنسا و«بريطانيا» !! واصدر قانونًا يقضي ببيع الأسلحة للدول المتقاتلة.. (نقداً)، ولكن بريطانيا لم تعد تتحمل الدعم المالي النقدي لجيشها، فما كان من روزفلت - الرئيس الأمريكي وقتها - إلا أن اقترح قانونًا سمي بقانون الإعارة والتأجير، فلا يمكن تفويت مثل هذه الفرصة دون استغلال، ووافق الكونجرس في مارس ١٩٤١م، على القانون الذي يقضي بإعارة مواد خام ومعدات لأي دولة تقاتل المحور، وبالفعل تسلمت ٣٨ دولة ما مجموعه ٥٠ بليون دولار!!

وتطورت الأحداث وضربت اليابان - التي كانت أمريكا تعترض على توسعها آسيويًا - ضربت الأسطول الأمريكي في جزر هاواي مما كان سبباً إلى جر الولايات المتحدة إلى الحرب، وفي ٩ إبريل ١٩٤٢م استسلم ٧٥ ألف جندي أمريكي من القوات الأمريكية في الفلبين للقوات اليابانية، واضطر معظم الأسرى أن يسيروا ما يفوق المئة كيلو متراً سيراً على الأقدام إلى معسكرات الاعتقال ومات كثير من الأسرى بسبب المرض وسوء المعاملة أثناء ما عرف وقتها بـ«مسيرة الموت» ونذكّر بما حدث للهنود على يد الأمريكان وهي الأحداث التي سميت: «رحلة الدموع»، وقتل في الفلبين على يد



اليابانيين ١٤ ألف أمريكي وجرح ٤٨ ألفًا، أما اليابان فكان عليها أن تفهم العقلية الانتقامية الأمريكية التي ترى في الانتقام لذة تساوي لذة الحياة التي يعشقونها، فكان عدد القتلى اليابانيين في معركة الفلبين ٣٥٠ ألف جندي.

أحد المناضلين ضد قضايا العنف السائد في أمريكا «ديك هايماكر» يقول: المشكلة الحقيقية تكمن في كون الأمريكيين لم يتخلصوا ـ رغم السنين ـ من نفسية المستوطنين الأوائل لهذه الأرض، وعلينا أن نفهم أننا في هذا المضمار لا نعتبر دولة متحضرة.

كان فهم هذه العقلية غائبًا عن اليابانيين الذين لم يكتف الأمريكان بما قتل في الفلبين منهم، بل كان على طوكيو نفسها أن تتلقى درسًا غاية في القسوة من خلال فن الانتقام، فلم يكن القائد الأمريكي للقوات الجوية (هانزل) بالرجل المطلوب لتنفيذ فلسفة القتل الأمريكية، ولذا: فقد جرى استبداله في ٢٠/١/١٩٤٥م بالجنرال (ليماي)، الذي كان من أصحاب نظرية: اقتل أكثر تربح بشكل أفضل، فكان هجوم قواته الجوية على العاصمة طوكيو في ١٠/٣/١٩٤٥م، وألقى ١٥٠ طنًا من القنابل، أسقطتها ٧٢ طائرة قاذفة، وعلى أثرها تهدم ٢٨ ألف منزل، وقُتِلَ مئة ألف ياباني في يوم واحد!!

لم يكن هذا كافياً، فجاءت القنبلة النووية الأولى التي حملت اسم: (الفتى الصغير) وألقيت على هيروشيما اليابانية، لتخلف وراءها ما يقارب المئة ألف قتيل، وثلاثة عشر كيلو متراً مربعًا من الأرض مدمرة تدميراً شاملاً، وكان ذلك في ٦/٨/١٩٤٥م، وبعد ثلاثة أيام فقط جاء دور قنبلة: (الرجل السمين) النووية لتسقط على مدينة نجازاكي لتقتل ٤٠ ألفًا من السكان، ومات فيما بعد عدة آلاف من آثار الإشعاع الناتج عن القنبلتين، وهنا أعلن اليابانيون الاعتراف بالهزيمة، واكتفى الأمريكان بهذا العدد من القتلى!

كان من الضروري ذلك الاستعراض السريع لأكبر حرب خاضتها الولايات المتحدة خارج أراضيها؛ لعدة أسباب نفهم من خلالها النموذج الأمريكي المتربع على عرش العالم:

١ـ فهم النفسية الانتقامية لدى الشعب الأمريكي.

٢ـ الاستغلال السيئ للشعوب، ما دامت المصلحة الخاصة قائمة.



٣ ـ ان هذه المرحلة شهدت نشوء أمريكا كقوة عظمى.

٤ ـ شهدت هذه المرحلة كذلك ازدياد القناعة الأمريكية بضرورة تطوير الكفاءة العسكرية؛ إذ هي عماد القوة والسيطرة.

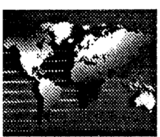
٥ ـ الانضواء الأوروبي تحت اللواء الأمريكي؛ إذ خرجت أوروبا منهكة مدمرة في أمسٍ الحاجة للمساعدة الأمريكية.

٦ ـ تبلور سياسة أمريكية جديدة ـ وخاصة بعد الاختلاف مع الاتحاد السوفييتي الذي كان أهم أسبابه، الاتهام بتشجيع نشر الشيوعية في أوروبا ـ في فترة ما سمي بالحرب الباردة والانقسام الهائل الذي حدث في العالم واختلاف موازين القوى.

والذي يهمنا هنا أكثر، هو القناعة الأمريكية بضرورة التفوق العسكري وحتمية الانتشار والتدخل؛ إذ هي الطريقة الأكثر جدوى، ونقف الآن على تفصيلات الحقائق حول هذه القناعة من خلال مرئيات الساسة وصناع القرار.

ـ بيل كلينتون رئيس العالم يتحدث عن دور القوات الأمريكية في صناعة الزعامة الأمريكية: «تمتلك أمريكا اليوم أفضل قوة قتالية في العالم من حيث التدريب والتسليح والاستعداد؛ وهذا هو أكثر من أي حقيقة أخرى !! وإننا لنفضل الدبلوماسية على القوة؛ غير أننا مستعدون لاستعمال القوة العسكرية عندما يكون ذلك ضرورياً للدفاع عن مصالحنا القومية، وكما كنا طيلة هذا القرن، فإننا سنقود بقوة المثال الذي نقدمه للعالم، غير اننا مستعدون ان نجعل قوتنا.. هي ذلك المثال؛ ولهذا فإن مجرد التهديد بقوتنا أصبح اليوم كفيلاً بردع المعتدين كما شاهدنا أخيراً عندما استنفرنا قواتنا في الخليج رداً على محاولة صدام حسين المجهضة لحشد قواته مجدداً على حدود الكويت»، ويضيف في مكان آخر من كتابه: «عندما تسلمت منصب الرئاسة كانت هناك استراتيجية جديدة ونحن ندخل القرن الحادي والعشرين وهي استراتيجية تتألف من ثلاث مراحل، ـ ويخصنا هنا صدر الحديث ـ وهو: «... تقضي بجعل الشعب الأمريكي أكثر أمناً، وذلك عن طريق المحافظة على قواتنا العسكرية وتحالفاتنا بحيث نتمكن من درء الأخطار الرئيسية التي تهدد أمننا كانتشار أسلحة الدمار الشامل والإرهاب».

المسلمون



والعالم

لقد سببت القوة الأمريكية للرؤساء والساسة الأمريكان ـ وخاصة بعد حرب الخليج ـ ما سمي مرض «نشوة النصر» فهم يعيشون تحت وهم الاعتقاد بأن التفوق الأمريكي أمر مفروغ منه وأنه تفوق هائل وغير مسبوق، وهذا ما يفسر الصلف في التصريحات والعنجهية المقيتة في الخطاب الاستصغاري للعالم، وقد اعتمدت الولايات المتحدة القوات المسلحة عنصراً رئيساً لأمركة العالم وذلك بما يمكن أن نقسمه إلى ثلاث طرق:

الأولى: إنشاء قوة عسكرية متفوقة والتحكم في سوق السلاح الدولي.

الثانية: العمل على الحد من انتشار الأسلحة التي لا رغبة لها في انتشارها.

الثالثة: تعميم النموذج العسكري الأمريكي في العالم؛ وذلك بتدريب وأمركة العسكر في الدول الصديقة.

وبهذه الحلقات يكتمل الدور المطلوب من القوة العسكرية لتحقيق الأمركة.

ونأتي إلى تفصيل هذه الطرق حتى يتبين لنا حجم التخطيط والكيد الشيطاني لفرض نمط غير صالح للتعميم.

الطريقة الأولى للأمركة بالقوة: صدر في أكتوبر ١٩٩٦م تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية حول ميزان القوى العسكرية في العالم عام ٩٦/١٩٩٧م، وأكد التقرير أن أمريكا هي أكبر بائع للأسلحة في العالم، فقد بلغت قيمة مبيعاتها خلال عام ١٩٩٢م ١٥ بليون دولار، ثم ارتفعت إلى ١٧,٥ بليون دولار عام ١٩٩٣م، وهبطت إلى ١٥,٢ بليون دولار عام ١٩٩٤م و١٣,٣بليوناً عام ١٩٩٥م، أما المركز الثاني فكان من نصيب بريطانيا التي كان إجمالي مبيعاتها عام ١٩٩٥م ٤ بلايين و ٨٠٠ مليون دولار.

وذكرت صحيفة واشنطن بوست أن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون قام في ديسمبر ١٩٩٥م بالاتصال بمسؤول كبير في دولة الإمارات ثم حثه على شراء ما يصل إلى ٨٠ طائرة من طراز إف ـ ١٦ من مؤسسة لوكهيد مارتن الأمريكية العملاقة المتخصصة في الصناعات العسكرية والدفاعية ـ وقد تمت الصفقة مؤخراً ـ فهل نصدق إذن ما يتشدق به الساسة الأمريكان دائماً ومطالبتهم أن يعيش العالم في سلام وأمن، وأن تُحل المشاكل دون اللجوء إلى العنف حتى يكونوا شركاء طيبين لأمريكا!!



إذن : لماذا هذا الكم الهائل من مبيعات الأسلحة لمختلف دول العالم، وخاصة بؤر الصراع والنزاعات المشتعلة منه، والتي لأمريكا فيها « جهود سلمية » لحل النزاعات؟ المسألة تبدو معقدة في بدايتها ولكن بالنظر إلى الاستراتيجية الأمريكية يتبين حرص الولايات المتحدة على انتشار أسلحتها في العالم لأسباب عدة :

١- الأموال الطائلة التي تجنيها من وراء صفقات بيع الأسلحة وتشغيل المصانع والعمال، وهو ما يساعد على الانتعاش الاقتصادي للدولة.

٢- ارتباط الدول المستوردة بأمريكا؛ وذلك لضرورة الحاجة إلى التدريب على هذه الأسلحة، وقطع غيارها، وأنواع الذخيرة المحددة لها، وبهذا تضمن أمريكا أكثر من ميزة لبيع السلاح الواحد.

٣ - الحضور المستمر في بؤر الصراع لاستخدامه سلباً وإيجاباً للمصلحة الأمريكية ولإثبات القدرة على التحكم بالتدخل السريع وحسم النزاع وتغيير موازين القوى في مناطق الصراع، وليس أدل على ذلك من النموذج الإفريقي، الذي خسرت فيه فرنسا خسارة كبيرة لصالح الولايات المتحدة، ولهذا كان من الضروري لأمريكا الاحتفاظ بقوة عسكرية تخدم أهدافها.

لمن كل هذه القوة ؟!

والآن تعد أمريكا خطة لتطوير معمل « لوس الاموس القومي » بولاية « نيومكسكو » وهو المصنع الذي أنتج قنبلتي (الفتى الصغير) و (الرجل السمين) اللتين القيتا على هيروشيما ونجازاكي، على ان يستأنف « الإنتاج » عام ٢٠٠٣م أي بعد ست سنوات من الآن فقط.

أما وزارة الدفاع الأمريكية فتقدمت بخطة إلى الكونجرس الأمريكي تبين مطالبها العسكرية للفترة القادمة ومتطلبات القوات الأمريكية؛ فالقوة الجوية الأمريكية تريد الحصول على ٤٣٨ طائرة من طراز (إف - ٢٢) المقاتلة الخفية التي يبلغ ثمن الواحدة منها ١٦٠ مليون دولار، وطلبت البحرية الأمريكية ١٠٠٠ طائرة متقدمة، أما الجيش فيريد الحصول على ١٢٩٢ طائرة هيلوكبتر من طراز (كوماتشي) وتريد قطاعات القوات المسلحة كلها معاً الحصول على ٩٧٨ طائرة مقاتلة ضاربة، وهذه القائمة تبلغ قيمتها ٤١٥ بليون دولار.



ونتساءل: لمن كل هذه القوة ؟ نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال جوزيف رالستون قدم لأعضاء الكونجرس وثائق وخرائط تظهر أماكن انتشار الطائرات في مختلف أنحاء العالم والتهديد المحتمل الذي تثيره هذه الطائرات للأمن الأمريكي التي، وقال إنها تزيد عن ٦٠٠ طائرة، إشارة منه إلى مواضع الخطر على أمريكا، ولكن مجلة تايم تعلق على هذا بأن هذه الطائرات ملك لدول صديقة أو حليفة كبريطانيا وفرنسا وكندا وغيرها من الدول.

ونضيف: أن أعداء أمريكا (إيران، العراق،كوريا الشمالية) لديهم حوالي ١٠٠ طائرة هجومية وسيزيد العدد إلى ١٢٠ طائرة بحلول عام ٢٠٠٥م!.

ويتساءل معنا السناتور الأمريكي والمرشح السابق للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري، (جورج ماكغفرن) السؤال نفسه في مقاله بجريدة الحياة في ٢٧/٣/١٩٩٧م يقول: لكن السؤال: لماذا علينا تهيئة قوات أمريكية كبيرة محتملة للدفاع عن كوريا الجنوبية ضد أي هجوم من كوريا الشمالية؟ فيما نعرف أن بمقدور كوريا الجنوبية الدفاع عن نفسها ودحر الشمال، لماذا نضطر إلى تهيئة قوات إضافية لحرب محتملة ضد العراق بعدما برهنا في عاصفة الصحراء أن في إمكاننا دحر الجيش العراقي بـ١٧٪ فقط من قواتنا، وفي الوقت الذي كان العراق فيه أقوى بكثير مما هو عليه اليوم؟ عندما ننظر بعناية إلى سياستنا الدفاعية الحالية؛ نجد أن الكثير منها «يصعب تبريره».

جزء مهم من سؤالنا يجيب عليه كذلك وزير الدفاع السابق وليام بيري، وذلك فيما نشره في فصلية: (فورين أفيرز) الشؤون الخارجية في نهاية عام ١٩٩٦م تحت عنوان: «الدفاع في عصر الأمل»، ولكن قبل الإجابة لا بد من المرور سريعاً للتعريف بكتاب: «الحرب المقبلة» لكاسبر واينبرجر، وزير الدفاع الأمريكي في عهد ريجان ولمدة سبع سنوات، وكأي وزير دفاع فقد كان مطلعاً على كل الخطط المستقبلية للدولة وعلى دراية بأهدافها الاستراتيجية.

والكتاب يتحدث عن إسقاطات مستقبلية افتراضية عن احتمالات لنشوب أكثر من حرب في وقت واحد، وهي ـ حسب الافتراض ـ تبدأ عام ١٩٩٨م، وهذه الحروب هي: غزو كوري شمالي لكوريا الجنوبية وفي الوقت نفسه غزو صيني لتايوان، ثم رد انتقامي من الولايات المتحدة على إرهاب نووي إيراني

عند احتلالها لدولة الإمارات، وتفصيلات كثيرة عن حرب موسعة في منطقة الخليج تكون في عام ١٩٩٨م، وعدوان من جانب ديكتاتور روسي، وقيام حالة فوضى عارمة وعدم استقرار في المكسيك مما يهدد حدود أمريكا الجنوبية، وأخيراً هجوم ياباني على دول أخرى في منطقة الباسيفك.

وهذا الكتاب ـ رغم كونه افتراضياً ـ إلا أنه لا يخلو من حقائق مهمة، ونذكر أن حرب الخليج (عاصفة الصحراء) كانت افتراضية في العام ١٩٨١م! وجدير بالذكر أن مؤلف الكتاب حصل على نمط «الصليب الأكبر» بدرجة فارس من الملكة إليزابيث.. كان هذا التعريف بمجرد تذكير.

نعود إلى وليام بيري وإجابته على جزء من السؤال المطروح، يقول: «لا نزاع أن خطر اندلاع صدام عالمي قد انخفض كثيراً عنه أيام الحرب الباردة، ولكن طالما أن هناك أسلحة نووية فإن الخطر لا يزال قائماً، ولذلك فإن الولايات المتحدة (تحتفظ بقوة نووية مخفضة، ولكنها شديدة المفعول كعامل ردع) ومن أجل ردع أي صدام إقليمي يتعين على الولايات المتحدة أن تحتفظ بقوات مسلحة تقليدية قوية وجاهزة وجيدة الانتشار في جبهات متقدمة، وأن يكون حضورها علنياً ومحسوساً حتى يكون بوسعها إظهار قدرتها العسكرية الحاسمة (أينما ظهر ما يهدد المصالح الأمريكية) وللدلالة على عزمها على استعمالها، فالولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة على الأرض (التي لها مصالح أمنية على نطاق العالم كله) وبؤر التوتر الساخنة في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا يمكن أن تنفجر دون سابق إنذار (فتهدد بذلك المصالح الحيوية الأمريكية)، ولذلك فإن حجم القوات المسلحة وتكوينها يقوم على أساس حاجتنا إلى الردع، وإذا لزم إلى القتال والانتصار في تنسيق كامل مع حلفائنا الإقليميين في (صدامين إقليميين قد يقعان في وقت واحد) ـ ما نظن أن هذا افتراضي أيضاً ـ والمبدأ الأساس هنا: أن الولايات المتحدة إنما تقاتل لكي تنتصر!! وليكون انتصارها حاسماً وسريعاً وبأقل ما يمكن من الخسائر».

بقي لنا أن نتعرف على بقية الإجابة، وبقية طرق الأمركة بالقوة من خلال انفراد القوة، وأمركة عسكر العالم، ومن أعداء أمريكا وما قوتهم؟ ثم ماذا عن الأمركة بـ(الدولرة): هذا ما سوف نتعرض له في الحلقة الأخيرة ـ إن شاء الله ـ.

المسلمون



والعالم

عقد النقص والدونية

د. محمد يحيى



هناك اتجاه خبيث يُرَوَّجُ له الآن من بعض الدوائر العلمانية؛ وبعضها ـ للأسف الشديد ـ رسمي الصفة، يرمي إلى خلق وترسيخ عقد النقص والدونية عند جماهير المسلمين التي نمت فيها في العقود الماضية روح الاعتزاز بالدين والافتخار به، وتربت فيها نزعة العزة بعد سنين طوال من الانتكاسات والتراجعات التي عكست نفسها فيما أصبح يعرف بالنزعة الدفاعية والاعتذارية والتبريرية في الفكر والخطاب الإسلامي. وفي ظل هذه النزعة الدفاعية تحوَّل الخطاب الإسلامي في مجمله تقريباً إلى مجرد ترديد كلمة «أنا بريء» كما يفعل المتهمون بالحق أو بالباطل في أقفاص الاتهام. وبعد أن تخلص الفكر الإسلامي من هذه النزعة وانطلقت أطروحاته الإيجَابية تقتحم مجالات الحياة المختلفة من سياسية إلى اقتصادية، ومن فلسفية إلى أدبية وغيرها ظهر مؤخراً ذلك الاتجاه الخبيث واستمد علة وجوده من الحملات الضارية التي دأبت أجهزة الإعلام والبحث والسياسة في الغرب على توجيهها ضد المسلمين. وهكذا سمعنا فجأة من بعض الرؤساء والزعماء ذوي المشارب اللادينية والذين ارْتَدَوْا فجأة مسوح الورع وادعاء الخوف والغيرة على الإسلام مقولة: إن أفعال المسلمين المزعومة من تطرف وإرهاب ورجعية وتشدد هي المسؤولة عن إثارة تلك الحملات الغربية، وإنه لو أراد المسلمون إنهاء الحملات الإعلامية وتحسين صورتهم في الغرب (وهو الأمر الذي تحوَّل في الآونة الأخيرة إلى

الأولوية القصوى والوحيدة للخطاب الإسلامي عند بعضهم) فعليهم أن ينبذوا تلك التصرفات المتطرفة، لا.. بل عليهم أن يظهروا للغرب في الصورة الوحيدة التي تعجبه وهي صورة الإسلام المعتدل «السمح» أي المتغرب المتعلمن المتبني كل ما تطرحه الثقافة الغربية (المسيحية في جوهرها) من تصورات.

وقد تغلغل هذا الاتجاه المشبوه إلى حد أننا قرأنا في الآونة الأخيرة تصريحات لمفتي الحكومة المصرية ووزير الأوقاف بها ـ وكلاهما من دارسي الإسلام وعلمائه فيما يقال ـ يعلن فيها الأول أن المسلمين وحدهم هم سبب الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب، ويقول الثاني: إن المسلمين يعيبهم أنهم لا يقرؤون ما يكتبه المستشرقون؛ ولذلك يسارعون بالطعن فيهم، بينما المطلوب أن يلتقي المسلمون المعتدلون والمستشرقون على كلمة واحدة، ويتعرف كل على ما عند الآخر. وقد أثار استغرابي أن يسارع مفتٍ حكومي بهذه السهولة الغربية إلى رمي المسلمين بأنهم سبب الحملات الغربية عليهم؛ وتساءلت مثلاً عما فعله مسلمو البوسنة (الذين اشتهروا بالاعتدال على مذهب الدفاعيين الجدد) أو مسلمو كشمير وغيرهم حتى يصب عليهم العذاب والقتل من جانب الصرب والهندوس؟ ثم.. أي مسلمين هؤلاء المسؤولون عن تشويه الصورة؟ هل هم المسلمون البسطاء الذين يعيشون في حجاب عن الظهور، ويستظلون بكنف الستر لا يعرف أحد عنهم شيئاً، أم هي النخب المسيطرة والحاكمة في بلدان إسلامية عديدة طابعها العلمانية والتغرب والانخلاع من نظام وأحكام الإسلام إن لم يكن من عقيدته؟ إن هذه النخب المسيطرة من سياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية شاع فيها الفساد والنهب لموارد البلاد، كما مارست الدكتاتورية المتسلطة التعذيب وانتهاك حقوق الإنسان (حسب مفاهيم الغرب وحسب مفاهيم الإسلام) كما تلاعبت بالقوانين، واحتكرت ساحات العمل الاجتماعي لها وحدها، ضاربة الخصوم بعرض الحائط حتى لو كانوا ينتمون

إلى التوجه العلماني نفسه. وكانت هذه النخب بحكم مواقعها وبحكم قربها إن لم تكن عمالتها للغربيين في بؤرة الاهتمام والتغطية الإعلامية الغربية؛ ونتيجة لذلك فقد ظهرت فضائحها التي ألصقت بتعمد وبزيف مسف بالإسلام والمسلمين: إذن النخبة العلمانية هي المسؤولة عن الصورة المشوهة للإسلام.

لكن الأمر لا يقف عند ذلك الحد؛ فالغرب ليس بحاجة إلى تصرفات شائنة من المسلمين حتى يشوه صورتهم، وهو ليس بحاجة إلى أحداث إرهابية مزعومة أو حقيقية ترتكب هنا وهناك (ويرتكب أضعافها شدة وعدداً في الغرب نفسه)، وليس بحاجة إلى تصرفات مسفة من أفراد مسلمين (يرتكب أفظع منها وأكثر من قِبَلِ الغربيين) حتى يطلق حملاته على الإسلام والمسلمين. إنهم يفعلون ذلك بداراً ومبادأة دونما استفزاز أو مثير في إطار حملة مخططة تسير حثيثاً للنيل من الإسلام. وقد قال أحد فلاسفة الغرب في القرن الثامن عشر الميلادي: «لو لم يكن الإله موجوداً لوجب اختراعه» وهذه المقولة تطبق بالنص وإن بمعنى آخر: «لو لم يكن ما يسيء للإسلام موجوداً لوجب اختراعه» وبمعنى آخر: إنهم يفتعلون أشياء وهمية ويضخمونها ويكررونها حتى يصدق الناس أنها موجودة، ثم يبنون عليها حملاتهم ضد الإسلام والمسلمين، تلك الحملات التي يتلقفها البعض ومنهم أرباب المناصب الرسمية ليخرجوا منها وبسهولة مريبة إلى القول بأن المسلمين ـ كل المسلمين ـ مدانون؛ وعليهم الاعتذار والتوبة لسادة الغرب الإعلاميين والسياسيين. فإذا لم يكن هذا التكريس لعقد النقص والدونية بلا مسوِّغ (ونحن لا نذكر ناحية سوء النية) فماذا يكون؟

والمسلمون لا يطلب منهم فقط الشعور بالدونية والاعتذار عن الجرائم المزعومة التي تسببت في غضب الغرب عليهم عند المفتي الحكومي، بل يُطْلَبُ منهم فوق ذلك عند قرينه الوزير أن يقرؤوا كتب المستشرقين ويفهموها (لا للرد عليها، بل لكي يستوعبوها) وكان قراءة هذه



المصنفات المكتوبة بلغات أجنبية حية وميتة قد أصبح فرضًا على كل مسلم ومسلمة، وليس هذا فحسب بل يجب أن يحشد المسلمون «المعتدلون» (ولا يعرف أحد من المسؤول عن فرزهم وتحديدهم) لكي يلتقوا بالمستشرقين ويتعلموا منهم دينهم أو على الأقل ليكيفوا دينهم حسب ما يريد هؤلاء.

وهكذا وبسهولة أيضًا يُنَصَّبُ المستشرقون ـ على يد وزير في حكومة دولة إسلامية ـ وكأنهم سلطة روحية وفكرية تخضع لها الجباه وتعلو على النقد والمساءلة (ونذكر بأن الكاتب المسيحي المشهور إدوارد سعيد قد انتقد هؤلاء حتى النخاع في كتابه المعروف «الاستشراق») ويطلب من المسلمين «المعتدلين» أن يتكيفوا مع أفكارهم حتى وهم في بلادهم الغربية وكما يعرف القاصي والداني فإن هؤلاء يصبحون كمًّا مهملاً لا وزن لهم في دوائر الفكر والفلسفة والعلم وإن كان لهم وزن في دوائر التنصير والتخطيط السياسي لضرب الإسلام في بلدانه بعد دراسته على يد هؤلاء المستشرقين.

ومرة أخرى: بِمَ يمكن أن نسمي هذا!... إلا بأنه تكريس لعقد النقص والدونية حينما يُجعل المسلمون تابعين أذلاء لفكر وتصورات طائفة لا أهمية فكرية لها في الغرب لكنها طائفة انتحلت لنفسها دراسة الإسلام زعمًا وادعاءً، وهي المطعون في دراستها من جانب الغربيين أنفسهم ثم يأتي وزير مسؤول ليطلب من المسلمين ـ كل المسلمين ـ قراءة ما يكتبه هؤلاء عن دين المسلمين والتعلم منه، وكأنه نسي أن هناك علماء للإسلام على طول وعرض العالم الإسلامي (ويفترض أنه واحد منهم) يتلقى المسلمون دينهم منهم بثقة، بل وكأنه نسي أنه كان يتحدث في حضن أقدم الجامعات الإسلامية في دراسة الإسلام والتفقه فيه. فأي دونية ونقص يفوق ذلك؟ وما هو بُعد ذلك الاتجاه الخبيث الذي يريد للمسلمين أن يعيشوا كمجرمين متهمين لا همَّ لهم سوى ترديد كلمات البراءة أو تعلم دينهم ودراسته من غير المؤمنين به من فرقة لا وزن لها علميًا في بلادها ذاتها؟

إشكالية نتائج وإفرازات الديمقراطية

بقلم: د. سامي محمد الدلال

بيّن الكاتب في الحلقة السابقة خطأ التصور الذي مؤداه: «أن الديمقراطية ليست إلا مجرد مجلس نيابي يمكن تحقيق بعض المكاسب من خلاله، وأوضح أن الديمقراطية التي تعني علمنة الدولة والمجتمع هي الأسلوب المزيّن لولوج العلمانية إلى نخاع المجتمع وسريانها في جميع أوصاله، وفي هذه الحلقة بقية الموضوع.

ـ البيان ـ

١١ ـ الإشكالية المدهشة هي: أن النظام الديمقراطي الحاكم يسمي مظاهرات الاحتجاج الجماهيرية مؤامرة!! فعندما سأل الصحفيُّ زعيمَ حزب التجمع في مصر خالد محيي الدين: لماذا اتهمك السادات بأنك من المسؤولين عن مظاهرات ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧م؟ وهل كانت حقاً انتفاضة حرامية كما أسماها السادات؟

أجاب: السادات اتهم حزب التجمع؛ لأننا في المعركة الانتخابية سنة ١٩٧٦م رفعنا شعارات رددها المتظاهرون في ١٨و ١٩ يناير.... وجد السادات أن الشعارات التي كنا نرددها في الانتخابات رددها المتظاهرون من الجنوب إلى الشمال، فقال السادات: هذه مؤامرة من حزب التجمع، وهذا غير صحيح..

وكانت الجماهير في المظاهرات تقول: (يا أنور بيه.. كيلو اللحمة بـ ٢ جنيه) وسبب هذه المظاهرات أن الحكومة في ذلك الوقت منحت الجماهير الأمل في تخفيف العبء عليها، ولو عدنا إلى عناوين الجرائد السابقة للمظاهرات من ١٥ يوماً .... سنجد أن جرعة الأمل مرتفعة، وأن كل شيء سيتم إصلاحه، وفجأة صدرت قرارات صدمت الجماهير.

الصحفي: يعني لم تكن انتفاضة حرامية؟

خالد: لا، المحكمة حكمت بعكس ذلك، وقالت إن هذه المظاهرات ليست انتفاضة حرامية، وإنما هي شعبية، وأن الجماهير كانت معذورة، وأنهم خرجوا ليعبروا عن رأيهم...والخطأ خطأ الحكومة» ا. هـ[1].

(١) صحيفة «الوطن» الكويتية ٢٨/٢/٩٤ .

هموم ثقافية

نعم الخطأ خطأ الحكومة!

فأين كان المجلس؟!! إن النواب من عادتهم في حالة إخفاقهم في تحقيق رغبات الشعب أن يرموا القفاز في وجه الحكومة.

وفي كل الأحوال: أليست الحكومة جزءاً من مجلس الشعب؟

إن الجماهير الشعبية هي دائماً التي تدفع الثمن غالياً. إن سكتت على ضيم، وإن احتجت قال النظام: إنها مؤامرة وإن الشعب حرامية!!

حقاً إنها مفارقة تدعو إلى التأمل.

١٢ ـ في ساحة إشكاليات النتائج، لنا وقفة مع بعض آراء محمد مواعدة رئيس حركة الديمقراطيين الاشتراكيين التونسية، ووقفتنا معه ستكون في أربع محطات:

* **قال مواعدة:** «أعتبر أن الفكر الديمقراطي الغربي يجتاز أزمة لا تقل خطورتها عن الأزمة التي شهدها الفكر الماركسي وأدت إلى انهياره. وأعتبر أن الفكر الاشتراكي والديمقراطي يخضعان لمنهج سلفي حيث يجري تمثل مقولات اشتراكية أو ديمقراطية أنتجت في بداية القرن على واقع مختلف في نهاية القرن. وهي إشكالية يقرها اليوم الفلاسفة والمفكرون الغربيون الذين أتابع يومياً مؤلفاتهم الجديدة» أ. هـ[1].

نعم لا أشك أن الفكر الديمقراطي الغربي يمر في أزمة، شأنه شأن الفكر الماركسي والفكر الوجودي؛ ذلك أن جميع هذه الأفكار هي من صنع البشر ووضعهم.

إن تطور وتنوع الطروحات البشرية للمناهج الحياتية، سواء ما كان منها عقدياً أو سلوكياً، يدل على استمرار حالة القصور؛ إذ إن كل طرح جديد يدل على قصور ما قبله، وهكذا.

إن جميع المناهج البشرية ستبقى عاجزة عن طرح فهم عقدي له طابع الديمومة والثبات. وبما أن الديمقراطية واحدة من تلك المناهج البشرية فهي تخضع حكماً للمعادلة المذكورة نفسها، وخلاصتها: أن إسقاط معنى الديمقراطية يتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، إنها مثل لإشكالية العجز البشري.

* قال مواعدة: «وإضافة للمعطيات المميزة للمرحلة، تعتبر خصوصيات مجتمعنا العربي الإسلامي وشخصيته المتميزة ـ بإيجابياتها وسلبياتها ككل المجتمعات ـ منطلقاً يتوجب أخذه بعين الاعتبار؛ وهو معطى أكدته التجارب والتطورات التاريخية التي شهدها العالم؛ حيث لم تعد هنالك نمطية عالمية للنموذج الاشتراكي ولا للنموذج الديمقراطي. وتأكد أن لكل مجموعة حضارية خصوصياتها وتاريخها وتراكماتها، إذن

---

[1]) صحيفة «شؤون عربية» ١٦/٩/٩٤ .



لها تجربتها الديمقراطية الذاتية » أ هـ[1].

لقد اعتبر مواعدة النموذج الاشتراكي وكذلك الديمقراطي كأنه حتم لازم للمجتمعات لا انفكاك لها منه. وعلى هذا الأساس فلكل مجموعة حضارية تجربتها الديمقراطية الذاتية.

إن تجاهل مواعدة للإسلام ودوره القيادي الريادي على مدى أربعة عشر قرناً خلت مثير للاستغراب حقاً!

فمعلوم أن الأمة الإسلامية خلال تلك القرون لم تعش التجربة الديمقراطية التي يتحدث عنها مواعدة، بل عاشت في ظل الإسلام الوارف، تعبُّ من معينه بحسب حال قوتها وضعفها. أما التجارب الديمقراطية فإنها لم تتسلل إلى الأمة الإسلامية إلا خلال هذا القرن، فأحدثت فيه فجوة لا تزال تتسع. إن هذه الفجوة الديمقراطية لا تزال تحدث تآكلاتها في المجموعة الحضارية الإسلامية على حساب خصوصياتها وتاريخها وتراكماتها وتوسعاتها.



إن الأمة الإسلامية ليست بحاجة إلى النمطية الاشتراكية أو النمطية الديمقراطية؛ وذلك لانتمائها إلى الصبغة الربانية، فهي الوحيدة التي تمتلك نمطية الصياغة العالمية لجموع البشرية على اختلاف خصائصهم الذاتية أو المكتسبة، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

* قال مواعدة: « يعتبر مثال رواندا نموذجياً - في الاتجاه السلبي - بالنسبة للتجارب الديمقراطية في إفريقيا، فقد كانت تحكم رواندا قبيلة أقلية، هي قبيلة - التوتسي، وعندما طبق النظام الديمقراطي التعددي بشكل طبيعي فازت الأغلبية في الانتخابات، وهي قبيلة - الهوتو - التي انبثق منها الرئيس الجديد. وانطلاقاً من الشرعية الانتخابية التي حصل عليها حاول إجراء عدة تغييرات في أجهزة الدولة، لكنه سرعان ما اصطدم بنفوذ القبيلة الحاكمة في الأجهزة العسكرية والأمنية والحرس الجمهوري ومصالح القبيلة المتداخلة مع مؤسسات الدولة؛ وأدى ذلك إلى تعقيدات ومواجهات، فوقعت الكوارث والحرب الأهلية، واغتيل الرئيس نفسه، ودخلت البلاد في متاهات » ا. هـ[2].

إن الذي ذكره (مواعدة) هنا يؤكد ما ذكرته عند الحديث عن إشكالية القبيلة في الحكم الديمقراطي؛ وهي مجرد واحدة من إشكاليات عديدة، وليس شرطاً أن تتكرر الإشكالية نفسها في جميع أنماط الحكومات الديمقراطية؛ فربما كانت لكل ديمقراطية واحدة أو أكثر من الإشكاليات التي سبق أن ذكرتها. ولكن ما يهمنا الإشارة إليه هنا، بل التأكيد عليه: أن

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

إشكالية النتائج في حالة رواندا تجسدت بأبشع أنواع الاقتتال الأهلي بسبب إشكالية واحدة من إشكاليات الديمقراطية.

* قال مواعدة: «ومن سوء الحظ أن الوضع في الجزائر وصل إلى مأساة عنف دموي يومي بين مجموعات مسلحة تعتمد العنف للاستيلاء على السلطة، وبين سلطة مركزية تسعى وتحاول تجنيب البلاد العنف القائم، ولا شك أن الرئيس زروال، وهو شخصية محترمة ونظيفة ومناضل معروف، سيسعى إلى حل الأزمة بالأسلوب السياسي والحوار. وأعتقد أن موضوع التعامل مع التطرف لا ينبغي أن يكون بالحلول الأمنية فقط؛ لأن ظاهرة التطرف ذات طبيعة مجتمعية شمولية، ولهذا تطرح المعالجة الشمولية كحل، مع ضرورة الاعتراف بأن استتباب الأمن مسألة جوهرية..» ا. هـ[1].

لا أدري لماذا تجاهل مواعدة الأسباب التي أدت إلى الاصطدام الدموي في الجزائر!

لا شك أن ذلك الاصطدام المروِّع الذي يحدث في ذلك البلد المسلم ما هو إلا إفراز من إفرازات الاحتكام إلى الديمقراطية.

ذلك أن إشكالية الديمقراطية لا تتعلق بحقيقة التعبير عن رأي الأغلبية، بل تتعلق بحقيقة إحكام الطوق بواسطة النخبة، أو الملأ إن شئت، حول رقاب الذين ينادون بالعودة إلى الاستظلال بحكم الإسلام.

وعندما تجاهلت جبهة الإنقاذ المَعْلَمَ الإسلامي المميز، ورضيت بالتنزل عنه لصالح الديمقراطية، لم يرض الديمقراطيون العلمانيون ذلك منها؛ لأن صهوة الديمقراطية مخصصة لراكب واحد؛ وهو الراكب العلماني فقط! فعندما اجتاحت جبهة الإنقاذ المراكز الانتخابية، وشكلت فوزاً ساحقاً في الانتخابات الأولى، كان واضحاً أن صهوة الجواد الديمقراطي ستكون مخصصة لها. وهذا خلاف الهدف المطروح أصلاً، وهو استغلال الديمقراطية لاحتواء الإسلاميين؛ فوقعت الكارثة!!.

ليست الإشكالية هي تسمية تلك الكارثة بالتطرف، ولكن الإشكالية هي أن المنادين بالديمقراطية يستخدمونها في اتجاه واحد، وهو تحقيق أهدافهم فقط، فإذا فاز الإسلاميون بأغلبية مقاعد المجلس النيابي من خلال انتخابات حرة، تنكَّب المنادون بالديمقراطية لمبدئهم الديمقراطي وأطاحوا بصرحه وإن أدى ذلك إلى سفك الدماء وتعليق المشانق.

إن الإشكالية الأدهى من ذلك أن

(1) المصدر السابق.

الإسلاميين النيابيين لم يفهموا اللعبة بعدُ!

١٣ ـ إن جميع الشعارات الأرضية تُرفع عالياً باسم الشعوب، تحت دعوى توفير أسباب السعادة الإنسانية، سواء كانت تلك السعادة متعلقة بآفاق الانفتاح العقلي أو آفاق الانبساط المادي. ولا شك أن الشعار الديمقراطي يأتي في مقدمة تلك الشعارات المرفوعة، وخاصة بعد انهيار الشيوعية وتداعي بنيانها.

إن الديمقراطية تُطرح الآن في المزاد الدولي باعتبارها المفتاح السحري لكنوز الرفاهية البشرية.

إلا أن الواقع خلاف ذلك؛ حيث إن الجريمة والفقر لا يزالان يعششان في أعرق الدول الديمقراطية كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة.

إن السعادة بمفهومها المادي لم يستمتع بها في الإطار الديمقراطي سوى الملأ وحاشيته.

وعند الاستقراء المحايد والنزيه نجد أن **واحدة من إشكاليات الديمقراطية، باعتبارها نتيجة واقعية وقائمة، هي إخفاقها في توفير أسباب السعادة للإنسانية على المستويين الروحي والمادي.**

١٤ ـ في الوقت الذي تدعي فيه الدول الرائدة للديمقراطية أنها حاملة لواء العدالة وممتشقة حسام الحرية وداعية حقوق الإنسان، فإنها هي نفسها، وليس غيرها، التي تمارس أبشع أنواع القهر والقتل والبطش بالمسلمين في مواقع كثيرة من العالم، بل تمارس ذلك على شعوبها أيضاً.

إن الدول الديمقراطية الغربية لا تزال تقود حملات الإبادة ضد الشعوب المسلمة، إما بإذكاء المؤامرات الداخلية التي تؤدي إلى الفتن والاقتتال، كأفغانستان، أو بإثارة الحروب فيما بينها، كالكويت والعراق وإيران، أو بتأييد ومساعدة من يباشر التصفية الجسدية للمسلمين، سواء من خلال دعم الأنظمة الحاكمة بالعلمانية، أو من خلال دعم الدول والفئات التي تمارس ذلك على مستوى الشعوب، كدعم الصرب في تصفية المسلمين في البوسنة والهرسك، وكدعم روسيا في سحق المسلمين الشيشان.

إن الإشكالية المطروحة هنا هي: أن الديمقراطية ما هي إلا غلاف لوعاء مملوء بالزيف والظلم والاستعباد وانتهاك حقوق الإنسان.

١٥ ـ إن واحدة من أهم النتائج التي توصلنا إليها هي أن النظام الحاكم ـ الملأ ـ هو الذي يقرر مصلحته من مشاركة الإسلاميين في لعبته الديمقراطية ـ كالأردن والكويت ومصر ـ أو عدم مشاركتهم ـ كسوريا وتونس ـ أو تصفية الوضع الديمقراطي كلية إذا حاز الإسلاميون على الأغلبية ـ كالجزائر.

وهذا يعني أن الديمقراطية هي ورقة في

هموم ثقافية

يد النظام الحاكم ـ يلوّح بها كالطعام الذي يدلى به إلى السمك، ما إن يراه حتى ينقضَّ عليه يحسبه غذاء وما هو إلا مقتله.

إن الإشكالية هنا أن الإسلاميين في ظل الأنظمة الديمقراطية لا يملكون زمام المبادرة في أي شيء، بما في ذلك استمرار الديمقراطية التي اختاروا لأنفسهم أن يكونوا جزءاً منها.

١٦ ـ لقد حظيت الديمقراطية بدعم واسع النطاق من قِبَل دول الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أصبح شعار الديمقراطية من أبرز الشعارات المرفوعة على المستوى العالمي، وأصبح مطلب تطبيق الديمقراطية في العالم الثالث بالذات مطلباً ملحاً على المستوى الأممي، وراحت أبواق الأمم المتحدة تردد هتافات الديمقراطية وتنادي بتبنيها كنظام حاكم في جميع دول العالم.

فما هو السر في كل ذلك؟! وهل دول النصارى ومن ورائهم اليهود حريصون على الإطاحة بالحكام الديكتاتوريين الذين صنعوهم على أيديهم؟

إن المتمعن في سير تصاعد الصحوة الإسلامية في مختلف دول العالم الإسلامي يمكنه أن يرى بوضوح أن الجماهير الإسلامية ستصل إلى مرحلة المواجهة الشاملة مع تلك الأنظمة الطاغوتية التي تحكمها بغير ما أنزل الله. ولقد أوضحت صفحات التاريخ أن إرادة الشعوب لا تستطيع الأنظمة الحاكمة قهرها إلى الأبد؛ وهذا يعني من خلال المنظور المستقبلي أن جماهير الصحوة الإسلامية تغذُّ السير نحو استلام دفات السلطة في بلادها لترفع راية الإسلام خفاقة فوق روابيها. وهذا ما لا يرضي النصارى ولا اليهود؛ إذ إن الخطوة التي تليها ـ وهي تحرير فلسطين وطرد اليهود منها وإرجاعها إلى جنة التوحيد ـ ستكون خطوة حتمية.

ومن هناك برز السؤال المهم، وهو: كيف يمكن أن تلتف قوى اليهود والنصارى على توجهات الصحوة الإسلامية لتحيد بها عن السير نحو تلك الغاية؟

إن الديمقراطية هي الحل!!

حيث إنها ستتيح الفرصة لمشاركة كافة الفئات في الحكم، سواء كانت إسلامية أو قومية (سواء كانوا من المسلمين أو اليهود أو النصارى أو غيرهم من كافة الأديان والأعراق والأجناس).

إن ذلك سيحقق نتيجتين هامتين:

الأولى: ألا ينفرد الإسلاميون بالسلطة.

الثانية: أن تتاح الفرصة تحت علم الديمقراطية لنشر الفساد والإلحاد[1].

(١) لقد فصلت هذه النقطة في كتابي «الانهيار» ـ الجزء الأول ـ فليرجع إليه.

إن إشكالية النتيجة في هذه الحالة تتعلق بعدم إدراك الإسلاميين لطبيعة هذا الخطط والنتائج الخطيرة المترتبة عليه.

١٧ ـ لقد نجح اليهود والنصارى في جعل الإسلاميين يتبنون الدعوة إلى الديمقراطية بحرارة واندفاع لافتَيْن للنظر.

ولقد شهدت الساحة الإسلامية مدًّا لبساط المناداة بالديمقراطية، يقابله انحسار في الدعوة إلى تبني الإسلام؛ وراح الخطاب الدعوي الإسلامي لدى كثير من الحركات الإسلامية يلهث وراء هذا السراب اللامع الخادع.

ولقد زيَّن الشيطان لكثير من المسلمين زخرف الديمقراطية، وأوهمهم أن دعوتهم للديمقراطية لا تتعارض مع دعوتهم إلى الإسلام، ومن هنا، انبرى كثير من الإسلاميين للمشاركة في اللعبة الديمقراطية مدعين أنها الطريق الأمثل والأفضل والأحسن، وعند بعضهم الطريق الوحيد، للوصول إلى الحكم بالإسلام، وأن الإسلام لا يمكن تطبيقه إلا من خلال المجالس النيابية المنتخبة بإدارة شعبية، بزعمهم!!

وهكذا راح الإسلاميون ينفقون أموالهم بسخاء عجيب لدعم حملاتهم الانتخابية، موظِّفين شعارات الإسلام وتطبيقه في خدمة مآرب وصولهم إلى كراسي المجلس العتيد، وقد تكشفت النتائج عن أمور مخزية!!

إن الإشكالية هنا تتلخص في أن كثيراً من الإسلاميين استنفروا جهودهم وأموالهم تحت شعار: «لا وصول للإسلام إلا عن طريق الديمقراطية»!!

١٨ ـ إن الإشكالية السابقة أفقدت كثيراً من الإسلاميين تحسس المفهوم الشرعي للولاء والبراء، بما أثر على موقفهم من الأنظمة التي لا تحكم بما أنزل الله.

وقد حاول كثير من الإسلاميين المجلسيين بعد أن أصبحوا نواباً أن يحافظوا على سمت مميز خاص بهم، محاولين بكل جهودهم أن يتمنَّعوا، ويستعصوا على المناورات الحكومية التي تريد توظيفهم في تنفيذ مخططاتها. ولكن للأسف لم يصمد كثير منهم في قلعة ذلك التمنُّع، فاستطاعت الحكومات بأساليبها الشيطانية أن تطوِّعهم، عبر وسائل الإغراء والتحذير، لصالح مآربها: وشيئاً فشيئاً فَقَدَ عدد من النواب الإسلاميين تميزهم وصاروا جزءاً لا يتجزأ من توجهات الحكومة التي لا تحكم بما أنزل الله. وقد سعى عددٌ من الحكومات إلى اختيار بعض وزرائها من الإسلاميين المنتخبين نيابياً؛ وما إن دخلوا الحكومة حتى أصبحوا بوقاً من أبواقها، خلافاً لحالهم قبل دخولها، والأشد إيلاماً من ذلك أنهم أعطوا أصواتهم النيابية ضد بعض المشاريع الإسلامية التي عرضت



على تلك المجالس، محادِّين في موقفهم ذلك لله ورسوله ﷺ وللمؤمنين، وموافقين للطاغوت والشيطان والهوى؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن إشكالية النتيجة في هذه الحالة هي فَقْدُ الإسلاميين النيابيين لمعالم الولاء والبراء، وهم مستبشرون!!

١٩ ـ لا شك أن الإشكالية السابقة لم تحظ بمباركة وتأييد كثير من الإسلاميين، وقد أدى ذلك إلى انشقاق بين الإسلاميين أنفسهم، بين الموافقين وبين الرافضين.

وكذلك لم يسلم معسكر الموافقين من الانشقاق؛ ذلك أن الإسلاميين الموافقين على المشاركة في المصيبة الديمقراطية ينتمون إلى أحزاب إسلامية مختلفة ترفع شعارات شتى. وهكذا راح الإسلاميون يشهِّرون ببعضهم على الملأ خدمة لمصالحهم الذاتية أو مصالح الأحزاب والجماعات التي ينتمون إليها، غير عابئين بما يعود من ذلك من خسائر فادحة على سير العمل الإسلامي وانبثاق دعوته المباركة.

وانشقاق آخر دوماً يأخذ مجراه بين الإسلاميين الذين تنجح الحكومة في ضمهم إلى صفوفها كوزراء؛ وبين الإسلاميين الذين وقف حظهم العاثر (حسب زعمهم) عند حدود وصولهم كراسي المجلس ولم يتجاوزوه إلى كراسي الوزارة!!

وانشقاق آخر يخط طريقه بعنف وشدة يحدث بين القبائل والعشائر والعوائل التي ينتمي إليها أولئك الإسلاميون النيابيون المختلفون، تعصباً لنوابهم، لا يغذيه إلا الانتماء مجرد الانتماء لتلك القبائل والعشائر والعوائل.

وهكذا تتعدد الانشقاقات وتتنوع الاختلافات، التي لا تعود على العمل الإسلامي إلا بالضعف والتشتت والانكسار.

تلك هي إشكالية هذه النتيجة الخطيرة.

٢٠ ـ ومن الغرائب حقاً، أن أولئك الإسلاميين النيابيين المختلفين فيما بينهم، لم يقفوا من خصومهم العلمانيين كموقفهم من بعضهم البعض.

ففي الوقت الذي راح أولئك الإسلاميون النيابيون يقطعون جسور الوصال فيما بينهم، فإنهم راحوا في ذات الوقت يبنون تلك الجسور مع العلمانيين بشتى راياتهم ومختلف شعاراتهم.

إنها مفارقة عجيبة حقاً.

ولقد شهدت الساحات الانتخابية قيام تحالفات مثيرة للاستغراب بين جماعات إسلامية تنادي بالإسلام وأحزاب أرضية تحارب الإسلام جهاراً نهاراً؛ بل أكثر من ذلك قد حصل؛ حيث وافقت بعض الأحزاب الإسلامية أن تنزل إلى الساحات الانتخابية مستظلة بمظلات

الأحزاب العلمانية، كمظلة حزب الوفد المصري العلماني. ولتسويغ ذلك فإن بعض الشخصيات الإسلامية راحت تنفي بكل ما أوتيت من قوة البيان صبغة العلمانية عن تلك الأحزاب[1].

إن إشكالية النتيجة هنا تتقرر في أن الإسلاميين النيابيين أقاموا جسور الود والوصال مع العلمانيين خدمة للديمقراطية، ونحروا علاقات بعضهم ببعض على مذبحها.

٢١ ـ ومن ذلك يتبين لنا ما يمكن أن تجنيه التوجهات الديمقراطية من التمكين والتوطد، مشيدة ذلك على قاعدة متينة، من تأييد الإسلاميين النيابيين؛ ذلك أن توطيد دعائم الديمقراطية له روافد شتى، منها ما ذكرته في الإشكالية السابقة، ومنها ما هو نتاج التزاوج الفكري بين الطرح الإسلامي والطرح العلماني. إن هذا التزاوج ـ وهو ما تدعمه جميع المؤسسات النصرانية واليهودية ـ سيقود التيار الإسلامي النيابي في نهاية المطاف إلى التبني الكامل لحماية ما يطرحه العلمانيون؛ لأن جميع ذلك لا حرج فيه ولا تثريب عليه، طالما تم تحت راية الديمقراطية التي وافق الجميع من الإسلاميين وعلمانيين أن يستظلوا بها.

بل إن العلمانيين قد أصبح لهم من المسوّغات والحجج القوية ما يردون بها على الإسلاميين النيابيين إذا اعترضوا أو تأففوا من بعض نتائج التصويت التي تتم تحت مظلة المجلس النيابي في غير صالح الإسلام، أو إذا استاؤوا من بعض ما يكتبه العلمانيون في الصحف والمجلات ساخرين من الإسلام ودعاته..

إنهم سيقولون لهم ببساطة: هذه هي الديمقراطية... إنها تعني حرية الرأي وهذا رأينا، ولا حق لكم في الاحتجاج عليه طالما أنتم رضيتم بالديمقراطية، وطالما أننا لم نخرج عن حدودها.

وهكذا فإن علمنة المجتمع أصبحت مسوغة؛ لأنها لم تتم بواسطة انفراد العلمانيين بالسلطة، بل تمت بمشاركة الإسلاميين فيها، سواء على مستوى المجلس النيابي أو على مستوى الحكومة.

إنها إشكالية مزدوجة، إشكالية حرية نشر الفكر العلماني، وإشكالية علمنة المجتمع بمشاركة الإسلاميين!

٢٢ ـ لقد طمع كثير من الإسلاميين في تطويع الديمقراطية لصالح العمل الإسلامي، ولقد أخفقوا في ذلك أيما إخفاق. ونحن نعتبر أن هذا الإخفاق كان طبيعياً ومتسايراً مع السنن الربانية، فقد قضى الله في سنته أن نصره للمؤمنين مرتبط بنصرهم لدينه على الوجه الذي



---

(١) راجع كتاب «الإسلاميون وسراب الديمقراطية» للأستاذ عبد الغني الرحال.

أنزله في كتابه وبينه رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ولما كانت الديمقراطية مضادة للإسلام ومخالفة لعقيدته وشريعته، فإنه من الجهل البيّن أن تتخذ وسيلة وطريقة لنشره ونصره.

إن إشكالية النتيجة هنا تتوضح في عدم تبين الإسلاميين النيابيين لهذه الحقيقة الناصعة التي دُونَها ضياء الشمس.

إن عدم التبين هذا، هو الذي جعل بعض الكتاب الدعاة من الإسلاميين المعروفين والمشهورين يعمدون إلى كتابة مقالات وكتيبات يسوِّغون فيها مشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية والحصول على حقائب وزارية!

وإنني أدعو هؤلاء الدعاة إلى قراءة هذه الكلمات بإمعان وتفحُّص متجردين في ذلك من أحكامهم المسبقة غير المؤسسة على أدلة يعتد بها ويعتبر.

إن إشكالية النتائج، كما ذكرتها جديرة بالدراسة والاعتبار من قِبَلِ جميع الإسلاميين المنساقين في دهاليز الديمقراطية المظلمة.

٢٣ ـ إن سقوط كثير من الإسلاميين في هوة الديمقراطية السحيقة قد أطاح بالمشروع الحضاري الإسلامي الذي ينبغي بناؤه على أنقاض المشروع الحضاري الغربي الذي نجح أيما نجاح في التغلغل داخل حصوننا في كافة المجالات الحياتية بأنماطها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها؛ هذا فضلاً عن حالات التصدع والتشويه التي أحدثها في الجدر العقدية للأمة الإسلامية.

إن انحراف الإسلاميين وراء سراب الديمقراطية قد بدد الآمال في بلورة أوضاع إسلامية صحيحة حاكمة وغالبة، وإن تجدد تلك الآمال مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعودة الصادقة لهذه الأمة إلى الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، ذلك الفهم الذي جمع بين العلم والعمل.

إن أمتنا الإسلامية بحاجة ماسة إلى تأطير توجهاتها الدعوية بأطر مؤسسية تأخذ بأسباب العصر المتفقة مع عقيدتها والتي تختط طريقها وفق مسالك متميزة مصطبغة بصبغة الله تعالى، لا بصبغة المناهج والآراء والأساليب المستوردة كالديمقراطية وأشباهها. **إن إشكالية النتيجة هنا مجسدة في المعاول الديمقراطية التي تهدم المشروع الحضاري الإسلامي خطاباً وحركة.**

وأخيراً: فإن إشكالية النتائج كما ذكرتها، وهي ثلاث وعشرون إشكالية جديرة بالدراسة والاعتبار من قِبَلِ جميع الإسلاميين المنساقين في أنفاق الديمقراطية المظلمة.



حددت الهدف!!

بقلم: عصام الناصر

بالرغم من هول النكبات، ومرارة الواقع، وقسوة الحقيقة التي ترفل بها حياة رامي فما زال يتخبط في سيره..

تهتز مبادئه أمام كل ناعق.. شبكة من الضياع والتشتت معشّشة في عقله، لم يحدد هدفه وحقيقة سيره!! ولم يحبك فصول حياته، ولم يرسم خريطة دربه؛ فغرق في مستنقعات ضحلة.. تاهت به الأيام، وغررت به الأقلام..

الكل يشير إليه بأصابع الاتهام، ويرمقه بنظرات الشك!!

بصعوبة يصل إلى مكتبه، ويجلس... ضربات قلبه متسارعة كعقرب الثواني في الساعة الحائطية التي أمامه.

يُقلم أظافره بعصبية، ونظراته هائمة، وعقله منشغل في التهمة الأخيرة التي علقته، يخلص يده من فمه، ويتركها تداعب وريقات على المكتب بعد أن تكونت حلقة من علامات الاستفهام في فلك عقله المنشغل.

وفي لحظة.. يتبدد كل ذلك عندما أنار الزر الأخضر الذي أمامه علامة على طلب المدير له.. ينهض بهدوء.. ويمسح جبينه بمنديله من حبيبات عرق اجتمعت حوله.. ثم خرج.

.. وبين النظرات الفضولية في المؤسسة، وبكل ثقة.. اتجه نحو غرفة المدير.

لم يستطع أن يخفي عن نفسه ذاك الشعور الذي داهمه. لكن تفهُّم المدير وموضوعيته المعتادة عززت من فرص الشجاعة والأمن لديه.

طرق الباب وولج.. أقبل نحو المدير، ورأسه متدل إلى الأرض.. ثم توقف، وقال وقد حشد ما يملك من نبرات الأدب: نعم يا سيد سامي..

.. وبكلمات حانية صادقة قال المدير: كيف حالك يا رامي؟

الإيمان بالغيب في حياة المسلم

إن للمؤمن سمات بارزة من أهمها الإيمان بالغيب، وهو في الحقيقة: الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة الآخذة الأثيرة. والإيمان بالغيب يوحي إلى النفوس القيام بالواجبات الدينية الحيوية، وهذه هي ميزة العقيدة الإسلامية الغيبية، التي تمتاز بها النفوس المؤمنة. والإيمان بالغيب كما قال سيد قطب: «هو العقبة التي تُجتاز فيجتاز الإنسان بها مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدرك حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس.

وقد رأيناها في حياة الصحابة (رضي الله عنهم)، الذين هم كالنجوم في الاقتداء والاهتداء في ظلمات الطرق والسبل، إن الإيمان بالغيب أثَّر في حياتهم تأثيراً كبيراً، وأحدث في قلوبهم حركة عظيمة مثالية نموذجية الاتباع، وانقلبت به حياتهم الفردية والأسرية والجماعية، من جهة مظلمة إلى جهة منيرة واضحة، أُضيئت بها نواحي الحياة كلها، في تسامح القلوب ورحابة الصدور: قد تخلقوا بخلق «الغفَّار»، وفي شدتهم في الدين وغضبهم للحق: قد تخلقوا بخلق «القهَّار»، وهم في نزاهتهم وعفتهم وطهارة ضمائرهم تخلقوا بخلق «القدُّوس» فليس في قلوبهم أمراض التلاحي، والغيبة،



رفع رأسه ناحية المدير وعلق بصره ببصره، لينسج حواراً بلغة العيون لا يفهمها إلا مالكها، يرسل الأستاذ سامي نظرات العتاب الممزوجة بالخيبة، ويرد رامي بنظرات الاعتراف، وطلب العفو.. ثم ينقطع حوار النظرات بقول المدير:

-إلى متى تعيش في الكهوف والجميع في نور الشمس، إلى متى تتخبط في دياجير الظلمة؟ أتعتقد أن الصمت علامة للجبن أو الجهل؟

.. اعتبرتك مثل أخي، ورحبت بعملك في المؤسسة .. شدني ذكاؤك، وحسن أدبك، ونشاطك في عملك ، ولم أتوقع يوماً أن تستغل مكانك لمصلحتك.

وبكلمات فقدت بعض هدوئها قاطع المدير قائلاً: معذرة يا أستاذ.

أعترف بتقصيري. لكن.. أقسم بالله أنني بريء مما نسب إليّ، وبما لطخ بي.

.. ترتكز عينا المدير على وجه رامي.. الذي أحس أنها سياط تلسع وجنتيه، ثم قال المدير:

«من يعبث بالطين تتسخ يداه، فرصة أخيرة. ولك أن تختار، انصرف».

ذيول من الخيبة يجرها رامي خلفه وهو خارج يغلق الباب.. لم يستطع أن يخنق تلك الدموع التي أبت إلا أن تطفو في حدقتيه.. تنفس بعمق، وصراع على أوجه قائم في رأسه، ترجم له تنهد ساخن، وحركة غير منضبطة في أصابعه..

.. وبخطوات مزيفة بوقار يقطع الممر إلى مكتبه الذي اكتظ بالموظفين الذين يرقبونه.. نظرات حارة ومحرقة أحس بها..

.. تجرأ أحدهم: واقترب إلى رامي من الخلف ووضع يده على كتفه وقال بصوت يشبه فحيح الأفعى: «هل طردت؟!»

.. ازداد ذاك الصداع، وتلاحقت أنفاسه.. فالتفت إلى الخلف وقال صارخاً: «بل حددت الهدف».

• • •

والنميمة، والبهتان، والكذب، والخداع، والغدر، والمكر.

فما هو العمل الذي يرجع إليه الفضل في تكوين عبقرياتهم وشخصياتهم النادرة التاريخية الحية؟

لا شك أن ذالك العمل: هو عمق إيمانهم بالغيب، والتمسك به، ورسوخ عقيدتهم بما فوق المحسوسات، وإن قوة الإيمان بالغيب في هذا الكوكب الأرضي المحدود المجال، صانهم عن الظلم والاضطهاد والفوضى والإرهاب والقسوة، والذين اقتدوا بهديهم من المسلمين ـ على مدار الأيام والليالي ـ لا يفكرون في الإقدام على عمل تخريبي ضد الإنسان والإنسانية أبداً؛ فهم ينظرون في كل عمل يريدون الإقدام عليه: هل هذا العمل ينفعهم أو يضرهم في دينهم ودنياهم؟ هل هذه الخطوة ضد المنهج السماوي أم لا؟ هذه المقدمات تصونهم عن الشرور والظلم الهمجي، كما أنهم يعتقدون بأن الله ـ تعالى ـ وإن لم يروه فإنه يراهم ويراقبهم من فوق عرشه، فإليه يصعد الكلم الطيب، مع علمه سبحانه بكل ما يصدر عن الإنسان من عمل.

إن الإيمان بالغيب هو مصدر التورّع والتقوى، وهو عامل مهم من عوامل التربية الشخصية؛ إذ يجعل الناس ربانيي التصور، ربانيي الشعور، ربانيي السلوك.

عبد السلام سعيد كريم



محاسبة النفس طريق لإصلاحها

هل لنا أن نتساءل: ما ذا سيكون مصيرنا؟

النقطة التي أرغب أن أوصي بها نفسي المقصرة أولاً، ثم أوصي بها إخواني: أننا بشر كرّمنا الله على غيرنا من سائر الخلق بنعمة العقل وفضلنا تفضيلاً.

فلا ينبغي أن تمر أيامنا هباء: نأكل ونشرب وننام دون تحمُّل أي مسؤولية ودون أن يكون لنا هدف سام لوجودنا نسعى إلى تحقيقه.

ولو أخذنا مثالاً حيًا من واقع حياتنا لوجدنا كثيرًا من المؤسسات الاقتصادية والمنشآت التجارية تنشئ قسمًا مختصًا يدعى: «قسم المحاسبة والتدقيق» تعرف من خلاله الوضع المالي لها من حيث الأرباح والمصروفات وما إلى ذلك، أي تعرف ما لها وما عليها عبر عمليات حسابية منظمة حتى تسير في دربها وتذلل كافة العقبات والصعوبات التي تعترض مسيرتها وتهدد بقاءها.

أوَليس من الأجدر بنا أن نضع لأنفسنا برنامجًا خاصًا لمحاسبة أنفسنا وتقويمها إن هي أخطأت؟

ولا يسلم أي شخص منا من الخطأ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وليست المشكلة في اقتراف الخطأ إنما المشكلة الكبرى في الاستمرار في الخطأ، ويأسف المرء منا أننا نجد بعضنا لا يبالي، ويمضي على ما هو عليه من غير اكتراث، وكان الأجدر بمن كان كذلك أن يسأل نفسه هذه الأسئلة ويجعلها قاعدة يسير عليها:

ما الهدف من وجودي في هذا الكون الواسع؟ وهل بإمكاني أن أكون عضواً نافعاً؟ وكيف أحقق ذلك؟ ما العيوب والأخطاء التي قد تصدر عني؟ وكيف أكتشفها وازيلها؟

ما الأمور التي كان ينبغي أن أتصف بها؟ وكيف اتصف بها؟ وكيف أستطيع المداومة والاستمرار عليها؟

كيف أواجه اليأس والإحباط (الشعور بالإخفاق) وكيف أحاربه بهمة عالية؟

فحينما يسأل كل فرد منا نفسه تلك الأسئلة ويجيب عنها بصدق، ويحاسبها على التقصير والإهمال، ويعاهد الله على الالتزام والامتثال بتلك القاعدة فسوف نجد ـ إن شاء الله ـ في مجتمعنا شبابًا كفؤًا يُعتمد عليهم بل ويُفتخر بهم؛ لأنهم بعيدون عن صفات الطيش والغرور والهوى.

نايف محمد خيران

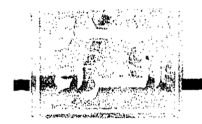
الأمة والحاجة إلى الصبر

تمر أمتنا الإسلامية اليوم بمحن عظيمة وجراح اليمة؛ ترى جراحها تنزف مرة في القدس الشريف، ومرة في لبنان، وأخرى في صراعات متوالية في أفغانستان والبوسنة والشيشان وألبانيا، كل ذلك وغيره شكل جرحًا جديدًا للمسلمين. والمشكلة: أن كثيراً ممن يُحسبون على هذه الأمة لا يعلمون أن ألبانيا مسلمة، كما كانوا يجهلون هوية البوسنة وعقيدتها قبل المجازر الصربية؛ والله المستعان.

نعم! ومع هذا يزيد الأمر سوءاً حينما ترى شبابًا أغرارًا يُحسبون على هذه الصحوة المباركة يخوضون خوضًا في هذه الجراحات دون علم أو بصيرة؛ فمرة ترى الواحد منهم يخبر الناس أن هؤلاء يستحقون ما أصابهم، وأن ما جاءهم إنما هو ثمرة لأعمالهم وسيئاتهم، ومرة تراه يحكم بالحق لهذه الفئة أو تلك، ومرة تراه يائسًا قانطًا.. يقول: لا فائدة... لقد عملنا ودعونا وفعلنا ولكن...!!

لقد نسي كثيرون أن الأمة لا زالت بخير ـ والحمد لله ـ ونسي كثيرون أن هذا الدين يستعصي على الفناء، وأن سنة الله في الصراع بين الحق والباطل باقية إلى يوم القيامة، أن هذا الدين كلما قُدِّمت له الدماء والأشلاء زادته تمكينًا وثباتًا ورسوخًا.

ولكي نكون على بصيرة فيجب التنبيه إلى أمر على الأمة أن لا تنساه؛ لكي تسود وتقوى شوكتها وعزتها ويزيد عزمها: هذا الأمر هو: (الصبر): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ



عجلة الحياة وسير الإنسان فيها

ها نحن نعيش حياتنا وقد مضت من أعمارنا السنون والشهور.. وما زلنا سائرين في عجلة الحياة.. نسير معها دون أن نعلم لذلك نهاية.. حتى ربما أصبح يوم أحدنا عبارة عن ضحك وحزن وكلام.. بل... قل وحتى عبادة.. وما زالت العجلة في الدوران.. وما زال الإنسان يجهل الكثير عنها.. ومع ذلك يسير لأنه لا يستطيع أن يوقف نفسه.. فالأمر ليس بيده.. ربما يفكر هل سيظل على حاله: ليله كنهاره.. وأمسه كغده؟ ربما يظل على هذا الحال إن استبعد المشوار.. فتحول الأمر إلى عادات تجعل الإنسان ضعيف الهمة.. متبلد الأحاسيس... يصبح الخطأ والصواب في قلبه واحداً..

ولكن لا بد أن يقف يوماً فإما أن يحاسب نفسه ويقومها ويقوي قلبه بالتقرب إلى خالقه، أو أن تكون نهايته نهاية سوء، فيموت ميتة يكون معها الشجر والدواب أفضل منه..

أو يتفطن في المسيرة منذ بداية مشواره.. ولا يتعجل.. ولا يستبعد الطريق فيكون العكس تماماً واضعاً أمامه أنه إن فتر لحظة فإن محبة الله ـ عز وجل ـ ستحركه.. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. والله المستعان.

لمياء بنت عبد الله ـ السعودية

حديث صريح مع العلمانيين

لأنكم تزعمون أن التشريعات الأرضية والنظم الوضعية والقوانين الجاهلية أحسن من حكم الله (تعالى): فقد ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. ولأنكم تسعون جاهدين لتعطيل حكم الله وتحويل الإسلام من قوة مهيمنة على كل مناحي الحياة إلى طقوس محصورة في جوانب شخصية لا تمس واقع البشر من قريب ولا من بعيد، ولأنكم تجاهرون بحرب الإسلام صراحة كما هو حال عساكر أتاتورك اليوم وغيرهم من الذين استغلوا ما تحت أيديهم من سلطات وعتاد لقمع خيار الشعوب، ولأنكم ترفعون شعار الديمقراطية الزائفة وهدفكم منها فقط: القمع والقهر لشعوبكم، ولأنكم خذلتم أمتكم وجلبتم لها العار ولم يسجل لكم التاريخ موقفاً أعليتم فيه من شأنها أو انتصرتم لكرامتها، وكل متمسك بدينه لديكم متطرف إرهابي أصولي ظلامي: من أجل ذلك كله ومن أجل غيره: اعلموا وأعلموا ـ سدنة المعبد الديمقراطي ـ أننا بإذن الله ثابتون على مبادئنا وقيمنا مهما بطشتم ونكلتم وملكتم من قوة وعتاد ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]

صالح علي الكتاني

لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

إن الأمة حينما تنسى أو تتناسى هذا الخلق العظيم فإنها سرعان ما تتكاسل وتتقاعس. فلننظر كيف ساد الرعيل الأول في فجر الإسلام الذي كان في مقدمة ركبه الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وهو صابر محتسب. عانى رسولنا عليه الصلاة والسلام كلا النوعين، من الصراع: واضحه وخفيه، عليّه ودنيّه، فكان ﷺ ثابتاً لم يتزحزح؛ وضعوا سلى الجزور على كتفه وسبوه وشتموه، ومع ذلك كله فقد حاولوا إغراءه بالمال والجاه فظل ثابتاً صابراً محتسباً. إنه الصبر والثبات في أعظم الصفحات. إنه الصبر والثبات في أسمى المعاني وأوسع الآفاق.

أما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والذين اتبعوهم بإحسان فما كان لهم أن يغفلوا عن هذا الأمر العظيم بعقيدة وصبر ويقين، فالصبر قرين اليقين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ولذلك قال سفيان: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين!» إن الأمة لن تنال ما تصبو إليه إلا بالصبر على الشدائد والمحن؛ والناس معادن، وعند الابتلاء يبين المعدن الصافي مما تشوبه الشوائب.

عبد الله بن محمد السرحاني

بريد البيان

■ الأخت / أم مصعب ـ السعودية
نشكر لك غيرتك وجهدك المبذول في دراستك حول زواج المسيار، والمسألة تحتاج إلى تحرير أهل العلم الكبار، مع تمنياتنا بدوام المراسلة، وجزيت خيراً.

● ● ●

■ الأخ / محمد عبد العزيز ـ مصر
نشكر لك ثقتك في مجلتك، ونتمنى لك التوفيق والسداد في مشاركات أخرى، ونتمنى دوام التواصل.

● ● ●

■ الأخ / علي حسن آل محمد ـ السعودية
مشاركتك «أفي غير العقيدة... يا نخبة» أجيزت للنشر في منتدى القراء، وتقبل تحياتنا.

● ● ●

■ الأخ / نايف النفيعي ـ السعودية
نشكر لك رسالتك الرقيقة، وكما تعلم فإن المجلة ليست جهة فتوى، ولذا: نقترح عرض الأسئلة المرسلة على أحد العلماء للإجابة عليها، وجزاكم الله خيراً.

● ● ●

■ الأخ / ص.م.ك. ـ ليبيا
رسالتك أثارت شجوننا لما يعانيه الشباب المسلم لديكم. ولستم وحدكم في هذا، فالطريق مليء بالصعاب ومع التقوى والصبر وعدم القنوط من روح الله واليقين بنصره والسعي لذلك تكون النفس مطمئنة... ولنا ولكم الله.

● ● ●

■ الأخ / عبد الله الجفير ـ السعودية
جزاكم الله خيراً على تواصلكم مع المجلة ونشكر لكم ما ترسلونه، والفتوى الأخيرة لهيئة كبار العلماء التي أرسلت من قبلكم ستنشر بإذن الله.

● ● ●

■ الأخ / حمد الحارثي ـ السعودية
مشاركتكم: «المدح أنواعه وضوابطه» مجازة للنشر مع تمنياتنا بدوام التواصل، وفقنا الله وإياك إلى الحق والصلاح.

● ● ●

■ الأخ / محمد لطفي ـ مصر
وصلتنا رسالتكم الكريمة وجزيت الخير على مشاعرك الطيبة، ومشاركتك: «الحول الفكري في تقويم الرجال» ستنشر في منتدى القراء ـ إن شاء الله ـ

● ● ●

■ الأخ / محمد الروبي ـ السعودية
مشاركتك: «القنبلة الإسلامية لظى» مع ما فيها من عاطفة وأمانٍ طيبة إلا أننا نعتذر عن نشرها.

● ● ●

■ الأخ / خليل إبراهيم ـ البحرين
نشكر ونقدر اهتمامك ومتابعتك للمجلة، أما اقتراحك بإضافة مُلَح وطرائف ونوادر وصفحات رياضية، فكما لا يخفى عليكم أن المجلة فكرية وهذه المقترحات قد تتناسب مع مجلات أخرى، نرجو تقبل وجهة نظرنا. وفقت للخير.

● ● ●

■ الأخ / عبد الله العسيري ـ السعودية
نشكر لك ثناءك على المجلة، وعسى أن يكون قد وصلك بعض ما طلبت

● ● ●

بين الحق والرجل؟!

بقلم : محمد محمد بدري

كلنا نؤمن أن الحق معصوم وثابت، وأمّا الرجال فأعراض زائلون، يقاسون بالحق ولا يقاس الحق بهم!!

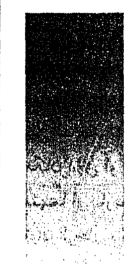
وكثير منا يعلم ويردد قول مالك ـ رحمه الله ـ : «يؤخذ من قول كل أحد ويرد إلا صاحب هذا القبر ﷺ».

فأين واقعنا مما نؤمن به؟ وأين ممارساتنا مما نعلم؟

لنتأمل في أنفسنا: ما هو محور الولاء فيها : «أهو الرجل أم الحق؟ وماذا نفعل حين تقدم لنا فكرة «الرجل» الذي نحبه تحت اسم «الرجل» الذي نكرهه؟.. ألا يدفعنا ذلك إلى رفضها، ربما دون النظر فيها ؟!! وهل يسهل علينا أن نرى الرجل الذي نحبه يخطئ.. أو نصف رأيه بأنه «خطأ»؟

ولنتأمل في واقعنا: ما الروح التي تسيطر على عملنا الإسلامي؟ أليست روح القائد الملهم الوحيد الذي يصنع المعجزات، ولا نتصور بقاء العمل مع غيابه؟!.. هل نتصور إمكانية تنحيته عن العمل، أم أننا نربط بينه وبين العمل ربطًا مصيريًا مهما كانت أعماله وتصرفاته؟!

إن واقعنا يؤكد أننا نسلك عمليًا ما نرفضه نظريًا من شعارات المبتدعة.. «المريد أمام شيخه كالميت بين يدي مغسله». «من قال لشيخه : لِمَ؟ فلن يفلح أبدًا».



بل إن بعضنا قد ينحدر إلى درك سحيق فيكون شعاره في العمل: «وافق أو نافق أو فارق».

ونحن لا نتهم أحدًا، وإنما ننصح لأنفسنا..

إن من سنن الله في خلقه أنه حين تغرب الفكرة يبزغ الصنم أو الشخص، ونحن قد ضيقنا مساحة الفكرة في عملنا الإسلامي حتى ساوت الصفر، فصار الرجل عندنا مكان الحق، وأصبح الإنسان بديلاً للبرهان!!

ولا شك أن هذا خطأ تجب التوبة منه «فالرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين»[1].. بل نجله ونحترمه وندعو له وننتفع بعلمه، ولا يتعدى به حد الرجل؛ فنعتقد فيه العصمة الخطأ، فإذا أخطأ لم نُقلَّ من قيمته وقدره.

هذه هي ميزة أهل السنة والجماعة دون غيرهم: إن انتسابهم وانتماءهم للكتاب والسنة، ومتبوعهم هو محمد ﷺ، وأما الرجال عندهم فأدلاء على الحق[2]، فما وافق من كلامهم الحق أخذوا به وما لا فلا.

وهذا هو صمام الأمان في العمل الإسلامي.. أن يرى القادة السبيل القاصد لتحقيق الأهداف، وتمتلك القاعدة الفرقان بين الحق والباطل، فلا تضع القائد مكان الحق أو الرجل مكان البرهان.. بل تختار قائدها وفق برنامج عمله، وليس لكونه ملهمًا أو تاريخيًا!! وكما تنصر الحق في مواجهة الباطل، فإنها تنصر الحق في مواجهة طغيان الرجال بالطاعة المبصرة التي تقول: «نعم» للصواب.. و«لا» للخطأ.

إن هدفنا من هذه الكلمات.. ليس تجريح العلماء والدعاة أو تقديسهم، وإنما الهدف أن نعرف جميعًا أن الحق حق دائمًا، أما الرجل فيمكن أن يكون محقًا أو مبطلاً.. وهذا هو الموقف السليم بين الحق والرجل..

---

(١) ابن القيم ـ أعلام الموقعين ج٣ ص ٢٨٣ . (٢) كما قال الشاطبي في الاعتصام ج٢ ص ٣٥٥ـ٣٦٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة صغيرة

من المضحكات المبكيات في واقع كثير من دول عالمنا العربي الإسلامي الموقف المتشنج لحكومات تلك الدول من الرفض المطلق لأي تجمع إسلامي أن يعمل في الهواء الطلق أسوة بالفعاليات المسموح لها؛ لتعمل وتدعو وتشارك في صنع الواقع المعاش للأمة. حتى وصل الأمر إلى تقنين ما يمنع ذلك ويجعله في حكم الممنوع وغير المقبول مثله مثل أي مواد محظورة.

وهذا الموقف لم يأت من فراغ؛ وإنما هو نتيجة حتمية للعلمنة والتغريب اللذين زرعهما المستعمر قبل أن يرحل وتركهما في أيد أمينة رباها على عينه حتى صارت وفية لها تناصب أي تجمع إسلامي العداء، وتعمل على منعه بكل الطرق المتاحة؛ وكأن هؤلاء الإسلاميين لا نصيب لهم من الواقع، ولا رصيد لهم في تلك المجتمعات.. مع أن ذلك يناقض ديمقراطياتهم الفجة ودساتيرهم المزيفة.

وأخيراً سمحت إحدى الدول العربية لحزب يساري بالعمل أسوة بغيره من الأحزاب الهزيلة في ذلك البلد؛ بينما يعاني الإسلاميون فيها الأمرّين؛ مع أنهم ذوو اتجاهات ورؤى معتدلة.

إن الحجْر على حرية الرأي لفئات دون أخرى، ومطاردة فئات بدعاوى متهافتة مكرورة يولد التساؤلات الحائرة، وتنشأ على ضوئه المنطلقات المتطرفة؛ فإلى متى ستبقى العصا مرفوعة ضد الإسلام ودعاته؟ ويتساءلون.. لماذا تخرج تلك الاتجاهات المنحرفة!

أعيدوا النظر في الموقف الظالم من دعاة الفكرة الإسلامية، وليعملوا في وضح النهار حتى لا يلجأوا إلى العمل السري بدون علم صحيح ولا موجه مخلص؛ وهكذا تحصل المآسي التي هي نتيجة طبيعية للكبت والظلم!

فهل يعي ذلك من يهمهم الأمر؟ أم على قلوب أقفالها؟ *والله المستعان.*

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

في هذا العدد :

افتتاحية العدد

رسالة مهمة : فهل نعيها ؟ .. ٤

التحرير

دراسات شرعية

• شهر رمضان ..
وقفات وأحكام ٨

عبد الله الإسماعيل

• هل يمكن التعاون بين
المسلمين ١٦

هيثم بن جواد الحداد

تأملات دعوية

بين المنهج والرموز ٢٤

عبد الله المسلم

من فتاوى أهل الذكر

حقيقة الدعوة
إلى وحدة الأديان ٢٦

اللجنة الدائمة للإفتاء

بأقلامهن

حديث إلى الدعاة........... ٣٢

بسماء الجاهل

مرتكزات للفهم والعمل

العجب وخطره............. ٣٦

عبد الحكيم بن محمد بلال

البيان الأدبي

• موقف الإسلام من الشعر
(مقال أدبي) ٤٢

إبراهيم بن سعد الحقيل

• السلاح المباح
(نص شعري) ٤٩

د. محمد ظافر الشهري

• بين الشكل والمضمون
(خاطرة أدبية) ٥٠

حفيظ بن عجب

• وصار الذل خلاً
(نص شعري) ٥٢

عبد العزيز العزاز

المـوزعـون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/ ٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦ ، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦ ، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة :
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١ ، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم الهاتفي : (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

رسائل جامعية

الأحكام الشرعية لمسلمي البلاد غير الإسلامية...... ٥٤
أحمد سعيد البتاكوشي

المسلمون والعالم

● الجزائر بين المد والجزر... ٥٨
عبد العزيز كامل

● تقرير الحالة الدينية في مصر عرض وتحليل ٦٦
أيمن محمد سلامة

● عولمة أم أمركة.. نهاية التاريخ أم نهاية أمريكا (الحلقة الأخيرة) ٧٨
حسن قطامش

● مسلمو ديفوسي الفلبين.. ٩٠
مسعود العوشن

في دائرة الضوء

نقد الكتابات الإسلامية........ ٩٤
د. أحمد إبراهيم خضر

متابعات

وهم حرية الرأي لدى اليساريين ... ١٠٢
صفوت وصفي

منتدى القراء

● حول الأزمة الجزائرية..
القبر قد ورث العظام ١٠٦

● يا أمتي..
هل تفهم ١٠٧

● يا سارية الجبل..
غطرسة ١٠٨

● كيدوا كما شئتم..
شباب ١٠٩

مقال

رثاء الشيخ الأنصاري.. ١١٠
أحمد العامر

من ثمرات المنتدى

التقرير السنوي لأنشطة المنتدى الإسلامي ١١٤

بريد البيان

ردود على بعض رسائل القراء .. ١٣٤
التحرير

الورقة الأخيرة

لا تحقرن من المعروف شيئًا .. ١٣٥
أيمن بن سعيد

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٤٠ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ دينار ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

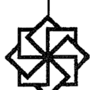
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

رسالة مهمة: فهل نعيها؟!

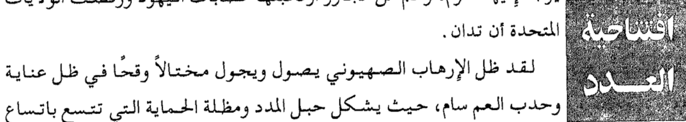
الدولة التي ترعى الإرهاب . . . وصف يكون مقدمة، بل حجه لممارسة أنواع من الضغوط السياسية والاقتصادية ضد الأنظمة والحكومات التي يشم منها مواقف استقلالية ضد هيمنة القطب الأوحد في النظام العالمي الجديد ومصالحه؛ حيث تقف دولة القطب الأوحد دائمًا موقف الخصم والحكم، وغالبًا ما يكون توصيف الحيثيات واستعراضها على نسق ما ورد في قصة الذئب والحمل.

وتستخدم (راعية السلام) منظمات الأمم المتحدة ـ ولا سيما مجلس الأمن ـ أداة لتقرير الحكم ولتمريره وتنفيذه؛ وذلك من منظور مصالحها، ومن منطلق هيمنتها، بل إنها لتستعدي الدول الغربية، ويصل الأمر أحيانًا إلى الضغوط عليها للمشاركة في الممارسات التي تكون غالبًا قاسية، وأحيانًا متشنجة؛ وتلك قاعدة مضطردة تنفذ بحرص وتُتابع بحزم.

إلا أنها قاعدة ذات استثناء واحد؛ حيث تتحول راعية حقوق الإنسان إلى راعية لإرهاب دولة ضد شعب، وغطرسة جيش ضد مدنيين عزل.



فكم من قرارات رفضت إسرائيل أن تلتزم بها؛ ورفضت الولايات المتحدة أن يوجه إليها اللوم، وكم من مجازر ارتكبتها عصابات اليهود ورفضت الولايات المتحدة أن تدان.



لقد ظل الإرهاب الصهيوني يصول ويجول مختالاً وقحًا في ظل عناية وحدب العم سام، حيث يشكل حبل المدد ومظلة الحماية التي تتسع باتساع

سماء العالم، وتتخلل شتى محافله.

ولقد استتر الخطاب الأمريكي خلف تأويلات اعتذارية، وتفسيرات تميل كل الميل إلى الجانب الصهيوني، وما يزال.

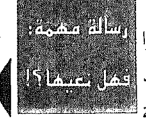
ولكن الأمر تجاوز كل حد؛ حيث جاءت مؤخراً (أولبرايت)، إلى الشرق الأوسط تتحدث بلسان (نتنياهو) وتلوِّح بقبضة أمريكا. لقد بكت أولبرايت مع اليهود، ولكنها كانت حازمة وصارمة مع أطراف السلام الآخرين على الرغم من أن الاستقراء لحوادث سابقة يثبت أن القوة القاهرة لا تفرض على الشعوب حتى ولو كانت مستضعفة إلا إذا استكانت هذه الشعوب.

وستظل تجارب أفغانستان وڤييتنام والشيشان ولبنان، والصومال، وغيرها شاهدة على ذلك.

ونجد أن أمريكا لا تنجح في فرض ما تريد إلا عبر عملائها الذين يروِّجون لها، فقد أخفقت في لبنان وفي الصومال، رغم تواضع إمكانات المليشيات في كلا الحالتين إلا أن القاسم المشترك بينهما عدم وجود عملاء نافذين تتوكأ عليهم في تحقيق مآربها، ولذلك خرجت من هذه البلاد تجر أذيال الخيبة، فهل ذلك هو السبب في إلحاح أولبرايت على ياسر عرفات في القضاء على ناشطي حركتي (حماس، والجهاد الإسلامي)؟ وهل ذلك المطلب هو مظهر جديد لترسيخ الإرادة الأمريكية ضد الأمم والشعوب؟



إن ذلك الظن يؤكده ضلوع أمريكا في التغيرات التي حدثت في إفريقيا وخاصة في زائير الديمقراطية؛ وضلوعُها في الأحداث الأخيرة هو التفسير القريب لانتصار (كابيلا) في فترة زمنية قصيرة جداً.



فهل وعت تلك الأيادي حقيقة ما تشتهيه وتبتغيه أمريكا منهم؟ وهل وعوا ـ على الأقل ـ أنهم بقطعهم العرق الإسلامي النابض في الأمة يكونون بذلك قد جاروا على أنفسهم وأمتهم، وفقدوا شرفاً لا بد آت ببشارة النبي ﷺ بنصر أمة

الحق على يهود.

ومن بين ذلك الركام يستطيع المرء أن يلتقط جذوة الأمل، ويعلن بيقين أن: وعد الله آت، وأن الجمع سيهزم ما دام قد عثر على مثل الصخرة التي وقف عليها من ازدادوا إيمانًا ويقينًا عند رؤية الأحزاب فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

إن الحقيقة المرة التي باتت واضحة للعيان تشير إلى أن الغطرسة الصهيونية والمواقف الأمريكية ما هي إلا صدى للتمزق العربي والخنوع والاستسلام والهرولة البلهاء وراء وهم السلام.

وإننا لنلتقط من تاريخ عزة ديننا الخالد موقفًا لمعاوية ـ رضي الله عنه ـ حينما علم أن هرقل عظيم الروم أعد جيشًا لغزو الشام مستغلاً ما بين معاوية وعلي ـ رضي الله عنهما ـ من أحداث، فأرسل معاوية رسالة إلى هرقل فحواها: «إن شئت اتفقتُ مع ابن عمي (يعني: علي بن أبي طالب) وبايعته، ثم تفرغت لحربك» فما أن وصلت رسالة معاوية حتى أقلع هرقل عن الحرب.

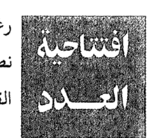
لقد أكد ذلك الموقف معاني عدة، ليس أقلها أهمية ما بات معلومًا ومقررًا أن أعداء المسلمين ليس لهم قوة إلا في تفرق المسلمين وتناحرهم.

فهل وعى كل ذي سلطان وأمر تلك الحقيقة؟ وهل تابوا وأنابوا فربحوا عز الدنيا ونعيم الآخرة!

فإن لم يكن ذلك.



فليَثبُتْ كل مجاهد نذر أن يقف في وجه الصلف الصهيوني... ليثبُتْ رغم أن الثوب بالٍ والبطن خالٍ، والسلاح حجارة، ليثبتوا ... فقد يكون لهم نصيب من التجارة الرابحة وحظ من الكرامة، ليثبتوا ... فقد يكون لهم شرف القلة الصابرة، في زمن الغربة...



لقد استخف كسرى بالرسالة والرسول حينما أرسل بضع رجال يأتونه

بالرسول ﷺ في الأصفاد لما علم برسالته، ولكنْ، في الوقت ذاته كانت البشارة بنصرة الإسلام تملأ جنبات نفسه ﷺ، وتسري في عروق أصحابه حتى خرجت مواكب النور، ليراها كسرى عين اليقين ويتعلم الدرس المبين من ربعي بن عامر: «جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

ولكن يبدو أن الأعداء قد وعوا جيداً رسالة معاوية، فأخذوا يعملون على كل ما من شأنه تفريق المسلمين، وأن يشيعوا بينهم الفتن على اختلاف ألوانها وأنواعها.

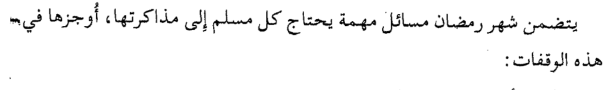
وكثيراً ما يقف المرء ـ لا سيما وهو يطالع تخرصات بعض من أبناء جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا وهم يخوضون في مثل معاوية ـ ويقول: يا ليت لنا مثل معاوية.

وختاماً: هل وعينا رسالة معاوية؟!



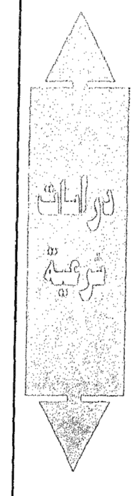


شهر رمضان .. وقفات وأحكام



(١ من ٢)

بقلم: عبد الله الإسماعيل



يتضمن شهر رمضان مسائل مهمة يحتاج كل مسلم إلى مذاكرتها، أُوجزها في هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: حكم الصيام:

إن أول ما فرض صيام رمضان ـ في السنة الثانية من الهجرة ـ كان على التخيير: فمن شاء صامه وهو أفضل، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينًا، ثم أُلزم الناس بصيامه حين نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكان الحكم في أول الأمر: أن من نام بعد غروب الشمس وجب عليه الإمساك عن المفطرات، ولو استيقظ ليلاً، حتى تغرب الشمس من الغد؛ فعن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا، فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإنَّ قيس بن حرمة الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته، قالت: خيبةً لك. فلما انتصف النهار غُشي عليه، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾»[1] [البقرة: ١٨٧].

---

(١) أخرجه البخاري، ح/١٩١٥.

الوقفة الثانية: حكمة الصيام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، في هذه الآية إشارة إلى حكمة من حكم الصيام، وهي تحقيق تقوى الله؛ فإن النفس إذا تركت ما هو مباح في الأصل ـ وهو الأكل والشرب امتثالاً لأمر الله في نهار رمضان ـ كان ذلك داعيًا لترك المحرمات الأخرى، ولذلك قال النبي ﷺ: «من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[١]، وقد هيأ الله لنا هذا الشهر بإضعاف كيد الشيطان وشره كما قال النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسُلْسِلت الشياطين»[٢].

ولا بد من توطين النفس وتهيئتها في أيام الصيام لتحقيق هذه الحكمة كما أمر النبي ﷺ بذلك فقال: «والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم»[٣].

الوقفة الثالثة: فضل الصيام:

ورد في فضل الصيام نصوص كثيرة، وأعظم ما ورد فيه حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ـ عز وجل ـ كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي والصوم جنة[٤]، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٥].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر

---

(١) أخرجه البخاري، ح/١٩٠٣.

(٢) أخرجه البخاري، ح/١٨٩٩، ومسلم، ح/١٠٧٩.

(٣) أخرجه البخاري، ح/١٩٠٤.

(٤) أي شر ووقاية من الآثام والنار (فتح الباري ٤/ ١٢٥).

(٥) أخرجه البخاري، ح/١٨٩٤، ١٩٠٤، ٧٤٩٢، ومسلم ح/١١٥١.

له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

الوقفة الرابعة: أحكام الصيام:

أولاً: يثبت دخول شهر رمضان برؤية الهلال؛ فإن لم يُرَ أو حال دون رؤيته غيم أو قتر أُتِم شهر شعبان ثلاثين يومًا؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو القاسم ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته؛ فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»[2].

والراجح أنه يكفي في ثبوت الرؤية خبرُ واحدٍ من المسلمين.

وهو مذهب الشافعي[3]، والحنابلة[4]، وقول ابن حزم[5] واختيار ابن تيمية[6] وابن القيم[7].

والدليل عليه قول ابن عمر - رضي الله عنهما -: «تراءى الناس الهلال، فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته، فصام، وأمر الناس بصيامه»[8].

ثانيًا: يحرم صيام آخر يومين من شعبان أو آخر يوم منه إلا أن يوافق ذلك يومًا كان من عادته صيامه كـ(الإثنين، والخميس) فيجوز عندئذٍ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ إذ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصمْ ذلك اليوم»[9].

---

(١) أخرجه البخاري، ح/١٩٠١.

(٢) أخرجه البخاري، ح/١٩٠٩.

(٣) انظر: روضة الطالبين (٢/٢٠٧).

(٤) انظر: الفروع (٣/١٤).

(٥) انظر: المحلى (٤/٣٧٣).

(٦) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٥/١٠٥).

(٧) انظر: زاد المعاد (٢/٣٨).

(٨) أخرجه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن حزم: «هذا خبر صحيح»؛ وصححه الألباني (انظر الإرواء ٤/١٦).

(٩) أخرجه البخاري، ح/١٩١٤، ومسلم، ح/١٠٨٢.

ثالثًا: يحرم على القول الراجح وهو مذهب الشافعي[1] صيام يوم الشك وهو
يوم الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو قتر؛ لحديث أبي هريرة
السابق، ولقول عمار ـ رضي الله عنه ـ: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا
القاسم»[2].

رابعًا: شروط وجوب الصيام ثلاثة:

١ ـ العقل.

٢ ـ البلوغ.

٣ ـ القدرة عليه.

شروط صحة الصيام أربعة:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ العقل.

٣ ـ انقطاع دم الحيض والنفاس.

٤ ـ النية من الليل لكل يوم واجب.

لحديث حفصة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يبيِّت الصيام
من الليل فلا صيام له»[3].

وهذا نص صريح لاشتراط النية لكل ليلة؛ فمن كان مسافرًا وقد نوى الفطر من
الليل، ثم عزم على الصوم بعد طلوع الفجر لم يصح صومه.

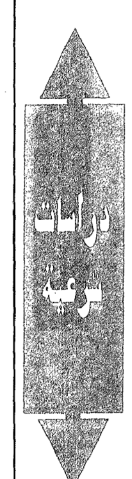
وينبغي على العبد أن يبتعد عن وسواس الشيطان في النية؛ فإن النية لا تحتاج
إلى تكلف؛ فمتى خطر بقلبه أنه صائم غدًا فقد نوى.

---

١) المهذب والمجموع (٦/ ٢٧٥).

٢) حديث صحيح أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، ووصله أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم
انظر فتح الباري ٤/ ١٤٤) ومختصر صحيح البخاري للألباني (١/ ٤٤٤).

٣) صحيح أبي داود، ح/ ٢٤٥٤.



خامسًا: فرض الصيام: الإمساكُ عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

سادسًا: مفطرات الصوم:

١ ـ الأكل والشرب.

٢ ـ ما كان في معنى الأكل والشرب، وهو ثلاثة أشياء:

أ ـ القطرة في الأنف التي تصل إلى الحلق، وهو مأخوذ من قوله: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا» أخرجه مسلم، فإنه يفهم أنه لو دخل الماء من الأنف إلى الجوف أفطر.

ب ـ الإبر المغذية؛ فإنها تقوم مقام الأكل والشرب فتأخذ حكمها، وكذا المغذي الذي يصل إلى المعدة عن طريق الأنف.

ج ـ حقن الدم في المريض؛ لأن الدم هو غاية الأكل والشرب فكان بمعناه[١].

٣ ـ الجماع: وهو من المفطرات بالإجماع [٢].

٤ ـ إنزال المني باختياره بمباشرة أو استمناء، أو غير ذلك؛ لأنه في معنى الجماع، ولأنه من الشهوة التي يدعها الصائم كما سبق في حديث أبي هريرة مرفوعًا وفيه: «يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي»[٣] ومعلوم أن من أنزل المني عامدًا مختارًا باستمناء أو غيره، فقد أنفذ شهوته ولم يدعها، أما الاحتلام فليس مفطرًا بالإجماع[٤].

٥ ـ التقيؤ عمدًا، وهذا مفطر أيضًا بالإجماع[٥]، أما من غلبه القيء فلا

---

(١) انظر مجالس شهر رمضان لابن عثيمين، ص ٦٦.

(٢) حكاه النووي في المجموع (٤/٣٤٨).

(٣) انظر المغني ٤/٣٦١ ـ ٣٦٣، والمجموع ٦/٣٤٩، وحقيقة الصيام لابن تيمية، ص ٢٣.

(٤) انظر المجموع ٦/٣٤٩.

(٥) حكاه ابن المنذر في كتاب الإجماع، ص ١٥.

يفطر؛ لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض»[1].

٦ ـ خروج دم الحيض والنفاس، بالإجماع[2]؛ فمتى وُجد دم الحيض أو النفاس في آخر جزء من النهار، أو كانت حائضًا فطهرت بعد طلوع الفجر فسد صومها؛ ومن الأدلة عليه حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟»[3].

٧ ـ اختلف أهل العلم في الحجامة: هل تفطر أو لا؟

وسبب الخلاف في هذه المسألة: التعارض الظاهر بين حديث ثوبان مرفوعًا: «أفطر الحاجم والمحجوم»[4]، وحديث ابن عباس: «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم»[5]، واختلف أهل العلم في طريق الترجيح بينهما لتعذر الجمع بينهما فاختار ابن تيمية[6] وابن القيم[7] وهو مذهب الحنابلة[8] ـ تقديم حديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» لأنه ناقل عن الأصل، أما حديث ابن عباس فمبقٍ على الأصل، والناقل عن الأصل مقدم على المبقي، كما هو مقرر في قواعد الترجيح بين الأدلة المتعارضة.

والراجح تقديم حديث ابن عباس وأن الحجامة ليست من المفطرات وهو مذهب الجمهور؛ وذلك أنه لا يُصار إلى إعمال قواعد الترجيح بين الأدلة إلا إذا

---

(١) صحيح أبي داود، ح/ ٣٨٠.
(٢) حكاه ابن قدامة وغيره، انظر المغني ٤/ ٣٩٧.
(٣) أخرجه البخاري، ح/ ٣٠٤.
(٤) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم، وصححه الإمام أحمد والبخاري والدارمي وغيرهم، انظر فتح الباري، ٤/ ٤٠٩.
(٥) أخرجه البخاري، ح/ ٥٦٩٤.
(٦) حقيقة الصيام، ص ٢٣.
(٧) زاد المعاد، ٢/ ٦٠.
(٨) الفروع، ٣/ ٤٧.

جهل التاريخ، أما إذا علم فيجب العمل بالمتأخر ويكون ناسخًا للمتقدم[١]، وقد علم هنا بخبر الصحابي من حديثين:

الأول: حديث أنس بن مالك قال: «أول ما كُرِهَت الحجامة للصائم، أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمر به النبي ﷺ فقال: أفطر هذان، ثم رخص النبي ﷺ بعدُ في الحجامة للصائم، وكان أنس يحتجم وهو صائم»[٢].

الثاني: حديث أبي سعيد الخدري قال: «رخص رسول الله ﷺ في القبلة للصائم والحجامة»[٣]، والرخصة إنما تكون بعد العزيمة فيكون الحديثان نصًا في النسخ فوجب العمل بهما[٤].

٨ ـ الراجح في القطرة في العين أو الأذن والكحل، ومداواة الجروح الغائرة، وشم الطيب، والإبر غير المغذية، وإدخال علاج لمريض من الفرج: أنها لا تفطر؛ لأنه ليس أكلاً ولا شربًا ولا في معناهما، فتبقى على الأصل وهو الجواز، وما أحسن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذا حيث قال: «... فإن الصيام من دين الإسلام الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام، فلو كانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله ﷺ على الصائم، وأفسد الصوم بها، لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الأمة كما بلغوها سائر شرعه، فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لا حديثًا صحيحًا ولا ضعيفًا ولا مسندًا ولا مرسلاً، علم أنه لم يذكر شيئًا من ذلك»[٥].

---

(١) انظر البحر المحيط للزركشي (٦/ ١٤٠).

(٢) أخرجه الدارقطني وصححه وأقره البيهقي في السنن الكبرى، وصححه الألباني (انظر الإرواء ٤/ ٧٣).

(٣) أخرجه الطبراني والدارقطني. قال ابن حزم: إسناده صحيح. وصححه الألباني (انظر الإرواء ٤/ ٧٤).

(٤) انظر الإرواء ٤/ ٧٥.

(٥) حقيقة الصيام، ص ٣٧.

سابعًا : من أفطر ناسيًا أو مخطئًا فصومه صحيح ولا قضاء عليه كمن ظن أن الفجر لم يطلع فأكل وهو طالع، أو ظن أن الشمس غربت فأكل وهي لم تغرب .

ومن **الأدلة على ذلك :**

١ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا : « من أكل ناسيًا وهو صائم فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه »[١] .

٢ ـ عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : « أفطرنا على عهد النبي ﷺ يوم غيم ثم طلعت الشمس »[٢] .

ولم يُنقل أنهم قضوا ذلك اليوم؛ ولو أُمِروا بقضائه لنُقل إلينا كما نُقِلَ فطرهم[٣] .

تنويه:

سقط سهوًا في العدد (١١٩) (ص ٩) في مقال (هل يمكن التعاون بين المسلمين مع وجود الاختلاف) فقرة هامة أحببنا التنبيه إليها .

والسقط بعد قوله: فما المحذور الشرعي من ذلك التعاون: « سيبادر أحد بالقول ، ولكن قد يكون الأمر بالمعروف على مذهبهم ، أي فيه نشر لمذهبهم ، وقد يكون بناء المسجد لتقام فيه حلقات الذكر ، أو لتدريس عقائد الأشاعرة ونحو ذلك » ثم يأتي بعد ذلك : فالجواب عندئذ . . .إلخ .

(١) أخرجه البخاري ، ح/٦٦٦٩ .
(٢) أخرجه البخاري ، ح/١٩٦٠ .
(٣) انظر حقيقة الصيام ، ص ٣٤ .

هل يمكن التعاون بين المسلمين مع وجود الاختلاف؟

(٢ من ٢)



بقلم: هيثم بن جواد الحداد



خلص الكاتب في الحلقة الأولى إلى أن التعاون واجب بين المسلمين، فيما يصح أن يكون براً من الأعمال مع من يصح إطلاق وصف الإسلام عليه وأقام على ذلك الأدلة، وفي هذه الحلقة مزيد من التفصيل. - البيان -

الخلاف السائغ: الذي يظهر لي بعد طول بحث ونظر أن الخلاف يكون سائغًا إذا تحقق فيه شرط واحد فقط، وهو: صدوره ممن يُعذر شرعًا؛ كأن يكون جاهلاً فيما يجوز له جهله، أو مُكْرَهًا فيما يسوغ له أن يُكره عليه، أو متأولاً فيما يصح التأوُّل فيه، أو مخطئًا، والجامع لهذه الأعذار كلها: أن يكون الباعث للفعل مقصداً شرعيًا معتبراً، سواء كانت المسألة التي خالف فيها من المسائل الاجتهادية، أو من غيرها.

فهنا لدينا أربع حالات وذلك بالنظر إلى طبيعة المسألة، وطبيعة الفاعل:

إما أن يكون الفاعل ممن يعذر، سواء في مسألة اجتهادية، أو غير اجتهادية.

أو يكون الفاعل ممن لا يعذر سواء في مسألة اجتهادية أو غير اجتهادية.

فإن كان الفاعل ممن يعذر، فقد دخل في عموم الآية: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فهو راد إلى الله ورسوله، ولا دخل لطبيعة المسألة عندئذ، حتى ولو كانت المسألة من مسائل الاعتقاد. وقد انعقد الإجماع على أنه ليس كل من فعل الكفر يكون كافراً؛ إذ قد يقوم بالفاعل موانع تمنع من مؤاخذته بما فعل، وهذه المسألة من هذا القبيل.

ومن هذا؛ عُذْرُ النبي ﷺ لمعاذ بن جبل، حين سجد له[١]، ومنه كذلك إعذار الله - عز وجل - للرجل الذي أوصى أبناءه بحرقه، وقال: «لئن قدر الله عليَّ ليعذبني، فلما بعثه الله قال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك»[٢]، فهذا ظاهر في أنه متأول،

---

(١) القصة رواها أبو داود، كتاب النكاح (٢١٤٠)، والترمذي في الرضاع (١١٥٩)، وابن ماجة في النكاح (١٨٥٣)، والإمام أحمد (٤ / ٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٢ / ١٨٧) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في إرواء الغليل، حيث استوفى جمع طرقها والكلام عليها ٧ / ٥٥ - ٥٨.

(٢) القصة مشهورة، وهي في البخاري ومسلم.

ومن ذلك أيضًا قصة عمر بن مظعون[1]، حينما شرب الخمر متأولاً استحلالها من قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣]، مع أن المستحل لمثل هذه الكبيرة في عصر مثل عصر الصحابة، ومن رجل مثل الصحابة، لا شك أن فعله هذا يعد كفرًا مخرجًا من الملة، ولكن استحلاله لم يكن تكذيبًا وردًّا أو عنادًا واستكبارًا، بل كان اجتهادًا، وخطأً صادرًا عن حسن نية.

أما إذا كان الفاعل ممن لا يعذر، فإنه غير منتظم في سلك الآية، بل هو متبع لأحد الأقوال؛ لا لأن الله ـ عز وجل ـ أمر باتباعه، بل لأمر آخر، وهذا منشأ المخالفة، حتى ولو كان ذلك في مسألة اجتهادية؛ ولهذا فإن من أنكر ولو سنة من السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ المتفق عليها، حتى ولو كانت من فروع السنن ـ إذا وافقنا على هذه التسمية ـ من غير تأوُّل فإنه يعد مبتدعًا، وقد عدَّ العلماء من بِدَع الشيعة إنكارَهم للمسح على الخفين.

ولهذا فإن الإمام أحمد لما سئل عن الصلاة في جلود الثعالب قال: إن كان متأولاً أرجو أن لا يكون به بأس، وإن كان جاهلاً ينهى، ويقال له: إن النبي ﷺ نهى عنها[2].

وكذلك فإن من صدر منه فعل في مسألة اجتهادية، وهو يعتقد أن الحق خلاف ما فعل فإنه يعتبر عاصيًا، فإن كان الفعل مما يحتمل الصحة والفساد حكم بفساده؛ فلو صلى إنسان ممن يعتقد نقض الوضوء من النوم، أو من أكل لحم الإبل، بعد نومه أو أكله لحم إبل، لحكمنا ببطلان صلاته، ولوجبت عليه الإعادة، ولما جاز الائتمام به في تلك الصلاة، ولو ممن يرى عدم نقض الوضوء في ذلك.

هذا، وشروط كل صنف من هؤلاء الأصناف المعذورين شرعًا: الجاهل، أو المكره، أو المخطئ، وما يمكن أن يعذروا فيه، مفصلة في كتب الفقه وأصوله، ومواطن اللبس فيها ضيقة، فلا حاجة للتعرض لها هنا.

أما المتأول فقد يكون فيه نوع إشكال يحتاج إلى بحث مستقل لا يمكن الإتيان به في هذه العُجالة. والذي يظهر أن المتأول: هو من اعتمد على ما يصلح الاعتماد عليه من أدلة شرعية، أو نحوها؛ حيث يكون بذلك داخلاً في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩]، وما في معناها من آيات وأحاديث.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: « فالمتأول المجتهد كأهل العلم والدين الذين

---

(١) القصة مروية في مصنف عبد الرزاق ٩ / ٢٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ١٦) وذكرها الحافظ في الإصابة (٣ / ٢٢٠) وابن الأثير في أسد الغابة بتمامها (٤ / ٣٩٥).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١ / ١٦٧.



اجتهدوا واعتقد بعضهم حل أمور واعتقد الآخر تحريمها، كما استحل بعضهم بعض أنواع الأشربة، وبعضهم بعض المعاملات الربوية، وبعضهم بعض عقود التحليل والمتعة، وأمثال ذلك، فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف، فهؤلاء غايتهم أنهم مخطئون، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء»[١].

وضد التأول صور كثيرة: منها الهوى، كمن يأخذ ببعض الأقوال اتباعًا لهواه وشهوته، ـ حتى لو كانت هذه الأقوال من الأقوال المعتبرة كما سيأتي في الشرط الثاني ـ ومن أشهر أمثلة ذلك الذين يتتبعون رخص المذاهب، من إباحة بعض صور الربا، والغناء، وغيرها[٢].

ومنها التقليد لمن لا يحق له التقليد، كمجتهد قادر على الاستنباط ومع ذلك قلد، أو قادر على موازنة الآراء، واتباع الأدلة، ومع ذلك ركن إلى الدنيا وترك الأدلة خلفه ورضي بالتقليد، قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ: «اعلم أن المقلدين اغتروا بقضيتين ظنوهما صادقتين، وهما بعيدتان من الصدق... وذكر الأولى، ثم قال: وأما الثانية: فهي ظن المقلدين أن لهم مثل ما للإمام من العذر في الخطأ، وإيضاحه: أنهم يظنون أن الإمام لو أخطأ في بعض الأحكام وقلدوه في ذلك الخطأ، يكون لهم من العذر في الخطأ والأجر مثل ما لذلك الإمام الذي قلدوه؛ لأنهم متبعون له، فيجري عليهم ما جرى عليه... وهذا ظن كاذب باطل بلا شك؛ لأن الإمام الذي قلدوه بذل جهده في تعلم كتاب الله وسنة رسوله وأقوال أصحابه وفتاويهم، فقد شمر، وما قصر فيما يلزم من تعلم الوحي والعمل به، وطاعة الله على ضوء الوحي المنزل، ومن كان هذا شأنه؛ فهو جدير بالعذر في خطئه والأجر في اجتهاده؛ وأما مقلدوه: فقد تركوا النظر في كتاب الله وسنة رسوله، وأعرضوا عن تعلمها إعراضًا كليًا، مع يسره وسهولته، ونزّلوا أقوال الرجال الذين يخطئون ويصيبون منزلة الوحي المنزل من الله، فأين هؤلاء من الأئمة الذين قلدوهم؟»[٣].

ومنها التعصب، للآباء والمشايخ، أو المذاهب، ومنها الحقد والحسد والبغض[٤].

فأي خلاف خرج عما يعذر المكلف فيه يكون خلافًا مذمومًا غير سائغ.

لكن يبقى هنا سؤال يحتاج إلى جواب محرر، وهو:

---

(١) الفتاوى، ٣٥، ص ٧٥.

(٢) للاستزادة حول موضوع تتبع الرخص وحرمته وما قيل فيه، تراجع رسالة قيمة لجاسم الفهيد الدوسري بعنوان: (زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء).

(٣) أضواء البيان، ٧/٥٣٣، ٥٣٧ـ٥٣٨.

(٤) وفساد هاتين الصورتين ظاهر ظهورًا بينًا فلا داعي للاستدلال عليه في مثل هذا البحث.

كيف نعرف الباعث، أو المقصد الحامل لهذا الخلاف، أليس ذلك من الأمور الخفية؟

الجواب: يُعلم ذلك بالقرائن؛ فمثلاً: إذا بُيِّن لهذا المخالف الحق، على وجه صحيح، ثم ظهر عناده واستكباره، وكذلك إذا ظهر منه المعاداة والهجران قبل أن يقيم الحجة على من عاداه أو هجره، فكان مقصده العداوة لا الوصول إلى الحق، ومن القرائن أيضاً تجنبه الاستماع للنصيحة ورأي المخالف، فكأنه لا يريد إلا رأيه.

يقول الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «لا يخلو المنسوب إلى بدعة أن يكون مجتهداً فيها، أو مقلداً... فالقسم الأول على ضربين: أحدهما: أن يصح كونه مجتهداً؛ فالابتداع لا يقع إلا فلتة وبالعرض لا بالذات، وإنما تسمى غلطة أو زلة؛ لأن صاحبها لم يقصد اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل الكتاب، أي لم يتبع هواه ولا جعله عمدة؛ والدليل عليه أنه إذا ظهر له الحق أذعن له وأقر به. ومثاله ما يذكر عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه، وقال: «وأول ما أفارق غير شاك أفارق ما يقول المرجئون..» وقد ذكر الشاطبي رحمه الله عدة أمثلة لرجوع من كان يقول بأمور عظام اجتهاداً وتأولاً(١).

لكن مع ذلك يصعب في كثير من الأحيان معرفة المتأول من غيره، فعندئذ ينظر للفعل نفسه، أي للمسألة نفسها بصرف النظر عن فاعلها، وهو الشق الثاني في مسألة الخلاف والمختلفين.

فالخلاف يعتبر سائغاً إذا كان في المسائل الاجتهادية، وهذه القضية ـ أعني تحديد المسائل الاجتهادية ـ تحتاج إلى تحرير، ومع الأسف فإن كثيراً من الكتاب والباحثين حول هذا الموضوع، من يذكرها مروراً دون أن يقف عندها لتحريرها، مع أنها من أكبر مواطن النزاع؛ لأن الناس ـ وخصوصاً في هذا العصر ـ انقسموا تجاهها إلى طرفي نقيض: فطائفة ضيقتها، حتى قصرت المسائل الاجتهادية على مسائل محصورة، هي التي لم يتبين لهم أنفسُهم وجه الحق فيها، وما عدا ذلك من مسائل، ظهر لهم رجحان أحد الدليلين، أخرجوها من حيز الاجتهاد، بل ربما ألزموا الغير بالأخذ بما يعتقدون، ومن ثَمَّ اتخذوا موقفاً معادياً للمخالف، وربما حملهم على التبري منه، ثم نشأ الخلل في الموضوع الذي نحن بصدده، وهو عدم التعاون مع هذا المخالف.

وفي المقابل ظهر فريق آخر توسَّع في هذه القضية حتى ربما جعل الخلاف في كثير من مسائل الأصول، أو أمهات مسائل العقيدة من المسائل الاجتهادية، ومن ثم أيضاً تسامح مع مثل هؤلاء المخالفين، وعليه: فلا بد أن نحرر ماهية المسائل الاجتهادية.

(١) انظر الاعتصام ١/١٤٦ ـ ١٦٢، مطبعة المنار بمصر.

ولتحرير المسائل الاجتهادية، لا بد أن ندرس موضوع الاجتهاد ومتى يكون، حيث إن المسائل الاجتهادية نتيجة مباشرة للاجتهاد، وبعد دراسة موضوع الاجتهاد في ضوء النصوص من الكتاب والسنة، نقارن ما خلصنا إليه من هذه الدراسة، بما ورد عن الصحابة من مسائل اختلفوا فيها، وكيف كان موقفهم من هذا الخلاف، وما أسبابه[1].

وإذا نظرنا إلى موضوع الاجتهاد الذي يقودنا إلى تحرير المسائل الاجتهادية، فإننا نجد أن الاجتهاد ينحصر في الأسباب التالية:

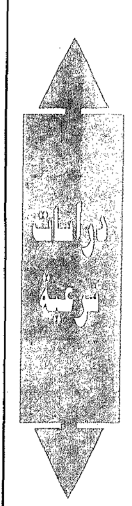
١ ـ إذا لم تظهر صحة الدليل؛ وهذا يكون في الأحاديث التي اختلف العلماء المعتبرون في تصحيحها، وتضعيفها، أو في الإجماع الذي لم يتواتر.

فالمسائل التي اختلف العلماء فيها، وكان سبب اختلافهم فيها مبنيًا على اختلافهم في صحة الحديث، أو ضعفه، أو ثبوت الإجماع أو عدمه هي مسائل اجتهادية ولا شك.

٢ ـ إذا لم تظهر دلالة الدليل ـ وهذا يكون في الأدلة التي دلالتها على المراد من قبيل المجمل، أما إذا كانت أدلتها من قبيل النص، الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو من قبيل الظاهر، الذي يحتمل معنيين، لكن أحدهما أظهر من الآخر ـ فليس للاجتهاد من هذه الناحية فيها مساغ.

فالمسائل التي كان الخلاف فيها بسبب الخلاف في دلالتها، هي مسائل اجتهادية ولا شك. ومن أكثر هذه المسائل شيوعًا: المسائل التي لا تخصها نصوص مباشرة، وإنما بنيت على القياس؛ حيث القياس لا بد فيه من جمع بين الفرع والأصل في علة الحكم، لكن كيف نستنبط علة الحكم؟ هناك طرق تعتمد على دلالة الدليل ـ وهذا مسرح للاجتهاد ـ، فإذا عرفنا علة الحكم، فلا بد من تحقيق وجود هذه العلة في الحكم، وهذا مسرح لاجتهاد ـ كذلك ـ راجع إلى السبب الرابع الآتي ذكره.

٣ ـ إذا لم يختلف العلماء في ضعف الدليل، ولم يختلفوا في دلالته على المراد، ولكن وُجد له معارض صالح للمعارضة، واختلفوا في كيفية الجمع بين الدليلين، أو في ترجيح أحدهما على الآخر، حسب القواعد التي قررها العلماء في هذا الباب؛ فإن السبيل ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والصواب ما عليه الأئمة: أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها ـ إذا عدم الدليل الذي يجب العمل به ـ الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها»[2].



(١) لا يتسع المقام هنا لبسط هذه المسألة، وبيان ما قيل فيها، وما ذكر هنا مجرد خلاصة ما توصل إليه الباحث، وإلا فالمسألة بحاجة إلى دراسة مستقلة.

(٢) إعلام الموقعين ٣ / ٣٠٠، وقد نسب ابن مفلح في الآداب الشرعية ١ / ١٨٦ مثل هذا الكلام لابن تيمية.

٤ - فإن اتفقوا في جميع ما مضى، لكن اختلفوا في النازلة، بأي الصور تلحق؟ أو بمعنى آخر كاختلافهم في تحقيق المناط - أي تحقيق وجود العلة في الفرع المتنازع على حكمه - كانت تلك المسألة المختلف فيها من المسائل الاجتهادية، وهذا السبب من أهم أسباب الخلاف بين المسلمين في العصر الحاضر؛ فكثير من مسائل السياسة الشرعية من طرق تغيير المنكر، وطرائق الدعوة، وإقامة الخلافة الإسلامية، بل ومسائل الاقتصاد والاجتماع هي من هذا القبيل.

والغالب أن الإشكال في هذه المسائل وأمثالها ليس في أدلتها صحةً ودلالةً، فالغالب أن أدلتها عرفت، وسهل الاطلاع على أقوال العلماء وآرائهم حولها، لكن الإشكال الأكبر في تكييف الوقائع وإلحاق المسائل بنظائرها، وعلى الرغم من أهمية ذلك فإنه لم يأخذ حجمه المطلوب من الدراسة والتأصيل، ولذا فلا بأس من إطالة الكلام عليه أكثر من سابقيه.

يقول الشاطبي - رحمه الله تعالى -: «وقد تقدم أن من الخلاف السائغ: الخلاف في المسائل الاجتهادية، ولما كان تحقيق المناط في كثير من المسائل لا يمكن القطع به؛ إذ تختلف فيه الأنظار، تعيَّن علينا القول بأنه من المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف»، وقال في موطن آخر: «الاجتهاد على ضربين: أحدهما: لا يمكن أن ينقطع حتى أصل التكليف، وذلك عند قيام الساعة. والثاني: يمكن أن ينقطع قبل فناء الدنيا. فأما الأول: فهو الاجتهاد المتعلق بتحقيق المناط وهو الذي لا خلاف بين الأمة في قبوله»[١].

وهنا لا بد من شرط وهو: أهلية الناظر لتحقيق المناط فيما هو بصدده. فمثلاً: إذا عرفنا علة الربا، ثم ظهرت لنا صورة من صور المعاملات التجارية؛ فإن تحقيق وجود هذه العلة في تلك المعاملة لا يُقبل إلا من متخصص يفهم تلك المعاملة على وجهها الصحيح، حتى يستطيع إثبات وجود علة التحريم في تلك الصورة، بطريقة صحيحة. قال الشاطبي - رحمه الله تعالى -: «قد يتعلق الاجتهاد بتحقيق المناط، فلا يفتقر ذلك إلى العلم بمقاصد الشارع، كما أنه لا يفتقر إلى معرفة علم العربية؛ لأن المقصود من هذا الاجتهاد إنما هوالعلم بالموضوع على ما هو عليه، وإنما يفتقر فيه إلى العلم بما لا يعرف ذلك الموضوع إلا به من حيث قصدت المعرفة به، فلا بد أن يكون المجتهد عارفًا ومجتهداً من تلك الجهة التي ينظر فيها ليتنزل الحكم الشرعي على وفق ذلك المقتضى؛ كالمحدِّث العارف بأحوال الأسانيد وطرقها وصحيحها من سقيمها، فهذا يعتبر اجتهاده فيما هو عارف به؛ كان عارفًا بالعربية أم لا، عارفًا بمقاصد الشارع أم لا، وكذلك القارئ في تأدية وجوه القراءات



(١) الموافقات في أصول الشريعة، ٤/ ٤٧.

والصانع في معرفة عيوب الصناعات، والطبيب في العلم بالأدواء والعيوب... ونحوها، وهذا كله مما يعرف به مناط الحكم الشرعي غير مضطر إلى العلم بالعربية ولا العلم بمقاصد الشريعة وإن كان اجتماع ذلك كمالاً في المجتهد[1] وقال الشنقيطي: «لأن تحقيق المناط يرجع فيه لمن هو أعرف به وإن كان لا حظّ له من علوم الوحي»[2].

فإذا كان الخلاف في مسألة ما مبنياً على ما سبق من الأسباب الأربعة، فلا شك أنه خلاف قوي معتبر، وتكون تلك المسألة من المسائل الاجتهادية، التي يسوغ فيها الخلاف.

لكن هنا لا بد من قيود مهمة جداً، وهي:

١ ـ أنَّ كون المسألة من المسائل الاجتهادية لا يعني أن كل الأقوال التي قيلت فيها من الأقوال المعتبرة التي يجوز القول بها، بل لا بد أن يكون القول معتمداً على دليل صالح للاعتماد حسبما تقدم، وقد قال الشاعر:

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

٢ ـ يجب أن لا تخرج الأقوال في المسألة الاجتهادية، عن أقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وذلك في المسألة التي بحثوها ـ بخلاف المسائل النازلة والحادثة كما هو ظاهر ـ، وذلك لورود عدة نصوص عن جمع من الأئمة في عدم جواز الخروج عن أقوال الصحابة[3].

٣ ـ وهذا الشرط قد تقدم ذكره؛ لكن أهميته وحدوث اللبس فيه أوجبت إعادة التأكيد عليه، فكثير من الناس يظن أن كون المسألة من المسائل الاجتهادية مسوغ لاختيار ما يشاؤون من الأقوال التي قيلت فيها هوىً وشهوة، وربما دفع ذلك كثيراً من الناس إلى البحث عن أي خلاف في المسائل التي تعرض له، حتى يبرهن أنها مسألة اجتهادية فيجوز له الأخذ بما يشاء فيها من أقوال، ولا يحق لأحد الإنكار عليه، وهذا خطأ محض فهو مصادمة صريحة لوجوب الرد إلى الله ورسوله. يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقولهم: إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول أو إلى القول والفتوى أو العمل:

أما القول الأول: فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله.

وأما العمل: فإن كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المسائل المختلف فيها؟! والفقهاء من سائر

---

(١) الموافقات، ٤/٩٢. (٢) أضواء البيان، ٣/٩٢.

(٣) وهذه المسألة تحتاج إلى مزيد بحث، ليس هذا موضعه.

الطوائف صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتابًا أو سنة، وإن وافق فيه بعض العلماء، وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وكان للاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهدًا أو مقلدًا.

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الاختلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم، والصواب ما عليه الأئمة...»[1].

وبناء على ما تقدم: فإن العمل بالأقوال المعتبرة في المسألة الاجتهادية سائغ إذا كان الدافع له مقصدًا شرعيًا، حسبما تقدم، ولا يجوز أبدًا العمل بتلك الأقوال حتى ولو كانت معتبرة تشهيًا وهوى، وعليه فالمعذور هو من عمل بأخذ الأقوال المعتبرة لمقصد شرعي فقط.

والخلاصة: أن الخلاف السائغ، ما كان الباعث عليه غرضًا شرعيًا، سواء كان في مسألة اجتهادية، أو حتى غير اجتهادية؛ إذ يفرق بين الفعل، والفاعل، فإذا أشكل علينا الباعث - وكثيرًا ما يشكل - نظرنا إلى المسألة ذاتها، فإن كانت من المسائل الاجتهادية، فإن الإنكار لا يتوجه إلى صاحبها، وربما يتوجه إليه المناصحة أو الحوار، وإذا كانت المسألة غير اجتهادية، فإن صاحبها مستوجب للإنكار.

وعليه فإن الإنكار يتوجه إلى الخلاف غير السائغ دون غيره.

وعليه أيضًا، فإن موقف الإنسان من المخالفين خلافًا سائغًا مقبولاً، سيختلف عن المخالفين خلافًا غير سائغ؛ فموقف المسلم من المخالفين ببعض القضايا الفقهية الفرعية ليس كالمخالفين له في الأصول؛ وذلك مع الأخذ بالاعتبار من يُعذر من هؤلاء ممن لا يعذر.

الخاتمة: وأعود هنا للأصلين العظيمين اللذين ذكَّرتُ بهما ابتداءً، واللذين يجب أن يستصحبهما الإنسان دائمًا وأبدًا لا سيما في هذه الأزمنة، وهما:

- وجوب الاجتماع والجماعة بين المسلمين.
- ووجوب المحبة والموالاة فيما بينهم في الجملة.

آخذين بعين الاعتبار ما يحيق بالمسلمين من ضعف ومذلة وبُعد عن الدين، راجين أن نعيد الإسلام لهيمنته على الأرض، حتى نحقق الخلافة المنشودة.

ولا تزال هذه القضية بحاجة إلى مزيد تأصيل وتفصيل، يليق بأهميتها، وتستحق أن تولى عناية خاصة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

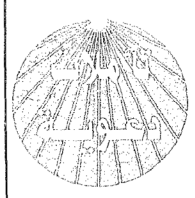
(١) إعلام الموقعين ٣/٣٠٠، وقد نسب ابن مفلح مثل هذا الكلام لابن تيمية.

بين المنهج والرموز

بقلم: عبد الله المسلم

تمتاز الدعوة السلفية بين سائر الدعوات بأنها دعوة لا تتمحور حول شخص من الأشخاص، بل تتمحور حول المنهج المستقى من الكتاب والسنة الصحيحة وآثار السلف الصالح؛ ولهذا عرَّف الإمام مالك أهل السنة بأنهم الذين ليس لهم لقب إلا أهل السنة.

بخلاف سائر الطوائف؛ فكثير منها تعلو درجة ارتباطها بالشخص لدرجة أن يرتبط اسمها باسمه فتنسب إليه، ويعتقد بعضهم العصمة في شيوخهم وأئمتهم، وأن الراد على الشيخ كالراد على الله، وأن التلميذ يجب أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي من يغسله. أما أهل السنة فإنهم يعتقدون أنه ما من بشر إلا ويؤخذ من قوله ويرد إلا محمد ﷺ، ومع ذلك فلهم أئمة منزلتهم ومكانتهم ليست كغيرهم، ولأقوالهم وتقريراتهم قيمة وقدر، ومنهم من هو كما أخبر عنه ﷺ أنه: «على رأس كل مئة سنة يبعث الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها».



وثمة هفوات تصيب بعض الأخيار من أهل السنة تجاه هذا؛ فالقضية قد تخدش صفاء المنهج، وقد تطول فتؤذن بنوع من التعصب المقيت المشين. ـ

١ ـ فمن ذلك أن يُربط الناس بالرجال، وأن يكون الحديث دائماً حول منهجهم أكثر من الحديث حول نصوص الوحيين، وأن تكون المخالفة لرأي أحدهم أشد وأشنع من المخالفة لنصوص الوحي الصريحة، ومن ذلك: أن أحد الأفاضل كان يتحدث عن ضرورة ارتباط الدعاة إلى الله بمنهج فلان من المجددين وأساليبه، فعقب أحد الحضور بأن الأوْلى ربط الناس بمنهج النبي ﷺ، فاستدرك آخر على المعقِّب ـ بعد أن وصمه بألقاب لا تليق ـ بأنه ما من وسيلة استخدمها النبي ﷺ إلا واستخدمها هذا المصلح المجدد! وَهَبْ أن ذلك حق! أفليس الأصل الاقتداء بالمعصوم ﷺ؟

٢ ـ قد سلك دعاة الضلالة في سبيل الحرب على أهل السنة أسلوب وَصْمِ دعاتهم بالسوء والانحراف، ولبَّسوا في ذلك على العامة، فما أن يسمعوا اسم فلان إلا عنى لديهم الانحراف. وإزاء هذه الظاهرة كان لا بد من منهج أسلم في التعامل معها بالأساليب التالية:

أ ـ لا داعي لإقامة معارك مع العامة ـ ولا أمامهم ـ حول شخص فلان خاصة حين نعلم أن ذلك سيصطدم باقتناعات راسخة لديهم قد يصعب تغييرها، فَلِمَ لا نجعل قضيتنا الكبرى معهم هي قضية المنهج، وقضية نصوص الوحيين؟ وهب أنهم تركوا الضلال والبدعة وماتوا وهم يسيئون الظن بفلان من علماء المسلمين لأنه لُبِّسَ عليهم شأنه وأمره؛ فالخطب حينها أيسر من الموت على الضلالة والبدعة.

ب ـ ولماذا الإصرار على ربط الدعوة بهؤلاء من خلال التركيز على توزيع كتبهم وترديد أسمائهم، أو تسمية المشاريع والمدارس بها؟ فتقيم الدعوة ـ ابتداءاً ـ حاجزاً بينها وبين الناس! ألا يمكن لدعاة السلفية أن يكتبوا كتابة جديدة للناس تخاطبهم بنصوص الوحيين التي لا يجرؤ أحد على رفضها؛ وذلك كله ليس رغبة في تجاوزهم وإنكار فضلهم، إنما لسلوك أفضل سبيل لإنقاذ الناس من الضلال.

٣ ـ الإمامة لا تستلزم العصمة عند أهل السنة، فقد يستدل هذا الإمام الجليل بحديث ضعيف أو يستشهد برواية باطلة، أو يتبنى رأياً مرجوحاً في مسألة ما، فهل من حرج في الاستدراك عليه وبيان خطأ اجتهاده؟ وهب أن أحداً اجتهد فبان خطؤه في مسألة من المسائل ورأينا أن في ذلك فتح باب للطعن وإساءة الظن: أيعالج هذا الخطأ بخطأ آخر؛ فنكابر في السعي لتصحيح حديث أو ترجيح قول ضعيف لمجرد أن فلاناً قال به؟

مرة أخرى: الأئمة والمجددون لهم قيمتهم ومكانتهم، ولا ينبغي الحط من شأنهم وتجرئة صغار الطلبة على انتقادهم، لكن هذا كله لا ينبغي أن ينسينا أنهم بشر ليسوا معصومين، وأن الإمامة الأساس هي للوحيين، وأن أهل السنة هم: من كانوا على مثل ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، لا من كانوا أتباعاً لفلان من الناس.

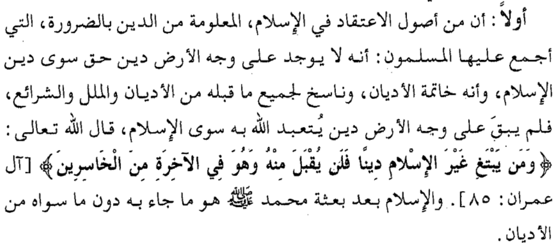
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

حقيقة الدعوة إلى وحدة الأديان



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى **(وحدة الأديان)**: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء: مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب. وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:



أولاً: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، التي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبقَ على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [آل عمران: ٨٥]. والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله ـ تعالى ـ: (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق

كتاب منزل يُتعبد الله به سوى: (القرآن الكريم) قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يجب الإيمان بأن (التوراة والإنجيل) قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم منها قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣] وقوله جل وعلا: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي»[1].

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ - وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك - كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

(١) رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. ونبي الله عيسى - عليه الصلاة والسلام - إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعاً لمحمد ﷺ وحاكماً بشريعته. وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. كما إن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.



خامساً: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافراً، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] وغيرها من الآيات.

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار».

ولهذا: فمن لم يكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: (من لم يكفِّر الكافر فهو كافر).

سادساً: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية؛ فإن الدعوة إلى: (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله

إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقوله جل وعلا: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾ [النساء: ٨٩].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله ـ جل وتقدس ـ يقول: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٢٩] ويقول ـ جل وعلا ـ: ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: ٣٦]

ثامنًا: إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد فترضى بالكفر بالله ـ عز وجل ـ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان؛ وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعًا محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعًا: وتأسيسًا على ما تقدم:

١ ـ فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢ ـ لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد!! فمن فعل ذلك أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك



من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣ ـ كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة ولأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، ـ تعالى الله عن ذلك ـ.



كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله) وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله ـ تعالى ـ يقول: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [آل عمران: ٨٥] بل هي: بيوت يُكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر وأهله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في مجموع الفتاوى (٢٢ / ١٦٢): «ليست ـ أي: البيع والكنائس ـ بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها؛ فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

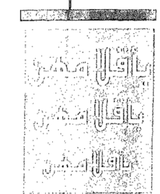
عاشراً: ومما يجب أن يُعلم أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة؛ ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام؛ وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة قال الله ـ تعالى ـ: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ٦٤]. أما مجادلتهم واللقاء معهم

ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرَى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون؛ والله المستعان على ما يصفون. قال تعالى: ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]

* وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس فإنها توصي المسلمين بعامة وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم.

نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(*).

(*) هذه الفتوى الشرعية الموثقة صدرت برقم ١٩٤٠٢ في ٢٥/١/١٤١٨هـ عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء (الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء) السعودية. واللجنة التي أصدرت هذه الفتوى مكونة من سماحة الرئيس العام ومفتي عام المملكة العربية السعودية (الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز) رئيسًا و(الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ نائبًا) وعضوية كل من الشيخ د. بكر أبو زيد، و الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان.



حديث إلى الدعاة

بقلم: بسماء الجاهل

من بين الأضواء الساطعة التي تغمر المكان يظهر ضوء خافت قاتم..، ومع ذلك فقتامة لونه تشوِّه الصورة حائلة دون اكتمال جمال المنظر.

ذلك الضوء هو قتام من الجاهلية التي قضى عليها الإسلام في فجره الأول؛ ولكنها عادت من جديد رغم الصحوة الإسلامية التي انتشرت في كثير من البلاد الإسلامية.

لكن الضوء الخافت يبقى خافتًا .. مختبئًا وراء أنوار الإسلام الساطعة.. يحتاج إلى عين ثاقبة تميزه عن بعد.. تذهب إليه .. تحدق فيه وتنتشله من هوة الماضي التي سقط فيها وابتعد أكثر من ألف سنة.

هذه الجاهلية ليست جاهلية من اعتقد بأن الحضارة تكمن في تقليد الغرب حتى تشربت نفسه مساوئها قبل محاسنها جاعلاً من إسلامه اسمًا خاليًا من المضمون .. لا، فهؤلاء الفئة هم أبرز من أن يتواروا عن الأنظار حيث إن جهلهم يبدو في سلوكهم ولحن أقوالهم!!.

لكنها جاهلية تغلغلت في تصرفاتنا (إلا من رحم ربي)، وأصبحت متعارفًا عليها وغير مستنكرة البتة، وهنا يأتي دور الدعاة في التحذير من هذه التصرفات وبيان مجانبتها لواقع العقيدة الإسلامية، وبيان خطر الاستمرار فيها، وهو ما نحسبهم يقومون به خير قيام، لكن هؤلاء الدعاة ـ ويا للأسف الشديد ـ قد تمركزوا في المدن الكبرى التي تعج بأساليب الدعوة المختلفة متناسين ما آل إليه حال القرى والهجر الصغيرة من ابتعاد عن روح الإسلام حيث باتت تحكمهم العادات والتقاليد التي قد تعجب أشد العجب عندما تعرف بأنها أقرب ما تكون شبهًا بما كان عليه العرب في الجاهلية في بعضٍ منها.

وقد يقول قائل بأن وسائل الإعلام أصبح لها دور واضح في الدعوة عن طريق

البرامج التلفزيونية والإذاعية التي تصل إلى معظم القرى تقريبًا، كما أن الشريط الإسلامي المحتوي على المحاضرات في شتى أمور الدين والدنيا التي تهم المسلم انتشر في كل مكان وبات يؤدي دوره المرجو.. نعم هذا صحيح! ولكن هذه العوامل تعتبر في رأيي عوامل مساعدة للدعوة وليست هي الركيزة الأساس التي يعتمد عليها الداعية في إيضاح ما أُشكل من أمور الدين والدنيا؛ حيث يُطلب من الداعية ألا يكون مجرد مرسل يقدم نصائح وتوجيهات بأسلوب خطابي (مباشر) ثم يمضي في سبيله غير آبه بما كان من أثر هذه الكلمات في النفوس؛ لأن الأسلوب الخطابي في التوجيه بشكل عام لا تميل إليه النفوس ولا يجذب انتباه السامع.

إن الدور المطلوب من الداعية في مثل هذه القرى يجب أن يكون أكبر بكثير من هذا؛ حيث إن عليه ـ من منطلق استشعاره بهذا الواجب ـ أن يجعل من نفسه أحد سكان هذه القرى لفترة معينة ضاربًا لهم القدوة الحسنة في تصرفاته ومعاملاته أولاً، ثم قائمًا بالدعوة الفردية التي تكون أوقع في النفوس متى أتيحت له الفرصة لذلك؛ حيث إن الدعوة الفردية قد تفعل ما لا تفعله الدعوة الجماعية التي توجه بشكل عام إلى مجموعة كبيرة من الناس؛ فعن طريق الدعوة الفردية يستطيع الداعية الوصول إلى النفوس الـمُعْرِضة عن سماع صوت الحق وذلك باستخدام أساليب الدعوة المختلفة، ولعل أوضح مثل لأهمية الدعوة الفردية هو دعوة الرسول ﷺ حيث كانت تتم بشكل فردي خلال السنوات الأولى من دعوته، كما أن إقامة الداعية بين الفئة المراد دعوتهم تجعله ملمًا بما ينتشر في تلك المنطقة من خرافات وبدع وما يُشْكِلُ عليهم فهمه من أمور الدين؛ فينهض من خلال ذلك بدعوته على أسس سليمة وقوية، وعند قيامه بإلقاء المحاضرات يستطيع مناقشة الحاضرين بعد الانتهاء من المحاضرة أو خلالها محققًا بذلك نجاح دعوته التي لا تكون من جانب واحد يكون فيها هو المرسل، بل تؤدي الرسالة دورها من خلال مناقشات المتلقي واستفساراته، ومن ثَمَّ يأتي دور العوامل المساعدة التي على الداعية أن يحث المدعوين على متابعتها والاستفادة منها. كما يستطيع الداعية تقديم الكتيبات والأشرطة الدينية هدية للمدعوين ويحقق من خلال ذلك هدفين هما: زرع المحبة له في نفوس المدعوين؛

حيث قال ﷺ: «تهادوا تحابوا»، والهدف الثاني: هو أن تحتوي هذه الكتيبات والأشرطة على ما يريد الداعية إيصاله إلى المدعوين من أمور مختلفة.

وتستطيع هذه العوامل المساعدة تحقيق النجاح من خلال الأسس التي وضعها الداعية في نفوس مدعويه؛ وهذا الترتيب في الدعوة يحقق هدفًا مهماً يجب على كل داعية ألاّ يغفله ألا وهو التدرج في الدعوة إلى الله حيث: «ينبغي على الداعية أن يتدرج في دعوته فيبدأ بكبار المسائل قبل صغارها؛ فلا يقحم المسائل إقحامًا، فتجد بعض الدعاة يذهبون إلى أماكن في البادية في بعض القرى فيريد أن يصب لهم الإسلام في خطبة جمعة واحدة! وما هكذا تعرض المسائل!!»[1].

نعم، ما هكذا تعرض المسائل.

فالداعية ليس محاضرًا أو باحثًا يلقي الضوء على ما استجدَّ من العلوم في أحد المؤتمرات أمام مختصين ويدعم ذلك بالشواهد ثم يمضي في سبيله.. بل الداعية شخص استشعر واجبه نحو دينه الإسلامي؛ ومن هذا المنطلق تحمَّل الصعوبات وآلى على نفسه الاستمرار في مقاومة ما هو مخالف لشرع الله مما ينتشر في تصرفات الناس، فهو حين يحث الناس على أمر معين أو يحذرهم من آخر يستمر في دعوته تلك ويصبر حتى يرى أثر هذه الدعوة مستخدمًا لذلك ما أمكنه من أساليب مناسبة، لكن قلة الصبر هي التي تجعل الداعية يقصر في دعوته.

ونحن إذا نظرنا إلى حكم الدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وجدناه فرض كفاية؛ وبما أن كبرى المدن تذخر بالدعاة ـ والحمد لله ـ فالدعوة إلى الله فيها يعتبر سنة في حق الجميع.

ولكن لننظر إلى القرى البعيدة محورِ حديثنا، فالدعوة فيها تعتبر واجبًا لعدم قيام أحد من سكانها بهذا العمل، ولكننا نسأل: كيف عليهم تأدية هذا الواجب وهم يجهلون أنهم بحاجة إلى دعوة وتصحيح عقيدة؟ إن الواجب هنا يقع على عاتق من يعرف شيئًا عن هذه القرى وحاجتها إلى الدعوة، ولا داعي أن نذكِّر بفضل الدعوة إلى الله؛ لأن الحديث هنا موجه إلى الدعاة الذين هم أعلم من غيرهم بهذا الفضل بدليل قيامهم به.

---

(1) ثلاثون وقفة في فن الدعوة، ص ٤٣.

، إذَنْ: فأين هم من هذه القرى؟ وقد قال ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم»، فكيف بقرية بأكملها؟

وكم من داعية ذهب إلى تلك القرى وما عرف أن الاستجابة له ستكون بهذا القدر؛ حيث نلمس، ومن خلال ما يصلنا من أولئك الدعاة، حبَّ سكان القرى للاستزادة من الخير ومحاولة تصحيح عقيدتهم واحترامهم وتقديرهم للدعاة.

وهذا لا يمنع أن يواجه بعض الدعاة بعض العقبات التي تحتاج إلى كثير من الصبر لتخطيها، ولكن ما يتم من دعوة سكان أهل القرى أو الهجر أو البادية هو جهد فردي من قِبَلِ أحد الدعاة غير مدعوم، ومع ذلك فإنه يستمر في دعوته موجهًا كل إمكانياته في سبيلها، باذلاً من نفسه ومن ماله، ولكنه ما أن يبدأ بوضع بذور الدعوة في النفوس ثم ينتقل إلى المرحلة التالية وهي تدعيم دعوته تلك حتى يواجَه بمشكلة أساس تواجه جميع هذا النوع من الدعاة وهي مشكلة من شأنها أن تثبط همة الداعية وتقعده عن إكمال دعوته (ولعلها كانت الأساس في كتابتي لهذا المقال)، وهي أنه عندما يطلب هذا الداعية من كبار المشائخ والدعاة الذهاب إلى تلك القرى لإلقاء محاضرات ودروس دينية فإنه يواجه برفض من قِبَلهم سواء كان هذا الرفض مباشرًا أو غير مباشر متذرعين بمشاغلهم ورافضين أن يبذلوا هذا الجهد ويتحملوا هذه المشقة في سبيل الله، ومن هنا يتسلل الإحباط إلى نفس الداعية المبتدئ، وتهتز القدوة التي كان يستمد منها دواعي الصبر والقوة في مواجهة المصاعب، كيف لا وهو الذي كرس وقته وجهده وماله لهذه الدعوة زمنًا ليس قصيرًا في حين أن أساتذته وقدواته يرفضون تخصيص بضع ساعات لمساعدته على مواصلة الطريق!

إن المأمول من هؤلاء الدعاة والمشائخ تشجيع الدعاة وتنظيم دعوتهم ودعمها؛ وذلك بجعلها تابعة لهيئة مثل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تأخذ الصفة الرسمية وتستمر؛ لأن الجهد الفردي معرض للانقطاع، أما إذا كانت هناك جهة رسمية مسؤولة عنها فهي تضمن لها الاستمرارية ـ بإذن الله تعالى ـ ونحن نربأ بالدعاة والمشائخ من أن يكون عامل المشقة وبُعد المسافة سببًا في إبعادهم عن المضي في طريق الدعوة إلى الله وهو الطريق الذي اختاروا السير فيه ولا يزالون.



العُجْبُ وخطرهُ على الداعية

(١ من ٢)



بقلم
عبد الحكيم بن محمد بلال

في غمرة انشغال الداعية في أعماله الدعوية، يحصل لديه ـ أحيانًا ـ قصور في تزكية نفسه، ومحاسبتها، وربما تسلل إلى قلبه آفات قادحة في عمله وإخلاصه، مفسدة لقلبه، قد يشعر بها وينشغل عن علاجها، وقد لا يشعر بها أصلاً.

ومن الأمراض السريعة الفتّاكة بالنية: العُجْبُ، وما ينتج عنه من الغرور والكبر.

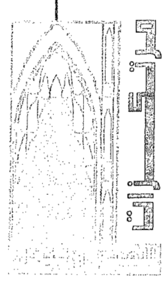
مفهوم العُجب: العُجب هو: الإحساس بالتميُّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، محمودة أو مذمومة[١] وعرفه ابن المبارك بعبارة موجزة فقال: «أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك»[٢].

وإذا تنقص المعجب أعمال الآخرين، أو أعجب بما ليس فيه، واهمًا امتلاكه، فهو الغرور؛ فإذا طال أشخاص الآخرين فهو الكبر.

ويدخل العجب في كل شيء يزهو به الإنسان، وأخطره العجب بالعمل. وهو المقصود هنا.

مداخل العُجب على الدعاة: ومما يُدخل العُجب على الداعية نظره لما منحه الله إياه من بلاغة أو فصاحة وبيان أو سعة في العلم وقوة في الرأي، فإذا انضاف إلى ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه... لم يسلم حينئذٍ إلا القليل[٣].

التحذير من العجب: أمر الله ـ عز وجل ـ نبيه بالإنذار والدعوة، وتعظيم ربه ـ عز وجل ـ وفعل الخير، واجتناب الشر، وهجر الأوثان، ثم قال له بعد ذلك: ﴿وَلَا



(١) انظر آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، ج١، ص ١١٧، وانظر بعدها، فقد استفدت منه في مواضع من هذا الموضوع.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٠٧.

(٣) انظر: عقبات في طريق الدعاة، عبد الله علوان، ١/ ٦٤، ٦٥.

تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، قال الحسن البصري: «لا تمن بعملك على ربك تستكثره»، فإنه مهما كُثرَ العمل ففضل الله أعظم، وحقه أكبر.

وقد نهى الله عن تزكية النفس، بمعنى اعتقاد خيريتها، والتمدُّح بها فقال: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، كما نهى عن المن بالصدقة فقال: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، والمن يحصل نتيجة استعظام الصدقة، واستعظام العمل هو العُجب. والإعجاب بالنفس شر، وأي شر، قال ابن المبارك: «لا أعلم في المصلين شيئًا شرًا من العجب»(١).

ولعل المرء يدافع الرياء ويحس به، بيد أنه لا يشعر بما في داخله من العجب المحبط، ومن أجل ذلك كان مهلكًا بوصف النبي ﷺ حين قال: «ثلاث مهلكات» ثم ذكرهن: «شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»(٢).

وإذا كانت الذنوب مهلكة، فإنها قد تكون رحمة بصاحبها حين تخلصه من العجب الذي هو الهلاك حقًا. قال ﷺ: «لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم أكثر من ذلك: العجب»(٣).

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «الهلاك في شيئين: العجب والقنوط».. «وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير، والقانط لا يطلب، والمعجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى»(٤).

ومما ورد في جزاء المعجبين قوله ﷺ: «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» وفي رواية: «قد أعجبته جمته وبرداه»(٥)، فكيف بمن أُعجبَ بعلمه أو عمله؟!

مظاهر العجب: الله ـ عز وجل ـ أعلم بالإنسان من نفسه، والإنسان أعلم الناس بنفسه فهو أقدرهم على اكتشاف مظاهر العجب في نفسه، كما أن بعضها لا يخفى على الناس، ومنها:

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٤٠٧.
(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع، ح/٣٠٤٥.
(٣) أخرجه ابن عدي ١/١٤٦، وغيره، وحسنه الألباني في الصحيحين، ح/٦٥٨.
(٤) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣٤.
(٥) رواه مسلم، ح/٢٠٨٨، معنى (يتجلجل): يغوص، ومعنى (جمته): ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.

١ ـ المنّ على الله، ومطالبته بما آتى الأولياء، وانتظار الكرامة وإجابة الدعوة[١].

٢ ـ الإكثار من الثناء على النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحًا أو تلميحًا، وقد يكون على هيئة ذم للنفس أو للآخرين، يراد به مدح النفس.

٣ ـ الحرص على تصيّد العيوب وإشاعتها، وذم الآخرين ـ أشخاصًا أو هيئات ـ والفرح بذمهم وعيبهم.

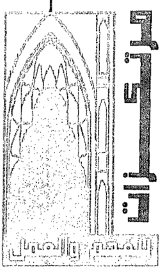
٤ ـ النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبعض الناصحين.

٥ ـ الاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير.

٦ ـ صعوبة المطاوعة، والحرص على التخلص من التبعات والمسئوليات، وتحقيق القناعات الشخصية.

٧ ـ الترفع عن الحضور والمشاركة في بعض الأنشطة العلمية والدعوية، وخصوصًا العامة.

مخاطر العجب وآثاره: للعجب أثره على الدعوة والدعاة[٢]، ولا شك أن آثاره على الدعاة تنعكس على الدعوة أيضًا بالسلب، فمن آثاره على الدعاة:



١ ـ أنه طريق إلى الغرور والكبر، وآثار الكبر المهلكة لا تخفى.

٢ ـ الحرمان من التوفيق والهداية؛ لأن الهداية إنما ينالها من أصلح قلبه وجاهد نفسه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ومن صور هذا الحرمان: نسيان الذنوب واستصغارها، والعمى عن التقصير في الطاعات، والاستبداد بالرأي، والتعصب للباطل، وجحود الحق، وهذه الآثار في الجملة منها ما يقع سببًا للعجب، ثم يزداد ويستمر، ليبقى أثرًا ثابتًا له.

٣ ـ بطلان العمل، قال عز وجل: ﴿ **لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ** ﴾ .

٤ ـ العجز والكسل عن العمل؛ لأن المعجب يظن أنه بلغ المنتهى.

٥ ـ الانهيار في أوقات المحن والشدائد؛ لأن المعجب يهمل نفسه من التزكية، فتخونه حينما يكون أحوج إليها، ويفقد عون الله ومعيته؛ لأنه ما عرف الله حال الرخاء.

وتأمل ما أصاب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ مع إيمانهم وصلاحهم، حين أعجب نفر منهم بكثرة العدد: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة: ٢٥] واليهود

(١) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح، ج١، ص ١٥٨.

(٢) انظر: تهذيب موعظة المؤمنين، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

ـ عليهم لعائن الله ـ: ﴿ ظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ [الحشر: ٢].

٦ ـ نفور الناس وكراهيتهم؛ لأن الله يبغض المعجب.

٧ ـ العقوبة العاجلة أو الآجلة، كما خسف الله بالمتبختر المعجب الأرض.

ومن آثاره على الدعوة: توقفها أو ضعفها وبطؤها بسبب قلة الأنصار؛ نظراً لنفور الناس، وكراهيتهم للمعجبين، وسهولة اختراق صفوف الدعاة وضربها؛ نظراً لانهيار الدعاة المعجبين حال الشدائد.

أسباب العُجب: ذكر العلماء للعجب سببين رئيسين:

أولهما: جهل المعجب بحق ربه وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبده له ـ تعالى ـ بها.

ثانيهما: الغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها.

ويدخل **تحتهما**: تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات.

ومن الأسباب المهمة أيضاً:

أ ـ الجهل بما عند الآخرين من علم أو عمل قد يفوق ما عنده كثيراً.

ب ـ النظر إلى من هو دونه في أمور الدين، دون النظر إلى من فاقه وزاد عليه.

ج ـ النشأة في كنف مربٍ به عُجْب، كثير الثناء على نفسه.

د ـ صحبة بعض أهل العجب، لا سيما إذا كانوا من المبرزين النابهين.

هـ ـ الاعتداد بالنسب، أو المكانة الاجتماعية، أو كثرة المال.

و ـ الإطراء والمدح في الوجه، والإفراط في الاحترام.

ز ـ المبالغة في الانقياد والطاعة، ولو في المعصية.

ح ـ التصدر للناس قبل النضج العلمي والتربوي، تساهلاً، أو تطلعاً لسماع الجماهير، أو مراعاة لظروف الدعوة، لخلو الساحة من المؤهلين تأهيلاً كافياً.

ط ـ تحقيق بعض الدعوات أو الأشخاص نجاحات في الدعوة؛ كالتفاف الجماهير، وسماعهم، وتأثرهم.

علاج العجب: أول ما ينبغي أن يتوجه إليه العلاج: معالجة أسباب العجب، ومجاهدة النفس على اجتنابها ويمكن تفصيل خطوات العلاج فيما يلي:

أولاً: الحرص على العلم الشرعي، الذي يهذب النفوس، ويصلح القلوب، ويزيد **الإيمان**؛ فإن الإيمان الكامل والعجب لا يجتمعان. وتحصيل العلم النافع دليل

على أن الله أراد بعبده خيراً. ومن الجوانب التي ينبغي العلم بها، والعمل بمقتضاها:

١ ـ أسماء الله وصفاته وأفعاله، وحقه في التعظيم المورث للخوف، الذي يطرد العجب قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

٢ ـ تذكُّر فضل الله ـ عز وجل ـ على عبده، ونعمه المتوالية، والنظر في حال من سُلبها؛ فإن الله خلقه من العدم، وجعله إنساناً سوياً، وأمده بالنعم والأرزاق، وجعله من أبوين مسلمين، ووفقه للطاعات، وهيأ له أسباب العلم والدعوة، وهو الذي يثيبه عليها، ويدخله الجنة برحمته. وهو ـ تعالى ـ لو شاء لجعله عدماً أو جماداً، أو بهيمة، ولو شاء لخلقه أصم أبكم أعمى، ولو أراد لجعله من أبوين يهوديين أو نصرانيين، وهو ـ سبحانه ـ في كل نعمه تلك غني عن عبده وعن عبادته وعن طاعته.

٣ ـ افتقار هذه النعم إلى الشكر، وأن العبد مهما شكر فشكره لا يكافئ النعم، مع ما قد يشوبه من خلل.

٤ ـ حقيقة الدنيا والآخرة، وأن الدنيا مزرعة هدف العبد فيها مرضاة الله ـ تعالى ـ وهو ـ عز وجل ـ لا يرضيه العجب، وكذا تذكُّر الموت وما يكون بعده من الأهوال التي لا ينفع فيها إلا صالح العمل، والعجب يجعله هباء منثوراً.

قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضا من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب. فمن فكّر في ذلك صغر عنده عمله»[١].

٥ ـ حقيقة النفس. قال الأحنف بن قيس: «عجبت لمن خرج من مجرى البول مرتين، كيف يتكبر».

٦ ـ إدراك عواقب العجب، وأنه طريق إلى الكبر المهلك.

٧ ـ وجوب الإخلاص، قال الذهبي: «فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء: تحامق واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب»[١].

ثانياً: الحرص على ما يعين على تحصيل ذلك من الإقبال على كتاب الله، واستلهام الفهم منه، ومن سنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالحين، ومجالسة العلماء والدعاة الصادقين، والأخذ من علومهم.

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢.

ثالثاً: دور الدعاة والمربين، والذي يتمثل فيما يلي:

١ ـ محاسبة النفس أولاً، وتنقيتها من داء العجب والفخر.

٢ ـ متابعة البارزين ومن يخشى عليهم العجب، من خلال: أ ـ البرامج الإيمانية.

ب ـ اللقاءات الفردية التي يذكرون فيها بمعاني الإيمان والتواضع.

ج ـ وأحياناً مصارحة الواحد منهم بما يصدر منه، بأسلوب مناسب.

٣ ـ تمكينه من معاشرة ومخالطة الصالحين، ورؤية بعض المتواضعين من إخوانه، الذين هم أكثر بروزاً في المجتمع، وإبعاده وتجنيبه صحبة المعجبين.

٤ ـ التوقف عن إبرازه في المناشط العامة وتأخيره عن المواقع الأمامية، كنوع من العلاج، مع مراعاة ألا ينتج عن ذلك سلبية الإحباط، فإن حدثت فإنه يجب علاجها أيضاً؛ لأن التأخير اجتهاد في العلاج، وقد يكون التشخيص أيضاً مجتهداً فيه.

رابعاً: اتباع الآداب الشرعية في المدح والثناء، والتوقير والاحترام، والطاعة والانقياد.

ـ فالمدح: إذا كان بالحق، وباعتدال، مع من لا تُخشى عليه الفتنة فقط؛ كان جائزاً، أو مستحباً، بحسب المصلحة؛ وإلا فحرام.

ـ والتوقير والاحترام، ينبغي ألا يصل إلى التعظيم؛ ولذا كره ﷺ من أصحابه أن يقوموا له، وأن يعظموه كما يعظم الأعاجم ملوكهم.

ـ وأما الطاعة والانقياد فقد حددها الشارع في المعروف.

خامساً: النظر إلى العاملين النشيطين، والتأمل في سيرهم وحياتهم.

سادساً: التأكيد على المسؤولية الفردية في محاسبة النفس ومتابعتها، حسب خطوات العلاج السابقة كلها، وتفقُّد القلب في نيته عند كل عمل، قال عبيد الله ابن أبي جعفر: «إذا كان المرء يحدِّث في مجلس، فأعجبه الحديث فليمسك، وإذا كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليتحدث»(١)، ولكن يجب التنبه إلى أن هذا يكون في حدود التأديب والعلاج، لا يتعداه إلى ترك العمل خشية العجب أو الرياء.

كما أن المحاسبة قد تتطلب أحياناً تعريض النفس بين الحين والحين لبعض المواقف التي تكبح جماح كبريائها، وتعرفها بمكانتها اللائقة، كخدمة من هو أصغر منه، أو حمل متاعه بنفسه، على نحو ما أُثِرَ عن كثير من السلف. ولا غنى للعبد في كل هذه الوسائل عن الاستعانة بالله تبارك وتعالى، واللجوء إليه، لجوء العبد الضعيف المفتقر إلى عون مولاه ومدده وهداه وتوفيقه.

---

(١) السير، ج٦، ص ١٠.

موقف الإسلام من الشِّعْر

بقلم:

إبراهيم بن سعد الحقيل

كان للعرب قبل الإسلام عاداتٌ يتفاخرون بها، فأقرَّ الإسلامُ منها ما هو حسنٌ كالوفاء والأمانة والصدق وغيرها، ونهى عمَّا هو سيئٌ كشرب الخمر والسَّلب والنهب وغيرها. وكان مما أقره مما يتفاخرون به: الشِّعْرُ. ولكن الإسلام عندما أقرَّهُ وضع لذلك ضوابط تحكمهُ أنْ ينزلق بصاحبه إلى ما هو محرمٌ منه قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

قال ابن كثير في تفسيره: عن ابن عباس: يعني الكفار ـ قصده الشعراء منهم ـ ويتبعهم ضُلاَّلُ الناس والجن؛ وكذا قال مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما، ثم نقل عنه أيضًا: كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قومٍ آخرين وأنَّهما تهاجيا، فكان مع كل واحدٍ منهما غواة قومه، وهم السُّفهاء. فقال ـ تعالى ـ...، وذكر الآيات السابقة.

وفي تفسير الخازن[1]: قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ... واجتمع إليهم غواةُ قومهم يسمعون أشعارهم، ويروون عنهم قولهم؛ فذلك قوله: ﴿ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ فهم الرواة. ا.هـ.

ونقل النسفي[2] في تفسيره عن الزَّجَّاج: أنَّ الغواةَ هم من يروون هذا الشعر وينقلونه. ا.هـ. وقال ابن حجر: قال المُفسّرون في هذه الآية: المرادُ بالشعراءِ شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاةُ الجن، ويروون شعرهم؛ لأنَّ الغاوي لا يتبعه إلاَّ غاوٍ مثله. ا.هـ.



ويُذكر في هذا الباب قوله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «لئِنْ يمتلئ جوفُ رجلٍ قَيْحًا حتى يَرِيَهُ خيرٌ من أنْ يمتلئ شعرًا»[3].

---

(١) م ط، ١٣١٧هـ. (٢) على هامش تفسير الخازن.

(٣) صحيح البخاري ك الأدب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر. وصحيح مسلم ك الشعر.

ولكن العلماء بينوا أنَّ هذا الحديث خاص لمن غلب عليه الشعر؛ ولذلك قال عليه السلام: «يمتلئ» وهي كنايةٌ عن الغلبة، وأنه لا مجال لغيره في قلب الإنسان.

وصدَّر البخاري ترجمته بقوله: باب ما يكره أن يكون الغالبُ على الإنسان الشعر حتى يصُدَّهُ عن ذكر الله والقرآن. ا.هـ.

وقال أبو عُبيد[١]: ولكنَّ وجهَهُ عندي أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغَلَهُ عن القرآن وعن ذكر الله، فيكون الغالب عليه، فأمّا إن كان القرآنُ والعلمُ الغالبين عليه فليس ممتلئًا من الشعر. ا.هـ. وكذا قال القرطبي[٢].

وهما يرُدَّان ما يروى عن عائشة[٣] وما يقوله بعض العلماء أن المقصود بذلك هو الشعر الذي هجي به رسول الله ﷺ.

وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قوله ﷺ: «أصدق كلمة تكلَّمتْ بها العرب كلمة لبيد: ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ»[٤].

وأنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة أمامه ﷺ[٥]. ورُوي أن الأسود بن سريع قال لرسول الله ﷺ: «إني حمدتُ ربي بمحامد مدحٍ وإيّاك. فقال: أما إن ربك يُحب المدح؛ فهات ما امتدحت به ربك ـ عز وجل ـ فأنشده»[٦].

وقد أمر حسان بن ثابت أن يجيب عنه لما هجاه المشركون فقال له[٧]: «يا حسان أجبْ عن رسول الله ﷺ؛ اللهم أيّدهُ بروح القدس» ا.هـ. وقال عليه السلام له: اهْجُهم ـ أو قال هَاجهم وجبريل معك» ا. هـ.

وكما سمع الرسول ﷺ الشعر في مدحه فقد أثاب عليه؛ ومن ذلك ما أثاب به كعب بن زهير، فقال الأحوص يخاطب عمر بن عبد العزيز[٨]:

وقَبْلَكَ ما أعطى هُنيدةَ جلةً ... على الشعر كعبًا من سَديسٍ وبازلِ
رسولُ الإله المُستضاءُ بنورهِ ... عليه السلامُ بالضُّحى والأصائلِ

---

(١) فتح الباري، جـ١٠، ٥٤٩. (٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ٣، ١٥١.

(٣) فتح الباري، جـ١٠ ٥٤٩ وفي رواية للحديث عن عائشة آخرها: هجيت به، قال السبكي عنها: ولكنه لا يكاد يثبت. ا.هـ. طبقات الشافعية الكبرى، جـ١، ٢٢٦.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) السيرة، جـ٤، ١٤٦، الجامع لأحكام القرآن، جـ١٣، ١٥٣.

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح، جـ٢، ٩٤ وقال: رواه أحمد وفيه علي بن زيد مختلف فيه وأكثرهم لينه.

(٧) صحيح البخاري ك الأدب، باب: هجاء المشركين.

(٨) ديوانه صنعة عادل سليمان، ٢٣٠.



وعلى هديه ﷺ سار الصحابة والتابعون والسلف الصالح، فقد قال ابن عبد البر: « ولا ينكرُ الحَسَنَ من الشعر أحدٌ من أهل العلم ولا من أُولي النهى، وليس أحدٌ من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا قد قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه، فرضيه ما كان حكمه مباحًا ولم يكن فيه فحشٌ ولا خنا ولا لمسلمٍ أذى »[١]. ا. هـ.

وقد عرف عن عمر وعائشة وابن عباس ومعاوية ـ رضوان الله عليهم ـ وغيرهم من الصحابة برواية الشعر وإنشاد الحسن منه، بل لعمر آراءٌ نقديةٌ تدور في كتب النقد وعلى ألسنة النقاد.

واشتهر من سلفنا كثيرٌ ممن قالوا الشعر المباح الحسن في جميع أغراضه منهم: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وشريح القاضي، والشافعي، وعبد الله بن المبارك، وابن حزم، وابن القيم، وغيرهم كثير.

كما صنف بعض السلف من الثقات في أخبار الشعراء وأشعارهم كالزبير بن بكار، وابن قتيبة، وأبي عمرو الشيباني، كما كان منهم رواة للشعر: كأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي، والمفضل الضبّي، وغيرهم.

وقد يقول قائل: لو كان في الشعر خيرٌ لكان رسول الله ﷺ شاعرًا. ا.هـ. وقد أجاب ابن رشيق على ذلك فقال[٢]: لو أنَّ كون النبي ﷺ غير شاعر غضٌ من الشعر لكانت أُمِّيّتُهُ غضًّا من الكتابة؛ وهذا أظهر منْ أنْ يخفى على أحد.

ونقل عن سعيد بن المسيب أنه قيل له[٣]: إن قومًا بالعراق يكرهون الشعر. فقال: لقد نسكوا نُسُكًا أعجميًا.

فالشعر الحلال مجاله واسع ورحيب، وكذلك المحرم، وسنعرض الآن لهذين النوعين.

أولاً: الشعر الحلال: فمنه المندوب: وقد نقول إنه الواجب لقوله ﷺ لحسان بن ثابت: « أجب عن رسول الله ﷺ » وهو الرد على من هجا المسلمين وأعلامهم؛ لذلك دأب شعراء المسلمين المخلصون على الرد على هؤلاء الكفرة والزنادقة؛ فقد ناضل حسان، وعبد الله، وكعب عن رسول الله ﷺ، كما رد عبد الله بن المبارك[٤] على عمران بن حطان في مدحه ابن ملجم قاتل علي، ومثله فعل بكر بن حماد[٥]، كما رد ابن حزم[٦] على قصيدة أرسلها ملك الروم في ثلب الإسلام ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام. وهذه أمثلة؛ والاستقصاء عن ذلك طويل.

---

(١) جامع أحكام القرآن، جـ١٣، ١٥١.
(٢) العمدة لابن رشيق، جـ ١، ٧٦.
(٣) السابق، جـ١، ٨٩.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى، جـ ١، ٢٨٧.
(٥) السابق، جـ١، ٢٨٧.
(٦) البداية والنهاية، أحداث ٣٥٢ هـ.

ومن الشعر المندوب: مدح رسول الله ﷺ، وبيان فضائله وخصائصه التي اختُصَّ بها وأخلاقه الحميدة، وذكر صبره وجهاده في سبيل الدعوة. وقد صنف ابن سيد الناس كتابًا سماه: (منح المدح) أو: شعراء الصحابة ممن مدح رسول الله ﷺ أو رثاه. والكتاب مطبوع متداول، ولا يكون مدحه ـ عليه السلام ـ كما مدحه البوصيري وأضرابه حينما جعلوا لرسول الله ﷺ صفات هي لله ـ سبحانه وتعالى ـ فما كان الرسول ليرضى بهذا المدح.

ومن الشعر المندوب: شعر الزهد الذي يحض على التقوى وطاعة الله وحسن الإسلام، ويزهِّد في متاع الدنيا الفاني، ويذكِّر الإنسان بالتوبة والإنابة إلى الله، ويعظهُ بمآله إليه ـ تعالى ـ ويذكره بالحساب والجزاء. وقد قال أكثر الشعراء في هذا الباب؛ فمنهم من كان جُلُّ شعره في ذلك الباب مثل سابق البَرْبَريّ، وأبي العتاهية، وعبد الأعلى الشامي، وغيرهم، ومنهم من تجد الزهد في شعره عرضًا في لحظة توبة وندم ولكنها لا تدوم؛ فنحن نجده في أشعار أبي نواس، ومسلم بن الوليد، والفرزدق، وغيرهم كثير.

ومن الشعر المندوب: شعر الحكمة الذي يحث على الخلق الحسن والفعل الجميل. فهي في الشعر أقرب فهمًا وأكثر تأثيرًا؛ وقد قال عليه السلام: «إنّ من الشعر حكمة». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: فإنّ الأمثال المنظومة إذا كانت حقًا مطابقًا فهي من الشعر الذي هو حكمة، وإن كان فيها تشبيهات وتخييلات عظيمة أفادت تأليفًا وتنفيرًا. ا.هـ.

ومن الشعر الحلال المقبول: الغزل العفيف البريء الذي لا يحرك الشهوات، ولا يدعو إلى الفواحش، ولا يخاطب الغرائز؛ فقد كان لحسان ـ رضي الله عنه ـ غزلٌ أنشده في الإسلام. كما مدح كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ بقصيدته البردة وفيها غزلٌ. قال أبو بكر ابن العربي[2]: وقد أنشد كعب بن زهير النبي ﷺ ... فجاء في هذه القصيدة بكل بديع، والنبي ﷺ يسمع، ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح. ا. هـ.

كما نُقلتْ أشعارٌ لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة تغزل فيها بزوجة طلقها، فندم على طلاقها وهي «عَثْمة» وكذلك شريح القاضي، كما أورد ابن حزم في كتابه: (طوق الحمامة) نماذج من غزله، وكذلك فعل ابن القيم في روضة المحبين.

ومن الشعر المباح المقبول: المدح والرثاء؛ ما لم يجاوز الغاية؛ فقد عرف عن الشعراء التهافت على المدح طلبًا للنوال مما جعلهم يغرقون في لجة الكذب

---

(١) مجموع الفتاوى، جـ٢٨، ٦٥. (٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٣، ١٥٣.

والاختلاق والغلو الذي حدا ببعضهم أن يصل إلى الكفر كقول ابن هانئ[١]:

لا شئتَ لا ما شاءَت الأقدارُ — فاحكمْ فأنت الواحدُ القهَّارُ

ولا عجب أن ذلك الممدوح راقه هذا المدح فهو المعز العُبيدي الباطنيّ. وقد غضب هارون الرشيد على أبي نواس حين قال يمدح الخصيب والي مصر:

فإنْ يكُ باقي سحرِ فرعونَ فيكُمُ — فإنّ عصا موسى بكفِّ خصيبِ

فقال: أنت المستخفُّ بعصا موسى نبي الله! وطرده، ومات الرشيد؛ وأبو نواس ما يزال في السجن عند إبراهيم بن نُهَيْك[٢].

أما الرثاء: فما ينطبق على المدح ينطبق عليه، ولكنا نلاحظ أن الشاعر يكون أقوى شعراً عندما يرثي قريباً له كالأبناء والزوجات والوالديْن والأصدقاء؛ لصدق العاطفة، وكذلك عندما يرثي من أصابه الخيرُ على يديه كمرثية الحسن بن مطير، ومرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة أحد القواد الكرماء. ونجده ضعيفاً عندما يكون كذباً كرثاء الفرزدق[٣] لمحمد بن الحجاج بن يوسف وأخي الحجاج محمد. وغير ذلك كثير.

ومن الشعر المباح المقبول: «الوصف» ما لم يصف ما حرم الله، بل إن بعضه قد يدخل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، عندما يحض الناس وينبههم على حسن صنع الله وإتقانه، وما سخر لبني آدم في الطبيعة؛ وخَسئ الملحد عندما يقول: «صنعتْ الطبيعة، وكونتْ الطبيعة، أو يد الطبيعة».

ثانياً: الشعر المُحرَّم: ومن هذا النوع: الغزل الفاحش الذي يخاطب الغرائز، ويثير الشهوات. قال شيخ الإسلام[٤]: ومن أقوى ما يُهيّج الفاحشة إنشاد أشعار الذين في قلوبهم مرضٌ من العشق ومحبَّة الفواحش. ا.هـ. وقال أيضاً[٥]: ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيرهُ أشكال الشعر الغزلي الرقيق؛ لئلا تتحرك النفوس إلى الفواحش. ا.هـ. فوصف الأجساد وما خفي منها له فعل السحر في النفوس: يحرك الشهوات، ويهوّن اقتراف المحرمات؛ لذلك ضجَّ أهل البصرة ـ يوم كان الخير كثيراً وأهله كُثُراً ـ إلى المهدي في بشار، وقال بعض علمائهم[٦]: ما شيءٌ أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى. ا.هـ. فاستجاب المهدي، وقُتِلَ بشار

(١) ديوانه، ص ١٨٥.
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ ٢، ٨٠٧.
(٣) ديوانه ط دار صادر، جـ ١، ٣٩٧.
(٤) مجموع الفتاوى، جـ ١٥، ٣١٣.
(٥) السابق، جـ ١٥، ٣٣٢.
(٦) والقائلان القاضي سوار ومالك بن دينار، الأغاني، جـ ٣، ٤٠.



تحت السِّياط؛ فلما علم أهل البصرة بذلك هنأ بعضهم بعضًا [١].

ومن الشعر المحرم: «الهجاء» فهو قائم على السبِّ والشتم، ويجب أن نفرق بينه وبين هجاء المشركين والمارقين وكذلك الفساق الظاهر فسقهم، والظالمين المسرفين. وعرف الهجاء منذ نشأة الشعر، واستعمله المشركون سلاحًا، فراحوا يهجون رسول الله ﷺ، فأهدر دماء بعضهم وكالجاريتين اللتين كانتا تغنيان بما يُهجا[٢] به رسول الله ﷺ، وأهدر دم كعب بن زهير[٣] لما هجاه.

وقد تعامل الخلفاء الراشدون مع الهجَّائين بحزم؛ فقد سجن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الحطيئة[٤] ولم يطلقه حتى تعهد بترك الهجاء؛ كذلك سجن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الحارثَ بن ضابئ[٥] حينما هَجا قومًا ورمى أمهم بكلب، فاستُشهدَ عثمان ـ رضي الله عنه ـ والحارث ما يزال في السجن. كذلك سجن معاوية بن أبي سفيان يزيد بن مفرغ الحميري[٦] حين أسرف في هجاء عبيد الله بن زياد وإخوانه.

ومن الشعر المحرم: التفاخر بالمعاصي وفعلها: كمدح الخمر وفعلها في العقول مما يدعو إلى احتسائها ظنًّا بصدق قول الشاعر، وغفلةً عن قول الله ـ تعالى ـ وقول رسوله ﷺ. وكان ذلك قليلاً في عصر صدر الإسلام وعصر بني أُمية؛ والأبرز في ذلك الأخطل؛ ولكنه كان نصرانيًا. وشاع ذلك وعرف في عصر بني عباس، فظهر بشار، وابن هَرْمة، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس، وغيرهم. وسار كثير على منوالهم؛ وإن كان بعضهم لم يشربها، ولكنه قال ذلك مجاراةً لمن قبله؛ فبئس المجاراة وكذلك التفاخر بالعُهْر والزِّنى، وكان القائدَ في ذلك امرؤ القيس في الجاهلية، وبعده الأعشى، ثم تبعهم الفرزدق حتى كاد أن يَحدَّهُ سليمان بن عبد الملك لولا أن قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ درأ عنه الحد[٧] ثم كثر ذلك في عصر بني العباس. وهو شعر ساقط يصور الزنا بطولةً وشجاعةً وهيهات ذلك! وهو كثير في عصرنا هذا، وما قصيدة انتشرت في قطر عربي كبير سمتها شاعرتها: «ليلة الدخلة» بغائبة عن أذهان كثيرٍ من الشبان والشابات وكذلك أشعار نزار قباني وغيره ممن كان ذلك نهجه.

ومن الشعر المحرم: «المدح» إذا تجاوز الحد؛ فالشعراء أسرفوا في ذلك حتى جعلوا

---

(١) السابق، جـ٣، ٤٠. (٢) السيرة، جـ٤، ١٤٤. (٣) السابق، جـ٤، ١٤٤.
(٤) الشعر والشعراء، جـ١، ٣٢٨، وطبقات فحول الشعراء، جـ١، ١١٦.
(٥) الشعر والشعراء، جـ١، ٣٥٠، وتاريخ الطبري، أحداث ٣٥ هـ.
(٦) الأغاني، جـ١٧، ٥٦. (٧) الشعر والشعراء، جـ١، ٤٧٨ / ٤٧٩.



الجبان شجاعًا، والبخيل سخيًّا، والعاهر شريفًا، إلى غير ذلك من الكذب والاختلاق الذي هو شهادة زور.

ومن الشعر المحرم: بعض «الاقتباس» عندما يعمد بعض الجهال من الشعراء إلى آية كريمة أو حديث شريف، فيضعونها في موضع الغزل أو الهجو، أو العبث والهزل. قال ابن حجة الحموي[1]: والاقتباس على ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود. فالأول: ما كان في الخطب، والمواعظ، والعهود، ومدح النبي ﷺ ونحو ذلك. والثاني: ما كان في الغزل، والرسائل، والقصص. والثالث: على ضربين: أحدهما: ما نسبَهُ الله ـ تعالى ـ إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه. والآخر: آية كريمة في معنى هزل نعوذ بالله. ومن ذلك قول القائل:

أوْحـى إلى عشـاقِ طرفـه ... هَيْهات هيهات لما توعدونْ

وردفه ينطـق مـن خلفه ... لمثل ذا فليعمل العاملـونْ

وفي رأيي أن القسم الثاني عند الحموي لا يليق أن يكون من القرآن ولو اقتباسًا ممتزجًا بالغزل وينبغي إسقاطه. أما الرسائل والقصص الجادة فلعلها كما قال. ونقرأ لهذا الشاعر الظالم لنفسه وهو محمد بن علي البغدادي[2]:

في جيوش أَمامهُنَّ أبو أحمد ... نعـم المولى ونعـم النصيرْ

وقد جمع أرطأة بن سُهَيَّة أبواب الشعر الحرام فقال وقد سأله عبد الملك بن مروان: هل تقول الشعر؟ فقال: ما أشـرب، ولا أطـرب، ولا أغضب[3]. ا.هـ. لا يشرب ليفاخر ويهجو، ولا يطرب ليتغزل، ولا يغضب ليهجو.

أما الشعر الذي أطلَّ علينا برأسه وسموه بأسماء مختلفة[4] فما ينطبقُ على الشعر القديم ينطبق عليه، حاشا الشعر الرمزي الذي أصْبحَ طلاسم تحمل إيهامًا يحتمل كثيرًا من التفاسير والتأويلات، وقد أصبح مطية لأهل المذاهب الهدامة والأفكار المنحرفة؛ لسهولة الهرب من إقراراته التي ينشرها الشاعر في ثناياه؛ لأنه يحتمل كثيرًا من التفسير والتأويل. ولعل أحد المختصين بهذا النوع من الشعر يتحفنا ويفيدنا.



(١) خزانة الأدب، ص ٤٤٣. (٢) الاقتباس من القرآن الكريم، جـ ١، ٥٨.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة، جـ ٢، ٢٠٠.

(٤) يسميه البعض قصيدة النثر ويسمونه أيضًا الشعر الحر؛ وكان الشعر رقيقًا فاعتق؛ وأول من استورده شعراء تمذهبوا بمذاهب هدامة، وما زال يمتطيه كثير منهم، وقد زاول بعض الشعراء الإسلاميين والمتزينين كتابة هذا النوع الطارئ مما يسمونه شعرًا!

السلاح المباح

صُدِّي اليهودَ بجيِّدِ الأشعارِ ـ يا أمتي ـ والنَّايِ والقيثارِ

وتقدمي بنجومِ فَنٍّ أُعْتِدَتْ لجحافلِ الرهبانِ والأحبارِ

فالنصرُ مكتوبٌ ولو طال المدى للمسلمين على قوى الكفارِ

سنحرر الأقصى بغير إراقةٍ لدمٍ ولا إطلاقِ طلقةِ نارِ

وقعُ الكلامِ على اليهود أشد مِنْ وقعِ الحسامِ الصارمِ البتارِ

فَلْتَبْنِ إسرائيل ألفَ مفاعلٍ ولتملأِ الأجواءَ بالأقمارِ

فالمعجم العربيُّ بات مُدجّجًا بالشجبِ والتنديدِ والإنكارِ

شعر:

د. محمد بن ظافر الشهري

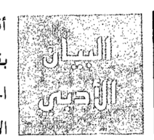
بين الشكل والمضمون

بقلم :
حفيظ بن عجب آل حفيظ

بينما كنت أقلب النظرات وأجيلها في إحدى المكتبات باحثًا عن كتاب أجد فيه ما يشفي « غليلي » ويروي عطشي، ونهمي، لمحت عيناي كتابًا يشع غلافه لمعانًا وبهاءً، والألوان التي تحلّيه لا أروع منها، ولا أحسن من تناسقها وتناسبها، وتوزيعها.

وبينما كنت في هذه الحالة من الإعجاب والذهول الممزوجين بالفرح... امتدت يمناي إليه... حملته بين ذراعي كطفل جميل أردت مداعبته أو تقبيله، وحرصت وتحرزت أشد الحرص، أن لا يقع من يدي فيصيبه مكروه أو أذى فأندم، وفي هذه اللحظات التي كنت أتأمل فيها الغلاف أخذت الأماني، والخواطر، والأفكار... طريقها إلى عقلي... كانت كثيرة ومتتالية: أولها: ماذا بعد الغلاف؟ وثانيها: إذا كان الغلاف هكذا، فما بالك بالداخل؟ وثالثها: لا بد أنه يحوي روائع لا مثيل لها ودررًا لا يشابهها درر.

اقتحمتُ هذه الخواطر قاطعًا لها، وطويت الغلاف لأرى ما بعده؛ لكي أقرأه وأعب من معينه، وأستفيد من معانيه ومضامينه؛ ولكنني فوجئت بقصيدة « نبطية » أو « شعبية » على الأصح!! هزيلة المعنى والمبنى، متهالكة الجوانب ليس فيها من الشعر إلا الشكل.. فقلت في نفسي عند ذلك: لعلها الأولى، وقد يكون ما بعدها أجمل وأروع، وإنما هذه مداعبة من صاحب



(الديوان)!!؟ وأخذت يدي تسابق نظري في طي الصفحات واحدة بعد أخرى... وفي كل صفحة كان وقع المصيبة عليّ أشد وأنكى، وانتهت صفحات الديوان ـ ولا ديوان!! ـ دون أن أجد ما يشفع في طبع هذه الخزعبلات الرديئة المتردية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فأعدته إلى مكانه (المرموق) في أحد رفوف المكتبة وأنا حزين لما رأيت.

وحينما هممت بالخروج دون أن أجد بغيتي لمحت خلف الأدراج كتابًا صغير الحجم مُلقًى على الأرض كأن أهل المكتبة لا يرونه أو أنهم لا يعدونه كتابًا أصلاً فرفعته على عجل؛ فإذا البون شاسع بينه وبين الكتاب الذي صفعني قبله؟! لقد كان ورقه رقيقًا سيئًا يكاد أن يتمزق كلما أردت أن أطوي إحدى صفحاته لأنظر ما بعدها. لقد أصبحت في هذه المرة أطوي الأوراق بتمهل مخافة إيذائها حتى وقفت على منتصف الديوان، وأنا في كل قصيدة أقرؤها أقول: هذه أروع، وأجمل ما في الديوان بلا شك، ولكنني أفاجأ بأن التي بعدها أجمل، وأروع، وأحلى.

فأخذت الخواطر، والأفكار والأوهام طريقها مرة أخرى إلى عقلي، ولكنها في هذه المرة غير التي قبلها، ومختلفة عنها: لماذا يكون مثل هذا الديوان الرائع على هذه الحالة السيئة، وذاك على ما رأيت من فرط الاحتفاء به؟ لماذا لا يُلتفت إلى هذا الديوان الجيد وكأنه من سقط المتاع، وذاك في أعز مكان؟! لماذا لماذا لماذا؟

وبينما أنا في فرحي بالديوان (الحزين) ودهشتي، وعجبي، واستغرابي من حال أهل المكتبة معه، إذا بصاحب المكتبة يقول: لقد حان وقت إغلاق المكتبة، فخرجت من المكتبة بعد أن دفعت السعر الزهيد لهذا الديوان الثمين وأنا أحس أن في يدي كنزًا لا يعرف قدره إلا من قدَّم المضمونَ على الشكل، ورأى أن المظهر لا يفصح عن المخبر في هذا الزمان!!

«لقد كان الأول من دواوين الشعر الشعبي الهذيل، أما الثاني فمن روائع الشعر العربي الفصيح».

وصار الذل خِلاً

قوافل العزّ تاهت عن روابينا — وأنجمُ المجد غارت عن ليالينا

وصافحتنا يد الإذلال معلنةً — بأنها اليوم قد حلّت بوادينا

يا ويح يَعْرُبَ إن الذلَّ عانقنا — قد صار خِلاً نُرَضِّيه ويُرضينا

يا ليت شعري وباب العزِّ نغلقه — من أي بابٍ بروقُ النصر تأتينا؟

تموت أمجادنا والذل يقتلنا — فإننا اليوم نرثيها وترثينا

أتهدم المجدَ أيدينا محطِّمةً — وما بنته لنا إلا أيادينا؟!

أقول للقوم إشفاقًا وتعزيةً: — موتوا فليس حياة اليوم تحيينا

أنرتضي العيش والإسلام في قفص — تنمى له تهم الإرهاب توهينا؟

وكيف نُمضي نهارَ العمرِ في لعبٍ — والدين تغتاله سبعون سكينا؟

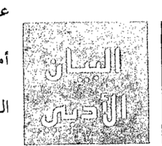
وكم لنا من بلاد تشتكي وهنًا — نصد عنها كأن ليست تنادينا؟

أما ينادي بنو البلقان في وهجٍ — من اللظى حين ذاقوا العسف والهونا؟

عدوهم دونهم يفني ألوفَهُمُ — ونحن في صمتنا نفني الملايينا

أما اشتكت دارة الشيشان غائلها — ونحن من بعدها بتنا مغنينا؟

العزف يطربنا والقصف يرهبهم — لا الجرح يدمي ولا الآهات تبكينا



شعر: عبد العزيز بن عبد الله العزاز

أما شكا إخوة الصومال بأسهمُ؟ فالفقر يهلكهم والمال يطغينا

البرد يجلدهم، والحر يسلخهم ولم تزل عنهم الأوهام تثنينا

أما سمعنا منادي الشرق منتحبًا يقول: يا قومُ من ينجي الفلبينا؟

أليست القدس قد أنَّت مدويةً أثَمَّ ذو هِمَمٍ يفدي فلسطينا؟

يهود عاثوا فسادًا في مرابعها ودنّسوا أرضها الغراءَ توطينا

تلكم مآسٍ وآلامٌ مبرِّحةٌ فمن لنا في مآسينا يواسينا؟

ما بالنا نغمض الأجفانَ في دعة ونحن كنا ذوي عزم أبيينا؟

كنا إذا ما دعا داعي الجهاد بنا رأيت أفواجَنا جمعًا ملبينا

بالبيض لامعةً، بالخيل صاهلةً ليلاً وهاجرةً لله ساعينا

كانت تدين لنا الغبراءُ قاطبةً الروم والفرس بالأموال تجزينا

كنا الأساطينَ نَسقي العينَ صافيةً واليومَ نُسقى بأكوابِ الأسى طينا

ليس العجيبُ بأن نشري مذلتنا وإنما العُجْبُ أن الذلَّ يشرينا!

فما لنا ننثني للغرب نطلبه معزةً، وهدى الإسلام يغنينا؟

أنطلب العز من علجٍ وطاغيةٍ؟ ما العزُّ حقًا سوى أن نحفظ الدينا

تمسكوا بكتاب الله واعتصموا فهو المُعزُّ وللأمجاد يُعْلينا

يا أمتي ربما تخبو منائرنا لكنَّ نورَ الهدى لا ينطفي فينا

الأحكام الشرعية

لمسلمي البلاد غير الإسلامية



أحمد سعيد البناكوشي

رسائل جامعية

هذه رسالة غير مطبوعة حتى الآن تقدم بها الباحث خالد محمد عبد القادر بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ببيروت سنة ١٤١٥هـ، ومنح على أثرها درجة الماجستير بتقدير ممتاز.

ولا يخفى على القارئ أهمية هذا الموضوع وعظم الحاجة إلى بحثه؛ فإن الجاليات الإسلامية في ديار الكفار في أمسّ الحاجة إلى التفقه في دين الله ـ تعالى ـ، والعلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بهم في تلك الديار، سواءً كانت في العبادات أو المعاملات؛ خاصة أن تلك الجاليات تعايش كمًا ضخمًا من النوازل والمستجدات التي تنتظر تحقيقًا من علماء الشريعة، وجوابًا كافيًا شافيًا يجمع بين توصيف دقيق لهذه النوازل وتطبيق الحكم الشرعي الملائم لها.

وقد بذل الباحث جهداً ضخمًا، واجتهد في جمع هذه المسائل وتحقيقها، واستغرق في إعداد هذا البحث أربع سنوات، وبلغت صفحات الرسالة ستمئة وسبع عشرة صفحة تتكون من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

ففي المقدمة: تحدث الباحث عن أهمية هذا الموضوع، وتضمن التمهيد جملة من القواعد الفقهية التي يكثر إيرادها في البحث، وأما فصول الرسالة، فإن كل فصل يتضمن مباحث ثم مطالب ثم فروعًا، وسنعرض لأهم المسائل التي أعدها الكاتب.

في الفصل الأول تحدث عن العلاقات الدولية؛ ومن أهم مسائل هذا الفصل: هل تعتبر علمانية الحكومات اليهودية والنصرانية اليوم مخرجة لها عن كونها كتابية؟

ـ تعريف دار الكفر ودار الإسلام.

ـ حكم الإسلام في التزام الدول المسلمة بميثاق هيئة الأمم.

وفي الفصل الثاني: تحدث الكاتب عن العلاقة بين العبد وربه، ومن أهم مسائل هذا الفصل:

- هل يمكّن الكافر من مس المصحف والقراءة فيه؟
- ضبط الصلاة في البلاد غير المعتدلة التي لا شهور فيها ولا أيام معتدلة كالقطبين وما في حكمها.
- الجمع بين الصلاتين للحاجة ورفع المشقة.
- خطبة الجمعة بغير العربية.
- هل يصح الدفن في التابوت؟
- بعض أحكام الميت الكافر.
- حكم دفع الزكاة للمؤلفة قلوبهم من الكفار.
- وحكم إعطاء الزكاة للجمعيات والمراكز الإسلامية.
- مسألة الاعتماد على الحساب الفلكي في الصيام، واختلاف المطالع.
- مسألة صيام أهل القطبين ومن يطول نهارهم جداً.
- حكم بيع المسجد.
- هل يصح دخول الكافر المسجد؟

وأما عنوان الفصل الثالث والأخير فهو: العلاقات الاجتماعية بين المسلم ومخالفيه. وساق الباحث فيه مسائل كثيرة ومهمة، ومن أبرزها ما يلي:

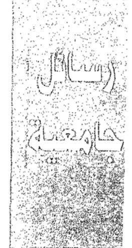
- حكم الزواج في دار الكفر.
- هل الأنكحة الفاسدة والباطلة وما فيها شبهة تثبت حرمة المصاهرة؟
- حكم نكاح الزانية وإنكاح الزاني وحكم العقد.
- حكم نكاح الكتابية في دار الكفر.
- مسألة النكاح بلا ولي، وكون ولي المسلمة كافراً.
- حكم النكاح المؤقت نيةً دون إظهاره.
- إسلام الزوجين أو أحدهما وأثره في النكاح.
- هل تثبت الحضانة للأم الكافرة؟
- ذبائح أهل الكتاب.
- حكم بيع ما يكثر التعامل به في دار الكفر مما فيه شبهة كالكلب والقط والقرد.
- حكم استئجار الكافر للمسلم.
- حكم استئجار الكافر لتعليم أولاد المسلمين.
- حكم استئجار الكافر لبناء المساجد.
- حكم الاستقراض والاستعارة من الكفار.
- حكم السلام على الكفار ومصافحتهم.
- حكم شهود أعيادهم.
- حكم الإهداء إليهم وقبول هديتهم.
- حكم إقامة المسلم مع أسرة كافرة.
- مسألة مباهلة الكافرين.
- مسألة التجنس بجنسية دولة كافرة.
- حكم تولي الوظائف في حكومات دار الكفر.
- مسألة: هل يصح أن ينتخب المسلمون رجلاً غير مسلم ليطالب لهم

بحقوقهم في مجلس النواب؟

ـ حكم الالتحاق في المؤسسة العسكرية لدار الكفر.

وأما عن تقويم هذه الرسالة، فمن خلال قراءتها فهي رسالة جيدة في بابها، ومتميزة في قضاياها التي عالجتها وكانت محور موضوعها بما عمت به البلوى لدى كثير من المسلمين، ويتميّز كاتبها بالوعي والواقعية تجاه نوازل ومستجدات العالم الإسلامي ودول الكفر، كما في تحريره لمسألة الهجرة من دار الكفر، وحكم الإسلام بالتزام الدول المسلمة بميثاق هيئة الأمم المتحدة. كما يظهر ـ في ثنايا البحث ـ غيرة الباحث على دينه واهتمامه بأحوال المسلمين. كما كان المؤلف حريصًا على ترجيح المسائل بأدلتها مع الوقوف على ثبوتها وصحتها.

ومن مزايا الرسالة: إعطاء خلاصة لمباحث ومطالب كل فصل من فصول الرسالة، وكذلك: جودة تحريره لبعض المسائل واستيفاء أدلتها كما في مسألة طهارة الكلب، ومسألة ضبط الصلاة في البلاد غير المعتدلة التي لا شهور فيها ولا أيام معتدلة كالقطبين وما في حكمها.



ومن إيجابيات الرسالة: أن الباحث التقى بعض الفقهاء المعاصرين وسطّر جملة من آرائهم وفتاويهم.

ونظرًا لكثرة مباحث الرسالة، وطولها، وتشعبها؛ فإن الباحث قد وقع في جملة من المآخذ والسلبيات، ولو أن الباحث ـ وفقه الله ـ، اقتصر على أحد الفصول الثلاثة واجتهد في تحرير مسألة وتحقيقها لكان أوْلى وأسلم؛ فإن طول وتعدد مسائل البحث جعلت الكاتب يقصّر في تحرير وتأصيل كثير من مسائل النوازل، كما جعلت البحث ضعيفًا في عرض بعض المسائل وتحقيقها.

ومن سلبيات الرسالة تعويله ـ في بعض الأحايين ـ على مراجع غير أصيلة ولا موثقة مثل كتب الثقافة الإسلامية، والكتب الدراسية، والصحف والمجلات غير العلمية.

ومن المآخذ أن ثمة ضعفًا في تخريج الأحاديث فهو يعزوها في غالب الأحيان إلى سبل السلام للصنعاني أو نيل الأوطار للشوكاني، إضافة إلى ضعف ظاهر في توثيق الآثار؛ فقد يعزو بعض أقوال السلف إلى بعض كتب المتأخرين أو المعاصرين.

ومن المآخذ المهمة أن الباحث لم يذكر مسلكًا منضبطًا ومنهجًا محددًا في تعامله مع كتب الفقه والشروح الحديثية ونحوها؛ ولذا فإنك تجد إحالات كثيرة ـ من هذه الرسالة ـ لكتب متباينة: من فقه، وحديث، وتفسير، وفكر إسلامي!! ولكتّاب متباينين في الاهتمامات والفنون والزمان والمكان.

ومن سلبيات البحث: تعويله في أكثر لقاءاته ـ على فقهاء معاصرين ذوي مسلك

متقارب تجاه النوازل ـ كالدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور وهبة الزحيلي.

ومن أهم المآخذ العلمية الواردة في ثنايا الرسالة: أن الباحث ـ هدانا الله وإياه ـ يميل إلى القول بأن الجهاد دفاعي، مع أن الباحث قد قال ـ في مقدمة الرسالة ـ: «لم أتأثر بالفقهاء التبريريين المعاصرين» وهذا ما وقع فيه كثير من المعاصرين.

ـ وكذا كلامه في مسألة تحكيم الشريعة وما يناقضها ـ في الفصل الأول والثالث ـ يحتاج إلى مزيد تحرير وتفصيل؛ فكلامه غير منضبط.

ـ اضطراب الكاتب عندما جعل ديار المسلمين دار فسق، وهذا ينافي ما رجحه في تعريف دار الكفر.

ـ في مسألة التجنس بجنسية دولة كافرة.. ادّعى الباحث التسوية بين التجنس بجنسيتهم وبين الإقامة في بلادهم، وتساهل في هذه المسألة، وليت الباحث اطلع على ما كتبه د. الشاذلي النيفر في هذا الموضوع، وفتاوى محمد رشيد رضا، والأزهر ـ زمن الشيخ علي محفوظ والدجوي ـ واللجنة الدائمة للفتيا بالسعودية.

ـ عرّف الموالاة للكفار بتعريف غير دقيق وفيه قصور، ولو التزم الباحث بالعبارات الشرعية لكان أوْلى.

ـ زعم المؤلف أن الموالاة المنهي عنها للكفار لا تخرج من ضمن حلقة التحالف والتآزر والتناصر، وأن الموالاة المنهي عنها إنما هي للكفار المحاربين، فلا حرج في موالاة ما عداهم مما لا يضر بالمسلمين، وهذا فيه نظر ويحتاج إلى مزيد من البحث والتأصيل، ولعل في الرجوع إلى بعض دراسات علماء السلف في هذا الباب ما يزيل بعض الشبه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهناك رسالتان علميتان منشورتان عن الموضوع عالجتاه بموضوعية ووعي هما:

ـ الولاء والبراء في الإسلام د/ محمد سعيد القحطاني.

ـ الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية للأستاذ/ محماس الجلعود.

وقبلهما كتب الشيخ سعد بن عتيق كتابه (النجاة والفكاك ـ عن موالاة أهل الإشراك).

ولعل من أهم أسباب اللبس عند الكاتب في هذه المسألة عدم تفريقه بين الموالاة المحرمة للكفار، وبين البر والإقساط إليهم إن لم يكونوا محاربين؛ وهذه مسألة مهمة في هذا الباب يلزم تأصيل الحكم الشرعي حيالها.

ـ وفي ختام هذه السطور نشكر للمؤلف جهده وجلده في بحث هذا الموضوع، ونأمل منه المبادرة إلى طبع هذه الرسالة ونشرها بعد مراجعتها وتنقيحها مما أشرنا إليه من بعض الملحوظات عليها والتي لا تغض من قيمتها العلمية ومن الجهد الكبير الذي بذل فيها.

الجزائر بين المد والجزر

التفسير لما يحدث من مآسٍ هناك

سيذكر التاريخ أن السنوات العشر الأولى من القرن الخامس عشر الهجري (التي توافق عقد الثمانينات الميلادي) قد شهدت صحوة إسلامية عارمة في شتى بقاع العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، عربًا وعجمًا.

وسيذكر التاريخ أن عقداً جاء بعدُ هو (التسعينات)، شهد وما يزال يشهد محاولات محمومة، ومؤامرات مشؤومة لخنق هذه الصحوة قبل أن تتحول إلى نهضة.

وسيشهد التاريخ على عشرات الأمثلة الدالة على صدق توجه الأمة نحو الإسلام خلال هذه السنوات، وسيشهد على خبث وحقد من تصدوا لها وأرادوا تحويل تلك الصحوة إلى غفوة أو إلى كبوة.. وربما صعقة لا إفاقة بعدها.. ولا زلت أرى في الجزائر تلخيصًا واضحًا لهذه القصة ـ كما ذكرت في مقال سابق ـ ولا زلت أرى الأحداث تحكي من هناك في وضوح وسفور... ما قد تغطيه في أماكن أخرى الحجب والستور.

وقد بدا واضحًا أن هناك اصطراعًا في الجزائر ـ وغيرها ـ بين القوى المناوئة للدين، في كيفية التصدي له عمليًا، بعد أن اتفق أكثرهم على رفض طروحاته الإصلاحية نظريًا. وهذه بعض معالم ذلك الاصطراع:

١ ـ لا تجادل القوى المناوئة للدين في أن الأمة لا تزال تحمل حنينًا له وشوقًا للعودة إليه.

٢ ـ يسلِّم هؤلاء بأن الإسلام لا يزال يملك إمكانية هائلة للانتشار في قطاعات الأمة.

٣ ـ اكتشف هؤلاء ـ على عكس ما كان شائعًا بينهم ـ أن الإسلام تكمن فيه عناصر القوة التي تمكِّن أتباعه ودعاته من التواؤم والتلاؤم مع روح العصر بما يكشف عجز البدائل المطروحة، كما فوجئوا بقدرة هؤلاء على تجييش الجماهير تحت راية هذا الدين.

٤ ـ توصل هؤلاء إلى أن الاكتفاء بموقف المراقب والمشاهد الصامت لما يجري سوف يسحب البساط من تحت أرجلهم بمرور الأيام والأعوام.

مسلمون



لعالم



عبد العزيز كامل

٥ ـ ظهر لديهم أن الحل العملي يكمن في شل قدرات حَمَلَة هذا الدين عن التحرك به، وكف أيديهم عن البناء له والعمل من أجله. كما يكمن في تحويل أنظارهم عن الاهتمام بقضاياه إلى الانشغال بأنفسهم، إضافة إلى التشويه الدائم لأقوالهم وأعمالهم.

ويمكنني أن أقول: إن الفقرة الأخيرة بالذات، تمثل (استراتيجية) شبه مشتركة في إدارتهم للصراع، أما (التكتيك)، فتختلف فيه (الاجتهادات) إلى اتجاهين أو مدرستين:

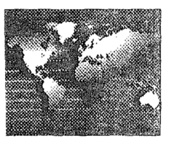
الأولى: وأستأذن القارئ في أن أطلق عليها: (مدرسة أبي جهل) وهي تستصحب روح جهالته وعناده وكبره وغلظته في محاربة دعوة الحق في مهدها، ومحاولة اقتلاعها من الجذور.

وقد رأينا هذه الروح تفوح روائحها من عناوين دعوات طرحت هنا وهناك من قبيل: (الاستئصال) (تجفيف المنابع) (المواجهة الشاملة) (معركة الحسم)...إلخ.

الثانية: وأُطلقُ عليها: (مدرسة ابن سلول)، وهي تستلهم روح مكره، وخبثه ودهائه وانتهازيته، وباطنيته في العداء، وظاهريته في الإخاء.. وأدبيات هذه المدرسة تحوم حول: المقايضة.. المفاوضة.. الالتواء.. الاحتواء.. شق الصفوف.. كسب الخصوم أو تذويبهم أو تمييعهم أو... حرقهم.

وإذا عدنا إلى الجزائر.. وجدنا هاتين المدرستين تعملان جنبًا إلى جنب، تختلفان أحيانًا... تتنافسان أحيانًا... تتصارعان أحيانًا، ولكنهما لا تتخليان أبدًا عن الاتفاق عندما يكون العدو المشترك هو: (الإسلاميون)!

ولم يعد وجود هاتين المدرستين أو هذين التيارين داخل السلطة سرًا، فهما يعلنان عن نفسيهما، وتتحدث عنهما ممارساتهما، ولا غنى لمن يريد أن يفهم ما



يدور في الجزائر من استيعاب حقيقة التيارين ودورهما في صنع الأحداث هناك. فأحدهما يهدف إلى (تفتيت) العمل الإسلامي بقوة السلاح، والآخر يعمل على (تفكيك) هذا العمل سلمياً.

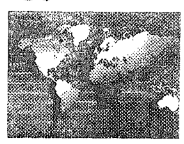
التيار الأول: التيار الاستئصالي:

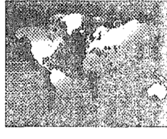
وهدفه المعلن هو: استئصال شجرة العمل الإسلامي في الجزائر من جذورها، وما أقبح هذا الدور! وما أسوأ هذا الوصف الذي ارتضوه لأنفسهم: الاستئصال! وكأن الإسلام في الجزائر أصبح ورماً خبيثاً يريدون استئصاله من جسد الشعب الجزائري. وأبرز رموز هذا التيار: رئيس هيئة الأركان (الجنرال محمد العماري)، ورئيس جهاز الأمن العسكري (اللواء محمد مديان)، ورئيس جهاز الأمن الداخلي ـ مكافحة الإرهاب ـ (الجنرال إسماعيل العماري).

ويعتبر الكثير من المراقبين هذا التيار مسؤولاً عن الجانب الأكبر لما حل بالجزائر من نكبات، بدءاً من إلغاء نتائج الانتخابات التي فازت فيها جبهة الإنقاذ على يد وزير الدفاع الأسبق (خالد نزار) بعد الإطاحة بالرئيس الأسبق (الشاذلي بن جديد)، ومروراً باعتقال قادة جبهة الإنقاذ، وما تلا ذلك من تفجر الصراع على الساحة الجزائرية، وانتهاءً بـ (لغز) المذابح الجماعية للمدنيين العزل، هذا اللغز الذي لن تفك رموزه إلا إذا فُهم جيداً دور الاستئصاليين فيه.

إن هذا التيار الذي يمثل الغلو والتطرف بل (التشرد) العلماني، مصمم على أن يستغل كل شيء في محاربة الإسلام في الجزائر، ولو كان هذا الشيء هو الإسلام نفسه!! فكيف يكون ذلك؟

وجد هذا التيار ضالته في جماعات الغلو الإسلامية المسلحة التي حملت السلاح قبل أن تحمل المنهج، فعمدت إلى اختراقها، وإدخال عناصر من المخابرات داخل صفوفها، واتخذت من بعض رموزها قفازات تقتل بها وتسفك الدماء وتنشر الفساد. وأخيراً اتضح أنها ـ أعني عناصر المخابرات ـ دخلت إلى الساحة مباشرة لتنشر الدمار والخراب تحت صيحات: الله أكبر!! وأنا لا أرى أية صعوبة في تصور أناس من المنافقين أو المرتدين أعداء هذا الدين، يُقْدِمون على إطلاق اللحى وارتداء الجلابيب، وربما العمائم أيضاً، للكيد لهذا الدين باسمه، ولا أستبعد بعد ذلك أن يُخدع الكثير من البسطاء أو المرضى أو الحمقى بنفاقهم وينضوون تحت لوائهم..





قد حدث هذا كثيراً في التاريخ الإسلامي.. ولهذا كثر تحذير الإسلام من النفاق، اعتبر عداء المنافقين هو العداء الأول للإسلام وأهله كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]، فمصيبتنا فيهم، أن فينا من يُخدعون بهم، ومنا من يقفون معهم، والأمر كما قال الله: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧].

أما الإسلام الصحيح، فلسنا في حاجة أن ندفع تهمة قتل الأبرياء عن دين جاء في كتابه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، ويقول رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»(١) إنه الدين الذي يربي في أتباعه روح المسؤولية بل الحساسية تجاه الظلم خشية أن يقع على أي مخلوق بغير جريرة، ولو كان هذا المخلوق.. نملة!

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨]، فإنهم لو شعروا بالنمل لامتنعوا عن وطئه وتحطيمه.

أيقال بعد هذا أن إنساناً يُنسب لهذا المنهج أو يمثله، يمكن أن يُقدم على هذه الجرائم البشعة التي سمعنا عنها بحق الأطفال والنساء والرجال؟!

أقول: لا ينبغي للمسلمين أن يشعروا بالحرج والضيق كلما رأوا الإعلام الخبيث ينسب إليهم ويلصق بهم جرائم أجهزة المخابرات وصنائعها؛ فديننا من تلك الجرائم بريء، وإخواننا الصادقون في الجزائر منها براء، أما الواقعون فيها والخائضون في فتنتها، فليسوا منا، ولا كرامة!

ولكن؛ مع كل هذا نقول: يجب ألا تلفتنا الأحداث بتفاصيلها وتعقيداتها عن (أم الجرائم) التي ولَّدت كل تلك المآسي وهي جريمة الإقصاء المتعمد عن سابق إصرار وترصُّد للإسلام وشرائعه؛ فأصحابها هم المسؤولون الأصليون مهما قيل أو يقال، وحتى تلك العصابات المنحرفة أو المتسترة بالدين.. هي إحدى سيئاتهم.

لا شك في أن العصابات المسلحة التي تقتل الأطفال والنساء هي صنيعة المخابرات، وقد صممت للقضاء على العمل الإسلامي في الجزائر في الحاضر

(١) أخرجه البخاري، ديات ١، وأحمد، ٢/ ٩٤.

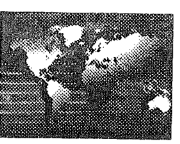
والمستقبل؛ فهي مشروع ضخم، أنفق عليه الاستئصاليون بسخاء، ودفعوا إليها من كوادرهم من شاؤوا من العملاء بعد أن تم (طلاؤهم) بالصبغة الإسلامية المزيفة.

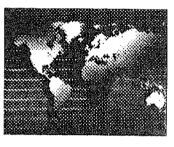
وهذا الافتراض وحده هو الذي يفسر لنا الغموض القاتل والتعتيم الإعلامي الكامل الذي يلف الأحداث هناك ويغطي على حقيقة ملاحم الشر في الجزائر، ويفسر لنا عدم تحرك قوات الأمن للحيلولة دون وقوع هذه المذابح ـ رغم قبضتها الحديدية ـ أو مواجهة من يقومون بها في أماكن قريبة من ثكنات الجيش ووحدات الشرطة، ويفسر لنا السبب في تفرغ الجيش النظامي فقط لضرب قوات جبهة الإنقاذ في وسط البلاد، بينما وقف متعاجزاً أمام العصابات المسلحة! ويفسر لنا أيضاً إصرار تلك العصابات على الاستمرار في ارتكاب كل ما من شأنه تشويه وجه الإسلام وتلطيخه بالدماء أمام العالم... ويفسر لنا أن القرى التي استُهدفت بالمذابح هي تلك القرى التي كانت تستضيف سابقاً وحدات من جيش الإنقاذ، ويفسر لنا كثرة تعاقب الزعامات على هذه العصابات في وقت وجيز (عشرة قادة) ويفسر لنا أخيراً أن هذه الأعمال لم تخدم الإسلام في شيء واحد، وإنما خدمت وتخدم أعداءه في أشياء وأشياء.

ثانياً: تيار (الاحتواء):

وهذا التيار يحاول أن يتقمص دور (الاعتدال) العلماني، ويتشح بمسوح (الديمقراطية) ويرتدي ثوب (الشرعية).

ولا أخفي خوفي على الإسلاميين ـ في الجزائر وغيرها ـ من هؤلاء، أكثر من خوفي من أولئك الاستئصاليين؛ فإرادة الاستئصال إذا أُظهِرَتْ فإنها تحفز على الحذر واليقظة، أما إظهار الرغبة في التقارب وحلول الوسط مع إضمار الشر، فإنها تخدر ولا تحذر، وتخدع الإرادة، وقد تُخضِع الرؤوس.. وأحسب أن هذا ما يراد بجبهة الإنقاذ في هذه المرحلة... والمعروف أن جبهة الإنقاذ بعد أن أُلغيت الانتخابات التي كادت أن تفوز فيها بالسلطة، اعتبرت نفسها حكومة شرعية أطيح بها، وأن الانقلابيين الذين أطاحوا بها يسرعون الخُطا نحو القضاء النهائي عليها، فاعتبرت الجبهة نفسها في وضع دفاع شرعي عن النفس، فشكلت وحداتها العسكرية الخاصة بها لمواجهة كل الاحتمالات (ولسنا بصدد مناقشة صحة هذا الإجراء من عدمه) ولكن المهم أن الصراع المسلح بدأ بين الجبهة والسلطة.





وقبل عامين أطلق الرئيس الجزائري الحالي (اليمين زروال) ما سُمي بـ (نداء الرحمة) وهو يقضي بأن يُلقي من يحملون السلاح سلاحهم في مقابل أن تصفح عنهم الدولة وتقبل (التوبة) منهم.

وتحول (نداء الرحمة) إلى (قانون الرحمة) بغرض تشجيع كل من ينشقّ عن جبهة الإنقاذ واحتوائه. وبالنظر إلى أن هذ النداء، أو ذلك القانون لم يكن جاداً في وضع حل مُرْضٍ للأزمة؛ فقد تغافلت عناصر الإنقاذ عنه، واعتبرته دعوة للاستسلام لا مقابل.

ولكن جهود تيار (الاحتواء) استمرت في شكل محاولات أخرى، كان آخرها جراء اتصالات سرية ببعض الرموز داخل جبهة الإنقاذ.. وبالفعل تمت اتصالات مع مير جيش الإنقاذ نفسه (مدني مرزاق) أثمرت فيما يبدو صفقة، أُطلقَ على إثرها لشيخ (عباسي مدني) زعيم جبهة الإنقاذ وكذلك العضو البارز فيها (عبد القادر حشاني).

وأثمرت هذه الاتصالات ـ في خطوة لاحقة ـ مبادرة من جبهة الإنقاذ، من جانب واحد، تقضي بإنهاء الأعمال العسكرية وإيقاف إطلاق النار، وقد جاءت هذه المبادرة بعد أن تفاقمت الأحوال الأمنية سوءاً، وفي ذورة سلسلة المذابح لجماعية التي تعرض لها المواطنون الجزائريون العزل في القرى، وقد رأت الجبهة ـ على ألسنة من صاغوا بيان المبادرة ـ أن هذا الإجراء أصبح لازمًا وضروريًا لفضح لمتسترين وراء المذابح الجماعية، ولتبرئة الجبهة من دماء الضحايا، ومن جبهة ثالثة، تفتح بابًا أوسع للحوار، تدل به على جديتها في البحث عن حل عادل للأزمة التي ستمرت ست سنوات دون حل.

ولكن ينبغي أن لا ننسى أن الجبهة وهي تصارع التيارين: الاستئصالي، والاحتوائي، لا تملك كل أوراق التحرك، ولا تتمتع بكامل حريتها في اتخاذ قراراتها، خاصة في الفترة التي كان زعماؤها موزعين بين السجون والمنافي والإقامات الجبرية؛ ولهذا فإن ما أذيع عن بعض تفاصيل الاتصالات وما يطرحه من علامات استفهام، لا ينبغي أن يفهم إلا في سياق ما يعرف من تعرض الجبهة لضغوط رهيبة، ومكر كُبَّارٍ من تيار الاحتواء. فالواضح أن هذا التيار، كان يهدف من وراء هذه الاتصالات إلى (تنظيم) (استسلام) جبهة الإنقاذ بصورة تحفظ ماء الوجه،

بعد أن يجري تفكيك هياكلها، وتفريغ كيانها من محتواه الذي تماسك حتى الآن.

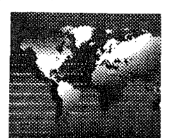
وأخوف ما نخاف أن تكون الساحة مهيأة الآن لتيار (الاحتواء) لأن يقوم بالفصول الأخيرة من دوره، بعد أن أوشك تيار (الاستئصال) على إنهاء دوره.

وأسباب هذا التخوف ترجع إلى ما يلي:

١ ـ أن الدول الغربية تؤيد سياسة الترويض، وتشجع كل حوار بشرط ألا يفضي إلى وصول الإسلاميين للسلطة، ولا ننسى أن الولايات المتحدة نفسها هي صاحبة المشورة بفتح باب الاتصالات مع جبهة الإنقاذ، والدول الغربية تتجه إلى نفض اليد من المسألة الجزائرية، وتنظر إلى أي حوار بين السلطة والجبهة على أنه سيكون حواراً بين منتصر مع مهزوم، ولا خوف منه، وقد عبرت عن هذا الموقف (شيرين هنتر) المحللة المختصة بشؤون الجزائر في مركز بروكسل للدراسات الاستراتيجية، عندما قالت: (لا أظن أن أحداً سيرغب في الخوض في مستنقع الجزائر... فالحكومة قد انتصرت بشكل أساسي، ولن تستسلم لأي ضغوط .. كما أن تدفقات النفط والغاز والاستثمارات في مجال الصناعة ماضية في طريقها، والعائدات تتدفق على خزائن النظام..»!

٢ ـ الرئيس الجزائري يقف بثقله الآن خلف تيار (الاحتواء) بالرغم من أنه تخرَّج في مدرسة (الاستئصال) حيث كان وزيراً للدفاع؛ والظاهر أنه أصبح واثقاً من أن النظام العلماني قد أعاد تثبيت أقدامه في الجزائر حتى إشعار آخر، ويعبر عن هذا (أحمد أويحيى) رئيس الحكومة الجزائرية، عندما أعلن أن مؤسسة الرئاسة، قد انتهت من مسألة جبهة الإنقاذ، وأن السلطة غير مستعدة لفتح ملف الإنقاذ في إطار تسوية سياسية يمكن من خلالها إعادة الحزب الذي حُل في ربيع ١٩٩٢م بعد إلغاء الانتخابات[١].

٣ ـ هناك ترحيب لافت للنظر من الحكومة والأحزاب بقرار الجبهة إيقاف القتال من جانب واحد، ولكنهم لا ينظرون إليه على أنه مبادرة للبدء في الحل، ولكن على أنه (توبة) واعتراف بالخطأ!



(١) بعدما انتهيت من كتابة هذه المقالة، استمعت في إذاعة لندن إلى إعلان بصوت الرئيس زروال في خطبته إلى الشعب في (٣٠ جمادى الآخرة/ ٣١ أكتوبر) يقول: «أحب أن أطمئن الشعب الجزائري أن ملف هذه الجبهة قد طوي... طوي بصورة نهائية»!.

٤ ـ الإفراج عن عباسي مدني لم يكن ليتم لولا اطمئنان السلطة على أنه لم يعد يملك القرار الأخير في الجبهة، أو أنه لم تعد أمامه فرصة للتحرك بعد أن فرض تغييرُ الدستور والانتخاباتُ البرلمانية، وأخيراً الانتخاباتُ البلدية، واقعًا جديداً يكرس الهيمنة العلمانية على السلطة، ويحرم الوجود الفعلي للعمل الإسلامي حتى من اسمه، مثلما حدث مع حزب (المجتمع الإسلامي) الذي أجبر على تغيير اسمه إلى حزب (مجتمع السلم)، وحزب (النهضة الإسلامي) الذي تحول إلى (حزب النهضة) فمجرد اسم الإسلام لم يعد مقبولاً في الحياة السياسية الجزائرية!

٥ ـ كان من الواضح جداً أن الإفراج عن عباسي مدني، كان مشروطًا بأن لا يعود إلى أي نشاط سياسي إلا... إذا كان في صالح النظام، أو يكون في إطار الاستجابة العملية لمطالب السلطة من الإسلاميين.

٦ ـ وأخطر المطالب التي عرضت على جبهة الإنقاذ ـ بعد أن تلقي سلاحها ـ أن تبدأ في إدخال عناصرها المسلحة تدريجيًا في الحياة العامة بعد أن تبلِّغ السلطة بكل التفاصيل عنهم، وأن تتعهد بالقتال في صف الحكومة ضد أي نشاط إسلامي آخر يمكن أن يشكل تهديداً للنظام العلماني!!

فهل نحن أمام محاولة لصنع نسخة باهتة أخرى من (السلطة الوطنية الفلسطينية)! ولكن في الجزائر؟!

وهل يا ترى استفادت مدرسة (ابن سلول) من مدرسة (ابن سبأ) اليهودي؟!

ظننا في الجبهة ورجالها أنهم أكبر من هذه الألاعيب، ويقيننا أن الله لن يضيع جهودهم لنصرة الإسلام، وصبرهم على تحمل الأذى من أجله...

وأملنا أن يعود مجد الإسلام في الجزائر وغيرها ولو كره المجرمون.. فالجبهة يمكن أن تكون قد خسرت جولة ... ولكنها لم تخسر المعركة مع التحالف غير المقدس بين (الاستئصاليين) و (الاحتوائيين).

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].



تقرير الحالة الدينية في مصر

(عرض وتحليل)

(٢ ـ ٣)

بعد عرض الكاتب في الحلقة السابقة للتقرير وتطرقه لمصداقية المركز واضع التقرير وحياده تجاه الاتجاه الإسلامي، حيث ذكر صوراً لتبني واضعي التقرير موقفاً معادياً لهذا الاتجاه.. يواصل الكاتب في هذه الحلقة عرض هذه الصور ونقاط التحليل. ـ البيان ـ

* والتقرير يتحدث أحياناً بلغة أقرب إلى التحريض منها إلى التحليل :

ـ فالقيادات المحلية للحزب الوطني الحاكم لم تقدم أقباطاً للترشيح في الانتخابات؛ لأنها قد لا تحوز على عدد كافٍ من أصوات الناخبين، وهو ما « تم إقناع قيادات الحزب والأجهزة التنفيذية به، وهو ما قد يكشف عن طبيعة التكوين السياسي للقيادات المحلية للحزب الوطني ـ ولا سيما في الريف ـ واتجاهاتهم » (ص ٣١٢).

ـ ووزير الأوقاف السابق أفلتت من هجومه إحدى الجماعات الإسلامية فلم يتعرض لها « ولم يهاجمها مثل سائر الجماعات، ولكنه اكتفى بقوله : (إن الدولة مع الوسطية وإنها تشجع الفكر المعتدل) »!! (ص ٦٩).

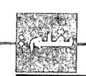
ـ والدولة الحديثة وسلطاتها ومؤسساتها المختلفة تواجه تحديات « من قبل الحركة الإسلامية السياسية بكل طيوفها، المعتدلة، والراديكالية، حيث تنطلق الأطروحات والرؤى الأصولية المغايرة لمشروع الحداثة السياسية والقانونية والاجتماعية من منطلقات تجحد مشروع الدولة الحديثة في مرجعياته وفلسفته السياسية وأنساقه القيمية والثقافية المدنية، لا سيما وأن القوى الراديكالية يتأسس مشروعها على تغيير جذري لبنيات الدولة وقيمها وقوانينها ومنظوراتها السياسية والفلسفية » (ص ٣٠٧).

ـ وحتى لا ينخدع المراقبون : يلفت التقرير النظر إلى مغايرة المفاهيم التي تطلقها بعض الفصائل المنتمية إلى التيار الإسلامي عن المفاهيم المستقرة في الغرب ـ وإن تشابهت المصطلحات ـ ؛ « فإن المنطلق الفكري الذي يقوم عليه إدراكها لمعنى الحرية مختلف إلى حد كبير عما هو معروف في الفكر الليبرالي عموماً؛ فبينما قال هذا الفكر بأن الأصل في الحرية هو الإباحة.. تؤكد أدبيات [هذا الفصيل] أن الأصل في الحرية هو التقييد، وأن الفرد مطبوع على الخطأ والشر، وأنه يميل بطبعه إلى العبودية سواء كانت لإله أو لمخلوق أو

المسلمون



والعالم



أيمن محمد سلامة

لنظام بشري، وبينما يعتبر الفكر الليبرالي الحرية مبدأ أساسيًا من مبادئ النظام السياسي فإن [هؤلاء] يعتبرون الحرية مجرد وسيلة لخدمة مبدأ أكبر وأشمل، هو إقامة شرع الله وتحقيق الإسلام».. (ص ١٧٢).

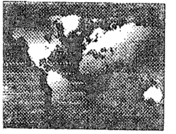
ـ ويحيي التقرير الدولة المركزية وقدرتها على التصدي للحركات الإسلامية عن طريق أجهزة الأمن.. ومن ناحية أخرى: فإن أجهزة القوة والعنف المشروعة في الدولة المصرية تتصف بالتماسك البنائي والفاعلية، وقادرة على التكيف والتوازن الديناميكي مع هذا النمط من الجماعات (ص ١٦٢)، كما يحيي سياسة الضربات الأمنية الشديدة والمكثفة، واتباع قاعدة التوسع في الاشتباه على المناطق التي تتركز فيها عمليات العنف التي أدت إلى التحجيم النسبي لهذه العمليات (ص١٩٢)[1].

ـ وقد يرى بعض المتربصين ومن يريدون الاصطياد في الماء العكر أن التقرير ـ بتفصيلاته الدقيقة ومحاولة حصره الشامل لجهات التعليم والتربية والتمويل الرسمية وغير الرسمية ـ يضع خارطة لمخطط تجفيف المنابع ، ويشار في هذا الصدد إلى: حصر مساجد وزارة الأوقاف وتشجيعها بناء مساجد وإنفاقها (الهائل) على مسابقات القرآن الكريم « دون بث روح الاجتهاد والاندماج في الواقع المعاصر وتوظيف الفكر الديني في خدمة القضايا المعاشة» ومساعدتها الطلبة والمحتاجين، وزواج الفتيات، ومساعدة فقراء المسلمين في مواسم الحج، ورعاية الأيتام، وطبع الكتب الدينية باللغات العربية والأجنبية، وإنشاء مراكز إسلامية، وتدعيم معسكر أبي بكر الصديق الذي يقيمه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.. (ص ٦٥، ٦٦).. وكذلك: منح الوزارة (٢٠) رحلة عمرة لأبناء العالم الإسلامي من الدارسين في مصر، ومن المعروف أن « المجلس الأعلى للدعوة والإغاثة ـ الذي يرأسه شيخ الأزهر ـ يقوم بمساعدة الأقليات في العالم الإسلامي !! » (ص ٦٨، وكذلك ص ٤٦، ٥١).

ويشار أيضًا إلى: البحث في محاولة حصر أعضاء الجمعية الشرعية ومصادر

(١) د. حسن حنفي، جريدة (البيان) الإماراتية، ع/ ٦٠٦٠، ٢٠/١/١٩٩٧م.

المسلمون



والعالم

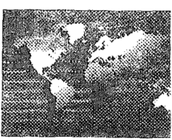
تمويلها..« وهو ما يحقق لها قدراً أكبر من الاستقلال المالي، الذي يتيح لها هامشاً أكبر من الحرية وتعدد النشاط واتساعه» (ص ٢٣٩)، «فالجمعية الشرعية مثلها مثل عدد ليس بالقليل من الجمعيات الأهلية في مصر تمارس الدور السياسي من خلال تربية النشء وإعداد الكوادر»، «كما حرصت الجمعية على ربط الطلاب بالجامع من خلال فصول التقوية التي ألحقتها بمساجد الجمعية!» (ص٢٤٠).. وغير ذلك من النماذج التي يقدمها التقرير.

وهنا أيضاً: الكيل بمكيالين؟!

وهذه المعاملة تتضح بجلاء عند مقارنة ما كتب بأقلام علمانية عن الحالة الإسلامية بما كتب عن الحالة المسيحية:

* ففي حين يتهجم التقرير على رموز الحالة الإسلامية من وراء ستار وصف الواقع نجد عبارات الإعجاب تكال للرموز الكنسية؛ فالمقدمة تستهل هذه المعاملة بإعلان وجود «نزاع داخل السلطة الدينية في مصر، وأصبحنا إزاء ظاهرة نزاعات حول السلطة الدينية وسلطات التفسير، وتمثل أطراف هذا النزاع في المؤسسات الدينية الرسمية (الأزهر كمؤسسة أصولية رسمية، ودار الإفتاء، ووزارة الأوقاف ومجموع وعاظها ودعاتها، ولم يعد النزاع قاصراً على مواجهة المراكز الجديدة للسلطة الدينية، وإنما داخلها..)..» (ص ١٢) وحتى لا يظن ظان أن ذلك مظهر من مظاهر الحرية والاختلاف الحضاري، فإن التقرير يستدعي من الخلفية التاريخية ما يبدد هذا الوهم، فيذكر أكثر من مرة أن أحد مشايخ الأزهر (الشيخ عبد الباقي القليني) «حسم الصراع مع منافسه على مشيخة الأزهر الشيخ أحمد النفراوي لصالحه بعد صدام مسلح» بعد معركة مذهبية شهيرة (ص٣٠، ٤٣)، ولا يظن ذلك الظان أن ذلك النزاع كان في مرحلة تاريخية مضت وولت « فقد تقدم ثلاثة من علماء الأزهر من أعضاء [مجمع البحوث الإسلامية]، وهم الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر وقتئذ، والدكتور زكريا البري وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق بمذكرة احتجاج إلى رئيس الجمهورية يتهمون من خلالها شيخ الأزهر جاد الحق بتعطيل مجمع البحوث عن الانعقاد والقيام بدوره.. فضلاً عن مطالبتهم له [أي شيخ الأزهر] بتعديل مناهج الدعوة في الداخل والخارج وتحويل بعض المبالغ التي ترد للأزهر لإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية في البلاد غير الإسلامية لخدمة الأقليات الإسلامية هناك.. فلم يستجب» (ص٥١)، ناهيك عما ذكر من صراع بين المعممين والمطربشين، وهذه الصورة لا تختلف كثيراً عن الحركة الإسلامية، فالصراع قائم بين الأجيال، جيل الشباب المتطلعين إلى دور، وجيل الشيوخ المحافظين، والتنافس قائم بين

المسلمون



والعالم

فصائل هذه الحركة (انظر ص ١٧٤-١٧٦، ص١٨٣-١٨٦).

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتعداه إلى التطاول، فشيخ الأزهر عبد الحليم محمود «كان مراوغا» عندما أصدر بيانًا إزاء قضية التكفير والهجرة، والشيخ جاد الحق كان ذا «موقف مزدوج» إزاء الجماعات الدينية والسلطة السياسية (ص٤٦).

وهذه السمة (الازدواجية والمراوغة) لا تختص فقط بمشايخ الأزهر، بل تمتد بحبل سري إلى فصائل الحركة الإسلامية، فهي تعمد «إلى الحديث بلغتين مختلفتين، أو ترديد الخطاب المزدوج الذي لا يفيد إلا في إضافة المزيد من الغموض المراوغة الفكرية» (ص١٧٢)، وعباراتها واضح فيها «التلاعب بشقي الخطاب... لك العام والمتشدد الذي يثير جاذبية المسلمين، وهو تطبيق الشريعة، والثاني هو الخاص، أي الاستفادة من فرص المناخ الديمقراطي» (ص١٧١).

وقد يكون ذلك كله وصفاً لواقع، ولكن لننظر إلى (طريقة النظر) إلى الواقع الآخر وكيفية تجميله والدفاع عنه، فعلى الجانب الشخصي نرى أنه في حين يذكر شيخ الأزهر باسمه مجرداً من أي لقب «خطاب جاد الحق» يذكر الجانب الآخر في الفقرة نفسها: «أما خطاب قداسة البابا»!! (ص ٣٥٧).

وماذا يقول التقرير الذي يفترض أنه يتوخى الموضوعية بحياد في رجال الكنيسة كما توخاها في شيوخ الأزهر؟! يقول عن البابا كيرلس الرابع: «كان مصلحًا عظيماً رغم قصر المدة التي قضاها على كرسي البابوية» (ص٩٠)، أما البابا كيرلس السادس فقد «استجاب بحنكة ورصانة لمطالب الجيل الجديد من الرهبان» (ص٩١)، و«ساهمت ديناميات (التوافق الشخصي الحميم) بين عبد الناصر بكاريزميته السياسية والبابا كيرلس السادس بكاريزميته [1] الروحية في بناء ملامح هذه الحقبة الخاصة في تاريخ العلاقة بين الكنيسة والدولة في مصر» (ص٩٣).

والقمص مينا البراموسي (البابا كيرلس السادس) التف حوله الشباب الجامعي «نظراً لأبوته وروحانيته وبصيرته الثاقبة»! (ص ١٣٦).

والخادم فرحات (القمص سمعان) «وجد في ملامح شخصية القديس سمعان الخراز نبعًا روحيا يعينه في إكمال وبلورة شخصيته الروحية / الكاريزمية» ومن ثم: «يأتي انبهار الزائر

(١) تكرر هذا الوصف لأسماء كنسية عديدة، فوُصف به البابا شنودة وشخصيته وقيادته ما لا يقل عن ٧ مرات (ص ١٤، ٨٣، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٥، ٣٢٩)، وتكرر ثلاث مرات للقمص سمعان (ص ٢٦٧)، ومرة للبابا كيرلس السادس (ص ٩٣)، وهذا الوصف مأخوذ من Charismatic بمعنى صاحب جاذبية وساحر للجماهير، أو قيادة آسرة.

المسلمون



والعالم

بالمكان وسحره مقترنًا بتأثير مماثل بشخص وأداء القمص سمعان، فهو برغم تعليمه المتوسط وخلفيته الاجتماعية المتواضعة يبدو سيد هذا المكان وآمره الوحيد»، وعندما يتعامل القمص سمعان مع الجن والمس والصرع فلا يسميه التقرير شعوذة وخرافات، بل «يقوم بتقديم بعض أشكال ما يسمى في الفلكلور الشعبي المصري بالعلاج الروحي» (ص ٢٦٧).

والبابا شنودة: ذو «ذكاء معهود» (ص٣٢٩)، وهو «شخصية دينية مثقفة تملك أدوات فكرية وسياسية حديثة، تضعه في موقع مختلف كيفيًا عمن سبقه من باباوات الكنيسة» (ص٩٣).

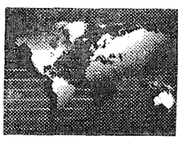
«وفي ظل قيادة البابا شنودة الثالث، تم دخول أجيال جديدة إلى سلك الكهنوت، واستطاع بحكم تكوينه وخبراته وقدراته القيادية استيعابهم تحت قيادته الكارزمية» (ص ٩١).

وقد كان له «مشروعه الفكري والاجتماعي والتأويلي المتميز في المسار التاريخي لبابوات الأقباط الأرثوذكس، ودعم هذا المشروع السمات الكاريزمية للبابا شنودة وشخصيته الحاسمة، وذكائه المميز» (من المقدمة ص ١٤)، «ولكن الدور البارز الذي يقوم به بطريرك الأقباط الأرثوذكس، يرجع لبعض السمات الشخصية الكاريزمية للبابا شنودة الثالث وقدراته الإلهامية!! المؤثرة على حياة الأكليروس وأتباع المذهب القبطي الأرثوذكسي عمومًا، وترجع عوامل هذا الدور المركزي للبابا إلى طبيعة علاقته المباشرة بأتباع المذهب وتأثيره الساحر عليهم» (ص ٩٥).. وواضح أن تأثيره (الساحر) لم يكن عليهم فقط!...

فماذا عن المعارضة الكنسية والانشقاقات وصراع الأجيال؟!.. لا يفرد التقرير لذلك أي مساحة أو عنوان، ولكن لأن ذلك مما لا يخفى ولا ينكر فقد أورده التقرير بأسلوبين: الأول: عرضه في صورة (إنجازات) للبابا شنودة الذي استطاع احتواء المعارضة (أو قمعها)، والثاني: تبرير عناصر الصورة السابقة بأنها نتيجة تصرفات الحكومة وضغوط نمو التيار الإسلامي وممارساته!!

وتلخص فقرتان من فقرات المقدمة حقيقة (خلافات الرؤى) داخل المجتمع القبطي على النحو التالي:

«- ثمة تغير بدأ يحدث في الكنيسة الأرثوذكسية - وهي الكنيسة الأم - وبدأت بعض التفاعلات الداخلية تظهر علانية في السجالات الصحفية، بما قد يشير إلى بعض المشاكل أو خلافات في الرؤى حول أدوار الأكليروس خارج طقوس وتأويلات النصوص الدينية المقدسة، أي حول الأدوار الاجتماعية لأعضاء الجسم الأكليروسي المنتشرين في الكنائس الأرثوذكسية في مصر وخارجها.



لا يزال الفقه الغالب - أو بتعبير أدق: التعاليم ذات السيطرة والنفوذ والتداول - هي تعاليم البابا وعظاته المختلفة، دونما درس لها ولاتجاهاتها، ومن ناحية أخرى: هناك دور بعض كبار الأكليروس، بعضه محجوب عن الدرس والوعظ والعظات، وبعضه يتداول فقط، وثمة آخر مهمش ومعزول.. وكلها ظواهر تحتاج إلى الرصد والتحليل» ا(ص ١٥).

فلماذا لم يقم التقرير بالرصد والتحليل ؟!.. لنرى كيف تناول التقرير هذه الظواهر:

يقول التقرير (ص ٩١): «وفي ظل قيادة البابا شنودة الثالث تم دخول أجيال جديدة إلى سلك الكهنوت واستطاع بحكم تكوينه وخبراته وقدراته القيادية استيعابهم تحت قيادته الكارزمية، وتوسيع نطاق الهياكل المؤسسية الداخلية في الكنيسة - سواء في الداخل أو الخارج - ومن ناحية أخرى: استطاع البابا شنودة الثالث أن يفرض رؤاه اللاهوتية والمجتمعية وغيرها على الفضاء القبطي الأرثوذكسي سواء في المجال الديني، وامتد إلى المجال المدني للأقباط وربما لآماد أخرى في المجال العام المصري».

ولندخل في تفاصيل هذه الصورة المجملة: «أوضاع المؤسسة الدينية الأرثوذكسية العريقة لم تعد شأنًا داخليًا في السنوات الأخيرة، وتحولت الخلافات في الرؤى بين الأكليروس بقيادة البابا شنودة الثالث وبين بعض العلمانيين الأقباط إلى الحقل الإعلامي اتفاقًا واختلافًا حول رؤية بطريرك الأقباط الأرثوذكس حول إدارة العمل الكنسي والإداري والمالي وكل دلالات ذلك... تحولت إلى جزء من الحوار خارج المؤسسة الدينية» (ص ٣٠٩).

ولنكبر هذا الجزء من الصورة قليلاً: «ازداد الموقف القبطي سلبية إزاء حزب العمل بعد الكتابات النقدية لبعض رجال الأكليروس القبطي - وهم قلة - وبعض علمانيي الكنيسة، إزاء سياسات ورؤى بطريرك الأقباط الأرثوذكس..» (ص ٣١٤) وقد يقول علماني (محايد): إن ذلك تم بدفع الإسلاميين المتسللين إلى حزب العمل، ولكن لننظر في شأن قبطي محض، وهو انتخابات المجلس الملي للأقباط الأرثوذكس: «جرت المنافسات الانتخابية في أعقاب الخلافات بين البابا شنودة الثالث وبين بعض الرؤى المخالفة لرؤيته وسياساته، واتسمت بالحدة؛ لأن التعبير العلني عن هذه الاتجاهات تم في الصحف والمجلات القومية والحزبية، وهو أعطى انطباعًا عامًا بأن مساحة الخلاف واسعة داخل النخبة القبطية بين المدنيين وبين البابا ورجال الأكليروس..» (ص ٣٢٧)، ولهذه المساحة عمق تاريخي، فقد أورد التقرير أنه في مرحلة نشأة الجمعيات الأهلية المسيحية وتبلورها (من القرن ١٩ إلى عام ١٩٢٣): «تبنت الجمعيات الأهلية القبطية قضيتي الإصلاح والنهضة؛ حيث وقفت الجمعيات الأهلية القبطية بجانب المجلس الملي في صراعه ضد الأكليروس، بهدف الإصلاح الكنسي» (ص ٢٥٠)، ومن القرن التاسع عشر إلى انتخابات المجلس الملي عام ١٩٩٥م تتواصل مساحة الخلاف، «وفي



هذا السياق قامت الأطراف بطرح مجموعة من الرؤى تتناول المجلس الملي ودوره واختصاصات
كوسيلة غير مباشرة لتحديد نمط العلاقة بين العلمانيين وبين الأكليروس.. وهي تجسدت في
قوائم مخالفة لقائمة البابا» (ص ٣٢٩)، وقد تعدت (اختلافات الرؤى) مرحلة التعبيرات
العلنية الحادة ووصلت إلى ساحات المحاكم.. يقول التقرير: «وتمثل الطعون [بوقف انتخابات
المجلس الملي] أحد أشكال التعبير عن بعض القوى الهامشية داخل الوسط القبطي، فضلاً عن
أنها تعكس رغبة في تغيير شروط اللعبة ومعارضة لبعض سياسات الأكليروس» (ص ٣٢٨
٣٢٩)، وبعد الانتخابات: «رفع أحد المحامين المرشحين - ولم يحالفه النجاح - دعوى جديدة
بوقف إعلان نتيجة الانتخابات، وإلغائها وإعادة إجرائها من جديد..» (ص ٣٣١)، ناهيا
عما يقال عن قائمة البابا الانتخابية (ص ٣٢٩، ٣٣٠).

على أن أعنف أشكال التعبير المعارض للكنيسة جاء من أقباط المهجر، وخصوصاً
(الهيئة القبطية)، «فقد كثفت الهيئة هجومها على الكنيسة المصرية، وإذا كانت
الكنيسة المصرية تملك توجيه كنائس المهجر التابعة لها، فإن لهذه القدرة حدوداً معينة..
فإن نفوذ الكنيسة في مواجهة بعض كنائس المهجر يصطدم بدرجة الحرية العالية التي يشعر
بها بعض أقباط المهجر إلى الدرجة التي تجعلهم يصلون أحياناً إلى قرار بقطع الروابط مع
الكنيسة الأم!» ، «وقد أوضح البابا شنودة حدود نفوذ الكنيسة الأم على أقباط المهجر
عندما قال: (ثمة فئات منهم غير منضبطة ولا تلتزم بتعليمات الكنيسة، فأقباط المهجر
فريقان... وفريق آخر لا علاقة له بالكنيسة ولا يدين بالطاعة لرجال الكهنوت... ولا
مانع لديه من محاربة الكنيسة، وهو متطرف في آرائه)» (ص ٢٢١)، بما يعني أن رجال
الكنيسة لا يستطيعون السيطرة على قطاع من المنتمين إليهم، وفي الطرف المقابل: فإن
الهيئة تتهم الكنيسة المصرية «بافتقاد الشجاعة لمواجهة النظام المصري، بل والتواطؤ في
التغطية على ما تسميه (عنصرية النظام المصري ضد الأقباط)» (ص ٢٢٠).

فكيف تعاملت المؤسسة الكنسية مع هذه الرؤى؟ .. لم تفسح لها مجالاً، بل
تعاملت معها كسياسي محترف من العالم الثالث:

فبالنسبة لكنائس المهجر المتمردة: صدرت قرارات الحرمان (ص٢٢١)، ولعل
لهذا السبب وُضعت بعض كنائس الخارج «تحت رعاية البابا شنودة مباشرة» (ص
٨٩، ٩٠) (رعاية تحت السلطة المركزية).

وبالنسبة للجمعيات الأهلية فقد عملت الكنيسة على سحب البساط من تحت
أقدامها، «فقد دخلت المؤسسة الكنسية بثقلها في ساحة النشاط الأهلي التي
كانت متروكة قبل ذلك كلية لنشاط ومبادرات الجمعيات الأهلية المسيحية، ويمث





ثناء الأسقفية العامة للخدمات الاجتماعية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية في ١٩٦م علامة بارزة في هذا الاتجاه» (ص ٢٥٣، ١٠٠).

أما المجلس الملي فتم التعامل معه بأسلوب العصا والجزرة، حيث تم تقليم أظافرة قليص صلاحياته، و(احتواء) أعضائه العلمانيين بترسيمهم شمامسة، يقول تقرير: «.. ومن ثم يعد المجلس الملي محض دور شرفي وهامشي في شؤون كنيسة التي تعده ضمن النطاق المحجوز للاكليروس بقيادة البطريرك، وفي هذا سياق قام البابا بسيامة أعضاء المجلس كشمامسة، حتى يكون المجلس خاضعا من احية أخرى للرئاسة الدينية للبابا» (ص ٣٣١)، «ومن ثم: تتحقق عملية تجانس التنظيمي بين الرئاسة الدينية والعلمانيين» (ص ١٠٠).

وقد يستجيز بعض المحللين أن يعبر عن الإجراءات السابقة بأنها: (قمع) للمعارضة (بلعها) من خلال (استقطاب) الآخرين ومحاولة (تأميم) المؤسسات الفاعلة، وهذا ا عبر عنه بعض أقباط المهجر - الذين يتكلمون بحرية! - حيث تؤكد الهيئة القبطية «أن لأكليروس القبطي الأرثوذكسي يشجعون سلبية الأقباط، ويؤكدون على مرجعيتهم في كل الشؤون الاجتماعية والسياسية؛ وذلك لحبهم للسيطرة على الأفراد، وأن ذلك بو نتيجة للدكتاتورية السائدة في بعض كنائسنا» (ص٢٢٠).

هذا هو رأي قطاع من (المعارضة)، فماذا عن رأي التقرير (المحايد)؟

يشيد التقرير بهذه التصرفات ويرجع بعضها إلى نمو التيار الإسلامي، فيقول في معرض تعداده لأسباب تقلص دور المجلس الملي بعد أن كان كبيراً في السابق: «ومن ناحية خامسة: رسم البابا لأعضاء المجالس الملية المتعاقبة كشمامسة، ومن ثم: أصبح المجلس وأعضاؤه يخضعون للرئاسة الدينية الأعلى ممثلة في البابا، ولا شك أن ذلك يشكل سياسة بابوية لمنع احتمالات الصراع القديم بين المجالس الملية وبعض باباوات الكنيسة، كالبابا كيرلس الخامس... إلخ، وقد أدت هذه السياسة إلى استقرار الكنيسة داخلياً، وإلى التوازن في هياكلها، وتوحيد قاعدة القوة والتمثيل والتعبير المدني - الديني في الوسط القبطي المصري، تحت لواء البابا شنودة الثالث» (ص ٩٨)، ويقول التقرير أيضاً: «استطاع البابا شنودة الثالث أن يفرض رؤاه اللاهوتية والمجتمعية وغيرها.. وترتيباً على ذلك: توارت إلى الظل الرؤى الأخرى، ... وهكذا في ظل نفوذ رؤية وتفسيرات البابا، انحصرت الرؤى الأخرى في حدود ضيقة لتغدو على هامش الفكر البابوي المسيطر في هذه اللحظة التاريخية من تطور الإكليروس والمؤسسة الدينية والسياق المجتمعي والسياسي والديني في مصر، ولا سيما في ظل تنامي النزعة المحافظة والمتشددة في التيار الإسلامي الراديكالي الذي

يمارس العنف، ومن ثم أدى ذلك إلى حالة من التوحد بين المؤسسة الدينية الأرثوذكسية وعلى رأسها البابا ـ ومريديها وأتباعها من المصريين الأقباط» (ص ٩١ ـ ٩٢).

فليس هناك معارضة وصراع أجيال وتناحر تيارات وازدواجية ومراوغة كما في الحالة الإسلامية، ولكنه توحد للكنيسة لمواجهة الزحف الإسلامي الداهم!

وأخيراً: فهناك تساؤل لا يستطيع المرء تجاهله تجاه الحالة القبطية، وهو: لماذا لم يأت التقرير بأي ذكر للمحاولات الإصلاحية للدكتور رفيق حبيب ابن رئيس الطائفة الإنجيلية والتي جوبهت بالمحاربة من الكنائس الثلاث، كما دوّن ذلك في كتاب أسماه: (اغتيال جيل)؟!.

إن التقرير يحاول ـ من حيث لا يقصد ـ أن يجعل قوله (تعالى): ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ** ﴾ واقعاً ملموساً!.

* ومن الكيل بمكيالين: الحديث بطريقتين عند تناول الأمور المالية:

فبينما يعرِّض بقبول الأزهر بعض الهبات والتبرعات لدعم بعض مؤسساته العلمية، ويشكك في مصارف هذه التبرعات «هناك عدد آخر من المراكز العلمية والاجتماعية التابعة لجامعة الأزهر، بعضها يتلقى هبات ومنحاً من جهات خارجية بحجة خدمة الدعوة الإسلامية» وبينما يحاول أن يحصي هذه المراكز واحداً واحداً (ص٥٦، ٦٨) .. نجده يشيد بهبات الأقباط الواردة من الخارج ويجعلها ضرباً من الوطنية وليست (بحجة) المساعدات الإغاثية: «فمساعداتهم الطبية والدوائية إبان حرب أكتوبر خير شاهد على وطنيتهم، كما أن ما يرسلونه من مساعدات لجمعيات وهيئات خيرية [مسيحية بالطبع، ولم يذكر هذه الجمعيات ولا طبيعة هذه المساعدات، ولا كيفية التصرف فيها] ما زال مستمراً» (ص ٢٢١)، ويضرب الصفح عن تمويل بعض المشروعات الخاصة بجمعيات قبطية من قبل هيئات أجنبية كهيئة أوكسفام، وهيئة الإغاثة الكاثوليكية، وصندوق الأخت إيمانويل (ص ٢٦٩)، بل عن وجود هيئات صليبية دولية كاملة تعمل داخل مصر، كهيئة كاريتاس / مصر التي أسسها المونسنيور لينوزانيني سفير الفاتيكان في مصر (ص ٥٨).

كما أن التقرير الذي يحاول أن يحصي المصادر المالية الداخلية والخارجية للمؤسسات الإسلامية إلى درجة محاولته إحصاء اشتراكات الأعضاء في الجمعية الشرعية (ص ٢٣٩) يهمل التطرق إلى أمر يبدو بدهيًا لأي متابع، وهو: كيفية إعالة رجال الكنيسة ـ بالآلاف ـ رغم أنهم موظفون غير حكوميين!، وبالطبع فإن مناقشة هذا الأمر سيفتح ملفًا ساخناً حول الجهاز الاقتصادي الضخم للكنيسة، وهو ما أشار إليه التقرير بعبارة «أنشطة التدريب المهني والقروض الصغيرة ومشروعات التنمية الريفية والحضرية» (ص ٢٥٣)، وأوضحه قليلاً عند بيان برامج (البرنامج الشامل للتنمية) الذي بدأته أسقفية الخدمات



ـة والاجتماعية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية عام ١٩٨٥م، فإضافة إلى مشروعات
ـمية المحلية هناك (برنامج القروض الصغيرة) «الذي يهدف إلى تشجيع الشباب
صراني] - كأفراد ومجموعات - على البدء في مشروعات صغيرة تساهم في تنمية
ـهم، مع مساعدتهم بالمال والخبرة الفنية ودراسات الجدوى» (ص ٥٨)، وهذه
ياسة (جهاز كبير يمول مشروعات صغيرة كثيرة مستقلة عنه) كانت أحد العوامل
ـمة التي ساعدت على إفلات هذا الجهاز الضخم من مذبحة شركات توظيف الأموال
، طالت جميع النشاطات ذات الصورة الإسلامية.

ومن الأرقام ما خدع!!

يشار دائماً إلى الأرقام على أنها لغة لا تعرف المجاملة ولا التحيز، ولكن المدقق
ـ أن واضع الأرقام يستطيع أن يستخدم أسلوباً ما من الإخفاء والإبراز والتوجيه
خدم هدفاً ما، وهذا ما حدث في بعض أجزاء التقرير - بقصد أو غير قصد -.

وبداية: فإننا لا نشاطر الدكتور حسن حنفي[1] القول إن تخصيص مساحات أكبر
، صفحات التقرير عن وضع الأقباط - لا تتناسب مع نسبتهم العددية - يعد أحد
ـاهر الميل إلى إبراز وضع الأقباط في مصر، فالتقرير يتحدث عن واقع، وليس من
ـاسب إهمال واقع ما لأن أصحابه لا يحوزون إلا نسبة عددية قليلة، ولكننا نستطيع
ـول: إن في ذلك دلالة على تمدد واقع العمل القبطي وتغلغله، في مقابل انكماش واقع
ـمل الإسلامي وركوده، قياساً على نسبة أصحابه العددية، رغم تكثيف الأضواء عليه.

وأول خداع الأرقام وتضاربها يظهر في إخفاء عدد الكنائس في مصر حسب سجلات
ـكنيسة التي لا بد أنها تحصرها[2]، وذلك لخدمة مطلب طالما ألحت عليه الكنيسة وهولت
ـأجله، ألا وهو إطلاق السماح ببناء الكنائس وترميمها مما يعتبرونه قيود الخط الهمايوني
ـشروط العشرة التي تنظم هذا الأمر (ص ٨٧ - ٨٨، ٩٢، ١٢٣)، فظهور العدد الحقيقي
ـكنائس مقارناً بنسبة الأقباط العددية يفضح هذا المطلب، ولكن ذكر سهواً - على ما يبدو -
ص ١٢٢) حصر للكنائس الإنجيلية بلغ (١٣٧٧) كنيسة، وإذا عرفنا أن الطائفة الإنجيلية
ـعتبر أقلية داخل الأقلية - كما يصفها التقرير نفسه -، حيث تمثل هي والكنيسة الكاثوليكية
ـسبة ١٥٪ من مجموع أقباط مصر[3]، الذين تدور نسبتهم حول ٦٪ حسب آخر إحصاء

١) جريدة (البيان) الإماراتية، ع/ ٦٠٥٣، ١٣/ ١/ ١٩٩٧م.
٢) ذكر التقرير عدد كنائس المهجر (ص ٢٢٣، جدول رقم ١)، وقد بلغ مجموعها ١٨٧ كنيسة.
٣) انظر: فهمي هويدي، جريدة (الأهرام) القاهرية، ٢٦/ ١١/ ١٩٩٦م، وقد ذكر التقرير
ص ١١٠) أن تعداد الكاثوليك - حسب إحصاء كنيستهم عام ١٩٩٤م - يبلغ (٢١٠) آلاف.

المسلمون

والعالم

رسمي[1]، فيكون الأقباط الإنجيليون يمثلون ٣٦,٠٪ من الشعب المصري ويملكون (١٣٧٧) كنيسة، وإذا (بحبحناها) في تعدادهم آخذين في الاعتبار ادعاء نصارى مصر أن نسبتهم تدور حول ١٠٪، واعتبرنا أن الإنجيليين يمثلون نصف بالمئة (٥,٠٪) من سكان مصر، فإنه ينبغي أن يكون عدد المساجد في مصر لا يقل عن (٢٤٧٨٦٠) مسجداً على اعتبار أن نسبة المسلمين ٩٠٪ فقط، ولكن الإحصاء الأخير الذي نشكك في صحته يقول إن عدد المساجد (٦٦٨٠١) مسجد، والتقرير الذي بين أيدينا ذكر أن عدد المساجد ـ بما فيها الزوايا أسفل المنازل والمساجد الأهلية ـ يبلغ (١٢٠٠٠٠) مسجد فقط (ص ٦٤)[2]، وهو يقل عن نصف العدد المفترض المشار إليه (٢٤٧٨٦٠)، فإذا أضفنا إلى ذلك اتساع مساحة الكنائس وكبرها، لعرفنا أن المطلوب ليس توفير أماكن عبادة لنصارى مصر، بل زراعة الكنائس في هذا البلد، ليعود كما كان قبل الفتح الإسلامي كما يصرح متطرفوهم.

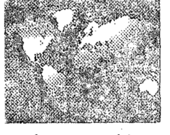
ومن مشاريع الزراعة هذه ما أورده التقرير عن نسبة الجمعيات الأهلية المسيحية، حيث ذكر أن النسبة الإجمالية للجمعيات الأهلية المسيحية في مصر تبلغ ١٨,٥٪ من إجمالي الجمعيات الأهلية (جدول رقم ١ ص ٥٢)، وهو الأمر الذي قد ينظر إليه بادي الرأي فيعتبر أن النسبة الباقية (٩٤,٨٢٪) جمعيات غير مسيحية، فيعتبرها جمعيات أهلية إسلامية، كما قد يقارنه بنسبة الأقباط العددية (٦٪ - ١٠٪) فيرى أنها في حدود الاعتدال أو أن هناك نقصاً قليلاً في نسبة الجمعيات الخاصة بهم..

ولكن الحقيقة خلاف ذلك،حيث تزيد هذه الجمعيات بكثير عن الجمعيات الإسلامية

(١) المصدر السابق.. وقد صدر قريباً إحصاء عام ١٩٩٧م (يصدر الإحصاء كل ١٠ سنوات)، ولم يتضمن نسبة المسلمين والنصارى، ولكنه تضمن عدد المساجد (٦٦٨٠١) والكنائس (٢٤٥٦)، وهو رقم غير منطقي ولا يمكن تصديقه، إذ من غير المتصور أن تحوز الطائفة الإنجيلية التي تدور نسبة تعدادها من جميع الأقباط حول ٦٪ على ٥٦٪ من كنائس مصرا!!، وإذا أردنا أن نخطئ أحد الرقمين فإننا نخطئ رقم الإحصاء الأخير؛ لأن عملية العد (في الشوارع) يقوم بها أفراد يجوز عليهم الخطأ والسهو (والنية السيئة) بخلاف الرقم الذي أوردناه عن التقرير، وهو غالباً خارج من سجلات الكنيسة الإنجيلية وأوراقها، وبالطبع فإن هذا الرقم الخطأ الوارد في إحصاء ١٩٩٧م والتكتم على عدد الكنائس الذي تم في التقرير من قبل الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية اللتين تملكان بالتأكيد حصر كنائسهما.. مقصود به إثارة الأمر على أنه اضطهاد للأقباط في مصر وهضم لحقوقهم، وهو ما تكرر في التقرير أكثر من مرة، وردده قيادات قبطية عقب صدور الإحصاء مباشرة (انظر جريدة الحياة، ٢٤/٢/١٤١٨هـ، ومقال منى مكرم عبيد، الحياة، ١١/٧/١٩٩٧م.

(٢) ذكر التقرير في موضع آخر (ص ٢٣٧) أن ثلاثة آلاف مسجد تمثل أقل من ١٠٪ من إجمالي مساجد مصر، بمعنى أن عدد هذه المساجد يدور حول ٣٠ ألف مسجد فقط.





إذا قارناها بنسبة المسلمين، فهذه الأرقام ينبغي أن يُنظر إليها في ضوء: نسبة الجمعيات الأهلية الإسلامية، ونسبة عدد السكان في كل فئة، وقد أشارت دراسة الدكتورة أماني قنديل (ص ٢٣٧) إلى أن «الجمعيات الإسلامية قد شكلت ٣٤٪ من إجمالي عدد الجمعيات (وهو ٢٨٣٢ جمعية عام ١٩٩١م) كما تبين أن الجمعيات القبطية تمثل ٩٪ من الإجمالي أيضاً» كما أن الجدول رقم (٣) (ص ٢٤٥) الذي يوضح النسبة المئوية للجمعيات الدينية في بعض المحافظات (١٢ محافظة من ٢٧ محافظة) يبين أن إجمالي نسبة الجمعيات الإسلامية ٣٠٪، وإجمالي نسبة الجمعيات القبطية ٦٪ في هذه المحافظات، أي إن الجمعيات المتبقية (٥٧٪ حسب دراسة د. إماني) جمعيات غير دينية، وبمعنى آخر: يشترك فيها المسلمون والنصارى، وتبقى ٣٤٪ من الجمعيات لخدمة المسلمين ورعايتهم (٩٤٪ من إجمالي تعداد مصر)، و٩٪ من الجمعيات لخدمة الأقباط ورعايتهم (٦٪ من إجمالي تعداد مصر)، أي إن كل ١٪ من الشعب المصري إذا كانوا أقباطاً يخدمهم ١,٥٪ من الجمعيات الأهلية، أما إذا كانوا مسلمين فإن نسبة الجمعيات التي تخدمهم تساوي ٠,٣٦٪ من إجمالي الجمعيات، وبمعنى أكثر وضوحاً: فإن نسبة الجمعيات الأهلية القبطية تساوي أربعة أمثال نسبة الجمعيات الأهلية الإسلامية ـ إذا أخذنا في الاعتبار نسبة عدد السكان لكلٍّ منهم ـ.

ـ ومن خداع الأرقام أيضاً: ما أورده التقرير من أن «الوزن النسبي للجمعيات الأهلية المسيحية الجديدة داخل كتلة الجمعيات الأهلية الجديدة في حي شبرا بالقاهرة قد انخفض إلى ٤,٥٤٪ بعد أن كان يمثل ٢٧,٥٪ بحسب الجدول رقم (٣) وانخفض هذا الوزن النسبي في حي روض الفرج إلى ٨,٢٪ بعد أن كان يمثل ١٨,٢٥٪، كما انخفض الوزن النسبي الكلي للجمعيات الأهلية المسيحية الجديدة داخل كتلة الجمعيات الأهلية الجديدة بمدينة القاهرة إلى ٢,٨١٪ بعد إن كان يمثل ٧,٥٧٪ بحسب نفس الجدول» (ص٢٥٥ - ٢٥٦)، بما يفيد انحسار انتشار الجمعيات الأهلية المسيحية، الأمر الذي يرجعه التقرير في موضع آخر (ص ٢٥٣) إلى تزايد مظاهر المد الإسلامي، ودخول الكنيسة أحياناً كثيرة بديلاً لهذه الجمعيات، بالإضافة إلى قيود قانون الجمعيات رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤م.

وحتى لو اعتبرنا صحة هذه الأسباب؛ فواضح أن التقرير يهمل سبباً آخر مهماً، وهو أن القاهرة ـ وخصوصاً الأحياء المذكورة ـ وصلت إلى حالة التشبع السكاني والتشبع من هذه الجمعيات، الأمر الذي جعل اتجاه إنشاء جمعيات جديدة ينتقل إلى تجمعات عمرانية جديدة أو تجمعات لا توجد فيها هذه الجمعيات بكثافة، وهو ما أدى إلى انتقال مؤشر الوزن النسبي إلى بؤر سكانية أخرى، أو خفضه في بعض الحالات.

عولمة أم أمركة؟!

نهاية التاريخ .. أم نهاية أمريكا؟!

(الأخيرة)

بعد استعراض التاريخ الأمريكي، والنشأة الأمريكية كقوة عظمى، وبعض طرق الأمركة، أورد الكاتب سؤالاً: «لمن كل هذه القوة؟»، بدأ الإجابة عليه في الحلقات السابقة، وفي هذه الحلقة بقية الإجابة، وبقية طرق أمركة العالم. - البيان -

القوة الأمريكية.. ونهاية التاريخ: لعل هذه الوقفة تجيب على جزء مهم من السؤال المطروح أولاً؛ فبعد الانهيار السوفييتي، واستفراد الولايات المتحدة بالعالم نشرت أمريكا روح الإحباط لدى شعوب كثيرة، بأنَّ التاريخ شارف على نهايته بهذا الاستفراد، وأن الديمقراطية الغربية هي الوحيدة القابلة للحياة بعد انهيار الشيوعية، وأن التاريخ قد توقف عند انتصار النظام الأمريكي الحالي؛ ولذلك كان ما يُسمى بـ«نظرية نهاية التاريخ».

وعقب نهاية الحرب العالمية الثانية وضع «جورج كينان» الديبلوماسي والأستاذ الجامعي نظرية: «احتواء الشيوعية» وأكد أن القضاء على النازية ـ وقتها ـ ليس نهاية المشكلة العالمية، وأن الشيوعية ستصبح الخطر الجديد، وأنها ستهدد الغرب؛ ولا بد من احتوائها بتأسيس أحلاف عسكرية تحيط بالاتحاد السوفييتي، ووضع خطط لمنع انتشار الشيوعية في الدول الغربية والعالم الثالث.

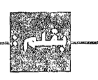
ويجيء الآن «د. صمويل هنتنجتون» أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية فيها، وكان قبل خمسة عشر عاماً ـ في عهد إدارة القس الأمريكي «جيمي كارتر» ـ مسؤولاً عن «التخطيط في مجلس الأمن القومي»، يجيء ليضع نظرية: (صدام الحضارات) ويقول: «إن القضاء على الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية، وإن الإسلام هوالعدو رقم واحد الذي يمثل الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية».

ولن نساير من ناقش هذه النظرية، وفنَّد حقائقها، وأنها مجرد «نظرية» وأنها

المسلمون



والعالم



حسن قطامش

مفتقرة إلى أبسط قواعد المنهج العلمي؛ فاحتواء الشيوعية كان مجرد نظرية.

ثم بماذا نفسر هذا الإلحاح المقيت على خطر الإرهاب والأصولية الإسلامية؟ ومما يؤيد ما نذهب إليه سؤال مجلة: (أتلانتك) للدكتور «بنجامين سوارتز» الخبير في الاستراتيجية الأمريكية في معهد السياسة العالمية بنيويورك:

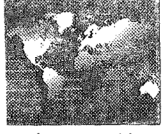
س: بعد حرب الخليج ـ لاحظ التحديد ـ أكثرت أمريكا من استعمال كلمة: «الإرهاب»، وقال البعض: إن الإرهاب حل محل الشيوعية؟

ج: هذا صحيح.. لكن شعار مكافحة الشيوعية خلال الخمسين سنة الماضية كان (مجرد ستار) لسيطرة الشركات الأمريكية على العالم، وكان ذلك باستعمال القوة العسكرية، وبمشاركة ومعرفة جنرالات البنتاجون؛ ولهذا أقول بأن «مكافحة الإرهاب» ليس إلا شعاراً جديداً، ولا بد أن جنرالات الجيش الأمريكي سعداء جداً؛ لأنهم «وجدوا هدفاً جديداً» ولا بد أنهم يعرفون دورهم التاريخي.

ولعل هذا الموضوع يحتاج ـ لأهميته ـ إلى دراسة خاصة تبين الموقف الإسلامي الحقيقي منه؛ إذ إن أغلب من تكلم حول هذه النظرية ـ للأسف ـ من القوميين والعلمانيين!

الطريق الثاني لأمركة بالقوة: انفراد القوة: كان الطريق الثاني الذي اتبعته أمريكا لفرض سيطرتها عن طريق القوة العسكرية هو الحد من انتشار الأسلحة النووية والكيماوية وغيرها مما لا رغبة لأمريكا في امتلاكه لغير من ترغب هي، وهذا الطريق مكمل للأول وهو ما نسميه: «انفراد القوة» فبعد السيطرة على سوق السلاح العالمي، وبناء قوة عسكرية كبيرة، كان لا بد من إلجام الدول عن أن تفكر في الوصول إلى هذا المستوى من القوة لئلا تهدد الأمن القومي الأمريكي.

وهذا الطريق يجعل من الملزم لأمريكا أن يكون لها عدو دائم تسوِّغ به سياستها التوسعية ونفوذها العالمي؛ فتحالفات أمريكا مع الدول الصديقة لها، ليس هناك ما



يجعلها متماسكة أكثر إلا الإيهام الأمريكي بعدو مشترك يهدد مصالح الجميع؛ ولذا نجد الدول الغربية وغيرها من حلفاء أمريكا تسير في الركب وهي مقتنعة بوجود هذا التهديد!

أما أمريكا فمطالبة بإيجاد ذلك العدو واصطناعه بما يضمن لها الانتفاع من تلك التحالفات؛ وأكبر الانتفاع هو تمويل البرامج الوقائية والدفاعية لأمريكا؛ والعجيب أن الدول الحليفة هي التي تطالب بدفع النفقات تطوعًا!!

تقول «مارجريت تاتشر» رئيسة وزراء بريطانيا السابقة في تقديمها لكتاب واينبرجر: (الحرب المقبلة): إن الولايات المتحدة سوف تتعرض لتهديدات بالصواريخ طويلة المدى في بداية القرن القادم ـ لاحظ أيضًا التوقيت ـ وإن الرد المناسب لذلك هو بناء نظام دفاعي عالمي للصواريخ عابرة المحيطات تكون له الأولوية المطلقة في الإنتاج، «وأن يقوم حلفاء أمريكا بدفع فاتورة بناء هذا النظام»!!

ويفسر تلك الظاهرة السياسية ـ وهي الانسياق في الركب الأمريكي مع الاقتناع بعدو مشترك ـ د. «أرون فرايد بيرغ»، الأستاذ المساعد لمادة السياسة والشؤون الدولية في جامعة برينستون في دراسة بعنوان: «مستقبل قوة أمريكا» فيقول: «إن السبب وراء حرص الآخرين على الاهتمام بهواجس أمريكا والقبول بقيادتها: أن هؤلاء في اللحظة الراهنة ـ على الأقل ـ لا يريدون الاضطلاع بهذه الأعباء، ولكن من غير المحتمل أن يدوم هذا الوضع، فمن جهة فسوف يؤدي ذلك الوضع إلى دفع أمريكا حلفاءها السابقين باتجاه الاضطلاع بقدر أكبر من المسؤوليات، ومن جهة ثانية فمن شأن ما تبذله الولايات المتحدة بالإبقاء على هيمنتها عبر اجتراح صفقات جديدة وتحويل نسبة أكبر من ترتيب التكاليف الموجودة إلى الآخرين أن يتمخض عن النتيجة ذاتها، وفي أوروبا وآسيا ستسير الولايات المتحدة وحلفاؤها القدامى في طرق منفصلة !! ففي غياب أي تهديد يبعد أي اتجاه نحو التوحيد يبدو بروز سياسات أكثر استقلالاً على الصعيدين الديبلوماسي والعسكري أمرًا محتومًا، كما يبدو أن تطور سياسات اقتصادية أكثر احتمالاً. إن تفكك التحالفات بسرعة سيذهب معه كثير من النفوذ الذي كانت الولايات المتحدة تستمده يومًا من واقع كونها زعيمة التحالف».

فللحفاظ على النفوذ، لا بد من تحالف، ولبقاء التحالف، لا بد من وجود عدو يحاربه هذا التحالف، وأمريكا مطالبة باستمرار بإيجاد ذلك العدو!

المسلمون



والعالم

من أعداء أمريكا.. وما قوتهم؟ هناك أعداء يستطيعون إحداث تدمير بالولايات المتحدة من خلال استخدام أسلحة جديدة، كالصواريخ العابرة للمحيطات، ورؤوس حرب بيولوجية وكيماوية ونووية، وهناك ٢٥ دولة لديها مثل هذه الصواريخ، وهذا العدد سيزداد خلال العقد القادم، وفي تقرير وزارة الدفاع الأمريكية فإنه بحلول عام ٢٠٠٠م سيكون هناك تسع دول نامية يمكنها تملك أسلحة نووية، و٣٠ دولة يمكن أن يكون لديها أسلحة كيماوية، وثماني دول أخرى يمكن أن تمتلك أسلحة بيولوجية، أما تقديرات وكالة المخابرات المركزية (سي.آي.إيه) فتقول: إنه من المتوقع بنهاية هذا العقد (التسعينات) أن تدخل خمس دول أخرى النادي النووي، ومرَّ بنا أن كلاً من إيران والعراق وكوريا الشمالية ـ أعداء أمريكا الحاليين ـ سيكون لديهم بحلول عام ٢٠٠٥م (١٢٠) طائرة هجومية طبقًا لتقديرات البحرية الأمريكية.

تلك هي التقديرات الرسمية الأمريكية، أما التقديرات التحريضة فتأتي من جانب صاحب الكتاب «الافتراضي» واينبرجر، وهي تختلف تمامًا وتكذب التقارير الرسمية، فيعتقد واينبرجر أن وكالة المخابرات الأمريكية تسيء التقدير، وهي تقديرات يغلب عليها التفاؤل! ويضرب مثلاً بحالة العراق.. فقبل حرب الخليج الثانية كانت تقديرات الـ(سي.آي.إيه) تفيد أن صدام حسين لا زال أمامه سبع سنوات على الأقل ليتمكن من الوصول إلى تحقيق قدرات إنتاج أسلحة نووية، إلا أنه اتضح لخبراء وكالة الطاقة النووية بعد الحرب، وعندما قاموا بفحص إمكانات بغداد، أن العراق على وشك التوصل لإنتاج أسلحة نووية في خلال ثلاث سنوات فقط، كما أن الأقمار الصناعية أخفقت في تحديد قدرات العراق على إنتاج أسلحة نووية أو كيماوية؛ فعندما بدأت الحرب كان لدى المخططين الأمريكيين العسكريين هدفان نوويان في القائمة لضربهما، ولكنّ مفتشي وكالة الطاقة النووية استطاعوا بعد الحرب تحديد ستة عشر مصنعًا رئيسًا كان يجب تدميرها! وعليه فليس هناك معلومات كافية بما يجري في بقية أرجاء العالم!

ولم ينسَ الكاتب (وزير الدفاع السابق) أن يحرض على روسيا..«إنه في الوقت الحاضر بالتحديد وليس بعد ثلاث إلى خمس سنوات، أو حتى عقد من الزمن هناك روسيا التي تمتلك ٢٥ ألف رأس نووي تستطيع تدمير الولايات المتحدة



خلال فترة لا تتجاوز ظهر أي يوم».

ولأجل التقارير الرسمية، والتحريضية، كان على أمريكا الحد من هذه الأسلحة التي تؤرقها، فكان ما يسمى بـ«برنامج التعاون من أجل تخفيض الخطر» في عام ١٩٩١م؛ حيث استطاعت الولايات المتحدة إزالة أكثر من ألفي رأس نووي، وثمانمئة قاذفة قنابل، ومنصة صواريخ في كل من روسيا وأوكرانيا وكازاخستان، وكان ذلك مقابل مساعدات مالية، وهو ما اعتبرته أمريكا إنجازاً ضخماً تفتخر به، فقد صرح وليام بيري قائلاً: إن منع الانتشار يعني شيئاً أكثر من مجرد تفكيك ترسانة الحرب الباردة النووية، إنه يعني .. «قيادة المعركة».

كما اتخذت الولايات المتحدة تدابير أخرى للحد من انتشار عدد من الأسلحة، كاتفاقية خطر الانتشار النووي، والعمل على وضع معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية موضع التنفيذ، والسعي إلى التصديق على الميثاق الدولي للأسلحة الكيماوية، والعمل على تعزيز ميثاق الأسلحة البيولوجية ونظم السيطرة على تكنولوجيا الصواريخ، وأخذ المبادرة في سلسلة من التدابير الدولية للحد من تدفق السلع والتقنيات التي يمكن استخدامها في إنتاج أسلحة الدمار الشامل، وفرض العقوبات ضد الدول التي تنزع إلى اقتناء هذه الأسلحة.

كما أن هناك ما يسمى بـ«دبلوماسية الإجبار» وهي مزيج من التدابير الدبلوماسية والعسكرية، وهو ما استخدمته الولايات المتحدة في عام ١٩٩٤م من أجل وقف البرنامج النووي لكوريا الشمالية. وتضمنت التهديدات من جانب أمريكا ودول أخرى فرض عقوبات اقتصادية ما لم تتوقف كوريا الشمالية عن ذلك البرنامج، وتضمن كذلك الدبلوماسية من الوعود بتقديم مساعدات لإنتاج الطاقة «الكهربائية» في حال وقف البرنامج النووي كما تستدعي هذه السياسة مضاعفة الوجود العسكري الأمريكي بالمنطقة؛ إذ يوجد الآن (٤٥) ألف جندي أمريكي في كوريا الجنوبية.

كما اتبعت الولايات المتحدة السياسة نفسها مع جنوب إفريقيا حينما أرادت بيع صفقة من الأسلحة لسوريا، فهددت بقطع المساعدات التي تبلغ قيمتها ١٢٠ مليون دولار حال تنفيذ الصفقة؛ وذلك لأنها «تعرقل جهود السلام التي تبذلها الولايات المتحدة في المنطقة» وتعمل على الإخلال بميزان القوى في المنطقة!!

ونختم هنا برأي وليام بيري حول هذه السياسة التي تسمى بـ«الدفاع الوقائي»



إذ يقول: ما من شك في أن الريادة الأمريكية هي التي تجعل الدفاع الوقائي ناجحًا ومفيداً ، سواء كان ذلك في روسيا أو أوروبا أو البلقان أو الأمريكتين أو آسيا الشرقية والمحيط الهادي؛ إذ ليس هناك بلد آخر له ما لدى الولايات المتحدة من موارد واردة، ومكانة تتيح لها الوصول إلى سائر أركان المعمورة.. وفي الوقت نفسه (لا ينبغي لأحد أن يتوهم أن الدفاع الوقائي عمل من أعمال البر والإحسان.. إنما المسألة ببساطة أن الولايات المتحدة تبذل هذا الجهد الخارق والعمل الجاد اليوم، لكي تتقي غداً إراقة دماء أبنائها وإهدار ثرواتها).

الطريق الثالث للأمركة بالقوة.. أمركة عسكر العالم: لم يبق لأمريكا لأمركة العالم بالقوة غير هذا الطريق الأخير لإحكام حلقة السيطرة والزعامة؛ فكثير من دول العالم خرجت حديثًا من تحت وطأة الاستعمار الأوروبي، سواء في إفريقيا أو آسيا أو حتى دول أوروبا التي خرجت حديثًا من تحت الحكم الشيوعي، وهذه الدول يمثل العسكر فيها نسبة كبيرة وهذه النسبة المرتفعة أدعى إلى نزوع هذه الدول إلى سياسات ـ إن لم تكن معادية ـ فهي استقلالية، لكن الولايات المتحدة يصعب عليها وجود دولة لا تدور في فلكها؛ فالدولة إن كانت تحكمها مجموعة مدنية، فلا بد من المباركة الأمريكية حتى تحظى بالقبول والعضوية في المحافل الدولية، وهذه الحكومات المدنية كذلك قد تجنح إلى سياسات تخالف التوجه الأمريكي، وأقرب الطرق للفت الانتباه بأن هذه التوجهات غير مقبولة أمريكيًا أن يأتي من الداخل عن طريق المجموعات العسكرية المؤمركة، سريعة الاستجابة للأوامر الخاصة.

كما أن وجود العسكر المؤمرك أدعى لتمرير صفقات عسكرية أمريكية؛ إذ إن السلاح الأمريكي وقتئذ هو الأكفأ والأقدر في القتال، كما أن وجود هذا الصنف من العسكر أداة للتلويح للدول المجاورة المخالفة للسياسات الأمريكية، وخاصة إن كانت هذه المجموعات في دولة كبيرة لها وزنها السياسي أو السكاني أو الاقتصادي وتتوسط منطقة تعج بالمصالح الأمريكية.

ولقد دأبت الولايات المتحدة على استخدام نفوذها على المؤسسات المدنية والعسكرية في الدول الحديثة الاستقلال، من خلال علاقات عمل منظمة مع الشخصيات المهمة في تلك المؤسسات؛ ومما سهل هذه المهمة، تلك القناعة بأن القوات المسلحة الأمريكية هي أفضل نموذج يحتذى به!



فلدى الولايات المتحدة البرنامج الدولي للتدريب والتعليم العسكري، وهو برنامج مشترك لوزارتي الدفاع والخارجية يكفل لضباط من الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو ـ سابقًا ـ ومن دول أخرى، الالتحاق بالمؤسسات والمعاهد الأمريكية لدراسة أسس العلاقات المدنية العسكرية، وهناك مراكز أخرى للتدريس في كل من ألمانيا وآسيا.

كذلك من الوسائل في هذا المجال.. تكوين فرق مكونة من ضباط ومجندين أمريكيين وموظفين مدنيين من وزارة الدفاع يوفدون إلى تلك البلدان لمساعدة حكوماتها على بناء مؤسسات عسكرية محترفة عصرية، تحت قيادة مدنية، وقد أقامت تلك الفرق آلاف الصلات مع أكثر من عشرة بلدان مستقلة حديثًا.

ويحصل الأمريكان من خلال ذلك على الاطلاع المباشر على الخطط والسياسات العسكرية لهذه الدول مما يجعل الصورة أكثر وضوحًا، ولا تبقى هناك حاجة إلى أقمار صناعية أو أجهزة استخباراتية.

الأمركة بالدولرة: لم يكن في الإمكان أن تصبح الولايات المتحدة أقوى دولة في العالم لو لم يكن لها اقتصاد قوي يلبي الاحتياجات الداخلية للدولة، وتستطيع من خلاله السيطرة على الأسواق العالمية بإغراقها بالمنتج الأمريكي. وإن أي دولة لا يمكن أن تتحكم في سيادتها وقراراتها ما لم تكن في غنى عن المساعدات والمنح والقروض. وكما أوردت من قبل، فإن الحرب العالمية كانت من أعظم الفرص التي استغلتها أمريكا، فكان انقسام العالم إلى معسكرين: رأسمالي، واشتراكي حافزًا قويًا في جعل الدول الغربية ذات النظام الاقتصادي الحر تقبل الانضواء تحت المظلة الأمريكية؛ وترتضي ذلك مع إدراكها لخطورة ما تحمله من الهيمنة الأمريكية، فلقد خرجت الولايات المتحدة أقوى دولة اقتصادية، وأكبر دولة دائنة، وأوربا بكاملها كانت مدمرة من آثار الحرب، وكانت المصانع الأمريكية ـ والتي كانت بمعزل تام عن الحرب ـ ورشة كبيرة تقذف ببطونها إلى أوروبا، وحتى بعد انتشار الحرب كانت أوروبا في حاجة إلى إعادة إعمار شامل، ولم يكن هناك من يستطيع تلبية كل الاحتياجات هذه ـ وقتها ـ غير أمريكا، التي لم تتأخر عن تلبية الدعوات، فهي فرصة لن تعوض لتحقيق مخططات الأمركة.

وفي عام ١٩٤٧م عقب الحرب أعلن هاريس ترومان: إذا لم تتحرك الولايات

المسلمون



والعالم



المتحدة للزعامة... تعرض السلام العالمي للخطر..، أما كريستوفر فيشرح تلك الحقبة وما تداعى فيها من اختلاف وجهات النظر الأمريكية حول السيطرة أو التنحي: «عند نهاية الحربين العالميتين كنا أمام طريقين: أن نعلن الانتصار وننسحب، أو نسعى بقيادة الولايات المتحدة إلى بناء عالم أكثر أمنًا وسلامًا وحرية وازدهارًا لأمريكا وللناس في كل مكان، فبعد الحرب العالمية الأولى وقع اختيار قادتنا على الطريق الأول، فدفعنا ثمنًا مرعبًا، وإن كلاً من هاري ترومان وجورج مارشال وآرثر فاندبرغ ـ مع الشعب الأمريكي ـ تصرفوا بحكمة حين اختاروا الطريق الثاني» كان هذا التوقيت فرصة لتغيير المفاهيم الاقتصادية العالمية، فبعد أن كان الذهب هو الأساس لقياس قيمة العملات بما هو حجم المودع منه في البنوك مقابل ما يطرح في الأسواق من نقود، فقد حل الدولار ـ العملة الرسمية الأمريكية ـ محل الذهب في ذلك، وأصبح عملة عالمية يجب التعامل بها دوليًا، بل إن سعر الذهب ذاته أصبح يحدد بالدولار، وأصبح الاحتياطي المالي للدول يقاس بكمية الدولارت المخزنة في بنوكها المركزية!

وعلى الطريقة العسكرية كان لا بد من السيطرة على الأسواق العالمية والاقتصاد العالمي كاستراتيجية مهمة، لبناء أمريكا وقوتها، وأمركة العالم، وهو ما يمكن نجمله ـ أيضًا ـ في أساليب ثلاثة.

الأساليب الأمريكية لدولرة العالم:

١ ـ **السيطرة على الأسواق المالية:** نحن نريد العالم سوقًا ضخمة أو «سوبر ماركت» فيه كل شيء، ونحن الذين نسيطر عليه!! كان هذا من تصريحات أستاذ السياسة الدولية بنجامين سوارتز، مختصرًا به السياسة الأمريكية، ومبسطًا منهجًا، ومُجَلِّيه للناس دون مواربة ولا خجل، ويضيف: الاستراتيجية الاقتصادية الأمريكية «منذ خمسين سنة» هي أننا نريد العالم كله سوقًا تحت سيطرتنا، ولا بأس أن نأخذ من هذا، ونعطي هذا. وهذه السياسة تزيل العجب الذي قد يبدو من إنفاق الولايات المتحدة المليارات لحماية اقتصاد ألمانيا واليابان! رغم طاقتهما الاقتصادية والمالية، ولكن عدم رغبة واشنطن في أن تتولى الدولتان الدفاع الذاتي عن مصالحهما الاقتصادية، كي لا تزداد قوتهما على الصعيد الدولي، ويصبحا منافسين قويين لأمريكا.

٢ ـ **المساعدات الاقتصادية والقروض «المربوطة»:** لماذا تقدم أمريكا

المساعدات الاقتصادية؟ ولماذا قدمت مساعدات لدول غرب أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية من خلال «مشروع مارشال»؟ ولماذا أعلنت «مشروع دودج» بتقديم مساعدات اقتصادية لليابان؟ تأتي الإجابة أيضًا من سوارتز: كنا نريد مساعدتهم ليصبحوا جزءًا من سوق مفتوحة؛ لأننا كنا نخاف أن ينغلقوا على أنفسهم، أو يصبحوا كتلة اقتصادية، بعد أن أخفقوا ككتلة عسكرية، ولتزدهر المصانع اليابانية ولتنقل السفن البضائع اليابانية إلى العالم كله، ولكن يجب ألا ننسى أن اليابان جزيرة صغيرة، وسنظل نملك اليد العليا ما دام أسطولنا البحري، هو الذي يحمي سفن البضائع والسفن الأخرى التي تستورد البترول.

المصلحة .. سياسة واحدة، وفكر واحد يحكم الولايات المتحدة، وبمقارنة بسيطة بين المساعدات المالية للكيان اليهودي البالغة ٣,٢ مليار دولار سنويًا، وبين ٤٧ بلدًا إفريقيًا يمثل سكانها ١٥٪ من سكان العالم، و٢٠٪ من كتلته الأرضية، تقدم لها مساعدات سنوية قيمتها ٦٣٠ مليون دولارًا فقط.. فبقاء الكيان اليهودي مصلحة استراتيجية لأمريكا، أما إفريقيا، فلا تمثل في الغالب إلا تأثيرات هامشية على المصالح الأمريكية، على حد تعبير روبرت دول.

كذلك فإن المساعدات الأمريكية دائمًا ما تكون «مربوطة» أي إن هذه المساعدات المالية ليس للدول الممنوحة لها حتى التصرف فيها حسب احتياجاتها، بل هي تأتي محددة؛ فالدولة الآخذة في حاجة إلى إقامة مشاريع صناعية أو تنموية، أو زراعية لكي تطعم شعبها، فتأتي المساعدة مشفوعة بقولهم: إنكم في حاجة إلى تحديد النسل؛ لأن مشاكلكم كلها منبعها الزيادة السكانية الرهيبة التي تعيق برامج التنمية، وتأكل الأخضر واليابس، ولا تبقي ولا تذر ولا تسمح بأي تحسن في الحالة الاقتصادية، وهكذا فالمساعدات تمنح للدول التي تحتاج إليها حسب المصلحة، سواء كانت جلية بينة، أو خفية يمكن تأويلها على أنها... صدقة جارية!!

أما الدول التي لا تحتاج إلى مساعدات أمريكا المالية، فلها أن تستغني كيف شاءت، لكن دون تهديد مصالح أمريكا.

أما الدول التي بين هؤلاء وأولئك، وما زالت في طريق النهوض؛ فلها الطريق الثالث وهو العقوبات الاقتصادية.

٣ ـ العقوبات الاقتصادية: نجح الأمريكيون في أن ينشئوا منظمات عالمية



اقتصادية تحقق أهدافهم، وأن تكون الإدارة فيها أمريكية، أو ذات أغلبية أمريكية (مؤمركة) يحق لها حسم الخلافات لصالح أمريكا، ووضعت هذه المنظمات العالمية ـ كصندوق النقد الدولي، أو البنك الدولي ـ الأسس والضوابط للقروض والمعونات والبرامج الاقتصادية الإصلاحية، وتم إعطاؤها الصفة الدولية حتى تخرج أمريكا من دائرة اللوم، وأصبحت تقارير هذه المنظمات هي المعيار الرسمي الدولي الحقيقي الملزم للجميع، والشذوذ عنه، شذوذ عن الشرعية الدولية يترتب عليه عقوبات اقتصادية إضافة إلى عقوبات سياسية من منظمات مؤمركة أيضًا كمجلس الأمن، والأمم المتحدة؛ وما معنى وجود كل هذه الدول في الأمم المتحدة أوغيرها من المنظمات، وما الفائدة من تصويتها، إن كانت أمريكا تمتلك حق النقض « الڤيتو » لأي قرار لا تراه مناسبًا!؟

ولم تكتف الولايات المتحدة بتلك العقوبات الدولية، بل تعدت ذلك إلى إصدار عقوبات من جانب واحد؛ فهي تعتبر أنه لا فرق بين التدويل والأمركة، فالأمر سواء.

وقد عبر « جيري جاسنيوكي » رئيس جمعية الصناعيين الوطنية بأمريكا عن هذه العقوبات الفردية بقوله: ثمة فكرة تشبه ما يصدر عن شخص تنتابه نوبة غضب وانفعال، مفادها أن على الأمريكيين أن يفعلوا أي شيء ولو أضر بهم، إن ما نود أن نقوله اليوم: أن هذه العقوبات لا تفيد ولا تخدم غرضًا، فهي تُغيِّر سلوك الدول المستهدفة.

وقد أصدرت منظمة أمريكية رئيسية تقريرًا أدرجت فيه ٦١ قانونًا ومرسومًا أمريكيًا صدرت بين عامي ٩٣ ـ ٩٦م منحت فيه الحكومة الأمريكية سلطة فرض عقوبات من جانب واحد خدمة « لأغراض سياسية »، هذه الإجراءات تستهدف خمسًا وثلاثين دولة.. تضم ٢,٣ مليار نسمة من مستهلكي السلع والخدمات الأمريكية، أي ما يعادل ٤٢٪ من سكان العالم. وتتخذ أمريكا هذه الإجراءات وهي على قناعة تامة بالقدرة على تنفيذها، وانصياع تلك الدول لها.

حجج العقوبات الاقتصادية: لا زالت أمريكا تتظاهر باحترام عقل الإنسان وعواطفه، فليس من المعقول فرض عقوبات دون مسوغات أو أسباب تؤدي إليها!! وقد تم تقسيم حجج العقوبات الاقتصادية إلى أربعة أقسام:

١ ـ إعلاء شأن حقوق الإنسان والديمقراطية: وقد تم اتخاذ ٢٢ تدبيرًا في ذلك



مع ثلاث وعشرين دولة، منها: البوسنة، بورما، أنجولا، بورندي، الصين، كرواتيا، كوبا، نيجيريا، هايتي.

٢ ـ مكافحة الإرهاب: وتم حتى الآن استصدار ١٤ قانونًا ومرسومًا تنفيذيًا بغية مكافحة الإرهاب، واستهدفت هذه القوانين عدة دول منها: كوبا، إيران، العراق، ليبيا، نيكاراجوا، السودان، سوريا.

٣ ـ الحيلولة دون انتشار التسلح النووي: واستهدفت الإجراءات الخاصة بهذا البند كل من الصين وإيران وكوريا الشمالية، وباكستان.

٤ ـ حقوق العمال ومحاربة المخدرات، وحماية البيئة والحيلولة دون العمل بنظام الأشغال الشاقة في السجون: وقد تم فرض عقوبات في أغسطس ٩٥م على عدة دول، منها الإمارات، وقطر، وهي سوق بلغت قيمة الصادرات الأمريكية إليها عشرة بلايين دولار عام ٩٦م وتضمنت هذه العقوبات تعليق العمل بتقديم «هيئة الاستثمارات الخاصة خارج الولايات المتحدة» ضمانات مقابل المخاطر الجديدة للمستثمرين الأمريكيين في الدول العربية.

نماذج سريعة للعقوبات الاقتصادية: لن نتعرض للنموذج العراقي؛ فالحالة العراقية لا تخفى على أحد، ويكفي أن أمريكا حتى الآن هي المعرقلة لإكمال مشروع «النفط مقابل الغذاء» وذلك لأن العراق ليس على استعداد الآن لاستقبال شركات أمريكية مرة أخرى، وما دامت أمريكا غير منتفعة، فلماذا يتم الاتفاق بسهولة؟!

وأيضًا لن نعرج على ليبيا، التي أثبتت الوثائق البريطانية أنها ليس لها دخل في حادث تفجير الطائرة الأمريكية فوق لوكيربي؛ فأمريكا أصدق من بريطانيا ولا شك، ولن نشفق على السودان فهي ـ كما ترى أمريكا ـ دولة إرهابية تستحق كل ما يحدث لشعبها من حرب وجوع!!



نيجيريا والعقوبات الاختيارية: ذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز أن وارن كريستوفر ـ وزير الخارجية السابق ـ منزعج جداً من جراء عدم تقدم العملية الديمقراطية في نيجيريا [سكان نيجيريا ١٢٠ مليون، ٧٥٪ مسلمون] ولأجل هذا الانزعاج فقد تم فرض عقوبات عدة على نيجيريا وهي ما يلي:

١ ـ تجميد أصول نيجيريا في الولايات المتحدة.

٢ ـ منع أي استثمارات جديدة هناك. ٣ ـ قطع الروابط الرياضية بين البلدين.

٤ ـ منع إصدار التأشيرات للنيجيريين.

٥ ـ منع تصدير الأسلحة والخدمات العسكرية.

٦ ـ معارضة أية قروض أو اعتمادات من قبل صندوق النقد الدولي.

٧ ـ عدم الموافقة على المشروعات النيجيرية المقدمة للمؤسسات المالية الدولية.

لكن أمريكا لم تفرض أية عقوبات نفطية على نيجيريا؛ لأنها تشتري ٤٠٪ من صادراتها النفطية وهو ما يمثل ٨٪ من واردات النفط الأمريكية.

روسيا البيضاء وعقوبات اختيارية أخرى: خفضت الولايات المتحدة علاقاتها مع روسيا البيضاء بسبب ما وصفته بـ «تحول خطير في حقوق الإنسان» والذي تمثل في القيود الشديدة على حرية التعبير وتفتيش مكاتب الأحزاب السياسية المختلفة، وأوضح مسؤولون أمريكيون أن هذا يعني أن أمريكا لن تكون مستعدة لمناقشة أي قضايا مع روسيا البيضاء «سوى تلك التي تهم الولايات المتحدة بشكل مباشر».

ونسائل أمريكا عن حقوق الإنسان: ماذا عن حقوق البشر «الإرهابيين الأصوليين»، بحسب معاجمكم، المرتهنين في سجون الدول الصديقة بلا تهمة ولا جريمة؟

ونختم بهذا الخبر التي أوردته وكالة رويتر الذي مفاده: أن منظمة العفو الدولية حذرت الشرطة ومسؤولي السجون في شتى أنحاء العالم يوم ٤/٣/١٩٩٧م من خطر استخدام أجهزة التعذيب والصدمات الكهربائية في العالم، وذكرت أن الولايات المتحدة هي «أكبر منتج لأجهزة التعذيب الكهربائية في العالم» وأن فرنسا تساهم في تطويرها. [جريدة البيان الإماراتية، ع/٦١٠٤/٥/٣/١٩٩٧م].

وبالمصلحة، والعسكرة، والدولرة.. تمت حلقات سياسة الأمركة، وإلى هنا تبدو الصورة وردية جداً، متفائلة جداً، مناسبة جداً لاستمرار الحلم الأمريكي!

لكن السنن قد تقول خلاف ذلك، والعالم لن يقف متفرجاً كثيراً؛ فهناك سياسات معادية لأمريكا، وهناك منافسة قوية لأمريكا في كل شيء، وهناك الأهم: الدمار الأمريكي في كل شيء، والفشل الأمريكي في كل شيء، فإن كانت أمريكا تدور حول مصلحتها؛ فهناك القوة العسكرية التي بدأت في التراجع، وهناك الاقتصاد المشرف على الانهيار، وهناك التخلف التقني والتكنولوجي، وهناك الدمار الاجتماعي بكافة مجالاته.

وبالجملة: فهناك نهاية لأمريكا.. وليس نهاية للتاريخ ـ كما يزعمون ـ.

المسلمون



والعالم

تقرير دعوي



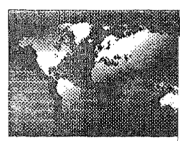
مدخل:

يبلغ عدد سكان الفلبين حوالي خمسة ملايين نسمة، وقد دخلها الإسلام في القرن الثامن الهجري وواجه السكانَ المسلمين من قبل المحتلين استئصال واسع، وقاموا بتنصيرهم حتى لم يعد عدد المسلمين بها يمثل سوى ١١٪ وبخاصة في الجنوب حيث يكون تجمُّع المسلمين هناك. وديفوسي ضمن محافظة دابار الجنوبية، وهي أكبر مدينة في هذه المحافظة بعد مدينة راباو.

وهذه المدينة كثيرة السكان، ومعظم توابعها من النصارى إلا أن المسلمين وإن كانوا في الأصل أهل البلاد فقد اضمحلوا وانطمسوا بالجهل والضعف والتنصير؛ فأصبحت حالهم لا تسر؛ إذ يظن الزائر لهم أنهم نصارى لعدم وجود مميز؛ فالرجال مثل النصارى، والنساء كذلك، وأماكن العبادة نادرة؛ بحيث لا يظهر إلا عدد من الجوامع.

دور العلم:

يوجد فيها معهدان: أحدهما معهد ديفوس الإسلامي، والثاني معهد منداناو الإسلامي، ويبلغ عدد الطلبة في كل منها ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ طالب وطالبة، ويدرس فيها من مرحلة الروضة إلى نهاية الثانوية العامة، كما يوجد عدد من المدارس الإسلامية منتشرة في أحياء المسلمين وقد تبلغ عشرين مدرسة ولكنها لا تغطي سوى ١٠٪ من الأحياء الإسلامية.



بقلم: سعود بن محمد آل عوشن

المقررات الدراسية:

تسير معظم المدارس في مقرراتها الدراسية على مناهج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مراحلها الأولى.

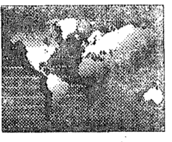
الدعوة:

هناك عدد من الجمعيات الخاصة بالدعوة والتعليم، ولها مدارسها، وأكبر هذه الجمعيات جمعية العلماء التي شكلها الدعاة المتخرجون من ليبيا، إلا أن نشاطها الدعوي أقل مع اهتمامهم بالمواسم البدعية مثل الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة النصف من شعبان، وليلة الإسراء والمعراج، وغيرها.

حاجة البلاد:

لا شك أن البلاد في حاجة إلى الدعوة، والتعليم الإسلامي بصورة خاصة، وهي ذات مناخ مناسب للدعوة الإسلامية، والمسلمون سئموا من المبتدعة، وهم يبحثون عن العودة إلى الإسلام من جديد؛ إذ يعيشون خواء نفسيًا وفراغًا روحيًا؛ ولذا نجدهم يبحثون عن أصالتهم وإثبات شخصيتهم ووجودهم الإسلامي؛ فهم في دوامة فكرية، وقد يتبعون أي ناعق، ولكن ـ ولله الحمد ـ فإن أهل الضلال في هذه المنطقة بعيدون عنهم.

وقد يستشرف القارئ المهتم بالدعوة في هذا المكان إلى معرفة الطريق الذي يسلكه للإسهام بالمسؤولية والعمل على أداء الواجب المفروض على كل فرد.



فنعرض فيما يلي بعض من الوسائل والطرق التي يمكن أن يسلكها من يؤدي دوره الدعوي كما يلي:

١ ـ ضرورة دعم الدعاة هناك بالكتب والمراجع الإسلامية باللغة العربية؛ ويحسن أن تكون على شكل مكتبة صغيرة توضع في أحد المعاهد الإسلامية القائمة حتى يرجع الجميع إليها.

٢ ـ بدعم الدعاة والطلبة بالكتيبات الصغيرة باللغة العربية واللغات المحلية التي تبحث في مواضيع العصر؛ لزيادة معلوماتهم وثقافتهم حول أوضاع المسلمين وتعاليم دينهم.

٣ ـ أهمية نشر الكتيبات الإسلامية والمطويات مثل كتاب التعريف بالإسلام لفهد المبارك، وكتاب التوحيد وتعليم الصلاة وغيرها بلغة التجالو.

٤ ـ يحسن ابتعاث أعداد من الطلبة إلى البلاد العربية وتعليمهم العلم الشرعي بها؛ على أن يُتابَعوا أثناء التعليم، ويُوجَّهوا إلى التزود بالمعلومات والتطبيق بصورة أعلى؛ حتى يكونوا قدوة لمجتمعاتهم.

٥ ـ اختيار بعض من الطلاب المتخرجين من الثانوية العامة وإعطائهم منحًا دراسية في الكليات الإسلامية بمدينة مراوي فذلك من أسهل الطرق وأوفرها.

٦ ـ اختيار مجموعة من الطلبة من المراحل الابتدائية أو المتوسطة ونقلهم إلى إحدى المعاهد الإسلامية التي تقع في وسط إسلامي وتحظى بتربية أعلى ضمن الطلبة البارزين في تلك المعاهد، مع تحمل نفقاتهم المعيشية والدراسية وهي قليلة نسبيًا.

٧ ـ يحسن وضع حوافز للطلبة الموجودين بالمعاهد والمدارس القائمة في حالة التزود بالمعلومات بصورة أعلى؛ كمن يحفظ من القرآن أكثر وكذلك من الحديث، ومن يتقن العربية أو يجيد الخطابة أو غير ذلك؛ مما يساعد على

المسلمون

والعالم

زيادة الحصيلة العلمية.

٨ ـ منح حوافز لمن يزداد علماً من المدرسين والدعاة إذا قدَّم ما يثبت ذلك من ملخصات أو بحوث أو نقاش أو غير ذلك.

٩ ـ يركز في التوعية على الجوانب التربوية والتطبيق العملي للإسلام وإيجاد المسلم الحق.

١٠ ـ يشكل الجهاز المشرف على هذه الأعمال من خيرة أعضاء الجمعيات القائمة وذلك عن طريق الترشيح لأول مرة، ولمدة لا تتجاوز سنة، وبعدها بالانتخاب إن ثبت جدوى ذلك، وإلا فبالترشيح لكن لمدد قصيرة دائماً حتى يكون التجديد دائماً والجهد مشتركاً وليسلم من الاستبداد في السلطة السائدة في الجمعيات القائمة.

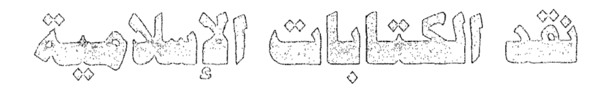
١١ ـ يمكن دعم المعاهد القائمة بمدرسين أكفاء؛ وذلك بكفالتهم وتحديد مجالات أعمالهم.

١٢ ـ إقامة ندوات توعية لإيضاح الإسلام وتبيانه بالأسلوب الملائم لهذا المجتمع.

١٣ ـ وضع برنامج وعظ محدد ومنظم للكبار المتعلمين بالمنطقة في أحيائها الإسلامية ومدارسها ومساجدها، ويركز على التطبيق العملي للإسلام في الآداب والأخلاق والمعاملات.

هذا ونسأل الله التوفيق والسداد للعاملين في أي مكان وزمان، وأن يبصر الجميع إلى ما يُظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون؛ إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





نقد الكتابات الإسلامية

بقلم: د. أحمد إبراهيم خضر

في دائرة الضوء

قبل منتصف الثمانينات كتب أحد الباحثين وهو الدكتور «محيي الدين عطية» ما نصه: «في الساحة الإسلامية عدد محدود يملك التأثير بكتبه وصحفه في الملايين من أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مواطنهم وألسنتهم، ومن هؤلاء علماء وفقهاء وناشرون وصحفيون وزعماء ومفكرون، كما إن منهم من ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء ولكن الظروف دفعت بأسمائهم بين هؤلاء فاعتلوا الموجة معهم.

وأصحاب الريادة الفكرية هؤلاء عن جدارة أو عن غير جدارة، بأيديهم أن يتقوا الله في هذا الجيل، وأن يتخلوا عن السطحية والارتجال، وأن يكفوا عن دغدغة العواطف وعن الاستهانة بعقول القراء.. وألا يكتفوا بالنظر تحت أقدامهم، وإنما عليهم أن يحسبوا ألف حساب لما يمكن أن يترتب على إطلاق ما لديهم من إرشاد أو توجيه؛ فالكلمة ملك لصاحبها قبل أن يخرجها للناس، فإن خرجت فهي التي تملكه ولا سلطان له عليها في تفسير أو تأويل»[1].

ويفسر الدكتور «عطية» ما يدعوه بالسطحية في الكتابات الإسلامية فيقول: «والأسباب وراء هذه الظاهرة كثيرة لعل أهمها هو سهولة الكتابة فيما يجب أن يكون، وصعوبتها في كيفية وضعه على الطريق العملي الواقعي، فالأولى تكفيها العودة إلى المراجع، والثانية تتطلب المعايشة الواقعية للواقع والإلمام الكافي بالبدائل

(١) أمراض الصحوة، محيي الدين عطية، المسلم المعاصر، ع/٤٢، ١٩٨٤م، ص ١٠ ـ ٢٦ .

والخبرة المتخصصة بالداء والدواء»[١].

إن الأمر يحتاج ونحن الآن في أواخر التسعينات إلى إعادة النظر في هذه الانتقادات التي يمكن حصر أهمها على النحو التالي:

١ ـ أن الكتاب الإسلاميين يحرصون سواء في كتبهم أو مقالاتهم الصحفية أو البحوث التي يطرحونها في المؤتمرات على الاختلاف عن الآخرين والتحصن خلف جدار فكري ولغوي منيع، والعمد إلى الإيحاء بأنهم يقولون شيئًا جديدًا، وإلى أن ثمة فروقًا كبيرة بين مقولاتهم ومقولات الآخرين.

وتفسير ذلك يعود إلى:

أ ـ الإحساس بالتعالي على الكتابات العلمانية.

ب ـ العزوف عن التعمق الواعي بقضايا الإنسان المعاصر، لما يتطلب ذلك من جهد وممارسة ومعاناة.

ولهذا لا يوجد في الكتابات الإسلامية ـ إلا ما ندر ـ تصد للمشكلات الواقعية كما يجب أن يكون التصدي، وما يغلب على هذه الكتابات هو هروب مقنع خلف عموميات يسلم بها الجميع، وتهويم في خيالات ومثاليات تدغدغ العواطف ولا تقدم الحلول.

٢ ـ أن الانتشار السريع لكلمة (إسلامي) التي ظهرت على أغلفة الكتب مشيرة إلى المنظور الإسلامي للاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم النفس والفنون والآداب بل والطب والمحاسبة والإحصاء قد لا يعني إلا استغلالاً لصفة المنظور الإسلامي أو الدراسة المقارنة؛ فكثير من هذه الكتب ليست في حقيقتها إلا انتقاء لبعض النصوص التي تحث على أخلاقيات عامة يحسن أن تتخذ لها مكانًا في كتب التوجيه والإرشاد، كما أنها ليست إلا مجرد حشد قلّ أو كثر لممارسات تاريخية تندرج تحت التاريخ الاجتماعي ولا تقترب من التحليل والمقارنة، ولا تمثل اجتهادًا، ولا تضيف علمًا ينتقل به القارئ خطوة جديدة إلى الأمام.

ويفسر ذلك بأن إنشاء الأقسام العلمية في الجامعات التي تضيف صفة إسلامي إلى جانب مجالها الأصلي كالأدب وعلم النفس

(١) ماذا يكتب الإسلاميون، محيي الدين عطية، المسلم المعاصر، ع/٤٥، ١٩٨٥، ص ٥ ـ ١٠.

والاجتماع والاقتصاد والتربية دفع عدداً من المتخصصين إلى الإسراع في تغطية المناهج المطلوبة أو إنشائها من العدم إما تلبية لحاجة الطلاب إلى المعرفة، وإما تأهيلاً لأنفسهم لاتخاذ مواقع مبكرة في هذه الأقسام في بعض الجامعات العربية؛ وقد أدى ذلك إلى سيل من الكتب الجامعية تفتقر إلى الحد الأدنى من المستوى العلمي المفترض تقديمه إلى الطلاب فضلاً عن أنها وقفت عاجزة عن مواكبة حركة التأليف الجامعي ذات التاريخ العتيد أو المترجمة عن الفكر العالمي المتطور.

٣ ـ أن معظم الإنتاج الإسلامي الموجه إلى عامة القراء أكثر افتقاراً إلى المنهج وأشد تواضعاً في مضمونه الفكري.

٤ ـ أن في بعض الكتابات الإسلامية طعناً في شخصيات الآخرين أو في فكرهم بالاستدلال على أعمالهم السابقة وإسقاط ماضيهم على حاضرهم؛ فتكون الكتابة هنا مركزة على الشخص ذاته مما يعني استخدام سلاح يشهره من ضعفت حجته، وعزت عليه الأدلة والشواهد؛ بالإضافة إلى افتراض أن الناس لا يتحركون ولا تتطور أفكارهم، وأن ما قاله كاتب في مرحلة سابقة لا يجوز له أن يعدل عنه في مرحلة لاحقة.

٥ ـ أن الكتابات الإسلامية تسيطر عليها فكرة الحقيقة الواحدة التي لا ثاني لها، وأن الكاتب تتملكه هذه الفكرة بحيث يستحيل أن يتصور معه صواب الرأي والرأي الآخر معًا في إحدى القضايا وجواز خطئهما في قضية أخرى وإن اتفقا.

ويتقدم صاحبنا خطوة كبيرة هنا في انتقاداته للكتابات الإسلامية فيتهم أصحابها بالانغلاق الفكري الناتج عن فقدان الإرادة القادرة على التفاعل مع الثقافات الأخرى، وفقدان التمييز بين ما يؤخذ منها وما يترك، يقول الكاتب « ... فيكون المهرب والملاذ هو إغلاق النوافذ جميعًا وتضييق دائرة الحوار حتى نرى بين أيدينا كتبًا تقذف بها المطابع كل يوم وصحفًا ومجلات يصدرها الإسلاميون بغية نشر دعواتهم بين الناس، ولكنها لا تعدو أن تكون حواراً مع النفس أو حديثًا داخليًا يحدث بعضهم بعضًا به، لا يهم غيرهم، ولا ينفعل به أحد، وما



إلى ذلك لانفصالهم عن الفكر المعاصر وقضاياه، ورفضهم للتفاعل معه إلا في النادر الذي لا حكم له».

ويستشهد برأي الدكتور «رضا محرم» الذي يفسر موقف الإسلاميين هذا بأنه ناتج عن الإحساس بالدونية أمام فاعلية أفكار الآخرين؛ مما يدفع إلى الرفض العصبي لهذه الأفكار وما يسميه بالإحساس الكاذب بالاستعلاء على أفكار الآخرين وثقافتهم[1].

٦ ـ الكتاب الإسلاميون ـ كما يرى الدكتور «جمال عطية» ـ :

أ ـ يكتبون عن الجهاد، ولا يهتمون بقضايا تحرير الأمم والشعوب المستعمرة أو المستغلة لحكامها المسلمين، ولا تستثيرهم قضايا حقوق الإنسان المهدرة في كل مكان.

ب ـ يكتبون عن الزكاة ولا يدرسون نظم العدالة الضريبية والتأمينات الاجتماعية والخدمات العامة التي تتسابق الدول في تطويرها وبسط ظلالها.

ج ـ يكتبون عن الربا ولا يبحثون في أزمة النقد العالمية ومشكلة الديون الدولية وحيرة الفوائض النفطية.

د ـ يكتبون عن المرأة والطلاق وتعدد الزوجات، ولا ترى لهم إسهامًا في حل القضايا المعاصرة للمرأة والطفولة والشباب أو متابعة للحركات التي تعمل للإصلاح أو الإفساد في هذه المجالات.

هـ ـ يبحثون في فكر المعتزلة والأشاعرة والصوفية والباطنية ولا تثير فيهم الإلحادية والوجودية والماركسية التي تغزو العقول اليوم أي اهتمام ببحثها ومناقشتها ومتابعة حركتها وانتشارها.

و ـ يكتبون في المضاربة والمرابحة، وفي الحدود والتعازير، وفي الحسبة وفي المظالم ... إلخ ولا يعتبرون ما استحدث من عقود المعاملات والجرائم والعقوبات ونظم الرقابة الإدارية والمحاكم الدستورية والقضاء المستعجل وشرطة الآداب والسياحة ... إلخ؛ ولو من باب المصالح المرسلة وتغير الأحكام بتغير الأزمان.

ز ـ يكتبون في الدعوة والداعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما فنون الدعاية والإعلام الحديثة ووسائل

(١) أمراض الصحوة، محيي الدين عطية، مرجع سابق، ص ١٠ ـ ٢٦.

الاتصال الجماعية، وإمكانات شراء أو تأجير محطات تليفزيونية وإذاعية حرة؛ ناهيك عن الصحافة والنشر بأساليبها المتطورة؛ فليس لهم في هذا الميدان سوى دور (الإسهام السلبي) بالقراءة والمشاهدة والاستماع [١].

لا شك أن قَدْرًا من هذه الانتقادات صحيح، وخاصة فيما يتعلق بإضافة المنظور الإسلامي إلى كتابات قد لا تكون إسلامية أصلاً [٢] ويشارك هنا جمال ومحيي الدين عطية الكُتَّابَ الماركسيين في هجومهم على هذا النوع من الكتابات فيطلقون على كُتَّابها صفة: (الإسلاميين الانتقائيين) الذين يضعون المشروع القديم نفسه في أكواب جديدة دون تغيير المفهوم؛ فالمفاهيم الغربية نفسها توضع عليها ملصقات إسلامية، كما اتهموهم بعدم الأصالة وبعدم الاتساق الفكري وتحولهم في فترة زمنية قصيرة من اتجاه ومدارس متناقضة تمامًا مع هذا الاتجاه الجديد، وأنهم شديدو العمومية يجمعون ما لا يأتلف بحيث يصلح لأي فكر أو عقيدة غير الإسلام [٢].

ونحن متفقون على أن هذه الكتابات ليست إلا هزلاً فارغًا لا يليق بجدية هذا الدين، وجهلاً فاضحًا بطبيعته، وأن المسألة بالنسبة لأصحابها مجرد حرفة وصناعة، والكلمة ـ كما يقول العلماء ـ «لتنبعث ميتة وتظل هامدة مهما تكن طنانة رنانة إذ هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها».

أما القدر الآخر من هذه الانتقادات فإنه لا يصح إلا في حدود ما اطلع عليه الكاتبان ولا ينسحب على ما لم يطلعا عليه، كما أنه مقيد بالفترة الزمنية التي كتبا فيها هذه الانتقادات، وباختلاف النظرة بينهما وبين غيرهما في مدى الأهمية والحاجة والأولوية للموضوعات التي تصورا أن الإسلاميين قد أغفلوها.

إن الأمر ليس مجرد الكتابة في قضايا فرضت نفسها على الساحة (كنزع السلاح وغزو الفضاء وتلوث



(١) افتتاحية العدد ٣٥، المسلم المعاصر، جمال عطية، ١٩٨٣م.

(٢) علم الاجتماع والصراع الإيديولوجي في المجتمع العربي، حيدر إبراهيم علي، نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦، بيروت، ص ١٢٧، ١٢٨.

البيئة والانفجار السكاني . . .إلخ)، إن لم يكتب فيها الإسلاميون فهم غائبون كما يرى الدكتور «جمال عطية».

وليس الأمر مجرد الأخذ بالحلول التي وجدها الغربيون صالحة لهم ويجب علينا أن نأخذ بها من باب المصالح المرسلة وتغير الأحكام بتغير الزمان كما رأى أيضًا!

المفروض علينا أن ندرس مشاكل مجتمعنا الحقيقية، ونستنبط لها حلولاً، ونبحث لها عن أحكام في الكتاب والسنة؛ لا أن نأخذ حلول الغرب لمشاكله (التي لا تقع إلا فيه ولا تتسق إلا مع طبيعته) ثم ننظر إليها على أنها حلول إسلامية وأن الإسلام لا يمنعها؛ فهذا هو الانحراف بعينه عن شريعة الإسلام.

يأخذ الدكتور «جمال عطية» على الإسلاميين أنهم لا يكتبون في قضايا مثل (حقوق الإنسان) مثلاً، ولا يضع في اعتباره أن حقوق الإنسان ـ **باعتراف واحد من أشد المفكرين تخريبًا في عقيدة الإسلام ورغم ذلك يُدعى بالمفكر الإسلامي** ـ جُهد تاريخي قامت به الذات الأوروبية على ذاتها ومن صراع توتري هائل بين العقل المسيحي والعقل العلمي؛ إضافة إلى أن لـ (حقوق الإنسان) معنى بالنسبة إلى الإنسان الأوروبي؛ لكنها في عالمنا الإسلامي ليست أكثر من مجرد ترف وزينة يتحلى بها المثقفون العرب، والجماعات المسيّسة تستخدمها لأغراض لا علاقة لها بالإنسان وحقوقه تنقلها جاهزة من الغرب وتلصقها لصقاً بما يسمى بالخطاب السياسي العربي والمعطيات الراهنة للمجتمعات الإسلامية [1].

ولكن: هل أخرج الكاتبان نفسيهما من دائرة الكتاب الإسلاميين باتهامهما لهؤلاء الكتاب بالانغلاق الفكري وإغلاق النوافذ وتضييق دائرة الحوار والانفصال عن الفكر المعاصر؟ وعلى أي فكر يطالبان بفتح النوافذ وتوسيع دائرة الحوار؟ لا تحتاج الإجابة على هذين السؤالين إلى مزيد عناء، إنها واضحة في استشهاد الدكتور «محيي الدين عطية» برأي الدكتور «رضا محرم».

(١) أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٦.

في دائرة الضوء

والمعروف عن الدكتور محرم ترجيحه لرأي الدكتور «محمد فتحي عثمان» بجواز أن يكون المسلم يساريًا. يقول الدكتور «محرم» في مقالته «بل المسلمون يسار ويمين»: «إذا اتفقنا إذن على أن الدين الإسلامي يترك لاجتهاد الإنسان المسلم حيزًا ضخمًا من حياته قد يتسع ليضم أغلب أنشطته الحياتية، وإذا اتفقنا أن الإيديولوجيات المعاصرة تقدم الخبرة المحدثة لترشيد وضبط الممارسات الإنسانية في الحياة اليومية، فإن ذلك يؤدي إلى القبول بإمكانية المزاوجة بين العقيدة الدينية والانتماء السياسي»[1].

إن الكتاب الإسلاميين (الصادقين) في الدفاع عن عقيدة الإسلام ومنهج الله وكتابه وسنة نبيه ﷺ يؤمنون إيمانًا لا يتزعزع بأن أمر العقيدة لا رخاوة فيه ولا تميع وأن هذه العقيدة لا تطيق لها في القلب شريكًا ولا تقبل شعارًا غير شعارها المفرد الصريح وقد عبر عن ذلك الباحثون الغربيون بقولهم: «إن الإسلاميين يرون أن المجتمع انعكاس للتوحيد الإلهي الذي هو صلب الإسلام، وأنه إذا كان التوحيد معطى أساسًا في الذات الإلهية فإنه يحتاج في المجتمع البشري إلى بناء وتحقيق، وأنه إذا كان الإسلام نظامًا جامعًا شاملاً وليس جملة معتقدات يتناول كافة وجوه الحياة فإنه يستبعد حتمًا كل حيز للعلمانية ولو عرضًا»[2].

لقد كان الكتاب الغربيون رغم حنقهم وعدائهم الشديد للفكر الإسلامي الذي لم تختف بصماته من كتاباتهم أكثر موضوعية من الكاتبين في انتقادهما لهذا الفكر. إن الغربيين لم يستخدموا عبارات الانغلاق الفكري والرفض العصبي والإحساس بالدونية بل قالوا:

١ ـ إن هاجس الإسلاميين يتمثل بتأثير الحضارة الغربية المفسد، وأنه ما عاد لديهم افتتان بالحداثة أو بالنماذج الغربية في السياسة والاقتصاد.

---

(١) بل المسلمون يسار ويمين، محمد رضا محرم، المسلم المعاصر، ع/١٥، ١٩٧٨، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤. انظر كذلك المسلمون وحق الانتماء السياسي، مصطفى كمال وصفي، المسلم المعاصر، ع/١٤، ١٩٧٨، ص ١١١ وما بعدها.

(٢) تجربة الإسلام السياسي، أوليفيه روا، دار الساقي، ١٩٩٦، بيروت، ص ٤٦.

٢ ـ إن الاختراق الإسلامي في أوساط المثقفين يعود إلى أزمة وتراجع مهابة الإيديولوجيات التقدمية، وإن الفكر الإسلامي لا يستهدف العودة إلى الماضي بل إلى الاستيلاء على الحداثة وتملكها داخل الهوية المستعادة.

٣ ـ إن الإسلاميين حيثما وجدوا يدعون إلى التنمية الصناعية والعمران المديني ومحو الأمية على مستوى جماهيري وتحصيل العلوم .

٤ ـ إن الإسلاميين يعتبرون أن دور المرأة أساس في تربية المجتمع، وهم يعتبرونها كائناً وليس مجرد أداة متعة وإنجاب... وإن الحجاب يسجل انخراط المرأة الجديد في الدورة الاجتماعية.

٥ ـ إن مطالبة الإسلاميين بالعودة إلى مثال المجتمع الإسلامي الأول لا يكفي في ذاته للحكم على فكرهم بالجمود والتحجر؛ فثمة فكر أصولي آخر في الغرب هو الإصلاح البروتستانتي الذي كان أحدث الوسائل للارتقاء إلى الحداثة الاقتصادية والسياسية [١].

وتبقى هناك حقيقتان بارزتان مهما كانت مثالب كتابات الإسلاميين:

الأولى: أن منهج الله ثابت وقيمه وموازينه ثابتة، وأن الإسلاميين الصادقين في كتاباتهم الداعية إلى هذا المنهج قد يبعدون أو يقربون منه، وقد يخطئون ويصيبون ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوباً على هذا المنهج، في حين أن غيرهم يحاولون التلاعب بهذا المنهج في الوقت الذي يرفعون فيه راية الإسلام ويتزيون بزيه، ويتمسحون بعقيدته؛ فلا تستبين الطريق أمام المسلمين الصالحين، وينتشر الغبش والغموض واللبس، وتختلط الشارات والعناوين، ويأتي التيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق كما أوضح ذلك العلماء.

الثاني: أنه لو صح أن الموضوعات الإسلامية قد تشوَّشت وصُودرت من أصحابها، وجرى تلوينها بتلاوين مختلفة؛ فإنها انتشرت رغم ذلك كله؛ بل إن هذا الضعف أسهم مؤقتاً ـ على الأقل ـ في شيوع وتعميم العودة إلى الإسلام وإضفاء الشرعية عليها، كما أقر بذلك الباحثون الغربيون.

(١) المرجع السابق، ص ٢٨، ٤٥، ٤٦، ٥٦، ٦٢ .

وهم حرية الرأي لدى اليساريين

قصة د. رفعت السعيد مع الأستاذ جمال سلطان



صفوت وصفي

أصيب اليسار في العالم بعامة، وفي العالم الثالث بخاصة، وفي العالم العربي بوجه أخص بكارثة فكرية من جزاء انهزام النظرية الماركسية يوم سقط ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي، وتلاشت بعده منظومة (حلف وارسو) مما اضطربت معه الفعاليات الفكرية التي كانت تتلقى الدعم والتوجيه من هناك.

وفي خضم هذا الواقع المأساوي للقوم غيروا توجهاتهم بزاوية ١٨٠° ورأيناهم بالرغم من تمسكهم الظاهري بالنهج اليساري في مطبوعاتهم إلا أنهم أصبحوا (ليبراليين)(*) وأصبحت الفلسفات الرأسمالية منهجهم في نهجها النفعي والنسبي والميكيافيلي، مع القاسم المشترك للفكرين الشرقي والغربي وهو العداء للإسلام والمسلمين.

وما زال أزلام اليسار الموتور في مصر في خضم عدائهم للإسلام ودعاته بواسطة نشراتهم الصفراء في (روز اليوسف ـ واليسار ـ والأهالي) على سبيل المثال لا الحصر يصبون جام حقدهم على دعاة الإسلام، ويعملون ليل نهار للإساءة لهم بالحديث المتواصل ضد ما يسمونه بالإرهاب والتطرف والأصولية بأساليب ديدنها الكذب والتزوير والاستعداء. وفي الآونة الأخيرة رفع المدعو (د. رفعت السعيد) وهو أمين عام لحزب التجمع (وهو حزب يجمع بين أركانه أحلاس اليسار الماركسي المنهار) رفع دعوى ضد الكاتب الإسلامي (جمال سلطان) تنظرها الآن محكمة جنايات شمال القاهرة متهماً إياه بالسب والقذف في



مقالات صحفية نقدية وهي التي نشرها في صحيفة الشعب المصرية تحت عنوان: (محنة الماركسية في مصر د. رفعت السعيد نموذجًا) كشف من خلالها تناقضات خطيرة في مواقف وكتابات المذكور والعلاقات التي كانت تربطه والتيارات الماركسية في مصر مع دوائر الاستخبارات السوفييتية، كما فضح منهج (رفعت السعيد) في البحث التاريخي لتاريخ مصر الحديث، مما كان لها صداها لدى المتابعين، لكن الرجل على غير عادته لم يرد على هذه الدراسة المثيرة وحاول تجاهلها.

وبعد أن أجرى الأستاذ (محمد عبد القدوس) حوارًا معه نشرته (الشعب) دافع فيه عن موقفه المثير من الأقباط وإلحاحه على أنهم مضطهدون مما اعتبره بعض المراقبين ومنهم كتاب نصارى أنه تحريض منه على الفتنة الطائفية، ثم علق الأستاذ جمال سلطان على الحوار بمقال ساخن تحت عنوان: (المتأقبطون واللعب بالنار) اتهم فيه رفعت السعيد بأن خطابه التهييجي للأقباط تحريض سافر على الفتنة وتعريض لأمن البلاد للخطر.

ورفض المذكور أن يعلق على المقال لكنه هدد برفع دعوى قضائية.. والتي فوجئ الوسط الثقافي به ينفذ تهديده ضد الكاتب المعروف جمال سلطان، مما أثار موجة سخط واسعة من الاستغراب والاستنكار لا سيما أن رفعت السعيد من أدعياء حرية الرأي الذين يطالبون بفتح حرية الرأي للآخر مهما كان؛ لكنه حينما كُشفت أوراقه، ووضحت خلفياته أثار الدنيا ولم يقعدها ببلاغه للقضاء ومطالبته فيه بحبس الأستاذ (جمال سلطان) وإلزامه بدفع تعويض مدني قدره (مئة ألف جنيه مصري) أي (ثلاثون ألف دولار أمريكي)!

ومن المنتظر أن تشهد أحداث المحاكمة مفاجآت مثيرة؛ حيث بات من المؤكد أن عددًا من القيادات الشيوعية التاريخية وافقت على الإدلاء بشهاداتها في القضية ضد (د. رفعت السعيد) فيما يبدو معها أنها تصفية حسابات حيث ينظر إليه في الحركة الشيوعية المصرية أنه أحد أسباب التراجع الذي أصابها سياسيًا، وستفتح المحاكمة ملفات خطيرة منها قضية اليهودي الغامض (هنري كورييل) الذي لعب

دوراً خطيراً في الحركة الشيوعية المصرية ويعتبر الأب الروحي لـ (رفعت السعيد) وشلته اليسارية، وكذلك من المنتظر دخول عدد من المفكرين الأقباط في هذه المسألة؛ حيث سبق أن أعلنوا استياءهم من المذكور وعلاقاته مع أقباط المهجر وتبنيه قضاياهم بطريقة مثيرة، وقد أبدى بعضهم بالفعل استعداده للإدلاء بشهادته في القضية.

وما يجدر ذكره أن عدداً من المحامين الإسلاميين المعروفين قد أبدى استعداده وتضامنه مع الأستاذ (جمال سلطان) أمثال (د. محمد سليم العوا، وعادل عيد، ود. عبد الحليم مندور).

بدايات المواجهة:

يعرف المتابعون أن المواجهة الفعلية بين الأستاذ جمال سلطان ورفعت السعيد لم تبدأ بالمقال آنف الذكر الذي كشف فيه الأستاذ جمال حقيقة (رفعت السعيد)، والذي حصل بعد المواجهة بين الرجلين في ندوة (التيارات الإسلامية والتعددية السياسية) التي كانت إحدى فعاليات معرض الكتاب الدولي بالقاهرة الأخير والتي كان (السعيد) يرأسها حين حصلت مناقشة بين الرجلين وتعرض معها (رفعت السعيد) لحرج شديد عندما لفت الأستاذ جمال سلطان نظر المشاركين والحضور إلى أن قضية الندوة ذاتها لا تعرف التعددية حينما استُبعد التيار الإسلامي - وهو محور الندوة - من أن يكون له ممثلون فيها مما جعله في موقف لا يحسد عليه.

وإنما هناك دور مشرف للأستاذ جمال في العديد من دراساته الفكرية الإسلامية التي كشف فيها حقيقة العلمانية ورموزها من قوميين ويساريين وحداثيين، وفضحهم على رؤوس الأشهاد في أكثر مؤلفاته وفي دفاعه المستمر عن الصحوة الإسلامية، وكشف ما يخطط ضدها من مكر الليل والنهار، وهذا بالطبع يؤرق العلمانيين ويحبط مكرهم، ويوضح دعاياتهم المسمومة ضد الإسلام ودعاته ومفكريه.

وأخيراً:

فإننا نثق كل الثقة بأن اليسار ورموزه مهما فتحت لهم المجالات ليعرضوا مناهجهم العقيمة وأفكارهم البالية، ومهما دغدغوا مشاعر الناس بالحدب على أحوالهم وتبني آرائهم؛ فهم أبعد



مما يكونون عن الهم العام للأمة؛ لأنهم لا يؤمنون بنهجها الإيماني ولا بقيمها الإسلامية الأصيلة؛ وليست المسألة لديهم أكثر من دعايات وخداع وتزوير، وضحك على الذقون. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ما خطه (رفعت السعيد) في كتاباته عن الإسلام والإسلاميين ينطوي على كثير من التزوير والشتم والإساءة للإسلام من خلال مناهجهم الماركسية التي يفترون فيها الكذب على الله وعلى عباده المؤمنين، ويهاجم الإسلام بدعوى جديدة هي: (مهاجمة الإسلام السياسي) وادعاء أنه وراء ذلك الإرهاب والتطرف؛ وهي شنشنة نعرفها من أخزم.

ماذا يقول جمال سلطان؟

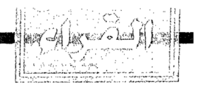
أصدر الأستاذ جمال سلطان بعد هذه الواقعة بيانًا للرأي العام (أشار فيه) إلى أنه كان ينتظر من المذكور حوارًا فكريًا رفيعًا؛ إذ كان كثيرًا ما يدعو لمواجهة الرأي بالرأي، مع أنه يملك صحيفة ينشر فيها أسبوعيًا ما يشاء؛ بخلاف المطبوعات الأخرى التي يشرف عليها بصفته أمينًا عامًا لحزب التجمع اليساري.

وأضاف الأستاذ جمال سلطان: لو كان لغيره العذر في أنه لا يجد المساحة التي ينشر فيها تعقيبه ورأيه؛ فما عذره بالذات وانسحابه من ساحة الحوار الفكري والسياسي، وتستره خلف الدعاوي القضائية لإرهاب الآخرين؟ وأنه بتصرفه هذا أتاح له الفرصة لكي يبوح أمام القضاء بما كان يمسك عن البوح به عبر الصحف، وأنه سيجدها فرصة مناسبة لكي يدين أمام القضاء أيضًا مسلسل العبث بوحدة الأرض، واللعب على أوتار الفتنة الطائفية، وإشاعة منطق (السطحية الفكرية) في الحوار السياسي والثقافي.

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

والله المستعان

(*) أطلق الأستاذ (محمد مورو) على هذه الشلة (اليسار الأمريكي) مع كونهم يدَّعون العداء لأمريكا وذلك مع تفصيل أمرهم على ضوء مصادرهم في كتابه (يسقط اليسار المصري).



حول الأزمة الجزائرية

بقلم: خالد رتبال

لسنا ندري إلى أي مدى يمكن الوثوق بتلك التحليلات المتفاوتة حول الأزمة الجزائرية، وإلى متى سيظل يكتنفها التضارب والغموض.

وما كتبه (د. يوسف الصغير) حول (النظام الجزائري والبحث عن الشرعية) في العدد (١١٧ من البيان) قد أفاد فيه وأجاد، خاصة في ذكر الحقائق عن الانتخابات الأخيرة التي صاغ النظام أدوارها لتقليص المد الإسلامي وتجفيف منابعه، ليتم بذلك إخراج المسرحية بصورة جديدة.

والذي أود التنبيه عليه من خلال اطلاعي البسيط على الملف الجزائري أنه لا يمكن الجزم القاطع بأن الإسلاميين هم وراء كل تلك الأحداث حول ضحايا القتل العشوائي الذي تعدّى واستفحل أمره ـ والله المستعان ـ، كما أنه لا يمكن ـ تملصاً من التبعات ـ إلصاق تلك الجرائم بالنظام الذي لا شك أنه السبب الأول والرئيس في حدوثها والتجاوز في مواجهتها والتصدي لها. وأقول للإنصاف: إن استبداد النظام ليس وحده الذي يبدي عجزاً في مواجهة تلك القطاعات، ولا الأحزاب العلمانية أو السياسية المدنية التي يزداد تهميشها لهذه القضية كلما ازداد العنف واشتد الأمر؛ ولكن «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» وهي تعود لاكتساح الساحة من جديد برموزها ومنهجها وسياستها يقع عليها عبء المواجهة العلنية لوقف موجات العنف، وجرائم القتل والغلو، والنداء الأخير من زعيمها «مدني» كان له أثره البالغ لولا أن استبداد النظام بادر كعادته باستثمار الموقف لإعادة الشيخ إلى إقامته الجبرية حتى ولو أدى ذلك إلى اشتعال البلاد بالعنف والتدمير، فلك الله يا أرض المليون شهيد.

القبر قد ورث العظام

شعر: إبراهيم نهار

أزف الترحل يا صديقي للجدث ... ومضى زمانٌ كنت أقضيه عبثْ

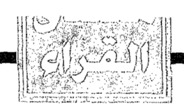
أشكو إلى الله القوي مخاوفي ... سيكون جسمي بعد حين من جثثْ

سيكون جسمي في الظلام موسدا ... والناس في فرح يجد وفي رفثْ

رحماك يا من خَلْقُهُ كل الورى ... يا من يعيد الميتين إذا بَعَثْ

إن الخسارة في القبور للاهث ... ترك النجاة وسار مع من قد لهثْ

إن الفناء على البرية واقعٌ ... سيموت من يمشي ويفنى من مكثْ



يا أمتي

شعر : عبد الله عيسى محمد

ما بَالُ عَينك مِنْها الدَّمعُ يَنسكبُ
ثَكْلى تَسِحُّ وَذي الأَحْشَاءُ تَلْتهِبُ

ما بَالَ جسمكِ أضحى الهمُّ مُضْجعَهُ
كأنَّمَا هو في أنْحائه شُهُبُ

ما بَالُ عيشكِ لا تَنْفكُّ تَرْشُقُه
دُهمُ الْخُطوبِ بِزندٍ وَرْيُه عَجَبُ

ماذا دَهاكِ وأين المجدُ قدْ سُحِبَتْ
مِنْه الذُّيولُ على الأفلاكِ تَضْطربُ

شَكْوى الزَّمانِ أم الأرزاءُ ما فَتِئَتْ
ظمْأى تَجِدُّ شِفارَ البُؤْسِ تَحْتربُ

أمْ أنَّ أمَّتَنا سَكْرى، ورَايتُنا
قدْ أصْبحت كَفنًا في طَيِّه نُوَبُ

أم ضِغْن شِرذمةٍ يضْري بِمُسلِمةٍ
في أرضِ بُوسنة والأعراض تُستلبُ

أم قدْسُنا لَفظتْ أنْفاسَهَا وَرأتْ
كَيدَ العِدَا عَرِمًا في سَاحِها يثِبُ

يا أُختَ أندلس كم ذا يُجرِّعنا
كأسُ العِدا غُصَصًا والمجد يلتهبُ

ما يُرتَجى أبدًا مِنْ مرْجَلٍ حَقِدٍ
إلا عَصَائبُ رُعبٍ بَعْدها عُصَبُ

أمْجادُكِ طُنُبٌ، راياتُكِ شُهُبٌ
أسيافُكِ ذُرُبٌ، فتيانُكِ نُجُبُ

في كفِّكِ النُّورُ آياتٌ مبينة
فاسْتَعْصِمي وَذَرِي أَهْواءَ من غَرَبوا

رَكْبُ الرِّسالة نوَّارٌ تَحفُّ به
زُهْرُ النجومِ وفي آلائه أَرَبُ

فَاسْتبسِلي وَرِدي ساحَ الوغى ودعي
سَمْعَ الدُّنا طَرِبًا فالنَّصرُ يَقْتربُ

هل تفهم؟

شعر : وائل محمد

كفاكَ عيبًا وتجريحًا وتخطئة
كفاكَ جرحًا لقلبٍ ما تواسيه

تستهجن الناس ما تدري مكانتهم
هلا نصحت بتلميح وتَنْبيه

هلا نصحت بسرٍ في شفافية
إن كنت حقًا بقول الحق تُنْبيه

إن كان ساءك ما في الساح من همم
وصحوة الخير في شتى نواحيه

فاركن لبيت وأزواج وتكرمة
فالأمر جِدٌ لمن تبكي مآقيه

فإن أبيت ولم تسمع لموعظتي
فقد أعنت على ظلم وتشويه

يا سارية.. الجبل

أساريةَ الحق لذْ بالجبلْ
ولا يَخدَعنَّك جند هُبَلْ
فمن طَيبَةٍ جاءكم منذر
يُنبه للخطر المحتمل
وينذركم أنكم أمة
تذكر بالجد من قد هزل
وتنشر نور السما ساطعًا
ليرشد للحق من لم يصل
أسارية المجد لذ بالجبل
ولا تكثرن المرى والجدل
وخذ بنصيحة فاروقنا
ففيها النجاة لخطب أطل
فبالنصح نهزم أعداءنا
ونشعرهم أننا لم نزل
نطيع الذين اهتدوا بالكتاب
وننصح للدين عند المحِل
أسارية القوم خذ عدة
فأنت على أبْلَجٍ لم تزل
فذا الصبحُ يرسل إشعاعه
ليعلنه عملاً متصل
وذا الليل يرمقنا خلسة
فنجم يضيء ونجم أفل
سلاح الجنود هنا آية
وتكبيرة ثم سهم يصل
أسارية فلتقف برهة
وناج الذي دائمًا لا يَمَل
بذكر الصباح وذكر المساء
وذكر الهجوع وذكر العمل
وعند الضحى فلتكن ذاكرًا
وأسبغ وضوءك حتى الحجل
حديث حفظناه عن غابرٍ
ولكنَّ (يا ليتَ) لمّا تزل
أسارية الدين لذ بالجبل
فما زال عندك كلُّ الأمل
فمن منبر المصطفى أرسِلَتْ
نذيرًا سريعًا لأمر جلل
فيا طائعًا عمرًا في الجهاد
أطعت الذي أمره قد عقل
تربى على منهج المصطفى
فنعم المربي ونعم البطل

شعر: محمد بن أحمد الأحمري

غطرسة

غازي المهر

مَنْ يمنع اليهودَ
من إخراجنا
من أرضنا المقدسةْ
هم يدركون أننا
مثل الطبول
ليس لها
من أصواتها
إلا الصدى
هم يدركون أننا
كم نحسن الصراخ
والشجب والتنديد
هم يدركون أن خيلنا
بلذة السبات
لا تُفيقْ
سيوفنا مثلومةٌ
رماحنا مكسورةٌ
هم يدركون
أننا عرب
ولسنا مسلمينْ
فهل تُراهم يُردعونْ؟
ويمنعون الغطرسةْ؟

كيدوا كما شئتم

قل لليهود .. وصَحْبهم ..
ولمن يدافع عنهمو
كيدوا كما شئتم ..
فإن الدين حقٌ قائم
وتجمّعوا حول الوليمة ..
واجرعوا وتسمّموا!!
كيدوا .. فإن رجال قومي ..
ويح قومي .. نُوَّمُ!
ناموا عن الأقصى الجريح
المستكين وسلّموا!!
في عصرنا .. متخلِّفٌ ..
من قال: ربي يحكم!
في عصرنا .. متطرّف ..
من قال: إني مسلم!
يا قومنا .. ما بالكم ..
في ابن اليهود وثقتموا؟!
يا قومنا .. كم أُضرِمت في
الأرض نارٌ منهمو!
أنسيتموا صبرا وشاتيلا
ومذبحة الخليل نسيتموا؟!
يا للخليل .. وقد جرى ..
في مسجد الخِلّ الدم!
كم قتّلوا فينا الورود
وأرضَنا قد قسّموا!
يا عصبة الأمِ التي ظلمًا
وزورًا تحكم!
هلاّ رأيتم طفلةً ..
النار فيها تُضْرَم
هلاّ سمعتم صرخة الأم
التي لم يرحموا؟!
يا عصبةً .. هل عندكم
ابن اليهود الأكرم؟!
ودماؤنا ماءٌ جَرى ..
ودم اليهود هو الدم؟!
قل لليهود .. وصحبهم ..
ولمن يدافع عنهمو
كيدوا كما شئتم ..
فإن النصر حتمًا قادم
وغدًا ترونْ مَنِ القويُّ ..
وأيّ جمعٍ يُهزَمُ

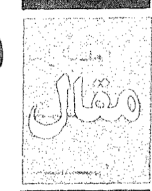
شعر: زجاج عبد القادر سرور

شباب

تركي عبدالله المحيا

شبابٌ همهم نيل المعالي
شبابٌ دائمًا أمسى وأضحى
شبابٌ ليس فيهم من ينادي
شبابٌ ضيعوا صفو المعاني
شبابٌ قد نسوا تاريخ أمس
فيا رب الورى عجل بأمر
ولا تجعل لشيطان علينا

بلا تعبٍ ولا ثوب معفّر
يريد الراح والثوبَ المعطّر
إلى التوحيد والدين المظفّر
وكل بالرذيلة صار يفخر
من الأمجاد أو من فتح خيبر
يرد شبابنا عن كل منكر
من السلطان بل إياه فاقهر



رحم الله الشيخ حماد الأنصاري



أحمد العامر

الحمد لله القائل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وصلى الله على البشير النذير وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فما تزال الأمة بخير ما وُجدَ فيها العلماء العاملون؛ ومتى ما كان للعلماء العدول فيها التقدير والإجلال بين العامة والخاصة؛ وهذا هو نهج الأمة في صدرها الأول وفي قرونها المفضلة مع العلماء؛ فهم ورثة الأنبياء، وحسبهم وصف الرسول ﷺ لهم بأنهم مثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم فيوشك أن يضل الهداة.

ولا شك أن فقد العلماء مصيبة وأي مصيبة على الأمة؛ لا سيما في عصورنا المتأخرة؛ حيث كثرت الفتن وادلهمت الخطوب مما يتحتم معه وجود العلماء الثقات الأثبات الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، ويوجهون الأمة في التعليم والإفتاء والتحذير من المنزلقات.

ووفاة العالم الجليل (الشيخ حماد بن محمد الأنصاري) ـ رحمه الله ـ من هذا القبيل؛ فقد كان عالمًا محققًا أدى واجبه في التعليم والإفتاء، ونفع الله به طلبة العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ حيث تلقوا العلم على يديه وبخاصة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

ولمكانة الشيخ رأيت التعريف به وذكر شيء من مناقبه.

نبذة عن حياته:

ولد الشيخ ـ رحمه الله ـ في بلاد (تادمكة) في دولة مالي عام ١٣٤٤هـ، ونشأ في بيت علم ودين؛ وعلى يد خاله الشيخ محمد الأنصاري حفظ القرآن

في الخامسة عشرة من عمره، وأخذ العلم من علماء بلدته، ثم رحل إلى السعودية، وواصل أخذ العلم على علماء الحرمين الشريفين أمثال الشيخ عبد الرزاق حمزة، والشيخ حسن المشاط، والشيخ (عمر بري)، والشيخ محمد بن تركي، والشيخ محمد المدني، والشيخ (محمد الخيال)، والشيخ (محمد بن إبراهيم آل الشيخ)، وغيرهم. وأخذ الإجازة في كثير من العلوم والفنون على كثير من العلماء في الهند واليمن وإفريقيا والشام والسعودية.

قام بالتدريس في المدرسة (الصولتية) بمكة المكرمة، ثم انتقل إلى (المعهد العلمي) بالرياض عام ١٣٧٤هـ، ثم إلى معهد إمام الدعوة بالرياض عام ١٣٧٥هـ، ثم انتقل عام ١٣٨٥هـ، إلى المدينة النبوية؛ حيث درس بكلياتها. وفي عام ١٣٩٦هـ استقر بالدراسات العليا بالجامعة نفسها، ورأس قسم العقيدة، ثم قسم السنة، وأشرف على العديد من رسائل (الدكتوراه) و(الماجستير) في العلوم الشرعية، ووصل إلى درجة (أستاذ) حتى إحالته للتقاعد عام ١٤٠٧هـ، وبقي معها يلقي الدروس العلمية على طلبته وتلاميذه.

وكان منزله دوحة لطلاب العلم يستشيرون الشيخ ويستفيدون من علمه ومن مكتبته الحافلة بأمهات المراجع والمخطوطات حتى توفي ـ رحمه الله ـ بعد مرض ألم به استمر لمدة سنة تقريباً، وكانت وفاته بتاريخ ٢١/٦/١٤١٨هـ وصلي عليه في المسجد النبوي. والله نسأل أن يتقبله، وأن يعلي درجته، وأن يخلف له الخير في عقبه، وأن يسكنه فسيح جناته.

أهم مؤلفاته:

ألف الشيخ حماد الأنصاري العديد من الكتب والرسائل العلمية التي تتراوح بين المجلدات والكتب والرسائل العلمية، ومن أهمها:

١ ـ أبو الحسن الأشعري وعقيدته: وهو من أوائل ما ألف عن هذا الإمام حديثاً؛ إذ تتبع فيه رحلته في العقيدة حتى استقر على منهج السلف أهل الحديث كما توضحه رسالته (الإبانة)، وفيه الرد على ما يزعمه المتمشعرون المتأخرون.



٢ ــ ومن أهم كتبه في علم الحديث: (بلغة القاصي والداني في تراجم شيوخ الطبراني) وهو عدة مجلدات صدر الجزء الأول منه عام ١٤١٥هـ، وهو من أحب مؤلفاته إلى نفسه.

٣ ــ ألف في تاريخ بلاده كتاب: (تاريخ ملّي ــ مالي ــ في القديم والحديث) وهو مجلدان.

٤ ــ له عشرات الرسائل العلمية في العقيدة، والفقه، والرد على المبتدعة صدر بعضها ضمن (السلسلة الأنصارية) وفي الجزء الأول منها احتوى على الرسائل التالية:

أ ــ (كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر): بيّن فيه مرتبة الأحاديث التي يستند عليها المبتدعة في شد الرحال للقبور؛ إذ هي: ما بين ضعيفة وموضوعة لا يصح الاحتجاج بها.

ب ــ (إسعاف الخلان بما ورد في ليلة النصف من شعبان) جمع ما ورد في هذا الموضوع من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء، وبيّن ضعف ما ورد فيها، وأنه لم يثبت في قيام وصيام هذه الليلة شيء عن النبي ﷺ.

ج ــ (تحفة القاري في الرد على الغماري) ناقش فيها العالم القبوري المغربي (عبد الله الغماري) ورد على رسالته: (إتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء والصالحين والأولياء) على ضوء أقوال العلماء المحققين قبله، وبين تدليسات الغماري في استدلالاته، ثم بيّن التوسل المشروع: وهو ما كان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وبما شرع من الأعمال الصالحة من الدعاء والطاعات واتباع الرسول ﷺ.

وبيّن التوسل غير المشروع: وهو توسل شركي: كالحلف بغير الله، أو الدعاء لغير الله، وتوسل بدعي: كالتوسل بجاه فلان أو بحرمته وبفضله وعلمه.

منهج الشيخ في العلم:

عُرِفَ الشيخ حماد الأنصاري بالقوة في المناقشة، وبغزارة العلم وبخاصة في أداء الدروس والمحاضرات، وبالتحقيق فيما يؤلف ويكتب. ويمكن إجمال منهج الشيخ ــ رحمه الله ــ في النقاط التالية:

١ ـ عرف بالعقيدة السلفية والمعارضة للمبتدعة من الصوفية والفرق الضالة.

٢ ـ اهتمام الشيخ بالدليل، وأخذه به؛ فما صح دليله فهو منهجه؛ فهو ليس مذهبيًا.

٣ ـ عنايته بالتوثيق للأحاديث والآثار فيما يؤلف ويكتب ويلقي من دروس.

٤ ـ أخذ عن كثير من العلماء الفحول في مختلف التخصصات مما أوجد لديه ملكة علمية وغزارة في الفهم؛ فهو كالبحر يتحف سامعيه بمختلف المعلومات واللطائف والحكم.

٥ ـ الاستقصاء في بحثه ودراساته سواء أكانت دراسات مطولة كبلغة القاصي والداني، أم في الرسائل العلمية الموجزة.

٦ ـ تواضعه ـ رحمه الله ـ فكثيرًا ما كان يقول بأنه ليس أهلاً لما يبحث ويؤلف.

أهم ما كتب عن الشيخ في التعريف به:

ـ ما كتبه عنه الشيخ الأديب (محمد المجذوب) في موسوعته: (علماء مفكرون عرفتهم) المجلد الأول.

ـ ما نشرته صفحة (مشكاة الرأي) من صحيفة (الوطن الكويتية) العدد (٢٢٤٠) الصادر في ٢٦/٦/١٤١٨هـ بإشراف الدكتور عبد الرزاق الشايجي؛ حيث كتب عنه عدد من طلابه وهم المشائخ: (رياض الخليفي)، و(جاسم الفهيد)، و(عواد الخلف)، و(محمد بن ناصر العجمي)، مقالات غنية بالمعلومات عن الشيخ ـ رحمه الله ـ.

وأرى أن على طلابه دَيْنًا بأن يُقدّم عن حياته وعلمه وفضله رسالة علمية أسوة بغيره من العلماء أمثاله؛ فحياته مصدر ثر للباحث سيجد فيه محاور عديدة، ولعل الجامعة الإسلامية التي درّس فيها منذ نشأتها وحتى إحالته للتقاعد تشجع أحد طلابها على القيام بهذا الدور المطلوب.

والله نسأل أن يغفر للفقيد، وأن يجمعنا وإياه في مستقر رحمته، والله الهادي إلى سواء السبيل.

التقرير السنوي لأنشطة

المنتدى الإسلامي



المقدمة:

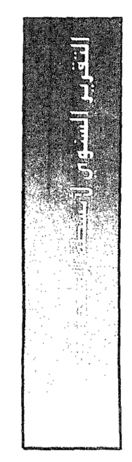
الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحابته الصالحين المصلحين، وعلى من سلك سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنا نحمد الله ـ عز وجل ـ، ونثني عليه بما هو أهله أن وفقنا لسلوك سبيل الدعاة، وشرفنا مع سائر دعاة الإسلام بالمشاركة في حمل راية الدعوة إلى دينه الحق.

وبتوفيق منه ـ عز وجل ـ سعى المنتدى الإسلامي منذ إنشائه عام ١٤٠٦هـ ـ مستعيناً بالله ـ إلى النزول إلى الساحة، ومباشرة العمل في ميادين عدة مما تتطلع إليه الأمة.

وقد حرص منذ البداية على أن يولي جانب الدعوة إلى الله والتربية على منهج نبيه وسنته المرتبة الأولى. وما زال ـ ولله الحمد ـ ينتقل من خطوة إلى خطوة، ويُتبع خطة بأخرى تنبثق عن مراجعة الماضي، ودراسة جدوى ما قدمه من أعمال، وأنجزه من مشاريع.. حتى صار بفضل الله ومنته صرحاً من صروح العلم والهدى، يحمل منهج أهل السنة والجماعة مع من يحمله في الدعوة إلى الله سبحانه.

وقد يسّر الله في هذا العام، كما في كل عام مضى، مراجعة شاملة دقيقة لجهود سنوات على يد لجنة التخطيط والتقدم، التي أعدت على ضوء تلك المراجعة خطة خمسية تضمن للعمل بإذن الله ـ تعالى ـ مزيداً من النجاح؛ إذ ركزت على تحديد الأهداف العامة والخاصة، ووسائل تحقيق الأهداف وسياساتها وإجراءاتها، ثم ضوابط عامة لتحقيق تلك الأهداف، انطلاقاً من الهدف العام للمنتدى في: «دعوة الناس إلى دين الإسلام: عقيدة، وشريعة، ومنهاج حياة، معتصماً بالكتاب والسنة، ومهتدياً بهدي السلف الصالح».



كما تمثلت الأهداف الخاصة بما يلي:

١ ـ إعداد الدعاة إعدادًا متكاملاً، ورفع كفاءتهم العلمية والدعوية.
٢ ـ تأهيل الطاقات الدعوية القيادية.
٣ ـ الاهتمام بالدعوة في أوساط الطلاب والمثقفين.
٤ ـ الاهتمام بالتعليم الإسلامي.
٥ ـ الدعوة العامة في مختلف طبقات المجتمع، وتعليمهم أمور دينهم.
٦ ـ إحياء رسالة المسجد، وتفعيل دور الأئمة والخطباء.
٧ ـ إيجاد منابر إعلامية للدعوة.
٨ ـ التعاون مع الهيئات والشخصيات الإسلامية المحلية والعالمية وفق الضوابط الشرعية.

وسبق أن أشرنا في تقارير سابقة إلى أنه نتيجة لتوسع العمل فقد قام المنتدى بافتتاح (١٤) مكتبًا فرعيًا ميدانيًا في عدد من الدول الإفريقية وغيرها.

ومن أهم ما يتوجب علينا تجاه من يشاركنا العمل بالصورة التي يراها أن نقدم تقريرًا شاملاً عن أنشطة المنتدى الإسلامي التي تمت بعون الله وتوفيقه، ثم بتعاونكم وتشجيعكم، سائلين الله ـ عز وجل ـ ألا يحرمكم الأجر والمثوبة. ويسعدنا كثيرًا الاستفادة من آرائكم واقتراحاتكم، كما أننا لا نستغني عن مؤازرتكم وتعاونكم معنا.

أولاً: برامج تعيين الدعاة والأئمة والمدرسين:

يأتي هذا البرنامج على رأس البرامج التعليمية والدعوية؛ وذلك لأن هؤلاء هم أداة إقامة الدين وتعليم الناس. وقد بلغ العدد هذا العام (٥٥٣) فردًا ما بين داعية وإمام ومدرس، منتشرين في بلاد عديدة مثل: كينيا، وغانا، وبنجلاديش، والصومال، وجيبوتي، ومالي، ونيجيريا، وتوجو، وبنين ..... وغيرها.

وفي الوقت الذي يقوم فيه هؤلاء بالدعوة والتعليم فإنهم يتابعون ـ أيضًا ـ برامج دعوية وعلمية يُقدمها المنتدى لهم؛ لرفع مستوياتهم، وذلك حسب

مناطقهم وقدراتهم.

ولإعانتهم في رسالتهم وتنفيذ برامجهم، ورفع كفاءاتهم فإن اللجنة العلمية بالمنتدى تتابع تقديم دراسات عدة منها:

١ ـ سلسلة الدراسات الشرعية المتخصصة؛ لمعالجة الأخطاء الدعوية والمنهجية في مواقع العمل. وقد صدرت منها مجموعتان.

٢ ـ سلسلة الدروس الرمضانية بنوعيها: الفقهية، والعقدية التربوية.

٣ ـ الرسائل الدعوية: وهي رسائل شهرية تصل لمواقع الدعاة كأوراق عمل للمناقشة في الأوضاع الدعوية وما يعترضها من مشكلات، وتخاطب الدعاة تذكيراً بمسؤوليتهم وعظيم أثرهم.



ثانياً: الأنشطة الدعوية والتربوية:

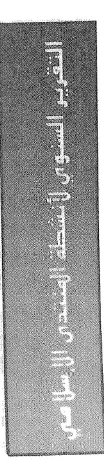
وهي أنواع عديدة، منها:

١ ـ الدورات الشرعية:

وهي دروس علمية متخصصة في: العقيدة، والقرآن وعلومه، والتفسير، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وفقه الدعوة وأصولها، والسيرة النبوية، والآداب الإسلامية؛ تقدم في مدة زمنية محددة بأفراد متقاربين في المستوى العلمي والدعوي.

وتهدف هذه الدورات في جملتها إلى: تصحيح المسار، وترشيد العمل، ورفع المستوى العلمي والدعوي، لدى الدعاة، مع الحرص على التأصيل الشرعي المبني على كتاب الله وسنة نبيه ومنهج السلف الصالح.

وقد بلغ عدد الدورات ـ بتوفيق من الله ـ لهذا العام ما لم تبلغه من قبل؛ حيث وصل عدد الدورات إلى (٨٩) دورة موزعة على: الدعاة، والأئمة والخطباء، ومعلمي الحلقات، والمسلمين الجدد، والنساء.. ونحو ذلك. وبلغ عدد المستفيدين منها (٦٨٢١) فرداً.



وهي موزعة على عدة دول، كما يلي:

الدولـة	عدد الدورات	الدولـة	عدد الدورات
بريطانيا (لندن)	١	الصومال	١
كينيا	٢٣	أوغندا	٥
غانا	٣	التوجو	٥
بنجلاديش	٥	نيجيريا	١٦
مالي	٨	بنين	١٩
		إثيوبيا	٣

ومن الدورات التي أقيمت:

- الدورة الشرعية، في لندن. وقد كانت باللغة العربية في المدة ١١ ـ ٢٢/٨/١٩٩٧م، شارك فيها (٤٤) فرداً. وباللغة الإنجليزية في المدة ١١ ـ ٢٣/٨/١٩٩٧م، وحضرها (٥٠) مستفيداً.
- الدورة الشرعية للمدرسين، لمدة ٨ أيام، في كينيا ـ ممباسا.
- الدورة الشرعية لتحفيظ القرآن، ٣٠ يوماً، نيجيريا ـ جوس.
- الدورة الشرعية الأولى للدعاة، ٦ أيام، أوغندا، كمبالا.
- الدورة الشرعية الثانية للأئمة، ٤ أيام، توجو ـ بافيلو.
- الدورة الشرعية للطالبات المسلمات، يوم واحد، توجو ـ دبانغو.
- الدورة الشرعية، ١٤ يوماً، الحبشة.
- دورة الأئمة، ٧ أيام، نيجيريا ـ كانو.
- الدورة الشرعية، ٧ أيام، نيجيريا ـ أبوجا.
- دورة الأئمة، ٧ أيام، بنين ـ باراكو.
- دورة في العلوم الشرعية لطالبات المعاهد الثانوية، ٤٠ يوماً، بنين.

وجدير بالذكر أن المرأة ـ بحمد الله ـ قد نالت نصيباً من تلك الدورات وغيرها من البرامج التعليمية:

- ففي بنين ـ جوغو ـ أقيمت دورة تربوية لطالبات المعاهد الثانوية الحكومية،

شارك فيها (٤٠٢) طالبة، و(١٧) مدرسة، وقد امتدت (٤٠) يومًا.

● كما أقيمت في جوغو أيضًا دورة في العلوم الشرعية، لمدة ثلاثة أيام، شارك فيها (٨٥) طالبة وامرأة.

● وفي توجو - دابانغو - أقيمت دورة تدريبية للطالبات المسلمات لمدة يوم واحد، وكان عدد المشاركات فيها (٦٠) طالبة.

● وفي الملتقيات أيضًا: فمثلاً في ملتقى لندن حضر مجموعة من النساء في قسم خاص بهن.

● كما يُعقد للنساء درس أسبوعي خاص، في مقر المنتدى بلندن، في الفقه، من كتاب (سبل السلام).

٢- الملتقيات الدعوية :

وهي لقاءات خاصة بالدعاة، تهدف إلى معالجة مشكلات الدعوة والدعاة، وتنمية القدرات العلمية والدعوية لدى المشاركين، وبفضل الله فقد عُقد (٣٥) ملتقى موزعة على دول عدة.

وفي هذا العام وحده تم عقد (٧) ملتقيات حضرها (٣٥٣) مستفيداً وهي:

● الملتقى الثقافي الثاني والعشرون، في المقر الرئيس، بلندن، خلال المدة ٩ - ١٠/٨/١٩٩٧م، تحت شعار: «الشباب الإسلامي: تحديات الواقع.. وواجب العلماء»، وقد حاضر فيه عدد من أصحاب الفضيلة الدعاة في المحاضرات التالية: (العلماء والدعاة: عوامل التواصل والقطيعة)، (دور العلماء في نهضة الأمة)، (الحوار مع العلمانيين شرعيته ومنطلقاته)، (الضوابط العامة في الخلاف الفكري)، إضافة إلى فقرة خصصت للإجابة عن أسئلة الحضور الاقتصادية.

وقد حضر الملتقى عدد من الرجال والنساء بلغ (٢٠٠) فرد، ونقلت المحاضرات للنساء بالصوت والصورة.

● الملتقى الدعوي، في: مالي - باماكو، لمدة ٣ أيام.

● الملتقى الدعوي، في: نيجيريا - سكوتو، يوم واحد.

● الملتقى الدعوي، في: نيجيريا - كانو، ٥ أيام.

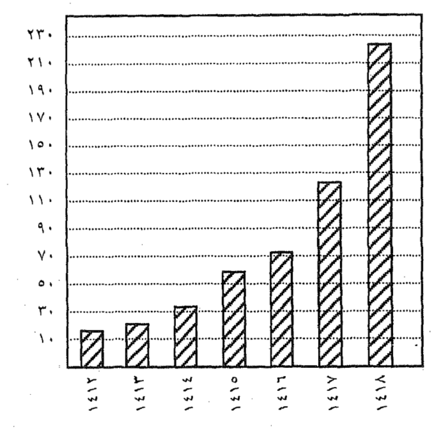
من
ثمرات المنتدى

دورات شرعية
مدارس تحفيظ القرآن
مكتبات - ملتقيات
مراكز - بناء مساجد..

التقرير السنوي لأنشطة المنتدى الإسلامي

- ملتقى طلاب الجامعات، في: أوغندا ـ كمبالا، ٣ أيام.
- ملتقى طلاب الثانويات، في: أوغندا ـ كمبالا، ٣ أيام.
- الملتقى العام لتطوير المدارس، في الحبشة، يوم واحد.

وقد سجلت الدورات والملتقيات نمواً ملحوظاً في سنوات قليلة ويتضح ذلك من خلال الرسم البياني التالي:



٣ ـ المخيمات الشبابية التربوية والمراكز الصيفية:

يوليها المنتدى الإسلامي عناية مناسبة؛ لدورها الكبير في نشر الوعي بين الشباب، وتصحيح المفاهيم، وتربيتهم تربية إسلامية.

وقد بلغت المخيمات التربوية المقامة في السنوات الماضية: (٣٥) مخيماً، على حين أن المخيمات المقامة هذا العام وحده قد بلغ ما يقارب نصف هذا العدد وهي (١٦) مخيماً بلغ عدد المستفيدين منها (١٤٩٩) فرداً. وبذلك يصبح العدد الإجمالي للمخيمات (٥١) مخيماً، للجامعيين وطلاب الثانوي موزعة

على الدول التالية:

الدولة	عدد المخيمات	الدولة	عدد المخيمات
بريطانيا (لندن)	٨	نيجيريا	٤
كينيا	١٢	بنين	٢
غانا	٤	إثيوبيا	١
مالي	٦	السودان	٢
أوغندا	٢	السنغال	١
التوجو	٥	تشاد	٣

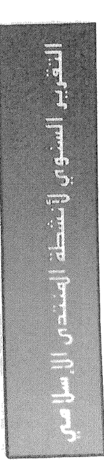


كما أقيم للمرة الثانية ـ بحمد الله ـ مركز صيفي، في مالي ـ باماكو، لمدة (٣٠) يوماً، شارك فيه (٥٠) مستفيداً، وقد ألقي فيه (٢٣٢) درساً، و(٧) محاضرات تربوية وتثقيفية.

٤ ـ الدورات الإدارية:

هدف هذه الدورات: تنظيم العمل وضبطه، وتطوير الأداء، والارتقاء بمستواه، تحاشياً للفوضوية والارتجال. وقد أقيمت ست دورات في كل من كينيا وتوجو وغانا شملت جوانب إدارية متعددة.

كما أقيمت ـ هذا العام ـ الدورة الإدارية الأولى للمدراء والمسؤولين في أقسام مكاتب المنتدى الإسلامي، لمدة عشرة أيام، من ٢٠ ـ ٢٩ / ٤ / ١٤١٨هـ، في غانا ـ نياكروم؛ وتهدف إلى رفع مستوى الأداء الإداري للاستفادة من جميع الطاقات، وتوفير الوقت والجهد قدر الإمكان. ومن ضمن المحاضرات التي ألقيت في هذه الدورة: (الإدارة الإسلامية) و(مبادئ التنظيم) و(التخطيط: أهميته، وأنواعه).



٥ ـ المحاضرات والدروس العلمية:

يعقد في مركز المنتدى الرئيس خمسة دروس أسبوعية مستمرة ـ بفضل الله ـ في العقيدة (فتح المجيد)، وفي الحديث (فتح الباري)، وفي الفقه (سبل السلام) للنساء، وفي التفسير؛ إلى جانب دروس مختارة للناطقين بالإنجليزية.

كما تقام محاضرة أسبوعية في موضوعات علمية وتربوية متنوعة؛ إضافة إلى أن كل داعية تابع للمنتدى له برنامج لإلقاء الدروس والمحاضرات والخطب

في المدارس والمعاهد والمساجد والتجمعات العامة.

ويلقى في البلدان التي ينتشر فيها الدعاة ما يقرب من (٦٤٨٠) درسًا، و(٣٣٤٣) محاضرة شهريًا.

ففي غانا مثلاً تبث دروس عبر وسائل الإعلام، كالتلفزة والإذاعة؛ بالإضافة إلى مقالات دورية في الصحافة.

الدولة	عدد الدروس شهريا	عدد المحاضرات شهريا
بريطانيا (لندن)	٢٠	٤
كينيا	١٢٥٦	٣١٦
غانا	٢٧٦	٢
بنجلاديش	١٣٠٤	١٠٢٤
مالي	٦٥٠	٦٥
الصومال	١٩٩٦	٤٠٠
جيبوتي	٥٦	٢٤
أوغندا	٣٨٠	٣٢
التوجو	١٦٤	٤٥
نيجيريا	٢١٦	٢٨
بنين	١٢٤	٢٤
الحبشة	-	٤

ثالثاً: المراكز الإسلامية:

نظرًا لأهمية المراكز في تقوية العمل الدعوي وانطلاقته وانتشاره وتركيزه فقد أقر المنتدى إقامة عدد من المراكز، وهي:

١ ـ المركز الرئيس للمنتدى الإسلامي في بريطانيا ـ لندن، حيث افتتح في عام ١٤٠٦هـ، ويحتوي على مسجد جامع، ومصلى نساء، ومدرسة ابتدائية وروضة، وقاعة محاضرات، ومكتبة للاطلاع، ومكتبة لبيع الكتب.

٢ ـ مركز الإمام البخاري في بنجلاديش (غازيبو ـ تونفي ـ دكا)، وقد أسس لخمسة أدوار، تم بناء دورين منها سيتم تشغيلها حاليًا للاستفادة منها ريثما يتيسر بناء الأدوار الثلاثة الباقية؛ إن شاء الله.

من ثمرات المنتدى

دورات شرعية
مدارس تحفيظ القرآن
مكتبات ـ ملتقيات
مراكز ـ بناء مساجد..

٣ ـ مركز الإمام مسلم في بنجلاديش ـ فريدبور، ويهدف إلى نشر الدعوة في فريدبور، ومتابعة البرامج الدعوية المتنوعة، والإشراف على الدعاة، وحِلَق التحفيظ... ونحو ذلك.

٤ ـ المركز الإسلامي في نيجيريا ـ كانو ـ، وقد افتتح المسجد ومصلى النساء، في جمادى الثانية ١٤١٨هـ، وقد بدأ بمباشرة أعماله.

٥ ـ المركز الإسلامي في غانا ـ أكرا ـ وقد تم افتتاحه في بداية رمضان ١٤١٧هـ.

٦ ـ المركز الإسلامي في بنين. وقد شارف على الانتهاء.

٧ ـ المركز الإسلامي في كينيا ـ نيروبي ـ وسوف يُشرع في بنائه في الأيام القريبة القادمة، بمشيئة الله.

٨ ـ المركز الإسلامي في أوغندا، وقد تم شراء الأرض، وسوف يبدأ العمل فيه قريبًا، إن شاء الله.

ويحتوي كل مركز على المرافق التالية:

أ ـ مسجد جامع كبير. ب ـ مصلى للنساء.

ج ـ مكتبة باللغة العربية والإنجليزية واللغات المحلية.

د ـ مكتبة سمعية ومرئية.

هـ ـ فصول دراسية، ومدرسة لتحفيظ القرآن.

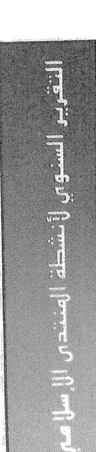
و ـ مبان إدارية. ز ـ مقر للضيافة. ح ـ مستودع.

رابعا: تحفيظ القرآن الكريم:

يولي المنتدى الإسلامي كتاب الله الكريم اهتمامًا خاصًا يتمثل في تدريسه وتحفيظه والسعي إلى التربية على آدابه وأوامره؛ ولذا أقام خلوات وحلقات بلغت (٣٣٠) حلقة منتشرة في دول كثيرة. وبلغ عدد الطلاب فيها ما يقرب من (١٢٦٢٢) طالبًا.

هذا ويسعى المنتدى الإسلامي إلى الارتقاء بمستوى الحلقات عبر وسائل عدة، منها:

١ ـ مواصلة عقد الدورات العلمية والتدريبية للمدرسين والمحفظين. وقد عُقدت دورتان شرعيتان في: توجو، وغانا، وثلاث دورات تدريبية في: مالي، وأوغندا، كما عُقدت دورة لتحفيظ القرآن، في: نيجيريا ـ جوس، استمرت



(٣٠) يوماً واستفاد منها (٤٠) مدرساً؛ هذا غير الدورات المحلية الكثيرة التي يعقدها المشرفون الميدانيون مع مدرسيهم بين فترة وأخرى؛ فمثلاً: في العام الماضي عقدت في غانا ثلاث دورات، وفي توجو ثلاث دورات أيضاً، وفي بنجلاديش دورة واحدة.

٢ ـ أصدر المنتدى في نهاية عام ١٤١٧هـ خطة عامة شملت تقويم المدرس، وطرق التدريس في الحلقات، والإدارة والإشراف التربوي، وأنشطة الحلقات، ونُشرت في كتاب بعنوان: «المدارس والكتاتيب القرآنية.. وقفات تربوية وإدارية» وقد لاقى الكتاب ـ بحمد الله ـ قبولاً واسعاً، وإقبالاً كبيراً، نسأل الله أن ينفع به.

٣ ـ وزع المنتدى عبر مكاتبه الفرعية في إفريقيا وغيرها (٢٠٥١٤) مصحفاً، و(٣٨٣١) ترجمة لمعاني القرآن، بلغات مختلفة.

خامساً: الأنشطة التعليمية:

١ ـ المدارس النظامية: تقدم للطالب نوعين من المواد:

أ ـ العلوم المقررة في بلده.

ب ـ العلوم الشرعية المعدة من قبل المنتدى. وبذلك تؤهل الطالب تأهيلاً شرعياً وتأهيلاً عصرياً يمكنه من مواصلة الدراسة في الجامعات الحكومية في شتى التخصصات، وبذلك يتوفر ـ بإذن الله ـ مسلمون أكفاء في مختلف القطاعات الوظيفية الحكومية.

وقد بلغ إجمالي المدارس (٣٨) مدرسة ما بين روضة وابتدائية وإعدادية وثانوية؛ وبذلك يكون عددها قد تضاعف عن العام الماضي، حيث كانت (٢٠) مدرسة. والمدارس موزعة كما يلي:

الدولة	عدد المدارس	تفصيل مراحلها
بريطانيا (لندن)	٢	روضة، وابتدائية
كينيا	٦	(٣) روضة، (٢) ابتدائية، (١) ثانوية
غانا	١٠	(٢) روضة، (٣) ابتدائية، (٤) إعدادية، (١) ثانوية
بنجلاديش	٢١	(١٣) روضة، (٨) ابتدائية

من ثمرات المنتدى

دورات شرعية
مدارس تحفيظ القرآن
مكتبات ـ ملتقيات
مراكز ـ بناء مساجد..

٢ ـ المدارس الشرعية : وهدفها نشر العلم الشرعي، ورفع الجهل عن أبناء المسلمين، ولهذا أنشأ المنتدى الإسلامي ثانوية شرعية في مدينة جوس بشمال نيجيريا.

٣ ـ كفالة مدرسين في مدارس غير تابعة للمنتدى : وهي طريقة لتقديم مقرر شرعي في هذه المدارس، أو إيجاد مدرس يهتم بالدعوة في مدرسة حكومية أو إسلامية تحتاج للدعم، ولا يتمكن المنتدى من القيام بكامل أعبائها، فيكفل مدرسًا أو أكثر فيها.

٤ ـ معاهد إعداد الدعاة : يتوقف نجاح العمل الدعوي ـ بعد توفيق الله ـ على كفاءة الدعاة الذين هم قلب الدعوة النابض، وأهم ما في الأمر تنمية الطاقات العاملة، وتأهيل دعاة آخرين؛ ووسيلة ذلك إعداد الدعاة وتأهيلهم، وهو ما سعى إليه المنتدى في إنشائه معاهد إعداد الدعاة.

ومن أبرز المعاهد التي جهزت مبانيها وأعدت مناهجها : معهد نيجيريا، ومعهد آخر في مالي، وقد تعثر افتتاحهما حتى الآن بسبب بعض العراقيل الرسمية.

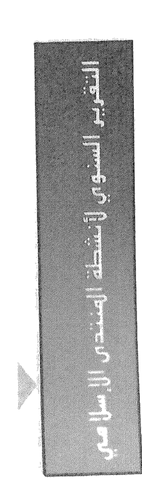
٥ ـ توزيع المناهج الدراسية : تعجز إمكانات بعض المدارس المادية عن توفير المناهج والكتب الدراسية، فقام المنتدى بتوزيع الكتب الدراسية على بعض المدارس، ومنها في هذا العام فقط (٣٢٠٦٢) فبلغ عدد الكتب الموزعة حتى الآن (٢٨٤٨٦٢)، وهي على الشكل الآتي : غانا (١٢٧٢٤٤)، كينيا (٦٣٩١٢) مالي (١٩٥٠٠)، السنغال (٢٥٠٠) ، الصومال (٣٠٠٠)، أوغندا (١٠٠٠)، بنين (١٨٠٠٠)، توجو (٤٨٢٠٦)، جيبوتي (١٥٠٠).

سادساً : القوافل الدعوية :

انتشر الإسلام في مختلف الأدغال والقرى النائية، مع غلبة الجهل على هؤلاء المسلمين، وانتشار الشركيات والسحر والبدع بينهم.

غير أنه من الصعب توفير دعاة في كل المناطق المترامية الأطراف؛ ولصعوبة تنقل أفراد الدعاة.. فقد قام المنتدى بتنظيم القوافل الدعوية التي يقوم بها مجموعات من الدعاة بشكل مدروس مرتب، ويصحب القافلة طبيب، وتُزوَّد ببعض المواد الإغاثية، والكتب باللغات المحلية.

وبحمد الله تم تنفيذ (١٥٨) قافلة دعوية، منها في هذا العام وحده (٦٨)

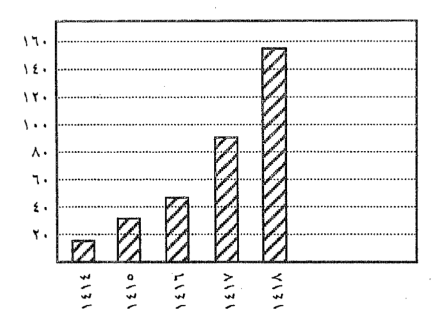


قافلة، منها ما هو للمسلمين، ومنها ما هو لغير المسلمين ومن تلك القوافل:

• قافلة الرحمة الدعوية، في (بنين) من كوتونو ـ باراكو، لمدة سبعة أيام، أقيم خلالها (٣٨) درساً.

• القوافل الدعوية الثابتة في خمس محافظات في (بنين) وتنطلق هذه القوافل (٤) مرات أسبوعياً لمدة شهر لتزور (١٦) قرية خلال هذه المدة، وشارك في هذه القوافل (٣٠) داعية منهم ستة من دعاة المنتدى.

ويتضح نمو القوافل خلال الأعوام الخمسة الأخيرة من الرسم البياني التالي:



يتوزع مجموع القوافل على دول كثيرة، نفذ منها هذا العام: في توجو (٣٠) قافلة، وفي بنين (١٦)، وفي كينيا (١٩)، وفي غانا (١٤)، وفي الصومال وجيبوتي (١٣)، وفي السودان (٣)، وفي تشاد (٢)، وفي أوغندا (٣)، وفي الحبشة (٥)، وفي بنجلاديش (٢٥)، وفي نيجيريا (٣٢).

وقد كان لتلك القوافل أثر طيب ونتائج جيدة ـ بفضل الله تعالى ـ فمثلاً: في قافلة واحدة في الحبشة أسلم (٩٠) شخصاً، كما أسلم (١٥٠٠) في نيجيريا خلال (٧) قوافل، وهؤلاء يترتب على إسلامهم واجب متابعتهم، وقد قام المنتدى بمتابعة المسلمين الجدد على النحو الآتي:

١ ـ إعداد دورات، على مستويات ثلاثة، ينتقل فيها المسلم ليصل إلى

مستوى علمي وتربوي مناسب.

٢ ـ إنشاء مركز لمحو الأمية في (كسومو) في كينيا.

٣ ـ تعيين داعية في كل قرية يكثر فيها المهتدون.

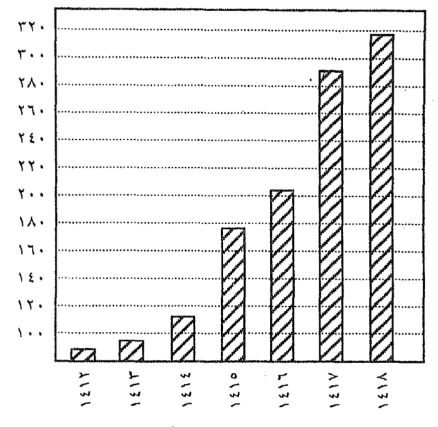
٤ ـ تنظيم الجولات الدعوية للدعاة في مختلف المناطق والقرى.

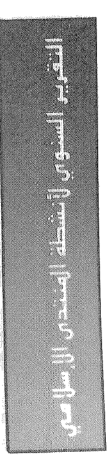
سابعاً: بناء المساجد:

تم إنشاء وتنفيذ (٣١٩) مسجداً وجامعاً في دول كثيرة، منها (٢٦) تحت التنفيذ؛ وفي العام الماضي بمفرده تم الانتهاء من بناء (٤٣) مسجداً، وإكمال مسجدين آخرين، منها (١٤) مسجداً وجامعاً في بنجلاديش وحدها.

ويوضح الرسم التالي تصاعد عدد المساجد خلال الأعوام الستة المنصرمة:







ويحرص المنتدى على اختيار الأفضل لموقع المسجد، وتسجيل ملكيته رسمياً، كما يسعى لإحياء رسالة المسجد، وتنشيطه دعوياً؛ بتعيين داعية مؤهل في كل مسجد يقوم المنتدى ببنائه، ليتولى إمامة المسلمين، وإقامة الدروس الشرعية، وإلقاء المواعظ، والقيام على حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

أما توزيع المساجد على الدول فيوضحه الجدول الآتي:

الدولة	عدد المساجد التي تم تنفيذها	عدد المساجد التي تحت التنفيذ	المجموع
الحبشة	٢٦	-	٢٦
إريتريا	٢	٢	٤
أوغندا	٨	١	٩
باكستان	٤١	-	٤١
أفغانستان	١	-	١
بنجلاديش	٩٥	-	٨٦
تشاد	١٢	-	١٢
توجو	٥	-	٣
بنين	٣	-	١
الجمهوريات الإسلامية	٤	-	٤
السنغال	١	١	٢
السودان	٨	٤	١٢
الصومال	١٧	-	١٦
غانا	١٩	٦	٢٥
الفلبين	٥	١	٦
كينيا	٢١	-	١٩
مالي	١١	١	١٢
نيجيريا	٩	٨	١١
الهند	٣	٢	٥
جيبوتي	٢	-	١
تنزانيا	٢	-	٢
المجموع	٢٩٣	٢٦	٣١٩

ثامناً: المكتبات العامة ومكتبة طالب العلم:

تعاني كثير من البلاد الإسلامية من ندرة الكتب الإسلامية وندرة المراجع.

العلمية، مع ما لهذه الكتب والمراجع من أثر بالغ في التوعية الإسلامية ونشر العلم وتصحيح العقيدة؛ ولذا سعى المنتدى إلى سدّ تلك الحاجة ـ حسب إمكانياته ـ بوسائل منها :

١ ـ المكتبات العامة، وهي نوعان :

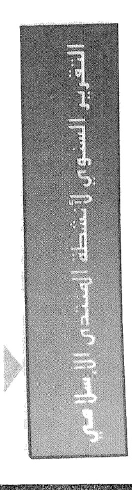
أ ـ مكتبة كبيرة : تقام في المدن الرئيسة، وفي أماكن التجمعات الكبيرة للدعاة.

ب ـ مكتبة صغيرة : توضع في المساجد والمدارس ونحوها.

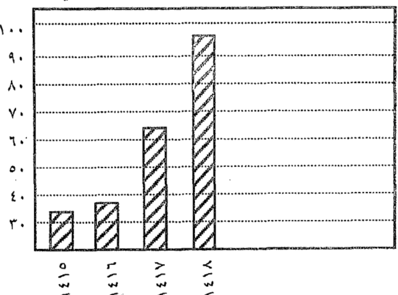
وتم انتقاء الكتب وفقاً لاحتياجات الدعاة في تلك الأماكن، أما عدد المكتبات المجهزة فبلغ (٩٦) مكتبة، منها (٣٣) مكتبة جهزت هذا العام وهي موزعة كما يلي :

الدولة	عدد المكتبات الكبيرة	عدد المكتبات الصغيرة
بريطانيا (لندن)	١	١
كينيا	٦	١٩
مالي	٤	٤
غانا	٢	–
الصومال	٧	٧
السنغال	١	١
بنجلاديش	٤	١٤
السودان	١	–
تشاد	١	١
توجو	–	٢
أوغندا	١	–
الحبشة	–	١٦و٥ سمعية
نيجيريا	–	٢
جيبوتي	١	–
المجموع	٢٩	٦٧





ويبدو نمو المكتبات تصاعديًا خلال سنوات ثلاث كما يلي:



٢ ـ **مكتبة طالب العلم**: وهي مكتبة صغيرة تحتوي على الأصول العلمية المهمة، تُمنَح للداعية ويمتلكها شخصيًا، ليستعين بها على تنمية قدراته، ورفع مستواه. ولأجل أن تلائم المستوى والقدرات فقد أعد المنتدى قائمتين: الأولى للدعاة الجامعيين، والثانية للدعاة غير الجامعيين.

وقد بلغ عدد المكتبات الموزعة خلال العام الحالي ١٤١٧هـ ـ ١٤١٨هـ (٣٧٤) مكتبة وتشتمل على الكتب التالية:

أ ـ في اللغة العربية: ١ ـ المستوى الجامعي:

ـ زبدة التفسير. ـ تيسير العلام. ـ شرح العقيدة الواسطية.

ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

ـ التحفة السنية في شرح المقدمة الآجرومية.

ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. ـ مختصر سيرة النبي ﷺ.

٢ ـ المستوى غير الجامعي: ـ فتح المجيد. ـ تفسير ابن كثير.

ـ رياض الصالحين. ـ بلوغ المرام. ـ الرحيق المختوم.

ب ـ وأما باللغة الإنجليزية فهي ترجمات للكتب التالية:

ـ كتاب التوحيد. ـ معاني القرآن. ـ الرحيق المختوم. ـ بلوغ المرام.

ـ مختصر صحيح البخاري. ـ تقوية الإيمان. ـ شرح أركان الإسلام.

٣ ـ توزيع المصاحف والكتب والأشرطة:

●عدد المصاحف الموزعة: (٤٨٥١٤) مصحفًا، منها (٢٠٥١٤) هذا العام.

●وزع في العام الماضي (٣٨٣١) ترجمة لمعاني القرآن بلغات مختلفة.

●تم توزيع (٣٠٥٠٩٧) كتابًا بالعربية، منها (٦٥٦٨٨) في العام الماضي.

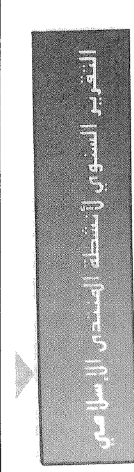
● كما وزع (٢٥٥٢٠) كتابًا بلغات غير العربية، وأيضًا (٢٠٥٢٤٢٥) نسخة من الكتب التي قام المنتدى بترجمتها، وذلك في العام الماضي وحده.

● عدد الأشرطة الموزعة (١٤٤٧٨٦) شريطًا، منها (٣٩٧٨٦) شريطًا في العام الماضي.



تاسعا: مطبوعات المنتدى الإسلامي:

١ ـ مجلة البيان: وهي مجلة إسلامية شهرية جامعة، تُعنى بالدراسات الشرعية والدعوية والتربوية، وتسعى لرفع مستوى الوعي الفكري، عبر كتابات متميزة رصينة، يعدُّها عدد من العلماء والدعاة والأساتذة والشباب الفضلاء، وقد بدأ المنتدى الإسلامي بإصدارها في عام ١٤٠٦هـ، لتوزع في مختلف أنحاء العالم. وقد لاقت ـ بحمد الله ـ رواجًا وإقبالاً كبيرًا يُزكي الأمل، ويشجع على العمل، ونرجو الله لها المزيد، وقد اعتمد المنتدى (٤٥٠٠) اشتراكًا شهريًّا مجانيًا في عدد من الدول، إسهامًا منه في إيصال كلمة الحق والهدى إلى الدعاة وطلاب العلم الذين لا يستطيعون شراء المجلة، بالإضافة إلى العديد من الجمعيات الإسلامية والمعاهد والمراكز.



٢ ـ نشرة المنار: وهي نشرة صغيرة تصدر باللغة الإنجليزية وتوزع في بريطانيا، ومكاتب المنتدى في إفريقيا في الدول الناطقة باللغة الإنجليزية، وتتناول هذه النشرة بعض البحوث الميسرة في العلوم الإسلامية.

٣ ـ نشرة أسبوعية: في بنين، صدر منها (٣٦) عددًا، توزع في كثير من المحافظات.

٤ ـ كتاب المنتدى: يقوم المنتدى الإسلامي بطباعة الكتب والرسائل المفيدة مع الحرص على حسن الاختيار والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومن هذه الإصدارات:

* المدارس والكتاتيب القرآنية.. وقفات تربوية وإدارية.
* خواطر في الدعوة، (١٠٠ خاطرة دعوية).
* التجديد في الإسلام.
* رؤية إسلامية للاستشراق.
* اعتقاد أهل السنة في الصحابة.
* علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام.

* الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي. * البداوة والحضارة.
* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أصوله وضوابطه.
* تجربة المنتدى الإسلامي في العمل الدعوي... ونحوها.

ونظراً للطلب المتزايد على كتب المنتدى ـ بفضل الله ـ فقد أُعيدت طباعة غالب الإصدارات خلال العام الحالي ١٤١٧هـ ـ ١٤١٨هـ.

٦ ـ طباعة الكتب المترجمة: قام المنتدى الإسلامي بطباعة عدد من الكتب الإسلامية المترجمة إلى عدد من اللغات، ووزعت في عدد من دول العالم، ومنها:

* الأصول الثلاثة، (باللغة الفرنسية). * الأصول الثلاثة، (بلغة الهوسا).
* الخطوط العريضة، (بلغة الهوسا).
* وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة، للشيخ ابن باز، (بالإنجليزية).
* وجوب أداء الصلاة جماعة، لابن باز، (بالفرنسية).
* صفة صلاة النبي ﷺ، للشيخ ابن باز (بالفرنسية).
* رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية، (بالبنغالية).
* عقيدة أهل السنة والجماعة، لجميل زينو، (بالبنغالية).
* صفة صلاة النبي ﷺ ووجوب صلاة الجماعة، لابن باز، (بالسواحلية).
* الطهارة والصلاة، لابن عثيمين، (بالسواحلية).
* الدروس المهمة لعامة الأمة، لابن باز، (بالسواحلية).
* توجيهات إسلامية، لجميل زينو، (بالبنغالية).
* كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب، (بالسواحلية)
* حصن المسلم، (بالسواحلية). * المرأة في الإسلام، (بالسواحلية).
* مختصر العقيدة الإسلامية، لمحمد جميل زينو، (بالسواحلية).

بالإضافة إلى أن المنتدى الإسلامي يسعى لتوفير الكتاب الإسلامي باللغات المختلفة من الأسواق، ويوزعها في دول العالم.

عاشراً: النشاط الإغاثي والاجتماعي:

المنتدى الإسلامي مؤسسة دعوية في الأصل، ولكنه يقدم أنشطة اجتماعية وصحية متعددة، كما يسهم في إغاثة المنكوبين وإعانة الملهوفين من المسلمين. ومن البرامج التي تم تنفيذها:

من
ثمرات المنتدى

دورات شرعية
مدارس تحفيظ القرآن
مكتبات - ملتقيات
مراكز - بناء مساجد..

١ ـ المراكز الإغاثية : قام المنتدى الإسلامي بإنشاء (٢٨) مركزاً إغاثياً، في كل من كينيا والصومال وبنجلاديش، استفاد منها (١٥٠٠٠) شخص يومياً، وقد توقفت هذه المراكز لانقضاء حاجتها، وذكرت تفاصيلها في تقرير العام الماضي.

٢ـ الأعمال الإغاثية العامة : وتشمل توزيع المواد الغذائية واللباس والكساء والدواء؛ حيث قام المنتدى الإسلامي بأعمال إغاثية متعددة في الصومال، وبنجلاديش للمتضررين من الفيضانات والأعاصير، والبورماويين بسبب الحروب، وجيبوتي، ومالي .. وغيرها.

ويصاحب هذه الأنشطة برامج دعوية مكثفة من دعاة المنتدى الإسلامي.

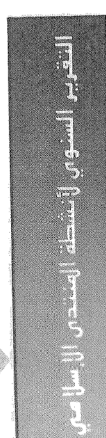
٣ ـ برنامج إفطار صائم : اعتاد المنتدى الإسلامي تنفيذ البرنامج سنويًا في عدد من دول العالم، وقد بلغ عدد الوجبات التي تم توزيعها في رمضان ١٤١٣هـ (٨٤٩,١٦٨) وجبة، شملت (١٨) دولة، وأما في رمضان ١٤١٤هـ فقد بلغ عدد الوجبات (٣٢٦,٦٧٧) وجبة، شملت (١٦) دولة، وفي رمضان ١٤١٥هـ بلغ عدد الوجبات (٧٨٤,٧٠٠) وجبة، شملت (١٦) دولة، وفي رمضان ١٤١٦هـ بلغ عدد الوجبات (٣٥٠,٨٧١) وجبة، شملت (١١) دولة وفي رمضان ١٤١٧هـ عدد الوجبات (٣٣٧,٥٠٠) وجبة، شملت (١٢) دولة.

وفي الغالب : يصاحب الإفطار دروس وعظية وعلمية وتربوية يعدها دعاة المنتدى الإسلامي؛ مما يكون له أثر مبارك (ولله الحمد والشكر).

وقد بلغ عدد البرامج الدعوية في إفطار عام ١٤١٧هـ (١١٧٧٦) ما بين كلمة توجيهية ودرس ومحاضرة.

٤ ـ برنامج الأضاحي : يقوم المنتدى الإسلامي سنويًا بتنفيذ برنامج الأضاحي في عدد من دول العالم؛ وذلك لتوزيعها على فقراء المسلمين، وقد بلغ عدد الأضاحي حتى نهاية عام ١٤١٧هـ (٢٥٧٧٠) أضحية، بالإضافة إلى ذبح العقائق والكفارات والنذور؛ لتوزيعها على المحتاجين.

٥ ـ حفر الآبار : بسبب تتابع الجفاف ومواسم القحط التي سادت أجزاءً من القارة الإفريقية، وازدياد حاجة المسلمين إلى مصادر نقية للمياه، عمل المنتدى ـ ولا زال يعمل ـ على سد حاجة المسلمين في بعض المناطق من المياه الصالحة للشرب، وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن (٢٦٤) بئراً في عدد من الدول، موزعة كما يلي :



الدولــة	عدد الآبار	ملاحظات
السودان	٥١	مشروع عيون الحياة
غانا	٣١	—
مالي	٩	—
إثيوبيا	٩	—
كينيا	١٨	منها بئر ارتوازي واحد، بالإضافة إلى خمسة خزانات للمياه.
الصومال	١٤	—
توجو	١٣	—
بنجلاديش	٧٠	منها (١٥) بئرًا ارتوازيًا.
تشاد	٩	منها بئر بالطاقة الشمسية.
بنين	١١	—
باكستان	١٢	—
أوغندا	٢	—
جنوب شرق آسيا	٥	—
السنغال	١	—
نيجيريا	٩	—

وقد بدأ المنتدى قبل ثلاث سنوات بمشروع لحفر الآبار الارتوازية في السودان باسم: (عيون الحياة)، وجهز المشروع بمختلف التجهيزات الفنية والآلية اللازمة، وبناء على الخطة المرسومة يقوم المشروع بحفر (٣٠) بئرًا سنويًا على الأقل، وقد تم تنفيذ (٥١) بئرًا حتى الآن، ولله الحمد.

٦ ـ كفالة الأيتام: يكفل المنتدى الإسلامي(٢٠٢) يتيمًا ـ موزعين في عدد من الدول ـ كفالة تامة، تشمل الغذاء والكساء والتعليم.

ختامًا: لا يسعنا بعد هذا التقرير الشامل الموجز لثمرات عمل المنتدى الإسلامي، إلا أن نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يبارك في هذه الأعمال المتواضعة؛ حتى تؤتي ثمارها عاجلاً في الدنيا، وآجلاً في الآخرة، وأن يتقبل من الجميع جهودهم وإسهامهم وسعيهم، وأن يعين على المضي قدمًا في كل مشروع نافع، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وآله وصحبه.

بريد البيان

■ الأخ / عبد الرحمن التركي ـ السعودية
وصلتنا مشاركتك الكريمة: «وصايا للمتزوجين» ونشكر لك اهتمامك؛ إلا أن الموضوع يفتقر إلى التوثيق، ونقترح إحالته لإحدى المجلات الاجتماعية الإسلامية، كالأسرة والشقائق وأمثالهما.

• • •

■ الأخ / وائل عبد الرحيم ـ السودان
نشكر لك مشاركتك: «علمني الصغير» وقد أجيزت لمنتدى القراء.

• • •

■ الأخ / عبد الله أحمد عبد الله ـ باكستان
مشاركتك حول الإمام الذهبي ضعيفة، ونذكرك بالاهتمام بالنية الصالحة قبل الاهتمام بالحساب الدولاري والمكافأة. وفقت للخير.

• • •

■ الأخ / ص / قداش ـ الجزائر
جزاكم الله خيراً على رسالتكم الرقيقة، ونشكركم على هديتكم الطيبة، ونعتذر عن نشر المشاركة المرسلة.

• • •

■ الأخ / باسل الرياحي
نشكر لك مشاركتك الطيبة «نجم الشعرى في القرآن» ونعتذر عن نشرها لاستنادها إلى التفسير العددي للقرآن.

■ الأخ / إيهاب أمين ـ اليمن
نشكرك على اهتمامك وإرسالك الاستبيان، أما عن رسالتك الأولى، فالأفضل إرسالها مرة أخرى.

• • •

■ الأخ / صالح السالم ـ مكة
نشكر لك غيرتك الطيبة على مجلتك، وأما ملاحظتك: فالكاتب لم يقصد أن مادة «رهب» غير موجودة في المعاجم، وإنما لفظ «إرهاب».

• • •

■ الأخ / أبو المعتصم ـ السعودية، والأخ / وائل عبد الغني ـ مصر
نعتذر عن نشر مشاركتكما عن وفاة أميرة ويلز، وبالتوفيق في مشاركات قادمة ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ الإخوة / عبده قائد سعيد ـ اليمن، عبد المجيد عبد العزيز ـ السودان، فيصل اليوسف، علي جبريل، د. محمد الحلواني، فادي الخلف ـ السعودية، سعيد جبر، محسن خضر ـ مصر
نشكر لكم مشاركاتكم الأدبية والشعرية وتواصلكم مع المجلة، ونتمنى لكم التوفيق في مرات قادمة، وجزاكم الله خيراً.

■ الإخوة / د. حمدي شتا، نجاح سرور ـ مصر، محمد الإدريسي، عبد الله العيسى، عيسى آل خماش ـ السعودية، وائل محمد:
نشكر لكم ما أرسلتموه من مشاركات شعرية للمجلة، وستُعَدُّ للنشر في منتدى القراء، مع تمنياتنا بدوام التواصل.

• • •

■ الإخوة / حفيظ بن عجب، محمد المقرن، زاهر الزهراني، علي الغامدي ـ السعودية
جزاكم الله على ما أرسلتموه من نصوص شعرية للمجلة والمواد مجازة للبيان الأدبي.

• • •

■ الأخ / إبراهيم الحميميد
نشكر لكم اقتراحكم الطيب، وعسى أن يرى النور قريباً. بارك الله فيك.



لا تحقرن من المعروف شيئاً

بقلم: أيمن بن سعيد

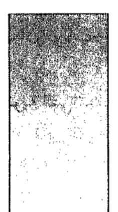
دخلت عليه، فهش في وجهي وهششت، عانقني بحرارة، وقال لي: الحمد لله... مَنَّ الله عليَّ بالهداية، وصرت برحمته ـ سبحانه ـ مسلماً بعد أن كنت نصرانياً، وأصبحت أعمل في حقل الدعوة إلى الله في أوساط أقاربي وزملائي بعد أن تعلمت شيئاً من أمر ديني، وما زلت أسعى إلى المزيد.

قلت له: لله الفضل والمنة، ولكن حدثني كيف أسلمت؟

قال: قصتي عجيبة: كنت طالباً في المدرسة الثانوية الكاثولكية، فوجدت في مكتبتها كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة السواحلية؛ ولست أدري من وضعه دون أن يعلم القس عن ذلك شيئاً؛ فتعجبت من وجوده، ودعاني فضولي إلى تصفحه مبتدئاً بقراءة المقدمة ومعاني سورة الفاتحة، ومطلع سورة البقرة، فأدهشني وضوح الفكرة وعمقها، فأغلقت الكتاب، والتفت يميناً ويساراً، وعلى حينَ غفلة من الحضور أخذت الكتاب وخرجت إلى غرفتي في سكن الثانوية الداخلي.

حدثت زملائي الستة بما قرأت، وأريتهم الكتاب، فعجبوا، ومكثنا مدة شهرين نقرأ فيه، ونتناقش إلى أن أتممنا قراءة معاني سورة البقرة.

عند ذلك قررنا جميعاً الدخول في الإسلام، فدخلنا وواجهتنا محن وإحن؛ إذ طُردْتُ من المدرسة والمنزل، وأصبحت أواجه العقبات والشدائد الواحدة تلو الأخرى، ولكنني كنت مقتنعاً بالإسلام ديناً؛



فعاهدت ربي على اشتراء الآخرة بالدنيا، وأسأله سبحانه أن يثبتني على ذلك.

انتهى حديث صاحبي فتذكرت عندها قوله ﷺ في الحديث: عن أبي ذر - رضي الله عنه -: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»(١) وجلست أتأمل واقع فئتين من الدعاة:

فئة تبذر الخير، وفئة تحجم عن ولوج طرق كثيرة من أبواب الخير وهي قادرة على ذلك؛ بحجة أنه لا فائدة تشاهدها من طَرْق تلك الأبواب وولوجها، أو أن فائدتها يسيرة وأثرها محدود لا يستحق البذل والعطاء.

وأدركت عندها من قصة هذا الأخ خطأ الفئة الأخيرة في حق نفسها وأمتها؛ لأنها تستوعب أن مهمة الرسل عليهم السلام - والدعاة تبع لهم - استفراغ الوسع في البلاغ، والبلاغ وحده، كما قال - عز وجل -: ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [المائدة: ٩٩]، أما النتائج وتحقيق المكاسب فأمره إلى الله - عز وجل - كما قال مخاطبًا نبيه: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: ٥٦].

ولا يعني ذلك دعوة إلى ترك التخطيط للدعوة وعدم أهمية ترتيب الأولويات؛ فذاك أمر متحتم على الدعاة والمصلحين.

كما لا يعني ذلك دعوة إلى عدم التخصص في بعض الأعمال الدعوية التي تشعبت واتسعت وصار واجبًا على الدعاة فعلُ ذلك لإسقاط الواجب الكفائي على الأمة في القيام بها.

لكن المراد هنا هو التنبيه على أنه لا يسوغ أن نتخذ هذه الوسائل ذرائع لعدم المسابقة في الخيرات؛ فما أكثر ما يجد الداعية المنظم لوقته وجهده، المرتب لأولوياته، المحدد لمسؤولياته الوقت والجهد لبذر خيرٍ هنا أو هناك، والسعي في حاجة هذا أو ذاك دون أن يؤثر ذلك على ما هو عليه من أبواب الخير.

فيا ترى: كم خسرت الدعوة والأمة وما زالت تخسر بسبب هذا الإحجام من المكاسب والمواقع التي يمكن أن تتحقق لو أن كل داعية مخلص غيور امتثل قوله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»؟

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٢٠٢٦، ح ٢٦٢٦).

AL-BAYAN

Islamic Magazine

Subscription Form

-- (BLOCK CAPITALS PLEASE)

Name -------------------------- Surname ------------------

Address --

City ------------------------------------ Post Code --------

Country --

New ☐ 1 Year ☐ 2 Years ☐ 3 Years ☐

Renew ☐ Amount Enclosed -------------------------
(Sterling Only) (Cheques payable to AL-BAYAN)

'ase quote subscription number in all correspondance:--------------

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place , Parsons Green
LONDON SW6 4HR

فعاهدت ربي على اشتراء الآخرة بالدنيا، وأسأله سبحانه أن يثبتني على ذلك.

فيا ترى: كم خسرت الدعوة والأمة وما زالت تخسر بسبب هذا الإحجام من المكاسب والمواقع التي يمكن أن تتحقق لو أن كل داعية مخلص غيور امتثل قوله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»؟

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٢٦/١، ح ٢٦٢٦).

